الجزء الثاني

من

كتاب

الروض الأنف

« فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام »

للامام الفقيه المحدث أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن أبى الحسن الخثعمى السهيلى المولود بمدينة مالقة سنة ٥٠٨ والمتوفى بمراكش سنة ٥٨١

وبهامشه « السيرة النبوية » للامام أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى الحميرى البصرى الاصل المتوفى بمصر ٢١٣ رحمهم الله أجمعين

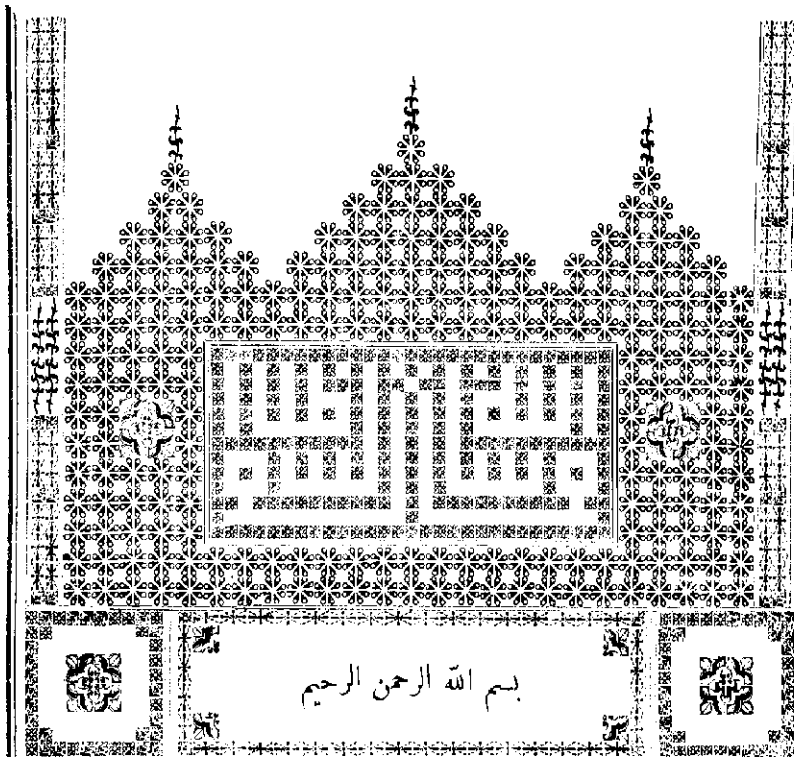
طبع هذا الكتاب على نفقة سلطان المغرب الاقصى سابقا امام زمانه وفريد عصره وأوانه قدوة الامراء وحجة العلماء العلامة المحقق والملاذ الاكبر المدقق فرع الشجرة النبوية وخلاصة السلالة الطاهرة العلوية سيدنا ومولانا ابن السلطان مولاى الحسن بن السلطان سيدى محمد رفع الله قدره وأدامه وأودع فى القلوب محبته واحترامه آمين

عبد الحفيظ

بتوكيل الحاج محمد بن العباس بن شقرون خديم المقام العالى بالله الآن بثغر طنجة ووكيل دولة المغرب الاقصى سابقا بمصر على يد نجله الحاج « عبد السلام بن شقرون »

طبع بمطبعة الجمالية - بمصر

سنة ١٣٣٢ هـ
١٩١٤ م



﴿ اذن الله سبحانه لنبيه بالهجرة ﴾

ذكر فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بيت أبى بكر فى الظهيرة قالت عائشة وفى البيت أنا وأختى أسماء فقال أخرج من معك فقال أبو بكر انما هما ابنتاى يارسول الله * وقال فى جامع البخارى انما هم أهلك يارسول الله وذلك أن عائشة قد كان أبوها أنكحها منه قبل ذلك وكذلك روى عن أمها أم رومان بنت عامر بن عويمر ويقال فى اسم أبيها رومان بفتح الراء أيضا فقال ابن اسحق فى غير رواية ابن هشام فى حديث طويل ثابت اختصرته ان أبا بكر حين هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف بناته بمكة فلما قدموا المدينة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه وأرسل أبو بكر عبد الله بن أريقط وأرسل معهم خمسمائة درهم فاشتروا بها ظهرا بقديد ثم قدموا مكة فخرجوا بسودة بنت زمعة وبفاطمة وبأم كلثوم قالت عائشة وخرجت أمى معهم ومع طلحة بن عبيد الله مصطحبين فلما كنا بقديد نفر البعير الذى كنت عليه أنا وأمى ام رومان فى محفة فجعلت أمى تنادى وابنتاه واعروساه وفى رواية يونس عن ابن اسحق وفيه قالت عائشة فسمعت قائلا يقول ولا أرى أحدا ألق خطامه فالقيته من يدى فقام البعير يستدير به كان انسانا تحته يمسكه حتى هبط البعير من الثنية فسلم الله فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبنى المسجد وأبياتا له فنزلت مع أبى بكر ونزلت سودة بنت زمعة فى بيتها فقال أبو بكر ألا تبنى باهلك يارسول الله فقال لولا الصداق قالت فدفع اليه ثنتى عشرة أوقية ونشا والنش عشرون درهما وذكرت الحديث ورواه ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وفى حديث ابن اسحق ان أبا بكر كان قد أعد راحلتين فقدم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة وهى أفضلهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

* قال ابن اسحق وأذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك فى الهجرة

﴿ هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وصحبة أبى بكر رضى الله عنه ﴾

قال ابن اسحق وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلا ذا مال فكان حين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا قد طمع بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يعنى نفسه حين قال له ذلك فابتاع راحلتين فاحتبسهما فى داره يعلفهما اعدادا لذلك * قال ابن اسحق فحدثنى من لا أتهم عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين انها قالت كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار اما بكرة واما عشية حتى اذا كان اليوم الذى أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرى قومه أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها قالت فلما رآه أبو بكر قال ما جاء رسول الله

انى لا أركب بعيراً ليس لى فقال أبو بكر هولك يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن فقال أبو بكر بالثمن يارسول الله فركبها ﴿ فسئل بعض اهل العلم ﴾ لم لم يقبلها الا بالثمن وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ماهو أكثر من هذا فقبل وقد قال عليه السلام ليس من أحد آمن على فى اهل ومال من ابى بكر وقد دفع اليه حين بنى بعائشة ثنتى عشرة أوقية ونشا فلم يأب من ذلك ﴿فقال المسؤل﴾ انما ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكمال فضل الهجرة وأن تكون الهجرة والجهاد على أتم احوالهما وهو قول حسن حدثنى بهذا بعض أصحابنا عن الفقيه الزاهد أبى الحسن بن اللوان رحمه الله * وذكر ابن اسحق فى غير رواية ابن هشام ان الناقة التى ابتاعها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى بكر يومئذ هى ناقته التى تسمى بالجدعاء وهى غير العضباء التى جاء فيها الحديث حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقة صالح وانها تحشر معه يوم القيامة فقال له رجل وأنت يومئذ على العضباء يارسول الله فقال لا ابنتى فاطمة تحشر على العضباء وأحشر أنا على البراق ويحشر هذا على ناقة من نوق الجنة وأشار الى بلال * وذكر أذانه فى الموقف فى حديث طويل يرويه عبد الحميد بن كيسان عن سويد بن عمير وعبد الحميد مجهول عندهم * وفى مسند البزار عن أنس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على العضباء وليست بالجدعاء فهذا من قول أنس انها غير الجدعاء وهو الصحيح لانها غنمت وأخذ صاحبها العقيلى بالمدينة فقال بم أخذتنى يامحمد وأخذت سابقة الحاج يعنى العضباء فقال اخذتك بجريرة حلفائك * وذكر ابن اسحق فى قول عائشة رضى الله عنها ما كنت أرى احداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى من الفرح قالت ذلك لصغر سنها وانها لم تكن علمت بذلك قبل وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى فاخذته استحسانا له فقال الطائى يصف السحاب

دهم اذا وكفت فى روضة طفقت * عيون أزهارها تبكى من الفرح

وقال ابو الطيب وزاد على هذا المعنى

فلا تنكرن لها صرعة * فمن فرح النفس مايقتل

وقال بعض المحدثين

ورد الكتاب من الحبيب بانه * سيزورنى فاستعبرت أجفانى
غلب السرور علىّ حتى انه * من فرط ماقد سرنى أبكانى
ياعين صار الدمع عندك عادة * تبكين فى فرح وفى أحزان

﴿ فصل ﴾ ومن قوله عليه السلام حين خرج من مكة ووقف على الحزورة ونظر الى البيت فقال والله انك لاحب أرض الله الىّ وانك لاحب أرض الله الى الله ولولا ان أهلك أخرجونى منك ماخرجت يرويه الزهرى عن أبى سلمة عن عبد الله بن عدى بن الحمراء يرفعه وبعضهم يقول فيه عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة وهو من أصح مايحتج به فى تفضيل مكة على المدينة وكذلك حديث عبد الله بن الزبير مرفوعا ان صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة ألف صلاة فيما سواه فاذا كانت الاعمال تبعا للصلاة فكل حسنة تعمل فى الحرم فهى بمائة ألف حسنة وقد جاء هذا منصوصا من طريق ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج ماشياً كتب له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة فيه بمائة ألف حسنة أسنده البزار

صلى الله عليه وسلم هذه الساعة الا لأمر حدث قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وليس عند أبى بكر الا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عنى من عندك فقال يارسول الله انما هما ابنتاى وما ذاك فداك أبى وأمى فقال ان الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة قالت فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله قال الصحبة قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم ان أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ ثم قال يانبى الله ان هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا فاستأجرا عبد الله بن أريقط رجلا من بنى الديل بن بكر وكانت أمه امرأة من بنى سهم بن عمرو كان مشركا يدلهما على الطريق فدفعا اليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما * قال ابن اسحق ولم يعلم فيما بلغنى بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج الا على بن أبى طالب وأبو بكر الصديق وآل أبى بكر أما على فان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شئ يخشى عليه الا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم

* قال ابن اسحق فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج أتى أبا بكر بن أبي قحافة فخرجا من خوخة لابي بكر في ظهر بيته ثم عمدا الى غار بثور جبل بأسفل مكة فدخلاه وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما يأتيهما اذا أمسى في الغار وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام اذا أمست بما يصلحهما « قال ابن هشام » وحدثني بعض أهل العلم ان الحسن بن أبي الحسن البصري قال انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار ليلا فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه * قال ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثا ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم يسمع ما يأتمرون به وما يقولون في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ثم يأتيهما اذا أمسى فيخبرهما الخبر وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه يرعى في رعيان أهل مكة فاذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا فاذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما الى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفي عليه حتى اذا مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذي استاجراه ببعيريهما و بعير له وأتتهما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بسفرتهما ونسيت أن تجعل لها عصاما فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فاذا ليس فيها عصام فتحل نطاقها فتجعله عصاما ثم علقتها به فكان يقال لاسماء بنت أبي بكر ذات النطاق لذلك « قال ابن هشام » وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول ذات النطاقين وتفسيره انها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر * قال ابن اسحق فلما قرب أبو بكر رضي الله عنه الراحلتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم له أفضلهما ثم قال اركب فداك أبي وأمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا أركب بعيرا ليس لي فقال فهي لك يا رسول الله بابي أنت وأمي قال لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به قال كذا وكذا قال قد أخذتها به قال هي لك يا رسول الله فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عامر بن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما في الطريق * قال ابن اسحق فحدثت أسماء بنت أبي بكر انها قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت اليهم فقالوا أين أبوك يا بنت أبي بكر قالت قلت لا أدري والله أين أبي قالت فرفع أبو جهل لعنه الله يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة فطرح منها قرطي قالت ثم انصرفوا فمكثنا ثلاث ليال وما ندري أين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بابيات من شعر غناء العرب وان الناس

﴿ حديث الغار ﴾

وهو غار في جبل ثور وهو الجبل الذي ذكره في تحريم المدينة وانها حرام ما بين عير الى ثور وهو وهم في الحديث لان ثورا من جبال مكة وانما لفظ الحديث عند أكثرهم ما بين عير الى كذا كان المحدث قد نسي اسم المكان فكنى عنه بكذا وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل فيما شرح من الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخله وابو بكر معه انبت الله على بابه الراءة قال قاسم وهي شجرة معروفة فحجبت عن الغار أعين الكفار * وقال أبو حنيفة الراءة من أغلاث الشجر وتكون مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر أبيض تحشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن أنشد

ترى ودك الشريف على لحاهم * كمثل الراء لبده الصقيع

وفي مسند البزار ان الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجه الغار وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين وروى ان أبا بكر رضي الله عنه حين دخله وتقدم الى دخوله قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه رأى فيه جحرا فالقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن أنس قال قال ابو بكر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهما في الغار لو ان احدهم نظر الى قدمه لرآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروي أيضا انهم لما عمي عليهم الاثر جاؤا بالقافة فجعلوا يقفون الاثر حتى انتهوا الى باب الغار وقد أنبت الله عليه ما ذكرنا في الحديث قبل هذا فعند ما رأى ابو بكر رضي الله عنه القافة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت فانما أنا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا ألا ترى كيف قال لا تحزن ولم يقل لا تخف لان حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم شغله عن خوفه على نفسه ولانه أيضا رأى ما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم من النصب وكونه في ضيقة الغار مع فرقة الاهل ووحشة الغربة

ليتبعونه يسمعون صوته ومايرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتى أم معبد

هما نزلا بالبر ثم تروحا * فافلح من امسى رفيق محمد ليهن بنى كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد

« قال ابن هشام » أم معبد بنت كعب امرأة من بنى كعب من خزاعة وقوله حلا خيمتى وهما نزلا بالبر ثم تروحا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق قالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن وجهه الى المدينة وكانوا أربعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضى الله عنه وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر وعبد الله بن ارقط دليلهما « قال ابن هشام » ويقال عبد الله بن اريقط * قال ابن اسحق فحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ان اباه عباداً حدثه عن جدته اسماء بنت ابى بكر قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج ابو بكر معه احتمل ابو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف فانطلق بها معه قالت فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال والله انى لاراه قد فجعكم بماله مع نفسه قالت قلت كلا يا أبت انه قد ترك لنا خيرا كثيرا قالت فاخذت أحجارا فوضعتها فى كوة فى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت يا أبت ضع يدك على هذا المال قالت فوضع يده عليه فقال لا باس اذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن وفى هذا بلاغ لكم ولا والله ماترك لنا شيأ ولكنى اردت ان اسكن الشيخ بذلك

وكان أرق الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشفقهم عليه فحزن لذلك وقد روى انه قال نظرت الى قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وقد تفطرتا دما فاستبكيت وعلمت انه عليه السلام لم يكن تعود الحفاء والجفوة وأما الخوف فقد كان عنده من اليقين بوعد الله بالنصر لنبيه مايسكن خوفه وقول الله تعالى « فانزل الله سكينته عليه » قال اكثر اهل التفسير يريد على ابى بكر وأما الرسول فقد كانت السكينة عليه وقوله « وأيده بجنود لم تروها » الهاء فى أيده راجعة على النبى والجنود الملائكة أنزلهم عليه فى الغار فبشروه بالنصر على أعدائه فأيده ذلك وقواه على الصبر وقيل أيده بجنود لم تروها يعنى يوم بدر وحنين وغيرهما من مشاهده وقد قيل الهاء راجعة على النبى عليه السلام فى الموضعين جميعاً وأبو بكر تبع له فدخل فى حكم السكينة بالمعنى وكان فى مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما وقيل ان حزن أبى بكر كان عندما رأى بعض الكفار يبول عند الغار فاشفق ان يكونوا قد رأوهما فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تحزن فانهم لو رأونا لم يستقبلونا بفروجهم عند البول ولا تشاغلوا بشئ عن أخذنا والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وزعمت الرافضة أن فى قوله عليه السلام لابى بكر لا تحزن غضا من أبى بكر وذما له فان حزنه ذلك ان كان طاعة فالرسول عليه السلام لا ينهى عن الطاعة فلم يبق الا انه معصية فيقال لهم على جهة الجدل قد قال الله لمحمد عليه السلام « فلا يحزنك قولهم » وقال « ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر » وقال لموسى « خذها ولا تخف » وقالت الملائكة للوط لا تخف ولا تحزن فان زعمتم أن الانبياء حين قيل لهم هذا كانوا فى حال معصية فقد كفرتم وتقضتم أصلكم فى وجوب العصمة للامام المعصوم فى زعمكم فان الانبياء هم الائمة المعصومون باجماع وانما قوله لا تحزن وقول الله لمحمد لا يحزنك وقوله لانبيائه مثل هذا تسكين لجأشهم وتبشير لهم وتأنيس على جهة النهى الذى زعموا ولكن كما قال سبحانه « تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا » وهذا القول انما يقال لهم عند المعاينة وليس اذ ذاك أمر بطاعة ولا نهى عن معصية * ووجه آخر من التحقيق وهو ان النهى عن الفعل لا يقتضى كون المنهى فيه فقد نهى الله نبيه عن أشياء ونهى عباده المؤمنين فلم يقتض ذلك انهم كانوا فاعلين لتلك الاشياء فى حال النهى لان فعل النهى فعل مستقبل فكذلك قوله لابى بكر لا تحزن لو كان الحزن كما زعم والم يكن فيه على أبى بكر رضى الله عنه ما ادعوا من الغض وأما ما ذكرناه نحن من حزنه على النبى صلى الله عليه وسلم وان كان طاعة فلم ينهه عنه الرسول عليه السلام الا رفقاً به وتبشيراً له لا كراهية لعمله واذا نظرت المعانى بعين الانصاف لا بعين الشهوة والتعصب للمذاهب لاحت الحقائق واتضحت الطرائق والله الموفق للصواب وانتبه أيها العبد المأمور بتدبر كتاب الله تعالى لقوله « اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » كيف كان معهما بالمعنى وباللفظ أما المعنى فكان معهما بالنصر والارفاد والهداية والارشاد وأما اللفظ فان اسم الله تعالى كان يذكر اذا ذكر رسوله واذا دعى فقيل يارسول الله أو فعل رسول الله ثم كان لصاحبه كذلك يقال ياخليفة رسول الله وفعل خليفة رسول الله فكان يذكر معهما بالرسالة وبالخلافة ثم ارتفع ذلك فلم يكن لاحد من الخلفاء ولا يكون

* قال ابن اسحق وحدثنى الزهرى أن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم حدثه عن أبيه عن عمه سراقة بن مالك بن جعشم قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا الى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم قال فبينا أنا جالس فى نادى قومى اذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا فقال والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا على آنفا انى لأراهم محمدا وأصحابه قال فأومأت اليه بعينى ان أسكت ثم قلت انما هم بنو فلان يتبعون ضالة لهم قال لعله ثم سكت قال ثم مكثت قليلا ثم قمت فدخلت بيتى ثم أمرت بفرسى فقيد لى الى بطن الوادى وأمرت بسلاحى فاخرج لى من دبر حجرتى ثم أخذت قداحى التى أستقسم بها ثم انطلقت فلبست لامتى ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذى أكره لا يضره قال وكنت أرجو ان أرده على قريش فآخذ المائة الناقة قال فركبت على اثره فبينا فرسى يشتد بى عثر بى فسقطت عنه قال فقلت ما هذا قال ثم اخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذى اكره لا يضره قال فأبيت الا أن أتبعه قال فركبت فى اثره فبينا فرسى يشتد به عثر (٦) بى فسقطت عنه قال فقلت ما هذا قال ثم اخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذى اكره لا يضره قال فابيت الا ان اتبعه فركبت فى اثره فلما بدا لى القوم ورأيتهم عثر بى فرسى فذهبت يداه فى الارض وسقطت عنه ثم انتزع يديه من الارض وتبعهما دخان كالاعصار قال فعرفت حين رأيت ذلك انه قد منع منى وأنه ظاهر قال فناديت القوم فقلت انا سراقة بن جعشم انظرونى اكلمكم فوالله لا اريبكم ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر قل له وما تبتغى منا قال فقال ذلك ابو بكر قال قلت تكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينك قال اكتب له يا ابا بكر فكتب لى كتابا فى عظم او فى رقعة او فى خرقة ثم القاه الى فاخذته فجعلته فى كنانتى ثم رجعت فسكت فلم اذكر شيئا مما كان حتى اذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرغ من حنين والطائف خرجت ومعى الكتاب لالقاه فلقيته بالجعرانة قال فدخلت فى كتيبة من خيل الانصار قال فجعلوا يقرعوننى بالرماح ويقولون اليك اليك ماذا تريد قال فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته والله لكأنى انظر الى ساقه فى غرزه كأنها جمارة قال فرفعت يدى بالكتاب ثم قلت يا رسول الله هذا كتابك لى أنا سراقة ابن جعشم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاء وبر ادنه قال فدنوت منه فأسلمت ثم تذكرت شيئا اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره الا انى قلت يا رسول الله الضالة من الابل تغشى حياضى وقد ملأتها للابل هل لى من أجر فى أن أسقيها قال نعم فى كل ذات كبد حرى أجر ثم رجعت الى قومى فسقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتى «قال ابن هشام» عبد الرحمن ابن الحرث بن مالك بن جعشم

لا تخش

﴿ حديث سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى ﴾

ثم المدلجى أحد بنى مدلج بن مرة بن تيم بن عبد مناة بن كنانة وقد ذكر ابن اسحاق حديثه حين بذلت قريش مائة ناقة لمن ردعليهم محمدا عليه السلام وأن سراقة استقسم بالازلام فخرج السهم الذى يكره وهو الذى كان فيه مكتوبا لا تضره الى آخر القصة وان قوائم فرسه حين قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ساخت فى الارض وتبعها عثان وهو الدخان وجمعه عواثن وذكر غير ابن اسحاق ان أبا جهل لامه حين رجع بلا شىء فقال وكان شاعرا

أبا حكم والله لو كنت شاهدا * لامر جوادى اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فانى * أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم * بأن جميع الناس طرا يسالمه

وقد قدمنا فى هذا الكتاب عند ذكر كسرى ما فعله عمر بن الخطاب حين أتى بتاج كسرى وسواريه ومنطقته وانه دعا بسراقة وكان أزب الذراعين فحلاه حلية كسرى وقال له ارفع يديك وقل الحمد لله الذى سلب هذا كسرى الملك الذى كان يزعم انه رب الناس وكساها أعرابيا من بنى مدلج فقال ذلك سراقة وانما فعلها عمر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد بشر بها سراقة حين أسلم وأخبره ان الله سيفتح عليه بلاد فارس ويغنمه ملك كسرى فاستبعد ذلك سراقة فى نفسه وقال أكسرى ملك الملوك فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم ان حليته ستجعل عليه تحقيقا للوعد وان كان اعرابيا بوالا على عقبيه ولكن الله يعز بالاسلام أهله ويسبغ على محمد وامته نعمته وفضله وفى السير من رواية يونس شعر لابى بكر رضى الله عنه فى قصة الغار

قال النبى ولم يزل يوقرنى * ونحن فى سدف من ظلمة الغار

لاتخش شيئاً فان الله ثالثنا * وقد توكل لى منه باظهار
وانما كيد من تخشى بوادره * كيد الشياطين كادته لكفار
والله مهلكهم طرا بما كسبوا * وجاعل المنتهى منهم الى النار
وأنت مرتحل عنهم وتاركهم * اما غدوا واما مدلج سارى
وهاجر أرضهم حتى يكون لنا * قوم عليهم ذووا عزوأنصار
حتى اذا الليل وارتنا جوانبه * وسدمن دون من تخشى باستار
سار الاريقط يهدينا وأينقه * ينعبن بالقوم نعباً تحت أكوار
يعسفن عرض الثنايا بعدأطولها * وكل سهب رقاق الترب موار
حتى اذاقلت قدأنجدن عارضها * من مدلج فارس فى منصب وار
يردى به مشرف الاقطار معتزم * كالسيدذى اللبدةالمستاسدالضارى
فقال كروا فقلت ان كرتنا * من دونها لك نصر الخالق البارى
أن يخسف الارض بالاحوى وفارسه * فانظر الى أربع فى الارض غوار
فهيل لما رأى أرساغ مغربه * قدسخن فى الارض لم يحفر بمحفار
فقال هل لكم أن تطلقوا فرسى * وتاخذوا موثقى فى نصح أسرار
وأصرف الحى عنكم ان لقيتهم * وأن أعور منهم عين عوار
فادعوا الذى هوعنكم كف عورتنا * يطلق جوادى وأنتم خيرأبرار
فقال قولا رسول الله مبتهلا * يارب ان كان منه غير اخفار
فنجه سالما من شر دعوتنا * ومهره مطلقا من كلم آثار
فاظهر الله اذ يدعو حوافره * وفاز فارسه من هول أخطار

﴿ حديث أم معبد ﴾

وذكرعن أسماء بنت أبى بكر حين خفى عليها وعلى من معها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدروا أين توجه حتى أتى رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه فرعلى مكة والناس يتبعونه وهو ينشد هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
فيال قصى مازوى الله عنكم * به من فعال لايجازى وسودد
سلوا أختكم عن شأنها وانائها * فانكم ان تسئلوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها بحالب * يرددها فى مصدر ثم مورد

ويروى ان حسان بن ثابت لما بلغه شعر الجنى وما هتف به فى مكة قال يجيبه

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم * وقدسر من يسرى اليهم و يغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد

وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا * عمايتهم هاد بها كل مهتد
لقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وان قال في يوم مقالة غائب * فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد

وزاد يونس في روايته أن قريشا لما سمعت الهاتف من الجن أرسلوا الى أم معبد وهي بخيمتها فقالوا هل مر بك محمد الذي من حليته كذا فقالت لا أدري ما تقولون وانما ضافني حالب الشاة الحائل وكانوا أربعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وقد تقدم التعريف به وطرف من ذكر فضائله في هجرة الحبشة والرابع عبد الله بن أريقط الليثي ولم يكن اذ ذاك مسلما ولا وجدنا من طريق صحيح انه أسلم بعد ذلك وجاء في حديث انهم استأجروه وكان هاديا خريتا والخريت الماهر بالطريق الذي يهتدي بمثل خرت الابرة ويقال له الخوتع أيضا قال الراجز * يضل فيها الخوتع المشهر * وأما أم معبد التي مر بخيمتها فاسمها عاتكة بنت خالد احدى بني كعب من خزاعة وهي أخت حبيش بن خالد وله صحبة ورواية ويقال له الاشعر وأخوها حبيش بن خالد سيأتي ذكره والخلاف في اسمه وخالد الاشعر أبوهما هو ابن خليف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو وهو أبو خزاعة * وزوجها أبو معبد يقال ان له رواية أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرف اسمه وكان منزل أم معبد بقديد وقد روي حديثها بألفاظ مختلفة متقاربة المعاني وقد رواه ابن قتيبة في غريب الحديث وتقصى شرح ألفاظه وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لام معبد وكان القوم مرملين مسنتين فطلبوا لبنا أو لحما يشترونه فلم يجدوا عندها شيأ فنظر الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسألها هل بها من لبن فقالت هي أجهد من ذلك فقال أتأذنين لي أن أحلبها فقالت بأبي أنت وأمي ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فتفاجت ودرت واجترت ودعا باناء يربض الرهط أي يشبع الجماعة حتى يربضوا فحلب فيه حتى ملأه وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة أخرى عللا بعد نهل ثم غادره عندها وذهبوا فجاء أبو معبد وكان غائبا فلما رأى اللبن قال ما هذا يا أم معبد أنى لك هذا والشاء عازب حيال ولا حلوبة بالبيت فقالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك فقال صفيه يا أم معبد فوصفته بما ذكر القتبي وغيره في الحديث ومما ذكره القتبي فشربوا حتى أراضوا واجمله القتبي من استراض الوادي اذا استنقع ومن الروضة وهي بقية الماء في الحوض وأنشد * وروضة سقيت فيها نضوي * ورواه الهروي حتى آرضوا على وزن آمنوا أي ضربوا بأنفسهم الى الارض من الري وفي حديث آخر ان آل أبي معبد كانوا يؤرخون بذلك اليوم ويسمونه يوم الرجل المبارك يقولون فعلنا كيت وكيت قبل أن يأتينا الرجل المبارك أو بعد ما جاء الرجل المبارك ثم انها أتت المدينة بعد ذلك بما شاء الله ومعها ابن صغير قد بلغ السعي فمر بالمدينة على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلم الناس على المنبر فانطلق الى أمه يشتد فقال لها يا امتاه اني رأيت اليوم الرجل المبارك فقالت له يا بني ويحك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما يسئل عنه في هذا الحديث أن يقال هل استمرت تلك البركة في شاة أم معبد بعد ذلك اليوم أم عادت الى حالها وفي الخبر عن هشام بن حبيش الكعبي قال أنا رأيت تلك الشاة وانها لتادم أم معبد وجميع صرمها أي أهل ذلك الماء وفي الحديث أيضا من الغريب

فى وصف الشاة قال ما كان فيها بصرة هى النقط من اللبن تبصر بالعين

﴿ فصل ﴾ وذكر أن دليلهما سلك بهما عسفان (قال المؤلف رضى الله عنه) وقد روى عن كثير انه قال سمى عسفان لعسف السيول فيه وسئل عن الابواء الذى فيه قبر آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم لم سمى الابواء فقال لان السيول تتبوأه أى تحل به وبعسفان فبار وى كان مسكن الجذماء ورأيت فى بعض المسندات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بعسفان وبه الجذماء فاسرع المشى ولم ينظر اليهم وقال ان كان شئ من العلل يعدى فهو هذا وهذا الحديث هو من روايتى لانه فى مسند الحرث بن أبى اسامة وقد تقدم اتصال سندى به وكنت رأيته قبل فى مسند وكيع بن الجراح وليس لى فيه اسناد

﴿ فصل ﴾ وذكر أن دليلهم سلك بهم أجاثم ثنية المرة كذا وجدته مخفف الراء مقيدا كانه مسهل الهمزة من المرأة * وذكر لقفا بفتح اللام مقيدا فى قول ابن اسحق وفى رواية ابن هشام لفتا واستشهد ابن هشام بقول معقل الهذلى

نزيعا محلبا من أهل لفت * لحى بين أثلة فالنجام

وألفيت فى حاشية الشيخ على هذا الموضع قال لفت بكسر اللام ألفيته فى شعر معقل هذا فى أشعار هذيل فى نسختى وهى نسخة صحيحة جدا وكذلك ألفاه من وثقته وكلفته أن ينظر فيه لى فى شعر معقل هذا فى أشعار هذيل مكسور اللام فى نسخة ابى على القالى المقروءة على الزيادى ثم على الاحول ثم قرأتها على ابن دريد رحمه الله وفيها صريحا محلبا وكذلك كان الضبط فى هذا الكتاب قد علا حتى ضبطته بالفتح عن القاضى وعلى ماوقع فى غيرها انتهى كلام أبى بحر وقد ذكر أبو عبيد البكرى لفتا فقيده بكسر اللام كما ذكر أبو بحر وأنشد قبله

لعمرك ماخشيت وقد بلغنا * جبال الجوز من بلد تهام

صريحا محلبا البيت * وذكر المواضع التى سلك عليها وذكر فيها مجاج بكسر الميم وجيمين وقال ابن هشام ويقال فيها مجاج بالفتح وقد ألفيت شاهدا لرواية ابن اسحق فى لقف وفيه ذكر مجاح بالحاء المهملة بعد الجيم وهو قول محمد بن عروة بن الزبير

لعن الله بطن لقف مسيلا * ومجاحا وما أحب مجاحا

لقيت ناقتى به وبلقف * بلدا مجدبا وأرضا شحاحا

هكذا ذكره الزبير بن أبى بكر ولقف آخره فاء بلا نقط فيها قال البكرى * وذكر مرجح بتقديم الجيم على الحاء وذكر مدلجة تعهن بكسر التاء والهاء والتاء فيه أصلية على قياس النحو فوزنه فعلل الا أن يقوم دليل من اشتقاق على زيادة التاء أو تصح رواية من رواه تعهن بضم التاء فان صحت فالتاء زائدة كسرت أو ضمت وبتعهن صخرة يقال لها أم عق عرفت بامرأة كانت تسكن هنالك فمر بها النبى صلى الله عليه وسلم واستسقاها فلم تسقه فدعا عليها فمسخت صخرة فهى تلك الصخرة فيما يذكرون * وذكر الجداجد بجيمين ودالين كانها جمع جدجد وأحسبها آبارا ففى الحديث أتينا على بئر جدجد قال أبو عبيد الصواب بئر جدا أى قديمة وقال الهروى عن اليزيدى وقد يقال بئر جدجد قال وهو كما يقال فى الكم كمكم وفى الرف رفرف * وذكر العبابيد كانه جمع عباد وقال ابن هشام هى العبابيب كانها جمع عباب من عببت الماء عبا فكانها والله أعلم مياه تعب عبابا أو تعب عبا * وذكر الفاجة بفاء وجيم وقال ابن هشام هى القاحة بالقاف والحاء * وذكر قدومهم على أوس بن حجر وهو أوس بن عبد الله بن حجر الاسلمى وبعضهم يقول فيه ابن حَجَر وهو

* قال ابن اسحق فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط سلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان ثم سلك بهما على أسفل أمج ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد ان أجاز قديد ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار ثم سلك بهما ثنية المرة ثم سلك بهما لقفا «قال ابن هشام» ويقال لفتا قال معقل بن خويلد الهذلى

نزيعا محلبا من أهل لفت * لحى بين اثلة والنجام *

قال ابن اسحق ثم أجاز بهما مدلجة لقف ثم استبطن بهما مدلجة مجاج ويقال محاج فيما قال ابن هشام ثم سلك بهما مرجح من ذى العضوين «قال ابن هشام» ويقال العصوين ثم بطن ذى كشد ثم أخذ بهما على الجداجد ثم على الاجرد ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداء مدلجة تعهن ثم على العبابيد «قال ابن هشام» ويقال العبابيب ويقال العثيانة يريد العبابيب * قال ابن اسحق ثم أجاز بهما الفاجة ويقال القاحة فيما قال ابن هشام

«قال ابن هشام» ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهما فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل له يقال له ابن الرداء الى المدينة وبعث معه غلاما له يقال له مسعود ابن هنيدة ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبة ويقال ثنية الغائر فيما قال ابن هشام حتى هبط بهما بطن رئم ثم قدم بهما قباء على بنى عمرو بن عوف لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل * قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عويمر بن ساعدة قال حدثنى رجال من قومى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وتوكفنا قدومه كنا نخرج اذا صلينا الصبح الى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فاذا لم نجد ظلا دخلنا وذلك فى أيام حارة حتى اذا كان اليوم الذى

قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنا نجلس حتى اذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود وقد رأى ما كنا نصنع وانا ننتظر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فصرخ بأعلى صوته يا بنى قيلة هذا جدكم قد جاء قال فخرجنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى ظل نخلة ومعه أبو بكر رضى الله عنه فى مثل سنه وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك وركبه الناس وما يعرفونه من أبى بكر حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أبو بكر فأظله بردائه فعرفناه عند ذلك * قال ابن اسحق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون على كلثوم بن هدم أخى بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى عبيد ويقال بل نزل على سعد بن خيثمة ويقول من يذكر انه نزل على كلثوم بن هدم انما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج من منزل كلثوم بن هدم جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة وذلك انه كان عزبا لا أهل له وكان منزل العزاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين فمن هنالك يقول نزل على سعد بن خيثمة وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة بيت العزاب فالله أعلم أى ذلك كان كلا قد سمعنا ونزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه على خبيب بن اساف أحد بنى الحرث بن الخزرج بالسنح ويقول قائل كان منزله على خارجة بن زيد بن أبى زهير أخى بنى الحرث بن الخزرج * وأقام على بن أبى طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس حتى اذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل معه على كلثوم بن هدم فكان على

قول الدارقطنى والمعروف ابن حجر بضم الحاء وقد تقدم فى المبعث ذكر من اسمه حجر فى أنساب قريش ومن يسمى حجرا من غيرهم بسكون الجيم ومن يسمى الحجر بكسر الحاء فانظره هنالك عند ذكر خديجة وأمها ولا يختلف فى أوس بن حجر انه بفتحتين * وذكر ان أوسا حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل له يقال له ابن الرداء وفى رواية يونس بن بكير عن ابن اسحق يقال له الرداح وفى الخطابى انه قال لغلامه مسعود وهو مسعود بن هنيدة اسلك بهم المخارق بالقاف قال والصحيح المخارم يعنى مخارم الطريق وفى النسوى أن مسعودا هذا قال فكنت آخذ بهم اخفاء الطريق وفقه هذا انهم كانوا خائفين فلذلك كان يأخذ بهم اخفاء الطريق ومخارقه وذكر النسوى فى حديث مسعود هذا ان أبا بكر قال له ائت أبا تميم فقل له يحملنى على بعير ويبعث الينا بزاد ودليل يدلنا ففى هذا ان أوسا كان يكنى أبا تميم وان مسعودا هذا قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ عنه حديثا فى الخمس وحديثا فى صلاة الامام بالواحد والاثنين ذكره النسوى فى هذا الحديث غير انه قال فى مسعود هذا غلام فروة الاسلمى وقال أبو عمر قد قيل فى أوس هذا ان اسمه تميم ويكنى أبا أوس فالله أعلم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمسعود حين انصرف الى سيده مر سيدك أن يسم الابل فى أعناقها قيد الفرس فلم تزل تلك سمتهم فى ابلهم وقد ذكرنا فى شرح قصيدة أبى طالب عند قوله موسمة الاعضاد أسماء السمات كالمراض والخباط والهلال وذكرنا قيد الفرس وانه سمة فى أعناقها وقول الراجز

كوم على أعناقها قيد الفرس * تنجو اذا الليل تدانا والتبس

كان قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشرة من ربيع الاول وفى شهر أيلول من شهور العجم وقال غير ابن اسحق قدمها لثمان خلون من ربيع الاول وقال ابن الكلبى خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الاول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة منه وكانت بيعة العقبة أوسط أيام التشريق

﴿فصل﴾ وذكر ابن اسحق نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهدم وكلثوم هذا كنيته أبو قيس وهو كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحرث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك

ابن أبي طالب انما كانت اقامته بقباء ليلة أو ليلتين يقول كانت بقباء امرأة لا زوج لها مسلمة قال فرأيت انسانا يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيها شيئا معه فتأخذه قال فاستربت بشأنه فقلت لها يا أمة الله من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين اليه فيعطيك شيئا لا أدري ما هو وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك قالت هذا سهل بن حنيف بن واهب قد عرف اني امرأة لا أحد لي فاذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ثم جاءني بها فقال احتطبي بهذا فكان علي يأثر ذلك من أمر سهل بن حنيف حتى هلك عنده بالعراق * قال ابن اسحق وحدثني هذا من حديث علي رضي الله عنه هند بن سعد بن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال ابن اسحق فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف يزعمون انه مكث فيهم أكثر من ذلك فالله أعلم أي ذلك كان فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي وادي رانوناء فكانت اول جمعة صلاها بالمدينة فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف فقال يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مأمورة لناقته فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا وازنت دار بني بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا يا رسول الله هلم الينا الى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مأمورة فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة فقالوا يا رسول الله هلم الينا الى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مأمورة فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا وازنت دار بني الحرث بن الخزرج اعترضه سعيد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله ابن رواحة في رجال من بني الحرث بن الخزرج فقالوا يا رسول الله هلم الينا الى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مأمورة فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا مرت بدار بني عدي بن النجار وهم اخواله دنيا أم عبد المطلب سلمى ام عمرو احدى نسائهم اعترضها سليط بن قيس وابو سليط اسيرة بن ابي خارجة في رجال من بني عدي ابن النجار فقالوا يا رسول الله هلم الى اخوالك الى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مأمورة فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بني النجار ثم من بني مالك بن النجار وهما في حجر معاذ بن عفراء سهل وسهيل ابني عمرو فلما بركت ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليها لم ينزل وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنيها به ثم التفتت الى خلفها فرجعت الى مبركها

مالك بن الاوس وكان شيخا كبيرا مات بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بيسير وهو أول من مات من الانصار بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم ثم مات بعده أسعد بن زرارة بايام وسعد بن خيثمة وانه كان يقال لبيته بيت العزاب هكذا روى وصوابه الاعزاب لانه جمع عزب يقال رجل عزب وامرأة عزب وقد قيل امرأة عزبة بالتاء

﴿ فصل ﴾ وذكر تأسيس مسجد قباء واذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسسه لبني عمرو بن عوف ثم انتقل الى المدينة وذكر ابن أبي خيثمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسسه كان هو أول من وضع حجرا في قبلته ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ثم جاء عمر بحجر فوضعه الى حجر أبي بكر ثم أخذ الناس في البنيان في الخطابي عن الشموس بنت النعمان قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجد قباء يأتي بالحجر قد صهره الى بطنه فيضعه فيأتي الرجل يريد أن يقله فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره يقال صهره وأصهره اذا ألصقه بالشيء ومنه اشتقاق الصهر في القرابة وهذا المسجد أول مسجد بني في الاسلام وفي أهله نزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا وانه على هذا المسجد الذي أسس على التقوى وان كان قد روى أبو سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال هو مسجدي هذا وفي رواية اخرى قال وفي الآخر خير كثير وقد قال لبني عمرو بن عوف حين نزلت لمسجد أسس على التقوى ما الطهور الذي أثنى الله به عليكم فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاستجمار بالحجر فقال هو ذاكم فعليكموه وليس بين الحديثين تعارض كلاهما أسس على التقوى غير ان قوله سبحانه من أول يوم يقتضي مسجد قباء لان تأسيسه كان في أول يوم من حلول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار هجرته والبلد الذي هو مهاجره وفي قوله سبحانه «من أول يوم» وقد علم انه ليس أول الايام كلها ولا أضافه الى شيء في اللفظ الظاهر فيه من الفقه صحة ما اتفق عليه الصحابة مع عمر حين شاورهم في التاريخ فاتفق رأيهم أن يكون التاريخ من عام الهجرة لانه الوقت الذي عز فيه الاسلام والذي أمر فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأسس المساجد وعبد الله آمنا كما يحب فوافق رأيهم هذا ظاهر التنزيل وفهمنا الآن بفعلهم ان قوله سبحانه من أول يوم ان

ذلك اليوم هو أول أيام التاريخ الذى يؤرخ به الآن فان كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا هذا من الآية فهو الظن بافهامهم فهم أعلم الناس بكتاب الله وتأويله وأفهمهم بما فى القرآن من اشارات وافصاح وان كان ذلك منهم عن رأى واجتهاد فقد علم ذلك منهم قبل أن يكونوا وأشار الى صحته قبل أن يفعل اذلا يعقل قول القائل فعلته أول يوم الا باضافة الى عام معلوم أو شهر معلوم أو تاريخ معلوم وليس ههنا اضافة فى المعنى الا الى هذا التاريخ المعلوم لعدم القرائن الدالة على غيره من قرينة لفظ أو قرينة حال فتدبره ففيه معتبر لمن اذكر وعلم لمن رأى بعين فؤاده واستبصر والحمد لله وليس يحتاج فى قوله من أول يوم الى اضمار كما قرره بعض النحاة من تأسيس أول يوم فرارا من دخول من على الزمان ولو لفظ بالتأسيس لكان معناه من وقت تأسيس أول يوم فاضماره للتاسيس لا يفيد شيئاً ومن تدخل على الزمان وغيره ففى التنزيل «من قبل ومن بعد» والقبل والبعد زمان وفى الحديث مامن دابة الا وهى مصيخة يوم الجمعة من حين تطلع الشمس الى أن تغرب وفى شعر النابغة

تورثن من أزمان يوم حليمة * الى اليوم قد جربن كل التجارب

وبين من الداخلة على الزمان وبين منذ فرق بديع قد بيناه فى شرح آية الوصية

﴿ فصل ﴾ وذكر لقاء كل قبيلة من الانصار له يقولون هلم الينا يارسول الله الى العدد والعدة فيقول خلوا سبيلها فانها مامورة حتى بركت بموضع مسجده وقال تحلحلت ورزمت وألقت بجرانها أى بعنقها وفسره ابن قتيبة على تلحلح اى لزم مكانه ولم يبرح وأنشد

اناس اذا قيل انفروا قد اتيتم * اقاموا على أثقالهم وتلحلحوا

قال وأما تحلحل بتقديم الحاء على اللام فمعناه زال عن موضعه وهذا الذى قاله قوى من جهة الاشتقاق فان التلحلح يشبه ان يكون من لححت عينه اذا التصقت وهو ابن عمى لحا * وأما التحلحل فاشتقاقه من الحل والانحلال بين لانه انفكاك شى من شى ولكن الرواية فى سيرة ابن اسحق تحلحلت بتقديم الحاء على اللام وهو خلاف المعنى الا ان يكون مقلوبا من تلحلحت فيكون معناه لصقت بموضعها وأقامت على المعنى الذى فسره ابن قتيبة فى تلحلحت * وأما قوله ورزمت فيقال رزمت الناقة رزوما اذا أقامت من الكلال ونوق رزمى وأما ارزمت بالالف فمعناه رغت ورجعت فى رغائها ويقال منه أرزم الرعد وأرزمت الريح قاله صاحب العين وفى غير هذه السيرة انها لما ألقت بجرانها فى دار بنى النجار جعل رجل من بنى سلمة وهو جبار بن صخر ينخسها رجاء ان تقوم فتبرك فى دار بنى سلمة فلم تفعل * وقوله كان المسجد مربدا المربد والجرين والمسطح وهو بالفارسية مشطاح والجوخار والبيدر والاندر لغات بمعنى واحد للموضع الذى يجعل فيه الزرع والتمر للتيبيس وأنشد ابو حنيفة فى المسطح

ترى الامعز المحزوفيه كانه * من الحر فى نحر الظهيرة مسطح

قال والمحزو من حزوت الشىء اذا أظهرته والمسطح هو بالفارسية مشطاح وأما المسطح الذى هو عود الخباء فعربية * وذكر أن ذلك المربد كان لسهل وسهيل ابنى عمرو يتيمين فى حجر معاذ بن عفراء ولم يعرفهما باكثر من هذا وقال موسى بن عقبة كانا يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة وهما ابنا رافع بن عمرو بن أبى عمرو ابن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار شهد سهيل منهما بدرا والمشاهد كلها ومات فى خلافة عمر ولم يشهد سهل بدرا أو شهد غيرها ومات قبل أخيه سهيل

﴿ فصل ﴾ وذكر بنيان المسجد الى آخر القصة وفى الصحيح انه قال يابنى النجار ثامنونى بحائطكم

أول مرة فبركت فيه ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه فى بيته ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل عن المربد لمن هو فقال له معاذ بن عفراء هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو وهما يتيمان لى وسأرضيهما منه فاتخذه مسجدا فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجدا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين فى العمل فيه فعمل فيه المهاجرون والانصار ودأبوا فيه فقال قائل من المسلمين

لئن قعدنا والنبى يعمل * لذاك منا العمل المضلل

فارتجز المسلمون وهم يبنونه ويقولون لا عيش الا عيش الآخرة * اللهم فارحم الانصار والمهاجره «قال ابن هشام» هذا كلام وليس برجز

* قال ابن اسحق فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الآخرة * اللهم ارحم المهاجرين والانصار فدخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللبن فقال يارسول الله قتلونى يحملون على ما لا يحملون قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض وفرته بيده وكان رجلا جعدا وهو يقول ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك انما تقتلك الفئة الباغية وارتجز على بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ

لا يستوى من يعمر المساجدا * يدأب فيه قائما وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا *

«قال ابن هشام» سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز فقالوا بلغنا ان على بن أبى طالب ارتجز به فلا يدرى أهو قائله أم غيره * قال ابن اسحق فاخذها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها «قال ابن هشام» فلما أكثر ظن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه انما يعرض به فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن ابن اسحق وقد سمى ابن اسحق الرجل قال ابن اسحق فقال قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية والله انى لأرانى سأعرض هذه العصا لأنفك قال وفى يده عصا قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ما لهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار ان عمارا جلدة ما بين عينى وأنفى فاذا بلغ ذلك من الرجل فلم يستبق فاجتنبوه «قال ابن هشام» وذكر سفيان بن عيينة عن زكريا عن الشعبي قال ان أول من بنى مسجدا عمار بن ياسر

حين أراد ان يتخذه مسجداً وقد ترجم البخارى على هذه المسئلة لفقه وهو ان البائع أولى بتسمية الثمن الذى يطلبه قال أنس وكان فى موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين فامر بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت * ويروى فى هذا الحديث نخل وحرث مكان قوله وخرب وروى عن الشفاء بنت عبد الرحمن الانصارية قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى المسجد يؤمه جبريل الى الكعبة ويقيم له القبلة * وذكر فيه قول الرجل لعمار قد سمعت ما تقول يا ابن سمية «قال ابن هشام» وقد سمى ابن اسحق الرجل وكره ابن هشام أن يسميه كى لا يذكر أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكروه فلا ينبغى اذاً البحث على اسمه وسمية أم عمار وقد تقدم التعريف بها فى الهجرة الاولى ونبهنا على غلط ابن قتيبة فيها فانه جعلها وسمية أم زياد واحدة وسمية أم زياد كانت للحرث بن كلدة المتطبب والاولى مولاة لبنى مخزوم وهى سمية بنت خياط كما تقدم وكان أهدى سمية الى الحرث رجل من ملوك اليمن يقال له أبو جبر وذلك انه عالجه من داء كان به فبرىء فوهبها له وكانت قبل لأبى جبر لملك من ملوك الفرس وفد عليه أبو جبر فاهداها اليه الملك ذكره ابن قتيبة وفى جامع معمر بن راشد أن عمارا كان ينقل فى بنيان المسجد لبنتين لبنة عنه ولبنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ينقلون لبنة واحدة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم للناس أجر ولك أجران وآخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية فلما قتل يوم صفين دخل عمرو على معاوية فزعا فقال قتل عمار فقال معاوية فماذا فقال عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتله الفئة الباغية فقال معاوية دحضت فى بولك أنحن قتلناه انما قتله من أخرجه * وذكر ابن اسحق فى هذا الموضع الحديث الوارد فى عمار وهو أول من بنى لله مسجدا عمار بن ياسر فيقال كيف أضاف الى عمار بنيان المسجد وقد بناه معه الناس فيقول انما عنى بهذا الحديث مسجد قباء لان عمارا هو الذى أشار على النبي صلى الله عليه وسلم ببنيانه وهو جمع الحجارة له فلما أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم استتم بنيانه عمار كذلك ذكر ابن اسحق فى رواية يونس بن بكير عنه وبنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسقف بالجريد وجعلت قبلته من اللبن ويقال بل من حجارة منضودة بعضها على بعض وجعلت عمده من جذوع النخل فنخرت فى خلافة عمر فجددها فلما كان عثمان بناه بالحجارة المنقوشة بالقصة وسقفه بالساج وجعل قبلته من الحجارة فلما كانت أيام بنى العباس بناه محمد بن أبى جعفر المتسمى بالمهدى ووسعه وزاد فيه وذلك فى سنة ستين ومائة ثم زاد فيه المأمون بن الرشيد فى سنة ثنتين ومائتين وأتقن بنيانه ونقش فيه هذا ما أمر به عبد الله المأمون فى كلام كثير كرهت الاطالة بذكره ثم بلغنا ان أحداً غير منه شيأ ولا أحدث فيه عملا

﴿ وأما بيوته عليه السلام ﴾ فكانت تسعة بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد وبعضها من حجارة مرضومة بعضها فوق بعض مسقفة بالجريد أيضاً وقال الحسن بن أبى الحسن كنت أدخل بيوت النبي عليه السلام وأنا غلام مراهق فانال السقف بيدى وكانت حجره عليه السلام أكسية من شعر مربوطة فى خشب عرعر وفى تاريخ البخارى أن بابه عليه السلام كان يقرع بالاظافر أى لا حلق له ولما توفى أزواجه عليه السلام خلطت البيوت والحجر بالمسجد وذلك فى زمن عبد الملك فلما ورد كتابه

قال ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب حتى بنى له مسجده ومساكنه ثم انتقل الى مساكنه من بيت أبى أيوب رحمة الله عليه ورضوانه * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن أبى رهم السماعى قال حدثنى أبو أيوب قال لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى السفل وأنا وأم أيوب فى العلو فقلت له يانبى الله بابى أنت وأمى انى لاكره وأعظم ان اكون فوقك وتكون تحتى فاظهر أنت فكن فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل فقال ياأبا أيوب ان أرفق بنا وبمن يغشانا ان نكون فى سفل البيت قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفله وكنا فوقه فى المسكن فلقد انكسر حب لنا فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا ان يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شىء فيؤذيه قال وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به اليه فاذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم ايوب موضع (١٤) يده فأكلنا منه نبتغى بذلك البركة حتى بعثنا اليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلا أو ثوما فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ار ليده فيه اثرا قال فجئته فزعا فقلت يارسول الله بابى انت وامى رددت عشاءك ولم ار فيه موضع يدك وكنت اذا رددته علينا تيممت انا وام ايوب موضع يدك نبتغى بذلك البركة قال انى وجدت فيه ريح هذه الشجرة وانا رجل اناجى فاما انتم فكلوه قال فاكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد * قال ابن اسحق وتلاحق المهاجرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق بمكة منهم احد الا مفتون او محبوس ولم يوعب اهل هجرة من مكة باهلهم واموالهم الى الله تبارك وتعالى والى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اهل دور مسمون بنو مظعون من بنى جمح وبنو جحش بن رئاب حلفاء بنى امية وبنو البكير من بنى سعد بن ليث حلفاء بنى عدى بن كعب فان دورهم غلقت بمكة هجرة ليس فيها ساكن ولما خرج بنو جحش بن رئاب من دارهم عدا عليها ابو سفيان بن حرب فباعها من عمرو بن علقمة اخى بنى عامر بن لؤى فلما بلغ بنى جحش ما صنع ابو سفيان بدارهم ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضى ياعبد الله ان يعطيك الله بها دارا خيرا منها فى الجنة قال بلى قال فذلك لك فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كلمه ابو احمد فى دارهم فابطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الناس لابى احمد ياابا احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره ان ترجعوا فى شىء من اموالكم اصيب منكم فى الله عز وجل فامسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لابى سفيان شعرا

أبلغ اباسفيان عن * امر عواقبه ندامه
دار ابن عمك بعتها * تقضى بها عنك الغرامه
وحليفكم بالله رب * الناس مجتهد القسامه
اذهب بها اذهب بها * طوقتها طوق الحمامه

بذلك ضج اهل المدينة بالبكاء كيوم وفاته عليه السلام وكان سريره خشبات مشدودة بالليف بيعت زمن بنى أمية فاشتراها رجل باربعة آلاف درهم قاله ابن قتيبة وهذا يدل على أن بيوته عليه السلام اذا أضيفت اليه فهى اضافة ملك كقوله تعالى «لاتدخلوا بيوت النبى» واذا أضيفت الى أزواجه كقوله «وقرن فى بيوتكن» فليست باضافة ملك وذلك ان ما كان ملكا له عليه السلام فليس يورث عنه

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث أم أيوب وقولها انكسر حب لنا الحب جرة كبيرة وجمعه حببة مثل جحر وجحرة وكأنه أخذ لفظه من حباب الماء أو من حبه وحبابه بالالف ترافعه قال الشاعر

كأن صلا جهيزة حين تمشى * حباب الماء يتبع الحبابا

والحبب بغير الف نفاخات بيض صغار تكون على وجه الشراب قاله ابن ثابت * وذكر قوله عليه السلام لام أيوب حين رد عليها الثريد من أجل الثوم أنا رجل أناجى وروى غيره حديث أم أيوب وقال فيه ان الملائكة تتأذى بما يتأذى به الانس وروى ان خصيف بن الحرث قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يارسول الله الحديث الذى ترويه عنك أم أيوب ان الملائكة تتأذى بما يتأذى به الانس أصحيح هو قال نعم ومنزل أبى ايوب الذى نزل فيه النبى صلى الله عليه وسلم تصير بعده الى أفلح مولى أبى ايوب فاشتراه منه بعد ما خرب وتثلمت حيطانه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بالف دينار بعد حيلة احتالها عليه المغيرة ذكرها الزبير ثم أصلح المغيرة ما وهى منه وتصدق به على أهل بيت من فقراء المدينة فكان بعد ذلك ابن أفلح يقول للمغيرة خدعتنى فيقول له المغيرة لا أفلح من ندم هذا معنى ما ذكره الزبير بن أبى بكر * وذكر قول أبى احمد بن جحش لابى سفيان

دار ابن عمك بعتها * تقضى بها عنك الغرامه
اذهب بها اذهب بها * طوقتها طوق الحمامه

أبو أحمد هذا اسمه عبد وقيل ثمامة والاول أصح وكانت عنده الفارعة بنت أبى سفيان وبهذا السبب تطرق أبو سفيان الى بيع دار بنى جحش اذ كانت بنته فيهم مات أبو احمد بعد اخته زينب أم المؤمنين فى خلافة عمر * وقوله لابى سفيان طوقتها طوق الحمامة منتزع من قول النبى صلى الله عليه وسلم من غصب

* قال ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اذقدمها شهر ربيع الاول الى صفر من السنة الداخلة حتى بنى له فيها مسجده ومساكنه واستجمع له اسلام هذا الحى من الانصار فلم يبق دار من دور الانصار الا أسلم أهلها الا ما كان من خطمة وواقف ووائل وامية وتلك اوس الله وهم حى من الاوس فانهم اقاموا على شركهم * وكانت اول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى عن ابى سلمة ابن عبد الرحمن نعوذ بالله ان نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم يقل انه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو اهله ثم قال اما بعد ايها الناس فقدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه الم يأتك رسولى فبلغك وآتيتك مالا وافضلت عليك فما قدمت لنفسك فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع ان يقى وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزى الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته * قال ابن اسحق ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس مرة اخرى فقال ان الحمد لله احمده وأستعينه نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ان احسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى قد افلح من زينه الله فى قلبه وأدخله فى الاسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من احاديث الناس انه احسن الحديث وابلغه احبوا ما احب الله احبوا الله كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقس عنه قلوبكم فانه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى قد سماه الله خيرته من الاعمال ومصطفاه من العباد الصالح الحديث ومن كل ما اوتى الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتقوه حق تقاته واصدقوا الله صالح ما تقولون بافواهكم وتحابوا بروح الله بينكم ان الله يغضب ان ينكث عهده والسلام عليكم

شبراً من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين وقال طوق الحمامة لان طوقها لا يفارقها ولا تلقيه عن نفسها أبداً كما يفعل من لبس طوقا من الآدميين ففى هذا البيت من البيانة وحلاوة الاشارة وملاحة الاستعارة مالا مزيد عليه وفى قوله طوق الحمامة رد على من تأول قوله عليه السلام طوقه من سبع أرضين انه من الطاقة لا من الطوق فى العنق وقاله الخطابى فى أحد قوليه مع ان البخارى قد رواه فقال فى بعض روايته له خسف به الى سبع أرضين وفى مسند ابن أبى شيبة من غصب شبراً من أرض جاء به اسطاما فى عنقه والاسطام كالحلق من الحديد وسطام السيف حده

﴿ فصل ﴾ وذكر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها يقول الله عز وجل لعبده ألم أوتك مالا وأفضل عليك فما اقدمت وفى غير هذا الكتاب زيادة وهى ألم أوتك مالا وجعلتك تربع وتدسع وفسر ابن الانبارى فقال هو مثل وأصله ان الرئيس من العرب كان يربع قومه أى يأخذ المرباع اذا غزا ويدسع أى يعطى ويدفع من المال لمن شاء ومنه قولهم فلان ضخم الدسيعة * وذكر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية وفيها أحبوا الله من كل قلوبكم يريد أن يستغرق حب الله جميع أجزاء القلب فيكون ذكره وعمله خارجا من قلبه خالصاً لله واضافة الحب الى الله تعالى من عبده مجاز حسن لان حقيقة المحبة ارادة يقارنها استدعاء للمحبوب اما بالطبع واما بالشرع وقد كشفنا معناها بغاية البيان فى شرح قوله عليه السلام ان الله جميل يحب الجمال ونبهنا هنالك على تقصير أبى المعالى رحمه الله فى شرح المحبة فى كتاب الارادة من كتاب الشامل فلتنظر هنالك * وقوله عليه السلام لا تملوا كلام الله وذكره فانه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى الهاء فى قوله فانه لا يجوز أن تكون عائدة على كلام الله سبحانه ولكنها ضمير الامر والحديث فكانه قال ان الحديث من كل ما يخلق الله يختار فالاعمال اذاً كلها من خلق الله قد اختار منها ما شاء قال سبحانه « يخلق ما يشاء ويختار » * وقوله قد سماه خيرته من الاعمال يعنى الذكر وتلاوة القرآن لقوله سبحانه ويختار فقد اختاره من الاعمال * وقوله والمصطفى من عباده أى وسمى المصطفى من عباده بقوله « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » ويجوز أن يكون معناه المصطفى من عباده أى العمل الذى اصطفاه منهم واختاره من أعمالهم فلا تكون من على هذا للتبعيض انما تكون لابتداء الغاية لانه عمل استخرجه منهم بتوفيقه اياهم والتأويل الاول أقرب مأخذاً والله أعلم بما أراد رسوله * وقوله فى أول الخطبة ان الحمد لله أحمده هكذا برفع الدال من قوله الحمد لله وجدته مقيداً مصححاً عليه واعرابه ليس على الحكاية ولكن على اضمار الامر كانه قال ان الامر الذى أذكره وحذف الهاء العائدة على الامر كى لا يقدم شيئاً فى اللفظ من الاسماء على قوله الحمد لله وليس تقديم ان فى اللفظ من باب تقديم الاسماء لانها حرف مؤكد لما بعده مع ما فى اللفظ من التحرى للفظ القرآن والتيمن به والله أعلم وكانت خطبته فى تلك الايام على جذع فلما صنع له المنبر من طرفاء الغابة وصنعه له عبد لامرأة من الانصار اسمه باقوم خار الجذع خوار الناقة الخلوج حتى نزل

عليه السلام فالتزمه وقال لولم ألتزمه مازال يخور الى يوم القيامة ثم دفنه واعادفنه لانه قد صار حكمه حكم المؤمن لحبه وحنينه الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ينظر الى قوله تعالى «كشجرة طيبة» الآية والى قوله عليه السلام في النخلة مثلها كمثل المؤمن وحديث خوار الجذع وحنينه منقول نقل التواتر لكثرة من شاهد خواره من الخلق وكلهم نقل ذلك أوسمعه من غيره فلم ينكره

﴿كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينه و بين اليهود﴾

شرط لهم فيه وشرط عليهم وأمنهم فيه على أنفسهم وأهليهم وأموالهم وكانت أرض يثرب لهم قبل نزول الانصار بها فلما كان سيل العرم وتفرقت سبا نزلت الاوس والخزرج بامر طريفة الكاهنة وأمر عمران ابن عامر فانه كان كاهنا أيضا و بما سجعت به لكل قبيلة من سبا فسجعت لبنى حارثة بن ثعلبة وهم الاوس والخزرج أن ينزلوا يثرب ذات النخل فنزلوها على يهود وحالفوهم وأقاموا معهم فكانت الدار واحدة والسبب في كون اليهود بالمدينة وهي وسط أرض العرب مع ان اليهود أصلهم من أرض كنعان أن بنى اسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض الحجاز وكانت منازلهم يثرب والجحفة الى مكة فشكت بنو اسرائيل ذلك الى موسى فوجه اليهم جيشا وأمرهم أن يقتلوهم ولا يبقوا منهم أحدا ففعلوا وتركوا منهم ابن ملك لهم كان غلاما حسنا فرقوا له و يقال للملك الارقم بن أبى الارقم فيما ذكر الزبير ثم رجعوا الى الشام وموسى قد مات فقالت بنو اسرائيل لهم قد عصيتم وخالفتم فلا نؤويكم فقالوا نرجع الى البلاد التى غلبنا عليها فنكون بها فرجعوا الى يثرب فاستوطنوها وتناسلوا بها الى أن نزلت عليهم الاوس والخزرج بعد سيل العرم هذا معنى ماذكره أبو الفرج الاصبهانى فى كتابه الكبير المعروف بكتاب الاغانى وان كان الزبير قد ذكره أيضا فى أخبار المدينة ولا أحسب هذا صحيحا لبعد عمر موسى عليه السلام والذى قال غيره ان طائفة من بنى اسرائيل لحقت بارض الحجاز حين دوخ بخت نصر البابلى فى بلادهم وجاس خلال ديارهم فحينئذ لحق من لحق منهم بالحجاز كقريظة والنضير وسكنوا خيبر والمدينة وهذا معنى ماذكر الطبرى والله أعلم وأما يثرب فاسم رجل نزل بها أول من العماليق فعرفت باسمه وهو يثرب بن قاين بن عبيل بن مهلايل بن عوص بن عملاق بن لاود بن ارم وفى بعض هذه الاسماء اختلاف و بنو عبيل هم الذين سكنوا الجحفة فاجحفت بهم السيول و بذلك سميت الجحفة فلما احتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم كره لها هذا الاسم أعنى يثرب لما فيه من لفظ التثريب وسماها طيبة والمدينة (فان قلت) وكيف كره اسما ذكره الله فى القرآن به وهو المقتدى بكتاب الله وأهل أن لا يعدل عن تسمية الله (قلنا) ان الله سبحانه انما ذكرها بهذا الاسم حاكيا عن المنافقين اذ قالت طائفة منهم «يا أهل يثرب لا مقام لكم» فنبه بما حكى عنهم انهم قد رغبوا عن اسم سماها الله به ورسوله وأبوا الا ما كانوا عليه فى جاهليتهم والله سبحانه قد سماها المدينة فقال غير حاك عن أحد «ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب» الآية وفى الخبر عن كعب الاحبار قال انا نجد فى التوراة يقول الله للمدينة ياطابة ياطيبة يامسكينة لاتقبلى الكنوز أرفع أجاجيرك على أجاجير القرى وقد روى هذا الحديث عن على بن أبى طالب يرفعه و روى أيضا أن لها فى التوراة أحد عشر اسما المدينة وطابة وطيبة والمسكينة والجابرة والمحبة والمحبوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحومة وروى فى معنى قوله «وقل رب أدخلنى مدخل صدق» انها المدينة وأن «مخرج صدق» مكة و «سلطانا نصيرا» الانصار وفى الكتاب بنو فلان على ربعاتهم هكذا رواه أبو عبيد عن ابن بكير عن عقيل بن خالد عن الزهرى

* قال ابن اسحق وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط عليهم واشترط لهم بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبى صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش و يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم انهم أمة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين و بنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين و بنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين و بنو الحرث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين و بنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين و بنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين و بنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين و بنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين و بنو الاوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها

بالمعروف والقسط بين المؤمنين وان المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم ان يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل «قال ابن هشام» المفرح المثقل من الدين الكثير والعيال قال الشاعر اذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة * وتحمل أخرى أفرحتك الودائع ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وان أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ولا ينصر كافر على مؤمن وان ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم وان المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم وان سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم وان كل غازية غزت معنا تعقب بعضها بعضا وان المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله وان المؤمنين المتقين على أحسن هدى واقومه وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن وانه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به الى ان يرضى ولى المقتول وان المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه وانه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر ان ينصر محدثا ولا يؤويه وانه من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان مرده الى الله عز وجل والى محمد صلى الله عليه وسلم وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وان يهود بنى عوف امة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم الا من ظلم واثم فانه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته وان ليهود بنى النجار مثل ماليهود بنى عوف وان ليهود بنى الحرث مثل ماليهود بنى عوف وان ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف وان ليهود بنى الاوس مثل ماليهود بنى عوف وان ليهود بنى ثعلبة مثل ماليهود بنى عوف الا من ظلم واثم فانه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته وان جفنة بطن من ثعلبة كانفسهم وان لبنى الشطنة مثل ماليهود بنى عوف وان البر دون الاثم وان موالى ثعلبة كانفسهم وان بطانة يهود كانفسهم وانه لا يخرج منهم احد الا باذن محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينحجز على ثار جرح وانه من فتك فبنفسه فتك واهل بيته الا من ظلم وان الله على ابر هذا وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم وانه لم يأثم امرؤ بحليفه وان النصر للمظلوم وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وان يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وانه لا تجار حرمة الا باذن أهلها وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره وانه لا تجار قريش ولا من نصرها وان بينهم النصر على من دهم يثرب واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسونه وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين الا من حارب فى الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم وان يهود الاوس مواليهم وأنفسهم على مثل مالاهل هذه الصحيفة مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة «قال ابن هشام» ويقال مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة

الزهرى ورواه عن عبد الله بن صالح بهذا الاسناد فقال رباعتهم الالف بعد الباء ثم قال أبو عبيد يقال فلان على رباعة قومه اذا كان نقيبهم ووافدهم (قال المؤلف) وكسر الراء فيه القياس على هذا المعنى لانها ولاية وان جعل الرباعة مصدرا فالقياس فتح الراء أى على شأنهم وعادتهم من أحكام الديات والدماء يتعاقلون معاقلهم الاول جمع معقلة ومعقلة من العقل وهو الدية وقال فى الكتاب والا يترك مفرح وفسره ابن هشام كما فسره أبو عبيد انه الذى أثقله الدين وأنشد البيت الذى أنشده أبو عبيد

اذا أنت لم تبرح تؤدى أمانة * وتحمل أخرى افرحتك الودائع

أى أثقلتك يجوز أن يكون من أفعال السلب أى سلبتك الفرح كما قيل أقسط الرجل اذا عدل أى أزال القسط وهو الاعوجاج ويجوز أن تكون الفاء مبدلة من باء فيكون من البرح وهو الشدة تقول لقيت من فلان برحا أى شدة وذكر أبو عبيد رواية أخرى مفرج بالجيم وذكر فى معناه أقوالا منها انه الذى لا ديوان له ومنها انه القتيل بين القريتين لا يدرى من قتله ومنها انه فى معنى المفرح بالحاء أى الذى لا شىء له وقد أثقله الدين أو نحوه هذا فيه ضى عنه من بيت المال وفيه ولا يوتغ الا نفسه أى لا يوبق ويهلك الا نفسه يقال وتغ الرجل وأوتغه غيره قاله أبو عبيد ومعنى قوله يبيء هو من البواء أى المساواة ومنه قول مهلهل حين قتل ابنا للحارث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب * وقوله ان البر دون الاثم أى ان البر والوفاء ينبغى أن يكون حاجزا عن الاثم * وقوله وان الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره أى ان الله وحزبه للمؤمنين على الرضى به وقال أبو عبيد فى كتاب الاموال انما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية واذ كان الاسلام ضعيفا قال وكان لليهود اذ ذاك نصيب فى المغنم اذا قاتلوا مع المسلمين كما شرط عليهم فى هذا الكتاب النفقة معهم فى الحروب

قال ابن اسحق وان البردون الاثم لا يكسب كاسب الا على نفسه وان الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وابره وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم وانه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم أو أثم وان الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والانصار فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله ان نقول عليه ما لم يقل تآخوا فى الله اخوين اخوين ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال هذا أخى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الذى ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أخوين * وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين واليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال ان حدث به حادث الموت * وجعفر بن أبى طالب وذا الجناحين الطيار فى الجنة ومعاذ بن جبل أخو بنى سلمة أخوين «قال ابن هشام» وكان (١٨) جعفر بن أبى طالب يومئذ غائبا بارض الحبشة * قال ابن اسحق وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه بن أبى قحافة وخارجة بن زهير أخو بلحرث بن الخزرج أخوين * وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وعتبان بن مالك أخو بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين * وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح واسمه عامر بن عبد الله وسعد بن معاذ بن النعمان أخو بنى عبد الاشهل أخوين * وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخو بلحرث بن الخزرج أخوين * والزبير بن العوام وسلامة بن سلامة بن وقش أخو بنى عبد الاشهل أخوين ويقال بل الزبير وعبد الله بن مسعود حليف بنى زهرة أخوين * وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخو بنى النجار أخوين * وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخو بنى

غيره

سلمة أخوين * وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأبى بن كعب أخو بنى النجار أخوين * ومصعب بن عمير بن هاشم وأبو أيوب خالد بن زيد أخو بنى النجار أخوين * وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة * وعباد بن بشر بن وقش أخو بنى عبد الاشهل أخوين * وعمار بن ياسر حليف بنى مخزوم وحذيفة بن اليمان أخو بنى عبد عبس حليف بنى عبد الاشهل أخوين ويقال ثابت بن قيس بن الشماس أخو بلحرث ابن الخزرج خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمار بن ياسر أخوين * وأبو ذر وهو برير بن جنادة الغفارى والمنذر بن عمرو المعنق ليموت أخو بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج أخوين «قال ابن هشام» وسمعت غير واحد من العلماء يقول أبو ذر جندب بن جنادة * قال ابن اسحق وكان حاطب بن أبى بلتعة حليف بنى أسد بن عبد العزى وعويم بن ساعدة أخو بنى عمرو بن عوف أخوين * وسلمان الفارسى وأبو الدرداء عويمر بن ثعلبة أخو بلحرث بن الخزرج أخوين «قال ابن هشام» عويمر بن عامر ويقال عويمر بن زيد * قال ابن اسحق وبلال مولى أبى بكر رضى الله عنهما مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى ثم أحد الفزع

(فصل المؤاخاة بين الصحابة) آخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حين نزلوا المدينة ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الاهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه « وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » أعنى فى الميراث ثم جعل المؤمنين كلهم اخوة فقال « انما المؤمنون اخوة » يعنى فى التواد وشمول الدعوة * وذكر مؤاخاته بين أبى ذر والمنذر بن عمرو وقد ذكرنا انكار الواقدى لذلك فى آخر حديث بيعة العقبة

(فصل) وذكر مؤاخاة سلمان وأبى الدرداء وأبو الدرداء اسمه عويمر بن عامر وقيل عويمر بن زيد ابن ثعلبة وقيل عويمر بن مالك بن ثعلبة بن عمرو بن قيس بن أمية من بلحارث بن الخزرج أمه محبة بنت واقد بن عمرو بن الاطنابة وامرأته أم الدرداء اسمها خيرة بنت أبى حدرد وأم الدرداء الصغرى اسمها جمانة مات أبو الدرداء بدمشق سنة اثنين وثلاثين وقيل سنة أربع وثلاثين

(فصل) وذكر مؤاخاة أبى رويحة وبلال وسماه عبد الله بن عبد الرحمن وقال هو أحد الفزع لم يبينه بأكثر من هذا والفزع عند أهل النسب هو ابن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل وأفتل هو خثعم وقد تقدم فى أول الكتاب لم سمى خثعم وهو ابن أنمار وقد تقدم خلاف النسابين فيما بعد أنمار والفزع هذا بفتح الزاى وأما القزع بسكونها فهو القزع بن عبد الله بن ربيعة وكذلك القزع فى خزاعة وفى كلب هما ساكنان أيضاً قاله ابن حبيب وقال الدارقطنى الفزع بفتح الزاى رجل يروى عن ابن عمر * وذكر آخر فى الرواة أيضاً بفتح الزاى يروى حديثاً فى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لابى رويحة الخثعمى لواء عام الفتح وأمره أن ينادى من دخل تحت لواء أبى رويحة فهو آمن

(فصل) وذكر مؤاخاة حاطب بن أبى بلتعة وعويم بن ساعدة وقال فى حاطب حليف بنى أسد وقال

أخوين فهؤلاء من سمي لنا ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم من أصحابه فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام وكان بلال قد خرج الى الشام فأقام بها مجاهدا فقال عمر لبلال الى من تجعل ديوانك يا بلال قال مع أبي رويحة لا أفارقه أبدا للاخوة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبيني فضم اليه وضم ديوان الحبشة الى خثعم لمكان بلال منهم فهو في خثعم الى هذا اليوم بالشام * قال ابن اسحق وهلك في تلك الاشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجد يبنى أخذته الذبحة أو الشهقة * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بئس الميت أبو أمامة ليهود ومنافقي العرب يقولون لو كان نبيا لم يمت صاحبه ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيأ * قال ابن اسحق

وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري انه لما مات أبو أمامة أسعد بن زرارة اجتمعت بنو النجار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو امامة نقيبهم فقالوا له يا رسول الله ان هذا قد كان منا حيث قد علمت فاجعل منا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم أنتم اخوالي وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخص بها بعضهم دون بعض وكان من فضل بني النجار الذي على قومهم أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم

﴿ خبر الاذان ﴾

* قال ابن اسحق فلما أطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة واجتمع اليه اخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الانصار استحكم أمر الاسلام فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبوأ الاسلام بين أظهرهم وكان هذا الحي من الانصار هم الذين تبوؤا الدار والايمان وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها انما يجتمع الناس اليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها أن يجعل بوقا كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم ثم كرهه ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة فبينما هم على ذلك اذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحرث بن الخزرج النداء فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله انه طاف بي هذه الليلة طائف مر بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا في يده فقلت له يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس قال وما تصنع به قال قلت ندعو به الى الصلاة قال أفلا أدلك على خير من ذلك قال قلت وما هو قال

غيره كان عبداً لعبيد الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى وقيل كان من مذحج والاشهر انه من لخم بن عدي واسم أبي بلتعة عمرو بن أشد بن معاذ والبلتعة من قولهم تبلتع الرجل اذا تظرف قاله أبو عبيد في الغريب المصنف

﴿ بدؤ الاذان ﴾

ذكر حديث عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه هكذا ذكره وأكثر النساب يقولون زيد بن عبد ربه وثعلبة أخو زيد ذكر حديثه عندما شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في الاذان فقال بعضهم ناقوس كناقوس النصارى وقال بعضهم بوق كبوق اليهود وفي غير السيرة انهم ذكروا الشبور وهو البوق قال الاصمعي للمفضل وقد نازعه في معنى بيت من الشعر فرفع المفضل صوته فقال الاصمعي لو نفخت في الشبور ما نفعك تكلم كلام النمل وأصب وذكروا أيضا القنع وهو القرن وقال بعضهم هو تصحيف انما هو القبع والقنع أولى بالصواب لانه من أقنع صوته اذا رفعه وقال بعضهم بل نوقد نارا ونرفعها فاذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة وقال بعضهم بل نبعث رجلا ينادي بالصلاة فبينما هم في ذلك أرى عبد الله بن زيد الرؤيا التي ذكر ابن اسحق فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يلقيها على بلال قال يا رسول الله أنا رأيتها وأنا كنت أحبها لنفسي فقال ليؤذن بلال ولتقم أنت ففي هذا من الفقه جواز أن يؤذن الرجل ويقيم غيره وهو معارض لحديث زياد بن عبد الله الصدائي حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم من أذن فهو أحق أن يقيم في حديث طويل الا انه يدور على عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقي وهو ضعيف والاول أصح منه قال أبو داود وتزعم الانصار ان عبد الله بن زيد حين رأى النداء كان مريضا ولولا ذلك لامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاذان وقد تكلمت العلماء في الحكمة التي خصت الاذان بان رآه رجل من المسلمين في نومه ولم يكن عن وحي من الله لنبيه كسائر العبادات والاحكام الشرعية وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم له انها لرؤيا حق ثم بنى حكم الاذان عليها وهل كان ذلك عن وحي من الله له أم لا وليس في الحديث دليل على أن قوله ذلك كان عن وحي وتكلموا لم لم يؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل أذن قط مرة من عمره دهره أم لا فأما الحكمة في تخصيص الاذان برؤيا رجل من المسلمين ولم يكن عن وحي فلان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أريه ليلة الاسراء واسمعه مشاهدة فوق سبع سموات وهذا أقوى من الوحي فلما تأخر فرض الاذان الى المدينة وأرادوا اعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحي حتى

تقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله
حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انها لرؤيا حق ان شاء الله فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فانه أندى صوتا منك فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن
الخطاب وهو في بيته فخرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول يانبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلله الحمد على ذلك * قال ابن اسحق حدثني بهذا الحديث محمد ابن ابراهيم بن الحرث عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه عن أبيه «قال ابن هشام» وذكر ابن جريج قال قال لي عطاء سمعت عبيد بن عمير الليثي يقول ائتمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس اذ رأى عمر بن الخطاب في المنام لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة فذهب عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره بالذي رأى وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك فما راع عمر الا بلال يؤذن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك قد سبقك بذلك الوحي * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير
عن امرأة من بني النجار قالت كان بيتي من أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة فيأتي بسحر فيجلس على البيت ينتظر الفجر فاذا رآه تمطى ثم قال اللهم اني أحمدك وأستعينك على قريش ان يقيموا على دينك قالت ثم يؤذن قالت والله ما علمته كان يتركها ليلة واحدة

رأى عبد الله الرؤيا فوافقت ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك قال انها لرؤيا حق ان شاء الله وعلم حينئذ ان مراد الحق بما رآه في السماء أن يكون سنة في الارض وقوى ذلك عنده موافقة رؤيا عمر للانصاري مع أن السكينة تنطق على لسان عمر واقتضت الحكمة الالهية أن يكون الاذان على لسان غير النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين لما فيه من التنويه من الله لعبده والرفع لذكره فلأن يكون ذلك على غير لسانه أنوه به وأفخم لشأنه وهذا معنى بين فان الله سبحانه يقول «ورفعنا لك ذكرك» فمن رفع ذكره ان أشاد به على لسان غيره (فان قيل) ومن روى انه أرى النداء من فوق سبع سموات (قلنا) هو في مسند أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار * حدثنا به أبو بكر محمد بن طاهر الاشبيلي سماعا واجازة عن أبي علي الغساني عن أبي عمر النمري باسناده الى البزار قال البزار نا محمد بن عثمان بن مخلد نا أبي عن زياد بن المنذر عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما أراد الله أن يعلم رسوله الاذان أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم قال فركبها حتى انتهى الى الحجاب الذي يلي الرحمن تبارك وتعالى قال فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا فقال والذي بعثك بالحق اني لأقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله أكبر الله أكبر قال فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا اله الا الله قال فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي أنا الله لا اله الا أنا قال فقال الملك أشهد ان محمدا رسول الله قال فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا ارسلت محمدا قال الملك حي على الصلاة حي على الفلاح ثم قال الملك الله أكبر الله أكبر قال فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا أكبر انا أكبر ثم قال لا اله الا الله قال فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا لا اله الا انا قال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فأم اهل السماء فيهم آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي يومئذ أكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض (قال المؤلف) وأخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحا لما يعضده ويشاكله من أحاديث الاسراء فبمجموعها يحصل أن معاني الصلاة كلها وأكثرها قد جمعها ذلك الحديث أعني الاسراء لان الله سبحانه رفع الصلاة التي هي مناجاة عن أن تفرض في الارض لكن بالحضرة المقدسة المطهرة وعند الكعبة العليا وهي البيت المعمور وقد ذكرنا طرفا من هذا الغرض ونبدأ من هذا المقصد في شرح حديث الاسراء وينضاف اليها في هذا الحديث ذكر الاذان الذي تضمنه حديث البزار مع ما روي أيضا أنه مر وهو على البراق بملائكة قيام وملائكة ركوع وملائكة سجود وملائكة جلوس والكل يصلون لله فجمعت له هذه الاحوال في صلاته وحين مثل بالمقام الاعلى ودنا فتدلى الهم أن يقول التحيات لله الى قوله الصلوات لله فقالت الملائكة السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقالت الملائكة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فجمع ذلك له في تشهده وانظر بقلبك كيف شرع له عليه السلام ولامته أن يقولوا تسع مرات في اليوم والليلة في تسع جلسات في الصلوات الخمس بعد ذكر التحيات

السلام

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فيحيون ويحيون تحية من عند الله مباركة طيبة ومن قوله السلام علينا كما قيل لهم فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله ومن ثم قال الطيبات المباركات كما فى رواية ابن عباس فى التشهد انظر الى هذا كله كيف حى وحى تسع مرات حيته ملائكة كل سماء وحياهم ثم ملائكة الكرسى ثم ملائكة العرش فهذه تسع فجعل التشهد فى الصلوات على عدد تلك المرات التى سلم فيها وسلم عليه وكلها تحيات لله أى من عند الله مباركة طيبة هذا الى نكت ذكرناها فى شرح سبحان الله وبحمده فاذا جمعت بعض ماذكرناه الى بعض عرفت جملة من أسرار الصلاة وفوائدها الجلية دون الخفية وأما بقية أسرارها وما تضمنته أحاديث الاسراء من أنوارها وما فى الاذان من لطائف المعانى والحكم فى افتتاحه بالتكبير وختمه بالتكبير مع التكرار وقول لا اله الا الله فى آخره وأشهد أن لا اله الا الله فى أوله وما تحت هذا كله من الحكم الالهية التى تملأ الصدور رهبة وتنور القلوب بنور المحبة وكذلك ما تضمنته الصلاة فى شفعها ووترها والتكبير فى أركانها ورفع اليدين فى افتتاحها وتخصيص البقعة المكرمة بالتوجه اليها مع فوائد الوضوء من الاحداث لها فان فى ذلك كله من فوائد الحكمة ولطائف المعرفة ما يزيد فى ثلج الصدور ويكحل عين البصيرة بالضياء والنور ونعوذ بالله أن ننزع فى ذلك بمنزع فلسفى أو مقالة بدعى أو رأى مجرد من دليل شرعى ولكن بتلويحات من الشريعة واشارات من الكتاب والسنة يعضد بعضها بعضا وينادى بعضها بتصديق بعض «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» لكن أضربنا فى هذا الكتاب عن بث هذه الاسرار فان ذلك يخرج عن الغرض المقصود ويشغل عما صمدنا اليه فى أول الكتاب ووعدنا به الناظر فيه من شرح لغات وأنساب وآداب والله المستعان وقد عرفت رؤيا عبد الله بن زيد وكيفيتها برواية ابن اسحق وغيره ولم تعرف كيفية رؤيا عمر حين أرى النداء وقد قال قد رأيت مثل الذى رأى لكن فى مسند الحرث بيان لها روى الحرث فى مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول من أذن بالصلاة جبريل أذن بها فى سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بها فقال عليه السلام لبلال سبقك بها عمر وذكر باقى الحديث وظاهر هذا الحديث ان عمر سمع ذلك فى اليقظة وكذلك رؤيا عبد الله ابن زيد فى الاذان رآها وهو بين النائم واليقظان قال ولو شئت لقلت كنت يقظانا

﴿فصل﴾ وأما قول السائل هل أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه قط فقد روى الترمذى من طريق يدور على عمر بن الرماح يرفعه الى أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن فى سفر وصلى باصحابه وهم على رواحلهم السماء من فوقهم والبلة من أسفلهم فنزع بعض الناس بهذا الحديث الى انه أذن بنفسه وأسنده الدارقطنى باسناد الترمذى الا انه لم يذكر عمر بن الرماح ووافقه فيما بعده من اسناد ومتن لكنه قال فيه فقام المؤذن فاذن ولم يقل أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمفصل يقضى على المجمل المحتمل والله أعلم

﴿ حديث صرمة بن أبى أنس ﴾

واسم أبى انس قيس بن صرمة بن ملك بن عدى بن عمرو بن غنم بن عدى بن النجار الانصارى وهو الذى أنزل الله فيه وفى عمر رضى الله عنهما «أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم» الى قوله وعفا عنكم فهذه فى عمر ثم قال «وكلوا واشربوا» الى آخر الآية فهذه فى صرمة بن أبى أنس وذلك ان اتيان النساء ليلا فى رمضان كان محرما عليهم فى أول الاسلام بعد النوم وكذلك الاكل والشرب كان محرما عليهم بعد النوم فاما عمر فاراد امرأته ذات ليلة فقالت له انى قد نمت فقال كذبت ثم وقع عليها وأما صرمة فانه عمل فى

* قال ابن اسحق فلما اطمأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره وأظهر الله بها دينه وسره بما جمع اليه من المهاجرين والانصار من أهل ولايته قال أبو قيس صرمة بن أبى أنس أخو بنى عدى بن النجار «قال ابن هشام» أبو قيس صرمة بن أبى أنس بن صرمة بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار * قال ابن اسحق وكان رجلا قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح وفارق الاوثان واغتسل من الجنابة وتطهر من الحائض من النساء وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا لا تدخل عليه فيه طامث ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم حين فارق الاوثان وكرهها حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير وكان قوالا بالحق معظما لله عز وجل فى جاهليته يقول أشعارا فى ذلك حسانا وهو الذى يقول يقول ابو قيس وأصبح غاديا *

الا ما استطعتم من وصاتى فافعلوا

فاوصيكم بالله والبر والتقى * واعراضكم والبر بالله اول وان قومكم سادوا فلا تحسدنهم * وان كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
وان نزلت احدى الدواهى بقومكم * فانفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وان ناب غرم فادح فارفقوهم * وما حملوكم فى الملمات فاحملوا
وان أنتم امعرتم فتعففوا * وان كان فضل الخير فيكم فافضلوا
«قال ابن هشام» ويروى * وان ناب امر فادح فارفدوهم * قال ابن اسحق وقال ابو قيس صرمة ايضا
سبحوا الله شرق كل صباح * طلعت شمسه وكل هلال
عالم السر والبيان لدينا * ليس ما قال ربنا بضلال
وله الطير تستزيد وتاوى * فى وكور من آمنات الجبال
وله الوحش بالفلاة تراها * فى حقاف وفى ظلال الرمال
وله هودت يهود ودانت * كل دين اذا ذكرت عضال * وله شمس النصارى وقاموا كل عيد لربهم واحتفال * وله الراهب الحبيس تراه * رهن بؤس وكان ناعم بال والنسب

حائطه وهو صائم فجاء الليل وقد جهده الكلال فغلبته عينه قبل ان يفطر فجاءته امرأته بطعام كانت قد صنعته له فوجدته قد قام فقالت له الخيبة لك حرم عليك الطعام والشراب فبات صائما وأصبح الى حائطه يعمل فيه فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طليح قد جهده العطش مع مابه من الجوع والنصب فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بقصته فرق له عليه السلام ودمعت عيناه فانزل الله تعالى الرخصة وجاء بالفرج بدأ بقصة عمر لفضله فقال «فالآن باشروهن» ثم بصرمة فقال «وكلوا واشربوا» قال بعض أشياخ الصوفية هذه العناية من الله أخطأ عمر خطيئة فرحمت الامة بسببها * وذكر من شعر صرمة

فاوصيكم بالله والبر والتقى * وأعراضكم والبر بالله أول

برفع البر على الابتداء واول خبر له وقد يحتمل فى الظاهر ان يكون ظرفا فى موضع الخبر ولكن لا يجوز ذلك فى هذه الظروف المبنية على الضم ان تكون خبر المبتدا الا تقول الصلاة قبل الا ان تقول قبل كذا ولا الخروج بعد الا ان تقول بعد كذا وذلك لسر دقيق قد حوم عليهما ابن جنى فلم يصب المفصل والذى منع من ذلك ان هذه الغايات انما تعمل فيها الافعال الملفوظ بها لانها غايات لافعال متقدمة فاذا لم تات بفعل يعمل فيها لم تكن غاية لشىء مذكور وصار العمل فيها معنويا وهو الاستقرار وهى مضافة فى المعنى الى شىء والشىء المضاف اليه معنوى لا لفظى فلا يدل العامل المعنوى على معنوى آخر انما يدل عليه الظاهر اللفظى فتامله فالضمة فى أول على هذا حركة اعراب لا حركة بناء ولو قال ابدأ بالبر اول لكانت حركة بناء لكن من رواه والبر بالله أول بخفض الراء من البر فاول حينئذ ظرف مبنى على الضم يعمل فيه أوصيكم * وفيه * وان أنتم امعرتم فتعففوا * الامعار الفقر * ومن شعره

سبحوا الله شرق كل صباح * طلعت شمسه وكل هلال

الشرق طلوع الشمس وهو من أسمائها أيضا وكذلك الشرق بفتح الراء وكل هلال بالنصب على الظرف اى وقت كل هلال ولو قلت فى مثل هذا كل قمر على الظرف لم يجز لان الهلال قد أجرى مجرى المصادر فى قولهم الليلة الهلال فلذلك صح ان يكون ظرفا لان المصادر قد تكون ظروفا لمعان وأسرار ليس هذا موضعا لذكرها ولو خفضت وكل هلال عطفا على صباح لم يجز لان الشرق لا يضاف الى الهلال كما يضاف الى الصباح * وفيه * وله شمس النصارى * يعنى دين الشمامسة وهم الرهبان لانهم يشمسون أنفسهم يريدون تعذيب النفوس بذلك فى زعمهم * وفيه * يابنى الارحام لا تقطعوها * بنصب الارحام وهو أجود من الرفع فى هذا الموضع للنهى * وقوله * وصلوها قصيرة من طوال * وقد أملينا فيها فى غير هذا الكتاب ما نعيده ههنا بحول الله وأملينا ايضا فى معنى الرحم واشتقاق الام لاضافة الرحم اليها وضعها فيه عند خلق آدم وحواء وكون الام اعظم حظا فى البر من الاب مع انها فى الميراث دونه اسرارا بديعة ومعانى لطيفة أودعناها كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية فانتظر هنالك * وأما قوله قصيرة من طوال فيحتمل تاويلين احدهما ان يريد صلوا اقصرها من طولكم اى كونوا انتم طوالا بالصلة والبر ان قصرت هى وفى الحديث أسرعكن لحوقا بى اطولكن يدا أراد الطول بالصدقة والبر فكانت تلك صفة زينب بنت جحش والتاويل الآخر ان يريد مدحا لقومه بان ارحامهم قصيرة النسب ولكنها من قوم طوال كما قال

أحب من النسوان كل طويلة * لها نسب فى الصالحين قصير

وقال الطائى

أنتم بنو النسب القصير وطولكم * باد على الكبراء والاشراف

يابني الارحام لا تقطعوها * وصلوها قصيرة من طوال
واتقوا الله في ضعاف اليتامى * ربما يستحل غير الحلال
واعلموا ان لليتيم وليا * عالما يهتدي بغير السؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه * ان مال اليتيم يرعاه والى
يابني التخوم لا تخذلوها * ان خذل التخوم ذو عقال
يابني الايام لا تأمنوها * واحذروا مكرها ومر الليالي
واعلموا ان مرها لنفاد الخلق ما كان من جديد وبالي
واجمعوا أمركم على البر والتقوى وترك الخنا وأخذ الحلال

وقال أبو قيس صرمة أيضا يذكر ما أكرمهم الله تبارك وتعالى به من الاسلام وما خصهم الله به من نزول رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم

ثوى في قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى صديقا مواتيا
ويعرض في اهل المواسم نفسه * فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا
فلما أتانا اظهر الله دينه * فاصبح مسرورا بطيبة راضيا
وألفى صديقا واطمانت به النوى * وكان له عونا من الله باديا
يقص لنا ما قال نوح لقومه * وما قال موسى اذ أجاب المناديا
فاصبح لا يخشى من الناس واحدا * قريبا ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا له الاموال من حل مالنا * وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
ونعلم ان الله لا شئ غيره * ونعلم ان الله افضل هاديا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم * جميعا وان كان الحبيب المصافيا
اقول اذا أدعوك في كل بيعة * تباركت قد اكثرت لاسمك داعيا
أقول اذا جاوزت ارضا مخوفة * حنانيك لا تظهر علي الاعاديا
فطأ معرضا ان الحتوف كثيرة * وانك لا تبقي لنفسك باقيا
فوالله مايدري الفتى كيف يتقي * اذا هو لم يجعل له الله واقيا
ولا تحفل النخل المقيمة ربها * اذا أصبحت ريا وأصبح ثاويا

«قال ابن هشام» البيت الذي اوله فطأ معرضا ان الحتوف كثيرة والبيت الذي يليه فوالله مايدري الفتى كيف يتقي لافنون التغلبي وهو صريم بن معشر في ابيات له * قال ابن اسحق ونصبت عند ذلك احبار يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة بغيا وحسدا وضغنا لما خص الله تعالى به العرب من اخذه رسوله منهم وانضاف اليهم رجال من الاوس والخزرج ممن كان عسى على جاهليته فكانوا أهل نفاق على

والنسب القصيران يقول أنا ابن فلان فيعرف وتلك صفة الاشراف ومن ليس بشريف لا يعرف حتى يأتي بنسبة طويلة يبلغ بها رأس القبيلة وقد قال رؤبة قال لي النسابة من أنت انتسب فقلت رؤبة بن العجاج فقال قصرت وعرفت * وقوله * ان خذل التخوم ذو عقال * التخوم جمع تخومة ومن قال تخم في الواحد وقال في الجمع تخوم بضم التاء وأراد بها الارف وهي الحدود * وقال ابو حنيفة التخوم والتخوم حدود البلاد والقرى ولم يذكر في حدود الاحقال الارف والعقال ما يمنع الرجل من المشي ويعقلها يريد ان الظلم يخلف صاحبه ويعقله عن السباق ويحبسه في مضايق الاحتقاق * وذكر قصيدته اليائية وقال فيها فطأ معرضاً البيت قال ابن هشام هو لافنون التغلبي واسمه صريم بن معشر ﴿قال المؤلف﴾ وسمي افنونا في قول ابن دريد لبيت قاله فيه * منيتنا الود يا افنون مظنونا * أو نحو هذا اللفظ والافنون الغصن الناعم والافنون أيضاً العجوز الفانية وافنون هو الذي يقول

لو انني كنت من عاد ومن ارم * غذي بهم ولقمان وذي جدن
لما وقوا باخيهم من مهولة * أخا السكون ولا جاروا عن السنن
أنى جزوا عامراً سوأً بفعلهم * أم كيف يجزونني السوأى من الحسن
أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به * رئمان انف اذا ما ضن باللبن

وقول ابن هشام في البيتين فطأ معرضاً والذي بعده انهما لافنون التغلبي مذكور عند أهل الاخبار ولها سبب ذكروا ان افنونا خرج في ركب فروا بربوة تعرف بالالاهة وكان الكاهن قبل ذلك قد حدثه انه يموت بها فمر بها في ذلك الركب فلما أشرفوا عليها واعلم باسمها كره المرور بها وأبوا أصحابه الا ان يمروا بها وقالوا والله لا تنزل عندها ولكن نجوزها سعياً فلما دنا منها بركت به ناقته على حية فنزل لينظر فنهشته الحية فمات فقبره هنالك وقيل في حديثه انه مر بها ليلا فلم يعرف بها حتى ربض به البعير الذي كان عليه وعلم انه عند الالاهة فجزع فقيل له لا بأس عليك فقال فلم ربض البعير فارسلها مثلا ذكره يعقوب وعند ما أحس بالموت قال هذين البيتين اللذين ذكر ابن اسحق وبعدهما

كفى حزنا ان يرحل الركب غدوة * وأترك في جنب الالاهة ثاويا

﴿ تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن ﴾

دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا ان الاسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه فظهروا بالاسلام واتخذوه جنة من القتل ونافقوا فى السر وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وجحودهم الاسلام وكانت احبار يهود هم الذين يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعنتونه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسئلون عنه الا قليلا من المسائل فى الحلال والحرام وكان المسلمون يسالون عنها منهم حيي بن اخطب وأخوه ابو ياسر بن اخطب وجدى بن اخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع بن ابى الحقيق وسلام بن أبى الحقيق ابو رافع الاعور وهو الذى قتله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر والربيع بن الربيع بن ابى الحقيق وعمرو بن جحاش وكعب بن الاشرف وهو من طي ثم احد بنى نبهان وامه من بنى النضير والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الاشرف وكردم بن قيس حليف كعب بن الاشرف فهؤلاء من بنى النضير * ومن بنى ثعلبة بن الفطيون عبد الله بن صوريا الاعور ولم يكن بالحجاز فى زمانه احد أعلم بالتوراة منه وابن صلوبا ومخيريق وكان حبرهم * ومن بنى قينقاع زيد بن اللصيت ويقال ابن اللصيت فيما قال ابن هشام وسعد بن حنيف ومحمود بن سبحان وعزيز بن ابى عزيز وعبد الله بن صيف «قال ابن هشام» ويقال ابن ضيف * قال ابن اسحق وسويد بن الحرث ورفاعة بن قيس وفنحاص واشيع ونعمان ابن اضا وبحرى بن عمرو وشاش بن عدى وشاش بن قيس وزيد بن الحرث ونعمان بن عمرو وسكين بن ابى سكين وعدى بن زيد ونعمان بن ابى اوفى ابو انس ومحمود بن دحية ومالك بن الصيف «قال ابن هشام» ويقال ابن الضيف * قال ابن اسحق وكعب بن راشد وعازر ورافع بن ابى رافع وخالد وازار بن ابى ازار «قال ابن هشام» ويقال آزر بن آزر * قال ابن اسحق ورافع بن حارثة ورافع بن حريملة ورافع بن خارجة ومالك بن عوف ورفاعة بن زيد بن التابوت وعبد الله بن سلام بن الحرث وكان حبرهم وأعلمهم وكان اسمه الحصين فلما اسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله فهؤلاء من بنى قينقاع * ومن بنى قريظة الزبير بن باطا بن وهب وعزال بن سموال وكعب بن اسد وهو صاحب عقد بنى قريظة الذى نقض عام الاحزاب وشمويل بن زيد وجبل بن عمرو بن سكينة والنحام بن زيد وقردم بن كعب ووهب بن زيد ونافع بن ابى نافع وابو نافع وعدى بن زيد والحرث بن عوف وكردم بن زيد واسامة بن حبيب ورافع بن زميلة وجبل بن ابى قشير ووهب بن يهوذا فهؤلاء من بنى قريظة * ومن يهود بنى زريق لبيد بن اعصم وهو الذى اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه * ومن يهود بنى حارثة كنانة بن صوريا * ومن يهود بنى عمرو بن عوف قردم بن عمرو * ومن يهود بنى النجار سلسلة بن برهام فهؤلاء احبار اليهود وأهل العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأصحاب المسئلة والنصب لامر الاسلام الشرور ليطفؤه الا ما كان من عبد

ذكر فيهم جدى بن أخطب بالجيم وهو أخو حيي بن أحطب وأما حدى بالحاء فذكره الدارقطني فى نسب عتيبة بن الحارث بن شهاب بن حدى التميمي فارس العرب * وذكر عزيز بن أبى عزيز وألفيت بخط الحافظ أبى بحر فى هذا الموضع يقول عزيز بن أبى عزيز بزايين قيدناه فى الجزء قبل * وذكر ثعلبة بن الفطيون والفطيون كلمة عبرانية وهى عبارة عن كل من ولى أمر اليهود وملكهم كما أن النجاشى عبارة عن كل من ملك الحبشة وخاقان ملك الترك وقد تقدم من هذا الباب جملة * وذكر فيهم عبد الله بن صوريى الاعور وكان أعلمهم بالتوراة ذكر النقاش أنه أسلم لما تحقق من صفات محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة وانه هو وليس فى سيرة ابن اسحاق ذكر اسلامه

{ فصل } وقوله ومن يهود بنى زريق ومن يهود بنى حارثة * وذكر قبائل من الانصار وانما اليهود بنو اسرائيل وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبرا نما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن فى الاوس والخزرج من قد تهود وكان من نسائهم من تنذر اذا ولدت ان عاش ولدها أن تهوده لان اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب وفى هؤلاء الابناء الذين تهودوا نزلت «لا اكراه فى الدين» حين أراد آباؤهم اكراههم على الاسلام فى أحد الاقوال وأما لبيد بن الاعصم الذى ذكره من يهود بنى زريق وقال هو الذى أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه يعنى من الاخذة وهى ضرب من السحر فى الخبر أن القاسم بن محمد بن الحنفية كان مؤخذاً عن مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يدخله وكان لبيد هذا قد سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل سحره فى مشط ومشاطة وروى مشاقة بالقاف وهى مشاقة الكتان وجف طلعة ذكر هى فحال النخل وهو ذكاره والجف غلاف الطلعة ويكون لغيرها ويقال للجف القيقاء وتصنع منه آنية يقال لها التلاتل قاله أبو حنيفة ودفنه فى بئر ذى أروان وأكثر أهل الحديث يقولون ذروان تحت راعوفة البئر وهى صخرة فى أسفله يقف عليها المائح وهذا الحديث مشهور عند الناس ثابت عند أهل الحديث غير انى لم أجد فى الكتب المشهورة كم لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك السحر حتى شفى منه ثم وقعت على البيان فى

جامع

كما حدثني بعض أهله عنه وعن اسلامه حين أسلم وكان حبرا عالما قال لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذى كنا نتوكف له فكنت مسرا لذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما نزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها وعمتى خالدة ابنة الحرث تحتى جالسة فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لى عمتى حين سمعت تكبيرى خيبك الله والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما مازدت قال فقلت لها أى عمة هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به قال فقالت أى ابن أخى أهو النبى الذى كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة قال فقلت لها نعم قال فقالت فذاك اذا قال ثم خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت ثم رجعت الى أهل بيتى فامرتهم فاسلموا قال وكتمت اسلامى من يهود ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يارسول الله ان يهود قوم بهت وانى أحب ان تدخلنى فى بعض بيوتك وتغيبنى عنهم ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف انا فيهم قبل ان يعلموا اسلامى فانهم ان علموا به بهتونى وعابونى قال فادخلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض بيوته

جامع معمر بن راشد روى معمر عن الزهرى قال سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة يخيل اليه أنه يفعل الفعل وهو لا يفعله وقد طعنت المعتزلة فى هذا الحديث وطوائف من أهل البدع وقالوا لا يجوز على الانبياء أن يسحروا ولو جاز أن يسحروا لجاز أن يجنوا ونزع بعضهم بقوله عز وجل «والله يعصمك من الناس» والحديث ثابت خرجه أهل الصحيح ولا مطعن فيه من جهة النقل ولا من جهة العقل لان العصمة انما وجبت لهم فى عقولهم وأديانهم وأما أبدانهم فانهم يبتلون فيها ويخلص اليهم بالجراحة والضرب والسموم والقتل والاخذة التى أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفن انما كانت فى بعض جوارحه دون بعض * وأما قوله سبحانه «والله يعصمك من الناس» فانه قد روى انه كان يحرس فى الغزو حتى نزلت هذه الآية فأمر حراسه أن ينصرفوا عنه وقال لا حاجة لى بكم فقد عصمنى الله من الناس أو كما قال * وأما ما فيه من الفقه فان عائشة قالت له هلا تنشرت فقال أما أنا فقد شفانى الله وأكره أن أثير على الناس شرا وهو حديث مشكل فى ظاهره وانما جاء الاشكال فيه من قبل الرواة فانهم جعلوا جوابين لكلامين كلاما واحداً وذلك ان عائشة قالت له أيضا هلا استخرجته أى هلا استخرجت السحر من الجف والمشاطة حتى ينظر اليه فلذلك قال وأكره أن أثير على الناس شراً * قال ابن بطال كره أن يخرجه فيتعلم منه بعض الناس فذلك هو الشر الذى كرهه (قال المؤلف) ويجوز أن يكون الشر غير هذا وذلك ان الساحر كان من بنى زريق فلو أظهر سحره للناس وأراهم اياه لا وشك أن يريد طائفة من المسلمين قتله ويتعصب له آخرون من عشيرته فيثور شر كما ثار فى حديث الافك من الشر ماسيأتى بيانه وقول عائشة هلا استخرجته هو فى حديثين رواهما البخارى جميعاً وأما جوابه لها فى حديث هلا تنشرت بقوله أما أنا فقد شفانى الله وجوابه لها حين قالت هلا استخرجته بان قال أكره أن أثير على الناس شراً فلما جمع الراوى بين الجوابين فى حديث واحد استغلق الكلام واذا نظرت الاحاديث متفرقة تبينت وعلى هذا النحو شرح هذا الحديث ابن بطال * وأما الفقه الذى أشرنا اليه فهو اباحة النشرة من قول عائشة هلا تنشرت ولم ينكر عليها قولها وذكر البخارى عن سعيد بن المسيب انه سئل عن النشرة للذى يؤخذ عن أهله فقال لا بأس لم ينه عن الصلاح انما نهى عن الفساد ومن استطاع أن ينفع أخاه فليفعل ومن الناس من كره النشرة على العموم ونزع بحديث خرجه أبو داود مرفوعا ان النشرة من عمل الشيطان وهذا والله أعلم فى النشرة التى فيها الخواتم والعزائم وما لا يفهم من الاسماء العجمية ولولا الاطالة المخرجة لنا عن غرضنا لقدرنا الرخصة بالآثار وهذا القدر كاف والله المستعان وكانت عقد السحر أحد عشر عقدة فأنزل الله تعالى المعوذتين أحد عشر آية فانحلت بكل آية عقدة وقال تعالى «ومن شر النفاثات فى العقد» ولم يقل النفاثين وانما كان الذى سحره رجلا والجواب ان الحديث قد رواه اسماعيل القاضى وزاد فى روايته أن زينب اليهودية أعانت لبيد بن الاعصم على ذلك السحر مع ان الاخذة فى الغالب من عمل النساء وكيدهن

﴿ اسلام عبدالله بن سلام ﴾

سلام هو بتخفيف اللام ولا يوجد من اسمه سلام بالتخفيف فى المسلمين لان السلام من أسماء الله فيقال عبد السلام ويقال سلام بالتشديد وهو كثير وانما سلام بالتخفيف فى اليهود وهو والد عبد الله بن سلام منهم * ذكر فيه قول عمته خالدة أهو النبى الذى كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة وهذا الكلام فى معنى قوله عليه السلام انى لاجد نفس الساعة بين كتفى وفى معنى قوله نذير لكم بين يدى عذاب شديد ومن كان بين يدى طالبه فنفس الطالب بين كتفيه وكان النفس فى هذا الحديث عبارة عن الفتن المؤذنة بقيام الساعة وكان

ودخلوا عليه فكلموه وسألوه ثم قال لهم أى رجل الحصين بن سلام فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا قال فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم يامعشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون انه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة باسمه وصفته فانى أشهد انه رسول الله وأومن به وأصدقه وأعرفه فقالوا كذبت ثم وقعوا بى فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبرك يارسول الله أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور قال وأظهرت اسلامى واسلام أهل بيتى واسلمت عمتى خالدة بنت الحرث فحسن اسلامها

﴿ حديث مخيريق ﴾

قال ابن اسحق وكان من حديث مخيريق وكان حبرا عالما وكان رجلا غنيا كثير الاموال من النخل وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته وما يجد فى علمه وغلب عليه الف دينه فلم يزل على ذلك حتى اذا كان يوم أحد وكان يوم أحد يوم السبت قال يامعشر يهود والله انكم لتعلمون ان نصر محمد عليكم لحق قالوا ان اليوم يوم السبت قال لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم باحد وعهد الى من وراءه من قومه ان قتلت هذا اليوم فاموالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما أراه الله فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يقول مخيريق خير يهود وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله فعامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال حدثت عن صفية بنت حيى بن أخطب انها قالت كنت أحب ولد أبى اليه والى عمى أبى ياسر لم ألقهما قط مع ولدهما الا أخذانى دونه قالت فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف غدا عليه أبى حيى بن أخطب وعمى أبو ياسر بن أخطب مغلسين قالت فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس قالت فاتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى قالت فهششت اليهما كما كنت أصنع فوالله ما التفت الى واحد منهما مع ما بهما من الغم قالت وسمعت عمى أبا ياسر وهو يقول لابى حيى بن أخطب أهو هو قال نعم والله قال أتعرفه وتثبته قال نعم قال فما فى نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت * قال ابن اسحق وكان من انضاف الى يهود ممن سمى لنا من المنافقين من الاوس والخزرج والله أعلم * من الاوس ثم من بنى عمرو بن عوف بن

بدؤها حين ولى أمته ظهره خارجا من بين ظهرانيهم الى الله تعالى ألا تراه يقول فى حديث آخر وأنا أمان لامتى فذا ذهبت أتى أمتى ما يوعدون فكانت بعده الفتنة ثم الهرج المتصل بيوم القيامة ونحو من هذا قوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين يعنى السبابة والوسطى وهو حديث يرويه أنس بن مالك وابن بريدة عن أبيه وجبير بن مطعم وجابر بن سمرة وأبو هريرة وسهل بن سعد كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حديث سهل سبقتها بما سبقت هذه هذه يعنى الوسطى والسبابة وفى بعض ألفاظ الحديث ان كادت لتسبقنى ورواه أيضا أبو جبيرة فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جئت أنا والساعة كهاتين سبقتها كما سبقت هذه هذه فى نفس من الساعة أو فى نفس الساعة خرجها الطبرى بجميع أسانيدها وبعضها فى الصحيحين وفى بعضها زيادة على بعض وخالدة بنت الحرث قد ذكر اسلامها وهى مما أغفله أبو عمر فى كتاب الصحابة وقد استدركناها عليه فى جملة الاستدراكات التى ألحقناها بكتابه * وذكر حديث مخيريق وقال فيه مخيريق خير يهود ومخيريق مسلم ولا يجوز أن يقال فى مسلم هو خير النصارى ولا خير اليهود لان أفعل من كذا اذا أضيف فهو بعض ما أضيف اليه (فان قيل) وكيف جاز هذا (قلنا) لانه قال خير يهود ولم يقل خير اليهود ويهود اسم علم كثمود يقال انهم نسبوا الى يهوذ بن يعقوب ثم عربت الذال دالا فاذا قلت اليهود بالالف واللام احتمل وجهين النسب والدين الذى هو اليهودية أما النسب فعلى حد قولهم التيم فى التيميين وأما الدين فعلى حد قولك النصارى والمجوس أعنى انها صفة لا انها نسب الى أب وفى القرآن لفظ ثالث لا يتصور فيه الا معنى واحد وهو الدين دون النسب وهو قوله سبحانه «وقالوا كونوا هودا أو نصارى» بحذف الياء ولم يقل كونوا يهودا لانه اراد التهود وهو التدين بدينهم ولو قال كونوا يهودا بالتدين لجاز أيضا على أحد الوجهين المتقدمين ولو قيل لقوم من العرب كونوا يهود بغير تنوين لكان محالا لان تبديل النسب حقيقة محال وقد قيل فى هود جمع هائد وهو فى معنى ما قلناه فلتعرف الفرق بين قولك هودا بغير ياء ويهوديا بالياء والتنوين ويهود بغير تنوين فانها تفرقة حسنة صحيحة والله أعلم ولم يسلم من احبار يهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنان وقد جاء فى الحديث لو اتبعنى عشرة من اليهود لم يبق فى الارض يهودى الا اتبعنى رواه أبو هريرة وسمع كعب الاحبار أبا هريرة يحدث فقال له انما الحديث اثنا عشر من اليهود ومصداق ذلك فى القرآن وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا فسكت أبو هريرة قال ابن سيرين أبو هريرة أصدق من كعب قال يحيى بن سلام كلاهما صدق لان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أراد لو اتبعنى عشرة من اليهود بعد هذين اللذين قد أسلما

﴿ فصل ﴾ وذكر نبتلا من المنافقين قال وكان أدلم والادلم الاسود الطويل من كل شىء وقيل لجماعة النمل ديلم

مالك بن الاوس ثم من بنى لوذان بن عمرو بن عوف زرى بن الحرث * ومن بنى حبيب بن عمرو بن عوف جلاس بن سويد بن الصامت وأخوه الحرث بن سويد وجلاس الذى قال وكان ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر فرنع ذلك من قوله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن سعد أحدهم وكان فى حجر جلاس خلف على أمه بعد أبيه فقال له عمير بن سعد والله ياجلاس انك لاحب الناس الى وأحسنه عندى يدا وأعزه على ان يصيبه شئ يكرهه ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لافضحنك ولئن صمت عليها ليهلكن دينى ولاحداهما أيسر على من الاخرى ثم مشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قال جلاس فحلف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كذب على عمير وما قلت ما قال عمير بن سعد فانزل الله عز وجل فيه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير «قال ابن هشام» الاليم الموجع قال ذو الرمة يصف ابلا

وترفع من صدور شمردلات * يصك وجوهها وهج أليم

وهذا البيت فى قصيدة له * قال ابن اسحق فزعموا أنه تاب فحسنت توبته حتى عرف منه الخير والاسلام وأخوه الحرث بن سويد الذى قتل المجذر بن ذياد البلوى وقيس بن زيد أحد بنى ضبيعة يوم أحد خرج مع المسلمين وكان منافقا فلما التقى الناس عدا عليهما فقتلهما ثم لحق بقريش «قال ابن هشام» وكان المجذر بن ذياد قتل سويد ابن صامت فى بعض الحروب التى كانت بين الاوس والخزرج فلما كان يوم أحد طلب الحرث بن سويد غرة المجذر بن ذياد ليقتله بأبيه فقتله وحده وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول والدليل على انه لم يقتل قيس بن زيد ان ابن اسحق لم يذكره فى قتلى أحد * قال ابن اسحق قتل سويد بن صامت معاذ بن عفراء غيلة فى غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بعاث * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون قد أمر عمر بن الخطاب بقتله ان هو ظفر به ففاته فكان بمكة ثم بعث الى (٢٧) أخيه جلاس يطلب التوبة ليرجع الى قومه فانزل الله تبارك وتعالى فيه فيما بلغنى عن ابن عباس كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين الى آخر القصة * ومن بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بجاد بن عثمان بن عامر * ونبتل بن الحرث وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان رجلا جسيما أدلم ثائر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتحدث اليه فيسمع منه ثم ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذى قال انما محمد أذن من حدثه شيأ صدقه فأنزل الله عز وجل فيه ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم * قال ابن اسحق وحدثنى بعض رجال بلعجلان انه حدث أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انه يجلس اليك رجل أدلم ثائر شعر الرأس أسفع الخدين أحمر العينين كأنهما قدران من صفر كبده أغلظ من كبد الحمار ينقل حديثك الى المنافقين فاحذره وكانت تلك صفة نبتل بن الحرث فيما يذكرون * ومن بنى ضبيعة أبو حبيبة بن الازعر وكان ممن بنى مسجد الضرار * وثعلبة بن حاطب * ومعتب بن قشير وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى آخر القصة ومعتب الذى قال يوم أحد لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا فأنزل الله فى ذلك من قوله تعالى وطائفة قد أهمتهم أنفسهم الى آخر القصة وهو الذى قال يوم الاحزاب كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب الى الغائط فانزل الله عز وجل فيه واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا * والحرث بن حاطب «قال ابن هشام» معتب بن قشير وثعلبة والحرث ابنا حاطب وهما من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لى من أثق به من أهل العلم وقد نسب ابن اسحق ثعلبة والحرث فى بنى أمية بن زيد فى أسماء أهل بدر * قال ابن اسحق وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف * وبحزج وهم ممن كان بنى مسجد الضرار * وعمرو بن خذام * وعبد الله بن نبتل * ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف جارية بن عامر بن العطاف وابناه زيد ومجمع ابنا جارية وهم ممن اتخذ مسجد الضرار وكان مجمع غلاما حدثا قد جمع من القرآن أكثره وكان يصلى بهم فيه ثم انه لما أخرب المسجد وذهب رجال من بنى عمرو

ديلم لسوادهم من كتاب العين * وذكر الحرث بن سويد وقتله للمجذر بن ذياد واسم المجذر عبد الله والمجذر الغليظ الخلق * وذكر ان الله تعالى أنزل فى الحرث بن سويد وارتداده «كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم» فقيل ان هذه الآية مقصورة على سببها مخصوصة بمن سبق فى علم الله انه لا يهديه من كفره ولا يتوب عليه من ظلمه والا فالتوبة مفروضة وقد تاب قوم بعد ارتدادهم فقبلت توبتهم وقيل ليس فيها نفى لقبول التوبة فانه قال كيف يهدى الله ولم يقل لا يهدى الله على انه قد قال فى آخرها والله لا يهدى القوم الظالمين

ابن عوف كانوا يصلون بني عمرو بن عوف فى مسجدهم وكان زمان عمر بن الخطاب كلم فى مجمع ليصلى بهم فقال لا أو ليس بامام المنافقين
فى مسجد الضرار فقال لعمر يا أمير المؤمنين والله الذى لا اله الا هو ماعلمت بشئ من أمرهم ولكنى كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا لا قرآن
معهم فقدمونى اصلى بهم وما أرى أمرهم الا على أحسن مما يذكرون فزعموا أن عمر تركه فصلى بقومه * ومن بنى أمية بن زيد بن مالك وديعة
ابن ثابت وهو ممن بنى مسجد الضرار وهو الذى قال انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله تبارك وتعالى فيهم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا
نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن الى آخر القصة *ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك خذام بن خالد وهو الذى أخرج
مسجد الضرار من داره « قال ابن هشام » و بشر ورافع ابنا زيد *ومن بنى النبيت قال ابن هشام النبيت عمرو بن مالك بن الاوس *قال
ابن اسحق ثم من بنى حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس * مربع بن قيظى وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم حين أجاز فى حائطه ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامد الى أحد لا أحل لك يامحمد ان كنت نبيا ان تمر فى حائطى وأخذ فى يده حفنة
من تراب ثم قال والله لو أعلم أنى لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه فهذا
الاعمى أعمى القلب أعمى البصر فضربه سعد بن زيد أخو بنى عبد الاشهل بالقوس فشجه * وأخوه أوس بن قيظى وهو الذى يقول لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ان بيوتنا عورة فأذن لنا فلنرجع اليها فانزل الله تبارك وتعالى فيه يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ان
يريدون الا فرارا « قال ابن هشام » عورة أى معورة للعدو وضائعة وجمعها عورات قال النابغة الذبيانى متى تلقهم لا تلق للبيت عورة *
ولا الجار محروما ولا الامر ضائعا وهذا البيت فى أبيات له وجمعها عورات والعورة أيضا عورة الرجل وهى حرمته والعورة أيضا السوأة *
قال ابن اسحق ومن بنى ظفر واسم ظفر كعب بن الحرث بن الخزرج حاطب بن أمية بن رافع وكان شيخا جسيما قد عسى فى جاهليته وكان له
ابن من أخيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات فحمل الى دار بنى ظفر * قال ابن
اسحق فحدثنى عاصم بن
عمر بن قتادة انه اجتمع اليه
من بها من رجال المسلمين
ونسائهم وهو بالموت فجعلوا
يقولون ابشر يا ابن حاطب
بالجنة قال فنجم نفاقه قال
يقول أبوه أجل جنة من
حومل غررتم والله هذا المسكين من نفسه * قال ابن اسحق و بشير بن أبيرق وهو أبو طعمة
سارق الدرعين الذى أنزل الله تعالى فيه ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما *وقزمان حليف لهم * قال
ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انه لمن أهل النار فلما كان يوم أحد قاتل قتالا
شديدا حتى قتل بضعة نفر من المشركين فاثبتته الجراحات فحمل الى دار بنى ظفر فقال له رجال من المسلمين ابشر يا قزمان فقد أبليت اليوم وقد
أصابك ماترى فى الله قال بماذا أبشر فوالله ماقاتلت الا حمية عن قومى فلما اشتدت به جراحاته وآذته أخذ سهما من كنانته فقطع به رواهش
يده فقتل نفسه * قال ابن اسحق ولم يكن فى بنى عبد الاشهل منافق ولا منافقة يعلم الا أن الضحاك بن ثابت أحد بنى كعب رهط سعد بن
زيد قد كان يتهم بالنفاق وحب يهود وكان جلاس بن سويد بن صامت قبل توبته فيما بلغنى ومعتب بن قشير ورافع بن زيد و بشر كانوا يدعون
بالاسلام فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين فى خصومة كانت بينهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعوهم الى الحكام حكام أهل
الجاهلية فانزل الله عز وجل فيهم ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا
أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا الى آخر القصة *ومن الخزرج ثم من بنى النجار رافع بن وديعة وزيد بن عمرو
وعمرو بن قيس وقيس بن عمرو بن سهل *ومن بنى جشم بن الخزرج ثم من بنى سلمة الجد بن قيس وهو الذى يقول يامحمد ائذن لى ولا
تفتنى فانزل الله تعالى فيه ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين الى آخر القصة *ومن بنى عوف بن
الخزرج عبد الله بن أبى ابن سلول وكان رأس المنافقين واليه يجتمعون وهو الذى قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فى
غزوة بنى المصطلق وفى قوله ذلك نزلت سورة المنافقين باسرها وفيه وفى وديعة رجل من بنى عوف ومالك بن أبى قوقل وسويد وداعس وهم
من رهط عبد الله بن أبى ابن سلول وعبد الله بن أبى بن سلول وهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسون الى بنى النضير حين حاصرهم رسول الله

وذلك يرجع الى الخصوص كما قدمنا أو الى معنى الهداية فى الظلمة التى عند الصراط بالنور التام يوم القيامة فان
ذلك منتف عمن مات غير تائب من كفره وظلمه والله أعلم

﴿ ذكر حديث بشير بن أبيرق سارق الدرعين ﴾

وذكر « ان الله أنزل فيه ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم » الآية وكان من قصة الدرعين وقصة بشير ان
بنى أبيرق وهم ثلاثة بشير ومبشر و بشير نقبوا مشربة أو نقبها بشير وحده على ما قال ابن اسحق وكانت المشربة
لرفاعة بن زيد وسرقوا ادراعا له وطعاما فعثر على ذلك فجاء ابن أخيه قتادة بن النعمان يشكوهم الى رسول
الله

صلى الله عليه وسلم ان اثبتوا فوالله لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصركم فانزل الله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون ثم القصة من السورة حتى انتهى الى قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين * بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى قال حدثنا محمد بن اسحق المطلبى قال وكان ممن تعوذ بالاسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار يهود من بنى قينقاع * سعد بن حنيف وزيد بن اللصيت ونعمان ابن أوفى بن عمرو وعثمان بن أوفى * وزيد بن اللصيت الذى قاتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسوق بنى قينقاع وهو الذى قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم محمد انه يأتيه خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه الخبر بما قال عدو الله فى رحله ودل الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ناقته ان قائلا قال يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدرى أين ناقته وانى والله ما أعلم الا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها فهى فى هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وصف * ورافع ابن حريملة وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حين مات قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين * ورفاعة ابن زيد بن التابوت وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبت عليه الريح وهو قافل من غزوة بنى المصطلق فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجد رفاعة بن زيد بن التابوت مات ذلك اليوم الذى هبت فيه الريح * وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزؤن بدينهم فاجتمع يوما فى المسجد منهم ناس فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض فامر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخرجوا من المسجد اخراجا عنيفا فقام أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الى عمرو بن قيس أحد بنى غنم بن مالك بن النجار كان صاحب آلهتهم فى الجاهلية فاخذ برجله فسحبه حتى أخرجه من المسجد وهو يقول أتخرجنى يا أبا ايوب من مربد بنى ثعلبة ثم اقبل أبو أيوب أيضا الى رافع بن وديعة احد بنى النجار فلببه بردائه ثم نتره نترا شديدا ولطم وجهه ثم أخرجه من المسجد وأبو ايوب يقول له أف لك منافقا خبيثا ادراجك «قال ابن هشام» أى ارجع من الطريق التى جئت منها قال الشاعر فولى وأدبر ادراجه * وقد باء بالظلم من كان ثم يا منافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقام عمارة بن حزم الى زيد بن عمرو وكان رجلا طويل اللحية فاخذ بلحيته فقاده بها قودا عنيفا حتى أخرجه من المسجد ثم جمع عمارة يديه جميعا فلدمه بهما فى صدره لدمة خر منها قال يقول خدشتنى يا عمارة أبعدك الله يا منافق

الله صلى الله عليه وسلم فجاء أسيد بن عروة بن أبيرق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان هؤلاء عمدوا الى أهل بيت هم أهل صلاح ودين فابنوهم بالسرقة ورموهم بها من غير بينة وجعل يجادل عنهم حتى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتادة ورفاعة فانزل الله تعالى «ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم» الآية وأنزل الله عز وجل ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا وكان البرىء الذى رموه بالسرقة لبيد بن سهل قالوا ما سرقناه وانما سرقه لبيد بن سهل فبرأه الله فلما أنزل الله تعالى فيهم ما أنزل هرب ابن أبيرق السارق الى مكة ونزل على سلافة بنت سعد بن شهيد فقال فيها حسان بن ثابت بيتا يعرض فيه بها فقالت انما أهديت لى شعر حسان وأخذت رحله وطرحته خارج المنزل وقالت حلقت وسلقت وخرقت ان بت فى منزلى ليلة سوداء فهرب الى خيبر ثم انه نقب بيتا ذات ليلة فسقط الحائط عليه فمات ذكر هذا الحديث بكثير من ألفاظه الترمذى وذكره الكشى والطبرى بالفاظ مختلفة وذكر قصة موته يحيى بن سلام فى تفسيره ووقع اسمه فى أكثر التفاسير طعمة بن أبيرق وفى كتب الحديث بشير بن ابيرق وقال ابن اسحق فى رواية يونس بن بكير عنه بشير أبو طعمة فليس طعمة اذا اسماله وانما هو أبو طعمة كما ذكر ابن اسحق فى هذه الرواية والله أعلم وفى رواية يونس ايضا ان الحائط الذى سقط عليه كان بالطائف لا بخيبر كما قال ابن سلام وان اهل الطائف قالوا حينئذ ما فارق محمدا من اصحابه من فيه خير والابيات التى رمى بها حسان المراة وهى من بنى عمرو بن عوف وقد تقدم اسمها

وما سارق الدرعين اذ كنت ذاكرا * بذى كرم من الرجال اوادعه
وقد انزلته بنت سعد فاصبحت * ينازعها جار استها وتنازعه
ظننتم بان يخفى الذى قد صنعتم * وفيكم نبى عنده الوحى واضعه

وقع هذا البيت فى كتاب سيبويه * وذكر الشعر والخبر بطوله ابن اسحق فى رواية يونس عنه

فـاعداالله لك من العذاب أشدمن ذلك فلاتقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» واللدم الضرب ببطن الكف قال تميم بن أبى مقبل وللفؤاد وجيب تحت ابهره * لدم الوليد وراء الغيب بالحجر «قال ابن هشام» الغيب ما انخفض من الارض والابهر عرق القلب * قال ابن اسحق وقام ابو محمد رجل من بنى النجار كان بدريا وأبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الى قيس بن عمرو بن سهل وكان قيس غلاما شابا وكان لا يعلم فى المنافقين شاب غيره فجعل يدفع فى قفاه حتى أخرجه من المسجد * وقام رجل من بلخدرة بن الخزرج رهط أبى سعيد الخدرى يقال له عبد الله بن الحرث حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باخراج المنافقين من المسجد الى رجل يقال له الحرث بن عمرو وكان ذا جمة فأخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا على ما مر به من الارض حتى أخرجه من المسجد قال يقول المنافق لقد أغلظت يا ابن الحرث فقال له انك أهل لذلك أى عدو الله لما أنزل الله فيك فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانك نجس * وقام رجل من بنى عمرو بن عوف الى أخيه زوى بن الحرث فاخرجه من المسجد اخراجا عنيفا وأفف منه وقال غلب عليك الشيطان وأمره فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باخراجهم ففى هؤلاء من أحبار يهود والمنافقين من الاوس والخزرج نزل صدر من سورة البقرة الى المائة منها فيما بلغنى والله أعلم يقول الله سبحانه وبحمده الم ذلك الكتاب لا ريب فيه أى لاشك فيه «قال ابن هشام» قال ساعدة بن جؤية الهذلى

فقالوا عهدنا القوم قد حصروا به * فلا ريب أن قد كان ثم لحيم

وهذا البيت فى قصيدة له والريب أيضا الريبة قال خالد بن زهير الهذلى

* كانى أربه بريب * «قال ابن هشام» ومنهم من يرويه * كانى أربته بريب * وهذا البيت فى أبيات له وهو ابن أخى أبى ذؤيب الهذلى هدى للمتقين أى الذين يحذرون من الله عقوبته فى ترك ما يعرفون من الهدى و يرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أى يقيمون الصلاة بفرضها و يؤتون الزكاة احتسابا لها والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك اى يصدقونك بما جئت به من الله وما جاء به من قبلك من المرسلين لا يفرقون بينهم ولا يجحدون ما جاؤهم به من ربهم و بالآخرة هم يوقنون اى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان اى هؤلاء الذين يزعمون انهم آمنوا بما كان من قبلك و بما جاءك من ربك اولئك على هدى من ربهم اى على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم واولئك هم المفلحون اى الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا ان الذين كفروا اى بما انزل اليك وان قالوا انا قد آمنا بما جاءنا قبلك سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون اى انهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك وجحدوا ما اخذ عليهم من الميثاق لك فقد كفروا بما جاءك و بما عندهم مما جاءهم به غيرك فكيف يستمعون منك انذارا أو تحذيرا وقد كفروا بما عندهم من علمك ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة اى عن الهدى ان يصيبوه ابدا يعنى بما كذبوك به من الحق الذى جاءك من ربك حتى يؤمنوا به وان آمنوا بكل ما كان قبلك ولهم بما هم عليه من خلافك عذاب عظيم

﴿ فصل ﴾ وانشد ابن هشام * لدم الوليد وراء الغيب بالحجر * والبيت لتميم بن ابى ابن مقبل واللدم الضرب والغيب الغائر من الارض * وذكر ابن اسحق فى باب اخراج المنافقين من المسجد ابا محمد وقال هو رجل من بنى النجار ولم يعرفه باكثر من هذا وهو ابو محمد مسعود بن اوس بن زيد بن اصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار يعد فى الشاميين وهو الذى زعم ان الوتر واجب فقال عبادة كذب ابو محمد وهو معدود فى البدريين عند الواقدى وطائفة ولم يذكره ابن اسحق فيهم

﴿ فصل ﴾ وذكر ما انزل الله فى المنافقين والاحبار من يهود من صدر سورة البقرة واستشهد ابن هشام على الريب بمعنى الريبة بقول خالد بن زهير ابن اخت ابى ذؤيب واسم ابى ذؤيب خويلد بن خالد والرجز الذى استشهد ببيت منه

يا قوم مالى وابا ذؤيب * كنت اذا اتيته من غيب
يشم عطفى ويبس ثوبى * كانى اربته بريب

وكان أبو ذؤيب قد اتهمه بامرأته فلذلك قال هذا * وذكر ابن اسحق والذين يقيمون الصلاة وأغفل التلاوة وانما هو الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة وكذلك وجدته منبها عليه فى حاشية الشيخ وفى الايمان بالغيب أقوال منها ان الغيب ههنا ما بعد الموت من أمور الآخرة ومنها ان الغيب القدر ومنها قول من قال ان الغيب القلب أى يؤمنون بقلوبهم وقيل يؤمنون بالغيب أى بالله عز وجل وأحسن ما فى هذه الاقوال قول الربيع بن أنس اى يؤمنون بظهر الغيب أى ليسوا كالمنافقين الذين يؤمنون اذا لقوا الذين آمنوا ويكفرون اذا غابوا عنهم ويدل على صحة هذا التأويل بسياقة الكلام مع قوله عز وجل يخشون ربهم

فهذا فى الاحبار من يهود فيما كذبوا به من الحق بعد معرفته ومن الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر وماهم بمؤمنين يعنى المنافقين من الاوس والخزرج ومن كان على امرهم يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون فى قلوبهم مرض اى شك فزادهم الله مرضا شكا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون اى انما نريد الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب يقول الله تعالى ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب بالحق وبخلاف ما جاء به الرسول قالوا انا معكم أى انا على مثل ما أنتم عليه انما نحن مستهزؤن أى انما نستهزئ بالقوم و نلعب بهم يقول الله عز وجل الله يستهزئ بهم و يمدهم فى طغيانهم يعمهون «قال ابن هشام» يعمهون يحارون تقول العرب رجل عمه وعامه أى حيران قال رؤبة بن العجاج يصف بلدا * أعمى الهدى بالجاهلين العمه * وهذا البيت فى ارجوزة له والعمه جمع عامه وأما عمه فجمعه عمهون والمرأة عمهة وعمهاء أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أى الكفر بالايمان فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين * قال ابن اسحق ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون أى يبصرون الحق و يقولون به حتى اذا خرجوا به من ظلمة الكفر اطفؤه بكفرهم به و نفاقهم فيه فتركهم الله فى ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ولا يستقيمون على حق صم بكم عمى فهم لا يرجعون أى لا يرجعون الى هدى صم بكم عمى عن الخير لا يرجعون الى خير ولا يصيبون نجاة ما كانوا على ماهم عليه أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد و برق يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين «قال ابن هشام» الصيب المطر وهو من صاب يصوب مثل قولهم السيد من ساد يسود والميت من مات يموت وجمعه صيايب قال علقمة بن عبدة احد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم

كانهم صابت عليهم سحابة * صواعقها لطيرهن دبيب

فلا تعدلى بينى و بين مغمر * سقيت روايا المزن حين تصوب

وهذان البيتان فى قصيدة له * قال ابن اسحق أى هم من ظلمة ماهم فيه من الكفر والحذر من القتل على الذى هم عليه من الخلاف والتخوف لكم على مثل ما وصف من الذى هو ظلمة الصيب يجعل أصابعه فى اذنيه من الصواعق حذر الموت يقول الله والله منزل ذلك بهم من النقمة أى محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف ابصارهم اى لشدة ضوء البرق كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا أى يعرفون الحق و يتكلمون به فهم من قولهم به على استقامة فاذا ارتكسوا منه الى الكفر قاموا متحيرين ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم أى لما تركوا من الحق بعد معرفته ان الله على كل شئ قدير ثم قال يا أيها الناس اعبدوا ربكم للفريقين جميعا من الكفار والمنافقين اى وحدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون «قال ابن هشام» الانداد الامثال و واحدهم ند قال لبيد بن ربيعة

احمد الله فلا ند له * بيديه الخير ما شاء فعل

وهذا البيت فى قصيدة له قال ابن اسحق أى لا تشركوا بالله غيره من الانداد التى لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون انه لا رب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذى يدعوكم اليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا أى فى شك مما جاءكم به فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله أى من استطعتم من أعوانكم على ما أنتم عليه ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد تبين لكم الحق فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين اى لمن كان على مثل ما انتم عليه من الكفر ثم رغبهم وحذرهم نقض الميثاق الذى أخذ عليهم لنبيه صلى

بالغيب فلا يحتمل قوله يخشون ربهم بالغيب الا تأويلا واحدا فاليه يرد ما اختلف فيه وقوله سبحانه لا ريب فيه وقد ارتاب فيه كثير من الناس قيل هو على الخصوص فى المؤمنين أى لا ريب فيه عندهم ﴿قال المؤلف﴾ رضى الله عنه وهذا ضعيف لان التبرئة تعطى العموم وأصح منه ان الكلام ظاهره الخبر ومعناه النهى أى لا ترتابوا وهذا النهى عام لا يخصص وأدق من هذا ان يكون خبرا محضا عن القرآن أى ليس فيه ما يريب تقول رابنى منك كذا وكذا اذا رأيت ما تنكر وليس فى القرآن ما تنكره العقول والريب وان كان مصدرا فقد يعبر به عن الشئ الذى يريب كما يعبر بالضيف عن الضائف وبالطيف عن الخيال الطائف ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى «ليوم لا ريب فيه» فهذا خبر لان النهى لا يكون فى موضع الصفة * وقوله لا ريب فيه فى موضع الصفة ليوم والحياة بعد الموت ليس فيه ما يريبك لان من قدر على البدءة فهو على الاعادة أقدر وليس الريب بمعنى الشك على الاطلاق لانك تقول رابنى منك رائب ولا تقول شكنى بل تقول ارتبت كما تقول شككت فالارتياب قريب من الشك * وذكر قول الله سبحانه فى قلوبهم مرض وأصل المرض

الله عليه وسلم اذ جاءهم وذكرهم بدء خلقهم حين خلقهم وشأن أبيهم آدم عليه السلام وأمره وكيف صنع به حين خالف عن طاعته ثم قال يا بني اسرائيل للاحبار من يهود اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم أي بلائي عندكم وعند آبائكم لما كان نجاهم به من فرعون وقومه واوفوا بعهدي الذي اخذت في اعناقكم لنبيي احمد اذا جاءكم اوف بعهدكم انجز لكم ماوعدتكم على تصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والاغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من احداثكم واياي فارهبون اي ان انزل بكم ما انزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التي قد عرفتم من المسخ وغيره وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به وعندكم من العلم فيه ماليس عند غيركم واياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون اي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به وانتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون اي اتنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون انفسكم اي وانتم تكفرون بما فيها من عهدي اليكم في تصديق رسولي وتنقضون ميثاقي وتجحدون ما تعلمون من كتابي ثم عدد عليهم أحداثهم فذكرهم العجل وما صنعوا فيه وتوبته عليهم واقالته اياهم ثم قولهم أرنا الله جهرة «قال ابن هشام» جهرة اي ظاهرا لنا لاشيء يستره عنا قال ابو الاخزر الحماني واسمه قتيبة * يجهر اجواف المياه السدم * وهذا البيت في ارجوزة له يجهر يقول يظهر الماء ويكشف عنه ما يستره من الرمل وغيره * قال ابن اسحق وأخذ الصاعقة اياهم عند ذلك لغرتهم ثم احياءه اياهم بعد موتهم وتظليله عليهم الغمام وانزاله عليهم المن والسلوى وقوله لهم ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة اي قولوا ما امركم به احط به ذنوبكم عنكم وتبديلهم ذلك من قوله استهزاء بامره واقالته اياهم ذلك بعد هزئهم «قال ابن هشام» المن شيء كان يسقط في السحر على شجرهم فيجتنونه حلوا مثل العسل يشربونه ويأكلونه * قال أعشى بني قيس بن ثعلبة

لو أطعموا المن والسلوى مكانهم (٣٢) * ما أبصر الناس طعما فيهم نجعا

وهذا البيت في قصيدة له والسلوى طير واحدتها سلواة ويقال انها السماني ويقال للعسل أيضا السلوى وقال خالد بن زهير الهذلي

وقاسمها بالله حقا لانتم * ألذ من السلوى اذا ما نشورها

وهذا البيت في قصيدة له وحطة أي حط عنا ذنوبنا * قال ابن اسحق وكان من تبديلهم ذلك كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوأمة بنت أمية بن خلف عن أبي هريرة ومن لا أتهم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلوا الباب الذي أمروا أن يدخلوا منه سجدا يزحفون وهم يقولون حنط في شعير «قال ابن هشام» ويروى حنطة في شعيرة * قال ابن اسحق واستسقاء موسى لقومه وأمره أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت لهم منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين يشربون منها قد علم كل سبط عينه التي منها يشرب وقولهم لموسى عليه السلام لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها «قال ابن هشام» الفوم الحنطة قال أمية بن أبي الصلت الثقفي

فوق شيزى مثل الجوابي عليها * قطع كالوذيل في نقي فوم

«قال ابن هشام» الوذيل قطع الفضة و واحدتها وذيلة وهذا البيت في قصيدة له وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم * قال ابن اسحق فلم يفعلوا ورفعه الطور فوقهم ليأخذوا ما أتوا والمسخ الذي كان فيهم اذ جعلهم قردة باحداثهم والبقرة التي أراهم الله عز وجل بها العبرة في القتيل الذي اختلفوا فيه حتى بين الله لهم أمره بعد التردد على موسى عليه السلام في صفة البقرة وقسوة قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله أي وان من الحجارة لالين من قلوبكم عما تدعون اليه من الحق وما الله بغافل عما تعملون ثم قال لمحمد عليه السلام ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وليس قوله يسمعون التوراة كلهم قد سمعها ولكنه فريق منهم أي خاصة * قال ابن اسحق فيما بلغني عن بعض أهل العلم قالوا لموسى ياموسى قد حيل بيننا وبين رؤية الله فاسمعنا كلامه حين يكلمك فطلب ذلك موسى من ربه فقال له نعم مرهم فليتطهروا وليطهروا ثيابهم وليصوموا ففعلوا ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطور فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سجدا وكلمه ربه فسمعوا كلامه تبارك وتعالى يأمرهم وينهاهم حتى عقلوا عنه ما سمعوا ثم انصرف بهم الى بني اسرائيل فلما جاءهم حرف فريق منهم ما أمرهم به وقالوا حين قال موسى لبني اسرائيل ان الله قد أمركم

الضعف وفتور الاعضاء وهو ههنا ضعف اليقين وفتور القلب عن كد النظر وعطف فزادهم الله وان كان الفعل لا يعطف على الاسم ولا على مثل هذه الجملة لو قلت في الدار زيد فاعطيته درهما لم يجز ولكن لما كان في معنى قوله في قلوبهم مرض كمعنى مرضت قلوبهم صح عطف الفعل عليه * وذكر قوله سبحانه يا بني اسرائيل وهم في التلاوة فقال يا أهل الكتاب كما وهم في أول السورة وبنو اسرائيل هم بنو يعقوب وكان يسمى اسرائيل أي سري الله لكن لم يذكروا في القراءة الا أضيفوا الى اسرائيل ولم يسموا فيه بنو يعقوب

بكذا وكذا قال ذلك الفريق الذى ذكر الله انما قال كذا وكذا اخلا فالما قال الله لهم فهم الذين عنى الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا اى ان صاحبكم رسول الله عليه السلام ولكنه اليكم خاصة واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم وكان فيهم فانزل الله عز وجل فيهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أى تقرون بانه نبي وقد عرفتم انه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه وهو يخبركم انه النبي الذى كنا ننتظر ونجد فى كتابنا اجحدوه ولا تقروا لهم به يقول الله عز وجل أولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى «قال ابن هشام» الأمانى الاقراءة لان الامى الذى يقرأ ولا يكتب يقول لا يعلمون الكتاب الا يقرؤنه «قال ابن هشام» حدثنى أبو عبيدة بذلك «قال ابن هشام» وحدثنى يونس بن حبيب النحوى وأبو عبيدة ان العرب تقول تمنى فى معنى قرأ وفى كتاب الله تبارك وتعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته وأنشدنى أبو عبيدة النحوى

تمنى كتاب أول ليله * وآخره وافى حمام المقادر

وأنشدنى أيضا

تمنى كتاب فى الليل خاليا * تمنى داود الزبور على رسل

وواحدة الامانى أمنية والامانى أيضا أن يتمنى الرجل المال أو غيره * قال ابن اسحق وان هم الا يظنون أى لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه وهم يجحدون نبوتك بالظن وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون * قال ابن اسحق وحدثنى مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول انما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما يعذب الله الناس فى النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا فى النار من أيام الآخرة وانما هى سبعة أيام ثم ينقطع العذاب فانزل الله جل ثناؤه فى ذلك من قولهم وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته أى من عمل بمثل اعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم

به حتى يحيط كفره بما له عند الله من حسنة فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أى خلد أبدا والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب

ومتى ذكر ابراهيم واسحق ويعقوب لم يسم اسرائيل وذلك لحكمة فرقانية وهى ان القوم لما خوطبوا بعبادة الله وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم وتنبيها من غفلتهم سموا بالاسم الذى فيه تذكرة بالله فان اسرائيل اسم مضاف الى الله تعالى فى التأويل الا ترى كيف نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

الجنة هم فيها خالدون اى من آمن بما كفرتم به وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها يخبرهم ان الثواب بالخير والشر مقيم على اهله ابدا لا انقطاع له * قال ابن اسحق ثم قال يؤنبهم واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل اى ميثاقكم لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون اى تركتم ذلك كله ليس بالتنقص واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم «قال ابن هشام» تسفكون تصبون تقول العرب سفك دمه اى صبه وسفك الزق اى هراقه قال الشاعر

وكنا اذا ما الضيف حل بارضنا * سفكنا دماء البدن فى تربة الحال

«قال ابن هشام» يعنى بالحال الطين يخالطه الرمل وهو الذى تقول له العرب السهلة وقد جاء فى الحديث ان جبريل لما قال فرعون آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل أخذ من حال الارض فضرب به وجه فرعون والحال مثل الحمأة ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون * قال ابن اسحق على ان هذا حق من ميثاقى عليكم ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان أى أهل الشرك حتى تسفكوا دماءهم معهم وتخرجون من ديارهم معهم وان يأتوكم أسارى تفادوهم فقد عرفتم ان ذلك عليكم فى دينكم وهو محرم عليكم فى كتابكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض أتفادونهم مؤمنين بذلك وتخرجونهم كفارا بذلك فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون فأنبهم الله عز وجل بذلك من فعلهم وقد حرم الله عليهم فى التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء اسراهم فكانوا فريقين فريق منهم بنو قينقاع ولفهم حلفاء الخزرج والنضير وقريظة ولفهم حلفاء الاوس فكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الاوس يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على اخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم والاوس والخزرج أهل شرك يعبدون الاوثان لا يعرفون جنة ولا نارا ولا بعثا ولا قيامة ولا كتابا ولا حلالا ولا حراما فاذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أساراهم تصديقا لما فى التوراة وأخذ به بعضهم من بعض تفتدى بنو قينقاع ما كان من أسراهم فى أيدى الاوس وتفتدى النضير وقريظة ما فى أيدى الخزرج منهم ويطلون ما أصابوا من الدماء وقتلى من قتلوا

منهم فيما بينهم مظاهرة لاهل الشرك عليهم يقول الله تعالى لهم حين انباهم بذلك أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض أى تفاديه بحكم التوراة وتقتله وفى حكم التوراة أن لا تفعل وتخرجه من داره وتظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الاوثان من دونه ابتغاء عرض الدنيا ففى ذلك من فعلهم مع الاوس والخزرج فيما بلغنى نزلت هذه القصة * ثم قال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات أى الآيات التى وضع على يديه من احياء الموتى وخلقه من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابراء الاسقام والخبر بكثير من الغيوب مما يدخرون فى بيوتهم ومارد عليهم مع التوراة والانجيل الذى أحدث الله اليه ثم ذكر كفرهم بذلك كله فقال أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ثم قال تعالى وقالوا قلوبنا غلف أى فى أكنة يقول الله عزوجل بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * قال ابن اسحق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قال قالوا فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة كنا قد علوناهم فى الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب فكانوا يقولون لنا ان نبيا يبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه نقتلكم معه قتل عاد وارم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم من قريش فاتبعناه وكفروا به يقول الله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده أى أن جعله فى غيرهم فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين «قال ابن هشام» فباؤا بغضب أى اعترفوا به واحتملوه قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة

أصالحكم حتى تبوؤا بمثله * كصرخة حبلى يسرتها قبيلها

وهذا البيت فى قصيدة له * قال ابن اسحق فالغضب على الغضب بغضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهى معهم وغضب بكفرهم بهذا النبى صلى الله عليه وسلم الذى أحدث الله اليهم * ثم أنبهم برفع الطور عليهم واتخاذهم العجل الهادون (٣٤) ربهم يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أى ادعوا بالموت على أى الفريقين أكذب عند الله فابوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام ولن يتمنوه ابدا بما قدمت أيديهم أى لعلمهم بما عندهم من العلم بك والكفر فذلك فيقال لو تمنوه يوم قال ذلك بهم ما بقى على وجه الارض يهودى الامات ثم ذكر رغبتهم فى الحياة وطول العمر فقال تعالى ولتجدنهم أحرص الناس على حياة اليهود ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر أى ما هو بمنجيه من العذاب وذلك ان المشرك لا يرجو بعثا بعد الموت فهو يحب طول الحياة وان اليهودى قد عرف ماله فى الآخرة من الخزى بما ضيع مما عنده من العلم ثم قال الله تعالى قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن الرحمن بن أبى حسين المكى عن شهر بن حوشب الاشعرى أن نفرا من أحبار يهود جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أخبرنا عن أربع نسئلك عنهن فان فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك وآمنا بك قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقننى قالوا نعم قال فاسئلوا عما بدا لكم قالوا فاخبرنا كيف يشبه الولد أمه وانما النطفة من الرجل قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله وبايامه عند بنى اسرائيل هل تعلمون ان نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فايتهما غلبت صاحبتها كان لها الشبه قالوا اللهم نعم قالوا فاخبرنا كيف نومك فقال أنشدكم بالله وبايامه عند بنى اسرائيل هل تعلمون ان نوم الذى تزعمون أنى لست به تنام عينه وقلبه يقظان فقالوا اللهم نعم قال فكذلك نومى تنام عينى وقلبى يقظان قالوا فاخبرنا عما حرم اسرائيل على نفسه قال أنشدكم بالله وبايامه عند بنى اسرائيل هل تعلمون انه كان أحب الطعام والشراب اليه ألبان الابل ولحومها وانه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم نفسه على أحب الطعام والشراب اليه شكرا لله فحرم على نفسه لحوم الابل وألبانها قالوا اللهم نعم قالوا فاخبرنا عن الروح قال أنشدكم بالله وبايامه عند بنى اسرائيل هل تعلمونه جبريل وهو الذى يأتينى قالوا اللهم نعم ولكنه يا محمد لنا عدو وهو ملك انما يأتى بالشدة وبسفك الدماء ولولا ذلك لاتبعناك قال فانزل الله عزوجل فيهم قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين الى قوله تعالى أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله الى آخر الآية وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اى السحر وما كفر سليمان ولكن

دعا الى الاسلام قوما يقال لهم بنو عبد الله فقال لهم يا بنى عبد الله ان الله قد حسن اسم أبيكم يحرضهم بذلك على ما يقتضيه اسمهم من العبودية لله فكذلك قوله سبحانه يا بنى اسرائيل انما ورد فى معرض التذكرة لهم بدين أبيهم وعبوديته لله فكان ذكرهم بهذا الاسم أليق بمقام التذكرة والتحريض من ان يقول لهم يا بنى يعقوب ولما ذكر موهبته لابراهيم وتبشيره باسحق ثم يعقوب كان لفظ يعقوب اولى بذلك المقام لانها موهبة بعقب أخرى وبشرى عقب بها بشرى وان كان اسم يعقوب عبرانيا ولكن لفظه موافق للعربى فى العقب

الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر * قال ابن اسحق وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين قال بعض أحبارهم ألا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان بن داود كان نبيا والله ما كان الا ساحرا فانزل الله تعالى في ذلك من قولهم وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا أي باتباعهم السحر وعملهم به وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت * قال ابن اسحق وحدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يقول الذي حرم اسرائيل على نفسه زائدتا الكبد والكليتان والشحم الا ما على الظهر فان ذلك كان يقرب للقربان فتأكله النار * قال ابن اسحق وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهود خيبر فيما حدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب موسى وأخيه والمصدق لما جاء به موسى ألا ان الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة وانكم لتجدون ذلك في كتابكم محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما «قال ابن هشام» شطأه فراخه وواحدته شطأة تقول العرب قد أشطأ الزرع اذا أخرج فراخه وآزره عاونه فصار الذي قبله مثل الامهات قال امرؤ القيس بن حجر الكندي

بمحنية قد آزر الضال نبتها * مجر جيوش غانمين وخيب

وهذا البيت في قصيدة له وقال حميد الارقط بن مالك أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة

* زرعا وقضبا مؤزر النبات *

وهذا البيت في ارجوزة له وسوقه غير مهموز جمع ساق لساق الشجرة «قال ابن هشام» الى ههنا انتهى قولي وما بعده فمن حديث ابن اسحق الذي قبله * قال ابن اسحق واني انشدكم بالله وانشدكم بما أنزل عليكم وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى وأنشدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله الا أخبرتموني هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد فان كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم قد تبين الرشد من الغي فادعوكم الى الله والى نبيه * قال ابن اسحق وكان ممن نزل فيه القرآن خاصة من الاحبار كفار يهود الذين كانوا يسألونه ويتعنتونه ليلبسوا الحق بالباطل فيما ذكر لي عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله بن رئاب ان أبا ياسر بن أخطب مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة البقرة الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه حيي بن أخطب في رجال من يهود فقال تعلموا والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل عليه الم ذلك الكتاب فقالوا أنت سمعته فقال نعم فمشى حيي بن أخطب في أولئك النفر من يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له يا محمد الم يذكر لنا انك تتلو فيما أنزل اليك الم ذلك الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى قالوا أجاءك بها جبريل من عند الله فقال نعم وقالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه وما أكل أمته غيرك فقال حيي ابن أخطب وأقبل على من معه فقال لهم الالف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه احدى وسبعون سنة أفتدخلون في دين انما مدة ملكه وأكل أمته احدى وسبعون سنة ثم اقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هل مع هذا غيره قال نعم قال ماذا قال المص قال والله هذه أثقل واطول الالف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه احدى وستون ومائة سنة هل مع هذا يا محمد غيره قال نعم الر قال هذه أثقل وأطول الالف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فهذه احدى وثلاثون ومائتان هل مع هذا غيره يا محمد قال نعم المر قال هذه اثقل واطول الالف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائتان فهذه احدى وسبعون ومائتان سنة ثم قال لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلا أعطيت أم كثيرا ثم قاموا عنه فقال أبو ياسر لاخيه حيي بن أخطب ولمن معه من الاحبار ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد احدى وسبعون واحدى وستون ومائة واحدى وثلاثون ومائتان واحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة واربع وثلاثون سنة فقالوا لقد تشابه علينا امره فيزعمون ان هؤلاء الآيات نزلت فيهم منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات * قال ابن اسحق وقد سمعت من لا اتهم من اهل العلم يذكر ان هؤلاء الآيات انما انزلن في اهل نجران حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى بن مريم عليه السلام * قال ابن اسحق وقد حدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف انه سمع ان هؤلاء الآيات انما أنزلن في نفر من يهود ولم

العقب والتعقيب فانظر مشاكلة الاسمين للمقامين فانه من باب النظر في اعجاز القرآن وبلاغة ألفاظه وتنزيل الكلام في منازله اللائقة به

﴿فصل﴾ وذكر ابن اسحق حديث أبي ياسر بن اخطب واخيه حيي بن اخطب حين سمعا المص ونحوها من الحروف وانهم اخذوا تأويلها من حروف أبجد الى قوله لعله قد جمع لمحمد وأمته هذا كله ﴿قال المؤلف﴾ وهذا القول من أحبار يهود وما تأولوه من معاني هذه الحروف محتمل حتى الآن ان يكون من بعض ما دلت عليه هذه الحروف المقطعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذبهم فيما قالوا من ذلك ولا

يفسر ذلك لى فالله أعلم أى ذلك كان * قال ابن اسحق وكان فيما بلغنى عن عكرمة مولى ابن عباس أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان يهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور اخو بنى سلمة يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبروننا انه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقال سلام بن مشكم أحد بنى النضير ما جاءنا بشئ نعرفه وما هو بالذى كنا نذكره لكم فأنزل الله فى ذلك من قولهم ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * قال ابن اسحق وقال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما اخذ عليهم له من الميثاق وما عهد الله اليهم فيه والله ما عهد الينا فى محمد عهد وما اخذ له علينا من ميثاق فأنزل الله فيه اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون * وقال ابن صلوبا الفطيونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشئ نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك لها فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون * وقال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما ام تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل * قال ابن هشام سواء السبيل وسط السبيل قال حسان بن ثابت

ياويح أنصار النبى ورهطه * بعد المغيب فى سواء الملحد

وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها ان شاء الله تعالى * قال ابن اسحق وكان حيى بن أخطب وأخوه ابو ياسر بن اخطب من أشد يهود للعرب حسدا اذ خصهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وكانا جاهدين فى رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فأنزل الله تعالى فيهما ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامره ان الله على كل شئ قدير * قال ابن اسحق ولما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رافع بن حريملة ما أنتم على شئ وكفر بعيسى وبالانجيل فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود ما أنتم على شئ وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أى كل يتلو فى كتابه تصديق ما كفر به أى يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام وفى الانجيل ما جاء به عيسى عليه السلام من تصديق موسى عليه السلام وما جاء به من التوراة من عند الله وكل يكفر بما فى يد صاحبه * قال ابن اسحق وقال رافع بن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ان كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون * وقال عبد الله بن صوريا الاعور الفطيونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد قال وقالت النصارى مثل ذلك فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول عبد الله بن صوريا وما قالت النصارى وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم القصة الى قول الله تعالى تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون

صدقهم * وقال فى حديث آخر لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله ورسوله واذا كان فى حد الاحتمال وجب أن نفحص عنه فى الشريعة هل يشير الى صحته كتاب او سنة فوجدنا فى التنزيل وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وجدنا فى حديث زمل الخزاعى حين قص على رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا وقال فيها رأيتك يا رسول الله على منبر له سبع درجات والى جنبه ناقة عجفاء كأنك تبعثها ففسر له النبى صلى الله عليه وسلم الناقة بقيام الساعة التى أنذر بها وقال فى المنبر ودرجاته الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت فى آخرها ألفا والحديث وان كان ضعيف الاسناد فقد روى موقوفا على ابن عباس من طرق صحاح انه قال الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم منها وقد مضت منه سنون أو قال مئون وصحح أبو جعفر الطبرى هذا الاصل وعضده بآثار وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وانما سبقتها بما سبقت هذه هذه يعنى الوسطى والسبابة وأوردها الحديث من طرق كثيرة صححها وأورد منها قوله عليه السلام ان يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم يعنى خمسمائة عام وقد خرج هذا الحديث الاخير أبو داود أيضا قال الطبرى وهذا فى معنى ما قبله يشهد له ويبينه

قال ابن اسحق ولما صرفت القبلة الى الشام الى الكعبة وصرفت فى رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو وكعب بن الاشرف ورافع بن أبى رافع والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الاشرف والربيع ابن الربيع بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق فقالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتك التى كنت عليها وأنت تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه ارجع الى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك وانما يريدون بذلك فتنته عن دينه فانزل الله تعالى فيهم سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم أمة وسطا يقول عدلا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه أى ابتلاء واختبارا وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله أى من الفتن اى الذين ثبت الله وما كان الله ليضيع ايمانكم أى ايمانكم بالقبلة الاولى وتصديقكم نبيكم واتباعكم اياه الى القبلة الآخرة أى ليعطينكم أجرهما جميعا ان الله بالناس لرؤف رحيم * ثم قال تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره «قال ابن هشام» شطره نحوه وقصده قال عمرو بن أحمر الباهلى وباهلة بن يعصر بن

فان الوسطى تزيد على السبابة بنصف سبع أصبع كما أن نصف يوم من سبعة نصف سبع ﴿قال المؤلف﴾ وقد مضت الخمسمائة من وفاته الى اليوم بنيف عليها وليس فى قوله لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم ما ينفى الزيادة على النصف ولا فى قوله بعثت أنا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله فقد قيل فى تأويله غير هذا وهو ان ليس بينه وبين الساعة نبي غيره ولا شرع غير شرعه مع التقريب لحينها كما قال سبحانه «اقتربت الساعة وانشق القمر وأتى أمر الله فلا تستعجلوه» ولكن اذا قلنا انه عليه السلام بعث فى الالف الآخر بعد ما مضت منه سنون ونظرنا بعد الى الحروف المقطعة فى أوائل السور وجدناها أربعة عشر حرفا يجمعها قولك * ألم يسطع نص حق كره * ثم نأخذ العدد على حساب أبى جاد فنجد ق مائة و ر مائتين و س ثلاثمائة فهذه ستمائة و ع سبعين و ص ستين فهذه سبعمائة وثلاثون و ن خمسين و ك عشرين فهذه ثمانمائة و م أربعين و ل ثلاثين فهاثمانمائة وسبعون و ى عشرة و ط تسعة و ا واحد فهذه ثمانمائة وتسعون و ح ثمانية و ه خمسة فهذه تسعمائة وثلاثة ولم يسم الله سبحانه فى أوائل السور الا هذه الحروف فليس يبعد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الاشارة الى هذا العدد من السنين لما قدمناه فى حديث الالف السابع الذى بعث فيه عليه السلام غير ان الحساب يحتمل ان يكون من مبعثه أو من وفاته أو من هجرته وكل قريب بعضه من بعض فقد جاء اشراطها ولكن لا تأتيكم الا بغتة وقد روى ان المتوكل العباسى سال جعفر بن عبد الواحد القاضى وهو عباسى أيضاً عما بقى من الدنيا فحدثه بحديث يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحسنت أمتى فبقاؤها يوم من أيام الآخرة وذلك ألف سنة وان أساءت فنصف يوم ففى هذا الحديث تتميم للحديث المتقدم وبيان له اذ قد انقضت الخمسمائة والامة باقية والحمد لله

﴿فصل﴾ ولهذه الحروف فى أوائل السور معان جمة وفوائد لطيفة وما كان الله تعالى لينزل فى الكتاب ما لا فائدة فيه ولا ليخاطب نبيه وذوى ألباب من صحبه بما لا يفهمون وقد أنزله بيانا للناس وشفاء لما فى الصدور ففى تخصيصه هذه الحروف الاربعة عشر بالذكر دون غيرها حكمة بل حكم وفى انزالها مقطعة على هيئة التهجى فوائد علمية وفقهية وفى تخصيصه اياها بأوائل السور وفى ان كانت فى بعض السور دون بعض فوائد أيضاً وفى اقتران الالف باللام وتقدمها عليها معان وفوائد وفى ارداف الالف واللام بالميم تارة وبالراء أخرى ولا توجد الالف واللام فى أوائل السور الا ها كذا مع تكررها ثلاث عشرة مرة فوائد أيضاً وفى انزال الكاف قبل الهاء والهاء قبل الياء ثم العين ثم الصاد من كهيعص معان أكثرها تنبه عليها آيات من الكتاب وتبين المراد بها لمن تدبرها والتدبر والتذكر واجب على أولى الالباب والخوض فى ايراد هذه المعانى والقصد لايضاح ما لاح لى عند الفكر والنظر فيها مع ايراد الشواهد على ذلك من كتاب وأثر وعربية ونظر يخرجنا عن مقصود الكتاب وينأى بنا عن موضوعه والمراد به ويقتضى افراد جزء اشرح ما أمكن من ذلك ولعله ان يكون ان ساعد القدر والله المستعان وهو ولى التوفيق لا شريك له

﴿فصل﴾ وذكر تحويل القبلة وما قاله جماعة يهود حين قالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتك وهم السفهاء من الناس فيهم نزلت هذه الآية وقال سيقول بلفظ الاستقبال لتقدم العلم القديم بانهم سيقولون ذلك أى لم آمركم بتحويلها الا وقد علمت أن سيقولون ما قالوه وقد ذكرنا فى حديث الهجرة وقصة البراء بن معرور فوائد فى معنى تحويل القبلة فلتنظر هنالك وانشد فى تفسير الشطر بيت ابن أحمر

سعد بن قيس بن عيلان يصف ناقة له تعدو بنا شطر جمع وهي عاقدة * قد كارب العقد من ايفادها الحقبا وهذا البيت في قصيدة له وقال قيس بن خويلد الهذلي يصف ناقته ان النعوس بها داء مخامرها * فشطرها نظر العينين محسور وهذا البيت في أبيات له «قال ابن هشام» والنعوس ناقته وكان بها داء فنظر اليها نظر حسير من قوله وهو حسير وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين * قال ابن اسحق الى قوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين * وسال معاذ بن جبل أخو بني سلمة وسعد بن معاذ أخو بني عبد الاشهل وخارجة بن زيد أخو بلحرث بن الخزرج نفرا من احبار يهود عن بعض ما في التوراة فكتموهم اياه وأبوا ان يخبروهم عنه فقال الله تعالى فيهم ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من أهل الكتاب الى الاسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته فقال له رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخيرا منا فأنزل الله في ذلك من قولهما واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله (٣٨) قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون * ولما أصاب الله عز وجل قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود في سوق بني قينقاع حين قدم المدينة فقال يا معشر يهود أسلموا قبل ان يصيبكم الله بمثل ما اصاب به قريشا فقالوا يا محمد لا يغرنك من نفسك انك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال انك والله لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس وانك لم تلق مثلنا فأنزل الله تعالى من قولهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار * ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله فقال له النعمان بن عمرو والحرث بن زيد وعلى أي دين أنت يا محمد قال على ملة ابراهيم ودينه قالا فان ابراهيم كان يهوديا فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلم الى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه فأنزل الله تعالى فيهما ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون * وقال أحبار يهود ونصارى نجران حين اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى من أهل نجران ما كان ابراهيم الا نصرانيا فأنزل الله عز وجل فيهم يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين * وقال عبد الله بن صيف وعدي بن زيد والحرث بن عوف بعضهم لبعض تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد

تعدوا بنا شطر جمع وهي عاقدة * قد قارب العقد من ايفادها الحقبا

وألفيت في حاشية الشيخ على هذا البيت ما هذا نصه قال من ايفادها من اشرافها كذا قال محمد بن عبد الله البرقي وقال كارب موضع قارب ووقع في شعر ابن أحمر

تعدوا بنا عرض جمع وهي موفدة * قد قارب الغرض من ايفادها الحقبا

تعدوا من العدو بنا وبرحلي يعني غلامه عرض جمع يعني مكة وعرض أحب الي وعرض كثرة الناس عن الاصمعي وموفدة أي مشرفة أوفد اذا اشرف وروى غيره وهي عاقدة يريد عنقها لاويتها والغرض البطان وهو حزام الرحل من ايفادها اي اشرافها اقتادت نصبت عنقها وعصرت بذنبها وتخامصت ببطنها فقرب كل واحد من الغرض والحقب من صاحبه بذلك هنا انتهى ما كتبه الشيخ على هذا البيت وأورده وقبل البيت

انشأت اساله عن حال رفقته * فقال حي فان الركب قد نصبا

﴿ فصل ﴾ وذكر ما أنزل الله سبحانه في بني قينقاع وقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم لو حاربتنا لعلمت أنا نحن الناس «قل للذين كفروا ستغلبون الى قوله ترونهم مثليهم رأي العين» فمن قرأه يرونهم بالياء فمعناه ان الكفار يرون المؤمنين مثليهم وان كانوا أقل منهم لما كثرهم بالملائكة (فان قيل) وكيف وهو يقول في آية أخرى ويقللكم في أعينهم (قيل) كان هذا قبل القتال عندما حزر الكفار المؤمنين فرأوهم قليلا فتجاسروا عليهم ثم أمدهم الله بالملائكة فرأوهم كثيرا فانهزموا وقيل ان الهاء في يرونهم عائدة على الكفار وان

وأصحابه غدوة ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينه فأنزل الله تعالى فيهم يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * وقال أبو رافع القرظى حين اجتمعت الاحبار من يهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام أتريد منا يا محمد ان نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم وقال رجل من أهل نجران نصرانى يقال له الربيس ويروى الربيس والرئيس أوذاك تريد منا يا محمد واليه تدعونا أو كما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره فما بذلك بعثنى الله ولا أمرنى أو كما قال صلى الله عليه وسلم قال فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون الى قوله تعالى بعد اذ أنتم مسلمون «قال ابن هشام» الربانيون العلماء الفقهاء السادة واحدهم ربانى قال الشاعر

لو كنت مرتهنا فى القوس أفتننى * منها الكلام وربانى أحبار

«قال ابن هشام» القوس صومعة الراهب وأفتننى لغة تميم وفتننى لغة قيس * قال ابن اسحق ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون * قال ابن اسحق ثم ذكر ما أخذ الله عليهم وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه اذ هو جاءهم واقرارهم على أنفسهم فقال واذ أخذ الله (٣٩) ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى يقول ميثاقى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين الى آخر القصة * قال ابن اسحق ومر شاس بن قيس وكان شيخا قد عسى عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية فقال قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فأمر فتى شابا من يهود كان معه فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه يومئذ للاوس على الخزرج وكان على الاوس يومئذ حضير بن سماك الاشهلى أبو أسيد بن حضير وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضى فقتلا جميعا «قال ابن هشام» قال أبو قيس بن الاسلت

على ان قد فجعت بذى حفاظ * فعاودنى له حزن رصين
فاما تقتلوه فان عمرا * اعض برأسه عضب سنين

وهذان البيتان فى قصيدة له وحديث يوم بعاث أطول مما ذكرت وانما منعنى من استقصائه ما ذكرت من القطع «قال ابن هشام» سنين مسنون من سنه شحذه * قال ابن اسحق ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب أوس ابن قيظى أحد بنى حارثة بن الحرث من الاوس وجبار بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه ان شئتم رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا موعدكم الظاهرة والظاهرة الحرة السلاح السلاح فخرجوا اليها فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين اظهركم بعد ان هداكم الله للاسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بين قلوبكم فعرف القوم انها نزعة من الشيطان وكيد

المؤمنين رأوهم مثليهم وكانوا ثلاثة أمثالهم فقللهم فى عيون المؤمنين وأما من قرأها بالتاء فيجوز أن يكون الخطاب لليهود أى ترون المشركين يوم بدر مثلى المؤمنين وذلك انهم كانوا ألفا فانخذل عنهم الاخنس بن شريق ببنى زهرة فصاروا سبعمائة أو نحوها ويجوز أن يكون الخطاب للمشركين أى ترون أيها المشركون المؤمنين مثليهم حين أمدهم الله بالملائكة فيعود الكلام الى المعنى الاول الذى قدمناه فى قراءة من قرأ بالياء وفى الآية تخليط عن الفراء أضربنا عن ذكره وجل ما ذكرناه آنفا مذكور فى التفاسير بألفاظ مختلفة * وذكر ابن هشام فى الربانيين انهم العلماء الفقهاء السادة وفى البخارى عن بعض أهل العلم قال الربانيون الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره وقيل نسبوا الى علم الرب والفقه فيما أنزل وزيدت فيه الالف والنون لتفخيم الاسم وأنشد ابن هشام

لو كنت مرتهنا فى القوس افتننى * منها الكلام وربانى أحبار

وقال القوس الصومعة ومن كلام العرب أنا بالقوس وأنت بالقرقوس فكيف نجتمع وقال فى افتننى هى لغة تميم وفرق سيبويه بين فتنته وأفتنته وجعله من قول الخليل قال افتنته صيرته مفتتنا أو نحو هذا وفتنته جعلت

من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس والخزرج بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس فانزل الله تعالى فى شاس بن قيس وماصنع قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ماتعملون قل ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون وأنزل الله فى أوس بن قيظى وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ماصنعوا عما أدخل عليهم شاس من أمر الجاهلية ياأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون الى قوله تعالى وأولئك لهم عذاب عظيم * قال ابن اسحق ولما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا فى الاسلام ورسخوا فيه قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم ما آمن بمحمد ولا اتبعه الا شرارنا ولو كانوا من أخيارنا ماتركوا دين آبائهم وذهبوا الى غيره فانزل الله تعالى فى ذلك من قولهم ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون « قال ابن هشام » آناء الليل ساعات الليل وواحدها انى قال المتنخل الهذلى واسمه مالك بن عويمر يرثى أثيلة ابنه

حلو ومر كعطف القدح شيمته * فى كل انى قضاه الليل ينتعل وهذا البيت فى قصيدة له وقال لبيد بن ربيعة يصف حمار وحش

يطرب آناء النهار كأنه * غوى سقاه فى التجار نديم وهذا البيت فى قصيدة له ويقال انى مقصور فيما أخبرنى يونس يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين * قال ابن اسحق وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف فى الجاهلية فانزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مباطنتهم ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها أنتم (٤٠) أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله أى تؤمنون بكتابكم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فانتم كنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم الى آخر القصة * ودخل أبو بكر الصديق بيت المدراس على يهود فوجد منهم ناسا كثيرا قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم ومعه حبر من أحبارهم يقال له اشيع فقال ابو بكر لفنحاص ويحك يافنحاص اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا الرسول الله قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل فقال فنحاص لابى بكر والله ياأبا بكر مابنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا وانا عنه لاغنياء وماهو عنا بغنى ولو كان عنا غنيا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا قال فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت رأسك أى عدو الله قال فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد انظر ماصنع بى صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر ماحملك على ماصنعت فقال أبو بكر يارسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما انه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص وقال ماقلت ذلك فانزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقا لابى بكر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ونزل فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وما بلغه فى ذلك من الغضب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور * ثم قال فيما قال فنحاص والاحبار من يهود واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم يعنى فنحاص واشيع واشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أن يقول الناس علماء وليسوا باهل علم لم يحملوهم على هدى ولا حق ويحبون ان يقول الناس قد فعلوا * قال ابن اسحق وكان كردم بن قيس حليف كعب بن الاشرف واسامة بن حبيب ونافع بن أبى نافع وبحرى بن عمرو وحيى بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت يأتون رجالا من

فيه فتنة كما تقول كحلته جعلت فى عينيه كحلا ومآل هذا الفرق الى أن فتنته صرفته فجاء على وزنه لان المفتون مصروف عن حق وأفتنته بمعنى أضللته وأغويته فجاء على وزن ماهو فى معناه وأما فتنت الحديدة فى النار فعلى وزن فعلت لا غير لانها فى معنى خبرتها وبلوتها ونحو ذلك

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن هشام فى تفسير آناء الليل قال واحد الآناء انى واستشهد عليه بقول الهذلى ثم اغرب بما

الانصار يخالطونهم كانوا ينتصحون لهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر في ذهابها ولا تسارعوا في النفقة فانكم لا تدرون علام يكون فانزل الله فيهم الذين يبخلون و يامرون الناس بالبخل و يكتمون ما آتاهم الله من فضله أي من التوراة التي فيها تصديق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر الى قوله وكان الله بهم عليما * قال ابن اسحق وكان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه وقال ارعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ثم طعن في الاسلام وعابه فانزل الله فيه ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة و يريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه و يقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا أي راعنا سمعك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا * وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود منهم عبد الله بن صوري الاعور وكعب بن أسد فقال لهم يامعشر يهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك يا محمد فجحدوا ما عرفوا وأصروا على الكفر فانزل الله تعالى فيهم يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا «قال ابن هشام» نطمس نمسحها فنسويها فلا يرى فيها عين ولا أنف ولا فم ولا شيء مما يرى في الوجه وكذلك فطمسنا أعينهم المطموس العين الذي ليس بين جفنيه شق و يقال طمست الكتاب والاثر فلا يرى منه شيء قال الاخطل واسمه الغوث بن هبيرة بن الصلت التغلبي يصف ابلا كلفها ما ذكر

وتكليفناها كل طامسة الصوى * شطون ترى حرباءها يتململ وهذا البيت في قصيدة له «قال ابن هشام» واحدة الصوى صوة والصوى الاعلام التي تستدل بها على الطريق والمياه «قال ابن هشام» يقول مسحت فاستوت الارض فليس فيها شيء ناتىء * قال ابن اسحق وكان الذين حزبوا الاحزاب من قريش وغطفان و بني قريظة حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وأبو رافع والربيع بن الربيع ابن أبي الحقيق وأبو عمار ووحوح بن عامر وهوذة بن قيس فاما وحوح وأبو عمار (٤١) وهوذة فمن بني وائل وكان سائرهم من بني النضير فلما قدموا على قريش قالوا هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتاب الاول فسلوهم أدينكم خير أم دين محمد فسألوهم فقالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه وممن اتبعه فأنزل الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت «قال ابن هشام» الجبت عند العرب ما عبد من دون الله تبارك وتعالى والطاغوت كل ما أضل عن الحق وجمع الجبت جبوت والطاغوت طواغيت «قال ابن هشام» و بلغنا عن ابن أبي نجيح انه قال الجبت السحر والطاغوت الشيطان و يقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا * قال ابن اسحق الى قوله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما * وقال سكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى فانزل الله تعالى في ذلك من قولهما انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب والاسباط وعيسى وأيوب و يونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما * ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم فقال لهم اما والله انكم لتعلمون اني رسول من الله قالوا ما نعلمه وما نشهد عليه فانزل الله تعالى في ذلك من قولهم لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا * وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير يستعينهم على دية العامريين اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري فلما خلا بعضهم ببعض قالوا لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن فمن رجل يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش بن كعب انا فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فانصرف عنهم فانزل الله تعالى فيه وفيما اراده وقومه يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون * وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضا و بحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى فأنزل الله تعالى فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير * قال ابن اسحق ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود الى الاسلام ورغبهم فيه وحذرهم غير الله وعقوبته

حدثنيه يونس فقال و يقال إلي فيما حدثني يونس بن حبيب وهذا الذي قاله آخرا هو لغة القرآن قال الله تعالى غير ناظرين إناه

فأبوا عليه وكفروا بما جاءهم به فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب يامعشر يهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون أنه رسول الله وقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهودا ماقلنا لكم هذا قط وما أنزل من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شىء قدير * ثم قص عليهم خبر موسى وما لقى منهم وانتقاضهم عليه وما ردوا عليه من أمر الله حتى تاهوا فى الارض أربعين سنة عقوبة * قال ابن اسحق وحدثنى ابن شهاب الزهرى انه سمع رجلا من مزينة من أهل العلم يحدث سعيد بن المسيب ان أباهريرة حدثهم ان أحبار يهود اجتمعوا فى بيت المدراس حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد زنى رجل منهم بعد احصانه بامرأة من يهود قد أحصنت فقالوا ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة الى محمد فسلوه كيف الحكم فيهما وولوه الحكم عليهما فان عمل فيهما بعملكم من التجبية والتجبية الجلد بحبل من ليف مطلى بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين فاتبعوه فانما هو ملك وصدقوه وان هو حكم فيهما بالرجم فانه نبى فاحذروه على مافى أيديكم ان يسلبكموه فأتوه فقالوا يامحمد هذا رجل قد زنى بعد احصانه بامرأة قد أحصنت فاحكم فيهما فقد وليناك الحكم فيهما فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارهم فى بيت المدراس فقال يامعشر يهود اخرجوا الى علمائكم فاخرجوا له عبد الله بن صوريا * قال ابن اسحق وقد حدثنى بعض بنى قريظة انهم قد أخرجوا اليه يومئذ مع ابن صوريا أبا ياسر بن أخطب ووهب بن يهودا فقالوا هؤلاء علماؤنا فسائلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حصل أمرهم الى أن قالوا لعبد الله بن صوريا هذا من أعلم من بقى بالتوراة « قال ابن هشام » من قوله وحدثنى بعض بنى قريظة الى أعلم من بقى بالتوراة من قول ابن اسحق وما بعده من الحديث الذى قبله فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاما شابا من أحدثهم سنا فألظ به رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة يقول يا ابن صوريا أنشدك الله وأذكرك بأيامه عند بنى اسرائيل هل تعلم ان الله حكم فيمن زنى بعد احصانه بالرجم فى التوراة قال اللهم نعم أما والله يا أبا القاسم انهم ليعرفون انك لنبى مرسل ولكنهم يحسدونك قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بهما فرجما عند باب مسجده فى بنى غنم بن مالك بن النجار ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا وجحد نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق فأنزل الله تعالى فيهم ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم أى الذين بعثوا منهم من بعثوا وتخلفوا وأمروهم بما أمروهم به من تحريف الحكم عن مواضعه ثم قال يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه أى الرجم فاحذروا الى آخر القصة * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة عن اسمعيل بن ابراهيم عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما فرجما بباب مسجده فلما وجد اليهودى مس الحجارة قام الى صاحبته فجنا عليها يقيها مس الحجارة حتى قتلا جميعا قال وكان

﴿فصل﴾ وذكر ابن اسحق جملا من الآيات المنزلة فى قصص الاحبار ومسائلهم كلها واضحة والتكلم عليها يخرج عن غرض الكتاب الى تفسير القرآن وفى جملتها قوله تعالى «ايان مرساها» وقال الفراء فى ايان هى كلمتان جعلت واحدة والاصل اى آن والآن والاوان بمعنى واحد كما يقال راح ورياح وانشد
* نشاوى تساقوا بالرياح المفلفل * وقد ذكر الهروى فى ايان وجها آخر قال يجوز ان يكون أصله ايوان فادغمت الياء فى الواو مثل قيام * وذكر آية التيه وحبس بنى اسرائيل فيه اربعين سنة عقوبة من الله تعالى لمخالفتهم امره حين فزعوا من الجبارين لعظم اجسامهم وقال لهم رجلان وهم يوشع بن نون من سبط يوسف وكالب بن يوفنا من سبط يامين «ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون» فلما عصوهما دعا عليهم موسى فتاهوا أى تحيروا وكانوا ستمائة ألف مقاتل فتاهوا فى ستة فراسخ من الارض يمشون النهار كله ثم يمسون حيث أصبحوا ويصبحون حيث أمسوا وفى تلك السنين أنزل عليهم المن والسلوى لانهم شغلوا عن المعاش بالتيه فى الارض وأبقيت عليهم ثيابهم لا تخلق ولا تتسخ وتطول مع الصغير اذا طال وفيها استسقى لهم موسى فأمر أن يأخذ حجرا من الطور فيضربه بعصاه فتفجرت منه اثنتا عشرة عينا وفيها ظلل عليهم الغمام لانهم كانوا فى البرية فظللوا من الشمس وذلك أن موسى كان ندم حين دعا عليهم لما رأى من جهدهم وحيرتهم فى التيه فكان يدعو الله لهم فى هذه الامور لئلا يهلكوا فى التيه جوعا أو عريا أو عطشا فلما آسى عليهم قال الله «لا تأس على القوم الفاسقين» أى الذين فسقوا أى خرجوا عن أمرك ومات فى أيام التيه جميع كبارهم الا يوشع وكالب فما دخل الارض على الجبارين الا خلوفهم وأبناؤهم وقيل ان موسى مات فى تلك السنين أيضا ولم يشهد الفتح مع يوشع وقيل بل كان مع يوشع حين افتتحها
﴿فصل﴾ وذكر المرجومة من اليهود وان صاحبها الذى رجم معها حنا عليها بنفسه ليقيها الحجارة حنا بالحاء

ذلك مما صنع الله به لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تحقيق الزنا منهما * قال ابن اسحق وحدثنى صالح بن كيسان عن نافع مولى عبد الله بن عمر
عن عبد الله بن عمر قال لما حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما دعاهم بالتوراة وجلس حبر منهم يتلوها وقد وضع يده على آية الرجم قال
فضرب عبد الله بن سلام يد الحبر ثم قال هذه يا نبى الله آية الرجم يأبى أن يتلوها عليك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكم يا معشر يهود
ما دعاكم الى ترك حكم الله وهو بأيديكم قال فقالوا أما انه قد كان فينا يعمل به حتى زنى رجل منا بعد احصانه من بيوت الملوك وأهل الشرف فمنعه
الملك من الرجم ثم زنى رجل بعده فأراد أن يرجمه فقالوا لا والله حتى ترجم فلانا فلما قالوا له ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التجبيه وأماتوا
ذكر الرجم والعمل به قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا أول من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به ثم أمر بهما فرجما عند باب مسجده قال
عبد الله بن عمر فكنت فيمن رجمهما * قال ابن اسحق وحدثنى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس ان الآيات من المائدة التى قال الله
فيها فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين انما أنزلت فى الدية
بين بنى النضير وبين بنى قريظة وذلك ان قتلى بنى النضير وكان لهم شرف يؤدون الدية كاملة وان بنى قريظة يؤدون نصف الدية فتحاكموا فى
ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ذلك فيهم فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق فى ذلك فجعل الدية سواء * قال
ابن اسحق فالله أعلم أى ذلك كان * قال ابن اسحق وقال كعب بن أسد وابن صلوبا وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس بعضهم لبعض
اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فانما هو بشر فأتوه فقالوا له يا محمد انك قد عرفت انا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم وانا ان اتبعناك
اتبعتك يهود ولم يخالفوا وان بيننا وبين بعض قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضى لنا عليهم ونؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليهم فأنزل الله فيهم وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع (٤٣) أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن
بعض ما أنزل الله اليك فان
تولوا فاعلم انما يريد الله ان
يصيبهم ببعض ذنوبهم
وان كثيراً من الناس لفاسقون
أفحكم الجاهلية يبغون ومن
أحسن من الله حكما لقوم
يوقنون * قال ابن اسحق
وأتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم نفر منهم أبو ياسر بن أخطب ونافع ابن أبى نافع وعازر بن أبى عازر وخالد وزيد وازار بن أبى ازار وأشيع فسألوه عمن يؤمن به من
الرسل فقال صلى الله عليه وسلم نؤمن بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى
وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى بن مريم جحدوا نبوته وقالوا لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن
آمن به فأنزل الله تعالى فيهم قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وان أكثركم فاسقون * وأتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حريملة فقالوا يا محمد ألست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه
وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد انها من الله حق قال بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها وكتمتم
منها ما أمرتم ان تبينوه للناس فبرئت من احداثكم قالوا فانا نأخذ بما فى أيدينا فانا على الهدى والحق ولا نؤمن بك ولا نتبعك
فأنزل الله تعالى فيهم قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين * قال ابن اسحق وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم النحام بن زيد وقردم
ابن كعب وبحرى بن عمرو فقالوا له يا محمد أما تعلم مع الله الهاً غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو بذلك بعثت والى ذلك
أدعو فأنزل الله فيهم وفى قولهم قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم
لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد واننى برئ مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم
الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون وكان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد أظهرا الاسلام ونافقا فكان رجال من المسلمين
يوادونهما فأنزل الله تعالى فيهما يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار

بالحاء تقيد فى احدى الروايتين عن أبى الوليد وكذلك فى الموطا من رواية يحيى فجعل يحنى عليها وفى الرواية
الاخرى عن أبى الوليد جنأ بالجيم والهمز وعلى هذه الرواية فسره أبو عبيد والجناء الانحناء قال الشاعر عوف
ابن محلم وبدلتنى بالشطاط انحنا * وكنت كالصعدة تحت السنان
وفى حنوه عليها من الفقه انهما لم يكونا فى حفرتين كما ذهب اليه كثير من الفقهاء فى سنة الرجم وكذلك
روى عن على رحمه الله انه حفر لشراحة بنت مالك الهمدانية حين رجمها وأما الاحاديث فأكثرها
على ترك الحفر للمرجوم واسم هذه المرجومة بسرة فيما ذكر بعض أهل العلم وفى قصتهما
أنزل الله « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة » الآية الى قوله « يحكم بها النبيون الذين أسلموا »

أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين الى قوله واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون وقال جبل ابن أبي قشير وشمويل بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبياً كما تقول فانزل الله تعالى فيهما يسالونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تاتيكم الا بغتة يسألونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون «قال ابن هشام» أيان مرساها متى مرساها قال قيس بن الحداد الخزاعي

فجئت ومخفى السر بيني وبينها * لأسألها أين من سار راجع

وهذا البيت في قصيدة له ومرساها منتهاها وجمعه مراس قال الكميت بن زيد

والمصيبين باب ما أخطأ النا * س ومرسى قواعد الاسلام

وهذا البيت في قصيدة له ومرسى السفينة حتى تنتهي وحفي عنها على التقديم والتاخير يقول يسئلونك عنها كانك حفي بهم فتخبرهم بما لا تخبرهم غيرهم والحفي البر المتعهد وفي كتاب الله انه كان بي حفيا وجمعه أحفياء وقال أعشى بن قيس بن ثعلبة

فان تسالي عني فيارب سائل * حفي عن الاعشى به حيث أصعدا

وهذا البيت في قصيدة له والحفي أيضا المستحفي عن علم الشيء المبالغ في طلبه «قال ابن اسحق» وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام ابن مشكم ونعمان بن أوفى أبو أنس ومحمود بن دحية وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا له كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فانزل الله عز وجل (٤٤) في ذلك من قولهم وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون الى آخر القصة «قال ابن هشام» يضاهون أي يشاكل قولهم قول الذين كفروا نحو ان تحدث بحديث فيحدث آخر بمثله فهو يضاهيك * قال ابن اسحق وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سبحان ونعمان بن أضاو بحري بن عمرو وعزير بن أبي عزير وسلام ابن مشكم فقالوا أحق يا محمد ان هذا الذي جئت به لحق من عند الله فانا لا نراه متسقاً كما تتسق التوراة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله انكم لتعرفون انه من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة ولو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاؤا به فقالوا عند ذلك وهم جميع فنحاص وعبد الله بن صوريا وابن صلوبا وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وأشيع بن كعب بن أسد وشمويل بن زيد وجبل بن عمرو بن سكينة يا محمد ما يعلمك هذا انس ولا جن فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله انكم لتعلمون انه من عند الله واني لرسول الله تجدون ذلك مكتوبا عندكم في التوراة فقالوا يا محمد فان الله يصنع لرسوله اذا بعثه ما يشاء ويقدر منه على ما أراد فأنزل علينا كتابا من السماء نقرؤه ونعرفه والا جئناك بمثل ما تأتي به فانزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً «قال ابن هشام» الظهير العون ومنه قول العرب تظاهروا عليه أي تعاونوا عليه قال الشاعر

ياسمي النبي أصبحت للـ * ـدين قواما وللامام ظهيرا

أي عونا وجمعه ظهراء * قال ابن اسحق وقال حيي بن أخطب وكعب بن أسد وأبو رافع وأشيع وشمويل بن زيد لعبد الله بن سلام حين أسلم ما تكون النبوة في العرب ولكن صاحبك ملك ثم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه عن ذي القرنين فقص عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه مما كان قص على قريش وهم كانوا ممن أمر قريشاً أن يسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه حين بعثوا اليهم النضر بن الحرث وعقبة بن أبي معيط * قال ابن اسحق وحدثت عن سعيد بن جبير انه قال أتى رهط من يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

يعني محمدا ومن حكم بالرجم قبله لانه حكم بالرجم لأولئك اليهود الذين تحاكموا اليه والربانيون يعني عبد الله ابن سلام وابن صوري من الاحبار بما استحفظوا من كتاب الله لانهم حفظوا ان الرجم في التوراة لكنهم بدلوا وغيروا وكانوا عليه شهداء لانهم شهدوا بذلك على اليهود الى قوله «ومن لم يحكم بما أنزل الله» فحكم بالرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يبين لك ان الرجم في القرآن وعلى هذا فسره مالك فيما بلغني ولذلك قال عليه السلام للرجلين لاحكمن بينكما بكتاب الله فحكم بالرجم كما في الكتاب المنزل على موسى وعلى محمد صلى الله عليهما وقد قيل في معنى الحديث أقوال غير هذا والصحيح ما ذكرنا واستشهد ابن هشام في تفسير الجهرة بقول أبي الاخزر الحماني واسمه قتيبة وحمان هو ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم فقال * تجهر أفواه المياه السدم * يقال ماء سدام اذا غطاه الرمل وجمعه سدم وجمعه على سدم غريب ويقال أيضا سدم واسدام ونحو من قوله يجهر قول عائشة رضي الله عنها في أبيها واجتهر دفن الرواء وأنشد في تفسير القوم وانه البر

فوق شيزى مثل الجوابي عليها * قطع كالوذيل في نقي فوم

الشيزى خشب أسود تصنع منه الجفان والوذيل جمع وذيلة وهي السبيكة من الفضة قال الشاعر

وتريك وجها كالوذيـ * ـلة لا ريان ممتلئ ولا جهم

فقالوا يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضبا لربه قال فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه فقال خفض عليك يا محمد وجاءه من الله بجواب ماسالوه عنه قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد قال فلما تلاها عليهم قالوا فصف لنا يا محمد كيف خلقه كيف ذراعه كيف عضده فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الاول وساورهم فاتاه جبريل عليه السلام فقال له مثل ما قال له أول مرة وجاءه من الله تعالى بجواب ماسالوه يقول الله تعالى وماقدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون * قال ابن اسحق وحدثني عتبة ابن مسلم مولى بني تيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوشك الناس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلهم هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ثم ليتفل الرجل عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم «قال ابن هشام» الصمد الذي يصمد ويفزع اليه قالت هندة بنت معبد بن نضلة تبكى عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة عميها الاسديين وهما اللذان قتل النعمان بن المنذر اللخمي وبنى الغريين اللذين بالكوفة عليهما

ألا بكر الناعي بخيرى بني أسد * بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

* قال ابن اسحق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم في الاربعة عشر منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول أمرهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل أسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدراسهم وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له موجها والى جنبه أخ له يقال له كوز بن علقمة «قال ابن هشام» ويقال كرز فعثرت بغلة أبي حارثة فقال كوز تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو حارثة بل أنت تعست فقال ولم يا أخي قال والله انه للنبي الذي كنا ننتظر فقال له كوز وما يمنعك منه وأنت تعلم هذا قال ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا الا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك فهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغني «قال ابن هشام» وبلغني ان رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا عندهم فكلما مات رئيس منهم فافضت الرياسة الى غيره ختم على تلك الكتب خاتما من الخواتم التي كانت قبله ولم يكسرها فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يمشي فعثر فقال ابنه تعس الابعد يريد النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبوه لا تفعل فانه نبي واسمه في الوضائع يعني الكتب فلما مات لم تكن لابنه همة الا ان شد

ومنه قول عمرو بن العاصي لمعاوية أما والله لقد ألفيت أمرك وهو أشد انفضاحا من حق الكهول كذاك رواه الهروي وقال ابن قتيبة الكهدل فمازلت أرمه بوذائله وأصله بوصائله حتى تركته على مثل فلكة المدرحق الكهول بيت العنكبوت وكما قاله الهروي قاله أبو عمر الزاهد في كتاب الياقوت وكما وقع في غريب الحديث للقتبي قاله أبو عبد الله بن القزاز في الكتاب الكبير قال الكهدل العنكبوت وقيل في الكهول انه ثدي العجوز وفي العين الوذيلة المرآة وقيل في الفوم انه الثوم واختاره ابن قتيبة واحتج بأنه في مصحف عبد الله بن مسعود وثومها ولا حجة في هذا الماذكره أبو حنيفة في النبات ان الثوم هو البر وانه يقال بالفاء وبالثاء ومن الشاهد على الفوم وانه البر قول أبي أحيحة بن الجلاح وقيل هو لابي محجن الثقفي

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا * سكن المدينة عن زراعة فوم

وأنشد في بعض ما فسر بيت الاخطل قال وهو الغوث بن هبيرة بن الصلت يكنى ابا مالك والمعروف غياث ابن الغوث بن هبيرة بن الصلت وسمى الاخطل لقوله

لعمرك انني وابني جعيل * وأمهما لاستار لئيم

كل أربعة استار قيل ان كعب بن جعيل قال له في خبر جرى بينهما والاخطل يومئذ غلام يقرزم أي كان يبتدىء بقول الشعر * قبح ذاك الوجه غب ألحمه * فقال الاخطل ولم يكن * وفعل كعب بن جعيل أمه * فقال جعيل انك لاخطل

﴿ ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم ﴾

قد تقدم أن نجران عرفت بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان وأما أهلها فهم بنو الحرث ابن كعب من مذحج * ذكر فيه قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم من أبواه يا محمد يعنون عيسى فانزل الله تعالى

فكسر الخواتم فوجد فيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم فحسن اسلامه وحج وهو الذى يقول

اليها تعدو قلقا وضينها * معترضا فى بطنها جنينها * مخالفا دين النصارى دينها * «قال ابن هشام» وزاد فيه أهل العراق * معترضا فى بطنها جنينها * فاما أبو عبيدة فانشدها فيه «قال ابن هشام» الوضين حزام الناقة * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن جعفر ابن الزبير قال لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا عليه فى مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية فى جمال رجال بنى الحرث بن كعب قال يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ما رأينا بعدهم وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق * قال ابن اسحق وكان تسمية الاربعة عشر الذين يؤل اليهم أمرهم العاقب وهو عبد المسيح والسيد وهو الايهم وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل وأوس والحرث وزيد وقيس ويزيد ونبيه وخويلد وعمرو وخالد وعبد الله ويحنس فى ستين راكبا فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة والعاقب عبد المسيح والايهم السيد وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف من أمرهم يقولون هو الله ويقولون هو ولد الله ويقولون هو ثالث ثلاثة وكذلك قول النصرانية فهم يحتجون فى قولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرىء الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائرا وذلك كله بامر الله تبارك وتعالى ولنجعله آية للناس ويحتجون فى قولهم انه ولد بانهم يقولون لم يكن له أب يعلم وقد تكلم فى المهد وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله ويحتجون فى قولهم انه ثالث ثلاثة يقول الله فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحدا ما قال الا فعلت وقضيت وأمرت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم ففى كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالا قد أسلمنا قال انكما لم تسلما قالا بلى قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا فمن أبوه يا محمد فصمت عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهما فانزل الله تعالى فى ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها فقال عز وجل الم الله لا اله الا

ان مثل عيسى عند الله الى قوله كن فيكون وفيها نكتة فان ظاهر الكلام أن يقول خلقه من تراب ثم قال له كن فكان فيعطف بلفظ الماضى على الماضى والجواب ان الفاء تعطى التعقيب والتسبيب فلو قال فكان لم تدل الفاء الا على التسبيب وان القول سبب للكون فلما جاء بلفظ الحال دل مع التسبيب على استعقاب الكون للامر من غير مهل وان الامر بين الكاف والنون قال له كن فاذا هو كائن واقتضى لفظ فعل الحال كونه فى الحال (فان قيل) وهى مسئلة أخرى ان آدم مكث دهرا طويلا وهو طين صلصال وقوله للشيء كن فيكون يقتضى التعقيب وقد خلق السموات والارض فى ستة أيام وهى ستة آلاف سنة فاين قوله كن فيكون من هذا (فالجواب) ما قاله أهل العلم فى هذه المسئلة وهو أن قول البارى سبحانه كن يتوجه الى المخلوق مطلقا ومقيدا فاذا كان مطلقا كان كما أراد لحينه واذا كان مقيدا بصفة أو بزمان كان كما أراد على حسب ذلك الزمان الذى تقيد الامر به فان قال له كن فى ألف سنة كان فى ألف سنة وان قال له كن فيما دون اللحظة كان كذلك

﴿ فصل ﴾ وذكر صدر سورة آل عمران وفسر منه كثيرا فمنه قوله سبحانه «منه آيات محكمات» وهو ما لا يحتمل الا تأويلا واحدا وهو عندى من أحكمت الفرس بحكمته أى منعته من العدول عن طريقه كما قال حسان * ونحكم بالقوافى من هجانا * أى نلجئه فنمنعه وكذلك الآية المحكمة لا تتصرف بقارئها التأويلات ولا تتعارض عليه الاحتمالات وليس من لفظ الحكمة لان القرآن كله حكمة وعلم والمتشابه يميل بالناظر فيه الى وجوه مختلفة وطرق متباينة وقوله سبحانه «كتاب أحكمت آياته» هذا من الحكمة ومن الاحكام الذى هو الاتقان فالقرآن كله محكم على هذا وهو كله من هذا الوجه متشابه أيضا لان بعضه يشبه بعضا فى براعة اللفظ واعجاز النظم وجزالة المعنى وبدائع الحكمة فكله متشابه وكله محكم وعلى المعنى الاول منه آيات محكمات وأخر متشابهات فاهل الزيغ يعطفون المتشابه على أهوائهم ويجادلون به عن آرائهم والراسخون فى العلم يردون المتشابه الى المحكم أخذا بقول الله تعالى «فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول» وعلما بان الكل من عند الله فلا يخالف بعضه بعضا روت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى «فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله» قال اذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم أولئك فاحذروهم وللسلف فى معنى المحكم ومعنى المتشابه أقوال متقاربة الا ان منهم من يرى الوقف على قوله «وما يعلم تأويله الا الله» ويرونه تمام الكلام ويحتجون بقراءة ابن عباس

هو الحي القيوم فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا وتوحيده اياها بالخلق والامر لا شريك له فيه ردا عليهم ما ابتدعوا من الكفر وجعلوا معه من الانداد واحتجاجا بقولهم عليهم في صاحبهم ليعرفهم بذلك ضلالتهم فقال الم الله لا اله الا هو الحي القيوم ليس معه غيره شريك في أمره الحي القيوم الحي الذي لا يموت وقد مات عيسى وصلب في قولهم والقيوم القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول وقد زال عيسى في قولهم عن مكانه الذي كان به وذهب عنه الى غيره نزل عليك الكتاب بالحق أي بالصدق فيما اختلفوا فيه وأنزل التوراة والانجيل التوراة على موسى والانجيل على عيسى كما نزل على من كان قبله وأنزل الفرقان أي الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الاحزاب من أمر عيسى وغيره ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام أي ان الله منتقم ممن كفر بآيات الله بعد علمه بها ومعرفته بما جاء منه فيها ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء أي قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم في عيسى اذ جعلوه الها وربا وعندهم من علمهم غير ذلك غرة بالله وكفرا به هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء أي قد كان عيسى ممن صور في الارحام لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه كما صور غيره من ولد آدم فكيف يكون الها وقد كان بذلك المنزل ثم قال تعالى انزاها لنفسه وتوحيدا لها مما جعلوا معه لا اله الا هو العزيز الحكيم العزيز في انتصاره ممن كفر به اذا شاء الحكيم في حجته وعذره الى عباده هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات فيهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه وأخر متشابهات لهن تصريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام أن لا يصرفن الى الباطل ولا يحرفن عن الحق يقول الله عز وجل فأما الذين في قلوبهم زيغ أي ميل عن الهدى فيتبعون ما تشابه منه أي ما تصرف منه ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ليكون لهم حجة ولهم على ما قالوا شبهة ابتغاء الفتنة أي اللبس وابتغاء تأويله ذلك على ما ركبوا من الضلالة في قولهم خلقنا وقضينا يقول وما يعلم تأويله الذي به أرادوا ما أرادوا الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فكيف يختلف فيه وهو قول واحد من رب واحد ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا تأويل لاحد فيها الا تأويل واحد فاتسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضا فنفذت به الحجة وظهر به العذر وزاح به الباطل ودمغ به الكفر يقول الله تعالى في مثل هذا وما يذكر الا أولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا أي لا تمل قلوبنا وان ملنا باحداثنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب * ثم قال شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم بخلاف ما قالوا قائما بالقسط أي بالعدل فيما يريد لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام أي ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للرب والتصديق للرسل وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم الذي جاءك أي ان الله الواحد الذي ليس له شريك بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك أي بما يأتون به من الباطل من قولهم خلقنا وفعلنا وأمرنا فانما هي شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق فقل أسلمت وجهي لله أي وحده ومن اتبعن

ويقول الراسخون في العلم وهو قول عمر بن عبد العزيز ان الراسخين في العلم لا يعلمون التأويل وان علموا التفسير والتأويل عند هؤلاء غير التفسير انما هو عندهم في معنى قوله سبحانه «يوم يأتي تأويله» وطائفة يرون أن قوله والراسخون معطوف على ما قبله وانهم عالمون بالتأويل ويحتجون بما يطول ذكره من أثر ونظر والذي أرتضيه من ذلك مذهب ثالث وهو الذي قاله ابن اسحق في هذا الكتاب ومعناه كله أن الكلام قد تم في قوله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم مبتدأ لكن لا نقول انهم لا يعلمون تأويله كما قالت الطائفة الاولى ولكن نقول انهم يعلمونه برد المتشابه الى المحكم وبالاستدلال على الخفي بالجلي وعلى المختلف فيه بالمتفق عليه فتنفذ بذلك الحجة ويزاح الباطل وتعظم درجة العالم عند الله تعالى لانه يقول آمنت به كل من عند ربي فكيف يختلف ولما كان العلمان مختلفين علم الله وعلم الراسخين في العلم لم يجز عطف الراسخون على ما قبله فالله يعلم تأويله بالعلم القديم لا بتذكر ولا بتفكر ولا بتدقيق نظر ولا بفحص عن دليل فلا يعلم تأويله هكذا الا الله والراسخون في العلم يعلمون تأويله بالفحص عن الدليل وبتدقيق النظر وتسديد العبر فهم كما قال الله تعالى «وما يذكر الا أولوا الالباب» وهذا معنى كلام ابن اسحق في الآية

﴿ فصل ﴾ وذكر احتجاج الاحبار والقسيسين من أهل نجران بقوله عز وجل خلقنا وأمرنا وأشباه ذلك وقالوا هذا يدل على انه ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم وهذا من الزيغ بالمتشابه دون رده الى المحكم نحو قوله «وإلهكم إله واحد» و «قل هو الله أحد» والعجب من ضعف عقولهم كيف احتجوا على محمد بما أنزل على محمد وهو أعلم بمعنى ما أنزل عليه لان هذا اللفظ الذي احتجوا به مجاز عربي وليس هو لفظ التوراة والانجيل وأصل هذا المجاز في العربية ان الكتاب اذا صدر عن حضرة ملك كانت العبارة فيه عن الملك بلفظ الجمع دلالة على انه كلام ملك متبوع على أمره وقوله فلما خاطبهم الله تعالى بهذا الكتاب

وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ثم جمع أهل الكتابين جميعا وذكر ما أحدثوا وما ابتدعوا من اليهود والنصارى فقال ان الذين يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى قوله (٤٨) قل اللهم مالك الملك أى رب العباد والملك الذى لا يقضى فيهم غيره تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير أى لا الى غيرك انك على كل شيء قدير أى لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى بتلك القدرة وترزق من تشاء بغير حساب لا يقدر على ذلك غيرك ولا يصنعه الا أنت أى فان كنت سلطت عيسى على الاشياء التى بها يزعمون أنه اله من احياء الموتى وابراء الاسقام والخلق للطير من الطين والاخبار عن الغيوب لاجعله به آية للناس وتصديقا له فى نبوته التى بعثته بها الى قومه فان من سلطانى وقدرتى ما لم اعطه تمليك الملوك بامر النبوة ووضعها حيث شئت وايلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل واخراج الحى من الميت واخراج الميت من الحى ورزق من شئت من بر وفاجر بغير حساب فكل ذلك لم اسلط عيسى عليه ولم املكه اياه أفلم تكن لهم فى ذلك عبرة و بينة أن لو كان إلها كان ذلك كله اليه وهو فى علمهم يهرب من الملوك و ينتقل منهم فى البلاد من بلد الى بلد ثم وعظ المؤمنين وحذرهم ثم قال قل ان كنتم تحبون الله اى ان كان هذا من قولكم حقا حبا لله وتعظيما له فاتبعونى يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم أى ما مضى من كفركم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فانتم

العزيز أنزله على مذاهبهم فى الكلام وجاء اللفظ فيه على أسلوب الكلام الصادر عن حضرة الملك وليس هذا فى غير اللسان العربى ولا يتطرق هذا المجاز فى حكم العقل الى الكلام القديم انما هو فى اللفظ المنزل ولذلك تجده اذا أخبر عن قول قاله لنبى قبلنا أو خاطب به غيرنا نحو قوله «ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى» ولم يقل خلقنا بايدينا كما قال مما عملته أيدينا وقال حكاية عن وحيه لموسى «ولتصنع على عينى» ولم يقل كما قال فى الآية الاخرى «تجرى باعيننا» لانه أخبر عن قول قاله لم ينزله بهذا اللسان العربى ولم يحك لفظا أنزله وانما أخبر عن المعنى وليس المجاز فى المعنى وكذلك لا يجوز لعبد أن يقول رب اغفروا ولا ارحمونى ولا عليكم توكلت ولا اليكم أنبت ولا قالها نبى قط فى مناجاته ولا نبى فى دعائه لوجهين أحدهما انه واجب على العبد أن يشعر قلبه التوحيد حتى يشاكل لفظه عقده الثانى ما قدمناه من سر هذا المجاز وان سببه صدور الكلام عن حضرة الملك موافقة للعرب فى هذا الاسلوب من كلامها واختصاصه بعادة ملوكها وأشرافها ولا ننظر لقول من قال فى هذه المسئلة و بذلك روجعوا يعنى بلفظ الجمع واحتج بقوله سبحانه خبرا عمن حضره الموت من الكفار اذ يقول رب ارجعون فيقال له هذا خبرا عمن حضرته الشياطين ألا ترى قبله وأعوذ بك رب ان يحضرون فانما جاء هذا حكاية عمن حضرته الشياطين وحضرته زبانية العذاب وجرى على لسانه فى الموت ما كان يعتاده فى الحياة من رد الامر الى المخلوقين فلذلك خلط فقال رب ثم قال ارجعون والا فانت أيها الرجل المجيز لهذا اللفظ فى مخاطبة الرب سبحانه هل قلت قط فى دعائك ارحمون يارب وارزقون بل لو سمعت غيرك يقولها لسطوت به وأما قول مالك وغيره من الفقهاء الامر عندنا أو رأينا كذا أو نرى كذا فانما ذلك لانه قول لم ينفرد به ولو انفرد به لكان بدعة ولم يقصد به تعظيما لنفسه لا هو ولا غيره من أهل الدين والدعة * وأما احتجاج القسيسين بانه كان يحيي الموتى و يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فلو تفكروا وأبصروا انها حجة عليهم لان الله تعالى خصه دون الانبياء بمعجزات تبطل مقالة من كذبه وتبطل أيضا مقالة من زعم انه اله او ابن الاله واستحال عنده أن يكون مخلوقا من غير أب فكان نفخه فى الطين فيكون طائرا حيا تنبيها لهم لو عقلوه على أن مثله كمثل آدم خلق من طين ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا حيا فنفخ الروح فى الطائر الذى خلقه عيسى من طين ليس باعجب من ذلك الكل فعل الله وكذلك احياؤه للموتى وكلامه فى المهد كل ذلك يدل على انه مخلوق من نفخة روح القدس فى جيب أمه ولم يخلق من منى الرجال فكان معنى الروح فيه عليه السلام أقوى منه فى غيره فكانت معجزاته روحانية دالة على قوة المناسبة بينه و بين روح الحياة ومن ذلك بقاؤه حيا الى قرب الساعة وروى عن أبى بن كعب أن الروح الذى تمثل لها بشرا هو الروح الذى حملت به وهو عيسى عليه السلام دخل من فيها الى جوفها رواه الكشى باسناد حسن يرفعه الى أبى وخص بابراء الاكمه والابرص وفى تخصيصه بابراء هاتين الآفتين مشاكلة لمعناه عليه السلام وذلك أن فرقة عميت بصائرهم فكذبوا بنبوته وهم اليهود وطائفة غلوا فى تعظيمه بعد ما ابيضت قلوبهم بالايمان ثم أفسدوا ايمانهم بالغلو فمثلهم كمثل الابرص أبيض بياضا فاسدا ومثل الآخرين مثل الاكمه الاعمى وقد أعطاه الله من الدلائل على الفريقين ما يبطل المقالتين ودلائل الحدوث تثبت له العبودية وتنفى عنه الربوبية وخصائص

تعرفونه وتجحدونه في كتابكم فان تولوا أي على كفرهم فان الله لا يحب الكافرين * ثم استقبل لهم امر عيسى وكيف كان بدؤ ما أراد الله به فقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ثم ذكر أمر امرأة عمران في قولها رب اني نذرت لك ما في بطني محررا اى نذرته جعلته عتيقا تعبده لله لا ينتفع به لشيء من الدنيا فتقبل مني انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى اى ليس الذكر كالانثى لما جعلتها له محررة لك نذيرة واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم يقول الله تبارك وتعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا بعد ابيها وأمها قال ابن اسحق فذكرها باليتم «قال ابن هشام» كفلها ضمنها * قال ابن اسحق ثم قص خبرها وخبر زكريا وما دعا به وما اعطاه اذ وهب له يحيى ثم ذكر مريم وقول الملائكة لها يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين يقول الله عز وجل ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم أي ما كنت معهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم «قال ابن هشام» اقلامهم سهامهم يعني قداحهم التي استهموا بها عليها فخرج قدح زكريا فضمها فيما قال الحسن بن أبي الحسن البصري * قال ابن اسحق كفلها ههنا جريج الراهب رجل من بني اسرائيل نجار خرج السهم عليه بحملها فحملها وكان زكريا قد كفلها قبل ذلك فاصابت بني اسرائيل أزمة شديدة فعجز زكريا عن حملها فاستهموا عليها أيهم يكفلها فخرج السهم على جريج الراهب بكفولها فكفلها وما كنت لديهم اذ يختصمون أي ما كنت معهم اذ يختصمون فيها يخبره بخفي ما كتموا منه من العلم (٤٩) عندهم لتحقيق نبوته والحجة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه ثم قال اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم أي هكذا كان أمره لا ما يقولون فيه وجيها في الدنيا والآخرة أي عند الله ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين يخبرهم أي بحالاته التي يتقلب فيها في عمره كتقلب بني آدم في أعمارهم صغارا أو كبارا الا ان الله خصه بالكلام في مهده آية لنبوته وتعريفا للعباد بمواقع قدرته قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء أي يصنع ما أراد ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون مما يشاء وكيف شاء فيكون كما أراد ثم أخبرها بما يريد به فقال ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة التي كانت فيهم من عهد موسى قبله والانجيل كتابا آخر أحدثه الله عز وجل اليه لم يكن عندهم الا ذكره انه كائن من الانبياء بعده ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أي يحقق بها نبوتي أني رسول منه اليكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله الذي بعثني اليكم وهو ربي وربكم وأبرئ الاكمه والابرص «قال ابن هشام» والاكمه الذي يولد أعمى قال رؤبة بن العجاج

* هرجت فارتد ارتداد الاكمه * «قال ابن هشام» هرجت صحت بالاسد وجابت عليه وهذا البيت في قصيدة له وجمعه كمه وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم أني رسول من الله اليكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة أي لما سبقني منها ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم أي أخبركم به انه كان عليكم حراما فتركتموه ثم أحله لكم تخفيفا عنكم فتصيبون يسره وتخرجون من تباعته وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربي وربكم أي تبريا من الذي يقولون فيه واحتجاجا لربه عليهم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أي هذا الذي قد حملتكم عليه وجئتكم به فلما أحس عيسى منهم الكفر والعدوان عليه قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وهذا قولهم الذي أصابوا به الفضل من ربهم واشهد بانا مسلمون لا ما يقول

وخصائص معجزاته تنفي عن أمه الريبة وتثبت له ولها النبوة والصديقية فكان في مسيح الهدى من الآيات ما يشاكل حاله ومعناه حكمة من الله كما جعل في الصورة الظاهرة من مسيح الضلالة وهو الاعور الدجال ما يشاكل حاله ويناسب صورته الباطنة على نحو ما شرحنا وبينا في املاء أمليناه على هذه النكتة في غير هذا الكتاب والحمد لله

﴿ فصل ﴾ وذكر في تفسير ما نزل فيهم قول حنة أم مريم وهي بنت ماثان «رب اني وضعتها أنثى» قال بعض أهل التأويل أشارت الى معنى الحيض ان الانثى تحيض فلا تخدم المسجد ولذلك قال وليس الذكر كالانثى لان الذكر لا يحيض فهو أبدا في خدمة المسجد وهذه اشارة حسنة (فان قيل) كان القياس في الكلام ان يقال وليس الانثى كالذكر لانها دونه فما باله بدأ بالذكر (والجواب) ان الانثى انما هي دون الذكر في نظر العبد لنفسه لانه يهوى ذكران البنين وهم مع الاموال زينة الحياة الدنيا وأقرب الى فتنة العبد ونظر الرب للعبد خير من نظره لنفسه فليس الذكر كالانثى على هذا بل الانثى أفضل في الموهبة ألا تراه يقول سبحانه «يهب لمن يشاء اناثا» فبدأ بذكرهن قبل الذكور وفي الحديث ابدؤا بالاناث يعني في الرحمة وادخال السرور على البنين وفي

هؤلاء الذين يحاجونك فيه ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين أى هكذا كان قولهم وايمانهم ثم ذكر رفعه عيسى اليه حين اجتمعوا لقتله فقال ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقروا لليهود بصلبه كيف رفعه وطهره منهم فقال اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا اذهموا منك بما هموا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم القصة حتى انتهى الى قوله ذلك نتلوه عليك يامحمد من الآيات والذكر الحكيم القاطع الفاصل الحق الذى لا يخالطه الباطل من الخبر عن عيسى وعما اختلفوا فيه من أمره فلا تقبلن خبرا غيره ان مثل عيسى عند الله فاستمع كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك أى ماجاءك من الخبر عن عيسى فلا تكن من الممترين أى قد جاءك الحق من ربك فلا تمترين فيه وان قالوا خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر فكان كما كان عيسى لحما ودما وشعرا وبشرا فليس خلق عيسى من غير ذكر باعجب من هذا فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم أى من بعد ماقصصت عليك من خبره وكيف كان أمره فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين «قال ابن هشام» قال أبو عبيدة نبتهل ندعو باللعنة قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة

لا تقعدن وقد أكلتها حطبا * تعوذ من شرها يوما وتبتهل

وهذا البيت فى قصيدة له يقول ندعو باللعنة وتقول العرب بهل الله فلانا أى لعنه الله وعليه بهلة الله أى لعنة الله «قال ابن هشام» ويقال بهله الله أى لعنه الله ونبتهل أيضا نجتهد فى الدعاء * قال ابن اسحق ان هذا الذى جئت به من الخبر عن عيسى لهو القصص الحق من أمره وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فدعاهم الى النصف وقطع عنهم الحجة فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عز وجل والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمر بما أمر به من ملاعنتهم ان ردوا ذلك عليه دعاهم الى ذلك فقالوا ياأبا القاسم دعنا ننظر فى أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا اليه فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا ياعبد المسيح ماذا ترى فقال والله يامعشر النصارى لقد عرفتم ان محمدا لنبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانه للاستئصال منكم ان فعلتم فان كنتم قد أبيتم الا الف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ياأبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وان نتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا فانكم عندنا رضا قال محمد بن جعفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتونى العشية أبعث معكم القوى الامين قال فكان عمر بن الخطاب يقول ما احببت الامارة قط حبى اياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها فرحت الى الظهر مهجرا فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ثم نظر عن يمينه ويساره فجعلت أتطاول له ليرانى فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه قال عمر فذهب بها أبو عبيدة * قال ابن اسحق وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وسيد أهلها عبد الله بن أبى ابن سلول العوفى ثم أحد بنى الحبلى لا يختلف عليه فى شرفه اثنان لم تجتمع الاوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء

الحديث أيضا من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين فترتب الكلام فى التنزيل على حسب الافضل فى نظر الله للعبد والله أعلم بما أراد

﴿ فصل ﴾ وذكر دعاءه عليه السلام أهل نجران الى المباهلة وانهم رضوا ببذل الجزية والصغار وأن لا يلاعنوه وكذلك روى ان بعضهم قال لبعض ان لاعنتموه ودعوتم باللعنة على الكاذب اضطرم الوادى عليكم نارا وفى تفسير الكشى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد تدلى اليهم العذاب والذى نفسى بيده لو باهلونى لاستؤصلوا من على جديد الارض ﴿ نكتة ﴾ فى قوله ندع أبناءنا وأبناءكم وبدأ بالابناء والنساء قبل الانفس (والجواب) ان أهل التفسير قالوا أنفسنا وأنفسكم أى ليدع بعضنا بعضا وهذا نحو قوله فسلموا على أنفسكم فى أحد القولين أى يسلم بعضكم على بعض فبدأ بذكر الاولاد الذين هم فلذ الاكباد ثم بالنساء التى جعل بيننا وبينهم مودة ورحمة ثم من وراءهم من دعاء بعضهم بعضا لان الانسان لا يدع نفسه وانتظم الكلام على الاسلوب المعتاد فى اعجاز القرآن وفى حديث أهل نجران زيادة كثيرة عن ابن اسحق من غير رواية ابن هشام منها ان راهب نجران حين رجع الوفد وأخبروه الخبر رحل الى النبى صلى الله عليه وسلم فسمع منه وأهدى اليه القضيب والقعب والبرد الذى هو الآن عند خلفاء بنى العباس يتوارثونه

﴿ فصل ﴾ وذكر قصة عبد الله بن أبى ابن سلول وسلول هى أم أبى وهى خزاعية وهو أبى بن مالك من بنى الحبلى واسم الحبلى سالم والنسب اليه حبلى بضمتين كرهوا أن يقولوا حبلوى أو حبلى أو حبلاوى على قياس النسب

الاسلام غيره ومعه في الاوس رجل هو في قومه من الاوس شريف مطاع أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن النعمان أحد بني ضبيعة بن زيد وهو أبو حنظلة الغسيل يوم أحد وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وكان يقال له الراهب فشقيا بشرفهما وضرهما قال فأما عبد الله بن أبي فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم فجاءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك فلما انصرف قومه عنه الى الاسلام ضغن ورأى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه ملكا فلما ان رأى قومه قد أبوا الا الاسلام دخل فيه كارها مصرا على نفاق وضغن * وأما أبو عامر فأبى الا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الاسلام فخرج منهم الى مكة ببضعة عشر رجلا مفارقا للاسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني محمد بن أبي أمامة عن بعض آل حنظلة بن أبي عامر لا تقولوا الراهب ولكن قولوا الفاسق * قال ابن اسحق وحدثني جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم وكان قد أدرك وسمع وكان راوية ان أبا عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة قبل أن يخرج الى مكة فقال ما هذا الدين الذي جئت به فقال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال بلى قال انك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها قال ما فعلت ولكني جئت بها بيضاء نقية قال الكاذب أماته الله طريدا غريبا وحيدا يعرض برسول الله صلى الله عليه وسلم أي انك ما جئت بها كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل فمن كذب ففعل الله تعالى ذلك به فكان هو ذلك عدو الله خرج الى مكة فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خرج الى الطائف فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها طريدا غريبا وحيدا وكان قد خرج معه علقمة بن علاثة بن عوف بن الاحوص بن جعفر بن كلاب وكنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي فلما مات اختصما في ميراثه الى قيصر صاحب الروم فقال قيصر يرث أهل المدر أهل المدر ويرث أهل الوبر أهل الوبر فورثه كنانة بن عبد ياليل بالمدر دون علقمة فقال كعب بن مالك لأبي عامر فيما صنع

معاذ الله من عمل خبيث * كسعيك في العشيرة عبد عمرو
فاما قلت لي شرف ونخل * فقدما بعت ايمانا بكفر

«قال ابن هشام» ويروى * فاما قلت لي شرف ومال * قال ابن اسحق وأما عبد الله بن أبي فأقام على شرفه في قومه مترددا حتى غلبه الاسلام فدخل فيه كارها * قال ابن اسحق فحدثني محمد بن مسلم الزهري عن عروة بن الزبير عن أسامة بن زيد بن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن عبادة يعوده من شكوى اصابته على حمار عليه اكاف فوقه قطيفة فدكية مختطمة بحبل من ليف وأردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه قال فمر بعبد الله بن أبي وهو في ظل مزاحم اطمة «قال ابن هشام» مزاحم اسم لاطمة

النسب لان حبلى وسكرى ونحوهما اذا كانا اسما لرجل لم يجر في الجمع على حكم التانيث وكذلك فعلاء بالمد تقول في جمع رجل اسمه سلمى أو ورقاء الورقاوون والسلمون وهذا بخلاف تاء التانيث فانك تقول في طلحة اسم رجل طلحات كما كنت تقول في غير العلمية لان التاء لا تكون الا للتانيث والالف تكون للتانيث وغيره فلما كانت ألف التانيث بخلاف تاء التانيث في الاسماء الاعلام كان النسب اليها مخالفا للنسب الى ما فيه الف التانيث في غير الاعلام غير ان هذا في باب النسب لا يطردوان اطرد الجمع كما قدمنا وكانت النكتة التي خص بها النسب في بني الحبلى بمخالفة القياس كراهيتهم لحكم التانيث فيه لان الحبلى وصف للمرأة بالحبل فليس كراهيتهم لبقاء حكم التانيث فيمن اسمه سلمى من الرجال ككراهيتهم لبقاء حكم التانيث فيمن اسمه حبلى فلذلك غيروا النسب حتى كانهم نسبوا الى حبل والله أعلم وأما سلول في خزاعة وقد تقدم عند ذكر حبشية ابن سلول فاسم رجل مصروف وأما بنو سلول بن صعصعة اخوة بني عامر فهم بنو مرة بن صعصعة وسلول أمهم وهي بنت ذهل بن شيبان فجميع ما وقع لابن اسحق في السير من سلول ثلاثة واحد اسم رجل مصروف وثنتيان غير مصروفتين وهما اللتان ذكرنا * وذكر ان الانصار كانوا قد نظموا الخرز لعبد الله بن أبي ليتوجوه ويملكوه عليهم وذلك أن الانصار يمن وقد كانت الملوك المتوجون من اليمن في آل قحطان وكان أول من تتوج منهم سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولم يتوج من العرب الا قحطاني كذلك قال أبو عبيدة فقيل له قد تتوج هودة بن علي الحنفي صاحب اليمامة وقال فيه الاعشى

من ير هودة يسجد غير متئب * اذا تعمم فوق التاج أو وضعا

وفي الخرزات التي بمعنى التاج يقول الشاعر

رعى خرزات الملك عشرين حجة * وعشرين حتى فاد والشيب شامل

وقال أبو عبيدة لم يكن تاجا وانما كانت خرزات تنظم وكان سبب تتوج هودة انه أجار لطيمة لكسرى منعما ممن أرادها من العرب فاما وفد عليه توجه لذلك وملكه

﴿ فصل ﴾ وذكر في حديث عبد الله بن أبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو في ظل مزاحم أطمة وآطام المدينة سطوح ولها اسماء فمنها مزاحم * ومنها الزوراء اطم بني الجلاح * ومنها معرض اطم بني

*قال ابن اسحق وحوله رجال من قومه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تذمم من ان يجاوزه حتى ينزل فنزل فسلم ثم جلس قليلا فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل وذكر بالله وحذر وبشر وأنذر قال وهو زام لا يتكلم حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالته قال يا هذا انه لا أحسن من حديثك هذا ان كان حقا فاجلس في بيتك فمن جاءك له فحدثه اياه ومن لم يأتك فلا تغته به ولا تأته في مجلسه بما يكره منه قال فقال عبد الله بن رواحة في رجال كانوا عنده من المسلمين بلى فاغشنا به وائتنا في مجالسنا ودورنا وبيوتنا فهو والله مما نحب ومما أكرمنا الله به وهدانا له فقال عبد الله بن أبي حين رأى من خلاف قومه ما رأى

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل * تذل ويصرعك الذين تصارع

وهل ينهض البازي بغير جناحه * وان جذ يوما ريشه فهو واقع

«قال ابن هشام» البيت الثاني عن غير ابن اسحق

*قال ابن اسحق وحدثني الزهري عن عروة بن الزبير عن اسامة قال وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على سعد بن عبادة وفي وجهه ما قال عدو الله بن أبي فقال والله يا رسول الله اني لارى في وجهك شيئا لكأنك سمعت شيئا تكرهه فقال أجل ثم أخبره بما قال ابن أبي فقال سعد يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك وانا لننظم له الخرز لنتوجه وانه ليرى ان قد سلبته ملكا

﴿ ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

قال ابن اسحق وحدثني هشام بن عروة وعمرو بن عبد الله بن عروة عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى فاصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم قالت فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة و بلال موليا أبي بكر مع أبي بكر في بيت واحد فاصابتهم الحمى فدخلت عليهم أعودهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وبهم ما لا يعلمه الا الله من شدة الوعك فدنوت من أبي بكر فقلت له كيف تجدك يا أبت فقال

كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله

قالت فقلت والله ما يدري أبي ما يقول قالت ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت له كيف تجدك يا عامر فقال

لقد وجدت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه * كالثور يحمي جلده بروقه

تريد طاقته فيما قال ابن هشام قالت فقلت والله ما يدري عامر ما يقول قالت وكان بلال اذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال

ساعدة ومنها فارع اطم بني حديلة ومنها مسعط ومنها واقم وفي معرض يقول الشاعر

ونحن دفعنا عن بضاعة كلها * ونحن بنينا معرضا فهو مشرف

فاصبح معمورا طويلا قذاله * وتخرب آطام بها وتقصف

و بضاعة أرض بني ساعدة واليها تنسب بئر بني بضاعة والاجش وكان بقباء والجيم والنواحان وهما اطمان لبني انيف وصرار وكان بالجوانية والريان والشبعان وهو في نعم ورائح والابيض ومنها عاصم والرعل وكان لحضير بن سماك ومنها خيط وواسط وحبيش والاغلب ومنيع فهذه آطام المدينة ذكر أكثرها الزبير والاطم اسم مأخوذ من ائتطم اذا ارتفع وعلا يقال ائتطم على فلان اذا غضب وانتفخ والاطمات نيران معروفة في جبال لا تخمد فيها تأخذ باعنان السماء فهي أبدا باقية لانها في معادن الكبريت وقد ذكر المسعودي منها جملة وذكر مواضعها وقول عبد الله بن أبي

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل * تذل ويصرعك الذين تصارع

يقال ان ابن أبي تمثل بها ويقال انها لخفاف بن ندبة وخفاف هو ابن عمرو بن الشريد أحد غربان العرب وأمه ندبة ويقال فيها ندبة وندبة وهو سلمي * وذكر في حديث عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على سعد بن عبادة يعوده وفي رواية يونس زيادة فيها فقه قال كان سعد قد دعاه رجل من الليل فخرج اليه فضربه الرجل بسيف فاشواه فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده من تلك الضربة ولامه على خروجه ليلا وهذا هو موضع الفقه

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث عائشة حين وعك أبو بكر و بلال وعامر بن فهيرة وما أجابوها به من الرجز فيذكر أن قول عامر * لقد وجدت الموت قبل ذوقه * انه لعمرو بن مامة وفي هذا الخبر وما ذكر فيه من حنينهم الى مكة ما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه وقد جاء في حديث أصيل الغفاري ويقال فيه الهذلي انه قدم من مكة فسألته عائشة كيف تركت مكة يا أصيل فقال تركتها حين ابيضت أباطحها وأحجن ثمامها وأعذق اذخرها وامشر سلمها فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تشوقنا يا أصيل ويروى انه قال له دع القلوب تقر وقد قال الاول

الا

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بوادي الخزامى حيث ربتني أهلي
بلاد بها نيطت علي تمائمي * وقطعن عني حين أدركني عقلي

وأما قول بلال * بفج وحولي اذخر وجليل * ففج موضع خارج مكة به موية يقول فيه الشاعر

ماذا بفج من الاشراق والطيب * ومن جوار نقيات رعابيب

و بفج اغتسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم والاذخر من نبات مكة قال أحمد بن داود وهو أبو حنيفة الدينوري صاحب كتاب النبات الاذخر فيما حكى عن الاعراب الاول له أصل مندفن وقضبان دقاق وهو ذفر الريح وهو مثل الاصل أصل الكولان الا أنه أعرض كعوبا وله ثمرة كأنها مكاسح القصب الا أنها أرق وأصغر قال أبو زياد الاذخر يشبه في نباته بنبات الاسل الذي تعمل منه الحصر ويشبه نباته الغرز والغرز ضرب من الثمام واحدته غرزة ويتخذ من الغرز الغرابيل والاذخر أرق منه والاذخر يطحن فيدخل في الطيب وقال أبو عمرو هو من الجنبة وقلما تنبت الاذخرة منفردة وقال في الجليل عن أبي نصر ان أهل الحجاز يسمون الثمام الجليل ومعنى الجنبة التي ذكر أبو عمرو هو كل نبات له أصول ثابتة لا تذهب بذهاب فرعه في القيظ وتلقح في الخريف وليست كالشجر الذي يبقى أصله وفرعه في القيظ ولا كالنجم الذي يذهب فرعه وأصله فلا يعود الا زريعته جانب النجم والشجر فسمي جنبة ويقال للجنبة أيضا الطريفة قاله أبو حنيفة ومجنة سوق من أسواق العرب بين عكاظ وذي المجاز وكلها أسواق قد تقدم ذكرها ومجنة يجوز أن تكون مفعلة وفعلة فقد قال سيبويه في المجن ان ميمه أصلية وانه فعل وخالفه في ذلك الناس وجعلوه مفعلا من جن اذا استتر ومن أسواقهم أيضا حباشة وهي أبعد من هذه وأما شامة وطفيل فقال الخطابي في كتاب الاعلام في شرح البخاري كنت أحسبهما جبلين حتى مررت بهما ووقفت عليهما فاذا هما عينان من ماء ويقوي قول الخطابي انهما عينان قول كثير

وما أنس م الاشياء لا أنس موقفا * لنا ولها بالخبت خبت طفيل

والخبت منخفض الارض * وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم حبب لنا المدينة كما حببت الينا مكة و بارك لنا في مدها وصاعها يعني الطعام الذي يكال بالصاع ولذلك قال في حديث آخر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه وشكا اليه قوم سرعة فناء طعامهم فقال أتهيلون أم تكيلون فقالوا بل نهيل فقال كيلوا ولا تهيلوا ومن رواه قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه فمعناه عندهم تصغير الارغفة وهكذا رواه البزار من طريق أبي الدرداء وذكر في تفسيره ما قلناه وذكر أبو عبيد المد في كتاب الاموال أعني مد المدينة فقال هو رطل وثلث والرطل مائة وثمانية وعشرون درهما والدرهم خمسون حبة وخمسان * وقوله صلى الله عليه وسلم وانقل حماها واجعلها بمهيعة وهي الجحفة كأنه عليه السلام لم يرد ابعاد الحمى عن جميع أرض الاسلام ولو أراد ذلك لقال انقل حماها ولم يخص موضعا أو كان يخص بلاد الكفر وذلك والله أعلم لانه قد نهى عن سب الحمى ولعنها في حديث أم المسيب وأخبر أنها طهور وأنها حظ كل مؤمن من النار فجمع بين الرفق بأصحابه فدعا لهم بالشفاء منها وبين أن لا يحرموا أيضا الاجر فيما يصيبوا منها فلم يبعدها كل البعد وأما مهيعة فقد اشتد الوباء فيها بسبب هذه الدعوة حتى قيل ان الطائر يمر بغدير خم فيسقم وغدير خم فيها ويقال انها ما ولد فيها مولود فبلغ الحلم وهي أرض نجمة لا تسكن ولا يقام فيها اقامة دائمة فيما بلغني والله أعلم * وذكر تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وفي غير هذه الرواية عن ابن اسحق عن شرحبيل بن سعد قال كنت أصطاد في حرم المدينة بالوقاقيص وهي شباك الطير فاصطدت نهسا فأخذه زيد بن ثابت وصك في قفاي ثم أرسله

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بفج وحولي اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

«قال ابن هشام» شامة وطفيل جبلان بمكة قالت عائشة رضي الله عنها فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم فقلت انهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة أو أشد وبارك لنا في مدها وصاعها وانقل وباءها الى مهيعة ومهيعة الجحفة * قال ابن اسحق وذكر ابن شهاب الزهري عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدوا مرضا وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم حتى كانوا ما يصلون الا وهم قعود قال فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلون كذلك

فقال لهم اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم قال فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل * قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيأ لحربه وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوه وقتال من امره الله به ممن يليه من المشركين مشركي العرب وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة

﴿تاريخ الهجرة﴾

بالاسناد المتقدم عن عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول وهو التاريخ قال ابن هشام * قال ابن اسحق ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة وذلك بعد أن بعثه الله عز وجل بثلاث عشرة سنة فاقام بها بقية شهر ربيع الاول وشهر ربيع الآخر وجمادين ورجب وشعبان وشهر رمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة وولى تلك الحجة المشركون والمحرم ثم خرج غازيا في صفر على رأس اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة «قال ابن هشام» واستعمل على المدينة سعد ابن عبادة

﴿غزوة ودان﴾

وهي أول غزواته عليه السلام * قال ابن اسحق حتى بلغ ودان وهي غزوة الابواء يريد قريشا وبني ضمرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذي وادعه منهم عليهم مخشي بن عمرو الضمري وكان سيدهم في زمانه ذلك ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق كيدا فاقام بها بقية صفر وصدرا من شهر ربيع الاول «قال ابن هشام» وهي أول غزوة غزاها

﴿سرية عبيدة بن الحرث﴾

وهي أول راية عقدها عليه السلام * قال ابن اسحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين وليس فيهم من الانصار

---

* وذكر حديث عبد الله بن عمرو وقوله عليه السلام صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم حين رآهم يصلون قعودا من الوعك قال فتجشم الناس القيام على ما بهم من السقم وهذا الحديث بهذا اللفظ يقوي ما تأوله الخطابي في صلاة القاعد انها على النصف من صلاة القائم ثم قال الخطابي انما ذلك للضعيف الذي يستطيع القيام بكلفة وان كان عاجزا على القيام البتة فصلاته مثل صلاة القائم وهذا كله في الفريضة والنافلة وخالف أبو عبيد في تخصيصه هذا الحديث بصلاة النافلة في حال الصحة واحتج الخطابي بحديث عمران بن حصين وفيه وصلاته قائما على النصف من صلاته قاعدا قال وقد أجمعت الامة ان لا يصلي أحد مضطجعا الا من مرض فدل على انه لم يرد بهذا الحديث كله الا المريض الذي يقدر على القيام بكلفة أو على القعود بمشقة ونسب بعض الناس النسوي الى التصحيف في هذا الحديث وقالوا انما هو وصلاته نائما على النصف من صلاته قاعدا فتوهمه النسوي قائما أي مضطجعا فترجم عليه في كتابه باب صلاة النائم وليس كما قالوا فان في الرواية الثانية وصلاة النائم على النصف من صلاة القاعد ومثل هذا لا يتصحف وقول الخطابي أجمعت الامة على أن المضطجع لا يصلي في حال الصحة نافلة ولا غيرها وافقه أبو عمر على ادعاء الاجماع في هذه المسئلة وليست بمسئلة اجماع كما زعما بل كان من السلف من يجيز للصحيح أن يتنفل مضطجعا منهم الحسن البصري ذكر ذلك أبو عيسى الترمذي في مصنفه

﴿غزوة ودان﴾

ذكر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين في شهر ربيع وقد قدمنا في باب الهجرة ما قاله ابن الكلبي وغيره في ذلك وفي أي شهر كان قدومه من شهور العجم * وذكر انه أقام بالمدينة بقية شهر ربيع الاول وشهر ربيع الآخر وجمادين وكان القياس أن يقول وشهري جمادى أو يقول وبقية ربيع وربيعا الآخر كما قال في سائر الشهور ولكن الشهر اذا سميته بالاسم العلم لم يكن ظرفا وكانت الاقامة أو العمل فيه كله الا ان تقول شهر كذا كما تقدم من كلامنا على شهر رمضان في حديث المبعث وكذلك قال سيبويه فقول ابن اسحق جمادين ورجبا مستقيم على هذا الاصل * وقوله بقية شهر ربيع فلان العمل والاقامة كان في بعضه فلذلك لم يقل بقية ربيع الاول لكنه قال وشهر ربيع الآخر ليزدوج الكلام ويشاكل ما قبله وهذا كله من فصاحته رحمه الله أو من فصاحة من كان قبله ان كان رواه على اللفظ * وقوله وجمادين ورجبا كان القياس ان يقول والجمادين بالالف واللام لانه اسم علم ولا يثنى العلم فيكون معرفة الا ان تدخل عليه الالف واللام فتقول الزيدان والعمران لكنه أجراه بفصاحته مجرى ابانين وقنوين وكل واحد من هذين اسم لجبلين ولا تدخله الالف واللام لان تعريفه لم يزل بالتثنية لانهما أبدا متلازمان فالتثنية لازمة لهما مع العلمية بخلاف الآدميين ولما كان جماديان شهرين متلازمين جعلهما في الزمان كابانين في المكان ولم يجعلهما كالزيدين والعمرين اللذين لا تلازم بينهما وهذا كلام العرب قال الحطيئة

باتت

أحد فسار حتى بلغ ماء بالحجاز باسفل ثنية المرة فالقى بها جمعا عظيما من قريش فلم يكن بينهم قتال الا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمى به في الاسلام ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار وكان على القوم عكرمة بن أبي جهل «قال ابن هشام» حدثني ابن أبي عمرو بن العلاء عن أبي عمرو المدني انه كان عليهم مكرز بن حفص بن الاخيف أحد بني معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر * قال ابن اسحق فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في غزوة عبيدة بن الحرث «قال ابن هشام» وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابي بكر رضي الله عنه

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث * أرقت وأمر في العشيرة حادث

ترى من لؤي فرقة لا يصدها * عن الكفر تذكير ولا بعث باعث

رسول أتاهم صادق فتكذبوا * عليه وقالوا لست فينا بماكث

اذا ما دعوناهم الى الحق أدبروا * وهروا هرير المجحرات اللواهث

فكم قد متنا فيهم بقرابة * وترك التقى شيء لهم غير كارث

فان يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم * فما طيبات الحل مثل الخبائث

وان يركبوا طغيانهم وضلالهم * فليس عذاب الله عنهم بلابث

ونحن اناس من ذؤابة غالب * لنا العز منها في الفروع الاثائث

فاولى برب الراقصات عشية * حراجيج تخدى في السريح الرثائث

كادم ظباء حول مكة عكف * يردن حياض البئر ذات النبائث

لئن لم يفيقوا عاجلا من ضلالهم * ولست اذا آليت قولا بحانث

لتبتدرنهم غارة ذات مصدق * تحرم أطهار النساء الطوامث

تغادر قتلى تعصب الطير حولهم * ولا ترأف الكفار رأف ابن حارث

فابلغ بني سهم لديك رسالة * وكل كفور يبتغي الشر باحث

فان تشعثوا عرضي على سوء رأيكم * فاني من اعراضكم غير شاعث

فاجابه عبد الله بن الزبعرى السهمي فقال

أمن رسم دار أقفرت بالعثاعث * بكيت بعين دمعها غير لابث

ومن عجب الايام والدهر كله * له عجب من سابقات وحادث

لجيش اتانا ذي عرام يقوده * عبيدة يدعى في الهياج ابن حارث

لنترك اصناما بمكة عكفا * مواريث موروث كريم لوارث

فلما لقيناهم بسمر ردينة * وجرد عتاق في العجاج لواهث

وبيض كان الملح فوق متونها * بايدي كماة كالليوث العوائث

نقيم بها اصعار من كان مائلا * ونشفي الذحول عاجلا غير لابث

فكفوا على خوف شديد وهيبة * وأعجبهم امر لهم امر رائث

ولو انهم لم يفعلوا ناح نسوة * أيامى لهم من بين نسء وطامث

وقد غودرت قتلى يخبر عنهم * حفي بهم اوغافل غير باحث

فابلغ أبا بكر لديك رسالة * فما انت عن اعراض فهر بماكث

ولما تجب مني يمين غليظة * تجدد حربا حلفه غير حانث

«قال ابن هشام» تركنا منها بيتا واحدا واكثر اهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابن الزبعرى * قال ابن اسحق وقال سعد بن أبي

باتت له بكثيب حربة ليلة * وطفاء بين جمادين درور

(فان قلت) فقد قالوا السماكين في النجوم وهما متلازمان وكذلك السرطان (قلنا) انما كان ذلك لوجود معنى الصفة فيهما وهو عنده من باب الحرث والعباس في الآدميين واكشف سر العلمية في الشهور والايام وتقسيم أنواع العلمية والمراد بها في موضع غير هذا وانما أعجبتني فصاحة ابن اسحق في قوله بقية شهر كذا وشهر كذا وجمادين ورجبا وشعبان ونزل الالفاظ عند منازلها عند أرباب اللغة الفاهمين لحقائقها يرحمه الله * وذكر في غزوة عبيدة ولقائه المشركين وعلى المشركين مكرز بن حفص بن الاخيف هكذا الرواية حيث وقع بكسر الميم وذكر ابن ماكولا في المؤتلف والمختلف عن أبي عبدة النسابة انه كان يقول فيه مكرز بفتح الميم وكانه مفعل أو مفعل من الكرز وهو الاقط وكذلك ذكره وغيره في الاخيف ههنا انه بفتح الهمزة وسكون الخاء وكان ابن ماكولا وحده يقول في الاخيف من بني أسيد بن عمرو بن تميم وهو جد الخشخاش التميمي أخيف بضم الهمزة وفتح الخاء وقال الدارقطني أخيف كما قالوا في الاول

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق القصيدة التي تعزى الى أبي بكر ونقيضتها لابن الزبعرى والزبعرى في اللغة السيء الخلق يقال رجل زبعرى وامرأة زبعراة والزبعرى أيضا البعير الازب الكثير شعر الاذنين مع قصر قاله الزبير وفي هذا الشعر أو الذي بعده ذكر الدبة وهو الكثيب من الرمل وأما الدبة بضم الدال فانه يقال جرى فلان على دبة فلان أي على سنته وطريقته والدبة أيضا ظرف للزيت قال الراجز

* ليك بالعنف عفاص الدبة * والدبة بكسر الدال هيئة الذبيب وليس فيها ما يشكل معناه * وقوله

* تخدى في السريح الرثائث * السريح شبه النعل تلبسه أخفاف الابل يريد ان هذه الابل الحراجيج وهي الطوال تخدى أي تسرع في سريح قد رث من طول السير قال الشاعر * دوامي الايد يخبطن السريحا *

وذكر العثاعث واحدها عثعث وهو من أكرم منابت العشب قاله أبو حنيفة وفي العين العثعث

وقاص فی رميتـه تلك فيما يذكرون
أذود بها أوائلهـم ذيادا * بكل حزونة و بكل سهل
ألا هل أتى رسول الله انی * حميت صحابتی بصدور نبلی
وذلك أن دينك دين صدق * وذو حق أتيت به وعدل
فما يعتـد رام فی عـدو * بسـهم يا رسول الله قبـلی
ينجي المؤمنون به ويجزی * به الـكفار عند مقام سهل
فهلا قد غويت فلا تعبنی * غوی الحی ويحك يا ابن جهل
« قال ابن هشام » واكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد * قال ابن اسحق وكانت راية عبيدة بن الحرث فيما بلغنی أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فی الاسلام لاحد من المسلمين

﴿ سرية حمزة رضی الله عنه الی سيف البحر ﴾

* قال ابن اسحق و بعض العلماء يزعم أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم بعثه حين أقبل من غزوة الابواء قبل أن يصـل الی المدينة و بعث فی مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم الی سـيف البحر من ناحية العيص فی ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد فاقی أبا جهل بن هشام بذلك الساحل فی ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز بينهم مجـدی بن عمرو الجهنی وكان موادعا للفريقـين جميعا فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال و بعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من المسـلمين وذلك أن بعثه و بعث عبيدة كانا معا فشبه ذلك على الناس وقـد زعموا أن حمزة قد قال فی ذلك شعرا يذكر فيه ان رايته أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان حمزة قد قال ذلك فقد صدق ان شاء الله لم يكن يقول الا حقا فالله أعلم أی ذلك كان فاما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة بن الحرث أول من عقـد له فقال حمزة فی ذلك فيما يزعمون قال ابن هشام وأكثر (٥٦) اهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لحمزة رضی الله عنه

ألا يالقومی للتحلم والجهـل * وللنقص من رأی الرجال وللعقل
وللراكبينا بالمظالم لم نطأ * لهم حرمات من سوام ولا أهل
كانا نبلناهم ولا نبل عندنا * لهم غير أمر بالعفاف و بالعدل
وأمر باسلام فلا يقبلونه * و ينزل منهم مثل منزلة الهزل
فما برحوا حتى انتدبت لغارة * لهم حيث حلوا أبتغی راحة الفضل
بأمر رسـول الله أول خافق * عليه لواء لم يكن لاح من قبـل
لواء لديه النصر من ذی كرامـة * إله عزيز فعـله أفضـل الفعل
عشـية ساروا حاشـدين وكلنا * مراجله من غيظ أصحابه تغلی
فلما تراءينـا أناخوا فعقلوا * مطايا وعقلنا مدی غرض النبل
فقلنا لهم حبـل الاله نصيرنا * ومالـكم الا الضـلالة من حبل
فثار أبو جهل هنالك باغيا * فخاب و رد الله كيد أبی جهـل
وما نحن الا فی ثـلاثين راكبا * وهم مائتان بعد واحدة فضـل
فيا آل لؤی لا تطيعـوا غواتكم * وفيئوا الی الاسلام والمنهج السهل
فانی أخاف أن يصب عليـكم * عذاب فتدعوا بالندامة والثكل *

﴿ فاجابه أبو جهل بن هشام فقال ﴾

عجبت لاسباب الحفيظة والجهل * وللشاغبين بالخلاف و بالبطل
وللتاركين ما وجدنا جدودنا * عليه ذوی الاحساب والسودد الجزل
أتونا بافك كی يضـلوا عقولنا * وليس مضلا افكهم عقل ذی عقل
فقلنا لهم يا قومنا لا تخالفـوا * على قومكم ان الخلاف مدی الجهـل
فانكم ان تفعلوا تدع نسـوة * لهـن بواك بالرزية والثكل
وان ترجعوا عما فعلتم فاننا * بنو عمكم أهـل الحفائظ والفضـل
فقالوا لنا انا وجـدنا محمدا * رضا لذوی الاحلام منا وذی العقل
فلما أبوا الا الخلاف وزينوا * جماع الامـور بالقبيح من الفـعل
تيممتهم بالساحلين بغـارة * لاتركهم كالعصف ليس بذی اصل
فورعنی مجدی عنهم وصحبتی * وقد وازرونی بالسيوف و بالنبـل
لال علينا واجب لا نضـيعه * أمين قواه غير منتكث الحبـل
فلولا ابن عمرو كنت غادرت منهم * ملاحم للطير العكوف بـلا تبـل
ولـكنه الیّ بال فقلصت * بايماننا حد السيوف عن القتل
فان تبقنی الايام أرجع عليهم * ببيض رقاق الحـد محدثة الصـقل

ظهر الكثيب الذی لا نبات فيه * وذكر ابن هشام ان قوما من أهـل العـلم بالشعر أنكروا أن تـكون هـذه القصيدة لابی بكر و يشـهد لصحة من أنـكر أن تـكون له ماروی عبد الرزاق عن معمر عن الزهری عن عروة عن عائشة قالت كذب من أخبركم ان أبا بكر قال بيت شـعر فی الاسلام رواه محمد البخاری عن أبی المتوكل عن عبد الزراق وقول ابن الزبعری بين نسء وطامث والنسء حمل المرأة فی أوله والطامث معروف يقال نسئت المرأة اذا تأخر حيضها من أجل الحمـل من كتاب العين * وقول أبی بكر رأب ابن حارث يعنی عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وقول أبی جهل * وورعنی مجدی عنهم وصحبتی * ترك صرف مجدی لانه علم وترك التنوين فی المعارف كلها أصـل لا ينون مضمر ولا مبهم ولا ما فيه الالف واللام ولا مضاف وكذلك كان القياس فی العلم فاذا لم ينون فی الشعر فهو الاصل فيه لان دخول التنوين فی الاسماء

انما هو علامة لانفصالها عن الاضافة فالا يضاف لا يحتاج الى تنوين وقد كشفنا سر التنوين وامتناع التنوين والخفض مما لا ينصرف فى مسئلة أفردناها فى هذا الباب وأتينا فيها بالعجب العجاب والشواهد على حذف التنوين فى الشعر من الاسم العلم كثيرة جداً فتأمله فى أشعار السير والمغازى تجدها وغرضنا فى شرح هذه الاشعار الواردة فى كتاب السيرة أن نشرح منها ما استغلق لفظه جداً أو غمض اعرابه على شرطنا فى أول الكتاب لكنى لا أعرض لشىء من أشعار الكفرة التى نالوا فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شعر من أسلم وتاب كضرار وابن الزبعرى وقد كره كثير من أهل العلم فعل ابن اسحق فى ادخاله الشعر الذى نيل فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الناس من اعتذر عنه قال حكاية الكفر ليس بكفر والشعر كلام ولا فرق ان يروى كلام الكفرة ومحاجتهم للنبى صلى الله عليه وسلم وردهم عليه منثوراً وبين أن يروى منظوما وقد حكى ربنا سبحانه فى كتابه العزيز مقالات الامم لانبيائها وما طعنوا به عليهم فاذكر من هذا على جهة الحكاية نظماً أو نثراً فانما يقصد به الاعتبار بما مضى وتذكر نعمة الله تعالى على الهدى والانقاذ من العمى وقد قال عليه السلام لان يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً وتأولته عائشة رضى الله عنها فى الاشعار التى هجى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكرت قول من حمله على العموم فى جميع الشعر واذا قلنا بما روى عن عائشة فى ذلك فليس فى الحديث الاعيب امتلاء الجوف منه وأما رواية اليسير منه على جهة الحكاية أو الاستشهاد على اللغة فلم يدخل فى النهى وقد رد أبو عبيد على من تأول الحديث فى الشعر الذى هجى به الاسلام وقال رواية نصف بيت من ذلك الشعر حرام فكيف يخص امتلاء الجوف منه بالذم وعائشة أعلم فان البيت والبيتين والابيات من تلك الاشعار على جهة الحكاية بمنزلة الكلام المنثور الذى ذموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فرق وقول عائشة الذى قدمناه ذكره ابن وهب فى جامعه وعلى القول بالاباحة فان النفس تقذر تلك الاشعار وتبغضها وقائليها فى الله فالاعراض عنها خير من الخوض فيها والتتبع لمعانيها

﴿ غزوة بواط ﴾

وبواط جبلان فرعان لاصل واحد احدهما جلسى والآخر غورى وفى الجلسى بنو دينار ينسبون الى دينار مولى عبد الملك بن مروان * ذكر فيه استخلاف رسول الله صلى الله عليه على المدينة السائب بن مظعون وهو أخو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح شهد بدراً فى قول ابن اسحق ولم يذكره موسى بن عقبة فى البدريين وأما السائب بن عثمان وهو ابن أخى هذا فشهد بدراً فى قول جميعهم الا ابن الكلبى وقتل يوم اليمامة شهيداً

﴿ غزوة العشيرة ﴾

يقال فيها العشيرة والعشيراء وبالسين المهملة أيضاً العسيرة والعسيراء أخبرنى بذلك الامام الحافظ أبو بكر رحمه الله وفى البخارى أن قتادة سئل عنها فقال العشير ومعنى العسيرة والعسيراء انه اسم مصغر من العسراء والعسرى واذا صغر تصغير الترخيم قيل عسيرة وهى بقلة تكون أذنة أى عصيفة ثم تكون سحاء ثم يقال لها العسرى قال الشاعر

وما منعناها الماء الا ضنانة * باطراف عسرى شوكها قد تخددا

ومعنى هذا البيت كمعنى الحديث لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلا وأما العشيرة بالشين المنقوطة فواحدة

بايدى حماة من لؤى بن غالب*
كرام المساعى فى الجدوبة والمحل

« قال ابن هشام » وأكثر اهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لابى جهل لعنه الله

﴿ غزوة بواط ﴾

* قال ابن اسحق ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الاول يريد قريشا * « قال ابن هشام » واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون * قال ابن اسحق حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الاولى

﴿ غزوة العشيرة ﴾

ثم غزا قريشا واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد فيما قال ابن هشام

قال ابن اسحق فسلك على نقب بنى دينار ثم على فيفاء الخبار فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن ازهر يقال لها ذات الساق فصلى عندها فثم مسجده صلى الله عليه وسلم وصنع له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس معه فموضع أثافى البرمة معلوم هنالك واستقى له من ماء به يقال له المشيرب ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك الخلائق بيسار وسلك شعبة يقال لها شعبة عبد الله وذلك اسمها اليوم ثم صب للشاد حتى هبط بليل فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة واستقى من بئر بالضبوعة ثم سلك الفرش فرش ملل حتى لقى الطريق بصخيرات اليمام ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الاولى وليالى من جمادى الآخرة ووادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا وفى تلك الغزوة قال لعلى بن أبى طالب ما قال عليه السلام * قال ابن اسحق فحدثنى يزيد بن محمد بن خثيم المحاربى عن محمد بن كعب القرظى عن محمد بن خثيم أبى يزيد عن عمار بن ياسر قال كنت أنا وعلى بن أبى طالب رفيقين فى غزوة العشيرة فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها رأينا بها أناسا من بنى مدلج يعملون فى عين لهم وفى نخل فقال لى على بن أبى طالب يا أبا اليقظان هل لك فى ان نأتى هؤلاء القوم فننظر كيف يعملون قال قلت ان شئت قال فجئناهم فنظرنا الى عملهم ساعة ثم غشينا النوم فانطلقت أنا وعلى حتى اضطجعنا

فى صور من النخل وفى دقعاء من التراب فنمنا فوالله ما أهبنا الا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركنا برجله وقد تتربنا من تلك الدقعاء التى نمنا فيها فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب ثم قال ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين قلنا بلى يا رسول الله قال أحيمر ثمود الذى عقر الناقة والذى يضربك يا على على هذه ووضع يده على قرنه حتى يبل منها هذه وأخذ بلحيته * قال ابن

العشر مصغرة * وذكر فيها الضبوعة وهو اسم موضع وهو فعولة من ضبعت الابل اذا مرت أضباعها فى السير وفى الضبوعة نزل عند شجرة يقال لها ذات الساق وابتنى ثم مسجدا واستقى من ماء هنالك يقال له المشيرب كذلك جاء فى رواية البكائى وغيره عن ابن اسحاق * وذكر فيه مللا وهو اسم موضع يقال انه انما سمى مللا لان الماشى اليه من المدينة لا يبلغه الا بعد جهد وملل وهو على عشرين ميلا من المدينة أو أكثر قليلا وذكر الخلائق وهى آبار معلومة * ورواها غير أبى الوليد الخلائق بخاء منقوطة وفسرها بعضهم جمع خليقة وهى البئر التى لا ماء فيها وأكثر روايات الكتاب على هذا فالله أعلم * وذكر فرش ملل والفرش فيما ذكر أبو حنيفة مكان مستو نبته العرفط والسيال والسمر يكون نحوا من ميل أو فرسخ فان أنبت العرفط وحده فهو وهط وان أنبت الطلح وحده فهو غول وجمعه غلان على غير قياس وان أنبت النصى والصليان وكان نحوا من ميلين قيل له لمة * وذكر حديثين فى تكنية على بأبى تراب وأصح من ذلك ما رواه البخارى فى جامعه وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده فى المسجد نائما وقد ترب جنبه فجعل يحث التراب عن جنبه ويقول قم أبا تراب وكان قد خرج الى المسجد مغاضبا لفاطمة وهذا معنى الحديث وما ذكره ابن اسحق من حديث عمار مخالف له الا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بها مرتين مرة فى المسجد ومرة فى هذه الغزوة فالله أعلم * وذكر أشقى الناس قال وهو أحيمر ثمود الذى عقر ناقة صالح واسمه قدار بن سالف وأمه قديرة وهو من التسعة رهط المذكورين فى سورة النمل وقد ذكرت أسماءهم فى كتاب التعريف والاعلام * وذكر موادعته لبنى ضمرة وهم بطن من كنانة ثم من بنى ليث وهم بنو غفار وبنو نعيلة بنى مليل بن ضمرة وكانت نسخة الموادعة فيما ذكر غير ابن اسحق بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى ضمرة فانهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وان لهم النصر على من رامهم

اسحق وقد حدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمى عليا أبا تراب انه كان اذا عتب على فاطمة فى شىء لم يكلمها ولم يقل لها شيئا تكرهه الا انه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى عليه التراب عرف انه عاتب على فاطمة فيقول مالك يا أبا تراب فالله أعلم أى ذلك كان

﴿ سرية سعد بن ابى وقاص ﴾

(قال ابن اسحق) وقد كان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين ذلك من غزوة سعد بن أبى وقاص فى ثمانية رهط من المهاجرين فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز ثم رجع ولم يلق كيدا « قال ابن هشام » ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة

﴿ ذكر غزوة سفوان ﴾

وهى غزوة بدر الاولى * قال ابن اسحق ولم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة الا ليالى قلائل لا تبلغ العشرة حتى أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه واستعمل على المدينة زيد بن حارثة فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر وفاته كرز بن جابر فلم يدركه وهى غزوة بدر الاولى ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فأقام بها بقية جمادى الآخرة ورجب وشعبان

﴿ سرية عبد الله بن جحش ونزول يسئلونك عن الشهر الحرام ﴾

و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش بن رئاب الاسدي في رجب مقفله من بدر الاولى و بعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد، وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحداً وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ومن حلفائهم عبد الله بن جحش وهو أمير القوم وعكاشة بن محصن بن حرثان أحد بني أسد بن خزيمة حليف لهم ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر حليف لهم ومن بني زهرة بن كلاب سعد بن أبي وقاص ومن بني عدي بن كعب عامر بن ربيعة حليف لهم من عنز بن وائل وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع أحد بني تميم حليف لهم وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف لهم ومن بني الحرث بن فهر سهيل بن بيضاء * فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه فاذا فيه اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال سمعاً وطاعة ثم قال لاصحابه قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمضي الى نخلة أرصد بها قريشا حتى آتيه منهم بخبر وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم فمن كان منكم يريد الشهادة و يرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فاما أنا فماض لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد وسلك على الحجاز حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه فتخلفا عليه في طلبه ومضى عبد الله بن جحش و بقية أصحابه حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي «قال ابن هشام» واسم الحضرمي عبد الله بن عباد أحد الصدف واسم الصدف عمرو بن مالك أحد السكون بن أشرس بن كندة ويقال كندي * قال ابن اسحق وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فاشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه فلما رأوه أمنوا وقالوا عمار لا بأس عليكم منهم وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقال القوم والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فاعجزهم وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير و بالاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش ان عبد الله قال لاصحابه ان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما غنمنا الخمس وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغانم فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس العير وقسم سائرها بين أصحابه «قال ابن هشام» فلما قدموا على

الا أن يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة وان النبي اذا دعاهم لنصره أجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله ولهم النصر على من برمنهم واتقى

﴿ سرية عبد الله بن جحش ﴾

وهو المجدع في الله وسيأتي حديثه في غزوة أحد وترجم البخاري على هذا الحديث في كتاب العلم احتجاجا به على صحة الرواية بالمناولة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ناول عبد الله بن جحش كتابه ففتحه بعد يومين فعمل على ما فيه وكذلك العالم اذا ناول التلميذ كتابا جاز له أن يروي عنه ما فيه وهو فقه صحيح غير ان الناس جعلوا المناولة اليوم على غير هذه الصورة يأتي الطالب الشيخ فيقول ناولني كتبك فيناوله ثم يمسك متاعه عنده ثم ينصرف الطالب فيقول حدثني فلان مناولة وهذه رواية لا تصح على هذا الوجه حتى يذهب بالكتاب معه وقد أذن له أن يحدث بما فيه عنه وممن قال بصحة المناولة على الوجه الذي ذكرناه مالك بن أنس روى اسماعيل بن صالح عنه انه أخرج لهم كتبا مشدودة فقال هذه كتبي صححتها ورويتها فارووها عني فقال له اسماعيل بن صالح فنقول حدثنا مالك قال نعم روى قصة اسماعيل هذه الدارقطني في كتاب رواة مالك رحمه الله * وذكر عمرو بن الحضرمي وكانوا ثلاثة عمراً وعامراً والعلاء فاما العلاء فمن أفاضل الصحابة واختهم الصعبة أم طلحة بن عبيد الله وكانت قبل أبيه عند أبي سفيان بن حرب وفيها يقول حين فارقها

واني وصعبة فيما نرى * بعيدان والود ود قريب
فان لا يكن نسب ثاقب * فعند الفتاة جمال وطيب
فيال قصي ألا تعجبون * الى الوبر صار الغزال الربيب

رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فوقف العير والاسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيا فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط فى أيدى القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الاموال وأسروا فيه الرجال فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة انما أصابوا ما أصابوا فى شعبان وقالت يهود تفاءل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله عمرو عمرت الحرب والحضرمى حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله عليهم ذلك لا لهم فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل أى ان كنتم قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام واخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منه والفتنة أكبر من القتل أى قد كانوا يفتنون المسلم فى دينه حتى يردوه الى الكفر بعد ايمانه فذلك أكبر عند الله من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا أى ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين فلما نزل القرآن بهذا من الامر وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين وبعثت اليه قريش فى فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان فانا نخشاكم عليهما فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعد وعتبة ففداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فاما الحكم بن كيسان فاسلم فحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافرا فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن لم

طمعوا فى الاجر فقالوا يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين فانزل الله عز وجل فيهم ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء والحديث فى هذا عن الزهرى ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير * قال ابن اسحق وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش ان الله عز وجل قسم الفىء حين أحله فجعل أربعة أخماسه لمن أفاءه الله وخمسه الى الله ورسوله فوقع على ما كان عبد الله بن جحش صنع فى تلك العير «قال ابن هشام» وهى أول غنيمة غنمها المسلمون وعمرو بن الحضرمى أول من قتله المسلمون وعثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون * قال ابن اسحق فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى غزوة عبد الله بن جحش ويقال بل عبد الله بن جحش قالها حين قالت قريش قد أحل محمد وأصحابه الشهر الحرام فسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال وأسروا فيه الرجال «قال ابن هشام» هى لعبد الله بن جحش

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة * وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد * وكفر به والله راء وشاهد
واخراجكم من مسجد الله أهله * لئلا يرى لله فى البيت ساجد
فانا وان عيرتمونا بقتله * وأرجف بالاسلام باغ وحاسد

وفى نسب بنى الحضرمى اضطراب فقد قيل ما قاله ابن اسحق وقيل هو عبد الله بن عماد بن ربيعة وقيل ابن عياد وابن عباد بالباء والذى ذكره ابن اسحق أصح وهم من الصدف ويقال فيه الصدف بكسر الدال قاله ابن دريد والصدف مالك بن مرتع بن ثور وهو كندة وقد قدمنا ما قيل فى اسم كندة وفى معناه فى المبعث وقد قيل فى الصدف هو ابن سمال بن دعمى بن زياد بن حضرموت وقيل فى حضرموت انه من ولد حمير بن سبا وقيل هو ابن قحطان بن عابر والله أعلم * وذكر الشهر الحرام وما كان من أهل السرية فيه وانه سقط فى أيديهم لما أصابوا فيه من الدم وذلك ان تحريم القتال فى الاشهر الحرم كان حكما معمولا به من عهد ابراهيم واسماعيل وكان من حرمات الله ومما جعله مصلحة لاهل مكة قال الله تعالى «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام» وذلك لما دعا ابراهيم لذريته بمكة اذ كانوا بواد غير ذى زرع أن يجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم فكان فيما فرض على الناس من حج البيت قواما لمصلحتهم ومعاشهم ثم جعل الاشهر الحرم أربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو رجب أما الثلاثة فليأمن الحجاج واردين الى مكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحج وشهرا بعده قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع حكمة من الله وأما رجب فللعمار يأمنون فيه مقبلين وراجعين نصف الشهر للاقبال ونصفه للاياب اذ لا تكون العمرة من أقاصى بلاد العرب كما يكون الحج ألا ترى انا لا نعتمر من بلاد المغرب فاذا أردنا عمرة فانما تكون مع الحج واقصى منازل المعتمرين بين مسيرة خمسة عشر يوما فكانت الاقوات تأتيهم فى المواسم وفى سائر العام تنقطع عنهم ذؤبان العرب وقطاع السبل فكان فى رجب أمان للسالكين اليها مصلحة لاهلها ونظرا من الله لهم دبره وأبقاه من ملة ابراهيم

سقينامن ابن الحضرمى رماحنا * بنخلة لما أوقد الحرب واقد دما وابن عبد الله عثمان بيننا * ينازعه غل من القد عاند

﴿ تاريخ القبلة ﴾ * قال ابن اسحق ويقال صرفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ﴿ غزوة بدر الكبرى ﴾ * قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبى سفيان بن حرب مقبلا من الشام فى عير لقريش عظيمة فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون منهم مخرمة ابن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام «قال ابن هشام» ويقال عمرو بن العاص بن وائل ابن هاشم * قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن مسلم الزهرى وعاصم عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ويزيد بن رومان عن عروة ابن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس رضى الله عنهما كل قد حدثنى بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الاخبار ويسأل من لقى من الركبان تخوفا عن أمر الناس حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه الى مكة وأمره ان يأتى قريشا فيستنفرهم الى أموالهم ويخبرهم ان محمدا قد عرض لنا فى أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعا الى مكة ﴿ ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب ﴾ * قال ابن اسحق فاخبرنى من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قالا وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتنى وتخوفت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عنى ما أحدثك به قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعيرله حتى وقف بالأبطح ثم صرخ باعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث فارى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينماهم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلتها منها فلقة قال العباس والله ان هذه لرؤيا وأنت فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان له صديقا فذكرها له واستكتمه اياها

لم يغير حتى جاء الاسلام فكان القتال فيه محرما كذلك صدرا من الاسلام ثم أباحته آية السيف وبقيت حرمة الاشهر الحرم لم تنسخ قال الله سبحانه «منها أربعة حرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم» فتعظيم حرمتها باق وان أبيح القتال وقد روى عن عطاء أن تحريم القتال فيها حكم ثابت لم ينسخ وقد تقدم فى باب نسب النبى صلى الله عليه وسلم ذكر سعد رجب وهو أول من سنه للعرب فيما زعموا

﴿ غزوة بدر ﴾

وبدر اسم بئر حفرها رجل من غفار ثم من بنى النار منهم اسمه بدر وقد ذكرنا فى هذا الكتاب قول من قال هو بدر بن قريش بن يخلد الذى سميت قريش به وروى يونس عن ابن أبى زكريا عن الشعبى قال بدر اسم رجل كانت له بدر

﴿ فصل ﴾ وذكر أباسفيان وانه حين دنا من الحجاز كان يتحسس الاخبار التحسس بالحاء أن تتسمع الاخبار بنفسك والتجسس بالجيم هو أن تفحص عنها بغيرك وفى الحديث لا تجسسوا ولا تحسسوا * وذكر رؤيا عاتكة والصارخ الذى رأته يصرخ باعلا صوته يالغدر هكذا هو بضم الغين والدال جمع غدور ولا تصح رواية من رواه يالغدر بفتح الدال مع كسر الراء ولا فتحها لانه لا ينادى واحدا ولان لام الاستغاثة لا تدخل على مثل هذا البناء فى النداء وانما يقول يالغدر انفروا وتحريضا لهم أى ان تخلفتم فانتم غدر لقومكم وفتحت لام الاستغاثة لان المنادى قد وقع موقع الاسم المضمر ولذلك بنى فلما دخلت عليه لام الاستغاثة وهى لام جر فتحت كما تفتح لام الجر اذا دخلت على المضمرات هذا قول ابن السراج ولابى سعيد السيرافى فيها تعليل غير هذا كرهنا الاطالة بذكره وهذا القول مبنى فى شرح يالغدر انما هو على رواية الشيخ وما وقع فى أصله وأما أبو عبيد فقال فى المصنف تقول يا غدر أى يا غادر فاذا جمعت قلت يا آل غدر وهكذا والله أعلم كان الاصل فى هذا الخبر والذى تقدم تغيير * وقوله ثم مثل به بعيره على أبى قبيس سمى هذا الجبل أباقبيس برجل هلك فيه من جرهم اسمه قبيس بن شالخ وقع ذكره فى حديث عمرو بن مضاض كما سمى حنين الذى

فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث بمكة حتى تحدثت به قريش فى أنديتها قال العباس فغدوت لاطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآنى أبو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال لى أبو جهل يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وما ذاك قال تلك الرؤيا التى رأت عاتكة قال فقلت وما رأت قال يا بنى عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم قد زعمت عاتكة فى رؤياها انه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك حقا ما تقول فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شىء نكتب عليكم كتابا انكم أكذب أهل بيت فى العرب قال العباس فوالله ما كان منى اليه كبير الا انى جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئا قال ثم تفرقنا فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا أتتنى فقالت أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشىء مما سمعت قال قلت قد والله فعلت ما كان منى اليه من كبير وايم الله لاتعرضن له فان عاد لاكفينكنه قال فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى انى قد فاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه قال فدخلت المسجد فرأيته فوالله انى لامشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر قال اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال قلت فى نفسى ماله لعنه الله كل هذا فرق منى أن أشاتمه قال واذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الامر فتجهز الناس سراعا وقالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى كلا والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد الا ان أبا لهب بن عبد المطلب تخلف وبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه أفلس بها فاستأجره بها على ان يجزئ عنه بعثه فخرج عنه وتخلف أبو لهب * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ان أمية بن خلف كان أجمع القعود وكان شيخا جليلا جسيما ثقيلا فأتاه عقبة بن أبى معيط وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى قومه بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر حتى وضعها بين يديه ثم قال يا أبا على استجمر فانما أنت من النساء قال قبحك الله وقبح ما جئت به قال ثم تجهز فخرج مع الناس

﴿ ذكر أمر الحرب بين كنانة وقريش وتحاجزهم عند وقعة بدر ﴾

* قال ابن اسحق ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كان بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا انا نخشى أن يأتونا من خلفنا وكانت الحرب التى كانت بين قريش وبين بنى بكر كما حدثنى بعض بنى عامر بن لؤى عن محمد بن سعيد بن المسيب فى ابن الحفص ابن الاخيف أحد بنى معيص بن عامر بن لؤى خرج يبتغى ضالة له بضجنان وهو غلام حدث فى رأسه ذؤابة وعليه حلة له وكان غلاما وضيئا نظيفا فمر بعامر بن يزيد بن عامر بن الملوح أحد بنى يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو بضجنان وهو سيد بنى بكر يومئذ فرآه فأعجبه فقال من أنت يا غلام قال أنا ابن الحفص بن الاخيف القرشى فلما ولى الغلام قال عامر بن يزيد يا بنى بكر مالكم فى قريش من دم قالوا بلى والله ان لنا فيهم لدما قال ما كان رجل ليقتل هذا الغلام برجله الا كان قد استوفى دمه قال فتبعه رجل من بنى بكر فقتله بدم كان له فى قريش فتكلمت فيه قريش فقال عامر بن يزيد يا معشر قريش قد كانت لنا فيكم دماء فما شئتم ان شئتم فأدوا علينا ما لنا قبلكم ونؤدى ما لكم قبلنا وان شئتم فانما هى الدماء رجل برجل فتجافوا عما لكم قبلنا ونتجافى عما قبلكم فهان ذلك الغلام على هذا الحى من قريش وقالوا صدق رجل برجل فلهوا عنه فلم يطلبوا به قال فبينما أخوه مكرز بن حفص بن الاخيف يسير بمر الظهران اذ نظر الى عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح على جمل له فلما رآه أقبل

كانت فيه حنين بحنين بن قالية بن مهلايل أظنه كان من العماليق وقد ذكره البكرى فى كتاب معجم ما استعجم * وذكر حديث أبى لهب وبعثه العاصى بن هشام وكان لاط له بأربعة آلاف درهم لاط له أى أربى له وكذلك جاء اللياط مفسرا فى غريب الحديث للخطابى وهو قوله عليه السلام فى الكتاب الذى كتبه لثقيف وما كان لهم من دين لا رهن فيه فهو لياط مبرأ من الله وقال أبو عبيد وسمى الربا لياطا لانه ملصق بالبيع وليس ببيع وقيل للربا لياطا لانه لاصق بصاحبه لا يقضيه ولا يوضع عنه وأصل هذا اللفظ من اللصوق وعزم أمية بن خلف على القعود وان عقبة بن أبى معيط جاءه بمجمرة فيها نار ومجمر وقال استجمر فانما أنت من النساء المجمرة هى الاداة التى يجعل فيها البخور والمجمر هو البخور نفسه وفى الحديث فى صفة أهل الجنة مجامرهم الالوة فهذا جمع مجمر لا مجمرة والالوة هى العود الرطب وفيها أربع لغات ألوة وألوة

اليه حتى أناخ به وعامر متوشح بسيفه فعلاه مكرز بسيفه حتى قتله ثم خاض بطنه بسيفه ثم أتى به مكة فعلقه من الليل باستار الكعبة فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد بن عامر معلقا باستار الكعبة فعرفوه فقالوا ان هذا اسيف عامر بن يزيد عدا عليه مكرز بن حفص فقتله فكان ذلك من أمرهم فبيناهم فى ذلك من حربهم حجز الاسلام بين الناس فتشاغلوا به حتى أجمعت قريش المسير الى بدر فذكروا الذى بينهم وبين بنى بكر فخافوهم وقال مكرز بن حفص فى قتله عامرا

لما رأيت انه هو عامر * تذكرت اشلاء الحبيب الملحب
وقلت لنفسى انه هو عامر * فلا ترهبيه وانظرى أى مركب
وأيقنت انى ان أجاله ضربة * متى ما أصبه بالفرافر يعطب
خفضت له جاشى وألقيت كلكلى * على بطل شاكى السلاح مجرب
ولم أك لما التف روعى وروعه * عصارة هجن من نساء ولا أب
حللت به وترى ولم أنس ذحله * اذا ما تناسى ذحله كل عيهب

«قال ابن هشام» الفرافر فى غير هذا الموضع الرجل الاضبط وفى هذا الموضع السيف وقال ابن هشام العيهب الذى لا عقل له ويقال تيس الظباء وفحل النعام قال الخليل العيهب الرجل الضعيف عن ادراك وتره * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بكر فكاد ذلك يثنيهم فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة فقال لهم انا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه فخرجوا سراعا * قال ابن اسحق وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليال مضت من شهر رمضان فى أصحابه «قال ابن هشام» خرج يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان واستعمل عمرو بن أم مكتوم ويقال اسمه عبد الله بن أم مكتوم أخا بنى عامر بن لؤى على الصلاة بالناس ثم رد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة * قال ابن اسحق ودفع اللواء الى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار «قال ابن هشام» وكان أبيض * قال ابن اسحق وكان امام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان احداهما مع على بن أبى طالب يقال لها العقاب والاخرى مع بعض الانصار * قال ابن اسحق وكانت ابل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيرا فاعتقبوها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب ومرثد ابن أبى مرثد الغنوى يعتقبون بعيرا وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيرا وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرا * قال ابن اسحق وجعل على الساقة قيس بن أبى صعصعة أخا بنى مازن ابن النجار وكانت راية الانصار مع سعد بن معاذ فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق فسلك طريقه من المدينة الى مكة على نقب المدينة ثم على العقيق ثم على ذى الحليفة ثم على أولات الجيش «قال ابن هشام» ذات الجيش * قال ابن اسحق ثم مر على تربان ثم على ملل ثم على غميس الحمام من مريين ثم على صخيرات اليمام ثم على السيالة ثم على فج الروحاء ثم على شنوكة وهى الطريق المعتدلة حتى اذا كان بعرق الظبية «قال ابن هشام» الظبية عن غير ابن اسحق لقوا رجلا من الاعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا فقال له الناس سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وفيكم رسول الله قالوا نعم فسلم عليه ثم قال ان كنت رسول الله فاخبرنى عما فى بطن ناقتى هذه قال له سلمة بن سلامة بن وقش لا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على فانا أخبرك عن ذلك نزوت عليها ففى بطنها منك سخلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه أفحشت على الرجل ثم أعرض عن سلمة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم سجسج وهى بئر الروحاء ثم ارتحل منها حتى اذا كان بالمنصرف ترك طريق مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدرا فسلك فى ناحية منها حتى جزع واديا يقال له رحقان بين النازية

وألوة ولوة بغير ألف ولية قاله أبو حنيفة * وذكر فى شعر مكرز * تذكرت أشلاء الحبيب الملحب * الاشلاء أعضاء مقطعة والملحب من قولهم لحبت اللحم اذا قطعته طولا ذكره صاحب العين * وذكر فى شعر مكرز * متى ما أجاله الفرافر يعطب * وقد فسر ابن هشام الفرافر وقال هو اسم سيف وهو عندى من فرفر اللحم اذا قطعه أنشد أبو عبيد

كـكلب طسم وقد تربيه * يعله بالحليب فى الغلس
أنحى عليه يوما يفرفره * ان لا يلغ فى الدماء ينتهس

ويروى يشرشره والعيهب الذى لا عقل له ويقال لذكر النعم عيهب * وذكر عرق الظبية والظبية شجرة شبه القتادة يستظل بها وجمعها ظبيان وكذلك ذكر السيالة فى طريق بدر والسيال شجر ويقال هو عظام السلم قاله أبو حنيفة * وذكر النازية وهى رحبة واسعة فيها عضاه ومروج * وذكر سجسجا وهى بالروحاء وسميت سجسجا لانها بين جبلين وكل شئ بين شيئين فهو سجسج وفى الحديث ان هواء الجنة سجسج أى لا حر ولا برد وهو عندى من لفظ السجاج وهو لبن غير خالص وذلك اذا أكثر مزجه بالماء قال الشاعر

ويشربها مزجا ويسقى عياله * سجاجا كاقراب الثعالب أورقا

و بين مضيق الصفراء ثم على المضيق ثم انصب منه حتى اذا كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهنى حليف بنى ساعدة وعدى بن أبى الزغباء الجهنى حليف بنى النجار الى بدر يتحسسان له الاخبار عن أبى سفيان بن حرب وغيره ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قدمهما فلما استقبل الصفراء وهى قرية بين جبلين سال عن جبليهما ما أسماؤهما فقالوا يقال لاحدهما هذا مسلح وقالوا للا خر هذا مخرىء وسال عن أهلهما فقيل بنو النار و بنو حراق بطنان من بنى غفار فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما وتفاءل باسمائهما وأسماء أهلهما فتركهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والصفراء بيسار وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران فجزع فيه ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له به ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس وانما يريد الانصار وذلك انهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يارسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دورنا فاذا وصلت الينا فانت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصره الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله كأنك تريدنا يارسول الله قال أجل قال فقد وجدت آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا وأبشروا فان الله تعالى قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران فسلك على ثنايا يقال لها الاصافر ثم انحط منها الى بلد يقال له الدبة وترك الحنان بيمين وهو كثيب عظيم كالجبل ثم نزل قريبا من بدر فركب هو ورجل من أصحابه « قال ابن هشام » الرجل هو أبو بكر الصديق * قال ابن اسحق كما حدثنى محمد

وهذا القول جار على قياس من يقول ان الثرثارة من لفظ الثرة و رقرقت من لفظ رققت الى آخر الباب * وذكر الصفراء وهى واد كبير * وذكر بسبس بن عمرو الجهنى وعدى بن أبى الزغباء حين بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحسسان الاخبار عن عير قريش و فى مصنف أبى داود بسيسة مكان بسبس و بعض رواة أبى داود يقول بسيسة بضم الباء وكذلك وقع فى كتاب مسلم ونسبه ابن اسحق الى جهينة ونسبه غيره الى ذبيان وقال هو بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن عمرو بن سعد بن ذبيان * وأما عدى ابن أبى الزغباء واسم أبى الزغباء سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة بن بذيل وليس فى العرب بذيل بالذال المنقوطة غير هذا قاله الدارقطنى وهو بذيل بن سعد بن عدى بن كاهل بن نصر بن ملك بن غطفان بن قيس ابن جهينة وجهينة هو ابن سود بن أسلم بضم اللام ابن الحاف بن قضاعة قال موسى بن عقبة عدى بن أبى الزغباء حليف بنى مالك بن النجار مات فى خلافة عمر وكان قد شهد بدرا وأحدا والخندق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * وذكر انه عليه السلام مر بجبلين فسأل على اسميهما فقيل له أحدهما مسلح والآخر مخرئ فعدل عن طريقهما وليس هذا من باب الطيرة التى نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن من باب كراهية الاسم القبيح فقد كان عليه السلام يكتب الى أمرائه اذا أبردتم الى بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم ذكره البزار من طريق بريدة وقد قال فى لقحة من يحلب هذه فقام رجل فقال أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك فقال مرة فقال اقعد حتى قال آخرهم اسمى يعيش قال احلب اختصرت الحديث وفيه زيادة رواها ابن وهب قال فقام عمر فقال لا أدرى أقول ام أسكت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل فقال له قد كنت نهيتنا عن التطير فقال عليه السلام ما تطيرت ولكنى أثرت الاسم الحسن او كما قال عليه السلام وقد أمليت فى شرح حديث الموطأ فى الشؤم وانه ان كان ففى المرأة والفرس والدار تحقيقا وبيانا شافيا لمعناه وكشفا عن فقهه لم أر أحدا والحمد لله سبقنى الى مثله وهذان الجبلان لتسميتهما بهذين الاسمين سبب وهو أن عبد البنى غفار كان يرعى بهما غنما لسيده فرجع ذات يوم عن المرعى فقال له سيده لم رجعت فقال ان هذا الجبل مسلح للغنم وان هذا الآخر مخرئ فسميا بذلك وجدت ذلك بخط الشيخ الحافظ فيما نقل عن الوقشى * وذكر قول المقداد ولو بلغت بنا برك الغماد

ابن يحيى بن حبان حتى وقف على شيخ من العرب فساله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخبرتنا أخبرناك قال أذاك بذاك قال نعم قال الشيخ فانه بلغنى أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم و بلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى فيه قريش فلما فرغ من خبره قال ممن أنتما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء ثم انصرف عنه قال يقول الشيخ ما من ماء أمن ماء العراق «قال ابن هشام» و يقال الشيخ سفيان الضمرى * قال ابن اسحق ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصحابه فلما أمسى بعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحابه الى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه كما حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير فاصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج وعريض أبو يسار غلام بنى العاص بن سعيد فاتوا بهما وسالوهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لابى سفيان فضربوهما فلما أذلقوهما قالا نحن لابى سفيان فتركوهما وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتيه ثم سلم وقال اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذبا كم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش أخبرانى عن قريش قالا هم والله وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ما عدتهم قالا لا ندرى قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما تسعا و يوما عشرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم فيما بين التسعمائة والالف قال لهما فمن فيهم من أشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحرث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدى بن نوفل والنضر بن الحرث وزمعة بن الاسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها * قال ابن اسحق وكان بسبس بن عمرو وعدى بن أبى الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدرا فاناخا الى تل قريب من الماء ثم أخذا شنا لهما يستقيان فيه ومجدى بن عمرو الجهنى على الماء فسمع عدى و بسبس جاريتين من جوارى الحاضر وهما يتلازمان على الماء والملزومة لصاحبتها انما تاتى العير غدا أو بعد غد فاعمل لهم ثم أقضيك الذى لك فقال مجدى صدقت ثم خلص بينهما وسمع ذلك عدى و بسبس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجدت فى بعض كتب التفسير انها مدينة الحبشة

فاخبراه بما سمعا وأقبل أبو سفيان بن حرب حتى تقدم العير حذرا حتى ورد الماء فقال لمجدى بن عمرو هل أحسست أحدا فقال ما رأيت أحدا أنكره الا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا الى هذا التل ثم استقيا فى شن لهما ثم انطلقا فاتى أبو سفيان مناخهما فاخذ من أبعار بعيريهما ففته فاذا فيه النوى فقال والله هذه علائف يثرب فرجع الى أصحابه سريعا فضرب وجه عيره عن الطريق فساحل بها وترك بدرا بيسار وانطلق حتى أسرع وأقبلت قريش فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا فقال انى رأيت فيما يرى النائم وانى لبين النائم واليقظان اذ نظرت الى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فعدد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ثم رأيته ضرب فى لبة بعيره ثم أرسله فى العسكر فما بقى خباء من أخبية العسكر الا أصابه نضح من دمه قال فبلغت أبا جهل فقال وهذا أيضا نبى آخر من بنى المطلب سيعلم غدا من المقتول ان نحن التقينا * قال ابن اسحق ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل بن هشام والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب و بمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها فامضوا وقال الاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى وكان حليفا لبنى زهرة وهم بالجحفة يا بنى زهرة قد نجى الله لكم أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل وانما نفرتم لتمنعوه وماله فاجعلوا بى جبنها وارجعوا فانه لا حاجة لكم بان تخرجوا فى غير ضيعة لا ما يقول هذا يعنى أبا جهل فرجعوا فلم يشهدها زهرى واحد أطاعوه وكان فيهم مطاعا ولم يكن بقى من قريش بطن الا وقد نفر منهم ناس الا بنى عدى بن كعب لم يخرج منهم رجل واحد فرجعت بنو زهرة مع الاخنس بن شريق فلم يشهد بدرا من هاتين القبلتين أحد ومضى القوم وكان بين طالب بن أبى طالب وكان فى القوم و بين بعض قريش محاورة فقالوا والله لقد عرفنا يا بنى هاشم وان خرجتم معنا ان هواكم لمع محمد فرجع طالب الى مكة مع من رجع وقال طالب بن أبى طالب

لاهم اما يغزون طالب * فى عصبة محالف محارب

فى مقنب من هذه المقانب * فليكن المسلوب غير السالب

وليكن المغلوب غير الغالب *

«قال ابن هشام» قوله فليكن المسلوب وقوله وليكن المغلوب عن غير واحد من الرواة للشعر * قال ابن اسحق ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من

الوادي خلف العقنقل و بطن الوادي وهو يليل بين بدرو بين العقنقل الكثيب الذي خلفه قريش والقلب ببدر في العدوة الدنيا من بطن يليل الى المدينة و بعث الله السماء وكان الوادي دهسا فاصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ماء لبدلهم الارض ولم يمنعهم عن السير وأصاب قريشا منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم الى الماء حتى اذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به * قال ابن اسحق فحدثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا ان الحباب بن المنذر بن الجموح قال يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة قال بل هو الرأى والحرب والمكيدة قال يارسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملوءه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأى فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى اذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت و بني حوضا على القليب الذي نزل عليه فملىء ماء ثم قذفوا فيه الآنية * قال ابن اسحق فحدثني عبدالله بن أبي بكر انه حدث أن سعد بن معاذ رضي الله عنه قال يانبي الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه و نعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان اعزنا الله

وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن و راءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يانبي الله ما نحن باشد لك حبا منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك و يجاهدون معك فاثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم بني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه * قال ابن اسحق وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فاقبلت فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب الذي جاؤا منه الى الوادي قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم

سيعلم

أحنهم الغداة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و رأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر فقال ان يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا وقد كان خفاف بن ايماء بن رحضة الغفاري أو أبو ايماء بن رحضة الغفاري بعث الى قريش حين مروا به ابناله بجزائر أهداها لهم وقال ان أحببتم ان نمدكم بسلاح و رجال فعلنا قال فارسلوا اليه مع ابنه ان وصلتك رحم قد قضيت الذي عليك فلعمري لئن كنا انما نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم ولئن كنا انما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لاحد بالله من طاقة فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حكيم بن حزام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ الا قتل الا ما كان من حكيم بن حزام فانه لم يقتل ثم أسلم بعد ذلك فحسن اسلامه فكان اذا اجتهد في يمينه قال لا والذي نجاني من يوم بدر * قال ابن اسحق وحدثني أبي اسحق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الانصار قالوا لما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي فقالوا احزر لنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع اليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون ولكن امهلوني حتى انظر أللقوم كمين أو مدد قال فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيأ فرجع اليهم فقال ما وجدت

* وذكر القلب التي احتفرها المشركون ليشربوا منها قال فامر بتلك القلب فعورت وهي كلمة نبيلة وذلك ان القلب لما كان عينا جعلها كعين الانسان و يقال في عين الانسان غرتها فغارت ولا يقال غورتها وكذلك قال في القلب عورت بسكون الواو ولكن لما رد الفعل لما لم يسم فاعله ضمت العين فجاء على لغة من يقول قول القول و بوع المتاع وهي لغة هذيل و بني دبير من بني أسد و بني فقعس و بنو دبير هو تصغير أدبر على الترخيم وان كانت لغة رديئة فقد حسنت هنا للمحافظة على لفظ الواو اذ لو قالوا عيرت فاميتت الواو لم يعرف انه من العور الا بعد نظر كما حافظوا في جمع عيد على لفظ الياء في عيد فقالوا اعياد وتركوا القياس الذي في ريح وار واح على ان أرباح لغة بني أسد كي لا تذهب من اللفظ الدلالة على معنى العين وان كان من العودة وقس على هذا القول وصحة الواو فيه وكما حافظوا على الضمة في سبوح وقدوس وقياسه ان يكون على فعول بفتح الفاء كتنوم وشبوط و بابه ولكن حافظوا على الضمتين ليسلم لفظ القدس والسبحات وسبحان الله يستشعر المتكلم بهذين الاسمين معنى القدس ومعنى سبحان من أول وهلة ولما ذكرناه نظائر كثيرة يخرجنا ايرادها عن الغرض * وذكر قول ابي جهل قم فانشد خفرتك اى اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك لانه كان حليفالهم وجارا يقال خفرت الرجل خفرة اذا أجرته والخفير المجير قال العبادي

من رأيت الايام خلدن ام من * ذا عليه من ان يضام خفير

وقوله حقبت الحرب يقال حقب الامر اذا اشتد وضاقت فيه المسالك وهو مستعار من حقب البعير اذا اشتد عليه الحقب وهو الحزام الاسفل و راغ حتى يبلغ ثيله فضاق عليه مسلك البول * وقول عتبة في ابي جهل

شيئا ولكنى قد رأيت يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم والله ما أرى ان يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال ياأبا الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك الى ان لا تزال تذكر منها بخير الى آخر الدهر قال وماذاك يا حكيم قال ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمى قال قد فعلت أنت على بذلك انما هو حليفى فعلى عقله وما أصيب من ماله فأت ابن الحنظلية «قال ابن هشام» والحنظلية أم أبى جهل وهى أسماء بنت مخربة احد بنى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فانى لا اخشى ان يشجر أمر الناس غيره يعنى أبا جهل بن هشام ثم قام عتبة بن ربيعة خطيبا فقال يامعشر قريش انكم والله ما تصنعون بان تلقوا محمدا واصحابه شيا والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه قتل ابن عمه أو ابن خاله او رجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد و بين سائر العرب فان اصابوه فذاك الذى أردتم وان كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون قال حكيم فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل درعا له من جرابها فهو يهنئها «قال ابن هشام» يهيئها فقلت له ياأبا الحكم ان عتبة ارسلنى اليك بكذا وكذا للذى قال فقال انتفخ والله سحره حين رأى محمدا واصحابه كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا و بين محمد وما بعتبة ماقال ولكنه قد رأى ان محمدا واصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه

(٦٧)

ثم بعث الى عامر بن الحضرمى فقال هذا حليفك يريدان يرجع بالناس وقد رأيت ثارك بعينك فقم فانشد خفرتك ومقتل اخيك فقام عامر بن الحضرمى فاكتشف ثم صرخ واعمراه واعمراه فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوثقوا على ماهم عليه من الشر فافسد على الناس الرأى الذى دعاهم اليه عتبة فلما بلغ عتبة قول ابى جهل انتفخ والله سحره قال سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو «قال ابن هشام» السحر الرئة وماحولها مما يعلق بالحلقوم من فوق السرة وما كان تحت السرة فهو القصب ومنه قوله رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار «قال ابن هشام» حدثنى بذلك ابو عبيدة ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها فى رأسه فما وجد فى الجيش بيضة تسعه من عظم هامته فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببرد له * قال ابن اسحق وقد خرج الاسود بن عبد الاسد المخزومى وكان رجلا شرسا سيئ الخلق فقال أعاهد الله لاشربن من حوضهم اولاهدمنه اولاموتن دونه فلما خرج خرج اليه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو اصحابه ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد زعم أن تبر يمينه واتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين اخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى اذا فصل من الصف دعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الانصار ثلاثة وهم عوف ومعوذ ابنا الحرث وأمهما عفراء ورجل آخر يقال هو عبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم فقالوا رهط من الانصار قالوا مالنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم يامحمد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم ياعبيدة بن الحرث قم ياحمزة قم ياعلى فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم قال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال على على قالوا نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة و بارز حمزة شيبة بن ربيعة و بارز على الوليد بن عتبة فاما حمزة فلم يمهل شيبة ان قتله وأما على فلم يمهل الوليد أن قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا

سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره السحر والسحر الرئة والسحر ايضا بفتح الحاء وهو قياس فى كل اسم على فعل اذا كان عين الفعل حرف حلق ان يجوز فيه الفتح فيقال فى الدهر الدهر و فى اللحم اللحم حتى قالوا فى النحو النحو ذكرها ابن جنى ولم يعتمدوا على هذا التحريك الذى من أجل حرف الحلق لما كان لعلة فلم يقلبوا الواو من أجله الفاحين قالوا النحو والزهد ولو اعتدوا بالفتحة لقلبوا الواو ألفا كما لم يعتدوا بها فى يهب و يضع اذ كان الفتح فيه من اجل حرف الحلق ولو اعتدوا به لردوا الواو فقالوا يوضع و يوهب كما قالوا يوجل *وقوله مصفر استه كلمة لم يخترعها عتبة ولا هو بابى عذرها قد قيلت قبله لقابوس بن النعمان اولقابوس بن المنذر لانه كان مرفها لا يغزو فى الحروب فقيل له مصفر استه يريدون صفرة الخلوق والطيب وقد قال هذه الكلمة قيس بن زهير فى حذيفة يوم الهباءة ولم يقل احد ان حذيفة كان مستوها فاذا لا يصح قول من قال فى أبى جهل من قول عتبة فيه هذه الكلمة انه كان مستوها والله اعلم وسادة العرب لا تستعمل الخلوق والطيب الا فى الدعة والخفض وتعيبه فى الحرب أشد العيب واحسب ان أبا جهل لما سلمت العير واراد ان ينحر الجزور و يشرب الخمر ببدر وتعزف عليه القيان بها استعمل الطيب أوهم به فلذلك قال له عتبة هذه المقالة الاترى الى قول الشاعر فى بنى مخزوم

ومن جهل ابو جهل اخوكم * غزا بدرا بمجمرة وتور

صاحبهما لخازاه الى أصحابه * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عتبة بن ربيعة قال لفتية من الانصار حين انتسبوا اكفاء كرام انما نريد قومنا * قال ابن اسحق ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم وقال ان اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش معه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكانت وقعة بدر

يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان * قال ابن اسحق كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين * قال ابن اسحق وحدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار «قال ابن هشام» يقال سواد مثقلة وسواد في الانصار غير هذا مخفف قال وهو مستنتل من الصف «قال ابن هشام» ويقال مستنصل من الصف فطعن في بطنه بالقدح وقال استو يا سواد فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدني قال فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد قال فاعتنقه فقبل بطنه فقال ما حملك على هذا يا سواد قال يا رسول الله حضر ما ترى فاردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له * قال ابن اسحق ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع الى العريش فدخله ومعه فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ليس معه فيه غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد وأبو بكر يقول يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك وقد خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال ابشر يا أبا بكر أتاك نصر الله

يريد أنه تبختر وتطيب في الحرب * وقوله مصفر استه انما اراد مصفر بدنه ولكنه قصد المبالغة في الذم فخص منه بالذكر ما يسوءه أن يذكر

{ فصل } وذكر قصة سواد بن غزية حين مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستنتل امام الصف قال ابن هشام ويقال مستنصل * قوله مستنتل أمام الصف يقال استنتلت واستنصلت وابرنذعت وابرنتيت بالراء المهملة وبالزاي هكذا تقيد في الغريب المصنف كل هذا اذا تقدمت سواد هذا بتخفيف الواو وكل سواد في العرب فكذلك بتخفيف الواو وفتح السين الا عمرو بن سواد أحد بني عامر بن لؤي من شيوخ الحديث وسواد بضم السين وتخفيف الواو وهو ابن مري بن اراشة بن قضاعة ثم من بلي حلفاء الانصار ووقع في الاصل من كلام ابن هشام سواد مثقلة ابن غزية وهو خطأ انما الصواب ما تقدم وسواد هذا هو عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر الذي جاءه بتمر جنيب ذكره مالك في الموطا ولم يسمه * وقول ابن هشام مستنصل معناه خارج من الصف من قولك نصلت الرمح اذا أخرجت ثعلبه من السنان * وذكر قول أبي بكر بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك رواه غير ابن اسحق كذلك مناشدتك وفسره قاسم في الدلائل فقال كذلك قد يراد بها معنى الاغراء والامر بالكف عن الفعل وأنشد لجرير * كذاك القول ان عليك عينا * أي حسبك من القول فدعه وفي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لانجشة يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير وأورده مرة أخرى فقال فيه سوقك وانما دخله معنى النصب كما دخل عليك زيدا معنى النصب وفي دونك لانك اذا قلت دونك زيدا وهو يطلبه فقد أعلمته بمكانه فكأنك قلت خذه ومسئلة كذلك من هذا الباب لانك اذا قلت كذاك القول أو السير فكأنك قلت كذاك أمرت فاكفف ودع فاصل البابين واحد وهو ظرف بعد ما ابتداء وهو خبر يتضمن مع الامر أو الاغراء بالشيء أو تركه فنصبوا بها في ضمن الكلام وحسن ذلك حيث لم يعدلوا عن عامل لفظي الى معنوي وانما عدلوا عن معنوي الى معنوي ولو انهم حين قالوا دونك زيدا يلفظون بالفعل فيقولون استقر دونك زيد وهم يريدون الاغراء به والامر بأخذه لما جاز النصب بوجه لان الفعل ظاهر لفظي فهو أقوى من المعنوي

{ فصل } وفي هذا الحديث من المعاني أن يقال كيف جعل أبو بكر يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكف عن الاجتهاد في الدعاء ويقوي رجاءه ويثبته ومقام رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المقام الاحمد ويقينه فوق يقين كل أحد فسمعت شيخنا الحافظ رحمه الله يقول في هذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام الخوف وكان صاحبه في مقام الرجاء وكلا المقامين سواء في الفضل لا تريد أن النبي والصديق سواء ولكن الرجاء والخوف مقامان لا بد للايمان منهما فابو بكر كان في تلك الساعة في مقام الرجاء لله والنبي عليه السلام كان في مقام الخوف من الله لان لله أن يفعل ما شاء فخاف أن لا يعبد الله في الارض بعدها فخوفه ذلك

عبادة

هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع * قال ابن اسحق وقد رمى مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل فكان أول قتيل من المسلمين رحمه الله ثم رمى حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فقتل رحمه الله ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس فحرضهم وقال والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن بخ بخ أفما بيني و بين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله تعالى * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحرث وهو ابن عفراء قال يارسول الله ما يضحك الرب من عبده قال غمسه يده في العدو حاسرا فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري حليف بني زهرة انه حدثه انه لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قال أبو جهل بن هشام اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة فكان هو المستفتح * قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشا بها ثم قال شاهت الوجوه ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال شدوا فكانت الهزيمة فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر من أشرافهم فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشحا السيف في نفر من الانصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون عليه كرة العدو ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لكأنك ياسعد تكره ما يصنع القوم قال أجل والله يارسول الله كانت أول وقعة أوقعها باهل الشرك فكان الاثخان في القتل باهل الشرك أحب الي من استبقاء الرجال * قال ابن اسحق وحدثني العباس

عبادة وأما قاسم بن ثابت فذهب في معنى الحديث الى غير هذا وقال انما قال ذلك الصديق مأوية للنبي عليه السلام ورقة عليه لما رأى من نصبه في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال له بعض هذا يارسول الله أي لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر وكان رقيق القلب شديد الاشفاق على النبي صلى الله عليه وسلم (قال المؤلف) وأما شدة اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم ونصبه في الدعاء فانه رأى الملائكة تنصب في القتال وجبريل على ثناياه الغبار وأنصار الله يخوضون غمار الموت والجهاد على ضربين جهاد بالسيف وجهاد بالدعاء ومن سنة الامام أن يكون من وراء الجند لا يقاتل معهم فكان الكل في اجتهاد وجد ولم يكن ليريح نفسه من أحد الجدين والجهادين وأنصار الله وملائكته مجتهدون ولا ليؤثر الدعة وحزب الله مع أعدائه يجتلدون * وقوله بعض مناشدتك ربك والمفاعلة لا تكون الا من اثنين والرب لا ينشد عبده فانما ذلك لانها مناجاة للرب ومحاولة لامر يريده فلذلك جاءت على بناء المفاعلة ولابد في هذا الباب من فعلين لفاعلين اما متفقين في اللفظ واما متفقين في المعنى وظن أكثر أهل اللغة أنها قد تكون من واحد نحو عاقبت العبد وطارقت النعل وسافرت وعافاه الله فنقول اما عاقبت العبد فهي معاملة بينك و بينه عاملك بالذنب وعاملته بالعقوبة فأخذ لفظهما من العقوبة ووزنهما من المعاونة وأما طارقت النعل فمن الطرق وهو القوة فقد قويتها وقوتك على المشي فلفظهما من الطرق و بناؤها على وزن المعاونة والمقاواة فهذا اتفاق في المعنى وان لم يكن في اللفظ وأما سافر الرجل فمن سفرت اذا كشفت عن وجهك فقد سفر لقوم وسفروا له فهذه موافقة في اللفظ والمعنى وأما المعافاة فان السيد يعفي عبده من بلاء فيعفي العبد سيده من الشكوى والالحاح فهذه موافقة في اللفظ ثم تضاف الى الله سبحانه اتساعا في الكلام ومجازا حسنا

﴿ فصل ﴾ وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا جبريل على ثناياه النقع وهو الغبار وفي حديث آخر انه قال رأيته على فرس له شقراء وعليه عمامة حمراء وقد عصم بثنيته الغبار قال ابن قتيبة عصم وعصب بمعنى واحد يقال عصب الريق بفيه اذا يبس وأنشد * يعصب فاه الريق أي عصب * وخالفه قاسم بن ثابت وقال هو عصم من العصيم والعصم وهي كالبقية تبقى في اليد وغيرها من لطخ حناء أو عرق أو شيء يلصق بالعضد كما قالت امرأة من العرب لاخرى اعطني عصم حنائك أي ماسلتت من حنائها وقشرته من يدها

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام حين ألقى التمرات من يده وقال بخ بخ وهي كلمة معناها التعجب وفيها لغات بخ بسكون الخاء و بكسرها مع التنوين و بتشديدها منونة وغير منونة وفي حديث مسلم والبخاري ان هذه القصة كانت أيضا يوم أحد لكنه لم يسم فيها عميرا ولا غيره فالله أعلم * وقول عوف بن عفراء ما يضحك الرب من عبده يارسول الله قد قيل في عوف عوذ بالذال المنقوطة

ابن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ انى قد عرفت ان رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله ومن لقى أبا البختري بن هشام بن الحرث ابن أسد فلا يقتله ومن لقى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله فانه انما أخرج مستكرها قال فقال أبو حذيفة أنقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وعشيرتنا ونترك العباس والله لئن لقيته لألحمنه السيف «قال ابن هشام» ويقال لألجمنه فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر بن الخطاب يا أبا حفص قال عمر والله انه لأول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص أيضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال عمر يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق فكان أبو حذيفة يقول ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفا الا أن تكفرها عني الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا «قال ابن هشام» وانما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البختري لانه كان أكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وكان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني عبد المطلب فلقيه المجذر بن ذياد البلوي حليف الانصار ثم من بني سالم بن عوف فقال المجذر لأبي البختري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك ومع أبي البختري زميل له قد خرج معه من مكة وهو جنادة بن مليحة بنت زهير بن الحرث بن أسد وجنادة رجل من بني ليث واسم أبي البختري العاص قال وزميلي فقال له المجذر لا والله ما نحن بتاركي زميلك ما أمرنا (٧٠) رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك فقال لا والله اذن لأموتن أنا وهو جميعا لا تحدث عني نساء مكة اني تركت زميلي حرصا على الحياة فقال أبو البختري حين نازله المجذر وأبى الا القتال يرتجز

لن يسلم ابن حرة زميله * حتى يموت أو يرى سبيله

فاقتتلا فقتله المجذر بن ذياد وقال المجذر بن ذياد في قتله أبا البختري

أما جهلت أو نسيت نسبي * فاثبت النسبة اني من بلي
الطاعنين برماح اليزني * والضاربين الكبش حتى ينحني
بشر بيتم من أبوه البختري * أو بشرن بمثلها مني بني
أنا الذي يقال أصلي من بلي * أطعن بالصعدة حتى تنثني
وأعبط القرن بعضب مشرفي * أرزم للموت كارزام المري * فلا ترى مجذرا يفري فري

و يقوي هذا القول ان أخويه معاذ ومعوذ و يضحك الرب أي يرضيه غاية الرضى وحقيقته انه رضى معه تبشير واظهار كرامة وذلك أن الضحك مضاد للغضب وقد يغضب السيد ولكنه يعفو و يبقى العتب فاذا رضى فذلك أكثر من العفو فاذا ضحك فذلك غاية الرضى اذ قد يرضى ولا يظهر ما في نفسه من الرضى فعبر عن الرضى واظهاره بالضحك في حق الرب سبحانه مجازا أو بلاغة وتضمينا لهذه المعاني في لفظ وجيز ولذلك قال عليه السلام في طلحة بن البراء اللهم الق طلحة يضحك اليك وتضحك اليه فمعنى هذا القه لقاء متحابين مظهرين لما في أنفسهما من رضى ومحبة فاذا قيل ضحك الرب لفلان فهي كلمة وجيزة تتضمن رضى مع محبة واظهار بشر وكرامة لامزيد عليهما فهي من جوامع الكلم التي أوتيها عليه السلام

﴿فصل﴾ وقول أبي البختري أنا وزميل الزميل الرديف ومنه ازدمل الرجل بحمله اذا ألقاه على ظهره وفي مسند الحرث عن ابن مسعود قال كنا نتعاقب يوم بدر ثلاثة على بعير فكان علي وأبو لبابة زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كانت عقبته عليه السلام قالا له اركب ولنمش عنك يا رسول الله فيقول ما أنتما بأقوى على المشي مني ولا أنا بأغنى عن الاجر منكما * وقول المجذري كارزام المري المري الناقة تمرى للحلب أي تمسح

«قال ابن هشام» المري عن غير ابن اسحق والمري الناقة التي يستنزل لبنها على عسر * قال ابن اسحق ثم ان المجذر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى الا أن يقاتلني فقاتلته فقتلته «قال ابن هشام» أبو البختري العاص بن هشام بن الحرث بن أسد * قال ابن اسحق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه * قال ابن اسحق وحدثنيه أيضا عبد الله بن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف قال كان أمية بن خلف لي صديقا بمكة وكان اسمي عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن ونحن بمكة فكان يلقاني اذ نحن بمكة فيقول يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبواك فأقول نعم فيقول فاني لا أعرف الرحمن فاجعل بيني وبينك شيئا أدعوك به أما أنت فلا تجيبني باسمك الاول وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف قال فكان اذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه قال فقلت له يا أبا علي اجعل ما شئت قال فانت عبد الاله قال قلت نعم قال فكنت اذا مررت به قال يا عبد الاله فاجيبه فاتحدث معه حتى اذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه علي بن أمية آخذا بيده ومعي أدراع لي قد استلبتها فانا أحملها فلما رآني قال لي يا عبد عمرو فلم أجبه فقال يا عبد الاله فقلت نعم قال هل لك في فأنا خير لك من هذه الادراع التي معك قال قلت نعم والله اذا قال فطرحت الادراع من يدي وأخذت بيده وبيد ابنه وهو يقول ما رأيت كاليوم قط أما لكم حاجة في اللبن ثم خرجت أمشي بهما «قال ابن هشام» يريد باللبن ان من أسرني افتديت

منه بابل كثيرة اللبن * قال ابن اسحق حدثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قال لي أمية بن خلف وأنا بينه و بين ابنه آخذ بايديهما ياعبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره قال قلت ذاك حمزة بن عبد المطلب قال ذاك الذي فعل بنا الافاعيل قال عبد الرحمن فوالله انى لأقودهما اذ رآه بلال معي وكان هو الذي يعذب بلال بمكة على ترك الاسلام فيخرجه الى رمضاء مكة اذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد فيقول بلال أحد أحد قال فلما رآه قال رأس الكفر أمية بن خلف لانجوت ان نجا قال قلت أي بلال أسيرى قال لانجوت ان نجا قال قلت أتسمع يا ابن السوداء قال لانجوت ان نجا قال ثم صرخ باعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لانجوت ان نجا قال فاحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وأنا أذب عنه قال فاخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع وصاح أمية صيحة ماسمعت مثلها قط قال فقلت انج بنفسك ولا نجاء بك فوالله ما أغني عنك شيأ قال فهبروهما باسيافهم حتى فرغوا منهما قال فكان عبد الرحمن يقول يرحم الله بلالا ذهبت أدراعي وفجعني باسيرى * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حدثني رجل من بني غفار قال أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب قال فبينا نحن في الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم

حيزوم فاما ابن عمي فانكشفت قناع قلبه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدرا قال بعد ان ذهب بصره لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك فيه ولا أتمارى * قال ابن اسحق وحدثني أبي اسحق بن يسار عن رجال من بني مازن بن النجار عن أبي داود المازني وكان شهد بدرا قال اني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه اذ وقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتله غيري * قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم عن مقسم مولى عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرسلوها على ظهورهم و يوم حنين عمائم حمرة «قال ابن هشام» وحدثني بعض أهل العلم أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال العمائم تيجان العرب وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرخوها على ظهورهم الا جبريل فانه كانت عليه عمامة صفراء * قال ابن اسحق وحدثني من لا اتهم عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه من الايام عددا ومددا لايضربون * قال ابن اسحق وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز وهو يقاتل و يقول ماتنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديث سني * لمثل هذا ولدتني أمي * « قال ابن هشام » وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أحد أحد * قال ابن اسحق فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أمر بابي جهل أن يلتمس في القتلى وكان أول من لقي أبا جهل كما حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس وعبد الله بن أبي بكر ايضا قد حدثني ذلك قالا قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة « قال ابن هشام » الحرجة الشجر الملتف وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سأل أعرابيا عن الحرجة فقال هي شجرة من الاشجار لا يوصل اليها وهم يقولون أبو الحكم لا يخلص اليه قال فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه فوالله

تمسح أخلافها وارزامها صوتها وهدرها وقد تقدم الفرق بين أرزمت و رزمت * وقول عبد الرحمن بن عوف لامية هاالله ذا ها تنبيه وذا اشارة الى نفسه وقال بعضهم الى القسم أي هذا قسمي وأراها اشارة الى المقسم وخفض اسم الله بحرف القسم أضمره وقام التنبيه مقامه كما يقوم الاستفهام مقامه فكانه قال ها أناذا مقسم وفصل بالاسم المقسم به بين ها وذا فعلم انه هو المقسم فاستغنى عن أنا وكذلك قول أبي بكر لا ها الله ذا وقول زهير تعلمن ها لعمر الله ذا قسما أكد بالمصدر قسمه الذي دل عليه لفظه المتقدم * وقوله هبروه بأسيافهم من الهبرة وهي القطعة العظيمة من اللحم أي قطعوه * وذكر قول الغفاري حين سمع حمحمة الخيل في السحابة وسمع قائلا يقول اقدم حيزوم اقدم بضم الدال أي اقدم الخيل وهو اسم فرس جبريل وهو فيعول من الحزم والحيزوم أيضا أعلا الصدر فيجوز أن يكون أيضا سمي به لانه صدر لخيل الملائكة ومتقدم عليها والحياة أيضا فرس أخرى لجبريل لا تمس شيأ الا حيي وهي التي قبض من أثرها السامري فالقاها في العجل الذي صاغه من ذهب فكان له خوار ذكره الزجاج

﴿فصل﴾ وذكر أبا داود المازني وقوله لقد اتبعت رجلا من المشركين فسقط رأسه قبل أن أصل اليه اسم أبي داود هذا عمرو وقيل عمير بن عامر وهو الذي قتل أبا البختري بن هشام وأخذ سيفه في قول طائفة من أهل السير غير ابن اسحق وقال ابن اسحق قتله المجذر كما تقدم * وقول معاذ بن عمرو في مقتل أبي جهل

ماشبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها قال وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جنبى وأجهضنى القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومى وانى لاسحبها خلفى فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها «قال ابن هشام» ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان ثم مر بابى جهل وهو عقير معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته فتركه وبه رمق وقاتل معوذ حتى قتل فمر عبد الله بن مسعود بابى جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس فى القتلى وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى انظروا ان خفى عليكم فى القتلى الى أثر جرح فى ركبته فانى ازدحمت يوما أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أشف منه بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فجحشته فى احداهما جحشا لم يزل أثره به قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فوجدته بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلى على عنقه قال وقد كان ضبث بى مرة بمكة فآذانى ولكزنى ثم قلت له هل أخزاك الله يا عدو الله قال وبماذا أخزانى أعمد من رجل قتلتموه أخبرنى لمن الدائرة اليوم قال قلت لله ولرسوله «قال ابن هشام» ضبث قبض عليه ولزمه قال ضائى بن الحرث البرجمى قبيل من تميم

فاصبحت مما كان بينى وبينكم
من الود مثل الضابث الماء باليد

«قال ابن هشام» ويقال أعار على رجل قتلتموه أخبرنى لمن الدائرة اليوم * قال ابن اسحق وزعم رجال من بنى مخزوم ان ابن مسعود كان يقول قال لى لقد ارتقيت مرتقى صعبا يارويعى الغنم قال ثم احتززت وذكرنا رأسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبى جهل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آلله الذى لا اله غيره قال وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت نعم والله الذى لا اله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله «قال ابن هشام» وحدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لسعيد بن العاص ومر به انى أراك كأن فى نفسك شيا أراك تظن انى قتلت أباك انى لو قتلته لم أعتذر اليك من قتله ولكنى قتلت خالى العاص بن هشام بن المغيرة فاما

ماشبهت رجله حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت المرضحة طاحت ذهبت ولا يكون الاذهاب هلاك والمرضحة كالارزبة يدق بها النوى للعلف والرضح بالحاء مهملة كسر اليابس والرضخ كسر الرطب ووقع فى أصل الشيخ المرضحة بالحاء والخاء معاً ويدل على انه كسر لما صلب واشتد قول الطائى

أيرضحنى رضح النوى وهى مصمت * ويأكلنى أكل الذبا وهو جائع

وانما احتجوا بقول الطائى وهو حبيب بن أوس لعلمه لا لانه عربى يحتج بلغته * وذكر الغلامين اللذين قتلا أبا جهل وانهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء وفى صحيح مسلم انهما معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح وعفراء هى بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار عرف بها بنوا عفراء وأبوهم الحرث بن رفاعة بن سواد على اختلاف فى ذلك ورواية ابن ادريس عن ابن اسحق كما فى كتاب مسلم قال أبو عمر وأصح من هذا كله حديث أنس حين قال النبى صلى الله عليه وسلم من يأتينى بخبر أبى جهل الحديث وفيه ان ابنى عفراء قتلاه وقول أبى جهل أعمد من رجل قتلتموه ويروى قتله قومه أى هل فوق رجل قتله قومه وهو معنى تفسير ابن هشام حيث قال أى ليس عليه عار والاول تفسير ابى عبيد فى غريب الحديث وقد شاهدا عليه

وأعمد من قوم كفاهم أخوهم * صدام الاعادى حين فلت نيوبها

«قال المؤلف رضى الله عنه» وهو عندى من قولهم عمد البعير يعمد اذا تفسخ سنامه فهلك أى أهلك من رجل قتله قومه وماذكره ابن اسحق من قول أبى جهل هذا وما ذكروه أيضاً من قوله لابن مسعود لقد ارتقيت مرتقى صعبا يارويعى الغنم مرتقى صعباً يعارض ما وقع فى سير ابن شهاب وفى مغازى ابن عقبة ان ابن مسعود وجده جالسا لا يتحرك ولا يتكلم فسلبه درعه فاذا فى بدنه نكت سود فحل تسبغة البيضة وهو لا يتكلم واخترط سيفه يعنى سيف أبى جهل فضرب به عنقه ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين احتمل رأسه اليه عن تلك النكت السود التى رآها فى بدنه فاخبره عليه السلام ان الملائكة قتلته وان تلك آثار ضربات الملائكة وروى يونس عن أبى العميس قال أرانى القاسم بن عبد الرحمن سيف عبد الله بن مسعود قال هذا سيف ابى جهل حين قتله أخذه فاذا سيف قصير عريض فيه قبائع فضة وحلق فضة قال أبو عميس فضرب به القاسم عنق ثور فقطعه وثلم فيه ثلمة فرأيت القاسم جزع من ثلمه جزعا شديدا * وقول النبى عليه السلام الله الذى لا اله الا هو بالخفض عند سيبويه وغيره لان الاستفهام عوض من الخافض عنده واذا كنت مخبراً قلت الله بالنصب لا يجيز المبرد غيره وأجاز سيبويه الخفض أيضاً لانه قسم وقد عرف ان المقسم به مخفوض بالباء أو بالواو ولا يجوز اضمار حروف الجر الا فى مثل هذا الموضع او ما كثر استعماله جداً كما روى ان رؤبة كان يقول اذا قيل له كيف أصبحت خير عافاك الله * وقول النبى صلى الله عليه وسلم فى أبى جهل حين ذكر مزاحمته له فى مأدبة عبد الله بن جدعان وقد تقدم فى المولد التعريف بعبد الله بن جدعان

أبوك فانى مررت وهو يبحث الثور بروقه فحدت عنه وقصد له ابن عمه على فقتله * قال ابن اسحق وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الاسدى حليف بنى عبد شمس بن عبد مناف يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه جذلا من حطب فقال قاتل بهذا ياعكاشة فلما اخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد سيفا فى يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل فى الردة وهو عنده قتله طليحة بن خويلد الاسدى فقال طليحة فى ذلك

فما ظنكم بالقوم اذ تقتلونهم * أليسوا وان لم يسلموا برجال

فان تك اذواد اصبن ونسوة * فلن يذهبوا فرغا بقتل حبال

نصبت لهم صدر الحمالة انها * معاودة قيل الكماة نزال

فيوما تراها فى الجلال مصونة * ويوما تراها غير ذات جلال

عشية غادرت ابن اقرم ثاويا * وعكاشة الغنمى عند مجال

«قال ابن هشام» حبال بن طليحة بن خويلد وابن اقرم ثابت بن اقرم الانصارى * قال ابن اسحق وعكاشة بن محصن الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة سبعون الفا من امتى على صورة القمر ليلة البدر قال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال انك منهم أو اللهم اجعله منهم فقام رجل من الانصار فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا عن اهله منا خير فارس فى العرب قالوا ومن هو يارسول الله قال عكاشة بن محصن فقال ضرار بن الازور الاسدى ذاك رجل منا يارسول الله قال ليس منكم ولكنه منا للحلف «قال ابن هشام» ونادى أبو بكر الصديق رضى الله عنه ابنه عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين فقال أين مالى ياخبيث فقال عبد الرحمن

لم يبق غير شكة ويعبوب * وصارم يقتل ضلال الشيب

فيما ذكر لى عن عبد العزيز بن محمد الدراوردى

وذكرنا خبر جفنته وسبب غناه بعد ان كان صعلوكا بأتم بيان

﴿ خبر عكاشة بن محصن ﴾

يقال فيه عكاشة بالتشديد والتخفيف وهو من عكش على القوم اذا حمل عليهم قاله صاحب العين وقال غيره العكاشة العنكبوت وأما سيفه الذى كان جذلا من حطب فقد قيل انه لم يزل متوارثا عند آل عكاشة وقد روى مثل قول عكاشة فى السيف عن عبد الله بن جحش وسيأتى ذكرها عند غزوة أحد * واما قوله * فلن يذهبوا فرغا بقتل حبال * فالفرغ ان يطل الدم ولا يطلب بثاره وحبال هو ابن أخى طليحة لا ابنه وهو حبال بن مسلمة بن خويلد ومسلمة أبوه هو الذى قتل عكاشة اعتنقه مسلمة وضربه طليحة على فرس يقال لها اللزام وكان ثابت على فرس يقال لها المحبر وقصته مشهورة فى اخبار الردة * وذكر الواقدى فى الردة بعد قوله

فيوما تراها فى الجلال مصونة * ويوما تراها فى ظلال عوال

الى آخر الشعر * وذكر فى الخبر ان عكاشة وثابت بن أقرم البلوى حليف الانصار كانا فى جيش خالد حين نهد الى طليحة فاستقدما امام جيش خالد للمسلمين فوقعا فى خيل لطليحة وهو فيهم فاستشهدا معا وذلك فى يوم بزاخة كذلك قال كل من ألف فى السير الا سليمان التيمى فانه ذكر ان عكاشة قتل فى سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى اسد والاول هو المعروف * وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لعكاشة حين قال ادع الله يارسول الله ان يجعلنى منهم فدعا له ثم قام رجل آخر فقال ادع الله ان يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة هكذا الحديث فى الصحاح وزاد ابن اسحق وبردت الدعوة * وذكر أبو عمر النمرى عن بعض أهل العلم ولم يسمهم ان الرجل الذى قيل له سبقك بها عكاشة كان منافقا ولذلك لم يدع له رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قال المؤلف﴾ وهذا لا يصح لان فى مسند البزار من طريق أبى صالح عن أبى هريرة فى هذا الحديث قال فقام رجل من خيار المهاجرين فقال ادع الله ان يجعلنى منهم قال ابن بطال معنى قوله سبقك بها عكاشة أى سبقك بهذه الصفة التى هى صفة السبعين ألفا ترك التطير ونحوه ولم يقل لست منهم ولا على أخلاقهم بحسن ادبه عليه السلام وتلطفه فى الكلام لا سيما مع اصحابه الكرام ﴿قال المؤلف رضى الله عنه﴾ والذى عندى فى هذا انها كانت ساعة اجابة علمها عليه السلام فلما انقضت قال للرجل ما قال بين هذا حديث ابى سعيد الخدرى فانه قال فيه بعد ذكر عكاشة فقام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال اللهم اجعله منهم ثم سكتوا ساعة يتحدثون ثم قام الثالث فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة وصاحبه ولو قلت لقلت ولو قلت لوجبت وهى فى مسند ابن ابى شيبة وفى مسند البزار أيضا

* قال ابن اسحق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في القليب طرحوا فيه الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ في درعه فملأها فذهبوا ليحركوه فتزايل لحمه فاقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة فلما ألقاهم في القليب وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا قالت فقال له أصحابه يا رسول الله أتكلم قوما موتى فقال لهم لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق قالت عائشة والناس يقولون لقد سمعوا ما قلت لهم وانما قال

لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد علموا * قال ابن اسحق وحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل وهو يقول يا اهل القليب يا عتبة بن ربيعة و يا شيبة بن ربيعة و يا امية بن خلف و يا ابا جهل بن هشام فعدد من كان منهم في القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فقال المسلمون يا رسول الله أتنادي قوما قد جيفوا قال ما انتم باسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون ان يجيبوني * قال ابن اسحق وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم هذه المقالة يا اهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس ثم قال هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا للمقالة التي قال * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه

و يقوى هذا المعنى ايضاً رواية ابن اسحق فانه زاد فقال فيها سبقك بها عكاشة و بردت الدعوة فقف على ماذكرته في تفسير حديث عكاشة فانه من فوائد هذا الكتاب وممن لم يشهد بدراً لعذر وهو من النقباء سعد ابن عبادة سيد الخزرج لانه نهشته حية فلم يستطع الخروج هذا قول القتبي ولذلك لم يذكره ابن اسحق ولا ابن عقبة في البدريين وقد ذكره طائفة فيهم منهم ابن الكلبي وجماعة

﴿ نداء اصحاب القليب ﴾

وقوله عليه السلام يا عتبة بن ربيعة و يا شيبة بن ربيعة الحديث يجوز يا شيبة بن ربيعة بضم التاء ونصب النون و بنصبهما جميعا امامن يقول جاءني زيد ابن فلان بالتنوين فهو الذي يقول يا زيد يا ابن بضم الدال و يكتب ابن بالالف على هذا ومن يقول جاءني زيد بن بلا تنوين فهو الذي يقول في النداء يا زيد بن بنصب الدال و يكتب ابنا بغير ألف لانه جعل الابن مع ما قبله اسما واحدا فعلى هذا تقول يا حار ابن عمرو فتكتبه بالف لانك أردت يا حارث بالضم لانك لو أردت يا حارث بن بالنصب لم ترخمه لانه قد صار وسط الاسم وقد جعله سيبويه بمنزلة قولك امرأ وكذلك قوله و يا أباجهل بن هشام ان نونت اللام من أبي جهل كتبت الابن بالف وان لم تنونه كتبته بغير ألف * وذكر انكار عائشة أن يكون عليه السلام قال لقد سمعوا ما قلت قالت وانما قال لقد علموا ان الذي كنت أقول حق (قال المؤلف) وعائشة لم تحضر وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه عليه السلام وقد قالوا له يا رسول الله أتخاطب قوما قد جيفوا أو جيفوا فقال ما أنتم باسمع لما أقول منهم واذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين جاز أن يكونوا سامعين اما بآذان رؤسهم اذا قلنا ان الروح يعاد الى الجسد أو الى بعض الجسد عند المساءلة وهو قول الاكثرين من أهل السنة وأما باذن القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال الى الروح من غير رجوع منه الى الجسد أو الى بعضه وقد روي ان عائشة احتجت بقول الله سبحانه «وما أنت بمسمع من في القبور» وهذه الآية كقوله تعالى «أفانت تسمع الصم أو تهدي العمي» أي ان الله هو الذي يهدي و يوفق و يوصل الموعظة الى آذان القلوب لا أنت وجعل الكفار أمواتا وصما على جهة التشبيه بالاموات وبالصم فالله هو الذي يسمعهم على الحقيقة اذا شاء لا نبيه ولا أحد فاذاً لا تعلق بالآية من وجهين أحدهما انها انما نزلت في دعاء الكفار الى الايمان * الثاني انه انما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم وصدق الله فانه لا يسمعهم اذا شاء الا هو و يفعل ما شاء وهو على كل شيء قدير

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر حسان وقال فيه * كخط الوحي في الورق القشيب * القشيب في اللغة الجديد ولا معنى له في هذا البيت لانهم اذا وصفوا الرسوم وشبهوها بالكتب في الورق فانما يصفون الخط حينئذ بالدروس والامحاء فان ذلك أدل على عفاء الديار وطموس الآثار وكثرة ذلك في الشعر تغني عن الاستشهاد عليه

عرفت ديار زينب بالكثيب * كخط الوحي في الورق القشيب
تداولها الرياح وكل جون * من الوسمي منهمر سكوب
فامسى رسمها خلقا وأمست * يبابا بعد ساكنها الحبيب
فدع عنك التذكر كل يوم * وردّ حرارة الصدر الكئيب
وخبر بالذي لا عيب فيه * بصدق غير اخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر * لنا في المشركين من النصيب
غداة كأن جمعهم حراء * بدت اركانه جنح الغروب
فلاقيناهم منا بجمع * كاسد الغاب مردان وشيب

* امام محمد قد وازروه * على الاعداء فى لفح الحروب
بايديهم صوارم مرهفات * وكل مجرب خاطى الكعوب
بنو الاوس الغطارف وازرتها * بنو النجار فى الدين الصليب
فغادرنا اباجهل صريعا * وعتبة قد تركنا بالجبوب
وشيبة قد تركنا فى رجال * ذوى حسب اذا نسبوا حسيب
يناديهم رسول الله لما * قذفناهم كباكب فى القليب
ألم تجدوا كلامى كان حقا * وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا * صدقت وكنت ذا رأى مصيب

* قال ابن اسحق ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم أن يلقوا فى القليب أخذ عتبة بن ربيعة فسحب الى القليب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى فى وجه أبى حذيفة بن عتبة فاذا هو كئيب قد تغير فقال يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شان أبيك شىء أو كما قال صلى الله عليه وسلم فقال لا والله يارسول الله ماشككت فى أبى ولا فى مصرعه ولكننى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه ذلك الى الاسلام فلما رأيت ما أصابه وذكرت مامات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجوله أحزننى ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيرا

﴿ ذكر الفتية الذين أنزل الله فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ﴾

وكان الفتية الذين قتلوا ببدر فنزل فيهم من القرآن فيما ذكر لنا ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا فتية مسلمين * من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى الحرث بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد * ومن بنى مخزوم أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأبو قيس ابن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * ومن بنى جمح على بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح * ومن بنى سهم

عليه ولكن منه قول النابغة * لأيا ما أبينه * وقول زهير * فلأيا عرفت الدار بعد توهم * وقال آخر

والا رسوم الدار قفرا كأنها * سطور محاها الباهلى بن اصمعا

ولكن أراد حسان بالقشيب ههنا الذى خالطه ما يفسده اما من دنس واما من قدم يقال طعام مقشب اذا كان فيه السم وقال الشاعر * فخر تخاله نسرا قشيبا * معناه مسموم لان القشب هو السم قاله ابن قتيبة فى تفسير حديث آخر من يخرج من النار وفيه قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاها وقال أبو حنيفة فى القشب هو نبات رطب مسموم ينصب لسباع الطير فى لحم فاذا أكلته ماتت قال والعرب يجنبونه ماشيتهم فى المرعى كى لا تحطمه فيفوح من ريحه ما يقتلها فقوله فى البيت الذى استشهد به القتبى تخاله نسرا قشيبا أى نسرا أكل ذلك القشب فى اللحم والله أعلم قال والالاب أيضا ضرب من القشب ان وجدت ريحه سباع الطير عميت وصمت وان أكلته ماتت قال والضجاج أيضا كل نبات مسموم

﴿ فصل ﴾ (فان قيل) مامعنى القائهم فى القليب وما فيه من الفقه (قلنا) كان من سنته عليه السلام فى مغازيه اذا مر بجيفة انسان أمر بدفنه لا يسئل عنه مؤمنا كان أو كافرا هكذا وقع فى السنن للدارقطنى فالقاؤهم فى القليب من هذا الباب غير انه كره ان يشق على اصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم فكان جرهم الى القليب أيسر عليهم ووافق ان القليب حفره رجل من بنى النار اسمه بدر فكان فالا مقدما لهم وهذا على احد القولين فى بدر والله اعلم * وفى شعر حسان ايضا * بنو الاوس الغطارف وازرتها * ولو قال آزرتها بالهمز لجاز وكان من الازر وفى التنزيل فآزره أى شد أزره وقواه ولكن أراد حسان معنى الوزير فانه سمى وزيرا من الوزر وهو الثقل لانه يحمل عن صاحبه ثقلا بعينه وقيل هو من الوزر وهو الملجأ لان الوزير يلجأ الى رأيه وقد ألفيته فى نسخة الشيخ أبى بحر آزرتها مصلحا بغير واو الا ان وازرتها وزنه فاعلت وآزرت وزنه افعلت * وقوله * وعتبة قد تركنا بالجبوب * الجبوب اسم للارض لانها تجب أى تحفر وتجب من دفن فيها أى تقطعه وهذا القول أولى لانهم قالوا جبوب مثل صبور وشكور فى المؤنث ولم يقولوا جبوبة فيكون من باب حلوبة وركوبة ويدخلون فيها الالف واللام تارة فيقولون الجبوب كما فى هذا البيت وتارة يجعلونه اسما علما فيقولون جبوب مثل شعوب قال الشاعر

بنى على قلبى وعينى مكانه * ثوى بين أحجار رهين جبوب

ومنه قيل جبان وجبانة للارض التى يدفن فيها الموتى فهو فعلان من الجب والجبوب وهو قول الخليل فى معنى الجبان وغيره يجعله فعالا من الجبن * وقوله * خاطى الكعوب * اى مكتنز الكعوب قويها وقول حسان الغطارف أراد الغطاريف كما تقدم فى شعر الجرهمى * تضل بها أمنا وفيها العصافر * أراد العصافير وحذف الياء ضرورة

﴿ فصل ﴾ وذكر قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لابنه يوم بدر أين مالى يا خبيث فقال

* لم يبق الا شكة ويعبوب * الشكة السلاح واليعبوب من الخيل الشديد الجرى ويقال الطويل والاول

العاص بن منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم وذلك انهم كانوا أسلموا و رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا ثم ساروا مع قومهم الى بدر فاصيبوا به جميعا

﴿ ذكر الفىء ببدر والاسارى ﴾ ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما فى العسكر مما جمع الناس فجمع فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هو لنا وقال الذين كانوا يقاتلون العدو و يطلبونه والله لولا نحن ما أصبتموه لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله علية وسلم مخافة أن يخالف اليه العدو والله ما أنتم باحق به منا لقد رأينا أن نقتل العدو اذ منحنا الله تعالى أكتافهم ولقد رأينا أن ناخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ولكنا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرة العدو فقمنا دونه فما أنتم بأحق به منا * (٧٦) قال ابن اسحق وحدثنى عبد الرحمن بن الحرث وغيره من أصحابنا عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبى امامة الباهلى واسمه صدى بن عجلان فيما قال ابن هشام قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بواء يقول على السواء * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال حدثنى بعض بنى ساعدة عن أبى أسيد الساعدى مالك بن ربيعة قال أصبت سيف بنى عائذ المخزوميين الذى يسمى المرزبان يوم بدر فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردوا ما فى أيديهم من النفل أقبلت حتى ألقيته فى النفل قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيأ سئله فعرفه الارقم بن أبى الارقم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه اياه * قال ابن اسحق ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيراً الى أهل العالية بما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وبعث زيد بن حارثة الى اهل السافلة قال اسامة بن زيد فأتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كانت عند عثمان بن عفان رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفنى عليها مع عثمان أن زيد بن حارثة قدم قال فجئته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل ابن هشام و زمعة بن الاسود وأبو البخترى العاص بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج قال قلت يا أبت أحق هذا قال نعم والله يا بنى ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة ومعه الاسارى من المشركين وفيهم عقبة بن ابى معيط والنضر بن الحرث

أصح لانه مأخوذ من عباب الماء وهو شدة جريه ويقال للجدول الكثير الماء يعبوب وقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم فرس اسمه السكب وهو من سكبت الماء فهذا يقوى معنى اليعبوب وذكر غير ابن اسحق ان عبد الرحمن بن ابى بكر قال لابيه بعد ما اسلم يا ابت لقد أهدفت لى يوم بدر مرارا فصدفت عنك فقال لو كنت أهدفت لى انت ما صدفت عنك

﴿ فصل ﴾ وذكر تنازعهم فى النفل وما احتجت به الطائفة الذين كانوا يحمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش والعريش كل ما أظلك وعلاك من فوقك فان علوته انت فهو عرش لك لا عريش والعريش ايضا فيما ذكر ابو حنيفة اربع نخلات او خمس فى أصل واحد * وذكر قول ابى اسيد وجدت يوم بدر سيف بنى عابد الذى يقال له المرزبان بنو عابد فى مخزوم وهم بنو عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم واما بنو عائذ بالياء والذال المعجمة فهم بنو عائذ بن عمران بن مخزوم رهط آل المسيب والاولون رهط آل بنى السائب * واما قوله فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بواء يقول على سواء فقد رواه ابو عبيد فى الاموال فقال فيه فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فواق وفسره فقال جعل بعضهم فوق بعض اى فضل فى القسم من رأى تفضيله وفى غريب الحديث قولا آخر وهو ان معنى عن فواق السرعة فى القسم كفواق الناقة ورواية ابن اسحق اشهر واثبت عند اهل الحديث وفى الحديث الذى ذكره ابو عبيد أن سعد بن أبى وقاص قال قتلت يوم بدر العاصى بن سعيد بن العاصى وأخذت سيفه وكان يقال له ذو الكتيفة فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت يا رسول الله نفلنيه فامرنى ان أجعله فى القبض فاخذنى ما لا يعلمه الا الله فقلت قتل أخى عمير وأخذ سلبى فانزل الله «يسئلونك عن الانفال» الآية فاعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف قال أبو عبيد وأهل السير يقولون قتل العاصى بن سعيد على بن أبى طالب رضى الله عنه

﴿ فصل ﴾ وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عقبة بن أبى معيط قال وكان الذى أسره عبد الله ابن سلمة وسلمة هذا بكسر اللام وهو سلمة بن مالك أحد بنى العجلان بلوى بالنسب أنصارى بالحلف قتل يوم أحد شهيداً وأما عقبة بن أبى معيط فاسم أبى معيط أبان بن أبى عمرو واسمه ذكوان بن أمية يقال

كان

واحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه النفل الذى اصيب من المشركين وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول ابن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار فقال راجز من المسلمين «قال ابن هشام» يقال انه عدى بن ابى الزغباء

اقم لها صدورها يا بسبس * ليس بذى الطلح لها معرس * ولا بصحراء عمير محبس
ان مطايا القوم لا تحبس * فحملها على الطريق اكيس * قد نصر الله وفر الاخنس

ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق و بين النازية و يقال له سير الى سرحة به فقسم هنالك النفل الذى افاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنؤنه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين فقال لهم سلمة بن سلامة كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة و يزيد بن رومان ما الذى تهنؤننا به فوالله ان لقينا الا عجائز صلعا كالبدن المعقلة فنحرناها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اى ابن اخى اولئك الملأ «قال ابن هشام» الملأ الاشراف والرؤساء * قال ابن اسحق حتى اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحرث قتله على ابن ابى طالب كما أخبرنى بعض أهل العلم من اهل مكة * قال ابن اسحق ثم خرج حتى اذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبى معيط. «قال ابن هشام» عرق الظبية عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق والذى أسر عقبة عبد الله بن سلمة أحد بنى العجلان * قال ابن اسحق فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فمن للصبية يا محمد قال النار

كان أمية قد ساعى أمة او بغت أمة له فحملت بابى عمرو فاستلحقه بحكم الجاهلية ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعقبة حين قال أأقتل من بين قريش صبرا فقال عمر حن قدح ليس منها يعرض بنسبه وذلك ان القداح فى الميسر ربما جعل معها قدح مستعار قد جرب منه الفلح واليمن فيستعار لذلك ويسمى المنيح فاذا حرك فى الربابة مع القداح تميز صوته لمخالفة جوهره جوهر القداح فيقال حينئذ حن قدح ليس منها فتمثل عمر بهذا المثل يريد أن عقبة ليس من قريش وكذلك روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال حينئذ انما أنت يهودى من اهل صفورية لان الامة التى ولدت أباه كانت ليهودى من اهل صفورية واسمها ترنى قاله القتبى وكذلك قال دغفل بن حنظلة النسابة لمعاوية حين سأله هل أدركت عبد المطلب فقال نعم ادركته شيخا وسيما قسيما جسيما يحف به عشرة من بنيه كانهم النجوم قال فهل رأيت أمية بن عبد شمس قال نعم رأيته اخيفش ازرق دميما يقوده عبده ذكوان فقال ويحك ذاك ابنه أبو عمرو فقال دغفل أنتم تقولون ذلك ﴿قال المؤلف﴾ وهذا الطعن خاص بنسب عقبة من بنى أمية وفى نسب امية نفسه مقالة أخرى تعم جميع الفصيلة وهى ما روى عن سفينة مولى ام سلمة حين قيل له ان بنى أمية يزعمون ان الخلافة فيهم فقال كذبت استاه بنى الزرقاء بل هم ملوك ومن شر الملوك فيقال ان الزرقاء هذه هى أمية بن عبد شمس واسمها ارنب قاله الاصبهانى فى كتاب الامثال قال وكانت فى الجاهلية من صواحب الرايات ﴿قال المؤلف رضى الله عنه﴾ وقد عفا الله عن أمر الجاهلية ونهى عن الطعن فى الانساب ولو لم يجب الكف عن نسب بنى أمية الا لموضع عثمان بن عفان رضى الله عنه لكان حرى بذلك

﴿فصل﴾ وذكر أبا هند الحجام وانه لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من بدر ابو هند اسمه عبد الله وهو مولى فروة بن عمرو البياضى وأما طيبة الحجام فهو مولى بنى حارثة واسمه نافع وقيل دنير وقيل ميسرة ولم يشهد بدرا

فقتله عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح الانصارى أخو بنى عمرو بن عوف كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر «قال ابن هشام» و يقال قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه فيما ذكر لى ابن شهاب الزهرى وغيره من أهل العلم * قال ابن اسحق ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الموضع أبو هند مولى فروة بن عمرو البياضى بحميت مملوء حيسا «قال ابن هشام» الحميت الزق وكان قد تخلف عن بدر ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كان حجام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أبو هند امرؤ من الانصار فانكحوه وأنكحوا اليه ففعلوا * قال ابن اسحق ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ان يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال قدم بالاسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبى صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء فى مناحتهم على عوف ومعوذ ابنى عفراء وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب قال تقول سودة والله انى لعندهم اذ أتينا فقيل هؤلاء الاسارى قد أتى بهم قالت فرجعت الى بيتى و رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه واذا أبو يزيد سهيل بن عمرو فى ناحية الحجرة مجموعة يداه الى عنقه

بجبل قالت فلا والله ماملكت نفسي حين رأيت أبايزيد كذلك ان قلت أي أبايزيد أعطيتم بايديكم الامتم كراما فوالله ما انبهني الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت ياسودة أعلى الله و رسوله تحرضين قالت قلت يارسول الله والذي بعثك بالحق ماملكت نفسي حين رأيت أبايزيد مجموعة يداه الى عنقه أن قلت ماقلت * قال ابن اسحق وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالاسارى فرقهم بين أصحابه وقال استوصوا بالاسارى خيرا قال فكان أبوعزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لابيه وأمه في الاسارى قال فقال أبوعزيز مربي أخي مصعب بن عمير و رجل من الانصار يأسرني فقال شد يدك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك قال وكنت في رهط من الانصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم أو عشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا ماتقع في يد رجل منهم كسرة خبز الا نفحني بها قال فاستحيي فاردها على أحدهم فيردها على ما يمسها « قال ابن هشام » وكان أبوعزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحرث فلما قال أخوه مصعب بن عمير لابي اليسر وهو الذي أسره ماقال قال له أبوعزيز يا أخي هذه وصاتك بي فقال له مصعب انه أخي دونك فسألت امه عن أغلى مافدي به قرشي فقيل لها أربعة آلاف درهم فبعثت باربعة آلاف درهم ففدته بها * قال ابن اسحق وكان أول من قدم مكة من قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا ما وراءك قال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية ابن خلف وزمعة بن الاسود ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر والله ان يعقل هذا فاسئلوه عني فقالوا مافعل صفوان بن أمية قال هاهو ذاك جالسا في الحجر وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا * قال ابن اسحق وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو رافع مولى رسول ام

الله صلى الله عليه وسلم كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت فاسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه و يكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذامال كثير متفرق في قومه وكان أبولهب قد تخلف عن بدر فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة وكذلك كانوا صنعوا لم يتخلف رجل الا بعث مكانه رجلا فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل الاقداح أنحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس فيها أنحت اقداحي وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ماجاءنا من الخبر اذ أقبل أبولهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبيناهو جالس اذ قال الناس هذا أبوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب « قال ابن هشام » واسم أبي سفيان المغيرة قد قدم قال فقال له أبولهب هلم الي فعندك لعمري الخبر قال فجلس والناس قيام عليه فقال يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس قال والله ماهو الا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا و يأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك مالمت الناس لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء والارض والله ماتليق شيئا ولا يقوم لها شيء قال أبو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت تلك والله الملائكة

﴿ أسارى بدر ﴾

ذكر فيهم أباعزيز بن عمير حين مر به وهو أسير على اخيه مصعب فقال مصعب للذي أسره اشدد يديك به وذكر الحديث ﴿ قال المؤلف رحمه الله ﴾ وقد تقدم في باب الهجرة خبر اسلام مصعب وما كانت أمه تصنع به وأرجأت التعريف به وباخوته الى هذا الموضع فأما أبوعزيز فاسمه زرارة وأمه التي ارسلت في فدائه ام الخناس بنت مالك العامرية وهي ام اخيه مصعب واخته هند بنت عمير وهند هي أم شيبة بن عثمان حاجب الكعبة جد بني شيبة أسلم أبوعزيز وروى الحديث وأسلم اخوه ابوالروم وأبو يزيد ولا خفاء باسلام مصعب اخيه وغلط الزبير بن بكار فقال قتل أبوعزيز يوم أحد كافرا ولم يصح هذا عند احد من أهل الاخبار وقد روى عنه نبيه بن وهب وغيره ولعل المقتول باحد كافرا أخ لهم غيره

﴿ خبر أبي رافع حين قدم فل قريش ﴾

اسم أبي رافع اسلم وقال ابن معين اسمه ابراهيم وقيل اسمه هرمز وكان عبدا قبطيا للعباس فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم فلما أسلم العباس و بشر أبو رافع رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامه فاعتقه فكان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان عبدا لبني سعيد بن العاصي وهم عشرة فاعتقوه الا خالد بن سعيد فانه وهب حصته فيه للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه النبي صلى الله عليه وسلم والاول أصح توفي في قول الواقدي قبل مقتل عثمان بيسير * وذكر أبالهب وضربه لابي رافع حين ذكر الملائكة وانتصار أم الفضل له وضربها لابي لهب وأم الفضل هي لبابة الكبرى بنت الحرث الهلالية أخت ميمونة واختها لبابة الصغرى

قال فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة قال وثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك على يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود من عمد الحجرة فاخذته فضربته به ضربة فلعت فى رأسه شجة منكرة وقالت استضعفته أن غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ماعاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته * قال ابن اسحق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال ناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم ولا تبعثوا فى اسرائكم حتى تستأنسوا بهم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه فى الفداء قال وكان الاسود بن المطلب (٧٩) قد أصيب له ثلاثة من ولده زمعة بن الاسود وعقيل بن الاسود والحرث بن زمعة وكان يحب أن يبكى على بنيه فبيناهو كذلك اذ سمع نائحة من الليل فقال لغلام له وقد ذهب بصره انظر هل أحل النحب هل بكت قريش على قتلاها لعلى أبكى على أبى حكيمة يعنى زمعة فان جوفى قد احترق قال فلما رجع اليه الغلام قال انما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته فذاك حين يقول الاسود

أتبكى أن يضل لها بعير * ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكى على بكر ولكن * على بدر تقاصرت الجدود
على بدر سراة بنى هصيص * ومخزوم ورهط أبى الوليد
وبكى ان بكيت على عقيل * وبكى حارثا أسد الاسود
وبكيهم ولا تسمى جميعا * ومالابى حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجال * ولولا يوم بدر لم يسودوا

« قال ابن هشام » هذا اقواء وهى مشهورة من أشعارهم وهى عندنا اكفاء وقد أسقطنا من رواية ابن اسحق ماهو اشهر من هذا * قال ابن اسحق وكان فى الاسارى ابو وداعة بن ضبيرة السهمى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال وكأنكم به قد جاءكم فى طلب فداء ابيه فلما قالت قريش لا تعجلوا بفداء اسرائكم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه قال المطلب بن أبى وداعة وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى صدقتم لا تعجلوا وانسل من الليل فقدم المدينة فاخذ أباه بار بعة آلاف درهم فانطلق به ثم بعثت قريش فى فداء الاسارى فقدم مكرز بن حفص بن الاخيف فى فداء سهيل بن عمرو وكان الذى أسره مالك بن الدخشم أخو بنى سالم بن عوف فقال

أسرت سهيلا فلا ابتغى * أسيرا به من جميع الامم

أم خالد بن الوليد ولدت أم الفضل من العباس سبعة نجباء قال الشاعر

ماولدت نجيبة من فحل * كسبعة من بطن أم الفضل

وهم عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن والفضل ومعبد وقثم ويقال فى السابع كثير بن العباس والاصح فى كثير ان أمه رومية ولم تلد أم الفضل من العباس الا من سمينا وأختالهم وهى ام حبيب وقد ذكرها ابن اسحق فى رواية يونس وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رآها وهى طفلة تدب بين يديه فقال ان بلغت هذه وأنا حى تزوجتها فقبض عليه السلام قبل ان تبلغ فتزوجها سفيان بن الاسود بن عبد الاسد المخزومى فولدت له رزقا ولبابة * وذكر ابن اسحق ان أبا لهب حين ضربته ام الفضل بالعمود على رأسه قام منكسرا ولم يلبث الا يسيرا حتى رماه الله بالعدسة فقتله وذكر الطبرى فى كتابه ان العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويرون انها تعدأشد العدوى فلما رمى بها أبو لهب تباعد عنه بنوه فبقى ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يدفن فلما خافوا السبة دفعوه بعود فى حفرته ثم قذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وقال ابن اسحق فى رواية يونس لم يحفروا له ولكن اسند الى حائط وقذفت عليه الحجارة من خلف الحائط حتى ورى وذكر ان عائشة كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها وفى صحيح البخارى ان بعض أهله رآه فى المنام فى شر رحيبة وهى الحالة فقال مالقيت بعدكم يعنى راحة غير انى سقيت فى مثل هذه بعتقى ثويبة هكذا فى رواية الاصيلى عن أبى زيد وفى رواية غيره قال مالقيت بعدكم راحة غير انى سقيت فى مثل هذه وأشار الى النقرة بين السبابة والابهام بعتقى ثويبة وفى غير البخارى ان الذى رآه من اهله هو اخوه العباس قال مكثت حولا بعد موت أبى لهب لا اراه فى نوم ثم رأيته فى شر حال فقال مالقيت بعدكم راحة الا ان العذاب يخفف عنى كل يوم اثنين وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وكانت ثويبة قد بشرته بمولده فقالت له أشعرت ان آمنة ولدت غلاما لاخيك عبد الله فقال لها اذهبى فانت حرة فنفعه ذلك وهو فى النار كما نفع اخاه أبا طالب ذبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أهون اهل النار عذابا وقد تقدم فى باب أبى طالب ان هذا النفع انما هو نقصان من العذاب والا فعمل الكافر كله محبط بلا خلاف أى لا يجده فى ميزانه ولا يدخل به جنة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل ثويبة من المدينة ويتحفها لانها كانت أرضعته وارضعت عمه حمزة ولما افتتح مكة سأل عنها وعن ابن لها اسمه مسروح فاخبر انهما قد ماتا * وذكر المطلب بن أبى وداعة بن صبيرة وقد ذكر الخطابى عن العنبرى انه يقال فيه ضبيرة بالضاد المعجمة واسم أبى ضبيرة عوف * وذكر ملك بن الدخشم ويقال فيه الدخيش ويقال فيه ابن الدخيش ويقال انه الذى سار رسول الله صلى

وخندف تعلم أن الفتى * فتاها سهيل اذا يظلم ضربت بذى الشفر حتى انثنى * وأكرهت نفسى على ذى العلم

وكان سهيل رجلا أعلم من شفته السفلى «قال ابن هشام» وكان بعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدخشم * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن عمرو بن عطاء أخو بنى عامر بن لؤى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أمثل به فيمثل الله بى وان كنت نبيا * قال ابن اسحق وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر فى هذا الحديث انه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه «قال ابن هشام» وسأذكر حديث ذلك المقام فى موضعه ان شاء الله تعالى * قال ابن اسحق فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى الى رضاهم قالوا هات الذى لنا قال اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا مكانه عندهم فقال مكرز

فديت بأذواد ثمان سباقى * ينال الصميم غرمها لا المواليا رهنت يدى والمال أيسر من يدى * على ولكنى خشيت المخازيا

وقلت سهيل خيرنا فاذهبوا به * لابنائنا حتى نديرا الامانيا «قال ابن هشام» و بعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا لمكرز * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال كان عمرو بن أبى سفيان بن حرب وكان لبنت عقبة بن أبى معيط «قال ابن هشام»

أم عمرو بن أبى سفيان ابنة عمرو وأخت أبى معيط بن أبى عمرو أسيرا فى يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسرى بدر «قال ابن هشام» أسره على بن أبى طالب رضى الله عنه * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى بكر قال فقيل لابى سفيان افد عمرا ابنك قال أيجمع على دمى ومالى قتلوا حنظلة وأفدى عمرا دعوه فى أيديهم يمسكوه فى أيديهم ما بدا لهم قال فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ خرج سعد بن النعمان بن أكال أخو بنى عمرو بن عوف ثم أحد بنى معاوية معتمرا ومعه مرية له وكان شيخا مسلما فى غنم له بالبقيع فخرج من هنالك معتمرا ولا يخشى الذى صنع به لم يظن انه يحبس بمكة انما جاء معتمرا وقد كان عهد قريشا لا يعرضون لاحد جاء حاجا أو معتمرا الا بخير فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابنه عمرو ثم قال أبو سفيان

أرهط ابن أكال أجيبوا دعاءه * تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا فان بنى عمرو لئام أذلة * لئن لم يكفوا عن أسيرهم الكبلا

فاجابه حسان بن ثابت فقال

لو كان سعد يوم مكة مطلقا * لاكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلى بعضب حسام أو بصفراء نبعة * تحن اذا ما أنبضت تحفز النبلا

ومشى بنو عمرو بن عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان فيفكوا به صاحبهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به الى أبى سفيان فخلى سبيل سعد * قال ابن اسحق وقد كان فى الاسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته زينب «قال ابن هشام» أسره خراش بن الصمة أحد بنى حرام * قال ابن اسحق وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة وكان لهالة بنت خويلد وكانت خديجة خالته فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزوجه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها وذلك قبل أن ينزل عليه الوحى فزوجه وكانت تعده بمنزلة ولدها

الله عليه وسلم رجل من الانصار فلم يدر ماساره به حتى جهر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هو يستأذنه فى قتله وهو فى حديث الموطأ والذى ساره هو عتبان بن مالك وقد برأ النبى صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم من النفاق حيث قال أليس يشهد أن لا اله الا الله قالوا بلى قال أليس يصلى قالوا بلى فقال فى حديث الموطأ أولئك الذين نهانى الله عنهم وقال فى حديث مسلم فان الله قد حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بها وجه الله * وذكر مكرز وقد تقدم فى اسم مكرز انه يقال بكسر الميم وفتحها ولكن لا يروى فى السيرة الا بالكسر * وقول مكرز * فديت بأذواد ثمان سباقى * بكسر الثاء من ثمان لانه جمع ثمين مثل سمين وسمان * وذكر أبا العاصى بن الربيع بن عبد العزى واسم أبى العاصى لقيط وقيل فيه هاشم وقيل مهشم وقيل هشيم وهو الذى يقول فى أهله زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بالشام تاجرا حين قالها

ذكرت زينب لما يممت اضما * فقلت سقيا لشخص يسكن الحرما

بنت الامين جزاها الله صالحة * وكل بعل سيثنى بالذى علما

ولدت له زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امامة وعليا مات على وهو صغير وتزوج امامة على بن أبى طالب وتزوجها بعده المغيرة بن نوفل وهى التى جاء فيها الحديث رواه عمرو بن سليم الزرقى عن أبى قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى وهو حامل امامة بنت زينب الحديث قال عمرو بن سليم كانت تلك الصلاة صلاة الصبح هكذا رواه ابن جريج عن ابن أبى عتاب عن عمرو بن سليم ورواه ابن اسحق فى غير السيرة عن المقبرى عن عمرو بن سليم فقال فيه فى احدى صلاتى الظهر أو العصر وكان الذى أسر أبا العاص

فلما أكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بنبوته آمنت به خديجة وبناته فصدقنه وشهدن أن ماجاء به الحق ودن بدينه وثبت أبو العاص على شركه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج عتبة بن أبي لهب رقية أو أم كلثوم فلما بادى قريشا بأمر الله تعالى وبالعداوة قالوا انكم قد فرغتم محمدا من همه فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن فمشوا الى أبي العاص فقالوا له فارق صاحبتك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت قال لاها الله اذا لا أفارق صاحبتي وما أحب ان لي بامرأتي امرأة من قريش وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني عليه في صهره خيرا فيما بلغني ثم مشوا الى عتبة بن أبي لهب فقالوا له طلق بنت محمد ونحن ننكحك أي امرأة من قريش شئت فقال ان زوجتموني بنت أبان بن سعيد بن العاص أو بنت سعيد بن العاص فارقتها فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها ولم يكن دخل بها فاخرجها الله من يده كرامة لها وهوانا له وخلف عليها عثمان بن عفان بعده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوبا على أمره وكان الاسلام قد فرق بين زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدر أن يفرق بينهما فأقامت معه على اسلامها وهو على شركه حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سارت قريش الى بدر سار فيهم أبو العاص بن الربيع فاصيب في الاسارى يوم بدر فكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن

اسحق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عباد عن عائشة رضي الله عنها قالت لما بعث أهل مكة في فداء اسرائهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص بن الربيع بمال وبعثت فيه بقلادة لها كانت أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها قالت فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا فقالوا نعم يارسول الله فأطلقوه وردوا عليها الذي لها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه وأوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أن يخلي سبيل زينب اليه أو كان فيما شرط عليه في اطلاقه ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلم ما هو الا أنه لما خرج أبو العاص الى مكة وخلى سبيله بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلا من الانصار مكانه فقال كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتياني بها فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر أو شيعه فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بابيها فخرجت تجهز * قال ابن اسحق فحدثني عبد الله بن أبي بكر قال حدثت عن زينب انها قالت بينا أنا أتجهز بمكة للحوق بأبي لقيتني هند بنت عتبة فقالت يا بنت محمد ألم يبلغني انك تريدين اللحوق بابيك قالت فقلت ما أردت ذلك فقالت أي ابنة عمي لا تفعلي ان كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك أو بمال تتبلغين به الى ابيك فان عندي حاجتك فلا تضطني مني فانه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال قالت والله ما اراها قالت ذلك الا لتفعل قالت ولكني خفتها فانكرت أن اكون اريد ذلك وتجهزت فلما فرغت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهازها قدم لها حموها كنانة بن الربيع اخو زوجها بعيرا فركبته واخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهارا يقود بها وهي في هودج لها وتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا في طلبها حتى ادركوها بذي طوى فكان اول من سبق اليها هبار بن الاسود بن المطلب بن اسد بن عبد العزى الفهري فروعها هبار بالرمح وهي في هودجها وكانت

العاصي من الانصار عبد الله بن جبير ذكره غير ابن اسحق وكانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عتبة بن أبي لهب وأم كلثوم تحت عتيبة فطلقاهما بعزم أبيهما عليهما وأمهما حين نزلت تبت يدا أبي لهب فاما عتيبة فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم ان يسلط الله عليه كلبا من كلابه فافترسه الاسد من بين أصحابه وهم نيام حوله وأما عتبة ومعتب ابنا أبي لهب فاسلما ولهما عقب * وقوله في خبر هند فلا تضطني مني تضطني أي لا تنقبضي عني وشاهده

اذا ذكرت مسماة والده اضطني • ولا يضطني من شتم أهل الفضائل

هكذا وجدته في حاشية الشيخ وقد روى هذا البيت في الحماسة يضني بالضاد المعجمة وكانه يفتعل من الضنى وهو الضعف

﴿ فصل ﴾ وذكر خروج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة واتباع قريش لها قال وسبق اليها هبار بن الاسود والفهري ولم يسم ابن اسحق الفهري وقال ابن هشام هو نافع بن عبد قيس وفي غير السيرة انه خالد بن عبد قيس هكذا ذكره البزار فيما بلغني * وذكر أن زينب حين روعها هبار بن الاسود ألقت ذا بطنها وزاد غير ابن اسحق انه نخس بها الراحلة فسقطت على صخرة وهي حامل فهلك جنينها ولم تزل تهريق الدماء حتى ماتت بالمدينة بعد اسلام بعلها أبي العاصي * وذكر الزبير أن هبار بن الاسود لما أسلم وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المسلمون يسبونه بما فعل حتى شكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سب من سبك يا هبار فكف الناس عن سبه بعد ولدت زينب وهي التي جاء فيها الحديث رواه

المراة حاملا فيما يزعمون فلما ريعت طرحت ذا بطنها و برك حموها كنانة ونثر كنانته ثم قال والله لا يدنومنى رجل الا وضعت فيه سهما فتكركر الناس عنه واتى ابو سفيان فى جلة من قريش فقال ايها الرجل كف عنا نبلك حتى نكلمك فكف فاقبل ابوسفيان حتى وقف عليه فقال انك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد فيظن الناس اذا اخرجت ابنته اليه علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا ان ذلك عن ذل اصابنا عن مصيبتنا التى كانت وان ذلك منا ضعف ووهن ولعمرى ما لنا بحبسها عن ابيها من حاجة وما لنا فى ذلك من ثورة ولكن ارجع بالمرأة حتى اذا هدأت الاصوات وتحدث الناس ان قد رددناها فسلها سرا والحقها بابيها قال ففعل فاقامت ليالى حتى اذا هدأت الاصوات خرج بها ليلا حتى اسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم

* قال ابن اسحق فقال عبد الله بن رواحة او ابوخيثمة اخو بنى سالم بن عوف فى الذى كان من امر زينب « قال ابن هشام » هى لابى خيثمة

اتانى الذى لا يقدر الناس قدره * لزينب فيهم من عقوق ومأثم
واخراجها لم يخز فيها محمد * على مأقط و بيننا عطر منشم
وامسى ابوسفيان من حلف ضمضم * ومن حربنا فى رغم أنف ومندم
قرنا ابنه عمرا ومولى يمينه * بذى حلق جلد الصلاصل محكم
فاقسمت لا تنفك منا كتائب * سراة خميس من لهام مسوم
نزوع قريش الكفر حتى نعلها * بخاطمة فوق الانوف بميسم
ننزلهم أكناف نجد ونخلة * وان يتهموا بالخيل والرجل نتهم
يد الدهر حتى لا يعوج سربنا * ونلحقهم آثار عاد وجرهم
ويندم قوم لم يطيعوا محمدا * (٨٢) على امرهم واى حين تندم
فابلغ اباسفيان اما لقيته * لئن أنت لم تخلص سجودا وتسلم
فابشر بخزى فى الحياة معجل * وسربال قار خالدا فى جهنم

« قال ابن هشام » ويروى وسربال نار . قال ابن اسحق ومولى يمين ابى سفيان الذى يعنى عامر بن الحضرمى كان فى الاسارى وكان حلف الحضرمى الى حرب بن امية « قال ابن هشام » مولى يمين ابى سفيان الذى يعنى عقبة بن عبد الحرث بن الحضرمى فاما عامر فقتل يوم بدر ولما انصرف الذين خرجوا الى زينب لقيتهم هند بنت عتبة فقالت لهم

افى السلم اعيار اجفاء وغلظة * وفى الحرب أشباه النساء العوارك

وقال كنانة بن الربيع فى أمر زينب حين دفعها الى الرجلين

عجبت لهبار وأوباش قومه * يريدون اخفارى بينت محمد
ولست أبالى ماحييت عديدهم * وما استجمعت قبضا يدى بالمهند

* قال ابن اسحق حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن بكير بن عبد الله بن الاشج عن سليمان بن يسار عن أبى اسحق الدوسى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أنا فيها فقال لنا ان ظفرتم بهبار بن الاسود أو الرجل الذى سبق معه الى زينب « قال ابن هشام » وقد سمى ابن اسحق الرجل فى حديثه فحرقوهما بالنار قال فلما كان الغد بعث الينا فقال انى كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين ان أخذتموهما ثم رأيت انه لا ينبغى لاحد أن يعذب بالنار الا الله فان ظفرتم بهما فاقتلوهما * قال ابن اسحق وأقام أبو العاص بمكة وأقامت زينب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين فرق بينهما الاسلام حتى اذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً الى الشأم وكان رجلا مأمونا بمال له وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابوا مامعه وأعجزهم هاربا فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجار بها فاجارته وجاء فى طلب ماله فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصبح كما حدثنى يزيد بن رومان فكبر وكبر الناس معه صرخت زينب من صفة النساء أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص بن الربيع قال فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل

عمرو بن السليم الزرقى عن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى وهو حامل أمامة بنت زينب الحديث قال عمرو بن سليم الى آخر ما تقدم قريباً * وذكر شعر ابن رواحة وقيل بل قالها أبوخيثمة وفيها * على مأقط و بيننا عطر منشم * المأقط معترك الحرب وعطر منشم كناية عن شدة الحرب وهو مثل وأصله فيما زعموا أن منشم كانت امرأة من خزاعة تبيع العطر والطيب فيشترى منها للموتى حتى تشاءموا بها لذلك وقيل ان قوما تحالفوا على الموت فغمسوا أيديهم فى طيب منشم المذكورة تأكيداً للحلف فضرب طيبها مثلا فى شدة الحرب وقيل منشم امرأة من غدانة وهو بطن من تميم ثم من بنى يربوع بن حنظلة وان هذه المرأة هى صاحبة يسار الذى يقال له يسار الكواعب وانه كان عبداً لها وانه راودها عن نفسها فقالت له امهل حتى أشمك طيب الحرائر فلما أمكنها من أنفه انحت عليه بالموسى حتى أوعبته جدعا فقيل فى المثل لاقى الذى لاقى يسار الكواعب فقيل عطر منشم * وفى الشعر بذى حلق جلد الصلاصل محكم يعنى الغل والصلاصل جمع صلصلة وهى صلصلة الحديد * وذكر قول هند بنت عتبة لفل قريش حين رجعوا من بدر

أفى السلم أعيار اجفاء وغلظة * وفى الحرب أشباه النساء العوارك

على الناس فقال أيها الناس هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم قال أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشئ من ذلك حتى سمعت ما سمعتم انه يجير على المسلمين أدناهم ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته فقال أى بنية أكرمى مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى السرية الذين أصابوا مال أبى العاص فقال ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فان تحسنوا وتردوا عليه الذى له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم فأنتم أحق به قالوا يا رسول الله بل نرده عليه قال فردوه عليه حتى ان الرجل ليأتى بالدلو ويأتى الرجل بالشنة والاداوة حتى ان أحدهم ليأتى بالشظاظ حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئا ثم احتمل الى مكة فادى الى كل ذى مال من قريش ماله ومن كان أبضع معه ثم قال يا معشر قريش هل بقى لاحد منكم عندى مال لم يأخذه قالوا لا فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله والله ما منعنى من الاسلام عنده الا تخوف أن يظنوا أنى انما أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله اليكم وفرغت منها أسلمت ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وحدثنى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النكاح الاول لم يحدث شيئا بعد ست سنين «قال ابن هشام» وحدثنى أبو عبيدة أن أبا العاص ابن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين قيل له هل لك ان تسلم وتأخذ هذه الاموال فانها أموال المشركين فقال أبو العاص بئس ما أبدأ به اسلامى أن أخون أمانتى «قال ابن هشام» وحدثنى عبد الوارث بن سعيد التنورى عن داود بن أبى هند عن عامر الشعبى بنحو من حديث أبى عبيدة عن أبى العاص * قال ابن اسحق فكان ممن سمى لنا من الاسارى ممن من عليه بغير فداء من بنى عبد شمس بن عبد مناف أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفدائه * ومن بنى مخزوم المطلب بن حنطب بن الحرث بن عبيد بن عمر بن مخزوم وكان لبعض بنى الحرث بن الخزرج فترك فى أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه «قال ابن هشام» أسره خالد بن زيد أبو أيوب الانصارى أخو بنى النجار * قال ابن اسحق وصيفى بن ابى رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك فى ايدى اصحابه فلما لم يأت احد فى فدائه اخذوا عليه ليبعثن اليهم بفدائه فخلوا سبيله فلم يف لهم بشئ فقال حسان بن ثابت فى ذلك * وما كان صيفى ليوفى امانة * قفا ثعلب اعيا ببعض الموارد «قال ابن هشام» وهذا البيت فى ابيات له * قال ابن اسحق وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح وكان محتاجا ذا بنات فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لقد عرفت مالى من مال وانى لذو حاجة وذو عيال فامنن على فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا فقال أبو عزة فى ذلك يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر فضله فى قومه

من مبلغ عنى الرسول محمدا * بأنك حق والمليك حميد
وأنت امرؤ تدعو الى الحق والهدى * عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة * لها درجات سهلة وصعود
فانك من حاربته لمحارب * شقى ومن سالمته لسعيد
ولكن اذا ذكرت بدرا واهله * تأوب ما بى حسرة وقعود

«قال ابن هشام» وكان فداء المشركين يومئذ اربعة آلاف درهم بالرجل الى الف درهم الا من لا شئ له فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه

يقال عركت المرأة ودرست وطمثت اذا حاضت وقد قيل أيضا يقال ضحكت اذا حاضت وتأول عليه قوله تعالى «فضحكت فبشرناها باسحاق» وقد قيل أيضا يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحمل بعضهم عليه قوله تعالى «أكبرنه وقطعن أيديهن» والهاء على هذا القول من أكبرنه عائدة على المصدر وهو تأويل ضعيف ونصب أعيارا على الحال والعامل فيه فعل مختزل لانه أقام الاعيار مقام اسم مشتق فكأنه قال أفى السلم بلداء جفاة مثل الاعيار ونصب جفاء وغلظة نصب المصدر الموضوع موضع الحال كما تقول زيد الاسد شدة أى مماثله مماثلة شدة فالشدة صفة للمماثلة كما أن المشافهة صفة للمكالمة اذا قلت كلمته مشافهة فهذه حال من المصدر فى الحقيقة وتعلق حرف الجر من قولها أفى السلم بما أدته الاعيار من معنى الفعل فكأنها قالت أفى السلم تتبلدون وهذا الفعل المختزل الناصب للاعيار لا يجوز اظهاره للسر الذى نبهنا عليه فى قول المبرق * وعائذا بك أن يعلوا فيطغونى * انظره فى الهجرة الى الحبشة * وذكر عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم رد زينب على أبى العاصى على النكاح الاول لم يحدث شيئا بعد ست سنين ويعارض هذا الحديث ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم ردها عليه بنكاح جديد وهذا الحديث هو الذى عليه العمل وان كان حديث داود بن الحصين أصح اسنادا عند أهل الحديث ولكن لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت لان الاسلام قد كان فرق بينهما قال الله تعالى «لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن» ومن جمع بين الحديثين قال فى حديث ابن عباس معنى ردها عليه

*قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال جلس عمير بن وهب الجمحى مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش فى الحجر بيسير وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه و يلقون منه عناء وهو بمكة وكان ابنه وهب بن عمير فى اسارى بدر «قال ابن هشام» أسره رفاعة بن رافع أحد بنى زريق * قال ابن اسحق حدثنى محمد بن جعفر الزبير عن عروة بن الزبير قال فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ما ان فى العيش بعدهم خير قال له عمير صدقت والله أما والله لولا دين على ليس له عندى قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت الى محمد حتى أقتله فان لى قبلهم علة ابنى أسير فى أيديهم قال فاغتنمها صفوان وقال على دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا لا يسعنى شىء و يعجز عنهم فقال له عمير فاكتم شأنى وشأنك قال افعل ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسم ثم انطلق حتى قدم به المدينة فبينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوهم اذ نظر عمر الى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحا السيف فقال هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء الا لشر وهو الذى حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه قال فادخله على قال فاقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلببه بها وقال لرجال ممن كان معه من الانصار ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فانه غير مأمون ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال ارسله ياعمر ادن ياعمير فدنا ثم قال انعموا صباحا وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك ياعمير بالسلام تحية أهل الجنة فقال أما والله يامحمد ان كنت بها لحديث عهد قال فما جاء بك ياعمير قال جئت لهذا الاسير الذى فى أيديكم فاحسنوا فيه قال فما بال السيف فى عنقك قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئا قال أصدقنى ما الذى جئت له قال ما جئت الا لذلك قال بل قعدت انت وصفوان بن أمية فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له والله حائل بينك و بين ذلك قال عمير أشهد انك رسول الله قد كنا يارسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى وهذا أمر لم يحضره الا انا وصفوان فوالله انى لأعلم ما أتاك به الا الله فالحمد لله الذى هدانى للاسلام وساقنى هذا المساق ثم تشهد شهادة الحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم فى دينه وأقرؤه القرآن وأطلقوا له اسيره ففعلوا ثم قال يارسول الله انى كنت جاهدا على اطفاء نور الله شديد الاذى لمن كان على دين الله عز وجل وانا احب ان تأذن لى فاقدم مكة فادعوهم الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام لعل الله يهديهم والا آذيتهم فى دينهم كما كنت اوذى اصحابك فى دينهم قال فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وكان صفوان بن امية حين خرج عمير بن وهب يقول أبشروا بوقعة تأتيكم الآن فى أيام تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فاخبره عن اسلامه فحلف أن لا يكلمه أبدا ولا ينفعه بنفع ابدا * قال ابن اسحق فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو الى الاسلام و يؤذى من خالفه أذى شديدا فاسلم على يديه ناس كثير

على النكاح الاول أى على مثل النكاح الاول فى الصداق والحباء لم يحدث زيادة على ذلك من شرط ولا غيره * وذكر قتل بلال لامية بن خلف ولم يذكر شعره فى ذلك وذكره ابن اسحق فى غير هذه الرواية وهو

فلما التقينا لم نكذب بحملة * عليهم باسياف لنا كالعقائق
ومطروة حمر الظباة كانها * اذا رفعت اشطان ذات الابارق
بنى جمح قد حل قعص بشيخكم * على ماء بدر رأس كل منافق
هجمنا عليه الموت واشتجرت به * مصاليت للانصار غير زواهق
هوى حين لاقانا وفرق جمعه * على وجهه فى النار من رأس حالق

وذكر الزبير فى هذا الخبر عن ابن سلام عن حماد بن سلمة ان امية حين احاطت به الانصار قال يا احد رأى أما لكم باللبن حاجة قال وكان امية يذكر بفصاحة ومعنى هذا الكلام هل راى احد مثل هذا ثم قرن الزبير هذا الحديث بحديث اسنده عن مقاتل بن سليمان قال قال النضر بن الحرث حين نزلت «قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين» الآية وكان النضر قد قال الملائكة بنات الرحمن فلما سمع الآية قال الاتراه قد صدقنى فقال له امية بن خلف وكان افصح منه لا والله بل كذبك فقال ما كان للرحمن من ولد وروى عن عن ثعلب انه قال فى قول امية يااحد يااستفتاح ومعناه ياهؤلاء احد راء

(فصل)

* قال ابن اسحق وعمير بن وهب أو الحرث بن هشام وقد ذكر لي أحدهما الذي رأى ابليس حين نكص على عقبيه يوم بدر فقال أين أي سراق ومثل عدو الله فذهب فانزل الله تعالى فيه واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فذكر استدراج ابليس اياهم وتشبهه بسراقة بن مالك بن جعشم لهم حين ذكروا ما بينهم و بين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة في الحرب التي كانت بينهم يقول الله تعالى فلما تراءت الفئتان ونظر عدو الله الى جنود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على عدوهم نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون وصدق عدو الله رأى ما لم يروا وقال اني بريء منكم اني أخاف الله والله شديد العقاب فذكر لي انهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقة لا ينكرونه حتى اذا كان يوم بدر والتقى الجمعان نكص على عقبيه فاوردهم ثم أسلمهم « قال ابن هشام » نكص رجع قال أوس بن حجر أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم

نكصتم على أعقابكم يوم جئتم * تزجون أنفال الخميس العرمرم

وهذا البيت في قصيدة له * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت

قومي الذين هم آووا نبيهم * وصدقوه وأهل الارض كفار

الا خصائص أقوام هم سلف * للصالحين مع الانصار أنصار

مستبشرين بقسم الله قولهم * لما أتاهم كريم الاصل مختار

أهلا وسهلا ففي أمن وفي سعة * نعم النبي ونعم القسم والجار

فأنزلوه بدار لا يخاف بها * من كان جارهم دارا هي الدار

وقاسموهم بها الاموال اذ قدموا * مهاجرين وقسم الجاحد النار

سرنا وساروا الى بدر لحينهم * لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

دلاهم بغرور ثم أسلمهم * ان الخبيث لمن والاه غرار

وقال اني لكم جار فاوردهم * شر الموارد فيه الخزي والعار

ثم التقينا فولوا عن سراتهم * من منجدين ومنهم فرقة غاروا

« قال ابن هشام » وأنشدني قوله لما أتاهم كريم الاصل مختار أبو زيد الانصاري

﴿ المطعمون من قريش ﴾ * قال ابن اسحق وكان المطعمون من قريش ثم من بني هاشم بن عبد مناف العباس بن عبد المطلب بن هاشم . ومن بني عبد شمس بن عبد مناف عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . ومن بني نوفل بن عبد مناف الحرث بن عمرو بن نوفل وطعيمة بن عدي بن نوفل يعتقبان ذلك . ومن بني أسد بن عبد العزى أبو البختري بن هشام بن الحرث بن أسد وحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد يعتقبان ذلك . ومن بني عبد الدار بن قصي النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار « قال ابن هشام » ويقال النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار * قال ابن اسحق ومن بني مخزوم بن يقظة أبو جهل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ومن بني جمح بن عمرو أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح . ومن بني سهم بن عمرو نبيها ومنبها ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم يعتقبان ذلك . ومن بني عامر بن لؤي سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر

﴿ فصل ﴾ وذكر اسلام عمير بن وهب الى آخره وليس فيه ما يشكل * وذكر في آخر الحديث ان عمير بن وهب هو الذي رأى ابليس يوم بدر حين نكص على عقبيه وذكر غيره ان الحرث بن هشام تشبث به وهو يرى انه سراقة بن مالك فقال الى اين سراق أين تفر فلكمه لكمة طرحه على قفاه ثم قال اني اخاف الله رب العالمين وانما كان تمثل في صورة سراقة المدلجي لانهم خافوا من بني مدلج ان يمرضوا لهم فيشغلوهم من اجل الدماء التي كانت بينهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة المدلجي وقال اني جار لكم من الناس اي من بني مدلج ويروى انهم رأوا سراقة بمكة بعد ذلك فقالوا له يا سراقة أخرمت الصف وأوقعت فينا الهزيمة فقال والله ما علمت بشيء من امركم حتى كانت هزيمتكم وما شهدت وما علمت فما صدقوه حتى أسلموا وسمعوا ما انزل الله فعلموا انه كان ابليس تمثل لهم * وقول اللعين اني اخاف الله رب العالمين لاهل التأويل فيه اقوال احدها انه كذب في قوله اني اخاف الله لان الكافر لا يخاف الله الثاني انه رأى جنود الله تنزل من السماء فخاف أن يكون اليوم الموعود الذي قال الله فيه « يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين » وقيل أيضاً انما خاف أن تدركه الملائكة لما رأى من فعلها بحزبه الكافرين وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل ان قريشا حين توجهت الى بدر مر هاتف من الجن على مكة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون وهو ينشد بانفذ صوت ولا يرى شخصه

ازار الحنيفيون بدرا وقيعة * سينقض منها ركن كسرى وقيصرا

أبادت رجالا من لؤي وأبرزت * خرائد يضربن الترائب حسرا

فياويح من أمسى عدو محمد * لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا

فقال قائلهم من الحنيفيون فقالوا هم محمد وأصحابه يزعمون انهم على دين ابراهيم الحنيف ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين

﴿أسماء خيل المسلمين يوم بدر﴾ «قال ابن هشام» وحدثني بعض أهل العلم انه كان مع المسلمين يوم بدر من الخيل فرس مرثد بن مرثد الغنوي وكان يقال له السبل وفرس المقداد بن عمرو البهراني وكان يقال له بعزجة و يقال سبحة وفرس الزبير بن العوام وكان يقال له اليعسوب «قال ابن هشام» ومع المشركين مائة فرس ﴿ذكر نزول سورة الانفال﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قال (٨٦) حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال فلما انقضى أمر بدر أنزل الله عزوجل فيه من القرآن الانفال باسرها فكان مما نزل منها في اختلافهم في النفل حين اختلفوا فيه يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين فكان عبادة بن الصامت فيما بلغني اذا سئل عن الانفال قال فينا معشر أهل بدر نزلت حين اختلفنا في النفل يوم بدر فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا فرده على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمه بيننا عن بواء يقول على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وصلاح ذات البين ثم ذكر القوم ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف القوم ان قريشا قد ساروا اليهم وانما خرجوا يريدون العير طمعا في الغنيمة فقال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون أي كراهية للقاء القوم وانكار المسير قريش حين ذكروا لهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم أي الغنيمة دون الحرب و يريد الله أن يحق الحق بكلماته و يقطع دابر الكافرين أي بالوقعة التي أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر اذ تستغيثون ربكم أي لدعائهم حين نظروا الى كثرة عدوهم وقلة عددهم

﴿ذكر ما أنزل الله في بدر﴾

أنزل سورة الانفال باسرها والانفال هي الغنائم وقال أبو عبيد في كتاب الاموال النفل احسان وتفضل من المنعم فسميت الغنائم أنفالا لان الله تعالى تفضل بها على هذه الامة ولم يحلها لاحد قبلهم «قال المؤلف» أما قوله ان الله تفضل بها فصحيح فقد قال عليه السلام ما أحلت الغنائم لاحد سود الرؤس قبلكم انما كانت نار تنزل من السماء فتأكلها وأما قوله فسميت الغنائم أنفالا لهذا فلا أحسبه صحيحا فقد كانت العرب في الجاهلية الجهلاء تسميها أنفالا ✽ وقد أنشد ابن هشام لاوس بن حجر الاسيدي وهو جاهلي قديم

نكصتم على أعقابكم يوم جئتم ✽ تزجون أنفال الخميس العرمرم

ففي هذا البيت انها كانت تسمى أنفالا قبل أن يحلها الله لمحمد وأمته فاصل اشتقاقها اذا من النفل وهو الزيادة لانها زيادة في أموال الغانمين وفي بيت أوس بن حجر أيضا شاهد آخر على ان الجيش كان يسمى خميسا في الجاهلية لان قوما زعموا ان اسم الخميس من الخمس الذي يؤخذ من المغنم وهذا لم يكن حتى جاء الاسلام وانما كان لصاحب الجيش الربع وهو المرباع وسيأتي القول في اشتقاقه فيما بعد ان شاء الله قرأ ابن مسعود وعطاء يسئلونك الانفال وقرأت الجماعة يسئلونك عن الانفال والمعنى صحيح في القراءتين لانهم سألوها وسألوا عنها لمن هي ✽ وقول عبادة بن الصامت نزلت فينا أهل بدر يسئلونك عن الانفال لانا تنازعنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا كذلك جاء في التفسير لعبد بن حميد وغيره ان عبادة بن الصامت مع الذين كانوا معه وأبا اليسر كعب بن عمرو في طائفة معه وكان أبو اليسر قد قتل قتيلين وأسر أسيرين تنازعوا فقال الذين حووا المغنم نحن أحق به وقال الذين شغلوا بالقتال واتباع القوم نحن أحق به فانتزعه الله منهم ورده الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقد تقدم حديث سعد بن أبي وقاص حين جاء بالسيف فأمر أن يجعله في القبض فشق ذلك عليه وكان السيف للعاصي بن سعيد يقال له ذو الكتيفة فلما نزلت الآية أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف لسعد وقسم الغنيمة عن بواء أي على سواء وقد قدمنا الحديث الذي ذكره أبو عبيد وفيه انه قسمها على فواق فانزل الله بعد «واعلموا انما غنمتم من شئ» الآية فنسخت «قل الانفال لله والرسول» وهو أصح الاقوال انها منسوخة وأما من زعم ان الانفال ما شذ من العدو الى المسلمين من دابة أو نحوها فليست منسوخة عنده وكذلك قول مجاهد ان الانفال هو الخمس نفسه وانما تكون منسوخة اذا قلنا انها جملة الغنائم وهو القول الذي تشهد له الآثار قال أبو عبيد والانفال تنقسم أربعة أقسام نفل لا يخمس ونفل من رأس الغنيمة ونفل من الخمس ونفل السرايا وهو بعد اخراج الخمس ونفل من خمس الخمس فاما الذي ليس فيه خمس ولا يخرج من رأس الغنيمة ولا من الخمس فهو سلب القتيل يقتل في غير معمعة الحرب وفي غير الزحف فهو ملك للقاتل وهذا القول هو قول الاوزاعي وأهل الشام وقول طائفة من أهل الحديث وفيه قول ثان وهو ان السلب من جملة النفل يخمس مع الغنيمة وهو قول مالك وهو معنى قول ابن عباس الذي في الموطأ حين سأله رجل عن

الانفال

الانفال فقال الفرس من النفل والدرع من النفل وقال فى غير الموطا فى هذا الحديث الفرس من النفل وفى النفل الخمس ان الوليد بن مسلم روى هذا الحديث فقال فى آخره يريد ان السلب للقاتل ففسره على مذهب شيخه ومن حجتهم أيضاً ان عمر رضى الله عنه خمس سلب البراء بن مالك حين قتل مرزبان الزارة فسلبه سواريه ومنطقته وما كان عليه فبلغ ثمنه ثلاثين ألفا وقال أصحاب القول الاول لا حجة فى حديث عمر لانه انما خمس المرزبان لانه استكثره وقال قد كان السلب لا يخمس وان سلب البراء بلغ ثلاثين ألفا وأنا خامسه واحتجوا بحديث سلمة بن الاكوع اذ قتل قتيلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له سلبه أجمع ومن حجة مالك ومن قال بقوله عموم آية الخمس فانه قال «واعلموا أنما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول» وحديث خالد بن الوليد الذى رواه مسلم وأبو داود ان عوف بن مالك قال قتل رجل من حمير رجلا من العدو فاراد سلبه فمنعه ذلك وكان واليا عليهم فاخبر عوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لخالد ما منعك أن تعطيه سلبه فقال استكثرته يارسول الله قال ادفعه اليه فلقى عوف خالداً فجبذ بردائه وقال هل أنجزت لك ماذكرت لك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستغضب فقال لا تعطه ياخالد هل أنتم تاركوا الى أمرائى ولو كان السلب حقاله من رأس الغنيمة لما رده رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو القسم الواحد من النفل والقسم الثانى هو من رأس الغنيمة قبل تخميسها وهو ما يعطى الادلاء الذين يدلون على عورة العدو ويدلون الطرق وما يعطى الدعاة وغيره مما ينتفع أهل الجيش به عامة والقسم الثالث ما تنفله السرايا فقد كانت تنفل فى البدأة الربع بعد الخمس وفى العودة الثلث مما غنموه كذلك جاء فى حديث رواه مكحول عن حبيب بن مسلمة وأخذت به طائفة والقسم الرابع من النفل ما ينفله الامام من الخمس لاهل الغناء والمنفعة لان ما كان للرسول عليه السلام من الغنيمة فهو للامام بعده يصرفه فيما كان النبى عليه السلام يصرفه وهو قول مالك وأكثر العلماء وقالت طائفة هو مقصور على الاصناف التى ذكرت فى القرآن وهم ذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقد أعطى المقداد حمارا من الخمس أعطاه له بعض الامراء فرده لما لم يكن من هؤلاء الاصناف المذكورين وأما أنس بن مالك فانه فعل خلاف هذا أعطاه معاوية ثلاثين رأسا من الغنيمة فأبى أن يقبلها الا أن تكون من الخمس وأصح القولين ان الامام له النظر فى ذلك فان رأى صرف الخمس الى منافع المسلمين ولم تكن بالاصناف الاربعة حاجة شديدة اليه صرفه والا بدأبهم وصرف بقيته فيما يرى واختلف فى ذوى القربى من هم فقال ابن عباس كنا نرى انهم بنو هاشم فأبى ذلك علينا قومنا وقالوا هم قريش كلهم كذلك قال فى الكتاب الذى كتبه الى نجدة الحرورى واختلفوا أيضاً فى قرابة الامام بعد النبى صلى عليه وسلم أهم داخلون فى الآية أم لا والصحيح دخولهم فى ذوى القربى لقوله عليه السلام اذا أطعم الله نبيا طعمة فهى للخليفة بعده أو قال للقائم بعده ومما اختلفوا فيه من معنى آية الخمس قسم خمس الخمس فقال أبو العالية فى قوله «فان لله خمسه» أى للكعبة يخرج لها نصيب من الخمس وللرسول نصيب وباقى الخمس للاربعة الاصناف وقالت طائفة خمس الخمس للرسول وباقيه للاربعة الاصناف وقالت طائفة الخمس كله للرسول يصرفه فى تلك الاصناف وغيرها وانما قال الله وللرسول تنبيها على شرف المكسب وطيب المغنم وكذلك قال فى الفىء وهو ما أفاء الله على المسلمين من الارضين التى كانت لاهل الكفر فقال فيه «فلله وللرسول» الآية ولم يقل فى آيات الصدقات مثل ذلك ولا أضافها لنفسه ولا للرسول لان الصدقة أوساخ الناس فلا تطيب لمحمد ولا لآل محمد فقال فيها «انما الصدقات للفقراء والمساكين» الآية أى ليست لاحد الا لهؤلاء وهذا كله قول سفيان الثورى وتفسيره وسيأتى القول فى غزوة حنين

فاستجاب لكم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين اذ يغشاكم النعاس أمنة منه أى أنزلت عليكم الامنة حين نمتم لا تخافون وأنزلت عليكم من السماء ماء المطر الذى أصابهم تلك الليلة فحبس المشركين أن يسبقوا الى الماء وخلى سبيل المسلمين اليه ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اى ليذهب عنكم شك الشيطان لتخويفه اياهم عدوهم واستجلاد الارض لهم حتى انتهوا الى منزلهم الذى سبقوا اليه عدوهم ثم قال تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا أى آزروا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ثم قال يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير أى تحريضا لهم على عدوهم (٨٨) لئلا ينكلوا عنهم اذا لقوهم وقد وعدهم الله فيهم ما وعدهم ثم قال تعالى فى رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالحصباء من يده حين رماهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى أى لم يكن ذلك برميتك لولا الذى جعل الله فيها من نصرك وما ألقى فى صدور عدوك منها حين هزمهم الله وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا أى ليعرف المؤمنين من نعمته عليهم فى اظهارهم على عدوهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه ويشكروا بذلك نعمته ثم قال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أى لقول أبى جهل اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فاحنه الغداة والاستفتاح الانصاف فى الدعاء يقول الله جل ثناؤه وان تنتهوا أى لقريش فهو خير لكم وان تعودوا نعد أى بمثل الوقعة التى أصبناكم بها يوم بدر ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين أى ان عددكم وكثرتكم فى أنفسكم لن تغنى عنكم شيئا وانى مع المؤمنين أنصرهم على من خالفهم ثم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون أى لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله وتزعمون انكم منه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أى كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة ويسرون له المعصية ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون أى المنافقون الذين نهيتكم ان تكونوا مثلهم بكم عن الخير صم عن الحق لا يعقلون لا يعرفون ما عليهم فى ذلك من النقمة والتباعة ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم أى لانفذ لهم قولهم الذى قالوا بألسنتهم ولكن القلوب خالفت ذلك منهم ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون ما وفوا لكم بشىء مما خرجوا عليه يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما

فيما أعطى النبى صلى الله عليه وسلم للمؤلفة قلوبهم هل كان من رأس الغنيمة أم من الخمس أم من خمس الخمس ان شاء الله

﴿ فصل ﴾ وذكر قوله سبحانه « بألف من الملائكة مردفين » وقد قال فى أخرى « بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين » فقيل فى معناه ان الالف أردفهم بثلاثة آلاف فكان الاكثر مددا للاقل وكان الالف مردفين لمن وراءهم بكسر الدال من مردفين وكانوا أيضا مردفين بهم بفتح الدال والالف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين وهم الذين قال الله لهم « فثبتوا الذين آمنوا » وكانوا فى صور الرجال ويقولون للمؤمنين اثبتوا فان عدوكم قليل وان الله معكم ونحو هذا وقول الله سبحانه « واضربوا منهم كل بنان » جاء فى التفسير انه ما وقعت ضربة يوم بدر الا فى رأس أو مفصل وكانوا يعرفون قتل الملائكة من قتلاهم بآثار سود فى الاعناق وفى البنان كذلك ذكر ابن اسحق فى غير هذه الرواية ويقال لمفاصل الاصابع وغيرها بنان واحدتها بنانة وهو من أبن بالمكان اذا اقام فيه وثبت قاله الزجاج * وقوله « وليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان » الآية كان العدو قد أحرزوا الماء دون المؤمنين وحفروا القلب لانفسهم وكان المسلمون قد أحدثوا وأجنب بعضهم وهم لا يصلون الى الماء فوسوس الشيطان لهم أو لبعضهم وقال تزعمون انكم على الحق وقد سبقكم أعداؤكم الى الماء وأنتم عطاش وتصلون بلا وضوء وما ينتظر أعداؤكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا فارسل الله تعالى السماء فحلت عزاليها فتطهروا ورووا وتلبدت الارض لاقدامهم وكانت رمالا وسبخات فثبتت فيها أقدامهم وذهب عنهم رجز الشيطان ثم نهضوا الى اعدائهم فغلبوهم على الماء وعاروا القلب التى كانت تلى العدو فعطش الكفار وجاء النصر من عند الله وقبض النبى صلى الله عليه وسلم قبضة من البطحاء ورماهم بها فملأت عيون جميع العسكر وذلك قوله سبحانه « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » أى عم جميعهم ولم يكن فى قبضتك الا ما يبلغ بعضهم فالله هو الذى رمى سائرهم اذ رميت أنت القليل منهم فهذا قول وقال أحمد بن يحيى معناه وما رميت قلوبهم بالرعب حين رميت الحصباء ولكن الله رمى وقال هبة الله بن سلامة الرمى أخذ وارسال واصابة وتبليغ فالذى أثبت الله لنبيه هو الاخذ والارسال والذى نفى عنه هو الاصابة والتبليغ وأثبتهما لنفسه * وقوله « فلا تولوهم الادبار »

تحييكم أى للحرب التى اعزكم الله بها بعد الذل وقواكم بها بعد الضعف ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون أى لا تظهروا لله من الحق ما يرضى به منكم ثم تخالفوه فى السر الى غيره فان ذلك هلاك لاماناتكم وخيانة لانفسكم يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم أى فصلا بين الحق والباطل ليظهر الله به حقكم ويطفئ به باطل من خالفكم ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعمته عليه حين مكر به القوم ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين أى فمكرت بهم بكيدى المتين حتى خلصتك منهم ثم ذكر غرة قريش واستفتاحهم على أنفسهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك أى ما جاء به محمد فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط أو ائتنا بعذاب أليم أى بعض ما عذبت به الامم قبلنا وكانوا يقولون ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفره ولم تعذب أمة ونبيها معها حتى يخرجه عنها وذلك من قولهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم حين نعى عليهم سوء أعمالهم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أى لقولهم انا نستغفر ومحمد بين

أظهرنا ثم قال وما لهم ان لا يعذبهم الله وان كنت بين أظهرهم وان كانوا يستغفرون كما يقولون وهم يصدون عن المسجد الحرام اى من آمن بالله وعبده اى انت ومن اتبعك وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون الذين يحرمون حرمته ويقيمون الصلاة عنده اى انت ومن آمن بك ولكن اكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت التى يزعمون انه يدفع بها عنهم الا مكاء وتصدية «قال ابن هشام» المكاء الصفير والتصدية التصفيق قال عنترة بن عمرو العبسي

ولرب قرن قد تركت مجدلا * تمكو فريصته كشدق الاعلم

يعنى صوت خروج الدم من الطعنة كأنه الصفير وهذا البيت فى قصيدة له وقال الطرماح بن حكيم الطائى

لها كلما ريعت صداة وركدة * بمصدان اعلى ابنى شمام البوائن

وهذا البيت فى قصيدة له يعنى الاروية يقول اذا فزعت قرعت بيدها الصفاة ثم ركدت تسمع لقرعها بيدها الصفاة مثل التصفيق والمصدان الحرز وابنا شمام جبلان * قال ابن اسحق وذلك ما لا يرضى الله عزوجل ولا يحبه وما لا افترض عليهم ولا ما امرهم به فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اى لما وقع بهم يوم بدر من القتل * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عائشة رضى الله عنها قالت ما كان بين نزول يا أيها المزمل وقول الله تعالى فيها وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما الا يسير حتى أصاب الله قريشا بالوقعة يوم بدر «قال ابن هشام» الانكال القيود واحدها نكل قال رؤبة بن العجاج

* يكفيك نكلى بغى كل نكل *

وهذا البيت فى ارجوزة له * قال ابن اسحق ثم قال الله عزوجل ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون يعنى النفر الذين مشوا الى ابى سفيان والى من كان له مال من قريش فى تلك التجارة فسألوهم أن يقووهم بها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلوا ثم قال قل للذين

الآية قال الحسن ليس الفرار من الزحف من الكبائر الا يوم بدر وفى الملحمة الكبرى التى تأتى آخر الزمان وقال غيره هو من الكبائر اذا حضر الامام ولم يتحيز الى فئة فاما اذا كان الفرار الى الامام فهو متحيز الى فئة وقد قال عمر بن الخطاب حين بلغه قتل أبى عبيد بن مسعود وما أوقع الفرس بالمسلمين هلا تحيز الى أبو عبيد بن مسعود فانى فئة لكل مسلم وروى مثل هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه الذين رجعوا من غزوة مؤته وذلك انهم قالوا نحن الفرارون يارسول الله فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وهو حديث مشهور اختصرته والقدر الذى يحرم معه الفرار الواحد مع الواحد والواحد مع الاثنين فاذا كان الواحد للثلاثة لم يعب على الفار فراره كان متحيزا الى فئة أو لم يكن وذكر أبو الوليد بن رشد فى مقدماته عن بعض الفقهاء قال اذا كان المسلمون اثنا عشر الفا لم يجز لهم الفرار من ثلاثة أمثالهم ولا من أكثر من ذلك لقوله عليه السلام لن تغلب اثنا عشر ألفا من قلة وقد كان وقوف الواحد الى العشرة حتما فى أول الامر ثم خفف الله ذلك ونسخه بقوله «الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا» الآية كذلك روى عن ابن عباس وهو قول العلماء ولكن لا يتبين فيه النسخ لان قوله «ان يكن منكم عشرون صابرون» الى آخر الآية خبر والخبر لا يدخله النسخ وقوله الآن خفف الله عنكم يدل على أن ثم حكما منسوخا وهو الثبوت للعشرة فاذا للآية ظهر وبطن فظاهرها خبر ووعد من الله تعالى ان تغلب العشرة المائة وباطنها وجوب الثبوت للمائة ويدل على هذا الحكم قوله «حرض المؤمنين على القتال» فتعلق النسخ بهذا الحكم الباطن وبقى الخبر وعدا حقا قد أبصره المؤمنون عيانا فى زمن عمر بن الخطاب وفى بقية

كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف وان يعودوا لحربك فقد مضت سنة الاولين اى من قتل منهم يوم بدر ثم قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله اى لا يفتن مؤمن عن دينه و يكون التوحيد لله خالصا ليس له فيه شريك و يخلع مادونه من الانداد فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا عن امرك الى ماهم عليه من كفرهم فاعلموا ان الله مولاكم الذى أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر فى كثرة عددهم وقلة عددكم نعم المولى ونعم النصير ثم أعلمهم مقاسم الفيء وحكمه فيه حين أحله لهم فقال واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير أى يوم فرقت فيه بين الحق والباطل بقدرتى يوم التقى الجمعان منكم ومنهم اذ أنتم بالعدوة الدنيا من الوادى وهم بالعدوة القصوى من الوادى الى مكة والركب أسفل منكم أى عير أبى سفيان التى خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد أى ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ما لقيتموهم ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا أى ليقضى ما أراد بقدرته من اعزاز الاسلام وأهله واذلال الكفر وأهله عن غير بلاء منكم ففعل ما أراد من ذلك بلطفه ثم قال ليهلك من هلك عن بينة و يحيا من حيي عن بينة وان الله لسميع عليم أى ليكفر (٩٠) من كفر بعد الحجة لما رأى من الآية والعبرة و يؤمن من آمن على مثل ذلك ثم ذكر لطفه به وكيده له ثم قال اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور فكان ما أراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم شجعهم بها على عدوهم وكف بها عنهم ماتخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم «قال ابن هشام» تخوف مبدلة من كلمة ذكرها ابن اسحق ولم اذكرها واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا أى ليؤلف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والانعام على من أراد اتمام النعمة عليه من أهل ولايته ثم وعظهم وفهمهم وأعلمهم الذى ينبغى لهم ان من يسيروا به فى حربهم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فقاتلونهم فى سبيل الله عز وجل فاثبتوا واذكروا الله الذى له بذلتم أنفسكم والوفاء له بما أعطيتموه من بيعتكم لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا أى لا تختلفوا فيتفرق أمركم وتذهب ريحكم أى وتذهب حدتكم واصبروا ان الله مع الصابرين أى انى معكم اذا فعلتم ذلك ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس أى لا تكونوا كابى جهل وأصحابه الذين قالوا لا نرجع حتى نأتى بدرا فننحر بها الجزر ونسقى بها الخمر وتعزف علينا فيه القيان وتسمع العرب أى لا يكون أمركم رياء ولا سمعة ولا التماس ما عند الناس وأخلصوا لله النية والحسبة فى نصر دينكم ومؤازرة نبيكم لا تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا غيره ثم قال تعالى واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم «قال ابن هشام» وقد مضى تفسير هذه الآية * قال ابن اسحق ثم ذكر الله تعالى أهل الكفر وما يلقون عند موتهم ووصفهم بصفتهم وأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عنهم حتى انتهى الى أن قال فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون أى فنكل بهم من ورائهم لعلهم يعقلون واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الى قوله تعالى وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون أى لا يضيع لكم أجره فى

خلافة أبى بكر فى محاربة الروم وفارس بالعراق وبالشام ففى تلك الملاحم هزمت الميئون الآلاف من المشركين وقد هزم خالد بن الوليد مائة ألف حين اقباله من العراق الى الشام ولم يبلغ عسكره خمسة آلاف بل قد رأيت فى بعض فتوح الشام انه كان يومئذ فى ألف فارس وكان قد أقبل من العراق مددا للمسلمين الذين بالشام وكان الروم فى أربعمائة ألف فلقى منهم خالد مائة ألف ففض جمعهم وهزمهم وقد هزم اهل القادسية جيوش رستم وقتلوه وكان رستم فى أكثر من مائتى ألف ولم يكن المسلمون فى عشر ذلك العدد وجاؤا امامهم بالفيلة أمثال الحصون عليها الرجال فنفرت الفيلة وأطاحت ما عليها ولم يردها شيء دون البلد الذى خرجت منه وكذلك ما ظهر من فتح الله ونصره على يدى موسى بن نصير بافريقية والاندلس فقد كان فى ذلك أعجب العجب فكان وعد الله مفعولا ونصره للمسلمين ناجزا والحمد لله وقال النقاش فى معنى قوله تعالى «ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين» معناه ان يصبروا يغلبوا وغلبتهم ليس بان يسلموا كلهم ولكن من سلم منهم رأى غلبة اهل دينه وظهورهم على الكفر ولا يقدح فى وعد الله ان يستشهد جملة من الصابرين وانما هذا كقوله «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله» الى قوله «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» فقد نجز الموعود وغلبوا كما وعدوا هذا معنى كلامه والذى قدمناه أبين وفى هذه السورة قوله «اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض» نزلت فى قوم من أهل مكة آمنوا ولم يهاجروا ثم خرجوا مع المشركين الى بدر فلما رأوا قلة المسلمين شكوا وقالوا غر هؤلاء دينهم منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وقيس بن الفاكه وجماعة سماهم ابو بكر النقاش وهم الذين قتلوا فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وانخنس يومئذ أبى بن شريق بنحو من ثلاثمائة

الآخرة وعاجل خلقه فى الدنيا ثم قال تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها أى ان دعوك الى السلم على الاسلام فصالحهم عليه وتوكل على الله ان الله كافيك انه هو السميع العليم «قال ابن هشام» جنحوا للسلم مالوا اليك للسلم الجنوح الميل قال لبيد بن ربيعة

جنوح الهالكى على يديه * مكبا يجتلى نقب النصال

وهذا البيت فى قصيدة له والسلم أيضا الصلح وفى كتاب الله عز وجل فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون ويقرأ الى السلم وهو ذلك المعنى قال زهير بن أبى سلمى

وقد قلتما ان ندرك السلم واسعا * بمال ومعروف من القول نسلم

وهذا البيت فى قصيدة له «قال ابن هشام» وبلغنى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى انه كان يقول وان جنحوا للسلم للاسلام وفى كتاب الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ويقرأ السلم وهو الاسلام قال أمية بن أبى الصلت

فما أنابوا لسلم حين تنذرهم * رسل الاله وما كانوا له عضدا

وهذا البيت فى قصيدة له وتقول العرب لدلو تعمل مستطيلة السلم قال طرفة بن العبد أحد بنى قيس بن ثعلبة يصف ناقة

لها مرفقان أفتلان كأنما * تمر بسلمى دالح متشدد

وهذا البيت فى قصيدة له وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو من وراء ذلك هو الذى أيدك بنصره بعد الضعف وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم على الهدى الذى بعثك الله به اليهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم بدينه الذى جمعهم عليه انه عزيز حكيم ثم قال تعالى يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون أى لا يقاتلون على نية ولا حق ولا معرفة بخير ولا شر * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية اشتد على المسلمين وأعظموا ان يقاتل عشرون مائتين ومائة ألفا فخفف الله عنهم فنسختها الآية الاخرى فقال الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين قال فكانوا اذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم ان يفروا منهم واذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاز لهم ان يتحوزوا عنهم * قال ابن اسحق ثم عاتبه الله تعالى فى الاسارى واخذوا المغانم ولم يكن احد قبله من الانبياء يأكل مغنما من عدوله * قال ابن اسحق حدثنى محمد ابو جعفر بن على بن الحسين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا واعطيت جوامع الكلم واحلت لى المغانم ولم تحلل لنبى كان قبلى واعطيت الشفاعة خمس لم يؤتهن نبى قبلى * قال ابن اسحق فقال ما كان لنبى اى قبلك ان تكون له اسرى من عدوه حتى يثخن فى الارض اى يثخن عدوه حتى ينفيه من الارض تريدون عرض الدنيا أى المتاع الفداء بأخذ الرجال والله يريد الآخرة أى قتلهم لظهور الدين الذى تريدون اظهاره اى والذى تدرك به الآخرة لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم اى من الاسارى والمغانم عذاب عظيم اى لولا انه سبق منى انى لا اعذب الا بعد النهى ولم يك نهاهم لعذبتكم فيما صنعتم ثم

من قريش فسمى الاخنس وذلك انه خلا بأبى جهل حين تراءى الجمعان فقال أترى ان محمدا يكذب فقال أبو جهل كيف يكذب على الله وقد كنا نسميه الامين لانه ما كذب قط ولكن اذا اجتمعت فى بنى عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فاى شىء يبقى لنا فحينئذ انخنس الاخنس ببنى زهرة وحشد ابليس جميع جنوده وجاء بنفسه ونزل جبريل بالف من الملائكة فى صور الرجال فكان فى خمسمائة من الملائكة فى الميمنة وميكائيل فى خمسمائة من الملائكة فى الميسرة ووراءهم مدد لم يقاتلوا وهم الآلاف المذكورون فى سورة آل عمران وكان اسرافيل وسط الصف لا يقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة وكان الرجل يرى الملك على صورة رجل يعرفه وهو يثبته ويقول له ما هم بشىء فكر عليهم وهذا فى معنى قوله سبحانه «فثبتوا الذين آمنوا» ذكره ابن اسحق فى غير رواية ابن هشام وفى مثل هذا يقول حسان

ميكال معك وجبرئيل كلاهما * مدد لنصرك من عزيز قادر

ويقال كان مع المسلمين يومئذ سبعون من الجن كانوا قد أسلموا * وذكر قول الله تعالى «ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم» ولم يذكر الآخرين من هم وقيل فى ذلك أقوال قيل هم المنافقون وقيل هم اليهود وأصح ما فى ذلك انهم الجن لرواية ابن المليكى عن أبيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى آخرين من دونهم قال هم الجن ثم قال عليه السلام ان الشيطان لا يخبل أحدا فى دار فيها فرس عتيق ذكره الحارث فى مسنده * وأنشد

جنوح الهالكى على يديه * مكبا يجتلى نقب النصال

الهالكى الصيقل ونقب النصال جرب الحديد وصدؤه وهو فى معنى النقب واحدتها نقبة

﴿فصل﴾ وذكر فى السورة لولا كتاب من الله سبق يعنى باحلال الغنائم لمحمد وأمته لمسكم فيما أخذتم

احلها له ولهم رحمة منه وعائدة من الرحمن الرحيم فقال فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم ثم قال يا ايها النبي قل لمن فى ايديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم و يغفر لكم والله غفور رحيم وحض المسلمين على التواصل وجعل المهاجرين والانصار أهل ولايته فى الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم اولياء بعض ثم قال ان لا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ان لا يوالى المؤمن المؤمن دون الكافر وان كان ذا رحم به تكن فتنة فى الارض اى شبهة فى الحق والباطل وظهور الفساد فى الارض بتولى المؤمن الكافر دون المؤمن ثم رد المواريث الى الارحام ممن اسلم بعد الولاية من المهاجرين والانصار دونهم الى الارحام التى بينهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله اى بالميراث ان الله بكل شئ عليم

عذاب عظيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة وقال لو نزل عذاب مانجا منه الا عمر لان عمر كان قد أشار عليه بقتل الاسارى والاثخان فى القتل وأشار أبو بكر بالابقاء فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول أبى بكر ثم نزلت الآية «فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا» وروى أبو عبيد من طريق عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الاسارى فقال ماذا ترون فقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك اضرب أعناقهم وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله أنت بواد كثير الحطب فاضرمه نارا ثم ألقهم فيها فقال العباس قطع الله رحمك فقال أبو بكر يا رسول الله عترتك وأصلك وقومك تجاوز عنهم يستنقذهم الله بك من النار ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قائل يقول القول ماقال عمر ومن قائل يقول القول ماقال أبو بكر فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماقولكم فى هذين الرجلين ان مثلهما كمثل اخوة لكم كانوا قبلكم قال نوح «رب لا تذر على الارض» الآية وقال موسى «ربنا اطمس على أموالهم» الآية وقال عيسى «ان تعذبهم فانهم عبادك» الآية وقال ابراهيم «فمن تبعنى فانه منى» الآية وان الله يشد قلوب رجال حتى تكون كالحجر ويلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ويروى من اللين وان بكم عيلة فلا يفلتن منهم أحد الا بفداء أو ضربة عنق قال عبد الله فقلت الا سهل بن بيضاء وقد كنت سمعته يذكر الاسلام قال فجعلت أنظر الى السماء متى تقع على الحجارة فقلت اقدم القول بين يدى رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا سهل بن بيضاء ففرحت بذلك قال أبو عبيد اما أهل المعرفة بالمغازى فانهم يقولون انما هو سهيل بن بيضاء أخو سهيل فاما سهيل فكان من المهاجرين وقد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفد بعدها بمال انما كان يمن أو يفادى أسيرا بأسير كذلك قال أبو عبيد وذلك والله أعلم لقوله «تريدون عرض الدنيا» يعنى الفداء بالمال وان كان قد أحل ذلك وطيبه ولكن مافعله الرسول بعد ذلك أفضل من المن أو المفاداة بالرجال ألا ترى الى قوله سبحانه «فاما منا بعد واما فداء» كيف قدم المن على الفداء فلذلك اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وقدمه وأما مذاهب الفقهاء فى هذا فالاوزاعى وسفيان ومالك يكرهون أخذ المال فى الاسير لما فى ذلك من تقوية العدو بالرجال واختلفوا فى الصغير اذا كان معه أمه فاجاز فداءه بالمال أهل العراق واختلف فيه عن مالك والصحيح منعه وكان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فى الاسرى ففدى نفسه وفدى ابنى أخيه فقال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد تركتنى أتكفف قريشا فقيرا معدما فقال النبي عليه السلام أين الذهب التى تركتها عند أم الفضل وعددها كذا وكذا وقلت لها كيت وكيت فقال من أعلمك بهذا يا ابن أخى فقال الله فقال حديث ما اطلع عليه الا عالم الاسرار أشهد انك رسول الله فحينئذ أسلم العباس وكان فى الاسرى من يكتب ولم يكن فى الانصار أحد يحسن الكتابة فكان منهم من لا مال له فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة ويخلى سبيله فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت فى جماعة من غلمة الانصار وهذه عيون أخبار وصلتها بما ذكره ابن اسحق فى يوم بدر جمعتها من كتب التفاسير والسير ولخصتها

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق الخيل التى كانت للمسلمين يوم بدر فذكر بعزجة فرس المقداد واليعبوب فرس الزبير وفرس المرثد الغنوى ولم يكن لهم يومئذ خيل الا هذه وفى فرس الزبير اختلاف وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم خيل بعد هذا اليوم منها السكب واللزاز والمرتجز واللحيف وقد ذكره البخارى من حديث عباس بن سهل عن أبيه قال ويقال فيه اللخيف بالخاء المعجمة وقال القتبى كان المرتجز فرسا اشتراه عليه السلام من اعرابى ثم أنكر الاعرابى أن يكون باعه منه فشهد خزيمة بن ثابت على الاعرابى بالبيع فقال

﴿ جريدة من حضر ببدر من المسلمين من قريش ومن معهم ﴾

له

* قال ابن اسحق وهذه تسمية من شهد بدرا من المسلمين ثم من بنى هاشم بن عبد مناف و بنى المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ﴿محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين﴾ ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم * وحمزة بن عبد المطلب بن هاشم اسد الله واسد رسوله عم رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعلى بن ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم * وزيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس الكلبى انعم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» زيد بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كلب بن و برة * قال ابن اسحق وانسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم • وابو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» انسة حبشى وابو كبشة فارسى * قال ابن اسحق وابو مرثد كناز بن حصن بن يربوع بن عمرو بن يربوع بن خرشة بن سعد بن طريف بن جلان بن غنم بن غنى بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان «قال ابن هشام» كناز بن حصين * قال ابن اسحق وابنه مرثد بن أبى مرثد حليفا حمزة بن عبد المطلب • وعبيد بن الحرث بن المطلب واخواه الطفيل ابن الحرث والحصين ابن الحرث • ومسطح واسمه عوف بن اثاثة بن عباد بن المطلب اثنا عشر رجلا • ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه قال واجرى يارسول الله قال واجرك • وابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس • وسالم مولى ابى حذيفة «قال ابن هشام» واسم ابى حذيفة مهشم «قال ابن هشام» وسالم سائبة لثبيتة بنت يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس سيبته فانقطع الى ابى حذيفة فتبناه و يقال كانت ثبيتة بنت يعار تحت ابى حذيفة بن عتبة فاعتقت سالما سائبة فقيل سالم مولى ابى حذيفة * قال ابن اسحق وزعموا أن صبيحا مولى ابى العاص بن امية بن عبد شمس تجهز للخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مرض فحمل على بعيره ابا سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ثم شهد صبيح بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله

له النبى صلى الله عليه وسلم بم تشهد قال أشهد بصدقك يارسول الله فجعلت شهادته شهادة رجلين والحديث مشهور غير أن فى مسند الحارث زيادة فيه وهى انه عليه السلام رد الفرس على الاعرابى وقال لا بارك الله لك فيها فاصبحت من الغد شائلة برجلها أى قد ماتت قال الطبرى ومن خيله الضريس وملاوح والورد وهو الذى وهبه لعمر فحمل عليه عمر رجلا فى سبيل الله وحديثه فى الموطأ وكان له عليه السلام من الدروع ذات الفضول وأخرى يقال لها فضة وراية يقال لها العقاب وقوسان أحدهما الصفراء والاخرى الزوراء وسيفه ذو الفقار لفقرات كانت فى وسطه وكان لنبيه ومنبه ابنى الحجاج سلباه يوم بدر و يقال ان أصله كان من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة فصنع منها ذو الفقار وصمصامة عمرو بن معدى كرب التى وهبها لخالد ابن سعيد وكانت مشهورة عند العرب وكان له حربة يقال لها النبعة وذكر العقيلى فى كتاب الضعفاء جملة من آلاته عليه السلام فى حديث أسنده فمنها الجمع اسم كنانته والمدلة اسم لمرآة كان ينظر فيها وقضيب يسمى الممشوق وذكر الجلمين ونسيت ما قال فى اسمه وأما بغلته دلدل وحماره عفير فقد ذكرناهما فى كتاب الاعلام وذكرنا ما كان فى أمر الحمار من الآيات وزدنا هنالك فى استقصاء هذا الباب ورأينا أن لا نخلى هذا الكتاب مما ذكرناه هنالك أو أكثره وأما دلدل فماتت فى زمن معاوية وهى التى أهداها اليه المقوقس وأما اليعفور فطرح نفسه فى بئر يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم فمات وذكر ابن فورك فى كتاب الفصول انه كان من مغانم خيبر وانه كلم النبى صلى الله عليه وسلم وقال له يارسول الله أنا زياد بن شهاب وقد كان فى آبائى ستون حمارا كلهم ركبه نبى فاركبنى أنت وزاد الجوينى فى كتاب الشامل أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أحدا من أصحابه أرسل اليه هذا الحمار فيذهب حتى يضرب برأسه الباب فيخرج الرجل فيعلم انه قد أرسل اليه فيأتى النبى صلى الله عليه وسلم وكان له ترس فيما ذكر الطبرى فيه تمثال كرأس الكبش وكان يكرهه فيه فاصبح ذات يوم قد انمحا ولم يبق منه أثر وأما رداؤه عليه السلام فكان يقال له الحضرمى وبه كان يشهد العيدين وكان طوله أربع أذرع وعرضه ذراعان وشبر وكان له جفنة عظيمة يقال لها الغراء يحملها أربعة رجال جرى ذكرها فى حديث خرجه أبو داود وفى هذه جملة تشرئب الى معرفتها أنفس الطالبين وترتاح بالمذاكرة بها قلوب المتأدبين وكل ما كان من باب المعرفة بنبينا عليه السلام ومتصلا باخبار سيرته مما يونق الاسماع ويهز بارواح المحبة الطباع والحمد لله على ما علم من ذلك

﴿ تسمية من شهد بدراً ﴾

قد تقدم التعريف بكثير منهم ومن غيرهم ممن جرى ذكره فى السيرة والتنبيه الى ما تتشوف اليه نفس الطالب

عليه وسلم * وشهد بدرا من حلفاء بني عبد شمس ثم من بني أسد بن خزيمة عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد * وعكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد * وشجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد * وأخوه عقبة بن وهب ويزيد بن رقيش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان ابن أسذ . وأبو سنان بن محصن بن حرثان بن قيس أخو عكاشة بن محصن * وابنه سنان بن أبي سنان ومحرز بن نضلة بن عبد الله بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد . وربيعة بن اكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد * ومن حلفاء بني كبير بن غنم بن دودان بن أسد ثقف بن عمرو وأخواه مالك بن عمرو ومدلج بن عمرو « قال ابن هشام » مدلاج بن عمرو * قال ابن اسحق وهم من بني حجر آل بني سليم وأبو مخشي حليف لهم ستة عشر رجلا « قال ابن هشام » أبو مخشي طائي واسمه سويد بن مخشي * قال ابن اسحق ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك بن الحرث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان وخباب مولى عتبة بن غزوان رجلان * ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد وحاطب بن أبي بلتعة وسعد مولى حاطب ثلاثة نفر « قال ابن هشام » حاطب بن أبي بلتعة واسم أبي بلتعة عمرو لخمي وسعد مولى حاطب كلبي * قال ابن اسحق ومن بني عبد الدار بن قصي مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وسويبط بن سعد بن حريملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصي رجلان * ومن بني زهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة وسعد بن أبي وقاص وأبو وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة وأخوه عمير بن أبي وقاص * ومن حلفائهم المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن ثور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن هزل بن فائس بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة « قال ابن هشام » ويقال هزل بن فاس بن ذر ودهير بن ثور * قال ابن اسحق وعبد الله بن مسعود بن الحرث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل . ومسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن محلم بن عائذة بن سبيع بن الهون (٩٤) بن خزيمة من القارة « قال ابن هشام » القارة لقب ولهم يقال قد أنصف القارة من راماها وكانوا رماة * قال ابن اسحق وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة من غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة « قال ابن هشام » ابن وانما قيل له ذو الشمالين لانه كان أعسر واسمه عمير * قال ابن اسحق وخباب بن الارت ثمانية نفر « قال ابن هشام » خباب بن الارت من بني تميم وله عقب وهم بالكوفة ويقال خباب من خزاعة * قال ابن اسحق ومن بني تيم بن مرة أبو بكر الصديق واسمه عتيق بن عثمان ابن عامر ن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم « قال ابن هشام » اسم أبي بكر عبد الله وعتيق لقب لحسن وجهه وعتقه * قال ابن اسحق وبلال مولى أبي بكر وبلال مولد من مولدي بني جمح اشتراه أبو بكر من أمية بن خلف وهو بلال بن رياح وعامر بن فهيرة « قال ابن هشام » عامر بن فهيرة مولد من مولدي الاسد أسود اشتراه أبو بكر منهم * قال ابن اسحق وصهيب بن سنان من النمر بن قاسط « قال ابن هشام » النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة ابن سد بن ربيعة بن نزار ويقال أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ويقال صهيب مولى عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ويقال انه رومي فقال بعض من ذكر انه من النمر بن قاسط انما كان أسيرا في الروم فاشترى منهم وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم صهيب سابق الروم * قال ابن اسحق وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم كان بالشام فقدم بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فكلمه فضرب له بسهمه فقال وأجري يا رسول الله قال وأجرك خمسة نفر * قال ابن اسحق ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة أبو سلمة بن عبد الاسد واسم أبي سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم « قال ابن هشام » واسم شماس عثمان وانما سمي شماسا لان شماسا من الشمامسة قدم مكة في الجاهلية وكان جميلا فعجب الناس من جماله فقال عتبة بن ربيعة وكان خال شماس فانا آتيكم بشماس أحسن منه فاتى بابن أخته عثمان بن عثمان فسمي شماسا فيما ذكر ابن شهاب الزهري وغيره * قال ابن اسحق والارقم بن أبي الارقم وأبو الارقم عبد مناف بن أسد وكان أسد يكنى أبا جندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * وعمار بن ياسر « قال ابن هشام » عمار بن ياسر عنسي من مذحج * قال ابن اسحق ومعتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو حليف لهم من خزاعة وهو الذي يدعى عيهامة خمسة نفر * ومن بني عدي بن كعب عمر بن الخطاب بن

من هذا الفن وسائرهم قد نسبه ابن اسحق وابن هشام في هذا الباب ونسبنا نحن فيما تقدم طائفة لم ينسبهم ابن اسحق في هذا الباب منهم أبو الهيثم بن التيهان تقدم التعريف به في بيعة العقبة وانه من بني اراش في قول

نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى . واخوه زيد بن الخطاب . ومهجع مولى عمر بن الخطاب من أهل اليمن وكان أول قتيل من المسلمين بين الصفين يوم بدر رمى بسهم «قال ابن هشام» مهجع من عك بن عدنان * قال ابن اسحق وعمرو بن سراقة بن المعتمر بن انس بن اذاة بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب . واخوه عبد الله بن سراقة * وواقد بن عبد الله ابن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم حليف لهم . وخولى بن ابى خولى . ومالك بن ابى خولى حليفان لهم «قال ابن هشام» ابو خولى من بنى عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل * قال ابن اسحق وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب من عتر بن وائل «قال ابن هشام» عتر بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار ويقال افصى بن دعمى بن جديلة * قال ابن اسحق وعامر بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بنى سعد بن ليث . وعاقل بن البكير . وخالد بن البكير . واياس بن البكير حلفاء بنى عدى بن كعب * وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب قدم من الشام بعد ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فكلمه فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه قال وأجرى يا رسول الله قال وأجرك أربعة عشر رجلا * ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح . وابنه السائب بن عثمان . وأخواه قدامة بن مظعون وعبد الله بن مظعون . ومعمر بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح خمسة نفر * ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب خنيش بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم رجل * قال ابن اسحق ومن بنى عامر بن لؤى ثم من بنى مالك بن حسل بن عامر أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل . وعبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك . وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك كان خرج مع أبيه سهيل بن عمرو فلما نزل الناس بدرا فر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدها معه . وعمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو . وسعد بن خولة حليف لهم خمسة نفر «قال ابن هشام» سعد بن خولة من اليمن * قال ابن اسحق ومن بنى الحرث بن فهر أبو عبيدة وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث * وعمرو بن الحرث بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال بن أبى أهيب بن ضبة بن الحرث . وسهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث وأخوه صفوان بن وهب وهما ابنا بيضاء . وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث خمسة نفر فجميع من شهد بدرا من المهاجرين ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ثلاثة وثمانون رجلا «قال ابن هشام» وكثير من أهل العلم غير ابن اسحق يذكرون فى المهاجرين ببدر فى بنى عامر بن لؤى وهب بن سعد بن أبى سرح وحاطب بن عمرو وفى بنى الحرث ابن فهر عياض بن أبى زهير

﴿ الانصار ومن معهم ﴾

* قال ابن اسحق وشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ثم من الانصار ثم من الاوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بنى عبد الاشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل . وعمرو بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل * والحرث بن أوس بن معاذ بن النعمان * والحرث بن أنس بن رافع بن امرئ القيس * ومن بنى عبيد بن

ابن اسحق وقال ابن هشام اراشة * وذكر فى بنى الحارث بن فهر عياض بن أبى زهير هكذا ألفيته فى نسخة الشيخ أبى بحر وغيرها من النسخ الصحاح وهو وهم والصواب عياض بن زهير وليس الوهم فيه من ابن اسحق لانه قد ذكره فى المهاجرين الى الحبشة فقال فيه ابن زهير على الصواب وكذلك قال فى ابن أخيه عمرو بن الحارث بن زهير وغنم بن زهير والد عياض بن غنم صاحب الفتوحات الذى يقول فيه ابن الرقيات

وعياض وما عياض بن غنم * كان من خير من تجن النساء

والحارث بن زهير والد عمرو بن الحارث بن زهير وقد ذكر ابن اسحق عمرو بن الحارث أيضاً فقال فيه ابن زهير لا ابن أبى زهير والحمد لله * وذكر ابن اسحق فى البدريين عاصم بن عدى لم يشهدها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم رده من الروحاء لسبب ذكره موسى بن عقبة وغيره وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه شىء عن أهل مسجد الضرار وكان قد استخلفه على قباء والعالية فرده لينظر فى ذلك وضرب له بسهمه مع أهل بدر وعاصم هو المذكور فى حديث اللعان الذى يقول له عويمر العجلانى وهو عويمر بن أبيض ويقال فيه ابن اشقر سل لى يا عاصم عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى سنة خمس وأربعين وهو ابن عشرين ومائة يكنى أبا عمرو وقيل ابا عبد الله * وذكر ابن اسحق فيمن رده النبى صلى الله عليه

كعب بن عبد الاشهل سعد بن زيد بن مالك بن عبيد * ومن بنى زعور بن عبد الاشهل «قال ابن هشام» ويقال زعورا * سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعورا وعباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعورا وسلمة بن ثابت بن وقش . ورافع بن يزيد بن كرز بن سكن بن زعورا . والحرث بن خزمة بن عدى بن أبى بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لهم من بنى عوف بن الخزرج . ومحمد بن مسلمة بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحرث حليف لهم من بنى حارثة بن الحرث . وسلمة بن أسلم بن حريش بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحرث حليف لهم من بنى حارثة بن الحرث «قال ابن هشام» أسلم بن حريس بن عدى * قال ابن اسحق وأبو الهيثم بن التيهان وعبيد بن التيهان «قال ابن هشام» ويقال عتيك بن التيهان * قال ابن اسحق وعبد الله بن سهل خمسة عشر رجلا «قال ابن هشام» عبد الله بن سهل أخو بنى زعورا ويقال من غسان * قال ابن اسحق ومن بنى ظفر ثم من بنى سواد بن كعب وكعب هو ظفر «قال ابن هشام» ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد . وعبيد بن أوس بن مالك بن سواد رجلان «قال ابن هشام» عبيد بن اوس الذى يقال له مقرن لانه قرن أربعة اسرى فى يوم بدر وهو الذى أسر عقيل بن أبى طالب يومئذ * قال ابن اسحق ومن بنى عبد بن رزاح بن كعب نصر بن الحرث بن عبد . ومعتب بن عبيد * ومن حلفائهم ثم من بلى عبد الله بن طارق ثلاثة نفر * ومن بنى حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس مسعود بن سعد بن عامر بن عدى بن جشم بن مجدعة بن حارثة «قال ابن هشام» ويقال مسعود بن عبد سعد * قال ابن اسحق وأبو عبس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن مجدعة بن حارثة * ومن حلفائهم ثم من بلى أبو بردة بن نيار واسمه هانئ بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن هنى بن بلى بن عمرو بن الحاف (٩٦) ابن قضاعة ثلاثة نفر * قال ابن اسحق ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس ثم من بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن عاصم بن ثابت بن قيس وقيس أبو الاقلح بن عصمة بن مالك بن أمة بن ضبيعة * ومعتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة * وأبو مليل بن الازعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة * وعمرو بن معبد بن الازعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة «قال ابن هشام» عمير بن معبد * قال ابن سحق وسهل بن حنيف بن واهب بن العكم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحرث بن عمرو وهو الذى يقال له بحزج من جنس ابن عوف بن عمرو بن عوف خمسة نفر * ومن بنى أمية بن زيد بن مالك مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية . ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر . وسعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية . وعويم بن ساعدة . ورافع بن عنجدة وعنجدة أمه فيما قال ابن هشام وعبيد بن أبى عبيد . وثعلبة بن حاطب وزعموا أن أبا لبابة بن عبد المنذر والحرث بن حاطب خرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعهما وأمر أبا لبابة على المدينة فضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر تسعة نفر «قال ابن هشام» ردهما من الروحاء «قال ابن هشام» وحاطب بن عمرو ابن عبيد بن أمية واسم أبى لبابة بشير * قال ابن اسحق ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك أنيس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحرث بن عبيد * ومن حلفائهم من بلى معن بن عدى بن الجد بن العجلان بن ضبيعة وثابت بن أرقم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان وعبد الله بن سلمة بن مالك بن الحرث بن عدى بن العجلان وزيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان وربعى بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجد بن العجلان وخرج عاصم ابن عدى بن الجد بن العجلان فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر سبعة نفر * ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك واسم البرك امرؤ القيس بن ثعلبة وعاصم بن قيس «قال ابن هشام» عاصم بن قيس بن ثابت بن النعمان ابن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة * قال ابن اسحق وأبو ضياح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة وأبو حنة «قال ابن هشام» وهو أخو أبى ضياح ويقال أبو حية ويقال لامرئ القيس البرك بن ثعلبة * قال ابن اسحق وسالم بن عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة «قال ابن هشام» ويقال ثابت بن عمرو بن ثعلبة * قال ابن اسحق والحرث بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة وخوات بن جبير بن النعمان ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم مع أصحاب بدر سبعة نفر * ومن بنى جحجبى بن كلفة بن عوف بن

وسلم يوم بدر وضرب له بسهمه خوات بن جبير رده من الصفراء وسبب ذلك فيما ذكر ابن عقبة أن حجرا أصابه فى رجله فورمت عليه واعتلت فرده النبى صلى الله عليه وسلم لذلك وهو صاحب خولة ذات النحيين فى الجاهلية وهى امرأة من بنى تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سأله عنها وتبسم فقال يا رسول الله قد رزق الله خيرا واعوذ بالله من الحور بعد الكور ويروى انه قال له ما فعل بعيرك الشارد فقال قيده الاسلام يا رسول الله وقيل معنى قوله بعيرك الشارد انه مر فى الجاهلية بنسوة أعجبه حسنهن فسألهن أن يفتلن له قيدا لبعير له زعم انه شارد وجلس اليهن بهذه العلة فمر به النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث اليهن فاعرض عنه وعنهن فلما أسلم سأله عن ذلك

عمرو بن عوف منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى بن كلفة «قال ابن هشام» و يقال الحريس بن جحجبى * قال ابن اسحق ومن حلفائهم من بنى أنيف أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة بن تيحان بن عامر بن مالك بن عامر بن أنيف بن جشم بن عبد الله بن تيم بن اراش بن عامر بن عميلة بن قسميل بن فران بن عمرو بن الحاف بن قضاعة رجلان «قال ابن هشام» و يقال تيم بن اراشة وقسميل بن فاران * قال ابن اسحق ومن بنى غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الاوس سعد بن خيثمة بن الحرث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم ومنذر بن قدامة بن عرفجة ومالك بن قدامة بن عرفجة «قال ابن هشام» عرفجة بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة ابن غنم * قال ابن اسحق والحرث بن عرفجة «قال ابن هشام» عرفجة بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم * قال ابن اسحق وتميم مولى بنى غنم خمسة نفر «قال ابن هشام» تميم مولى سعد بن خيثمة * قال ابن اسحق ومن بنى معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف جبر بن عتيك بن الحرث بن قيس بن هيشة بن الحرث بن أمية بن معاوية ومالك بن نميلة حليف لهم من مزينة والنعمان بن عصر حليف لهم من بلى ثلاثة نفر فجميع من شهد بدرا من الاوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ضرب له بسهمه وأجره أحد وستون رجلا * وشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ثم من الانصار ثم من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بنى الحرث بن الخزرج ثم من بنى امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج خارجة بن زيد بن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس أربعة نفر * ومن بنى زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد «قال ابن هشام» و يقال جلاس وهو عندنا خطأ * وأخوه سماك بن سعد رجلان ومن بنى عدى بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج سبيع بن قيس بن عيشة بن أمية بن مالك بن عامر بن عدى وعباد بن قيس بن عيشة أخوه «قال ابن هشام» و يقال انه قيس بن عبسة بن أمية * قال ابن اسحق وعبد الله بن عبس ثلاثة نفر * ومن بنى أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج يزيد بن الحرث بن قيس بن مالك بن أحمر وهو الذى يقال له ابن فسحم رجل «قال ابن هشام» فسحم أمه وهى امرأة من القين بن جسر * قال ابن اسحاق ومن بنى جشم بن الحرث بن الخزرج وزيد بن ابن الحرث بن الخزرج وهما التوأمان خبيب بن اساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم * وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد وأخوه حريث بن زيد بن ثعلبة زعموا وسفيان بن بشر أربعة نفر «قال ابن هشام» سفيان بن نسر بن عمرو بن الحرث بن كعب بن زيد * قال ابن اسحق ومن بنى جدارة بن عوف بن الحرث بن الخزرج تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة * وعبد الله بن عمير من بنى حارثة «قال ابن هشام» و يقال عبد الله بن عمير بن عدى بن أمية بن جدارة * قال ابن اسحق وزيد بن المزين بن قيس بن عدى بن أمية ابن جدارة «قال ابن هشام» زيد بن المرى * قال ابن اسحق وعبد الله بن عرفطة بن عدى بن أمية بن جدارة أربعة نفر * قال ابن اسحق ومن بنى الابجر وهم بنو خدرة بن عوف بن الحرث بن الخزرج عبد الله بن ربيع بن قيس بن عمرو بن عباد بن الابجر رجل * ومن بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج وهم بنو الحبلى «قال ابن هشام» الحبلى سالم بن غنم بن عوف وانما سمى الحبلى لعظم بطنه عبد الله بن عبد الله بن أبى بن مالك بن الحرث بن عبيد وانما سلول امرأة وهى أم أبى وأوس بن خولى بن عبد الله بن الحرث ابن عبيد رجلان * ومن بنى جزء بن عدى بن مالك بن سالم بن غنم زيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جزء وعقبة بن وهب بن كلدة حليف لهم من بنى عبد الله بن غطفان ورفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم وعامر بن سلمة بن عامر حليف لهم من اليمن «قال ابن هشام» و يقال عمرو بن سلمة وهو من بلى من قضاعة .

ذلك البعير الشارد وهو يتبسم له فقال خوات قيده الاسلام يارسول الله قال الواقدى يكنى أباصالح وروى النمرى فى حديث مسند الى خوات أن عمر بن الخطاب كناه أباعبد الله وذلك انه كان معه فى ركب فقال له الركب غننا من شعر ضرار فقال عمر دعوا أباعبد الله يغنينا بنيات فؤاده قال فأنشدهم حتى السحر فقال عمر ارفع لسانك ياأباعبد الله فقد أسحرنا * وذكر النعمان بن عصر ولم ينسبه وهو ابن عصر بن الربيع بن الحارث بن أديم البلوى وقيل عصر بن عبيد بن وائلة بن حارثة البلوى قتل باليمامة * وذكر فى نسب زيد بن وديعة جزء بن عدى * وذكر أبو بحر انه قيده عن أبى الوليد جزء بسكون الزاى وانه لم يجده عن غيره الا بكسر الزاى * وذكر رافع بن عنجدة وقال هى أمه ولم يذكر أباه واسمه عبد الحارث والعنجدة حب الزبيب و يقال هو الزبيب وأما عجم الزبيب فهو الفرصد قاله أبو حنيفة * وذكر كعب ابن جماز بالجيم والزاى كما قال ابن هشام لا كما قال ابن اسحق فان أهل النسب على ما قال ابن هشام غير أن

قال بن اسحق وأبو خميصة معبد بن عباد بن قشير بن المقدم بن سالم بن غنم «قال ابن هشام» معبد بن عباد بن قشعر بن القدم ويقال عباد بن قيس بن القدم * قال ابن اسحق وعامر بن البكير حليف لهم ستة نفر «قال ابن هشام» عامر بن العكير ويقال عاصم بن العكير * قال ابن اسحق ومن بني سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج ثم من بني العجلان بن زيد بن غنم بن سالم نوفل بن عبد الله بن نضلة بن مالك بن العجلان رجل * ومن بني أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف «قال ابن هشام» هذا غنم بن عوف أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج وغنم بن سالم الذي قبله على ما قال ابن اسحق عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم * وأخوه أوس بن الصامت رجلان * ومن بني دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد والنعمان الذي يقال له قوقل رجل * ومن بني قريوس بن غنم بن أمية بن لوذان بن سالم «قال ابن هشام» ويقال قريوس بن غنم ثابت بن هزال بن عمرو بن قريوس رجل * ومن بني مرضخة بن غنم بن سالم مالك بن الدخشم بن مرضخة رجل «قال ابن هشام» ويقال مالك بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن مرضخة * قال ابن اسحق ومن بني لوذان بن غنم بن سالم ربيع بن اياس بن عمرو بن غنم بن أمية بن لوذان * وأخوه ورقة بن اياس * وعمرو بن اياس حليف لهم من أهل اليمن ثلاثة نفر «قال ابن هشام» ويقال عمرو بن اياس أخو ربيع وورقة * قال ابن اسحق ومن حلفائهم من بلي ثم من بني غصينة «قال ابن هشام» غصينة أمهم وأبوهم عمرو عمارة بن المجذر بن ذياد بن عمرو بن زمزمة بن عمرو بن عمارة بن مالك بن غصينة بن عمرو بن بثيرة بن مشنو بن قسر بن تيم بن أراش بن عامر بن عميلة بن قسميل بن فران بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة «قال ابن هشام» ويقال قشر بن تيم بن اراشة وقسميل بن فاران واسم المجذر عبد الله * قال ابن اسحق وعباد بن الخشخاش بن عمرو بن زمزمة * ونحاب بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو ابن عمارة «قال ابن هشام» ويقال نحاث بن ثعلبة * قال ابن اسحق وعبد الله بن ثعلبة ابن خزمة بن أصرم * وزعموا أن عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية حليف لهم من بهراء قد شهد بدرا خمسة نفر «قال ابن هشام» عتبة بن بهز من بني سليم * قال ابن اسحق

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ثم من بني ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة أبو دجانة سماك بن خرشة «قال ابن هشام» أبو دجانة بن أوس بن خرشة بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة * قال ابن اسحق والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة رجلان من «قال ابن هشام» ويقال المنذر بن عمرو بن لوذان بن خنيس * قال ابن اسحق ومن بني البدي عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة أبو أسيد مالك بن ربيعة بن البدي ومالك بن مسعود وهو الى البدي رجلان «قال ابن هشام» مالك بن مسعود بن البدي فيما ذكر لي بعض أهل العلم * قال ابن اسحق ومن بني طريف بن الخزرج بن ساعدة عبد ربه بن حق بن أوس بن وقش بن ثعلبة بن طريف رجل ومن حلفائهم من جهينة كعب بن حمار بن ثعلبة «قال ابن هشام» ويقال كعب بن جماز وهو من غبشان * قال ابن اسحق وضمرة وزياد وبسبس بنو عمرو «قال ابن هشام» ويقال ضمرة وزياد ابنا بشر * قال ابن اسحق وعبد الله بن عامر من بلي خمسة نفر * ومن بني جشم بن الخزرج ثم من بني سلمة بن سعد بن علي بن اسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام والحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام وعمير بن الحمام بن الجموح ابن زيد بن حرام وتميم مولى خراش بن الصمة وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ومعاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عمرو ابن الجموح بن زيد بن حرام وخلاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام وعقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام وحبيب بن اسود مولى لهم وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحرث بن حرام وثعلبة الذي يقال له الجذع وعمير بن الحرث بن ثعلبة بن الحرث بن حرام اثنا عشر رجلا «قال ابن هشام» وكل ما كان ههنا الجموح فهو الجموح بن زيد بن حرام الا ما كان من جد الصمة فانه الجموح بن حرام «قال ابن هشام» ويقال الصمة بن عمرو بن الجموح بن حرام «قال ابن هشام» عمير بن الحرث بن لبدة بن ثعلبة * قال بن اسحق ومن بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة ثم من بني خنساء بن سنان بن عبيد بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن خنساء والطفيل بن مالك ابن خنساء والطفيل بن النعمان بن خنساء وسنان بن صيفي بن صخر بن خنساء وعبد الله بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء

الدارقطني قيد فيه رواية ثالثة ابن حمان بنون وحاء مكسورة * وذكر فيهم أبا حميضة واسمه معبد بن عباد قال أبو عمر كذا قيده ابراهيم بن سعد عن ابن اسحق وغيره يقول فيه عن ابن اسحق يقول فيه أبو خميصة بخاء منقوطة وصاد مهملة * وذكر في البلويين أبا عقيل ولم يسمه وكان اسمه في الجاهلية عبد العزى فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن عدو الاوثان ابن عبد الله بن ثعلبة قتل باليمامة * واما ابو عقيل صاحب الصاع الذي لمزه المنافقون فاسمه جثجاث وفيه أنزلت «الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين» وذلك انه جاء بصاع

وعتبة بن عبد الله بن صخر بن خنساء وجبار بن صخر بن أمية بن خنساء وخارجة بن حمير وعبد الله بن حمير حليفان لهم من أشجع من بني دهمان تسعة نفر «قال ابن هشام» ويقال جبار بن صخر بن أمية بن خناس * قال ابن اسحق ومن بني خناس بن سنان بن عبيد يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس وعبد الله بن النعمان بن بلدمة «قال ابن هشام» ويقال بن بلذمة وبلدمة * قال ابن اسحق والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن عدي وسواد بن زريق بن ثعلبة بن عبيد بن عدي «قال ابن هشام» ويقال سواد بن رزن بن زيد بن ثعلبة * قال ابن اسحق ومعبد بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة ويقال معبد بن قيس بن صيفي بن صخر بن حرام بن ربيعة فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق وعبد الله بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة ابن عدي بن غنم سبعة نفر * ومن بني النعمان بن سنان بن عبيد عبد الله بن عبد مناف بن النعمان * وجابر بن عبد الله بن رياب بن النعمان وخليدة بن قيس بن النعمان والنعمان بن سنان مولى لهم أربعة نفر * ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ثم من بني حديدة بن عمرو ابن غنم بن سواد «قال ابن هشام» عمرو بن سواد ليس لسواد ابن يقال له غنم وأبو المنذر وهو يزيد بن عامر بن حديدة وسليم ابن عمرو بن حديدة * وقطبة بن عامر بن حديدة وعنترة مولى سليم بن عمرو أربعة نفر «قال ابن هشام» عنترة من بني سليم بن منصور ثم من بني ذكوان * قال ابن اسحق ومن بني عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم عبس بن عامر بن عدي وثعلبة بن غنمة بن عدي وأبو اليسر وهو كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد * وسهل بن قيس بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد وعمرو ابن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم * ومعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عدي بن أذن بن سعد ابن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو (٩٩) بن عامر ستة نفر «قال ابن هشام» أوس بن عباد بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد «قال ابن هشام» وانما نسب ابن اسحق معاذ بن جبل في بني سواد وليس منهم لانه فيهم * قال ابن اسحق والذين كسروا آلهة بني سلمة معاذ بن جبل وعبد الله بن أنيس وثعلبة بن غنمة وهم في بني سواد بن غنم * قال ابن اسحق ومن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب ابن جشم بن الخزرج ثم من بني مخلد بن عامر بن زريق «قال ابن هشام» ويقال عامر بن الازرق قيس بن محصن بن خالد بن مخلد «قال ابن هشام» ويقال قيس بن حصن * قال ابن اسحق وأبو خالد وهو الحرث بن قيس بن خالد بن مخلد وجبير بن اياس بن خالد بن مخلد وأبو عبادة وهو سعد بن عثمان بن خلدة بن مخلد وأخوه عقبة بن عثمان بن خلدة بن مخلد وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد ومسعود بن خلدة ابن عامر بن مخلد سبعة نفر * ومن بني خلدة بن عامر بن زريق عباد بن قيس بن عامر بن خالد رجل * ومن بني خلدة بن عامر بن زريق أسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خلدة والفاكه بن بشر بن الفاكه بن زيد بن خلدة «قال ابن هشام» بسر بن الفاكه * قال ابن اسحق ومعاذ بن ماعص ابن قيس بن خلدة وأخوه عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ومسعود بن سعد بن قيس بن خلدة خمسة نفر * ومن بني العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان وأخوه خلاد بن رافع بن مالك بن العجلان وعبيد بن زيد بن عامر بن العجلان ثلاثة نفر * ومن بني بياضة بن عامر بن زريق زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة وفروة بن عمرو بن وذفة بن عبيد بن عامر بن بياضة «قال ابن هشام» ويقال ودفة * قال ابن اسحق وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة ورجيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بياضة «قال ابن هشام» ويقال رخيلة * قال ابن اسحق وعطية بن نويرة بن عامر بن عطية بن عامر ابن بياضة وخليفة بن عدي بن عمرو بن مالك بن عامر بن فهيرة بن بياضة ستة نفر «قال ابن هشام» ويقال عليفة * قال ابن اسحق * ومن بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن عدي بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب رجل * ومن بني النجار وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ثم من بني غنم بن مالك بن النجار ثم من بني ثعلبة بن

من تمر فوضعه في العرقة حين حث النبي صلى الله عليه وسلم على النفقة في سبيل الله فضحك منه المنافقون وقالوا ان الله لغني عن صاع أبي عقيل وقع في أنساب البدريين ابن قريوش بكسر القاف والشين المنقوطة وقال ابن هشام قريوس بالسين المهملة كذا قيده أبو الوليد وفي أكثر الروايات قربوس بفتح القاف والباء المضمومة المنقوطة بواحدة فقربوش فعيول من التقرش وهو التكسب وبالسين فعيول من القرس وهو البرد وقربوش بالشين المنقوطة أصح فيه لا من التقرش وهو التكسب كما سميت قريش به قاله قطرب وممن لم يشهد بدراً لعذر وهو من النقباء سعد بن عبادة سيد الخزرج لانه نهشته حية فلم يستطع الخروج هذا قول القتبي ولذلك لم يذكره ابن اسحاق ولا ابن عقبة وقد ذكرته طائفة فيهم ابن الكلبي وجماعة * وذكر أبا الضياح واسمه النعمان وقيل عمير بن ثابت بن النعمان قتل يوم خيبر * وذكر في بني النجار من ينسب الى جدارة بن

عبد بن عوف بن غنم أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة رجل * ومن بني عسيرة بن عبد بن عوف بن غنم بن ثابت بن خلد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة رجل «قال ابن هشام» ويقال عشيرة *قال ابن اسحق ومن بنى عمرو بن عبد بن عوف بن غنم عمارة ابن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو وسراقة بن كعب بن عبد العزى بن غزية بن عمرو رجلان *ومن بنى عبيد بن ثعلبة بن غنم بن جارية بن النعمان بن زيد بن عبيد وسليم بن قيس بن قهد واسم قهد خالد بن قيس بن عبيد رجلان «قال ابن هشام» حارثة بن النعمان بن نفع بن زيد *قال ابن اسحق ومن بنى عائذ بن ثعلبة بن غنم ويقال عائذ فيما قال ابن هشام سهيل بن رافع بن أبي عمرو بن عائذ وعدى ابن الزغباء حليف لهم من جهينة رجلان * ومن بنى زيد بن ثعلبة بن غنم مسعود بن أوس بن زيد وأبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد ورافع بن الحرث بن سواد بن زيد ثلاثة نفر *ومن بنى سواد بن مالك بن غنم عوف ومعوذ ومعاذ بنو الحرث بن رفاعة بن سواد وهم بنو عفراء «قال ابن هشام» عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ويقال رفاعة بن الحرث بن سواد فيما قال ابن هشام *قال ابن اسحق والنعمان بن عمرو بن رفاعة بن سواد ويقال نعيمان فيما قال ابن هشام قال ابن اسحق وعامر بن مخلد بن الحرث ابن سواد وعبد الله بن قيس بن خالد بن خلدة بن الحرث بن سواد وعصيمة حليف لهم من أشجع ووديعة بن عمرو وحليف لهم من جهينة وثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد زعموا أن أبا الحمراء مولى الحرث عفراء قد شهد بدرا عشرة نفر «قال ابن هشام» أبو الحمراء مولى الحرث بن رفاعة قال ابن اسحق * ومن بنى عامر بن مالك بن النجار وعامر مبذول ثم من بنى عتيك بن عمرو بن مبذول) ثعلبة بن عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك *وسهل بن عتيك بن النعمان بن عمرو بن عتيك * والحرث بن الصمة بن عمرو بن عتيك كسر به بالروحاء فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ثلاثة نفر ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار وهم بنو حذيلة ثم من بنى قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية ابن عمرو بن مالك بن النجار «قال ابن هشام» حذيلة بنت مالك بن زيد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج وهى ام معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار فبنو معاوية ينتسبون اليها* قال ابن اسحق أبي بن كعب بن قيس وأنس بن معاذ بن أنس بن قيس رجلان ومن بني عدى بن عمرو بن مالك بن النجار «قال ابن هشام» وهم بنو مغالة بنت عوف بن عبد مناة بن عمرو بن مالك بن كنانة بن خزيمة ويقال انها من بنى زريق وهى أم عدى بن عمرو بن مالك بن النجار فبنو عدى ينسبون اليها اوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو ابن زيد مناة بن عدي وأبو شيخ بن أبي بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى «قال ابن هشام» أبو شيخ أبي بن ثابت أخو حسان بن ثابت قال ابن اسحق وأبو طلحة وهو زيد بن سهل بن الاسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى ثلاثة نفر ومن بنى عدى ابن النجار ثم من عدى بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار حارثة بن سراقة بن الحرث بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر وعمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر وهو أبو حكيم وسليط بن قيس بن عمرو بن عتيك بن مالك بن عدى بن عامر وأبو سليط وهو أسيرة ابن عمرو وعمرو وأبو خارجة بن قيس بن مالك بن عدى بن عامر وثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر وعامر بن أمية بن زيد ابن الحسحاس بن مالك بن عدى بن عامر ومحرز بن عامر بن مالك بن عدى بن عامر وسواد بن غزية بن أهيب حليف لهم من بلى ثمانية نفر «قال ابن هشام» ويقال سواد *قال ابن اسحق ومن بنى حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار أبو زيد قيس بن سكن بن قيس ابن زعور بن حرام وأبو الاعور بن الحرث بن ظالم بن عبس بن حرام «قال ابن هشام» ويقال ابو الاعور الحرث بن ظالم *قال ابن اسحق وسليم بن ملحان وحرام بن ملحان واسم ملحان مالك بن خالد بن زيد بن حرام أربعة نفر *ومن بنى مازن بن النجار ثم من بنى عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار قيس بن أبي صعصعة واسم أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف وعبد الله بن كعب بن عمرو ابن عوف وعصيمة حليف لهم من بني أسد بن خزيمة ثلاثة نفر * ومن بنى خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن أبو داود عمير بن عامر ابن مالك بن خنساء وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء رجلان * ومن بني ثعلبة بن مازن بن النجار قيس بن مخلد بن ثعلبة

(فصل)

الحارث وجدارة أخو خدرة رهط أبي سعيد الخدري وغير ابن اسحاق يقول في جدارة خدارة بالخاء المضمومة قاله ابن دريد وكذلك قيده النمرى فهما خدرة وخدارة ابنا الحارث بالخاء المنقوطة وقاله ابن هشام بالحاء المهملة كذلك قال أبو عمر وقيده الشيخ ابو بحر عن ابى الوليد فقال ابن هشام *وذكر رجيلة بن ثعلبة وقيد في رواية موسى بن عقبة رخيلة بالخاء المنقوطة كما وقع في رواية موسى بن عقبة *وذكر فيهم أبا شيخ بن ثابت واسمه أبي وهو اخو حسان وقيل بل هو ابن ابى بن ثابت وحسان عمه ووقع في نسخة الشيخ ابى بحر غلط أصلحته وكان قبل الاصلاح ابو شيخ ابى بن ثابت بن المنذر

ابن صخر بن حبيب بن الحرث بن ثعلبة رجل * ومن بني دينار بن النجار ثم من بني مسعود بن عبد الاشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النعمان بن عبد عمرو بن مسعود والضحاك بن عبد عمرو بن مسعود وسليم بن الحرث بن ثعلبة بن كعب بن حارثة بن دينار وهو أخو الضحاك والنعمان ابني عبد عمرو لامهما وجابر بن خالد بن عبد الاشهل بن حارثة وسعد بن سهيل بن عبد الاشهل خمسة نفر * ومن بني قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النجار كعب بن زيد بن قيس وبجير بن أبي بجير حليف لهم رجلان «قال ابن هشام» بجير من عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان ثم من بني جذيمة بن رواحة * قال ابن اسحق فجميع من شهد بدرا من الخزرج مائة وسبعون رجلا «قال ابن هشام» وأكثر أهل العلم يذكر في الخزرج ببدر في بني العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان ومليل بن وبرة بن خالد بن العجلان وعصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان * ومن بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج وهم في بني زريق هلال بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن عدي بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن زيد مناة بن حبيب * قال ابن اسحق فجميع من شهد بدرا من المسلمين من المهاجرين والانصار من شهدها منهم ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلا من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلا ومن الاوس واحد وستون رجلا ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا

﴿ ذكر من استشهد من المسلمين يوم بدر ﴾

واستشهد من المسلمين يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ثم من بني المطلب بن عبد مناف عبيدة بن الحرث بن المطلب قتله عتبة بن ربيعة قطع رجله فمات بالصفراء رجل * ومن بني زهرة بن كلاب عمير بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة وهو أخو سعد بن أبي وقاص فيما قال ابن هشام وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة حليف لهم من خزاعة ثم من بني غبشان رجلان * ومن بني عدي بن كعب بن لؤي عاقل بن البكير حليف لهم من بني سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ومهجع مولى عمر بن الخطاب رجلان * ومن بني الحرث بن فهر صفوان بن بيضاء رجل ستة نفر * ومن الانصار ثم من بني عمرو بن عوف سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر بن زنبر رجلان * ومن بني الحرث بن الخزرج يزيد بن الحرث وهو الذي يقال له ابن فسحم رجل * ومن بني سلمة ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة عمير بن الحمام رجل * ومن بني حبيب بن عبد الحارثة بن مالك بن غضب بن جشم رافع بن المعلى رجل * قال ابن اسحق ومن بني النجار حارثة بن سراقة بن الحرث رجل * ومن بني غنم بن مالك بن النجار عوف ومعوذ ابنا الحرث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء رجلان ثمانية نفر

﴿ فصل ﴾ وذكر فيمن استشهد يوم بدر عمير بن ابي وقاص وذكر الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد رده في ذلك اليوم لانه استصغره فبكى عمير فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم بكاءه اذن له في الخروج معه فقتل وهو ابن ست عشرة سنة قتله العاصي بن سعيد * وذكر ابن اسحاق حارثة بن سراقة فيمن قتل يوم بدر وهو اول قتيل من المسلمين في ذلك اليوم رماه حبان بن العرقة بسهم فاصاب حنجرته فمات وجاءت امه وهي الربيع بنت النضر عمة انس فقالت يارسول الله قد علمت موضع حارثة مني فان يكن في الجنة اصبر واحتسب وان يكن غير ذلك فسترى ما اصنع فقال او جنة واحدة هي انما هي جنات وان ابنك منها لفي الفردوس * وذكر فيهم عمير بن الحمام بن الجموح وقد قدمنا ذكره وقتله خالد بن الاعلم * وذكر ذا الشمالين الخزاعي الغبشاني حليف بني زهرة وهو الذي ذكره الزهري في حديث التسليم من ركعتين قال فقام ذو الشمالين رجل من بني زهرة فقال أقصرت الصلاة أم نسيت يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق ذو اليدين لم يروه احد هكذا بهذا اللفظ الا ابن شهاب الزهري وهو غلط عند اهل الحديث وانما هو ذو اليدين السلمي واسمه خرباق وذو الشمالين قتل يوم بدر وحديث التسليم من ركعتين شهده أبو هريرة وكان اسلامه بعد بدر بسنتين ومات ذو اليدين السلمي في خلافة معاوية وروى عنه حديثه في التسليم ابنه مطير بن الخرباق يرويه عن مطير ابنه شعيث بن مطير ولما رأى المبرد حديث الزهري فقام ذو الشمالين وفي آخره أصدق ذو اليدين قال هو ذو الشمالين وذو اليدين كان يسمى بهما جميعاً وجهل ما قاله أهل الحديث والسير في ذي الشمالين ولم يعرف رواية الا الرواية التي فيها الغلط قال ذلك في آخر كتاب الكامل في باب الاذواء يوم بدر * ومن البدريين عليفة بن عدي البياضي أيضاً هكذا اسمه عند أهل السير وسماه ابن اسحق فقال خليفة بن عدي بالخاء وممن شهد بدراً ولم يذكره ابن هشام عن البكائي وذكره ابن اسحق في رواية ابراهيم عن سعد عنه عياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر وهو ممن هاجر الى أرض الحبشة وقد ذكره في البدريين موسى بن

﴿ذكر من قتل ببدر من المشركين﴾ وقتل من المشركين يوم بدر من قريش ثم من بني عبدشمس بن عبدمناف . حنظلة ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس قتله زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ابن هشام ويقال اشترك فيه حمزة وعلي وزيد رضي الله عنهم فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق والحرث بن الحضرمي وعامر بن الحضرمي حليفان لهم قتل عامرا عمار ابن ياسر وقتل الحرث النعمان بن عصر حليف الاوس فيما قال ابن هشام وعمير بن أبي عمير وابنه موليان لهم قتل عمير بن أبي عمير سالم مولى أبي حذيفة فيما قال ابن هشام *قال ابن اسحق وعبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبدشمس قتله الزبير بن العوام والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية قتله علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبدشمس قتله عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح أخو بني عمرو بن عوف صبراً «قال ابن هشام» ويقال قتله علي بن أبي طالب *قال ابن اسحق وعتبة بن ربيعة بن عبدشمس قتله عبيدة بن الحرث بن المطلب «قال ابن هشام» اشترك فيه هو وحمزة وعلي * قال ابن اسحق وشيبة بن ربيعة بن عبدشمس قتله حمزة بن عبد المطلب والوليد بن عتبة بن ربيعة قتله علي بن أبي طالب وعامر بن عبد الله حليف لهم من بني انمار بن بغيض قتله علي بن أبي طالب اثنا عشر رجلا (ومن بني نوفل بن عبدمناف) الحرث بن عامر بن نوفل قتله فيما يذكرون خبيب بن أساف أخو بني الحرث ابن الخزرج وطعيمة بن عدي بن نوفل قتله علي بن أبي طالب ويقال حمزة بن عبد المطلب رجلان (ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي) زمعة بن الاسود ابن المطلب بن أسد «قال ابن هشام» قتله ثابت بن الجزع أخو بني حرام فيما قال ابن هشام ويقال اشترك فيه حمزة وعلي بن أبي طالب وثابت * قال ابن اسحق والحرث بن زمعة قتله عمار بن ياسر فيما قال ابن هشام وعقيل بن الاسود بن المطلب قتله حمزة وعلي اشتركا فيه فيما قال ابن هشام وأبو البختري وهو العاص بن هشام بن الحرث بن أسد قتله المجذر بن ذياد البلوي «قال ابن هشام» أبو البختري العاص بن هاشم *قال ابن اسحق ونوفل بن خويلد بن أسد وهو ابن العدوية عدي خزاعة وهو الذي قرن أبا بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله حين اسلما في حبل فكانا يسميان القرينين لذلك وكان من شياطين قريش قتله علي بن أبي طالب خمسة نفر (ومن عبد الدار بن قصي) النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبدمناف بن عبد الدار قتله علي بن أبي طالب صبرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء فيما يذكرون «قال ابن هشام» بالاثيل ويقال النضر ابن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبدمناف بن عبد الدار * قال ابن اسحق وزيد بن مليص مولى عمير بن هاشم بن عبدمناف بن عبد الدار رجلان «قال ابن هشام» قتل زيد بن مليص بلال بن رباح مولى أبي بكر رضي الله عنهما وزيد حليف لبني عبد الدار من بني مازن بن مالك بن عمرو ابن تميم ويقال قتله المقداد بن عمرو * قال ابن اسحق ومن بني تيم بن مرة عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم «قال ابن هشام» قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه * قال ابن اسحق وعثمان بن مالك بن عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب قتله صهيب بن سنان رجلان (ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة) أبو جهل بن هشام واسمه عمرو بن هشام بن

عقبة وخليفة بن خياط وجماعة وممن ذكر في البدريين ولم يذكره ابن اسحق يزيد بن الاخنس السلمي وابنه معن بن يزيد وأبوه الاخنس ولا يعرف من شهد بدراً ثلاثة أب وابن وجد الا هؤلاء وأكثر أهل العلم بالسير لا يصحح شهودهم بدراً لكن شهدوا بيعة الرضوان ويزيد بن الاخنس هذا هو ابن الاخنس بن جناب بن حبيب بن جرة بضم الجيم بن زغب من بني بهثة بن سليم ﴿قال ابن ماكولا﴾ لا يعرف جرة بضم الجيم الا هذا ولا جرة بكسر الجيم الا السوم بنت عمرو بن جرة من بني ضمرة أم الشداخ واسمه يعمر بن عوف وقد تقدم ذكره في حديث قصي ولم سمي الشداخ وممن ذكره البخاري في البدريين خديم بن فاتك وأخوه سبرة الاسديان وممن ذكره البخاري في البدريين من بني سلمة جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام وقال أبو عمر لا يصح شهوده بدراً وذكر اختلاف الناس في ذلك وفي السنن لابي داود ان جابرا قال كنت أميح أصحابي الماء يوم بدر أي كان صغيرا فلم يسهم له وزعم بعضهم ان هذه الرواية تصحيف وان الصحيح كنت منيح أصحابي يوم بدر والمنيح السهم يريد انهم كانوا يرسلونه في حوائجهم لصغر سنه ومن شهد بدرا وذكره ابن اسحق في غير رواية ابن هشام طليب بن عمير من بني عبد بن قصي وأمه أروى عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿فصل وذكر فيمن قتل من المشركين﴾ يوم بدر العاصي بن سعيد بن العاصي وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب الحديث الذي أسنده أبو عبيد الى سعد بن أبي وقاص قال قتلت يوم بدر العاصي بن سعيد وأخذت سيفه ذا الكتيفة وذكر الحديث قال أبو عبيد واهل السير يقولون قتله علي رضي الله عنه

المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح فقطع رجله وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبته ثم تركه وبه رمق ثم ذفف عليه عبدالله بن مسعود فاحتز رأسه حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به ان يلتمس فى القتلى والعاص بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم قتله عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويزيد بن عبدالله حليف لهم من بنى تميم «قال ابن هشام» ثم أحد بنى عمرو بن تميم وكان شجاعا قتله عمار بن ياسر * قال ابن اسحق وأبو مسافع الاشعرى حليف لهم قتله أبو دجانة الساعدى فيما قال ابن هشام وحرملة بن عمرو حليف لهم «قال ابن هشام» قتله خارجة بن زيد بن أبى زهير أخو بلحرث بن الخزرج ويقال بل على بن أبى طالب «قال ابن هشام» وحرملة بن الاسد * قال ابن اسحق ومسعود بن أبى أمية بن المغيرة قتله على بن أبى طالب فيما قال ابن هشام وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة «قال ابن هشام» قتله حمزة ابن عبد المطلب ويقال على بن أبى طالب * قال ابن اسحق وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة قتله على بن ابى طالب ويقال قتله عمار بن ياسر فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق ورفاعة بن أبى رفاعة بن عائذ بن عبدالله بن عمر بن مخزوم قتله سعد بن الربيع أخو بلحرث ابن الخزرج فيما قال ابن هشام والمنذر بن أبى رفاعة بن عائذ قتله معن بن عدى بن الجد بن العجلان حليف بنى عبيد بن زيد ابن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف فيما قال ابن هشام وعبد الله بن المنذر ابن أبى رفاعة بن عائذ قتله على بن أبى طالب فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق والسائب ابن أبى السائب ابن عائذ بن عبدالله بن عمر و بن مخزوم «قال ابن هشام» السائب ابن أبى السائب شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جاء فيه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الشريك السائب لا يشارى ولا يمارى وكان أسلم فحسن اسلامه فيما بلغنا والله أعلم * وذكر ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس ان السائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وأعطاه يوم الجعرانة من غنائم حنين «قال ابن هشام» وذكر غير ابن اسحق ان الذى قتله الزبير بن العوام * قال ابن اسحق والاسود بن عبد الاسد بن هلال بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم قتله حمزة بن عبد المطلب وحاجب ابن السائب بن عويمر بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم «قال ابن هشام» ويقال عائذ بن عمران بن مخزوم ويقال حاجز بن

﴿قال المؤلف﴾ وبعض أهل التفسير يقولون قتله أبو اليسر كعب بن عمرو وقال أبو عبدالله الزبير بن أبى بكر القاضى فى أنساب قريش نه والعاصى قتله على بن أبى طالب يوم بدر كافرا حدث ابراهيم بن حمزة عن ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال بينما عمر بن الخطاب جالس فى المسجد اذ مر به سعيد بن العاصى فسلم عليه فقال له عمر انى والله يا ابن أخى ما قتلت أباك يوم بدر ولكنى قتلت خالى العاصى ابن هشام وما بى ان أكون اعتذر من قتل مشرك قال فقال له سعيد بن العاصى لو قتلته كنت على الحق وكان على الباطل قال فعجب عمر من قوله ولوى كفيه وقال قريش أفضل الناس اسلاما وأعظم الناس أمانة ومن يرد بقريش سوأ يكبه الله لفيه وقال قال عمى مصعب بن عبدالله زعموا ان عمر قال رأيته يبحث التراب كانه ثور فصددت عنه وحمل له على فقتله * وذكر فيمن قتل من المشركين السائب ابن أبى السائب واسم أبى السائب صيفى بن عابد وانكر ابن هشام ان يكون السائب قتل كافرا قال وقد أسلم وحسن اسلامه وذكر أبو عمر عن ابن الزبير ان السائب قتل كافرا يوم بدر قال وأحسبه اتبع فى ذلك قول ابن اسحق قال وقد نقض الزبير ذلك فى موضعين من كتابه بعد ذلك فقال حدثنى يحيي بن محمد بن عبدالله بن ثوبان عن جعفر ابن عكرمة عن يحيي بن كعب عن أبيه كعب مولى سعيد بن العاصى قال مر معاوية وهو يطوف بالبيت ومعه جنده فزحموا السائب بن صيفى بن عابد فسقط فوقف عليه معاوية وهو يومئذ خليفة فقال ارفعوا الشيخ فلما قام قال ماهذا يا معاوية تصرعوننا حول البيت أما والله لقد أردت ان أتزوج أمك فقال معاوية ليتك فعلت فجاءت بمثل أبى السائب يعنى عبدالله بن السائب وهذا واضح فى ادراكه الاسلام وفى طول عمره وقال فى موضع آخر حدثنى أبو ضمرة أنس بن عياض الليثى قال حدثنى أبو السائب يعنى المناجز وهو عبدالله بن السائب قال كان جدى أبو السائب شريك النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم الشريك كان أبو السائب لا يشارى ولا يمارى وهذا كله من الزبير مناقضة فيما ذكر ان السائب بن أبى السائب قتل يوم بدر كافرا وقال ابن هشام السائب بن أبى السائب الذى جاء فيه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الشريك أبو السائب لا يشارى ولا يمارى كان قد أسلم فحسن اسلامه فيما بلغنا قال ابن هشام وذكر ابن شهاب عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس ان السائب بن أبى السائب بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ممن هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه يوم الجعرانة من غنائم حنين قال أبو عمر هذا أولى ما عول عليه فى هذا الباب

السائب والذى قتل حاجب بن السائب على بن أبى طالب * قال ابن اسحق وعويمر بن السائب بن عويمر قتله النعمان بن مالك القوقلى مبارزة فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق وعمرو بن سفيان وجابر بن سفيان حليفان لهم من طيء قتل عمر يزيد بن رقيش وقتل جابرا أبو بردة بن نيار فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق سبعة عشر رجلا (ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى) منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم قتله أبو اليسر أخو بنى سلمة وابنه العاص بن منبه بن الحجاج قتله على بن أبى طالب فيما قال ابن هشام ونبيه بن الحجاج بن عامر قتله حمزة بن عبد المطلب وسعد بن أبى وقاص اشتركا فيه فيما قال ابن هشام وأبو العاص بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم «قال ابن هشام» قتله على بن أبى طالب ويقال النعمان بن مالك القوقلى ويقال أبو دجانة * قال ابن اسحق وعاصم بن أبى عوف بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم قتله أبو اليسر أخو بنى سلمة فيما قال ابن هشام خمسة نفر (ومن بنى جمح ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى) أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح قتله رجل من الانصار من بنى مازن «قال ابن هشام» ويقال بل قتله معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وخبيب ابن أساف اشتركوا فى قتله * (١٠٤) قال ابن اسحق وابنه على بن أمية بن خلف قتله عمار بن ياسر وأوس بن معير بن لوذان بن سعد بن جمح قتله على بن أبى طالب فيما قال ابن هشام ويقال قتله الحصين بن الحرث بن المطلب وعثمان ابن مظعون اشتركا فيه فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق ثلاثة نفر (ومن بنى عامر بن لؤى) معاوية بن عامر حليف لهم من عبد القيس قتله على بن أبى طالب ويقال قتله عكاشة بن محصن فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق ومعبد بن وهب حليف لهم من بنى كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث قتل معبدا خالد واياس ابنا البكير ويقال أبو دجانة فيما قال ابن هشام رجلان * قال ابن اسحق فجميع من أحصى لنا من قتلى قريش يوم بدر خمسون رجلا «قال ابن هشام» حدثنى أبو عبيدة عن أبى عمرو ان قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلا والاسرى كذلك وهو قول ابن عباس وسعيد بن المسيب وفى كتاب الله تبارك وتعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها يقوله لاصحاب أحد وكان من استشهد منهم سبعين رجلا يقول قد أصبتم يوم بدر مثلى من استشهد منكم يوم أحد سبعين قتيلا وسبعين أسيرا وأنشدنى أبو زيد الانصارى لكعب بن مالك

فاقام بالعطن المعطن منهم * سبعون عتبة منهم والاسود

«قال ابن هشام» يعنى قتلى بدر وهذا البيت فى قصيدة له فى حديث يوم أحد سأذكرها ان شاء الله تعالى فى موضعها (قال ابن هشام) وممن لم يذكر ابن اسحق من هؤلاء السبعين القتلى من بنى عبد شمس بن عبد مناف وهب بن الحرث من بنى انمار بن بغيض حليف لهم وعامر بن زيد حليف لهم من اليمن رجلان (ومن بنى أسد بن عبد العزى) عقبة بن زيد حليف لهم من اليمن وعمير مولى لهم رجلان (ومن بنى عبد الدار بن قصى) نبيه بن زيد بن مليص وعبيد بن سليط حليف لهم من قيس رجلان (ومن بنى تيم بن مرة) مالك بن عبيد الله بن عثمان وهو أخو طلحة بن عبيد الله بن عثمان أسر فمات فى الاسارى فعد فى القتلى ويقال وعمرو بن عبد

تسمية

وقد ذكرنا ان الحديث فيمن كان شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء مضطرب جدا منهم من يجعل الشركة للسائب ومنهم من يجعلها لابى السائب أبيه كما ذكرنا عن الزبير ههنا ومنهم من يجعلها لقيس بن السائب ومنهم من يجعلها لعبد بن أبى السائب وهذا اضطراب لا يثبت به شىء ولا تقوم به حجة والسائب بن أبى السائب من المؤلفة قلوبهم وممن حسن اسلامه هذا آخر كلام ابى عمر فى كتاب الاستيعاب حدثنى به ابو بكر بن طاهر الاشبيلى عن أبى على الغسانى عنه وكذلك اختلفت الرواية فى هذا الكلام كان خير شريك لا يشارى ولا يمارى فمنهم من يجعله من قول النبى صلى الله عليه وسلم فى أبى السائب ومنهم من يجعله من قول أبى السائب فى النبى صلى الله عليه وسلم * وذكر فيمن شهد بدرا من الانصار أوس ابن خولى احد بنى الحبلى يقال كان من الكملة وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد آخى بينه وبين شجاع بن وهب والخولى فى اللغة هو الذى يقوم على الخيل ويخدمها وفى الخبر ان جميلا الكلبى كان خوليا لمعاوية وفى هذا ما يدل على ان الياء فى الخيل أصلها الواو * وذكر ابن هشام فيمن قتل من المشركين ممن لم يذكره ابن اسحق مالك بن عبيد الله بن عثمان وهو أخو طلحة بن عبيد الله * وذكر عمرو بن عبد الله بن جدعان التيمى وعبد الله بن جدعان هو الجواد المشهور صاحب الجفنة العظيمة التى كان يأكل منها الراكب على البعير وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستظل بظلها وقع فيها انسان فغرق ومات وقد ذكرنا فى أول هذا الكتاب حديثه والسبب فى غناه بعد ان كان صعلوكا وسؤال عائشة عنه النبى صلى الله عليه وسلم هل ينتفع بجوده أم لا * وذكر ابن هشام فيهم أيضا حذيفة بن ابى حذيفة بن المغيرة واسم ابى حذيفة هذا مهشم وهو أخو هشام وهاشم ابنى المغيرة وهشام والد ابى جهل وهاشم جد عمر لامه ومهشم هو أبو حذيفة وأما أبو حذيفة بن عتبة فاسمه قيس ولم يقل ذلك ابن اسحق ولا ابن هشام وانما قالوا فيه مهشم وهو عند أهل النسب غلط انما مهشم ابو حذيفة الذى ذكرناه لا ابو حذيفة بن عتبة

الله بن جدعان رجلان (ومن بنى مخزوم بن يقظة) حذيفة بن أبى حذيفة بن المغيرة قتله سعد بن أبى وقاص وهشام بن أبى حذيفة بن المغيرة قتله صهيب بن سنان وزهير بن أبى رفاعة قتله أبو أسيد مالك بن ربيعة والسائب بن أبى رفاعة قتله عبد الرحمن بن عوف وعائذ بن السائب بن عويمر أسر ثم افتدى فمات فى الطريق من جراحة جرحه اياها حمزة بن عبد المطلب وعمير حليف لهم من طىء وخيار حليف لهم من القارة سبعة نفر (ومن جمح بن عمرو) سبرة بن مالك حليف لهم رجل (ومن بنى سهم بن عمرو) الحرث بن منبه بن الحجاج قتله صهيب بن سنان وعامر بن أبى عوف ابن صبيرة أخو عاصم بن صبيرة قتله عبد الله بن سلمة العجلانى ويقال أبو دجانة رجلان

﴿ ذكر أسرى قريش يوم بدر ﴾

قال ابن اسحق وأسر من المشركين من قريش يوم بدر ثم من بنى هاشم بن عبد مناف عقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم (ومن بنى المطلب بن عبد مناف) السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ونعمان بن عمرو بن علقمة ابن المطلب رجلان * ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف عمرو بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس والحرث بن أبى وجزة بن أبى عمرو ابن أمية بن عبد شمس ويقال بن أبى وحرة فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن شمس وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس * ومن حلفائهم أبو ريشة بن ابى عمرو وعمرو بن الازرق وعقبة بن عبد الحرث بن الحضرمى سبعة نفر * ومن بنى نوفل بن عبد مناف عدى بن الخيار بن عدى بن نوفل وعثمان بن عبد شمس بن أخى غزوان بن جابر حليف لهم من بنى مازن بن منصور وأبو ثور حليف لهم ثلاثة نفر * ومن بنى عبد الدار بن قصى أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار والاسود بن عامر حليف لهم ويقولون نحن بنو الاسود بن عامر بن الحرث بن السباق رجلان * ومن بنى أسد بن عبد العزى بن (١٠٥) قصى السائب بن أبى حبيش بن المطلب بن أسد والحويرث بن عباد بن عثمان بن أسد «قال ابن هشام» هو الحرث ابن عائذ بن عثمان بن أسد * قال ابن اسحق وسالم ابن شماخ حليف لهم ثلاثة نفر * ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة خالد بن هشام ابن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأمية ابن أبى حذيفة بن المغيرة والوليد بن الوليد بن المغيرة وعثمان بن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وصيفى بن أبى رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وأبو المنذر بن أبى رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأبو عطاء عبد الله ابن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم والمطلب بن حنطب بن الحرث بن عبيد بن عمر بن مخزوم وخالد بن الاعلم حليف لهم وهو كان فيما يذكرون أول من ولى فارا منهزما وهو الذى يقول

ولسنا على الادبار تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا يقطر الدم

تسعة نفر «قال ابن هشام» ويروى لسنا على الاعقاب وخالد بن الاعلم من خزاعة ويقال عقيلى * قال ابن اسحق ومن بنى سهم بن عمرو ابن هصيص ابن كعب بن لؤى أبو وداعة بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم كان أول أسير افتدى من أسرى بدر افتداه ابنه المطلب بن أبى وداعة وفروة ابن قيس بن عدى بن حذافة بن سعيد بن سهم وحنظلة بن قبيصة بن حذافة بن سعد بن سهم والحجاج بن الحرث بن قيس بن عدى ابن سعيد بن سهم أربعة نفر * ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عبد الله بن أبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وأبو عزة عمرو بن عبد بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح والفاكه مولى أمية بن خلف ادعاه بعد ذلك رباح بن المغترف وهو يزعم انه من بنى شماخ ابن محارب بن فهر ويقال ان الفاكه بن جرول بن حذيم بن عوف بن غضب بن شماخ بن محارب بن فهر ووهب بن عمير بن وهب بن خلف ابن وهب بن حذافة بن جمح وربيعة بن دراج بن العنبس بن اهبان بن وهب بن حذافة بن جمح خمسة نفر * ومن بنى عامر بن لؤى سهيل ابن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر أسره مالك بن الدخشم أخو بنى سالم بن عوف وعبد ابن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر وعبد الرحمن بن مشنوء بن وقدان بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن

﴿ تسمية من أسر من المشركين يوم بدر ﴾

لم يسم ابن اسحاق ولا ابن هشام من أسلم منهم والحاجة ماسة بقارىء السيرة الى معرفة ذلك فأولهم وأفضلهم العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خفاء باسلامه وفضله وقد ذكرنا سبب اسلامه فى فصل قبل هذا الفصل وان أبا اليسر كعب بن عمرو هو الذى أسره وكان قصيرا ذميما وفى مسند البزار انه قيل للعباس كيف أسرك أبو اليسر ولو أخذته بكفك لوسعته كفك فقال ما هو الا ان لقيته فظهر فى عينى كالخندمة والخندمة جبل من جبال مكة وعقيل بن أبى طالب ممن أسلم وحسن اسلامه أسلم عام الحديبية وقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا يزيد انى أحبك حبين حبا لقرابتك منى وحبا لما أعلم من حب عمى اياك سكن عقيل البصرة ومات بالشام فى خلافة معاوية روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فى الوضوء بالمد والطهور بالصاع وحديثا آخر أيضا لا تقولوا بالرفاء والبنين وقولوا بارك الله لك وبارك عليك كان أسن من جعفر بعشر

حسل بن عامر ثلاثة نفر * ومن بني الحرث بن فهر الطفيل بن أبي قنيع وعتبة بن عمرو بن جحدم رجلان * قال ابن اسحق فجميع من حفظ لنا من الاسارى ثلاثة وأربعون رجلا «قال ابن هشام» وقع من جملة العدد رجل لم أذكر اسمه * وممن لم يذكر ابن اسحق من الاسارى من بني هاشم بن عبد مناف

عتبة حليف لهم من بني فهر رجل * ومن بني المطلب بن عبد مناف عقيل ابن عمرو حليف لهم وأخوه تميم بن عمرو وابنه ثلاثة نفر * ومن بني عبد شمس بن عبد مناف خالد بن أسيد بن أبي العيص وأبو العريض يسار مولى العاص بن أمية رجلان * ومن بني نوفل بن عبد مناف نبهان مولى لهم رجل * ومن بني أسد بن عبد العزى عبد الله بن حميد بن زهير بن الحرث رجل * ومن بني عبد الدار بن قصي عقيل حليف لهم من اليمن رجل * ومن تيم بن مرة بن مسافع بن عياض ابن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم وجابر ابن الزبير حليف لهم رجلان * ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة قيس بن السائب رجل * ومن بني جمح بن عمرو عمر ابن أبي خلف وأبو رهم بن عبد الله حليف لهم وحليف لهم ذهب عني اسمه وموليان لامية بن خلف احدهما نسطاس وأبو رافع غلام أمية بن خلف ستة نفر * ومن بني سهم بن عمرو أسلم مولى نبيه بن الحجاج رجل * ومن بني عامر بن لؤي حبيب بن جابر والسائب بن مالك رجلان * ومن بني الحرث بن فهر رافع وشفيع حليفان لهم من اليمن رجلان * قال ابن اسحق وكان مما قيل من الشعر في يوم بدر وترادّ به القوم بينهم لما كان فيه قول حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله «قال ابن هشام» وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها له ونقيضتها

سنين وكان جعفر أسن من علي بعشر سنين وكان طالب أسن من عقيل بمثل ذلك ومنهم نوفل بن الحرث بن عبد المطلب يقال أسلم عام الخندق وهاجر وقيل بل أسلم حين أسر وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له افد نفسك قال ليس لي مال أفتدي به قال أفد نفسك بأرماحك التي بجدة قال والله ما علم أحد أن لي بجدة أرماحا غير الله أشهد أنك رسول الله وهو ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأعان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الخروج إليها بثلاثة آلاف رمح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كأني أنظر إلى أرماحك هذه تقصف ظهور المشركين مات بالمدينة سنة خمس عشرة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ومنهم أبو العاصي ابن الربيع صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرنا خبره مع ما ذكر ابن اسحاق من حديثه وذكرنا الاختلاف في اسمه قبل هذا ومنهم أبو عزيز بن عمير العبدري وقد ذكرنا اسمه واسم أمه واخوته في أول خبر بدر ومنهم السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزى وهو الذي قال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذاك رجل لا أعلم فيه عيبا وما أحد الا وأنا أقدر أن أعيبه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان هذه المقالة قالها عمر في ابنه عبد الله بن السائب والسائب هذا هو أخو فاطمة بنت أبي حبيش المستحاضة ومنهم خالد بن هشام ذكره بعضهم في المؤلفة قلوبهم ومنهم عبد الله بن أبي السائب واسم أبي السائب صيفي وقد تقدم قول عمر فيه وفي أبيه وعنه أخذ أهل مكة القراءة وعليه قرأ مجاهد وغيره من قراء أهل مكة ومنهم المطلب بن حنطب بن الحرث بن عبيد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وبنو عمر بن مخزوم ثلاثة عبد الله وعبد العزى وعابد ومن أهل النسب من ذكر فيهم عثمان بن عمر وبنو مخزوم ثلاثة عمر والد هؤلاء الثلاثة وعمران وعامر هؤلاء فيهم العدد ويذكر في بني مخزوم أيضا عمير وعميرة ولم يعقب عميرة الا بنتا اسمها زينب ومن حديث المطلب هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر من الرأس وفي اسناده ضعف ومن ولده الحكم بن عبد المطلب بن عبد الله بن المطلب كان أكرم أهل زمانه وأسخاهم ثم تزهد في آخر عمره ومات بمنبج وفيه يقول الراتجي يرثيه

سألوا عن الجود والمعروف ما فعلا * فقلت انهما ماتا مع الحكم

ماتا مع الرجل الموفي بذمته * قبل السؤال اذا لم يوف بالذمم

وذكر الدارقطني عن حميد بن معروف قال حضرت وفاة الحكم بن عبد المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب فأصابته من الموت شدة فقال قائل في البيت اللهم هون عليه الموت فقد كان وقد كان يثني عليه فأفاق الحكم فقال من المتكلم فقال الرجل أنا فقال الحكم يقول لك ملك الموت اني بكل سخي رفيق ثم كأنما كانت فتيلة فطفئت وقد ذكر هذا الخبر الزبير بن أبي بكر أيضا وحين سجن الحكم في ولاية وليها قال فيه شاعر

خليلي ان الجود في السجن فابكيا * على الجود اذ سدت عليه مرافقه

في أبيات فأعطى قائل هذا الشعر ثلاثة آلاف درهم ومنهم أبو وداعة الحرث بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم أسلم هو وابنه المطلب بن أبي وداعة يوم فتح مكة ومنهم الحجاج بن الحرث بن قيس بن عدي بن سعيد ابن سهم ولم يوافق الواقدي ولا غيره لا بن اسحق على قوله سعيد بن سهم وقالوا انما هو سعد وقد تقدم هذا

وأحسب

وأحسب ذكر الحجاج في هذا الموضع وهما فانه من مهاجرة الحبشة وقدم المدينة بعد أحد فكيف يعد في في أسرى المشركين يوم بدر ومنهم عبد الله بن أبي بن خلف الجمحي أسلم يوم الفتح وقتل يوم الجمل ومنهم وهب ابن عمير الجمحي أسلم بعد ان جاء أبوه عمير في فدائه فأسلما جميعا وقد ذكر خبر اسلامه ابن اسحق قبل هذا ومنهم سهيل بن عمرو أسلم ومات بالشام شهيدا وهو خطيب قريش وأخباره مشهورة في السيرة وغيرها ومنهم عبد بن زمعة أخو سودة بنت زمعة أسلم وهو الذي خاصمه سعد في ابن وليدة زمعة واسم الابن المخاصم فيه عبد الرحمن وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم هو لك يا عبد بن زمعة ومنهم قيس بن السائب المخزومي اليه كان ولاء مجاهد بن جبير القارى ويقال فيه مجاهد بن جبر وهو قول ابن اسحق وكان مجاهد يقول في مولاي قيس بن السائب أنزل الله سبحانه «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» فأفطر وأطعم عن كل يوم مسكينا وهو الذي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية شريكي فكان خير شريك لا يشاريني ولا يماريني وقيل ان أباه قال هذه المقالة وقد تقدم الاضطراب في ذلك والاختلاف وقوله يشاريني من شرى الامر بينهم اذا تغاضبوا ومنهم نسطاس مولى أمية بن خلف يقال انه أسلم بعد أحد وكان يحدث عن انهزام المشركين يومئذ ودخول المسلمين عليه في القبة وهرب صفوان بخبر عجيب لم يذكره ابن اسحق فهذه جملة من أسلم من الاسارى الذين أسروا يوم بدر وذكر فيمن لم يسلم منهم عبد الله بن حميد بن زهير الاسدي والمعروف فيه عبيد الله بن حميد كذلك ذكره ابن قتيبة وأبو عمر والكلاباذي أبو نصر وهو مولى حاطب بن أبي بلتعة وما ذكر ابن اسحق في نسب بلي بن فاران بن عمرو فانه عند أكثر أهل النسب قران بغير الف غير ان منهم من يشدد الراء وهو ابن دريد وقال هو فعلان من القرار

﴿ فصل ﴾ وذكر في السيرة تخلف عثمان على امرأته رقية فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره وكان موتها يوم قدم زيد بن حارثة بشيرا بوقعة بدر وهذا هو الصحيح في وفاة رقية وقد روى البخاري في التاريخ حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد دفن بنته رقية وقعد على قبرها ودمعت عيناه فقال أيكم لم يقارف الليلة فقال أبو طلحة أنا فأمره ان ينزل في قبرها ثم أنكر البخاري هذه الرواية وخرجه في كتاب الجامع فقال فيه عن أنس شهدنا دفن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث ولم يسم رقية ولا غيرها ورواه الطبري فقال فيه عن أنس شهدنا دفن أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين في هذا الحديث وهو كله حديث واحد ومن قال كانت رقية فقد وهم بلاشك وقال في الحديث أيكم لم يقارف الليلة فقال فليح بن سليمان وهو راوي الحديث يعني الذنب هكذا وقع في الجامع وهو خطأ لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذا وانما أراد أيكم لم يقارف أهله وكذا رواه غيره بهذا اللفظ قال ابن بطال أراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يحرم عثمان النزول في قبرها وقد كان أحق الناس بذلك لانه كان بعلها وفقد منها علقا لا عوض منه لانه حين قال عليه السلام أيكم لم يقارف الليلة أهله سكت عثمان ولم يقل أنا لانه كان قد قارف ليلة ماتت بعض نسائه ولم يشغله الهم بالمصيبة وانقطاع صهره من النبي صلى الله عليه وسلم عن المقارفة فحرم بذلك ما كان حقا له وكان أولى به من أبي طلحة وغيره وهذا بين في معنى الحديث ولعل النبي صلى الله عليه وسلم قد كان علم ذلك بالوحي فلم يقل له شيئا لانه فعل فعلا حلالا غير ان المصيبة لم تبلغ منه مبلغا يشغله حتى حرم ما حرم من ذلك بتعريض غير تصريح والله أعلم

(اشعار يوم بدر)

وقد قدمنا في آخر حديث الهجرة انالا نعرض لشرح شيء من الشعر الذي هجي به المسلمون ونال فيه من

﴿ ذكر ما قيل من الشعر في يوم بدر ﴾
ألم تر أمرا كان من عجب الدهر *
وللحين أسباب مبينة الامر

وماذاك الا أن قوما أفادهم * فخانوا تواصوا بالعقوق وبالكفر عشية راحوا نحو بدر بجمعهم * فكانوا رهونا للركية من بدر
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها * فساروا الينا فالتقينا على قدر فلما التقينا لم تكن مثنوية * لنا غير طعن بالمثقفة السمر
وضرب ببيض يختلي الهام حدها * مشهرة الالوان بينة الاثر ونحن تركنا عتبة الغي ثاويا * وشيبة في قتلى تجرجم في الجفر
وعمرو ثوى من حماتهم * فشقت جيوب النائحات على عمرو جيوب نساء من لؤي بن غالب * كرام تفرعن الذوائب من فهر
أولئك قوم قتلوا في ضلالهم * وخلوا لواء غير محتضر النصر لواء ضلال قاد ابليس أهله * فخاس بهم ان الخبيث الى غدر
وقال لهم اذ عاين الامر واضحا * برئت اليكم ما بي اليوم من صبر فاني أرى ما لا ترون واني * أخاف عقاب الله والله ذو قسر
فقدمهم للحين حتى تورطوا * وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر فكانوا غداة البئر ألفا وجمعنا * ثلاث مئين كالمسدمة الزهر
وفينا جنود الله حين يمدنا * بهم في مقام ثم مستوضح الذكر فشد بهم جبريل تحت لوائنا * لدى مأزق فيه مناياهم تجرى

فاجابه الحرث بن هشام بن المغيرة فقال

ألا يا لقومي للصبابة والهجر * وللحزن مني والحرارة في الصدر
وللدمع من عيني جودا كانه * فريد هوى من سلك ناظمه يجرى على البطل الحلو الشمائل اذ ثوى * رهين مقام للركية من بدر
فلا تبعدن يا عمرو من ذي قرابة * ومن ذي ندام كان ذا خلق عمرو فان يك قد صادفوا منك دولة * فلا بد للايام من دول الدهر
فقد كنت في صرف الزمان الذي مضى * تريهم هوانا منك ذا سبل وعر فلا أمت يا عمرو وأتركك ثائرا * ولا ابق بقيا في اخاء ولا صهر
وأقطع ظهرا من رجال بمعشر * كرام عليهم مثل ما قطعا ظهري أغرهم ما جمعوا من وشيظة * ونحن الصميم في القبائل من فهر

فيال لؤي ذبوا عن حريمكم * وآلهة لا تتركوها لذي الفخر
توارثها آباؤكم وورثتم * أواسيها والبيت ذا السقف والستر
فما لحليم قد أراد هلاككم *

رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركون الاشعرا أسلم صاحبه وتكلمنا هنالك على ما قيل في تلك الاشعار وذكرنا قول من طعن على ابن اسحق بسببها هنالك وبينا الحق والحمد لله * الشعر المنسوب الى حمزة فيه * وما ذاك الا ان قوما أفادهم * أفادهم أهلكهم يقال فاد الرجل وفاظ وفطس وفاز وفوّز اذا هلك ولا يقال فاض بالضاد ولا يقال فاظت نفسه الا في لغة بني ضبة بن أد * وقوله تراص هو تفاعل من الوصية وهو الفاعل بافادهم * وفيه يجرجم في الجفر الجفر كل بئر لم تطو ومثلها الجفرة ويجرجم يجعل بعضه على بعض * وقال في الشعر الذي يعزى الى علي * بأيديهم بيض خفاف عصوا بها * يقال عصيت بالسيف وعصوت بالعصا فاذا أخبرت عن جماعة قلت عصوا بضم الصاد كما يقال عموا ومن العصا تقول عصوا كما تقول غزوا * وقوله مسلبة أي قد لبست السلاب وهي خرقة سوداء تلبسها الثكلى قال لبيد

فلا تعذروه آل غالب من عذر وجدوا لمن عاديتم وتوازروا وكونوا جميعا في التأسي وفي الصبر واني
لمكم أن تثأروا باخيكم ولا شيء ان لم تثأروا بذوي عمرو بمطردات في الاكف كانها وميض تطير الهام بينة الاثر
كان مداب الذر فوق متونها اذا جردت يوما لاعدائها الخزر «قال ابن هشام» أبدلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابن اسحق
وهما الفخر في آخر البيت وفالحليم في أول البيت لانه نال فيهما من النبي صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وقال علي بن أبي طالب رضي الله
عنه في يوم بدر «قال ابن هشام» ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ولا نقيضتها وانما كتبناهما لانه يقال ان عمرو بن عبد الله بن جدعان
قتل يوم بدر ولم يذكره ابن اسحق في القتلى وذكره في هذا الشعر

ألم تر أن الله أبلى رسوله بلاء عزيز ذي اقتدار وذي فضل بما أنزل الكفار دار مذلة فلاقوا هوانا من أسار ومن قتل
فأمسى رسول الله قد عز نصره وكان رسول الله أرسل بالعدل فجاء بفرقان من الله منزل مبينة آياته لذوي العقل
فآمن أقوام بذاك وأيقنوا فامسوا بحمد الله مجتمعي الشمل وأنكر أقوام فزاغت قلوبهم فزادهم ذو العرش خبلا على خبل
وأمكن منهم يوم بدر رسوله وقوما غضابا فعلهم أحسن الفعل بأيديهم بيض خفاف عصوا بها وقد حادثوها بالجلاء وبالصقل
فكم تركوا من ناشيء ذي حمية صريعا ومن ذي نجدة منهم كهل تبيت عيون النائحات عليهم تجود باسبال الرشاش وبالوبل
نوائح تنعى عتبة الغي وابنه وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهل وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم مسلبة حرى مبينة الثكل
ثوى منهم في بئر بدر عصابة ذوي نجدات في الحروب وفي المحل دعا الغي منهم من دعا فاجابه وللغي أسباب مرمقة الوصل
فاضحوا لدى دار الجحيم بمعزل عن الشغب والعدوان في أشغل الشغل (فاجابه) الحرث بن هشام بن المغيرة فقال

عجبت لاقوام تغنى سفيههم * بامر سفاه ذى اعتراض وذى بطل
تغنى بقتلى يوم بدر تتايعوا * كرام المساعى من غلام ومن كهل
مصاليت بيض من لؤى بن غالب * مطاعين فى الهيجا مطاعيم فى المحل
أصيبوا كراما لم يبيعوا عشيرة * بقوم سواهم نازحى الدار والاصل
كما أصبحت غسان فيكم بطانة * لكم بدلا منا فيالك من فعل
عقوقا وأثما بينا وقطيعة * يرى جوركم فيها ذو والرأى والعقل
فان يك قوم قد مضوا لسبيلهم * وخير المنايا ما يكون من القتل
فلا تفرحوا أن تقتلوهم فقتلهم * لكم كائن خبلا مقيما على خبل
فانكم لن تبرحوا بعد قتلهم * شتيتا هواكم غير مجتمع الشمل
بفقد ابن جدعان الحميد فعاله * وعتبة والمدعو فيكم أبا جهل
وشيبة فيهم والوليد وفيهم * أمية مأوى المعترين وذو الرجل
أولئك فابك ثم لا تبك غيرهم * نوائح تدعو بالرزية والثكل
وقولوا لاهل المكتين تحاشدوا * وسيروا الى آطام يثرب ذى النخل
جميعا وحاموا آل كعب وذببوا * بخالصة الالوان محدثة الصقل
والا فبيتوا خائفين وأصبحوا * أذل لوطء الواطئين من النعل
على انى واللات يا قوم فاعلموا * بكم واثق أن لا تقيموا على تبل
سوى جمعكم للسابغات وللقنا * وللبيض والبيض القواطع والنبل

(وقال) ضرار بن الخطيب بن مرداس أخو بنى محارب بن فهر فى يوم بدر

عجبت لفخر الاوس والحين دائر * عليهم غدا والدهر فيه بصائر
وفخر بنى النجار ان كان معشر * أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر
فان يك قتلى غودرت من رجالنا * فانا رجالا بعدهم سنغادر
وتردى بنا الجرد العناجيج وسطكم * بنى الاوس حتى يشفى النفس ثائر
ووسط بنى النجار سوف نكرها * لها بالقنا والدارعين زوافر
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم * وليس لهم الا الامانى ناصر
وتبكيهم من أهل يثرب نسوة * لهم بها ليل عن النوم ساهر
وذلك انا لا تزال سيوفنا * بهن دم مما يحاربن مائر
فان تظفروا فى يوم بدر فانما * باحمد أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالنفر الاخيار هم أولياؤه * يحامون فى اللاواء والموت حاضر
يعد أبو بكر وحمزة فيهم * ويدعى على وسط من أنت ذاكر
أولئك لا من نتجت فى ديارها * بنو الاوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤى بن غالب * اذا عدت الانساب كعب وعامر
هم الطاعنون الخيل فى كل معرك * غداة الهياج الاطيبون الاكابر

(فأجابه) كعب بن مالك أخو بنى سلمة فقال

وانى ملاعب الرماح * ومدره الكتيبة الرداح
يضربن حر أوجه صحاح * فى السلب السود وفى الامساح

عجبت لامر الله والله قادر * على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقى معشرا * بغوا وسبيل البغى بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم * من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت الينا لا تحاول غيرنا * باجمعها كعب جميعا وعامر
وفينا رسول الله والاوس حوله * له معقل منهم عزيز وناصر
وجمع بنى النجار تحت لوائه * يمشون فى الماذى والنقع ثائر
فلما لقيناهم وكل مجاهد * لاصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بان الله لا رب غيره * وان رسول الله بالحق ظاهر
وقد عريت بيض خفاف كانها * مقاييس يزهلها لعينيك شاهر
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا * وكان يلاقى الحين من هو فاجر
فكب أبو جهل صريعا لوجهه * وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
وشيبة والتيمى غادرن فى الوغى * وما منهم الا بذى العرش كافر
فامسوا وقود النار فى مستقرها * وكل كفور فى جهنم صائر
تلظى عليهم وهى قد شب حميها * بزبر الحديد والحجارة ساجر
وكان رسول الله قد قال اقبلوا * فولوا وقالوا انما أنت ساحر
لامر أراد الله أن يهلكوا به * وليس لامر حمه الله زاجر

(وقال) عبد الله بن الزبعرى السهمى يبكى قتلى بدر «قال ابن هشام» وتروى للاعشى بن زرارة بن النباش أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم حليف بنى نوفل بن عبد مناف * قال ابن اسحق حليف بنى عبد الدار

ماذا على بدر وماذا حوله * من فتية بيض الوجوه كرام
تركوا نبيها خلفهم ومنبها * وابنى ربيعة خير خصم فئام
والحارث الفياض يبرق وجهه * كالبدر جلى ليلة الاظلام
والعاصى بن منبه ذا مرة * رمحا تميما غير ذى أوصام
فنمى به اعراقه وجدوده * ومآثر الاخوال والاعمام
واذا بكى باك فاعول شجوه * فعلى الرئيس الماجد بن هشام
حيا الاله أبا الوليد ورهطه * رب الانام وخصه بسلام

(فاجابه) حسان بن ثابت الانصارى رضى الله عنه فقال

ابك بكت عيناك ثم تبادرت * بدم تعل غروبها بسجام
ماذا بكيت به الذين تتابعوا * هلا ذكرت مكارم الاقوام
وذكرت منا ماجدا ذا همة * سمح الخلائق صادق الاقدام
أعنى النبى أخا المكارم والندى * وأبر من يولى على الاقسام
فلمثله ولمثل ما يدعو له * كان الممدح ثم غير كهام

(وقال) حسان بن ثابت الانصارى رضى الله عنه أيضا

تبلت فؤادك فى المنام خريدة * تشفى الضجيج ببارد بسام كالمسك تخلطه بماء سحابة * أو عاتق كدم الذبيح مدام
نفج الحقيبة بوصها متنضد * بلهاء غير وشيكة الاقسام بنيت على قطن اجم كانه * فضلا اذا قعدت مداك رخام
وتكاد تكسل أن تجئ فراشها * (١١٠) فى جسم خرعبة وحسن قوام اما النهار فلا افتر ذكرها * والليل توزعنى بها أحلامى

أقسمت أنساها وأترك ذكرها * حتى تغيب فى الضريح عظامى
بل من لعاذلة تلوم سفاهة * ولقد عصيت على الهوى لوامى
بكرت على بسحرة بعد الكرى * وتقارب من حادث الايام
زعمت بان المرء يكرب عمره * عدم لمعتكر من الاصرام
ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الاحبة ان يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام
يذر العناجيج الجياد بقفرة * مر الدموك بمحصد ورجام
ملأت به الفرجين فارمدت به * وثوى أحبته بشر مقام

فالسلب جمع سلاب * وفى شعر حسان * تبلت فؤادك فى المنام خريدة * يجوز أن يكون أراد بالمنام النوم وموضع النوم ووقت النوم لان مفعلا يصلح فى هذا كله فى ذوات الواو وقد تسمى العين أيضا مناما لانها موضع النوم وعليه تؤول قوله تعالى «اذ يريكهم الله فى منامك قليلا» اى فى عينك ويقويه قوله سبحانه «ويقللكم فى أعينهم» ولا فرق عند النحويين بين مفعل فى هذا الباب وفعل نحو مضرب وضرب ومنام ونوم وكذلك هما فى التعدية سواء نحو ضرب زيد عمرا ومضرب زيد عمرا وأما فى حكم البلاغة والعلم بجوهر الكلام فلا سواء فان المصدر اذا حددته قلت ضربة ونومة ولا يقال مضربة ولا منامة فهذا فرق وفرق آخر تقول ما أنت الا نوم والا سير اذا قصدت التوكيد ولا يجوز ما انت الا منام والا مسير ومن جهة النظر ان الميم تزد الا لمعنى زائدا كالزوائد الاربع فى المضارع وعلى ما قالوه تكون زائدة لغير معنى (فان قلت) فما ذاك المعنى الذى تعطيه الميم (قلنا) الحدث يتضمن زمانا ومكانا وحالا فالمذهب عبارة عن الزمان الذى فيه الذهاب وعن المكان ايضا فهو يعطى معنى الحدث وشيئا زائدا عليه وكذلك اذا أردت الحدث مقرونا بالحالة والهيئة التى يقع عليها قال الله سبحانه «ومن آياته منامكم بالليل والنهار» فاحال على التفكر فى هذه الحالة المستمرة على البشر ثم قال فى آية اخرى «لا تأخذه سنة ولا نوم» ولم يقل منام لخلو هذا الموطن من تلك الحالة وتعريه من ذلك المعنى الزائد فى الآية الاخرى ومن لم يعرف جوهر الكلام لم يعرف اعجاز القرآن * وفى هذا الشعر * بنيت على قطن اجم كانه * قطنها ثبجها ووسطها واجم اى لا عظام فيه * وقوله كانه فضلا نصب فضلا على الحال اى كان قطنها اذا كانت فضلا فهو حال من الهاء فى كانه وان كان الفضل من صفة المرأة لا من صفة القطن ولكن لما كان القطن بعضها صار كانه حال منها ولا يجوز أن يكون حالا من الضمير فى قعدت لاستحالة ان يعمل ما بعد اذا فيما قبلها والفضل من النساء والرجال المتوشح فى ثوب واحد والمداك صلاءة الطيب وهو مفعل من دكت أدوك اذا دققت ومنه الدوكة والدوكة * وقوله مر الدموك يقال دمكه دمكا اذا طحنه طحنا سريعا وبكرة دموك أى سريعة المر وكذلك أيضا رحى دموك والمحصد الحبل المحكم الفتل والرجام واحد الرجامين وهما الخشبتان اللتان تلقى عليهما البكرة والرجام أيضا جمع رجمة وهى حجارة مجتمعة وجمع رجم وهو القبر ومنه قول أبى الطيب

تمتع من رقاد أو سهاد * ولا تأمل كرى تحت الرجام
فان لثالث الحالين معنى * سوى معنى انتباهك والمنام

وأرقدت أسرعت ومصدره ارقادا وكذلك أرمدت وافعل فى غير الالوان والخلق عزيز وأما انقض فليس منه فى شئ لانك تقول فى معناه تقضض البناء فالقاف فاء الفعل وكذلك تقضى البازى لانه منه وغلط القسوى فى الايضاح فجعل يريد ان ينقض من باب أحمر وانما هو من باب انقد وانجر والنون زائدة ووزنه انفعل وكذلك غلط القالى فى النوادر فقال فى قوله وجريها اتبرارانه افعلال من التبر كما قال القسوى فى الانقضاض وانما هو انفعال من عين ثرة أى كثيرة الماء * ودسنه بحوام يعنى الحوافر وما حول الحوافر يقال له الحامية وجمعه حوام

طحنتهم والله ينفذ أمره * حرب يشب سعيرها بضرام لولا الاله وجريها لتركنه * جزر السباع ودسنه بحوام
من بين مأسور بشد وثاقة * صقر اذا لاقى الاسنة حامى ومجدل لا يستجيب لدعوة * حتى تزول شوامخ الاعلام
وبنو أبيه ورهطه فى معرك * نصر الاله به ذوى الاسلام

بالعار والذل المبين اذا رأى * بيض السيوف تسوق كل همام
بيدى أغر اذا انتمى لم يخزه * نسب القصار سميدع مقدام
بيض اذا لاقت حديدا صممت * كالبرق تحت ظلال كل غمام

(فاجابه) الحرث بن هشام فيما ذكر ابن هشام فقال

الله أعلم ما تركت قتالهم * حتى حبوا مهرى باشقر مزبد
وعرفت انى ان أقاتل واحدا * أقتل ولا ينكى عدوى مشهدى
فصددت عنهم والاحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

* قال ابن اسحق قالها الحرث يعتذر من فراره يوم بدر «قال ابن هشام» تركنا من قصيدة حسان ثلاثة أبيات من آخرها لانه أقذع فيها * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا

لقد علمت قريش يوم بدر * غداة الاسر والقتل الشديد
بأنا حين تشتجر العوالى * حماة الحرب يوم أبى الوليد
قتلنا ابنى ربيعة يوم سارا * الينا فى مضاعفة الحديد
وفر بها حكيم يوم جالت * بنو النجار تخطر كالاسود
وولت عند ذاك جموع فهر * وأسلمها الحويرث من بعيد
لقد لاقيتم ذلا وقتلا * جهيزا نافذا تحت الوريد
وكل القوم قد ولوا جميعا * ولم يلووا على الحسب التليد

(وقال) حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا

ياحار قد عولت غير معول * عند الهياج وساعة الاحساب
اذ تمتطى سرح اليدين نجيبة * مرطى الجراء طويلة الاقراب
والقوم خلفك قد تركت قتالهم * ترجو النجاء وليس حين ذهاب
ألا عطفت على ابن أمك اذ ثوى * قعص الاسنة ضائع الاسلاب
عجل المليك له فاهلك جمعه * بشنار مخزية وسوء عذاب

«قال ابن هشام» تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا «قال ابن هشام» ويقال بل قالها عبد الله بن الحرث السهمى رضى الله عنه

مستشعرى حلق الماذى يقدمهم * جلد النحيزة ماض غير رعديد
أعنى رسول إله الحق فضله * على البرية بالتقوى وبالجود
وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم * وماء بدر زعمتم غير مورد
ثم وردنا ولم نسمع لقولكم * حتى شربنا رواء غير تصريد
مستعصمين بحبل غير منجذم * مستحكم من حبال الله ممدود
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه * حتى الممات ونصر غير محدود
واف وماض شهاب يستضاء به * بدر أنار على كل الاماجيد

«قال ابن هشام» بيته مستعصمين بحبل غير منجذم عن أبى زيد الانصارى * قال ابن اسحق (وقال) حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا

خابت بنو أسد وآب غزيهم * يوم القليب بسوءة وفضوح
منهم أبو العاصى تجدل مقصعا * عن ظهر صادقة النجاء سبوح
حينا له من مانع بسلاحه * لما ثوى بمقامه المذبوح
والمرء زمعة قد تركن ونحره * يدمى بعاند معبط مسفوح
متوسدا حر الجبين معفرا * قد عر مارن انفه بقبوح
ونجا ابن قيس فى بقية رهطه * بشفى الرماق موليا بجروح

(وقال) حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا

ألا ليت شعرى هل أتى أهل مكة * ابارتنا الكفار فى ساعة العسر
قتلنا سراة القوم عند مجالنا * فلم يرجعوا الا بقاصمة الظهر
قتلنا أبا جهل وعتبة قبله * وشيبة يكبو لليدين وللنحر
قتلنا سويدا ثم عتبة بعده * وطعمة أيضا عند ثائرة القتر
فكم قد قتلنا من كريم مرزأ * له حسب فى قومه نابه الذكر
تركناهم للعاويات ينبنهم * ويصلون نارا بعد حامية القعر
لعمرك ما حامت فوارس مالك * وأشياعهم يوم التقينا على بدر

«قال ابن هشام» أنشدنى أبو زيد الانصارى بيته

قتلنا أبا جهل وعتبة قبله * وشيبة يكبو لليدين وللنحر

* قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضا

نجى حكيما يوم بدر شده * كنجاء مهر من بنات الاعوج
لما رأى بدرا تسيل جلاهه * بكتيبة خضراء من بلخزرج
لا ينكلون اذا لقوا أعداءهم * يمشون عاندة الطريق المنهج
كم فيهم من ماجد ذى منعة * بطل بمهلكة الجبان المحرج
ومسود يعطى الجزيل بكفه * حمال أثقال الديات متوج
زين الندى معاود يوم الوغى * ضرب الكماة بكل أبيض سلجج

«قال ابن هشام» قوله سلجج عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال حسان أيضا

فما نخشى بحول الله قوما * وان كثروا وأجمعت الزحوف
اذا ما ألبوا جمعا علينا * كفانا حدهم رب رؤف

حوام * وقول الحرث بن هشام * حتى علوا مهرى بأشقر مزبد * يعنى الدم ومزبد قد علاه الزبد * وقوله والاحبة فيهم يعنى من قتل أو أسر من رهطه واخوته * وقول حسان * بكتيبة خضرا من بلخزرج * العرب تجعل الاسود أخضر فتقول ليل أخضر كما قال * فى ظل أخضر يدعو هامة البوم * وتسمى الاخضر أسود اذا اشتدت خضرته وفى التنزيل مدهامتان قال أهل التاويل سوداوان من شدة الخضرة * وقوله بكل ابيض سلجج هو السيف الماضى الذى يقطع الضريبة بسهولة ومنه المثل الاخذ سلجان والقضاء ليان أى الاخذ

سمونا يوم بدر بالعـوالى * سراعا ماتضعضعنا الحتوف فلم ير عصبة فى الناس انـكى * لمن عادوا اذا القحت كشوف

ولـكنا توكلنا وقلنـا * ما ثرنا ومعقلنا السيوف لقيناهم بهـا لما سـمونا * ونحـن عصابة وهم ألوف

«وقال» حسان بن ثابت أيضاً يهجو بنى جمح ومن أصيب منهم

جمحت بنو جمح بشقوة جدهم ان الذليـل موكل بذليل قتلت بنو جمح ببدر عنوة وتخاذلوا سـعيا بكل سـبيل

جحدوا الـكتاب وكذبوا بمحمد والله يظهر دين كل رسول لعن الاله أبا خزيمة وابنه والخالدين وصاعد بن عقيل

قال ابن اسحق وقال عبيدة بن الحرث بن المطلب فى يوم بدر وفى قطع رجله حين أصيب وفى مبارزته هو وحمزة وعلى حين بارز واعـدوهم

«قال ابن هشام» وبعض أهل العلم بالشعر ينـكرها لعبيدة

ستبلغ عنا أهل مكة وقعـة يهب لهـا من كان عن ذاك نائيا بعتبة اذ ولى وشيبة بعـده وما كان فيها بكر عتبة راضيا

فان تقطعوا رجلى فانى مسلم أرجى بها عيشا من الله دانيـا مع الحور أمثال التماثيل أخلصت مع الجنة العلياء من كان عاليا

وبعت بها عيشا تعرق صفوه وعالجته حتى فقدت الادانيا فاكرمنى الرحمن من فضل منه بثوب من الاسلام غطى المساويا

وما كان مكروها الى قتالهم غداة دعا الاكفاء من كان داعيا ولم يبغ اذ سألوا النبى سـواءنا ثلاثتنا حتى حضرنا المناديا

لقيناهم كالاسد تخطر بالقنا نقاتل فى الرحمن من كان عاصيا فما برحت أقـدامنا من مقامنا ثلاثتنا حين

أزيروا المنائيـا

« قال ابن هشام » لما أصيبت رجل عبيدة قال اما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم انى أحق منه بما قال حيث يقول

كذبتم و بيت الله نبزى محمدا ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهـل عن أبنـائنـا والحلائل

وهذان البيتان فى قصيدة لابى طالب قد ذكرناها فيما مضى من هذا الـكتاب * قال ابن اسحق فلما هلك عبيدة بن الحرث من مصاب رجـله يوم بدر قال كعب بن مالك الانصارى يبكيه ما

أياعين جودى ولا تبخلى بدمعك حقا ولا تنزرى على سيد هدنا هلكه كريم المشاهد والعنصر

جرىء المقدم شاكى السلاح * كريم الثنا طيب المكسر عبيدة أمسى ولا نرتجيه * لعرف عرانا ولا منكر

وقد كان يحمى غـداة القتا * ل حاميـة الجيش بالمبتر

« وقال » كعب بن مالك رضى الله عنه أيضا فى يوم بدر

ألا هل أتى غسان فى نأى دارها * وأخبر شىء بالامور عليمها بأن قد رمتنا عن قسى عداوة * معد معا جهالها وحليمها

لانا عبدنا الله لم نرج غيره * رجاء الجنان اذ أتانا زعيمها نبى له فى قومـه ارث عزة * وأعراق صدق هذبتها أرومها

فساروا وسرنا فالتقينا كاننا * أسود لقاء لا يرجى كليمها ضربناهم حتى هوى فى مكرنا * لمنخر سوء من لؤى عظيمها

فولوا ودسناهم ببيض صوارم * سواء علينا حلفها وصميمها

(وقال كعب بن مالك أيضاً)

لعمر أبيكما يا ابنى لؤى * على زهو لديكم وانتخاء لما حامت فوارسكم ببدر * ولا صبروا به عند اللقاء

وردناه بنور الله يجلو * دجى الظلماء عنا والغطاء رسول الله يقدمنا بأمر * من امر الله أحكم بالقضاء

فما ظفرت فوارسكم ببدر * وما رجعوا اليكم بالسواء فلا تعجل أبا سفيان وارقب * جياد الخيل تطلع من كداء

سهل يسوغ فى الحلق بلا عسر كما قالوا الاخذ سريط والقضاء ضريط فسريط من سرطت الشىء اذا بلعته سهلا فسلجج من هـذا الا انهم ضاعفوا الجيم كما ضاعفوا الدال من مهدد ولم يدغموا الا انهم ألحقوه بجعفر * وقوله بلخزرج أراد بنى الخزرج فحذف النون لانها من مخرج اللام وهم يحذفون اللام فى مثل علماء وظلت كراهية اجتماع اللامين وكذلك أحست كراهية التضعيف وفى حديث عائشة رضى الله عنها تربت يمينك وألت أرادت ألت أى طعنت من قولهـم ماله أل وغل ويروى آلت فتـكون التاء علما للتأنيث أى آلت يدك وعنـد نافيه رواية ثالثة فى كتاب مسلم وهى تربت يداك والت بكسر التاء وتشديد اللام وهى على لغة من يقول فى رددت ردت فيدغم مع ضمير الفاعل وهى لغة حكاها سيبويه * وذكر شعر كعب وفيه

لعمر أبيكما يا بنى لؤى * على زهو لديكم وانتخاء

الانتخاء افتعال من النخوة يقال نخى الرجـل وانتخى ومن الزهو زهى وازدهى ولا يكون الا من مثل هذا الا باللام لان الفعل فيـه لغـير المخاطب واذا أمر من ليس بمخاطب فانا يؤمر باللام كقولك لتزه يا فـلان ولتعن بحاجتى وكان القياس أيضاً أن لا يقال من هذا الفـعل ما أفعله ولا هو أفعـل من كذا كما لا يقال فى المركوب

بنصر الله روح القدس فيها * وميكال فياطيب الملاء (وقال) طالب بن أبى طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبكى

أصحاب القليب من قريش يوم بدر

ألا ان عيني أنفذت دمعها سكبا * تبكى على كعب وما ان ترى كعبا

ألا ان كعبا فى الحروب تخاذلوا * وأرداهم ذا الدهر واجترحوا ذنبا

وعامر تبكى للملمات غـدوة * فياليت شعرى هل أرى لهما قربا

هما أخواى لم يعـدا لغيـة * تعدولن يستام جارهما غصبا

فيا أخوينا عبـد شمس ونوفلا * فدى لكما لا تبعثوا بيننا حربا

ولا تصبحوا من بعد ود وإلفة * أحاديث فيها كلكم يشتكى النكبا

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس * وجيش أبى يكسوم اذ ملأ الشعبا

فلولا دفاع الله لا شىء غـيره * لاصبحتم لا تمنعون لكم سربا

فما ان جنينا فى قريش عظيمة * سوى ان حمينا خير من وطئ التربا

أخا ثقة فى النائبات مرزأ * كريما ثناه لا بخيلا ولا ذربا

يطيف به العافـون يغشون بابه * يؤمون بحرا لا نزورا ولا صربا

فوالله لا تنفك نفسى حزينة * تململ حتى تصدقوا الخزرج الضربا

(وقال ضرار بن الخطاب الفهرى يرثى أبا جهل)

الا من لعين باتت الليل لم تنم * تراقب نجما فى سواد مع الظلم

كأن قذى فيها وليس بها قذًى * سوى عبرة من جائل الدمع تنسجم

فبلغ قريشا أن خير نديها * وأكرم من يمشى بساق على قدم

ثوى يوم بدر رهن خوصاء رهنها * كريم المساعى غير وغد ولا برم

فآليت لا تنفك عينى بعبرة * على هالك بعد الرئيس أبى الحكم

على هالك أشجى لؤى بن غالب * أتته المنايا يوم بدر فلم ترم

ترى كسر الخطى فى نحر مهره * لدى بائن من لحمه بينها خزم

وما كان ليث ساكن بطن بيشة * لدى غال يجرى ببطحاء فى أجم

باجرأ منه حـين تختلف القنا * وتدعى نزال فى القماقمة البهم

فـلا تجزعوا آل المغـيرة واصبروا * عليه ومن يجزع عليه فلم يلم

وجدّوا فان الموت مكرمة لكم * وما بعده فى آخر العيش من ندم

وقد قلت ان الريح طيبة لـكم * وعز المقام غير شك لذى فهـم

« قال ابن هشام » وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها الضرار * قال ابن اسحق وقال الحرث بن هشام يبكى أخاه أبا جهل

ألا يالهيف نفسى بعد عمرو * وهل يغنى التلهف من قتيل

يخـبرنى المخـبر أن عمراً * امام القوم فى جفر محيـــل

فقدما كنت أحسب ذاك حقا * وأنت لما تقدم غير فيـل

وكـنت بنعمة مادمت حيا * فقد خلفت فى درج المسـيل

كانى حين أمسى لا أراه * ضعيف العقد ذوهم طويل

على عمرو اذا أمسيت يوما * وطرف من تذكره كليـل

«قال ابن هشام» وبعض أهل العلم بالشعر ينـكرها للحرث بن هشام وقوله فى جفر عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال أبو بكر بن الاسود بن شعوب الليثى وهو شداد بن الاسود

تحيي بالسلامة أم بكر * وهل لى بعد قومى من سلام

فماذا بالقليب قليب بدر * من القينات والشرب الكرام

وماذا بالقليب قليب بدر * من الشيزى تـكلل بالسنام

وكم لك بالطوى طوى بدر * من الحومات والنعم المسام

وكم لك بالطوى طوى بدر * من الغايات والدسع العظام

وأصحاب الكريم أبى على * أخى الكاس الكريمة والندام

وانك لو رأيت ابا عقيل * واصحاب الثنية من نعام

اذا الظلت من وجد عليهم * كأم السقب جائلة المرام

يخبرنا الرسول لسوف نحيا * وكيف لقاء اصداء وهام

ما أركبه ولا فى المضروب ما أضر به ولـكنه قد جاء فى مثـل هـذه الافعال ما أزهاه وما أعناه بحاجتى وقالوا هو أشغل من ذات النحيين وهو أزهى من غراب والفعل فى هـذا كله زهى وشغل فهو مشغول ومزهو وقيل فى المجنون ما أجنـه حكاه أبو عمر الجرمى وقال سيبويه واعلم ان العرب تقـدم فى كلامها ما هم به أهم وهم ببيانه أعنى وان كانا جميعا يهمانهـم ويعنيانهـم فقال أهم وأعنى وهو من همهـم وعناهم فهـم به معنيون مثل مضروبون فجاز فى هـذه الافعال ما ترى وسبب جوازه ان المفعول فيها فاعل فى المعـنى فالمزهو متـكبر وكذا المنخو والمشغول مشتغل وفاعل لشغله والمعنى بالامر كذلك والمجنون كالاحمق فيقال ما أجنه كما يقال ما أحمقه وليس كذلك مضروب ولا مركوب ولا مشتوم ولا ممدوح فلا يقال فى شىء منه ما أفعله ولا هو أفعل من غيره (فان قلت) فكان ينبغى على هذا القياس أيضا أن يؤمر فيه بغير اللام كما يؤمر الفاعـل اذ وقد قلتم انه فاعل فى المعنى (فالجواب) ان الامر انما هو بلفظ المستقبل وهو تضرب وتخرج فاذا أمرت حذفت حرف المضارعة وبقيت حروف الفعل على بنيتها وليس كذلك زهيت فانت تزهى ولا شغلت فانت تشغل لانك لو حذفت منه حرف المضارعة لبقى لفظ الفعل على بنية ليست للغائب ولا للمخاطب لان بنية الامر للمخاطب افعل وبنيته للغائب فليفعل والبنية التى قدرناها لا تصلح لواحد منهما لانك كنت تقول ازهى من زهيت وكنت تقول من شغلت اشـغل فتخرج من باب شـغلت فانت مشغول الى باب شغلت غيرك فانت شاغـل فلم يستقم فيه الامر الا باللام * وقوله وميكال فياطيب الملاء أراد الملأ وليس من باب مد المقصور اذ لا يجوز فى

« قال ابن هشام » انشدنى ابوعبيدة النحوى

يخبرنا الرسول بان سنحيا * وكيف حياة اصداء وهام

قال وكان قد اسلم ثم ارتد * قال ابن اسحق وقال امية بن ابى الصلت يرثى من اصيب من قريش يوم بدر

الا بكيت على الكرا * م بنى الكرام اولى الممادح | كبكا الحمام على فرو * ع الايك فى الغصن الجوانح
يبكين حرى مستكيـ * ـنات يرحن من الروائح | أمثالهن الباكيا * ت المعولات من النوائح
من يبكهم يبكى على * حزن و يصدق كل مادح | ماذا ببدر فالعقنـ * ـقل من مراز بةجحاجح
فمدافع البرقين فالـ * ـحنان من طرف الاواشح | شمط وشبان بها * ليل مغاوير وحاوح
ألاّ ترون لما أرى * ولقد أبان لكل لامح | أن قد تغير بطن مكـ * ـة فهى موحشة الاباطح
من كل بطريق لبطـ * ـريق نقى اللون واضح | دعموص أبواب الملو * ك وجائب للخرق فاتح
من السراطمة الخلا * جمة الملاوثة المناجح | القائلين الفاعليـ * ـن الآمرين بكل صالح
المطعمين الشحم فو * ق الخبز شحما كالانافح | نقل الجفان مع الجفا * ن الى جفان كالمناضح
ليست باصفار لمن * يعفو (١١٤) ولا رح وحارح | للضيف ثم الضيف بعـ * ـد والبسط السلاطح

وهب المئين من المئيـ * ـن الى المئين من اللواقح
سوق المؤبل للمؤبـ * ـل صادرات عن بلادح
لكرامهم فوق الكرا * م مزية وزن الرواجح
كثاقل الارطال بالـ * ـقسطاس فى أيدى الموائح
خذلتهم فئة وهم * يحمون عورات الفضائح
الضاربين التقدميـ * ـة بالمهندة الصفائح
ولقد عنانى صوتهم * من بين مستسق وصائح
لله در بنى على * أيم منهم وناكح
ان لم يغيروا غارة * شعواء تجحر كل نابح
بالمقربات المبعدا * ت الطامحات مع الطوامح
مردا على جرد الى * أسد مكالبة كوالح
وقد لاقى قرن قرنه * مشى المصافح للمصافح
بزهاء الف ثم الـ * ـف بين ذى بدن ورامح

« قال ابن هشام » تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأنشدنى واحد من أهل العلم بالشعر بيته

ويلاق قرن قرنه * مشى المصافح للمصافح

وأنشدنى أيضاً

وهب المئين من المئيـ * ـن الى المئين من اللواقح | سوق المؤبل للمؤبـ * ـل صادرات عن بلادح

« قال ابن اسحق » وقال أمية بن أبى الصلت أيضاً يبكى زمعة بن الاسود وقتلى بنى أسد

عين بكى بالمسبلات أبا الحا * رث لاتذخرى على زمعه | أبكى عقيل بن أسود اسد البأ * س ليوم الهياج والدفعه
تلك بنو أسد اخوة الجو * زاء لاخانة ولا خدعه | هم الاسرة الوسيطة من كعـ * ـب وهم ذروة السنام والقمعه
وهم أنبتوا من معاشر شعر الرأ * س وهم الحقوهم المنعه | أمسى بنو عمهم اذا حضر البا * س أكبادهم عليهم وجعه
وهم المطعمون اذا قحط القطـ * ـر وحالت فلا ترى قزعه

عصى عصاه ولا فى رحى رحاه فى الشعر ولا فى الكلام وان كانوا قد أشبعوا الحركات فى الضرورة فقالوا فى الكلكل الكلكال وفى الصيارف الصياريف ولكن مد المقصور أبعد من هذا لان زيادة الالف تغيير واحد ومد المقصور تغييران زيادة ألف وهمز ماليس بمهموز غير انه قد جاء فى شعر طرفة * وكشحان لم ينقص طواءهما الحبل * لكنه حسنه قليلا فى بيت طرفة فى أنه لم يرد الطوى الذى هو مصدر طوى يطوى اذا جاع وخوى بطنه وانما أراد رقة الخصر وذلك جمال فى المرأة وكمال فى الخلقة فجاء باللفظ على وزن جمال وكمال وظهر فى لفظه ما كان فى نفسه والعرب تنحو ابالكلمة الى وزن ماهو فى معناها وقد مضى منه كثير وسيرد عليك ماهو أكثر وأما الملأ والخطأ والرشأ والفرأ وما كان من هذا الباب فان همزته تقلب ألفاً فى الوقف باجماع نعم و فى الوصل فى بعض اللغات فيكون الالف عوضاً من الهمزة وقد يجمعون بين العوض والمعوض منه كما قالوا اهراق الماء وانما كانت الهاء بدلا من الهمزة فجمعوا بينهما وقالوا فى النسب الى فم فموى وقالوا فى النسب الى اليمن يمنى ثم قالوا يمان فعوضوا الالف من احدى اليائين ثم قالوا يمانى بالتشديد فجمعوا بين العوض والمعوض منه فقوله فياطيب الملاء من هذا الباب وكذلك قولهم الخطاء فى الخطأ قال الشاعر

فكلهم مستقبح لصواب من * يخالفه مستحسن لخطائه

«قال ابن هشام» هذه الرواية لهذا الشعر مختلطة ليست بصحيحة البناء ولكن أنشدني أبو محرز خلف الأحمر وغيره روى بعض ما لم يرو بعض

عين بكى بالمسبلات أبا الحا * رث لا تذخري على زمعه
وعقيل بن أسود أسد البأ * س ليوم الهياج والدفعه
فعلى مثل هلكهم خوت الجو * زاء لا خانة ولا خدعه
وهم الاسرة الوسيطة من كعـ * ـب وفيهم كذروة القمعه
أنبتوا من معاشر شعر الرأ * س وهم ألحقوهم المنعه
فبنو عمهم اذا حضر البا * س عليهم أكبادهم وجعه
وهم المطعمون اذا قحط القط * ر وحالت فلا ترى قزعه

قال ابن اسحق (وقال) أبو أسامة معاوية بن زهير بن قيس بن الحرث بن سعد بن ضبيعة بن مازن بن عدى بن جشم بن معاوية حليف بني مخزوم «قال ابن هشام» وكان مشركا وكان مر بهبيرة بن أبي رهم وهم منهزمون يوم بدر وقد أعيا هبيرة فقام فألقى عنه درعه وحامه ومضى به «قال ابن هشام» وهذه أصح أشعار أهل بدر

ولما ان رأيت القوم خفوا * وقد شالت نعامتهم لنفر
وان تركت سراة القوم صرعى * كأن خيارهم اذ باح عتر
وكانت جمة وافت حماما * ولقينا المنايا يوم بدر
نصد عن الطريق وادركونا * كان زهاءهم غيطان بحر
وقال القائلون من ابن قيس * فقلت أبو أسامة غير نخر
أنا الجشمي كيما يعرفوني * أبين نسبتي نقرا بنقر
فان تك في الضلاصم من قريش * فاني من معاوية بن بكر
فأبلغ مالكا لما غشينا * وعندك مال ان نبأت خبري
وأبلغ ان بلغت المرء عنا * هبيرة وهو ذو علم وقدر
باني اذ دعيت الى أفيد * كررت ولم يضق بالكر صدري
عشية لا يكر على مضاف * ولا ذي نعمة منهم وصهر
فدونكم بني لأي أخاكم * ودونك مالكا يا أم عمرو
فلوى مشهدي قامت عليه * موقفة القوائم أم أجر
دفوع للقبور بمنكبيها * كان بوجهها تحميم قدر
وأقسم بالذي قد كان ربي * وأنصاب لدى الجمرات مغرى
لسوف ترون ما حسبي اذا ما * تبدلت الجلود جلود نمر
فما ان خادر من اسد ترج * مدل عنبس في الغيل مجرى
فقد أحمى الاباءة من كلاف * فما يدنو له أحد بنفر
بخل تعجز الحلفاء عنه * يواثب كل هجهجة وزجر
باوشك سورة مني اذا ما * حبوت له بقرقرة وهدر
ببيض كالاسنة مرهفات * كان ظباتهن جحيم جمر
وأكلف مجنأ من جلد ثور * وصفراء البراية ذات أزر
وأبيض كالغدير ثوى عليه * عمير بالمداوس نصف شهر
أرفل في حمائله وأمشي * كمشية خادر ليث سبطر
يقول لي الفتى سعد هديا * فقلت لعله تقريب غدر
وقلت أباعدي لا تطرهم * وذلك ان أطعت اليوم امري
كدأبهم بفروة اذ أتاهم * فظل يقاد مكتوفا بضفر

«قال ابن هشام» وأنشدني أبو محرز خلف الاحمر

نصد عن الطريق وأدركونا * كان سراعهم تيار بحر

وقوله مدل عنبس في الغيل مجرى عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال أبو اسامة أيضا

ألا من مبلغ عني رسولا * مغلغلة يثبتها لطيف
ألم تعلم مردي يوم بدر * وقد برقت بجنبيك الكفوف

وقد قال ورقة الا ما غفرت خطائيا (فان قيل) فقد أنشد أبو علي في مد المقصود

يالك من تمر ومن شيشاء * ينشب في المسعل واللهاء

أراد جمع لهاة (قلنا) يحتمل ان يكون كلاما مولدا وان كان عربيا فاهل الرواية فيه اللها بكسر اللام فيكون من باب أكمة وآكام وقد ذكرها أبو عبيد في الغريب المصنف بالكسر والفتح * وذكر شعر أبي أسامة بن زهير الجشمي وفيه * وقد زالت نعامتهم لنفر * العرب تضرب زوال النعامة مثلا للفرار وتقول * شالت نعامة القوم * اذا فروا وهلكوا قال الشاعر

ياليت ما أمنا شالت نعامتها * اما الى جنة اما الى نار

وقال أمية * اشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم * والنعامة في اللغة باطن القدم ومن مات فقد شالت رجله أي ارتفعت وظهرت نعامته والنعامة أيضا الظلمة وابن النعامة عرق في باطن القدم فيجوز أن يكون قوله زالت نعامتهم كما يقال زال سواده وضحا ظله اذا مات وجائز ان يكون ضرب النعامة مثلا وهو الظاهر في بيت أبي اسامة لانه قال زالت نعامتهم لنفر والعرب تقول أشرد من نعامة وأنفر من نعامة قال الشاعر

هم تركوك أسلح من حبارى * رأت صقرا وأشرد من نعام

وقال آخر * وكنت نعاما عند ذاك منفرا * فاذا قلت زالت نعامته فمعناه نفرت نفسه التي هي كالنعامة في شرودها * وقوله * وان تركت سراة القوم صرعى * سراة كل شيء ما علا منه وسراة

وقد تركت سراة القوم صرعى * كأن رؤسهم حدج ثقيف وقد مالت عليك ببطن بدر * خلاف القوم داهية خصيف
فنجاه من الغمرات عزمي * وعون الله والامر الحصيف ومنقلبي من الابواء وحدي * ودونك جمع أعداء وقوف
وأنت لمن أرادك مستكين * بجنب كراش مكلوم نزيف وكنت اذا دعاني يوم كرب * من الاصحاب داع مستضيف
فاسمعني ولو أحببت نفسي * أخ في مثل ذلك أو حليف اردّ فاكشف الغماء ارمي * اذا كلح المشافر والانوف
وقرن قد تركت على يديه * ينوء كأنه غصن قصيف دلفت له اذا اختلطوا بحربي * مسحسحة لعاندها حفيف
فذلك كان صنعي يوم بدر * وقبل أخو مدارات عروف أخوكم في السنين كما علمتم * وحرب لا يزال لها صريف
ومقدام لكم لا يزدهيني * جنان الليل والانس اللفيف أخوض الصرة الجماء خوضا * اذا ما الكلب ألجأه الشفيف

«قال ابن هشام» تركت قصيدة لأبي أسامة على اللام ليس فيها ذكر بدر الا في أول بيت منها والثاني كراهية الاكثار * قال ابن اسحق

وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة تبكي أباها يوم بدر (116)

أعينيّ جودا بدمع سرب * على خير خندف لم ينقلب
تداعى له رهطه غدوة * بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حد أسيافهم * يعلونه بعدما قد عطب
يجرونه وعفير التراب * على وجهه عاريا قد سلب
وكان لنا جبلا راسيا * جميل المراة كثير العشب
فاما برى فلم أعنه * فاوتى من خير ما يحتسب

(وقالت هند أيضاً)

يريب علينا دهرنا فيسوءنا * ويأبى فما نأتي بشيء يغالبه
أبعد قتيل من لؤي ابن غالب * يراع امرؤ ان مات أو مات صاحبه
ألا رب يوم قد رزئت مرزأ * تروح وتغدو بالجزيل مواهبه
فابلغ أبا سفيان عني مألكا * فان ألقه يوما فسوف أعاتبه
فقد كان حرب يسعر الحرب انه * لكل امرئ في الناس مولى يطالبه

«قال ابن هشام» وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند * قال ابن اسحق وقالت هند أيضا

لله عينا من رأى * هلكا كهلك رجاليه
يا رب باك لي غدا * في النائبات وباكيه كم غادروا يوم القليـ * ـب غداة تلك الواعيه
من كل غيث في السنيـ * ـن اذا الكواكب خاويه قد كنت احذر ما أرى * فاليوم حق حذاريه
قد كنت احذر ما أرى * فانا الغداة مواميه بل رب قائلة غدا * ياويح أم معاويه

«قال ابن هشام» وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند * قال ابن اسحق وقالت هند أيضاً

يا عين بكي عتبه * شيخا شديد الرقبه
يطعم يوم المسغبه * يدفع يوم المغلبه اني عليه حربه * ملهوفة مستلبه
لنهبطن يثربه * بغارة منثعبه فيها الخيول مقربه * كل جواد سلهبه

وقالت صفية بنت مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف تبكي أهل القليب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش وتذكر مصابهم

الفرس ظهره لانه أعلاه قال الشاعر يصف حمارا * بسراته ندب لها وكلوم * وقولهم سراة القوم كما تقول كاهل القوم وذروة القوم قال معاوية ان مضر كاهل العرب وتميم كاهل مضر وبنو سعد كاهل تميم وقال بعض خطباء بني تميم لنا العز الاقعس والعدد الهيضل ونحن في الجاهلية القدام ونحن الذروة والسنام وهذا معنى صحيح بين فليس لاحد ان يقول في الذروة ولا في السنام ولا في الكاهل انه جمع أي من أبنية الجمع ولا اسم للجمع فكذلك ينبغي أن لا يقال في سراة القوم انه جمع سري لا على القياس ولا على غير القياس كما لا يقال ذلك في كاهل القوم وسنام القوم والعجب كيف خفي هذا على النحويين حتى قلد الخالف منهم السالف فقالوا سراة جمع سري ويا سبحان الله كيف يكون جمعا وهم يقولون في جمع سراة سروات مثل قطاة وقطوات يقال هؤلاء من سروات الناس كما تقول من رؤوس الناس قال قيس بن الخطيم

وعمرة من سروات النسا * ء تنفح بالمسك أردانها

ولو كان السراة جمعا ما جمع لانه على وزن فعلة ومثل هذا البناء في الجموع لا يجمع وانما سري فعيل من السرو وهو الشرف فان جمع على لفظه قيل سريّ وأسرياء مثل غني وأغنياء ولكنه قليل وجوده وقلة وجوده لا يدفع القياس فيه وقد حكاه سيبويه * وقوله اذباح عتر جمع ذبح وعتر وعتر بكسر العين الصنم الذي كان يعتر له في الجاهلية أي تذبح له العتائر جمع عتيرة وهي الرجبية وقد ذكرنا في نسب النبي صلى الله عليه وسلم أول من سن العتيرة وانه بور بن صحورا وان أباه سنّ رجبا للعرب فكان يقال له سعد رجب ولو قال اذباح عتر بفتح العين لجاز لانه مصدر * وقوله وكانت حمة الحمة السواد والحمة الفرقة فان كان أراد بالحمة سواد القوم وكثرتهم فله وجه وان كان أراد الفرقة منهم فهو أوجه وقد ذكره صاحب العين * وقوله عطيان بحر فيضانه وقوله

سقوب بعض أهل العلم بالشعر * قال ابن اسحق وقالت صفية بنت مسافر أيضا
الا من لعين للة *
بكى دمعها فانى
كغر بى دالح يستى *
خلال الغيث الدانى
وماليث غريف ذو *
أظافير وأسنان
أبو شبلين وثاب *
شديد البطش غرثان
كحبى اذ تولى و *
وجوه القوم ألوان
وبالكف حسام صا *
رم أبيض ذكران
وأنت الطاعن النجلا *
ء منها مزبدان
« قال ابن هشام » ويروى قولها وماليث غريف الى آخرها مفصولا من البيتين اللذين قبله * قال ابن اسحق وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب ترثى عبيدة بن الحرث بن المطلب
لقد ضمن الصفراء مجدا وسوددا *
وحلما أصيلا وافر اللب والعقل

* وقوله أبين نسبتى نقرا بنقر النقر الطعن فى النسب وغيره يقول ان طعنتم فى نسبى وعبتموه بينت الحق ونقرت فى أنسابكم اى عبتها وجاز يت على النقر بالنقر وقالت جارية من العرب مروا بى على بنى نظر اتمعنى الفتيان الذين ينظرون الى ولا تمروا بى على بنات نقرى يعنى النساء اللواتى ينقرن أى يعبن * وقوله دعيت الى أفيد تصغير وفد وهم المتقدمون من كل شئ من ناس أو خيل او ابل وهو اسم للجمع مثل ركب ولذلك جاز تصغيره وقيل أفيد اسم موضع * وقوله على مضاف المضاف الخائف المضطر * وقوله * فدونكم بنى لاى أخاكم * هذا شاهد لما ذكرناه فى نسب النبى صلى الله عليه وسلم واشتقاق تلك الاسماء وقلنا فى لؤى انه تصغير لاى واخترناه هذا القول على قول ابن الانبارى وقطرب وحكينا قوله وشاهده وانما أراد ههنا ببنى لاى بنى لؤى فجاء به مكبرا على ما قلناه * وقوله
* موقفة القوائم أم أجر * يعنى الضبع وموقفة من الوقف وهو الخلخال لان فى قوائمها سوادا قال الشاعر
* كانه قاطم وقفين من عاج * وأم أجر جمع جرو كما تقول دلو وادل وهذا كقول الهذلى
وغودر ثاويا وتأوبته * موقفة أميم لها فليل
والفليل عرفها وكقول الآخر
يالهف من عرفاء ذات فليله * جاءت الى على ثلاث تخمع
وتظل تنشطنى وتلحم أجريا * وسط العرين وليس حى يدفع
لو كان سيفى باليمين دفعتها * عنى ولم أوكل وجنبى الاضيع
فوصفها انها تخمع كما قال ابن المهلب الضبعة العرجاء ولحن فى قوله الضبعة وقال آخر
فلومات منهم من جرحنا لاصبحت * ضباع باكناف الشريف عرائسا
وذلك أن الضبع يقلب القتيل على قفاه فيماذ كر وتستعمل كمرته لانها أشبق البهائم ولذلك يقال لها حين تصطاد ابشرى أم عامر بجراد عضال وكمر رجال يخدعونها بذلك وهى تكنى أم عامر وأم عمرو وأم الهنبر وأم خنور وأم خنور معا وتسمى حضاجر وجمار وقثام وجيال وعيثوم وقثام وقثام أيضا اسم للغنيمة الكثيرة يقال أصاب القوم قثاما قاله الزبير وحيثل وعيثوم وأما الذكر منها فعيلام وعثيان وديخ * وقوله فى وصف الاسد فى الغيل مجرأى ذو أجراء والاباءة الاجمة التى هو فيها وكذلك الغيل والخدر والعرين والعريسة * وقوله احمى الاباءة أى حماها وأحمى لغة فى حمى لكنها ضعيفة ولعله أراد احمى الاباءة أى جعلها كالنار الحامية يقال احميت الحديدة فى النار يعنى ان اباءته قد حميت به فلا تقرب * وقوله من كلاف لعله أراد من شدة كلف بما يحميه فجاء به على وزن فعال لان الكلف اذا اشتد كالهيام والعطاش وفى معنى الشعار ولعل كلافا اسم موضع وقال أبو حنيفة الكلاف اسم شجر والله أعلم * وقوله بخل هو الطريق فى الرمل والهجهجة من قولك هجهجت بالذئب اذا زجرته قال الشاعر * لم ينجه منها صياح الهجهج * وقوله بقرقرة وهدر القرقرة صوت شديد منقطع وجاء فى صفة عامر الحداء انه كان قراقرى الصوت فلما كبر وضعف صوته قال
أصبح صوت عامر صئيا * أبكم لا يكلم المطيا

عبيدة فابكيه لاضياف غربة * وارملة تهوى لاشعث كالجذل
وبكيه للاقوام فى كل شتوة * اذا احمر آفاق السماء من المحل
وبكيه للايتام والريح زفزف * وتشتيت قدر طالما أزبدت تغلى
فان تصبح النيران قد مات ضوءها * فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل
لطارق ليل أو لملتمس القرى * ومستنبح أضحى لديه على رسل

وهو عامر بن ربيعة الحداء التغلبي واليه ينسب بنو الحداء وذكر أهل اللغة أن الكشيش أول رغاء الجمل ثم الكتيت ثم الهدر ثم القرقرة ثم الزغد يقال زغد يزغد ثم القلاخ اذا جول كانه يقلع *وقوله واكنف مجناء يعني الترس وهو من أجنأت الشيء اذا جنيته فهو مجناء و يعني بصفر البراية القوس و برايتها ما برى منها و جعلها صفراء لجدتها وقوتها وقوله وابيض كالقدير أراد السيف وعمير اسم صانع والمداوس جمع مدوس وهي الآلة التي يدوس بها الحداد والصيقل ما يصنعه ووصفه اياها بالمغراء المغر جمع امغر وهو الاحمر والخلادر الداخل في الخدر ومسبطر غير منقبض *وقوله يقول لي الفتى سعد هديا الهدي ما يهدى الى البيت والهدى أيضاً العروس تهدى الى زوجها ونصب هديا هاهنا على اضمار فعل كانه أراد اهد هديا * وقوله في الشعر القاوي كأن رؤسهم حدج نقيف الحدج جمع حدجة وهي الحنظلة والنقيف المنقوف كما قال امرؤ القيس ناقف حنظل وهو المستخرج حب الحنظل *وقوله داهية خصيف أي متراكمة من خصفت النعل أو [من خصفت] الليف اذا نسجته وقد يقال كتيبة خصيف أي منتسجة بعضها ببعض متكاثفة و في كتاب سيبويه كتيبة خصيف أي سوداء *وقوله ومنقلبي من الابواء هو الموضع الذي فيه قبر آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمي الابواء لان السيول تتبوأه وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه بالابواء في ألف مقنع فبكى وأبكى و وجدت على البيت المتقدم الذي فيه حدج نقيف في حاشية الشيخ قال أبو حنيفة الحنظل من الاعلاث وهو ينبت شريا كما ينبت شري القثاء والشري شجره ثم يخرج فيه زهر ثم يخرج في الزهر جراء مثل جراء البطيخ فاذا ضخم وسمن حبه سموه الحدج واحدته حدجة فاذا وقعت فيه الصفرة سموه الخطبان وزاد أبو حنيفة أن الحنظلة اذا اسودت بعد الخضرة فهي قهقرة وذكر في القثاء الحدج والجراء كما ذكر في الحنظل وكذلك الشرية اسم لشجرتهما و في القثاء قبل أن يكون بطيخا القح وقبل القح يكون خضفا وأصغر من ذلك القشعر والشمرور والضغبوس و نقيف معناه مكسور لانه يقال نقفت رأسه عن دماغه أي كسرته * وقوله أخوض الصرة الحماء الصرة الجماعة والصرة الصياح والصرة شدة البرد واياها عنى لانه ذكر الشفيف في آخر البيت وهو برد وريح و يقال له الشفان أيضاً أنشد ابن الانباري

قل للشمال التي هبت مزعزعة * تذرى مع الليل شفانا بصراد
اقرى السلام على نجد وساكنه * وحاضر باللوى ان كان أو باد
سلام مغترب فقدان منزله * ان انجد الناس لم يهمم بانجاد

* وفي شعر هند جميل المراة أرادت مرآة العين فنقلت حركة الهمزة الى الساكن فذهبت الهمزة وانما تذهب الهمزة اذا نقلت حركتها لانها تبقى في تقدير ألف ساكنة والساكن الذي قبلها باق على حكم السكون لان الحركة المنقولة اليه عارضة فكانه قد اجتمع ساكنان فحذفت الالف لذلك هذا معنى كلام ابن جني * وقول هند فما برى فلم أعنه فهو تصغير البراء اسم رجل وقولها

قد كنت احذر ما أرى * فانا الغداة مواميه

قوله مواميه أي ذليلة وهو مؤامية بهمزة ولكنها سهلت فصارت واوا وهي من لفظ الامة تقول تأميت أمة اي اتخذتها و يجوز أن يكون مقلوبا من المؤامة وهي الموافقة فيكون الاصل مواممة ثم قلب فصار موامة على وزن مفاعلة تريد انها قد ذلت فلا تأبى بل توافق العدو على كره ومنه اشتقاق التوءم لان وزنه فوعل مثل التولج والتاء فيهما جميعا بدل من واو قاله صاحب العين *وقولها مهوفة مستلبة الاجود في مستلبة أن يكون بكسر اللام

«قال ابن هشام» وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لهند * قال ابن اسحق وقالت قتيلة بنت الحرث أخت النضر بن الحرث تبكيه

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بان تحية * ما ان تزال بها النجائب تخفق
مني اليك وعبرة مسفوحة * جادت بوا كفها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر ان ناديته * أم كيف يسمع ميت لا ينطق

من

أمحمد ياخير ضنء كريمة * فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لومننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن * باعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه * لله أرحام هنالك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

«قال ابن هشام» فيقال والله أعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر قال لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه * قال ابن اسحق وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فى عقب شهر رمضان أو فى شوال

﴿ غزوة بنى سليم بالكدر ﴾

* قال ابن اسحق فلما قدم المدينة لم يقم بها الا سبع ليال غزا بنفسه يريد بنى سليم «قال ابن هشام» واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى أو ابن أم مكتوم * قال ابن اسحق فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر فاقام عليه ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وأفدى فى اقامته تلك جل الاسارى من قريش

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ غزوة السويق ﴾

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق فى ذى الحجة وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة فكان أبو سفيان كما حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير و يزيد بن رومان ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك وكان من أعلم الانصار حين رجع الى مكة و رجع فل قريش من بدر نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا صلى الله عليه وسلم فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة الى جبل يقال له ثيب من المدينة على بريد أو نحوه ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير تحت الليل فاتى حيى بن اخطب فضرب عليه بابه فابى أن يفتح له بابه وخافه فانصرف عنه الى سلام بن مشكم وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فاذن له فقراه وسقاه و بطن له من خبر الناس ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالا من قريش الى المدينة فاتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا فى أصوار من نخل بها ووجدوا بها رجلا من الانصار وحليفا له فى حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ونذر بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر وهو أبو لبابة فيما قال ابن هشام حتى بلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعا وقد فاته أبو سفيان وأصحابه وقد رأوا أزوادا من أزواد القوم قد طرحوها فى الحرث يتخففون منها للنجاء فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أتطمع لنا أن تكون غزوة قال نعم «قال ابن هشام» وانما سميت غزوة السويق فيما حدثنى أبو عبيدة ان اكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق فهجم المسلمون على سويق كثير فسميت بغزوة السويق

من السلاب وهى الخرقة السوداء التى تخمر بها الثكلى ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لاسماء بنت عميس حين مات عنها جعفر تسلبى ثلاثا ثم اصنعى ماشئت وهو حديث منسوخ بالاحداد ومتأول ذكره الطبرى *وذكر ابن هشام شعر قتيلة بنت الحرث ترثى أخاها النضر بن الحرث والصحيح انها بنت النضر لا اخته كذلك قال الزبير وغيره وكذلك وقع فى كتاب الدلائل وقتيلة هذه كانت تحت الحرث بن أبى أمية الاصغر فهى جدة الثريا بنت عبد الله بن الحرث التى يقول فيها عمر بن أبى ربيعة حين خطبها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمانى

و رهط الثريا هذه يقال لهم العبلات لان أمهم عبلة بنت عبيد بن جاذب *وفى شعر قتيلة * أمحمد ها أنت ضنء نجيبة * قال قاسم أرادت يامحمداه على الندبة قال والضنء الولد والضنء الاصل يقال ضنأت المرأة واضنأت وضنت تضنو اذا ولدت

﴿ غزوة قرقرة الكدر ﴾

القرقرة أرض ملساء والكدر طير فى ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يذكر مسيره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة فقال لعمران بن سوادة حين قال له ان رعيتك تشكو امنك عنف السياق وقهر الرعية فدفر على الدرة وجعل يمسح سيورها ثم قال قد كنت زميل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قرقرة الكدر فكنت أرتع فأشبع وأسقى فأروى وأكثر الزجر وأقل الضرب وأرد العنود وأزجر العروض وأضم اللفوت وأشهر بالعصا وأضرب باليد ولولا ذلك لاغدرت أى اضيعت فتركت يذكر حسن سياسته فيما ولى من ذلك والعنود الخارج عن الطريق والعروض المستصعب من الناس والدواب * وذكر ان أبا سفيان كان نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا فى هذا

قال ابن اسحق وقال أبو سفيان بن حرب عند منصرفه لما صنع به سلام بن مشكم

واني تخيرت المدينة واحدا * لحلف فلم أندم ولم أتلوم
سقاني فرواني كميتا مدامة * على عجل مني سلام بن مشكم
ولما تولى الجيش قلت ولم أكن * لافرحه ابشر بعزو ومغنم
تأمل فان القوم سر وانهم * صريح لؤي لا شماطيط جرهم
وما كان الا بعض ليلة راكب * أتى ساعيا من غير خلة معدم

﴿ غزوة ذى أمر ﴾

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذى الحجة أو قريبا منها ثم غزا نجدا يريد غطفان وهى غزوة ذى امر واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق فاقام بنجد صفرا كله أو قريبا من ذلك ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا فلبث بها شهر ربيع الاول كله أو الا قليلا منه

﴿غزوة الفرع من بحران ﴾

ثم غزا صلى الله عليه وسلم يريد قريشا واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق حتى بلغ بحران معدنا بالحجاز من ناحية الفرع فأقام بها شهر ربيع الآخر و جمادى الاولى ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا

﴿أمر بنى قينقاع﴾

وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بنى قينقاع وكان من حديث بنى قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق قينقاع ثم قال يامعشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة واسلموا فانكم قد عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله اليكم قالوا يا محمد انك ترى ان قومك لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس * قال ابن اسحق فحدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة عن ابن عباس قال مانزل هؤلاء الآيات الا فيهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم و بئس المهاد قد كان لكم آية فى فئتين التقتا أى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان بنى قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم

الجديث ان الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسمعيل كما بقى فيهم الحج والنكاح ولذلك سموها جنابة وقالوا رجل جنب وقوم جنب لمجانبتهم فى تلك الحال البيت الحرام ومواضع قرباتهم ولذلك عرف معنى هذه الكلمة فى القرآن أعنى قوله « وان كنتم جنبا فاطهروا » فكان الحدث الاكبر معروفا بهذا الاسم فلم يحتاجوا الى تفسيره وأما الحدث الاصغر وهو الموجب للوضوء فلم يكن معروفا قبل الاسلام فلذلك لم يقل فيه وان كنتم محدثين فتوضؤوا كما قال « وان كنتم جنبا فاطهروا » بل قال « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق » الآية فبين الوضوء وأعضاءه وكيفيته والسبب الموجب له كالقيام من النوم والمجىء من الغائط وملامسة النساء ولم يحتج فى أمر الجنابة الى بيان أكثر من وجوب الطهارة منها للصلاة * وقوله أصوار نخل هى جمع صور والصور نخل مجتمعة * وذكر سلام بن مشكم ويقال فيه سلّام ويقال انه ولد شعثاء التى يقول فيها حسان

لشعثاء التى قد تيمته * فليس لعقله منها شفاء

وقول أبى سفيان شماطيط جرهم الشماطيط الخيل المتفرقة ويقال للاخلاط من الناس أيضا شماطيط وأصله من الشميط وهو اختلاط الظلام بالضوء ومنه الشمط فى الرأس * وقوله ولم أكن لافرحه والمفرح الذى قد أثقله الدين وقد تقدم شرحه * وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بحران معدن بالحجاز من ناحية الفرع فأقام به شهر ربيع الآخر وجمادى الاولى الفرع بضمتين يقال هى أول قرية مارت اسمعيل وأمه التمر بمكة وهى من ناحية المدينة وفيها عينان يقال لهما الربض والنجف يسقيان عشرين ألف نخلة كانت لحمزة بن عبد الله بن الزبير وتفسير الربض منابت الاراك فى الرمل والفرع بفتحتين موضع بين الكوفة والبصرة قال سويد بن أبى كاهل

حل أهلى حيث لا أطلبها * جانب الحضر وحلت بالفرع

ثم رجع الى المدينة وقول ابن اسحاق اقام شهر ربيع وجمادى لان الربيع مشترك بين اسم الشهر وزمن الربيع فكان فى لفظ الشهر بيان لما أراد وجمادى اسم علم ليس فيه اشتراك وقد قدمنا قول سيبويه ومما لا يكون العمل الا فيه كله المحرم وصفر يعنى هذه الاسماء كلها وكذلك أسماء الايام لا تقول سرت الخميس ولا مشيت الاربعاء الا والعمل فيه كله حتى تقول يوم الاربعاء أو يوم كذا وفى الشهر شهر كذا فحينئذ يكون ظرفا لا يدل على وقوع العمل فيه كله

﴿خبر بنى قنيقاع﴾

وقد تقدم منه طرف قبل غزوة بدر * وفيه ان عبد الله بن أبى قال للنبى صلى الله عليه وسلم أحسن فى موالى وأن

و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربوا فيما بين بدر وأحد «قال ابن هشام» وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عون قال كان من أمر بني قينقاع ان امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست الى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم و بين بني قينقاع * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه فقام اليه عبد الله بن أبيّ بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخزرج قال فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أحسن في موالي قال فأعرض عنه فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» وكان يقال لها ذات الفضول قال ابن اسحق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللا قال ويحك أرسلني قال لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الاحمر والاسود تحصدهم في غداة واحدة اني والله امرؤ أخشى الدوائر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم لك «قال ابن هشام» واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في محاصرته اياهم بشير بن عبد المنذر وكانت محاصرته اياهم خمس عشرة (١٢١) ليلة * قال ابن اسحق وحدثني أبي اسحق بن يسار عن عبادة ابن الوليد بن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول وقام دونهم قال ومشى عبادة بن الصامت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد بني عوف لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي فخلعهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم وقال يا رسول الله أتولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم قال ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت القصة من المائدة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض أي كعبد الله بن أبي وقوله اني أخشى الدوائر يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ثم القصة الى قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون وذلك لتولي عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا وتبرئه من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون

﴿ سرية زيد بن حارثة الى القردة من مياه نجد ﴾

قال ابن اسحق وسرية زيد بن حارثة التي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حين أصاب عير قريش وفيها أبو سفيان بن حرب على القردة ماء من مياه نجد وكان من حديثها ان قريشا خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة وهي أعظم تجارتهم واستأجروا رجلا من بني بكر بن وائل يقال له فرات بن حيان يدلهم في ذلك على الطريق «قال ابن هشام» فرات بن حيان من بني عجل حليف لبني سهم * قال ابن اسحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فلقيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير

رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب حتى رأوا لوجهه ظلالا هكذا في نسخة الشيخ مصححا عليه وفي غيرها ظللا جمع ظلة وقد تجمع فعلة على فعال نحو برمة وبرام وجفرة وجفار فمعنى الروايتين اذا واحد والظلة ما حجب عنك ضوء الشمس وصحو السماء وكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرقا بساما فاذا غضب تلون ألوانا فكانت تلك الالوان حائلة دون الاشراق والطلاقة والضياء المنتشر عند تبسمه وقد روى انه كان يسطع على الجدار نور من ثغره اذا تبسم أو قال تكلم ينظر في الشمائل للترمذي * وذكر فيه الآية التي نزلت فيهم «قد كان لكم آية في فئتين» الفئة على وزن فعة من فأوت رأسه بالعصا اذا شققته أو من الفأو وهي جبال مجتمعة وبينهما فسحة من الارض فحقيقة الفئة الفرقة التي كانت مجتمعة مع الاخرى فافترقت

﴿ سرية زيد ﴾

ذكر فيها فرات بن حيان العجلي منسوب الى عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل واللجيم تصغير لجم وهي دويبة تطير بها العرب وأنشدوا

لها ذنب مثل ذيل العرو * س الى سبة مثل جحر اللجم

وكان عين قريش ودليل أبي سفيان أسلم فرات وحسن اسلامه وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان منكم رجالا نكلهم الى اسلامهم منهم فرات وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثمامة بن أثال في شأن

مسيلمة وردته ومر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مع أبي هريرة والرجال بن عنفوة فقال ضرس أحدكم في النار مثل أحد فما زال فرات وابو هريرة خائفين حتى بلغتهما ردة الرجال وايمانه بمسيلمة فخرا ساجدين واسم الرجال نهار بن عنفوة والعنفوة [ضرب من] النبت يقال له الصليان * وفيها يقول حسان * دعوا فلجات الشام قد حال دونها * الفلجات جمع فلج وهي العين الجارية يقال ماء فلج وعين فلج وذكرها ابو حنيفة فلحات بالحاء المهملة وقال الفلحة المزرعة * وقوله جلاد كافواه المخاض الاوارك اي التي أكلت الاراك فدميت افواهها والمخاض واحدتها خلفة من غير لفظها وهي الحامل وقد قيل في الواحد ماخض ومنه قول الطائي * واخرتها عن وقتها وهي ماخض * وعندي ان المخاض في الحقيقة ليس بجمع انما هو مصدر ولذلك وصف به الجميع وفي التنزيل «فأجاءها المخاض» وقولهم ناقة ماخض كقولهم حامل اي ذات مخاض وذات حمل وقد يقول الرجل لنسائه انتن الطلاق فليس الطلاق بجمع وانما معناه ذوات طلاق وكذلك معنى المخاض اي ذوات مخاض غير انه قيل للواحدة ماخض ولم يقل ناقة مخاض اي ذات مخاض كما يقال امرأة زور وصوم لان المصدر اذا وصف به فانما يراد به الكثير ولا تكثير في حمل الواحدة الا ترى انك تقول هي اصوم الناس وما اصومها ولا يقال اذا حبلت ما احبلها لانه شيء واحد كما لا يقال في الموت ما اموتها فلما اعدم قصد التكثير والمبالغة لم توصف به كما لا توصف بالسير اذا قلت ما هي الاسير فاذا كانت ابلا كثيرة حصل معنى الكثرة فوصفت بالمخاض وهو المصدر لذلك فان قلت فقد يقول الرجل انت الطلاق وانت الفراق قلنا فيه معنى التكثير والمبالغة ولذلك جاز لانه شيء يتمادى و يدوم لا سيما ان اراد بالطلاق الطلاق كله لا واحدة وليس كذلك المخاض والحمل فان مدته معلومة ومقدارة موقت * وقوله بأيدي الملائك هو جمع ملاك على غير لفظه ولو جمعوه على لفظه لقالوا املاك ولكن الميم من ملاك زائدة فيما زعموا واصله مألك من الالوك وهي الرسالة قال لبيد

وغلام أرسلته أمه * بألوك فبذلنا ما سأل

وقال الطائي

من مبلغ الفتيان عني مألكا * اني متى يتثلموا أتهدم

والطائي وان كان متولدا فانما يحتج به لتلقي أهل العربية له بالقبول واجماعهم على انه لم يلحن واذا كان الاصل فيه مألكا فانما قلبوه لارادة الفاء الهمزة اذا سهلوا ولو سهلوا مألكا والهمزة مقدمة لم تسقط وانما تسقط اذا سكن قبلها فقالوا املاك فاذا جمعوا اعادت الهمزة ولم تعد الى موضعها الا ترجع كجمع مألكة وهي الرسالة ولو قيل ان لفظ ملاك مأخوذ من الملكوت فلذلك لم يهمز لان أكثر الملائكة ليسوا برسل ولو اريد معنى الرسالة لقالوا مؤلك كما تقول مرسل ولضمت الميم في الواحد وتكون الهمزة على هذا زائدة في الجميع كما زادوها في شمئل وهي من شملت الريح لكان هذا وجها حسنا وسر زيادة الهمزة في شمأل وهي من شملت الريح فاطلعت الهمزة رأسها لذلك اذ قد اجتمع فيها انها من عن شمال البيت وانها شامية وكذلك الملائكة هم من ملكوت الله وفيهم رسل والواحد منهم من ملكوت الله فقط لانه لا يتبعض كما تتبعض الجملة منهم فاما قول الشاعر فلست لانسي ولكن لمألك * [تنزل من جو السماء يصوب]

فهمز مألكا وهو واحد والبيت مجهول قائله وقد نسبه ابن سيدة الى علقمة وانكر ذلك عليه ومع هذا فقد وصف مالكا بالرسالة لقوله تنزل من جو السماء يصوب فحسن الهمز لتضمنه معنى الالوك كما حسن في جملة الملائكة اذ للجملة بعض هم ارسال والكل من ملكوت الله سبحانه وليس في الواحد الا معنى الملكوتية

وما فيها واعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حسان بن ثابت بعد أحد في غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشا لاخذهم تلك الطريق

دعوا فلجات الشأم قد حال دونها
جلاد كافواه المخاض الاوارك
بايدي رجال هاجروا نحو ربهم
وأنصاره حقا وأيدي الملائك
اذا سلكت للغور من بطن عالج
فقولا لها ليس الطريق هنالك

«قال ابن هشام» وهذه الابيات في أبيات لحسان ابن ثابت نقضها عليه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وسنذكرها ونقيضتها ان شاء الله في موضعها

﴿ قتل كعب بن الاشرف ﴾ قال ابن اسحق وقتل كعب بن الاشرف وكان من حديث كعب بن الاشرف انه لما أصيب أصحاب بدر وقدم زيد بن حارثة الى أهل السافلة وعبد الله بن رواحة الى أهل العالية بشيرين بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه وقتل من قتل من المشركين كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة الظفري وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعاصم بن عمر بن قتادة وصالح بن أبي أمامة بن سهل كل قد حدثني بعض حديثه قالوا قال كعب بن الاشرف وكان رجلا من طيئ ثم أحد بني نبهان وكانت أمه من بني النضير حين بلغه الخبر أحق هذا أترون محمدا قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان يعني زيدا وعبد الله بن رواحة فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها فلما تيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن صبيرة السهمي وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فأنزلته وأكرمته وجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الاشعار ويبكي أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر فقال

طحنت رحا بدر لمهلك أهله * ولمثل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم * لا تبعدوا ان الملوك تصرع
كم قد أصيب به من ابيض ماجد * ذي بهجة تأوي اليه الضيع
طلق اليدين اذا الكواكب أخلفت * حمال أثقال يسود ويربع
ويقول أقوام أسر بسخطهم * ان ابن الاشرف ظل كعبا يجزع
صدقوا فليت الارض ساعة قتلوا * ظلت تسوخ بأهلها وتصدع

صار الذي أثر الحديث بطعنة * أو عاش أعمى مرعشا لا يسمع
نبئت أن بني المغيرة كلهم * خشعوا لقتل أبي الحكيم وجدعوا
وابنا ربيعة عنده ومنبه * ما نال مثل المهلكين وتبع
نبئت ان الحارث بن هشامهم * في الناس يبني الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وانما * يحمي على الحسب الكريم الاورع

فقط حتى يتخصص بالرسالة كما في هذا البيت المذكور فيتضمن حينئذ المعنيين فتطلع الهمزة في اللفظ لما في ضمنه من معنى الالوك وهي الرسالة

﴿ مقتل كعب بن الاشرف ﴾

ذكر فيه انه شبب بنساء المسلمين وآذاهم وكان قد شبب بأم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب فقال

أراحل أنت لم ترحل لمنقبة * وتارك أنت أم الفضل بالحرم

في أبيات رواها يونس عن ابن اسحق * وذكر فيه قوله عليه السلام من لكعب فقد آذى الله ورسوله فيه من الفقه وجوب قتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان ذا عهد خلافا لابي حنيفة رحمه الله فانه لا يرى قتل الذمي في مثل هذا ووقع في كتاب شرف المصطفى ان الذين قتلوا كعب بن الاشرف حملوا رأسه في مخلاة الى المدينة فقيل انه أول رأس حمل في الاسلام وقيل بل رأس أبي عزة الجمحي الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فقتله واحتمل راسه في رمح الى المدينة فيما ذكر وأما أول مسلم حمل رأسه في الاسلام فعمرو بن الحق وله صحبة * وفيه من قول حسان في كعب بكى كعب ثم علّ بعبرة فيه

«قال ابن هشام» قوله تبع وأسر بسخطهم عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق فأجابه حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه فقال

ابكي لكعب ثم علّ بعبرة * منه وعاش مجدعا لا يسمع
ولقد رأيت ببطن بدر منهم * قتلى تسح لها العيون وتدمع
فابكي فقد أبكيت عبدا راضعا * شبه الكليب الى الكليبة يتبع
ولقد شفى الرحمن منا سيدا * وأهان قوما قاتلوه وصرعوا
ونجا وأفلت منهم من قلبه * شغف يظل لخوفه يتصدع

«قال ابن هشام» وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان وقوله أبكي لكعب عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقالت امرأة من المسلمين من بني مريد بطن من بلي كانوا حلفاء في بني أمية بن زيد يقال لهم الجعادرة تجيب كعبا «قال ابن هشام» اسمها ميمونة بنت عبد الله وأكثر أهل العلم ينكر هذه الابيات لها وينكر نقيضتها لكعب بن الاشرف

تحنن هذا العبد كل تحنن * يبكي على قتلى وليس بناصب
بكت عين من يبكي لبدر وأهله * وعلت بمثلها لؤي بن غالب
فليت الذين ضرجوا بدمائهم * يرى ما بهم من كان بين الاخاشب
فيعلم حقا عن يقين ويبصروا * مجرهم فوق اللحى والحواجب

فأجابها كعب بن الاشرف فقال

ألا فازجروا منكم سفيها لتسلموا * عن القول يأتي منه غير مقارب
أتشتمني ان كنت أبكي بعبرة * لقوم أتاني ودهم غير كاذب
فاني لباك ما بقيت وذاكر * مآثر قوم مجدهم بالجباجب
لعمري لقد كانت مريد بمعزل * عن الشر فاحتالت وجوه الثعالب
فحق مريد ان تجد أنوفهم * بشتمهم حيي لؤي بن غالب
وهبت نصيبي من مريد لجعدر * وفاء وبيت الله بين الاخاشب

ثم رجع كعب بن الاشرف الى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة من لي بابن الاشرف فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد

الاشهل أنا لك به يارسول الله أنا أقتله قال فافعل ان قدرت على ذلك فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب الا ما يعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له لم تركت الطعام والشراب فقال يارسول الله قلت لك قولا لا أدرى هل أفين لك به أم لا فقال انما عليك الجهد فقال يارسول الله انه لا بد لنا من أن نقول قال قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة أحد بنى عبد الاشهل وكان أخا كعب بن الاشرف من الرضاعة وعباد بن بشر بن وقش أحد بنى عبد الاشهل والحارث بن أوس بن معاذ أحد بنى عبد الاشهل وأبو عبس بن جبر أحد بنى حارثة ثم قدموا الى عدو الله كعب بن الاشرف قبل أن يأتوه سلكان بن سلامة أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة وتناشدوا شعرا وكان أبو نائلة يقول الشعر ثم قال ويحك يابن الاشرف انى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عنى قال أفعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا به العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الانفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا فقال كعب انا ابن الاشرف أما والله لقد كنت أخبرك يابن سلامة ان الامر سيصير الى ما أقول فقال له سلكان انى قد أردت أن تبيعنا طعامك ونرهنك ونوثق لك وتحسن فى ذلك فقال أترهنونى أبناءكم قال لقد أردت أن تفضحنا ان معى أصحابا لى على مثل رأيى وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن فى ذلك ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء وأراد سلكان أن لا ينكر السلاح اذا جاؤا بها قال ان فى الحلقة لوفاء قال فرجع سلكان الى أصحابه فاخبرهم خبره وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا اليه فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» ويقال أترهنونى نساءكم قال كيف نرهنك نساءنا وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم قال أترهنونى أبناءكم * قال ابن اسحق فحدثنى ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بقيع الغرقد ثم وجههم فقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته وهو فى ليلة مقمرة وأقبلوا حتى انتهوا (١٢٤) الى حصنه فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس فوثب وعليه ملحفته فأخذت امرأة بناحيتها وقالت انك امرؤ محارب وان أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة قال انه أبو نائلة لو وجدنى نائما ما أيقظنى فقالت والله انى لأعرف فى صوته الشر قال يقول لها كعب لو يدعى الفتى لطعنة لأجاب فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قال هل لك يابن الاشرف جمع أن نتماشى الى شعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه قال ان شئتم فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ثم ان أبا نائلة شام يده فى فود رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيبا أعطر قط ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه ثم قال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت عليهم أسيافهم فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا فى سيفى حين رأيت أسيافنا لا تغنى شيئا فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا أوقدت عليه نار قال فوضعته فى ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله وقد أصيب الحارث ابن أوس بن معاذ فجرح فى رأسه او فى رجله أصابه بعض أسيافنا قال فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ثم على بنى قريظة ثم على بعاث حتى اسندنا فى حرة العريض وقد أبطأ علينا صاحبنا الحرث بن أوس ونزفه الدم فوقفنا له ساعة ثم أتانا يتبع آثارنا قال فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلى فسلمنا عليه فخرج الينا فاخبرناه بقتل عدو الله وتفل على جرح صاحبنا فرجع ورجعنا الى أهلنا فاصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله فليس بها يهودى الا وهو يخاف على نفسه * قال ابن اسحق فقال كعب بن مالك

فغودر منهم كعب صريعا * فذلت بعد مصرعه النضير

على الكفين ثم وقد علته * بايدينا مشهرة ذكور

بأمر محمد اذ دس ليلا * الى كعب أخا كعب يسير

فما كره فأنزله بمكر * ومحمود أخو ثقة جسور

«قال ابن هشام» وهذه الابيات فى قصيدة له فى يوم بنى النضير سأذكرها ان شاء الله فى حديث ذلك اليوم * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الاشرف وقتل سلام بن أبى الحقيق

لله در عصابة لاقيتهم * يابن الحقيق وأنت يابن الاشرف

يسرون بالبيض الخفاف اليكم * مرحا كاسد فى عرين مغرف

حتى أتوكم فى محل بلادكم * فسقوكم حتفا ببيض ذفف

مستنصرين لنصر دين نبيهم * مستصغرين لكل أمر مجحف

«قال ابن هشام» وسأذكر قتل سلام بن أبى الحقيق فى موضعه ان شاء الله وقوله ذفف عن غير ابن اسحق

دخول زحاف على زحاف وذلك ان أول الجزء سبب ثقيل وسبب خفيف فاذا دخل فيه الزحاف الذى يسمى الاضمار صار سببين خفيفين فيعود متفاعلن الى وزن مستفعلن ومستفعلن يدخله الخبن والطى وهو حذف الرابع منه فشبه حسان متفاعلا فى الكامل بمستفعلن لما صار الى وزنه فحذف الحرف الساكن وهو الرابع من متفاعلن الى وزن مفتعلن وهو غريب فى الزحاف فانه زحاف سهل زحافا آخر ولولا الزحاف الذى هو الاضمار ما جاز البتة حذف الرابع من متفاعلن * وذكر فى الذين قتلوا كعبا أبا عبس بن جبر واسمه عبد الرحمن وذكر سلكان بن سلامة واسمه سعد * وذكر فى شعر حسان الغاوى وفيه ببيض ذفف الذفف

جمع ذفيف وهو الخفيف السريع وهو جمع على غير قياس وانما فعل جمع فاعل ولكن الذفيف من السيوف في معنى القاطع والصارم * وفيه في عرين مغرف العرين اجمة الاسد وهو الغريف أيضا والغريف أيضا الكثير فيحتمل ان أراد بمغرف مكثراً من الاسد ويحتمل ان أراد توكيد معنى الغريف كما يقال خبيث مخبث * وذكر قول امرأة كعب والله انى لاعرف في صوته الشر وفي كتاب البخاري انى لاسمع صوتا يقطر منه الدم * وفيه ما رأيت عطرا كاليوم معناه عند سيبويه ما رأيت كعطر أراه اليوم عطراً كذلك قال في قول العرب لم أر كاليوم رجلا أى كرجل أراه اليوم رجلا فحذف ما دخلت عليه الكاف وحذف الفعل وهو أرى وفاعله ومفعوله وهذا حذف كثير لا سيما وقد يقال ما رأيت كاليوم ولا تذكر بعده شيئا اذا تعجبت فدل على انهم لم يحذفوا هذا الحذف الكثير ولكنهم أوقعوا التعجب على اليوم لان الايام تأتى بالاعاجيب والعرب تذمها وتمدحها في نظمها ونثرها ويعلم المخاطب ان اليوم لم يذم لنفسه ولا يعجب منه لنفسه فيلتمس منك البيان والتفسير لما تعجبت منه فتأتى بالتمييز لتبين فعطرا منصوب على التمييز والدليل على ذلك انه يحسن خفضه بمن لانه متعجب منه فتقول لم أر كاليوم من رجل ووقع في رواية ابراهيم بن سعد عن ابن اسحق بعد قوله فمشوا ساعة قال فجعل كعب ينشد

رب خال لى لو أبصرته • سبط المشية اباء انف
لين الجانب في أقربه • وعلى الاعداء كاسم الذعف
وكرام لم يشنهم حسب • أهل عز وحفاظ وشرف
يبذلون المال فيما نابهم • لحقوق تعتريهم وعرف
وليوث حين يشتد الوغى • غير انكاس ولا ميل كسف
فهم أهل سماح وقرى • وحفاظ لم يعابوا بصلف
سكنوا من يثرب كل ربى • وسهول حيث حلوا في انف
وهم أهل مشاريب بها • وحصون ونخيل وغرف
ولها بئر رواء جمة • من يردها باناء يغترف
ونخيل في تلاع جمة • تخرج التمر كأمثال الاكف
وصرير من محال خلته • آخر الليل مهاريج ندف
تدلج الجون على أكتافها • بدلاء ذات أركان صدف
كل حاجاتى قد قضيتها • غير حاجاتى في بطن الجرف

﴿ أمر محيصة وحويصة ﴾

* قال ابن اسحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فوثب محيصة ابن مسعود « قال ابن هشام » ويقال محيصة بن مسعود بن كعب بن عامر ابن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الاوس على ابن سبينة

﴿ قتل محيصة اليهودى ﴾

محيصة بن مسعود كان أصغر من اخيه حويصة لكن سبقه الى الاسلام كما ذكر ابن اسحق وشهد أحداً والخندق وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم الى أهل فدك يدعوهم الى الاسلام وهو الذى استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أجرة الحجام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما ألح عليه في المسألة اعلفه ناضحك واجعله في كرشك وذلك ان أبا طيبة الحجام كان عبدا له وقد تقدم اسم أبى طيبة * وقوله ما بين بصرى ومأرب بصرى بالشام ومأرب باليمن حيث كان السد ومأرب اسم قصر كان لسبأ وقال المسعودى مأرب اسم كل ملك ولى أمر سبأ كخاقان في الترك وكسرى في الفرس وقيصر في الروم والنجاشى في الحبشة وحويصة تصغير حوصة من حصت الثوب اذا خطته * وفي حديثهما ذكر سنينة المقتول كانه تصغير سن وقال ابن هشام

«قال ابن هشام» و يقال ابن شبينة رجل من تجار يهود كان يلابسهم و يبايعهم فقتله وكان حويصة بن مسعود اذ ذاك لم يسلم وكان أسن من محيصة فلما قتله جعل حويصة يضربه و يقول أى عدو الله أقتلته اما والله لرب شحم فى بطنك من ماله قال محيصة فقلت والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك قال فوالله ان كان لاول اسلام حويصة قال آلله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى قال نعم والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها قال والله ان دينا بلغ بك هذا لعجب فاسلم حويصة * قال ابن اسحق حدثنى هذا الحديث مولى لبنى حارثة عن ابنة محيصة عن أبيها محيصة فقال محيصة فى ذلك

يلوم ابن أمى لو أمرت بقتله * لطبقت ذفراه بأبيض قاضب
حسام كلون الملح أخلص صقله * متى ما أصوبه فليس بكاذب
وما سرنى أنى قتلتك طائعا * وأن لنا ما بين بصرى ومارب

«قال ابن هشام» وحدثنى أبو عبيدة عن أبى عمرو المدنى قال لما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة أخذ منهم نحوا من أربعمائة رجل من اليهود وكانوا حلفاء الاوس على الخزرج فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان تضرب أعناقهم فجعلت الخزرج تضرب اعناقهم و يسرهم ذلك فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخزرج ووجوههم مستبشرة ونظر الى الاوس فلم يرذلك فيهم فظن ان ذلك للحلف الذى بين الاوس و بين بنى قريظة ولم يكن بقى من بنى قريظة الا اثناعشر رجلا فدفعهم الى الاوس فدفع الى كل رجلين من الاوس رجلا من بنى قريظة وقال ليضرب فلان وليذفف فلان فكان ممن دفع اليهم كعب ابن يهوذا وكان عظيما فى بنى قريظة فدفعه الى محيصة بن مسعود والى أبى بردة بن نيار وأبو بردة الذى رخص له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ان يذبح جذعا من المعز فى الاضحى وقال ليضربه محيصة وليذفف عليه أبو بردة فضربه محيصة ضربة لم تقطع وذفف أبو بردة فاجهز عليه فقال حويصة وكان كافرا لاخيه محيصة أقتلت كعب بن يهوذا قال نعم فقال حويصة اما والله لرب شحم قد نبت فى بطنك من ماله انك للئيم يامحيصة فقال له محيصة لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك فعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجبا فذكروا انه جعل يتيقظ من الليل وهو فيعجب من قول أخيه محيصة حتى اصبح وهو يقول والله ان هذا الدين ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال محيصة فى ذلك أبياتا قد كتبناها عن ابن اسحق وكانت اقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قدومه من بحران جمادى الآخرة ورجبا وشعبان وشهر رمضان وغزته قريش غزوة أحد فى شوال سنة ثلاث

﴿ غزوة أحد ﴾

وكان من حديث أحد كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد قالوا أو من قاله منهم لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ورجع فلهم الى مكة ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن ابى جهل وصفوان بن أمية فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة فقالوا يامعشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ففعلوا * قال ابن اسحق ففيهم كما ذكر لى بعض أهل العلم أنزل الله تعالى ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب وأصحاب العير باحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى قد من عليه رسول الله صلى الله عليه

فى اسمه سبينة بالباء كانه مصغر تصغير الترخيم من سبينة قال صاحب العين السبنية ضرب من النبات وأما شنينة بالشين المنقوطة فوالد صقلاب بن شنينة قرأ على نافع بن أبى نعيم وقال قال لى نافع ياصقلاب بين النون عند الحاء والخاء والعين والغين والهاء والالف

﴿ غزوة أحد ﴾

وأحد الجبل المعروف بالمدينة سمى بهذا الاسم لتوحده وانقطاعه عن جبال أخر هنالك وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم هذا جبل يحبنا ونحبه وللعلماء فى معنى هذا الحديث أقوال قيل أراد اهله وهم الانصار وقيل أراد انه كان يبشره اذا رآه عند القدوم من أسفاره بالقرب من أهله ولقائهم وذلك فعل المحب وقيل بل حبه حقيقة وضع الحب فيه كما وضع التسبيح فى الجبال المسبحة مع داود وكما وضعت الخشية فى الحجارة التى قال الله فيها «وان منها لما يهبط من خشية الله» وفى الآثار المسندة ان أحدا يوم القيامة عند باب الجنة من داخلها و فى بعضها انه ركن لباب الجنة ذكره ابن سلام فى تفسيره و فى المسند من طريق أبى عبس بن جبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحد يحبنا ونحبه وهو على باب الجنة قال وعير يبغضنا ونبغضه

وسلم يوم بدر وكان فقيرا ذا عيال وحاجة وكان فى الاسارى فقال يارسول الله انى فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن على صلى الله عليك وسلم فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صفوان بن أمية ياأباعزة انك امرؤ شاعر فاعنا بلسانك فاخرج معنا فقال ان محمدا قد من على فلا أريد أن اظاهر عليه قال فاعنا بنفسك فلك الله على ان رجعت ان أغنيك وان أصبت أن أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر فخرج أبو عزة يسير فى تهامة ويدعو بنى كنانة ويقول

أيا بنى عبد مناة الرزام * أنتم حماة وأبوكم حام
لا يعدونى نصركم بعد العام * لا تسلمونى لا يحل اسلام

وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح الى بنى مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

يامال مال الحسب المقدم * أنشد ذا القربى وذا التذمم
من كان ذا رحم ومن لم يرحم * الحلف وسط البلد المحرم
* عند حطيم الكعبة المعظم *

ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشيا يقال له وحشى يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطى بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى فانت عتيق فخرجت قريش بحدها وجدها وأحابيشها ومن تابعها من بنى كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة وأن لا يفروا فخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس معه بهند ابنة عتبة وخرج عكرمة بن أبى جهل بام حكيم بنت الحرث بن هشام بن المغيرة وخرج الحرث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وهى أم عبد الله بن صفوان بن أمية «قال ابن هشام» ويقال رقية * قال ابن اسحق وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهى أم عبد الله بن عمرو وخرج طلحة بن أبى طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسلافة بنت سعد بن شهيد الانصارية وهى أم بنى طلحة مسافع والجلاس وكلاب قتلوا يومئذ هم وأبوهم وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب احدى نساء بنى مالك بن حسل مع ابنها أبى عزيز بن عمير وهى أم مصعب بن عمير وخرجت عمرة بنت علقمة احدى نساء بنى الحرث بن عبد مناة بن كنانة وكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشى أو مر بها قالت ويها أبا دسمة أشف واشتف وكان وحشى يكنى بأبى دسمة فاقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين انى قد رأيت والله خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت فى ذباب سيفى ثلما ورأيت انى أدخلت يدى فى درع حصينة فاولتها بالمدينة «قال ابن هشام» وحدثنى بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت بقرا لى تذبح قال فاما البقر فهى ناس من أصحابى يقتلون وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل * قال ابن اسحق فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأى عبد الله بن أبى بن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى رأيه فى ذلك وان لا يخرج اليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم احد وغيره ممن كان فاته بدر يارسول الله اخرج بنا الى أعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا فقال عبد الله بن أبى بن سلول يارسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه

وهو على باب من أبواب النار ويقويه قوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب مع قوله يحبنا ونحبه فتناسبت هذه الآثار وشد بعضها بعضا وقد كان عليه السلام يحب الاسم الحسن ولا أحسن من اسم مشتق من الاحدية وقد سمى الله هذا الجبل بهذا الاسم تقدمة لما أراده سبحانه من مشاكلة اسمه ومعناه اذ أهله وهم الانصار نصروا التوحيد والمبعوث بدين التوحيد عنده استقر حيا وميتا وكان من عادته عليه السلام ان يستعمل الوتر ويحبه فى شأنه كله استشعارا للاحدية فقد وافق اسم هذا الجبل لاغراضه عليه السلام ومقاصده فى الاسماء فقد بدل كثيرا من الاسماء استقباحا لها من أسماء البقاع وأسماء الناس وذلك لا يحصى كثرة فاسم هذا الجبل من أوفق الاسماء له ومع انه مشتق من الاحدية فحركات حروفه الرفع وذلك يشعر بارتفاع دين الاحد وعلوه فتعلق الحب من النبى صلى الله عليه وسلم به اسما ومسمى فخص من بين الجبال بان يكون معه فى الجنة اذا بست الجبال بسا فكانت هباء منبثا [وفى أحد قبر هرون أخى موسى عليهما السلام وفيه قبض وثم واراه موسى عليه السلام وكانا قد مرا باحد حاجين أو معتمرين روى هذا المعنى فى حديث أسنده الزبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتاب فضائل المدينة] * وذكر ابن اسحق مسير قريش بالظعن التماس الحفيظة والحفيظة الغضب للحرم ويقال أحفظ الرجل اذا أغضب

﴿ فصل ﴾ وذكر رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى بقرا تنحر حوله وثلمة فى سيفه وفى

فدعهم يارسول الله فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الانصار يقال له مالك بن عمرو أحد بنى النجار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك فلما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فان شئت فاقعد صلى الله عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماينبغى لنبى اذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه «قال ابن هشام» واستعمل بالمدينة ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس * قال ابن اسحق حتى اذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبى بن سلول بثلث الناس وقال أطاعهم وعصانى ماندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام اخو بنى سلمة يقول ياقوم أذكركم الله أن لاتخذلوا قومكم ونبيكم عند ماحضر من عدوهم فقالوا لو نعلم انكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكن نرى انه لا يكون قتالا قال فلما استعصوا عليه وابوا الا الانصراف قال ابعدكم الله اعداء الله فسيغنى الله عز وجل عنكم نبيه صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» وذكر غير زياد عن محمد بن اسحق عن الزهرى ان الانصار يوم احد قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا نستعين بحلفائنا من يهود فقال لا حاجة لنا فيهم قال زياد وحدثنى محمد بن اسحق قال ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك فى حرة بنى حارثة فذب فرس بذنبه فاصاب كلاب سيف فاستله «قال ابن هشام» ويقال كلاب سيف * قال ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحب الفأل ولا يعتاف لصاحب السيف شم سيفك فانى أرى السيوف اليوم ستسل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه من رجل يخرج بنا على القوم من كثب أى من قرب من طريق لايمر بنا عليهم فقال أبو خثيمة أخو بنى حارثة بن الحارث أنا يارسول الله فنفذ به فى حرة بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلك فى مال لمربع بن قيظى وكان رجلا منافقا ضرير البصر فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين قام يحثى فى وجوههم التراب ويقول ان كنت رسول الله فانى لا احل لك أن تدخل حائطى وقد ذكرلى انه أخذ حفنة من تراب فى يده ثم قال والله لو انى أعلم انى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوه فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر وقد بدر اليه سعد بن زيد أخو بنى عبد الاشهل قبل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه بالقوس فى رأسه فشجه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فى عدوة الوادى الى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال وقد سرحت قريش الظهر والكراع فى زروع كانت بالسبخة من قناة للمسلمين فقال رجل من الانصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال أترعى زروع بنى قيلة ولما نضارب

غير السيرة قال رأيت بقرا تنحر والله خير فاولت الخير ماجاء الله به من الخير يوم بدر وقد كانت بدر قبل أحد ولكن نعم الله بذلك الخير الذى كان فى يوم بدر وكان فيه تأسية وتعزية لهم فلذلك تضمنته الرؤيا بقول الله تعالى «أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها» وفى البخارى ماجاء الله به من الخير بعد بدر وفى مسلم واذا الخير ماجاء الله به بعد وثواب الصدق الذى أتانا الله به يوم بدر وهذه أقل الروايات اشكالا «قال المؤلف» أبو القسم أما البقر فعبارة عن رجال مسلحين يتناطحون وقد رأت عائشة رضى الله عنها مثل هذا فكان تأويله قتل من قتل معها يوم الجمل * وقوله والله خير أى رأيت بقرا تنحر ورأيت هذا الكلام لان الرائى قد يمثل له كلام فى خلده فيراه بوهمه كما يرى صورة الاشياء ومن خبر أحوال الرؤيا عرف هذا من نفسه ومن غيره لكن الصور المرئية فى النوم تكون فى الغالب أمثالا مضروبة وقد تكون على ظاهرها وأما الكلام الذى يسمعه بسمع الوهم ممثلا فى الخلد فلا يكون الا على ظاهره مثل ان يسمع انت سالم أو الله خير لك أو ما أشبه هذا من الكلام فليس له معنى سوى ظاهره * وذكر ان فرسا ذبّ بذيله فاصاب كلاب سيف فاستله «قال ابن هشام» كلاب السيف هى الحديدة العقفاء وهى التى تلى الغمد وفى كتاب العين الكلاب مسمار فى قائم السيف قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفأل ولا يعتاف يفتعل من العيافة وظاهر كلامه ان العيافة فى المكروه خاصة والفأل فى المحبوب وقد يكون فى المكروه والطيرة تكون فى المحبوب والمكروه وفى الحديث انه نهى عن الطيرة وقال خيرها الفأل فدل على انها تكون على وجوه والفأل خيرها ولفظها يعطى انها تكون فى الخير والشر لانها من الطير تقول العرب جرى له الطائر بخير وجرى له بشر وفى التنزيل «وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه» * وقوله فى هذا الحديث فانى أرى السيوف ستسل اليوم يقوى ماقدمناه من التوسم

وتعبي رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سبعمائة رجل وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض والرماة خمسون رجلا فقال أنضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ودفع اللواء الى مصعب بن عمير أخي بني عبد الدار «قال ابن هشام» وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سمرة بن جندب الفزاري و رافع بن خديج أخا بني حارثة وهما ابنا خمس عشرة سنة وكان قد ردهما فقيل له يارسول الله ان رافعا رام فاجازه فلما أجاز رافعا قيل له يارسول الله فان سمرة يصرع رافعا فاجازه ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت أحد بني مالك بن النجار والبراء بن عازب أحد بني حارثة وعمرو بن حزم أحد بني النجار وأسيد بن ظهير أحد بني حارثة ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة * قال ابن اسحق وتعبت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فامسكه عنهم حتى قام اليه ابو دجانة سماك بن خرشة اخو بني ساعدة فقال وما حقه يارسول الله قال ان تضرب به في العدو حتى ينحني قال انا آخذه يارسول الله بحقه فاعطاه اياه وكان

ابو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب اذا كانت وكان اذا اعلم بعصابة له حمراء فاعتصب بها علم الناس انه سيقاتل فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه وجعل يتبختر بين الصفين * قال ابن اسحق فحدثني جعفر ابن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الانصار من بني سلمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دجانة يتبختر انها لمشية يبغضها الله الا في مثل هذا الموطن * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان أبا عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان أحد بني ضبيعة وقد كان خرج حين خرج الى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم معه خمسون غلاما من الاوس و بعض الناس كان يقول كانوا خمسة عشر رجلا وكان يعد قريشا أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الاحابيش وعبدان أهل مكة فنادى يامعشر الاوس أنا أبو عامر قالوا فلا أنعم الله بك عينا يافاسق وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية الراهب فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قاتلهم قتالا شديدا ثم راضخهم بالحجارة * قال ابن اسحق وقد قال ابو سفيان لاصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال يابني عبد الدار انكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فاصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما ان تكفونا لواءنا واما ان تخلوا بيننا و بينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك أراد أبو سفيان فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم فقالت هند فيما تقول

ويها بني عبد الدار * ويها حماة الادبار * ضربا بكل بتار «وتقول»

ان تقبلوا نعانق * ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أمت أمت فيما قال ابن هشام

التوسم والزجر المصيب وانه غير مكروه لكنه غير مقطوع به [الا ان يكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم] وقد قدمنا فيه قولا مقنعا في حديث زمزم ونقرة الغراب الاعصم ولله في كل شيء حكمة و إعمال الفكر في الوقوف على حكمة الله عبادة

﴿ فصل ﴾ وذكر المستصغرين يوم أحد الذين أرادوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّ أصغرهم منهم البراء بن عازب وأسيد بن ظهير و زيد بن ثابت الى آخرهم ولم يذكر فيهم عرابة بن أوس بن قيظي وقد ذكرته طائفة فيهم وممن ذكره فيهم القتبي في كتاب المعارف وهو الذي يقول فيه الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

والعرابة أخ اسمه كباثة له صحبة ومن المستصغرين يوم أحد سعد بن حبتة عرف بامه وهي حبتة بنت مالك انصارية وهو سعد بن بجير من بجيلة رده النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد لصغر سنه فلما كان يوم الخندق رآه يقاتل قتالا شديدا فدعاه ومسح على رأسه ودعا له بالبركة في ولده ونسله فكان عما لاربعين وخالا لاربعين وأبا لعشرين ومن ولده أبو يوسف القاضي يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن حبتة * وذكر قول هند بن عتبة ويها بني عبد الدار ويها كلمة معناها الاغراء * قال الراجز * وهو اذا قيل له ويها فل * فانه واشك مستعجل واما واها فان معناها التعجب وإيها معناها الامر بالكف * وقولها ان تقبلوا نعانق فيقال انها تمثلت بهذا الرجز وانه لهند بنت طارق بن بياضة الايادية قالته في حرب الفرس لاياد فعلى هذا يكون انشاده بنات طارق بالنصب على الاختصاص كما قال

* قال ابن اسحق فاقتتل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فى الناس « قال ابن هشام » حدثنى غير واحد من اهل العلم أن الزبير بن العوام قال وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنعنيه وأعطاه ابا دجانة وقلت أنا ابن صفية عمته ومن قريش وقد قمت اليه فسألته اياه قبله فاعطاه اياه وتركني والله لانظرن ما يصنع فاتبعته فاخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت وهكذا كانت تقول له اذا تعصب بها فخرج وهو يقول

أنا الذى عاهدنى خليلى * ونحن بالسفح لدى النخيل

ان لا أقوم الدهر فى الكيول * اضرب بسيف الله والرسول

«قال ابن هشام» ويروى فى الكبول يعنى آخر الصفوف * قال ابن اسحق فجعل لا يلقى أحدا الا قتله وكان فى المشركين رجل لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه فضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها قال الزبير فقلت الله ورسوله أعلم * قال ابن اسحق وقال أبو دجانة سماك بن خرشة رأيت انسانا يحمش الناس حمشا شديدا فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فاذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أضرب به امرأة وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل ارطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشانى وكان يكنى بابى نيار فقال له حمزة هلم الى يا ابن مقطعة البظور وكانت أمه أم انمار مولاة شريق بن

نحن بنى ضبة أصحاب الجمل

وان كانت أرادت النجم فبنات مرفوع لانه خبر مبتدأ أى نحن شريفات رفيعات كالنجوم وهذا التأويل عندى بعيد لان طارقا وصف للنجم لطروقه فلو أرادته لقالت بنات الطارق الا انى وجدت للزبير بن أبى بكر انه قال فى كتاب انساب قريش له أول هذا الرجز الذى قالته هند يوم أحد

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * مشى القطا النواتق

الى آخر الرجز قال وحدثنى يحيى بن عبد الملك الهديرى قال خاست ليلة و راء الضحاك بن عثمان الجذامى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متقنع فذكر الضحاك وأصحابه قول هند يوم أحد نحن بنات طارق فقالوا ما طارق فقلت النجم فالتفت الضحاك فقال أبا زكريا وكيف بذلك فقلت قال الله تبارك وتعالى « والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب » فانما قالت نحن بنات النجم فقال أحسنت * وذكر أبا دجانة ولبسه المشهرة وأبو دجانة الساعدى ممن دافع عن النبى صلى الله عليه وسلم وحنا عليه يوم أحد وترس عليه بنفسه حتى كثرت النبل فى ظهره واستشهد يوم اليمامة بعد ان شارك فى قتل مسيلمة اشترك فى قتله هو و وحشى وعبد الله بن زيد وسنذكر ما قاله سيف بن عمر فى قاتل مسيلمة فى آخر الباب ان شاء الله * وذكر قول أبى دجانة * انى امرؤ عاهدنى خليلى * يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك كان أبو هريرة يقول حدثنى خليلى وأنكره عليه بعض الصحابة وقال له متى كان خليلك وانما أنكر عليه المنكر هذا لقوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام وليس فى هذا الحديث ما يدفع ان يقول الصحابى حدثنى خليلى لانهم يريدون به معنى الحبيب وانما فيه عليه ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يقولها لاحد من أصحابه ولا خص بها أحدا دون ان يمنع غيره من أصحابه ان يقولها له وما كان فى قلوبهم من المحبة له يقتضى هذا وأكثر منه ما لم يكن الغلو والقول المكروه فقد قال عليه السلام لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح فانما أنا عبد الله ورسوله وقال لرجل قال له أنت سيدنا وأطولنا طولا وأنت الجفنة الغراء فقال قولوا بقولكم ولا يستجرينكم الشيطان أى قولوا بقول أهل دينكم وأهل ملتكم كذا فسره الخطابى ومعناه عندى قولوا بقولكم لا بقول الشيطان لانه قد جعلهم جريا له أى وكيلا ورسولا واذا كانوا جريا له وقالوا ما يرضيه من الغلو فى المنطق فقد قالوا بقوله ويستجرينكم من قولهم جريت جريا أى وكلت وكيلا وقال له رجل آخر أنت أشرفنا حسبا وأكرمنا أما وأبا فقال كم دون لسانك من طبق فقال أربعة أطباق فقال أما كان فيها ما يزع عنى غرب لسانك رواه ابن وهب فى جامعه * وقول أبى دجانة * الا أقوم الدهر فى الكيول * قال أبو عبيد الكيول آخر الصفوف قال ولم يسمع الا فى هذا الحديث وقال الهروى مثل ما قال أبو عبيد وزاد فى الشرح وقال سمى بكيول الزند وهى سواد ودخان يخرج منه آخرا بعد القدح اذا لم يور نارا وذلك شئ لا غناء فيه يقال منه كال الزند يكول فالكيول فيعول من هذا وكذلك كيول الصفوف لا يوقد نار الحرب ولا يذكيها هذا معنى كلامه لا لفظه وقال أبو حنيفة نحوا من هذا الا انه قال كال الزند يكيل بالياء لا غير * وقوله رأيت رجلا يحمش الناس حمشا شديدا يروى بالشين

عمرو بن وهب الثقفي «قال ابن هشام» شريق بن الاخنس بن شريق وكانت ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله قال وحشي غلام جبير بن مطعم والله انى لانظر الى حمزة يهذ الناس بسيفه ما يليق به شيئا مثل الجمل الاورق اذ تقدمني اليه سباع بن عبد العزى فقال حمزة هلم الى يا ابن مقطعة البظور فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه فاقبل نحوى فغلب فوقع وأمهلته حتى اذا مات جئت فاخذت حربتي ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لى بشئ حاجة غيره * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحرث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى قال خرجت أنا وعبيد الله بن عدى بن الخيار أخو بنى نوفل بن عبد مناف فى زمان معاوية بن أبى سفيان فادربنا مع الناس فلما قفلنا مررنا بحمص وكان وحشي مولى جبير بن مطعم قد سكنها وأقام بها فلما قدمناها قال لى عبيد الله بن عدى هل لك فى أن نأتى وحشيا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله قال قلت له ان شئت فخرجنا نسأل عنه بحمص فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه انكما ستجدانه بفناء داره وهو رجل قد غلبت عليه الخمرة فان تجداه صاحيا تجدا رجلا عربيا وتجدا عنده بعض ما تريدان وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه وان تجداه وبه بعض ما يكون به فانصرفا عنه ودعاه قال فخرجنا نمشي حتى جئناه فاذا هو بفناء داره على طنفسة له فاذا شيخ كبير مثل البغاث «قال ابن هشام» البغاث ضرب من الطير الى السواد فاذا هو صاح لا باس به قال فلما انتهينا اليه سلمنا عليه فرفع رأسه الى عبيد الله بن عدى فقال لابن عدى ابن الخيار أنت قال نعم قال أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التى أرضعتك بذى طوى فانى ناولتكها وهى على بعيرها فاخذتك بعرضيك فلمعت لى قدماك حين رفعتك اليها فوالله ما هو الا أن وقفت على فعرفتهما قال فجلسنا اليه فقلنا له جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة كيف قتلته فقال اما انى سأحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألني عن ذلك كنت غلاما لجبير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدى قد أصيب يوم بدر فلما سارت قريش الى أحد قال لى جبير ان قتلت حمزة عم محمد بعمى فانت عتيق قال فخرجت مع الناس وكنت رجلا حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة قلما أخطئ بها شيئا فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته فى عرض الناس مثل الجمل الاورق يهذ الناس بسيفه هذا ما يقوم له شئ فوالله انى لاتهيأ له أريده فاستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني اذ تقدمني اليه سباع بن عبد العزى فلما رآه حمزة قال له حمزة هلم الى يا ابن مقطعة البظور قال فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه قال وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه وذهب لينوء نحوى فغلب وتركته واياها حتى مات ثم أتيته فاخذت حربتي ثم رجعت الى العسكر فقعدت فيه ولم يكن لى بغيره حاجة وانما قتلته لاعتق فلما قدمت مكة عتقت ثم أقمت حتى اذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت الى الطائف فمكثت بها فلما خرج وفد الطائف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا تعيت على المذاهب فقلت ألحق بالشام أو اليمن او ببعض البلاد فوالله انى لفى ذلك من همى اذ قال لى رجل ويحك انه والله ما يقتل أحدا من الناس دخل فى دينه وتشهد شهادة الحق فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يرعه الا بى قائما على رأسه أتشهد بشهادة الحق فلما رآنى قال أوحشي قلت نعم يا رسول

بالشين وبالسين فالمعنى بالسين غير معجمة فى هذا المكان الشدة كانه قال يشدهم ويشجعهم لانه يقال رجل احمس أى شجاع شديد والمعنى فيه بالشين معجمة الايقاد والاغضاب لانه يقال احمشت النار أوقدتها وحمشت الرجل وأحمشه اغضبته فيكون أفعلت من ذلك الايقاد والاغضاب وفعلت للاغضاب

﴿ حديث وحشي ﴾

قال فيه فاذا شيخ كبير كالبغاث قال أبو عبيد البغاث الطير الذى لا يصاد به مثل الرخم والحداء واحدتها بغاثة ويقال بغاثى وجمعه بغاث وبغثان وقال ابن اسحق فى رواية يونس عند ذكر البغاث البغاث هو ذكر الرخم اذا هرم اسود * وقول وحشي لعبيد الله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية ولم يذكر اسمها وأم عبيد الله بن عدى هى أم قتال بنت أبى العيص بن أمية ذكرها البخارى فى هذا الخبر ولم يقل السعدية فهى اذاً قرشية أموية لا سعدية الا ان يريد بها مرضعته ان كانت سعدية وأما عبيد الله بن عدى فولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات فى خلافة الوليد بن عبد الملك وله دار بالمدينة عند دار على بن أبى طالب رضى الله عنه يروى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه وغيره وله حديث فى الموطأ فى كتاب الصلاة * وقوله بذى طوى موضع بمكة وقد قدمنا الفرق بينه وبين ذى طواء بالهمز والمد وبين طوى بالضم والقصر فاغنى عن اعادته هاهنا * وقول وحشي يهذ الناس بسيفه ما يليق شيئا مثل الجمل الاورق يريد والله اعلم ورقة الغبار وانه قد نافع به اذ الاورق من الابل ليس بأقواها ولكنه اطيبها لحما فيما ذكروا * وقوله يهذ الناس هو بالذال المنقوطة ذكره صاحب الدلائل وفسره من الهذ وهى السرعة وأما الهذم بالميم فسرعة القطع

الله قال اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة قال فحدثته كما حدثتكما فلما فرغت من حديثي قال ويحك غيب عني وجهك فلا أرينك قال فكنت أتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج المسلمون الى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة فلما التقى الناس رأيت مسيلمة الكذاب قائما في يده السيف وما أعرفه فتهيأت له وتهيأ له رجل من الانصار من الناحية الاخرى كلانا يريده فهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فيه وشد عليه الانصاري فضربه بالسيف فربك أعلم أينا قتله فان كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قتلت شر الناس * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن الفضل (١٣٢) عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وكان قد شهد اليمامة قال سمعت يومئذ صارخا يقول قتله العبد الاسود «قال ابن هشام» فبلغني ان وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول قد علمت ان الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة رضي الله عنه * قال ابن اسحق وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي وهو يظن انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى قريش فقال قتلت محمدا فلما قتل مصعب ابن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على ابن ابي طالب وقاتل على بن ابي طالب ورجال من المسلمين «قال ابن هشام» وحدثني مسلمة بن علقمة المازني قال لما اشتد القتال يوم احد جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الانصار وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي بن ابي طالب رضوان الله عليه ان قدم الراية فتقدم علي فقال انا ابو القصم ويقال ابو القصم فيما قال ابن هشام فناداه ابو سعد بن ابي طلحة وهو صاحب لواء المشركين ان هل لك يا ابا القصم في البراز من حاجة قال نعم فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه فقال له أصحابه أفلا اجهزت عليه فقال انه استقبلني بعورته فعطفتني عنه الرحم وعرفت ان الله عز وجل قد قتله ويقال ان ابا سعد ابن ابي طلحة خرج بين الصفين فنادى انا قاسم من يبارز مرارا فلم يخرج اليه احد فقال يا اصحاب محمد زعمتم ان قتلاكم في الجنة وان قتلانا في النار كذبتم واللات لو تعلمون ذلك حقا لخرج الي بعضكم فخرج اليه علي بن أبي طالب فاختلفا ضربتين فضربه علي رضي الله عنه فقتله

يقال سيف مهذم والهيذام الكثير الاكل وهو الشجاع أيضا وفي الحديث أكثروا من ذكر هاذم اللذات يروى بالذال المنقوطة أي قاطعها ومما ذكر غير ابن اسحاق في خبر وحشي قال فخرجت حين قال لي سيدي ما قال فنظرت فاذا رجل عبعب عليه درع قضاء واذا هو علي فقلت ليس هذا من شأني واذا رجل حلابس أيهم غشمشم يهذ الناس كانه جمل أورق فكمنت له الى صخرة كأنها فسطاط وقلت هذا الذي أريد وهززت حربة لي عراصة فرميته بها فأصبت ثنته وذكر باقي الحديث العبعب الشاب والدرع القضاء المحكمة النسج والايهم الذي لا يرده شيء وفي الحديث أعوذ بالله من شر الايهمين يعني السيل والحريق والعراصة التي تضطرب من اللين * وقوله في قتل مسيلمة سبقني اليه رجل من الانصار وسيأتي ذكر مسيلمة ونسبه وطرف من حديثه في آخر الكتاب وأما الرجل الذي من الانصار الذي ذكره وحشي ولم يسمه ابن اسحاق فذكر محمد بن عمر الواقدي رحمه الله في كتاب الردة له ان الرجل الذي شارك وحشيا في قتل مسيلمة هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني من الانصار وذكر سيف بن عمر في كتاب الفتوح انه عدي بن سهل وأنشد له

ألم تر أني ووحشيهم * قتلت مسيلمة المفتتن

ويسئلني الناس عن قتله * فقلت ضربت وهذا طعن

في أبيات له وقد ذكرنا قبيل هذا الحديث ان أبا دجانة أيضا شارك في قتل مسيلمة وذكره أبو عمر النمري والله أعلم أي هؤلاء الثلاثة أراد وحشي وفي رواية يونس عن ابن اسحاق زيادة في اسلام وحشي قال لما قدم المدينة قال الناس يا رسول الله هذا وحشي فقال دعوه فلاسلام رجل واحد أحب الي من قتل ألف رجل كافر وذكر قول أبي سعد بن أبي طلحة أنا قاصم من يبارزني فبرز اليه علي فقال أبو القصم بالقاف قاله ابن هشام وهو أصح وانما قال علي عليه السلام أنا أبو القصم لقول أبي سعد أنا قاصم من يبارزني فالقصم جمع قصمة وهي المعضلة المهلكة ويجوز أن يكون جمع اقصمى أي الداهية التي تقصم والدواهي القصم على وزن الكبر وهذا المعنى أصح لانه لا يعرف قصمة ولكنه لما قال أبو سعد أنا قاصم قال علي أنا أقصم منك بل أنا أبو القصم أي أبو المعضلات القصم والدواهي العظم والقصم كسر ببينونة والفصم كسر بغير بينونة ككسر القضيب الرطب ونحوه وفي التنزيل «وكم قصمنا من قرية» وفيه لا انفصام لها

وقول

*قال ابن اسحق قتل أباسعد بن أبى طلحة سعد بن أبى وقاص وقاتل عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلاس بن طلحة كلاهما يشعره سهما فيأتى أمه سلافة فتضع رأسه فى حجرها فتقول يابنى من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رمانى وهو يقول خذها وانا ابن أبى الاقلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم ان تشرب فيه الخمر وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركا ابدا ولا يمسه مشرك وقال عثمان بن أبى طلحة يومئذ وهو يحمل لواء المشركين

ان على أهل اللواء حقا * أن يخضبوا الصعدة أو تندقا

فقتله حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه والتقى حنظلة بن أبى عامر الغسيل وأبو سفيان فلما استعلاه حنظلة بن أبى عامر رآه شداد بن الاسود وهو ابن شعوب قد علا أباسفيان فضربه شداد فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم يعنى حنظلة لتغسله الملائكة فسألوا اهله ماشانه فسألت صاحبته عنه فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهائعة «قال ابن هشام» و يقال الهاتفة وجاء فى الحديث خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار اليها «قال ابن هشام» قال الطرماح بن حكيم الطائى والطرماح الطويل من الرجال

انا ابن حماة المجد من آل مالك * اذا جعلت خور الرجال تهيع

والهيعة الصيحة التى فيها الفزع * قال ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة * قال ابن اسحق وقال شداد

بن الاسود فى قتله حنظلة

لأحمين صاحبي ونفسى * بطعنة مثل شعاع الشمس

وقال أبوسفيان بن حرب وهو يذكر صبره فى ذلك اليوم ومعاونة ابن شعوب اياه على حنظلة

ولوشئت نجتنى كميت طمرة * ولم أحمل النعماء لابن شعوب

وما زال مهرى مزجر الكلب منهم * لدن غدوة حتى دنت لغروب

أقاتلهم وأدعى يال غالب * وادفعهم عنى بركن صليب

فبكى ولا ترعى مقالة عاذل * ولا تسأمى من عبرة ونحيب

أباك واخوانا له قد تتابعوا * وحق لهم من عبرة بنصيب

وسلى الذى قد كان فى النفس اننى * قتلت من النجار كل نجيب

ومن هاشم قرما كريما ومصعبا * وكان لدى الهيجاء غير هيوب

ولو أننى لم أشف نفسى منهم * لكانت شجا فى القلب ذات ندوب

فآبوا وقد أودى الجلابيب منهم * بهم خدب من معبط وكئيب

أصابهم من لم يكن لدمائهم * كفاء ولا فى خطة بضريب

فأجابه حسان بن ثابت فيما ذكر ابن هشام فقال

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم * ولست لزور قلته بمصيب

أتعجب أن أقصدت حمزة منهم * نجيبا وقد سميته بنجيب

ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه * وشيبة والحجاج وابن حبيب

غداة دعا العاصى عليا فراعه * بضربة عضب بله بخضيب

* قال ابن اسحق وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبى سفيان فيما دفع عنه فقال

ولولا دفاعى ياابن حرب ومشهدى * لالفيت يوم النعف غير مجيب

ولولا مكرى المهر بالنعف قرقرت * ضباع عليه أو ضراء كليب

«قال ابن هشام» قوله عليه أو ضراء عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال الحارث بن هشام يجيب أباسفيان

جزيتهم يوما ببدر كمثله * على سابح ذى ميعة وشبيب

لدى صحن بدر أو أقمت نوائحا * عليك ولم تحفل مصاب حبيب

وقول ابن اسحق قتل أبا سعد بن أبى طليحة سعد بن ابى وقاص كذلك رواه الكشى فى تفسيره عن سعد قال لما كف عنه على طعنته فى حنجرته فدلع لسانه الى كما يصنع الكلب ثم مات * وذكر ابن اسحق أيضا هذا فى غير رواية ابن هشام وقول على انه اتقانى بعورته فاذكرنى الرحم فعطفتنى عليه الرحم وقد فعلها على مرة أخرى يوم صفين حمل على بشر بن ارطاة فلما رأى انه مقتول كشف عن عورته فانصرف عنه ويروى أيضا مثل ذلك عن عمرو بن العاصى مع على رضى الله عنه يوم صفين وفى ذلك يقول الحارث بن النضر السهمى رواه ابن الكلبي وغيره

أفى كل يوم فارس غير منته * وعورته وسط العجاجة باديه

يكف لها عنه على سنانه * ويضحك منه فى الخلاء معاويه

﴿فصل﴾ وذكر مقتل حنظلة بن أبى عامر الغسيل واسم أبى عامر عمرو وقيل عبد عمرو بن صيفى وذكر شداد بن الاسود بن شعوب حين قتله بعدما كان علا حنظلة أباسفيان ليقتله وذكر الحميدى فى التفسير مكان شداد جعونة بن شعوب الليثى وهو مولى نافع بن أبى نعيم القارى وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم لتغسله الملائكة يعنى حنظلة وفى غير السيرة قال رأيت الملائكة تغسله فى صحاف الفضة بماء المزن بين السماء والارض قال ابن اسحاق فسئلت صاحبته فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة صاحبته يعنى امرأته وهى جميلة بنت أبى بن سلول أخت عبد الله بن أبى وكان ابتنى بها تلك الليلة فكانت عروسا عنده فرأت فى النوم تلك الليلة كأن بابا فى السماء قد فتح له فدخله ثم أغلق دونه فعلمت انه ميت من

وانك لو عاينت ما كان منهم * لابت بقلب ما بقيت نخيب «قال ابن هشام» وانما أجاب الحرث بن هشام أباسفيان لانه ظن انه عرض به فى قوله وما زال مهرى مزجر الكلب منهم لفرار الحرث يوم بدر * قال ابن اسحق ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة لاشك فيها * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عبد الله بن الزبير عن الزبير انه قال والله لقد رأيتنى انظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب مادون أخذهن قليل ولا كثير اذا مالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل فأتينا من خلفنا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم «قال ابن هشام» الصارخ أزب العقبة يعنى الشيطان * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أهل العلم ان اللواء لم يزل صريعا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به وكان اللواء مع صواب غلام لابى طلحة حبشى وكان آخر من أخذه منهم فقاتل به حتى قطعت يداه ثم برك عليه فاخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه

غده فدعت رجالا من قومها حين أصبحت فأشهدتهم على الدخول بها خشية أن يكون فى ذلك نزاع ذكره الواقدى فيما ذكر لى وذكر غيره انه التمس فى القتلى فوجدوه يقطر رأسه ماء وليس بقربه ماء تصديقا لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وفى هذا الخبر متعلق لمن قال من الفقهاء أن الشهيد يغسل اذا كان جنبا ومن الفقهاء من يقول لا يغسل كسائر الشهداء لان التكليف ساقط عنه بالموت * وقول أبى سفيان

وما زال مهرى مزجر الكلب منهم * لدن غدوة حتى دنت لغروب

يروى بخفض غدوة ونصبها فمن خفضه فاعرابه بين لان لدن بمنزلة عند لا يكون ما بعده الا مخفوضا وأما نصبه فغريب وشىء خصت العرب به غدوة ولا يقاس عليها وكثيرا ما يذكرها سيبويه ويمنع من القياس عليها وذلك ان لدن يقال فيها لدن ولد فلما كانت تارة تنون ولا تنون أخرى شبهوها اذا نونت باسم الفاعل فنصبوا غدوة بعدها تشبيها بالمفعول ولولا ان غدوة تنون اذا نكرت وتنون ضرورة اذا كانت معرفة ما عرف نصبها لانها اسم غير منصرف للعلمية والتأنيث فخفضها ونصبها سواء فاذا نونت للضرورة كما فى بيت أبى سفيان أو أردت غدوة من الغدوات تبين حينئذ انهم قصدوا النصب والتشبيه بالمفعول ووجه آخر من البيان وهو انهم قد رفعوها فقالوا لدن غدوة غير مصروفة كما يرفع الاسم بعد اسم الفاعل اذا كان فاعلا وينصب اذا كان مفعولا اذا نون اسم الفاعل كذلك غدوة بعد لدن لا يكون هذا فيها الا اذا نونت لدن فان قلت لدغدوة لم يكن الا الخفض ان نونتها وان تركت صرفها للتعريف فالفتحة علامة خفضها ولا تكون غدوة علما الا اذا أردتها ليوم بعينه وبكرة مثلها فى العلمية وليست مثلها مع لدن وضحوة وعشية مصر وفتان وان أردتهما اليوم بعينه وقد فرغنا من كشف أسرار هذا الباب فى نتائج الفكر وأوضحنا هنالك بدائع وعجائب لم يبينها أحد الا انها منتزعة من فحوى كلام سيبويه ومن قواعده التى أصل والحمد لله * وقول أبى سفيان فى هذا الشعر بهم خدب الخدب الهوج وفى الجمهرة طعنة خدباء اذا هجمت على الجوف وهذا هو الذى أراد أبو سفيان بالخدب * وأما قول حسان

اذا عضل سيقت الينا كانها * جداية شرك معلمات الحواجب

شرك جمع شراك (والجداية جداية السرج على ان المعروف جدية السرج لا جدايته فى أقرب من هذا المعنى ان يريد الجداية من الوحش وبالشرك الاشراك التى تنصب لها ولذلك قال داميات الحواجب وهذا أصح فى معناه فقد ذكر أبو عبيد ان الجداية يقال للواحد والجميع والذكر والانثى من أولاد الظباء ويبعد أن تكون الجداية جمع جدية وهى جدية السرج والرحل وان كان قد يقال فى الجمع فعال وفعالة نحو جمال وجمالة ولكنه ها هنا بعيد من طريق المعنى والله أعلم)[1] ويروى شرك بكسر الشين وأقرب ما يقال فى معنى هذا البيت انه أراد الجداية من الوحش وهى أولاد الظباء ونحوها وقد ذكر أبو عبيد انه يقال جداية للواحد والجمع والذكر والانثى فيكون الشرك على هذا فى معنى الاشراك التى يصاد بها وقد قيل ان شركا اسم موضع والله أعلم وعضل قبيلة من خزيمة غادرة وسيأتى ذكر غدر عضل والقارة وقوله معلمات الحواجب يعنى بالدماء ويجوز أن يريد سوادها ما بين أعينها كما أنشد سيبويه

وكانه لهق السراة كانه * ما حاجبيه معين بسواد

﴿ فصل ﴾ وذكر الصارخ يوم أحد بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول ابن هشام الصارخ ازب العقبة هكذا قيد فى هذا الموضع بكسر الهمزة وسكون الزاى وذكرنا فى بيعة العقبة ما قاله ابن ما كولا

١) هذه الجملة التى بين الدائرتين لم تثبت فى النسخة الثانية فاثبتناها كما هى فليحرر

في

وهو يقول اللهم هل أعذرت يقول أعذرت فقال حسان بن ثابت فى ذلك

فخرتم باللواء وشر فخر * لواء حين رد الى صواب

جعلتم فخركم فيه بعبد * والأم من يطأ عفر التراب

ظننتم والسفيه له ظنون * وما ان ذاك من أمر الصواب

بان جلادكم يوم التقينا * بمكة بيعكم حمر العياب

أقر العين ان عصبت يداه * وما ان تعصبان على خضاب

« قال ابن هشام » آخرها بيتا يروى لابى خراش الهذلى وأنشدنيه له خلف الاحمر

أقر العين ان عصبت يداها * وما ان تعصبان على خضاب

فى أبيات له يعنى امرأته فى غير حديث أحد وتروى الابيات أيضا لمعقل بن خويلد الهذلى * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت فى شأن عمرة بنت علقمة الحارثية ورفعها اللواء

اذا عضل سقيت الينا كانها * جداية شرك معلمات الحواجب

أقمنالهم طعنا مبيرا منكلا * وحزناهم بالضرب من كل جانب

فلولا لواء الحارثية أصبحوا * يباعون فى الاسواق بيع الجلائب

« قال ابن هشام » وهذه الابيات فى أبيات له * قال ابن اسحق وانكشف المسلمون فاصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدث بالحجارة حتى وقع لشقه فاصيبت رباعيته وشج فى وجهه وكلمت شفته وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص * قال ابن اسحق فحدثنى حميد الطويل عن أنس بن مالك قال كسرت رباعية النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج فى وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول كيف يفلحوا قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله عز وجل فى ذلك ليس لك من الامر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون « قال ابن هشام » وذكر ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى ان عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فاخذ على بن أبى طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ومص مالك بن سنان أبو أبى سعيد الخدرى الدم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمه دمى لم تصبه النار « قال ابن هشام » وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن ينظر الى شهيد يمشى على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وذكر يعنى عبد العزيز الدراوردى عن اسحق بن يحيى بن طلحة عن عيسى بن طلحة عن عائشة عن أبى بكر الصديق ان أبا عبيدة بن الجراح نزع احدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله

فى أم كرز بنت الازب بن عمرو بن نكيل وانه قال لا يعرف الازب فى العرب الا هذا وأزب العقبة وذكرنا حديث ابن الزبير الذى ذكره القتبي اذ رأى رجلا طوله شبران على برذعة رحله فنفضها منه ثم عاد اليه فقال ما أنت قال أنا أزب قال وما أزب قال رجل من الجن وذكر باقى الحديث فى هذا الحديث ما يدل على انه أزب مع قول يعقوب فى الالفاظ الازب الرجل القصير والله أعلم هل الازب والازب شيطان واحد أو اثنان ويقال الموضع الذى صرخ منه الشيطان جبل عينين ولذلك قيل لعثمان رضى الله عنه أفررت يوم عينين وعينان أيضا بلد عند الحيرة وبه عرف خليد عينين الشاعر

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن قمئة واسمه عبد الله وهو الذى قتل مصعب بن عمير وجرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعتبة بن أبى وقاص أخو سعد هو الذى كسر رباعيته عليه السلام ثم لم يولد من نسله ولد فبلغ الحلم الا وهو أبخر أو أهتم يعرف ذلك فى عقبه وممن رماه يومئذ عبد الله بن شهاب جد شيخ مالك محمد بن مسلم ابن عبد الله بن شهاب وقد قيل لابن شهاب أكان جدك عبد الله بن شهاب ممن شهد بدرا قال نعم ولكن من ذلك الجانب يعنى مع الكفار وعبد الله هذا هو عبد الله الاصغر وأما عبد الله بن شهاب وهو عبد الله الاكبر فهو من مهاجرة الحبشة توفى بمكة قبل الهجرة وقد اختلف فيهما أيهما كان المهاجر الى أرض الحبشة فقيل الاكبر وقيل الاصغر وكان أحدهما جد الزهرى لابيه والآخر لامه وقد أسلم الذى شهد أحدا مع الكفار وجرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله ينفعه باسلامه * وذكر مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى من بنى خدرة وهو الحارث بن الخزرج والخدرة فى اللغة نحو من خمس الليل وبعده اليعفور وهو خمس آخر من الليل وبعده الجهمة والسدفة والذى قبل الخدرة يقال له الهزيع كل هذا من كتاب كراع * وذكر ان مالك بن سنان مص دم رسول الله صلى الله عليه وسلم وازدرده وقد فعل مثل ذلك ابن الزبير وهو غلام حذور حين أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم دم محاجمه ليدفنه فشربه فقال له النبى صلى الله عليه

عليه وسلم فسقطت ثنيته ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى فكان ساقط الثنيتين * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبي وقاص

اذا الله جازى معشرا بفعالهم * ونصرهم الرحمن رب المشارق
فاخزاك ربي ياعتيب بن مالك * ولقاك قبل الموت احدى الصواعق
بسطت يمينا للنبي تعمدا * فادميت فاه قطعت بالبوارق
فهلا ذكرت الله والمنزل الذي * تصير اليه عند احدى البوائق

«قال ابن هشام» تركنا منها بيتين أقذع فيهما * قال ابن اسحق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيته القوم من رجل يشرى لنا نفسه كما حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن عمرو قال فقام زياد بن السكن في خمسة نفر من الانصار وبعض الناس يقول انما هو عمارة بن يزيد بن السكن فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ثم رجلا يقتلون دونه حتى كان آخرهم زيادا أو عمارة فقاتل حتى اثبتته الجراحة ثم فاءت فئة من المسلمين فاجهضوهم عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدنوه مني فادنوه منه فوسده قدمه فمات وخده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فذكر سعيد بن أبي زيد الانصاري ان أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول دخلت على أم عمارة فقلت لها ياخالة أخبريني خبرك فقالت خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في اصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت اباشر القتال واذب عنه بالسيف وارمي عن القوس حتى خلصت الجراح الى فرأيت على عاتقها جرحا اجوف له غور فقلت من اصابك بهذا قالت ابن قمئة اقمأه الله لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له انا ومصعب بن عمير واناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان * قال ابن اسحق وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رأيته يناولني النبل وهو يقول ارم فداك أبي وأمي حتى انه ليناولني السهم ماله نصل فيقول ارم به * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها فاخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته * قال ابن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما * قال ابن اسحق وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال انتهى انس بن النضر عم انس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار وقد القوا بايديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فماذا تصنعون بالحياة بعده فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمي انس بن مالك * قال ابن اسحق فحدثني حميد الطويل عن انس بن مالك قال لقد وجدنا بانس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه الا اخته عرفته ببنانه «قال ابن هشام» حدثني بعض اهل العلم ان عبد الرحمن بن عوف اصيب فوه يومئذ فهتم وجرح عشرين جراحة او اكثر اصابه بعضها في رجله فعرج * قال ابن اسحق وكان اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر لي ابن شهاب الزهري كعب ابن مالك قال عرفت عينيه الشريفتين تزهران من تحت المغفر فناديت باعلى صوتي يامعشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم كما قال لمالك حين ازدرد دم جرحه من مس دمه دمي لم تصبه النار لكنه قال لابن الزبير ويل لك من الناس وويل للناس منك ذكره الدارقطني في السنن وفي هذا من الفقه ان دم رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف دم غيره في التحريم وكذلك بوله قد شربته أم أيمن حين وجدته في اناء من عيدان تحت سريره فلم ينكر ذلك عليها وذلك والله أعلم للمعنى الذي بيناه في حديث نزول الملكين عليه حين غسلا جوفه بالثلج في طست الذهب فصار بذلك من المتطهرين وبينا أيضاً هنالك انه من المتطهرين كامته لتطهره من الاحداث والحمد لله الا ان أبا عمر النمري ذكر في الاستيعاب ان رجلا من الصحابة اسمه سالم حجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرد دمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما علمت ان الدم كله حرام غير انه حديث لا يعرف له اسناد والله أعلم وحديث ابن الزبير الذي تقدم ذكره روى الزبير بن أبي بكر ما يشده ويتمم معناه قال في حديث أسنده لما ولد عبد الله بن الزبير نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو هو فلما سمعت بذلك أسماء أمه امسكت عن ارضاعه فقال لها عليه السلام ارضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه

فصل

فاشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان انصت * قال ابن اسحق فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب معه ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضوان الله عليهم والحارث ابن الصمة ورهط من المسلمين فلما اسند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب ادركه ابى بن خلف وهو يقول أى محمد لا نجوت ان نجوت فقال القوم يارسول الله ايعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة يقول بعض القوم فيما ذكر لى فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض بها «قال ابن هشام» الشعراء ذباب له لدغ ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا «قال ابن هشام» تدأدأ يقول تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج * قال ابن اسحق وكان أبى بن خلف كما حدثنى صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول يا محمد ان عندى العود فرسا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما رجع الى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم قال قتلنى والله محمد قالوا له ذهب والله فؤادك والله ان بك من بأس قال انه قد قال لى بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به الى مكة * قال ابن اسحق فقال حسان بن ثابت فى ذلك

لقد ورث الضلالة عن أبيه * أبى يوم بارزه الرسول
أتيت اليه تحمل رم عظم * وتوعده وأنت به جهول
وقد قتلت بنو النجار منكم * أمية اذ يغوث يا عقيل
وتب ابنا ربيعة اذ أطاعا * أبا جهل لامهما الهبول
وأفلت حارث لما شغلنا * باسر القوم أسرته قليل

(١٣٧)

«قال ابن هشام» أسرته قبيلته * وقال حسان بن ثابت أيضاً فى ذلك

ألا من مبلغ عنى أبيا * فقد ألقيت فى سحق السعير
تمنى بالضلالة من بعيد * وتقسم أن قدرت على النذور
تمنيك الامانى من بعيد * وقول الكفر يرجع فى غرور
فقد لاقتك طعنة ذى حفاظ * كريم البيت ليس بذى فجور
له فضل على الاحياء طرا * اذا نابت ملمات الامور

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب خرج على بن أبى طالب حتى ملأ درقته ماء من المهراس فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه فوجد له ريحا فعافه فلم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه * قال ابن اسحق فحدثنى صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبى وقاص انه كان يقول والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصى على قتل عتبة بن أبى وقاص وان كان ما علمت لسيء الخلق مبغضا فى قومه ولقد كفانى منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله * قال ابن اسحق فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب معه أولئك النفر من أصحابه اذ علت عالية من قريش الجبل «قال ابن هشام» كان على تلك الخيل خالد بن الوليد * قال ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه لا ينبغى لهم أن يعلونا فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى اهبطوهم من الجبل * قال ابن اسحق ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة من الجبل ليعلوها وقد كان بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض صلى الله عليه وسلم لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول أوجب طلحة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع «قال ابن هشام» وبلغنى عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنية فى الشعب «قال ابن هشام» وذكر عمر مولى عفرة ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد قاعدا من الجراح التى أصابته وصلى

﴿فصل﴾ وذكر قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبىّ وفيه تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير الشعراء ذباب صغير له لدغ تقول العرب فى أمثالها قيل للذئب ما تقول فى غنيمة تحرسها جويرية قال شعيرة فى حلقى قيل فما تقول فى غنيمة يحرسها غليم قال شعراء فى ابطى أخشى خطواته الخطوات سهام من قضبان لينة يتعلم بها الغلمان الرمى وهى الجماح أيضا قال الشاعر

أصابت حبة القلب * بسهم غير جماح

من كتاب أبى حنيفة ورواه النتبى تطاير الشعر وقال هى جمع شعراء وهى ذباب أصغر من القمع وفى الحديث من غير رواية ابن اسحاق فزجله بالحربة أى رماه بها * وذكر قتادة بن النعمان بن زيد وهو أخو أبى سعيد الخدرى لامه وهو الرجل الذى سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قل هو الله أحد ويرددها فقال وجبت وحديثه فى الموطأ وذكر ان عينه اصيبت يوم أحد روى عن جابر بن عبد الله قال أصيبت عين رجل منا يوم احد وهو قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته

المسلمون خلفه قعودا * قال ابن اسحق وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى بعضهم الى المنقى دون الاعوص الى أحد * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد رفع حسيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران لا أبالك ما تنتظر فوالله ان بقي لواحد منا من عمره الا ظمء حمار انما نحن هامة اليوم أو غد أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ولم يعلم بهما فاما ثابت بن وقش فقتله المشركون وأما حسيل (١٣٨) بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه فقال حذيفة أبي والله

فقالوا والله ان عرفناه وصدقوا قال حذيفة يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا *قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان رجلا منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب أصابته جراحة يوم احد فاتى به الى دار قومه وهو بالموت فاجتمع اليه أهل الدار فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء أبشر يا ابن حاطب بالجنة قال وكان حاطب شيخا قد عسا في الجاهلية فنجم يومئذ نفاقه فقال باي شيء تبشرونه بجنة من حرمل غررتم والله هذا الغلام من نفسه

﴿أمر قزمان﴾ * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال كان فينا من

رجل أتي لا يدرى ممن هو يقال له قزمان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ذكر له انه لمن أهل النار قال فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا باس فاثبتته الجراحة فاحتمل الى دار بني ظفر قال فجعل رجال من المسلمين يقولون له والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فابشر قال بماذا أبشر فوالله ان قاتلت الا عن احساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت قال فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه ﴿قتل مخيريق﴾ * قال ابن اسحق وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق وكان أحد بني ثعلبة بن الفيطون قال لما كان يوم أحد قال يا معشر يهود والله لقد علمتم ان نصر محمد عليكم لحق قالوا ان اليوم يوم السبت قال لا سبت لكم فاخذ سيفه وعدته وقال ان أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ثم غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما

فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي امرأة احبها واخشى ان رأتني أن تقذرني فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله رجل من ذريته فسأله عمر من أنت فقال

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أيما رد
فعادت كما كانت لاول أمرها * فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فوصله عمر واحسن جائزته وقد روى ان عينيه جميعا سقطتا فردهما النبي صلى الله عليه وسلم رواه محمد ابن أبي عثمان عن مالك بن أنس عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة عن ابيه عن ابي سعيد عن اخيه قتادة ابن النعمان قال أصيبت عيناي يوم احد فسقطتا على وجنتي فاتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فاعادهما النبي صلى الله عليه وسلم مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطني هذا الحديث غريب عن مالك تفرد به عمار بن نصر وهو ثقة ورواه الدارقطني عن ابراهيم الحربي عن عمار بن نصر

﴿فصل﴾ وذكر ثابت بن وقش والوقش الحركة وحسيل بن جابر والد حذيفة بن اليمان وسمي حسيل بن جابر اليماني لانه من ولد جروة بن مازن بن قطيعة بن عبس وكان جروة قد بعد عن أهله في اليمن زمنا طويلا ثم رجع اليهم فسموه اليماني وحذيفة بن اليمان يكنى أبا عبد الله حليف بني عبد الاشهل امه الرباب بنت كعب قال ابن اسحاق فاختلفت عليه يعني اليماني اسياف المسلمين وفي تفسير ابن عباس ان الذي قتله منهم خطأ هو عتبة بن مسعود اخو عبد الله بن مسعود وجد عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الفقيه ذكره عبد بن حميد في التفسير وعتبة هو اول من سمى المصحف مصحفا فيما روى ابن وهب في الجامع وقول ثابت بن وقش وحسيل انما نحن هامة اليوم أو غد يريد الموت وكان من مذهب العرب في الميت ان روحه تصير هامة ولذلك قال الآخر * وكيف حياة اصداء وهام * وقوله لم يبق من عمرنا الا ظمؤ حمار انما قال ذلك لان الحمار أقصر الدواب ظمأ والابل اطولها اظماء * وذكر قزمان وهو اسم مأخوذ

بلغنا مخيريق خير يهود

﴿ أمر الحرث بن سويد بن صامت ﴾

قال ابن اسحق وكان الحرث بن سويد بن صامت منافقا فخرج يوم أحد مع المسلمين فلما التقى الناس عدا على المجذر بن ذياد البلوي وقيس بن زيد أحد بني ضبيعة فقتلهما ثم لحق بمكة بقريش وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون قد أمر عمر بن الخطاب بقتله ان هو ظفر به ففاته فكان بمكة ثم بعث الى أخيه الجلاس بن سويد يطلب التوبة ليرجع الى قومه فانزل الله تعالى فيه فيما بلغني عن ابن عباس كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين الى آخر القصة «قال ابن هشام» حدثني من أثق به من أهل العلم ان الحرث بن سويد قتل المجذر ابن ذياد ولم يقتل قيس بن زيد والدليل على ذلك ان ابن اسحق لم يذكره في قتلى أحد وانما قتل المجذر لان المجذر بن زياد كان قتل أباه سويدا في بعض الحروب التي كانت بين الاوس والخزرج وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه اذ خرج الحارث بن سويد من بعض حوائط المدينة وعليه ثوبان مضرجان فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فضرب عنقه ويقال بعض الانصار * قال ابن اسحق قتل سويد بن الصامت معاذ بن عفراء غيلة في غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بعاث * قال ابن اسحق وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبي سفيان مولى ابن أبي احمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان يقول حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط فاذا لم يعرفه الناس سألوه من هو فيقول أصيرم بني عبد الاشهل عمرو بن ثابت بن وقش قال الحصين فقلت لمحمود بن أسد كيف كان شأن الاصيرم قال كان يأبى الاسلام على قومه فلما كان يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد بدا له في الاسلام فاسلم ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل في عرض الناس فقاتل حتى اثبتته الجراحة قال فبينا رجال من بني عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا للاصيرم ما جاء به لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الحديث فسألوه ما جاء به فقالوا ما جاء بك يا عمرو أحدب على قومك أم رغبة في الاسلام قال بل رغبة في الاسلام آمنت بالله و برسوله وأسلمت ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قاتلت حتى أصابني ثم لم يلبث ان مات في أيديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن أهل الجنة

﴿ مقتل عمرو بن الجموح وخروجه ﴾

* قال ابن اسحق وحدثني أبي اسحق بن يسار عن أشياخ من بني سلمة ان عمرو بن الجموح كان رجلا أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الاسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له ان الله عز وجل قد عذرك فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بني يريدون ان يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله اني لارجو ان أطأ بعرجتي هذه في الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة فخرج معه فقتل يوم أحد

﴿ أمر هند والمثلة بحمزة رضي الله عنه ﴾

قال ابن اسحق ووقعت هند بنت عتبة كما حدثني صالح بن كيسان والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والآنف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم خدما وقلائد وأعطت هند خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيا غلام جبير بن مطعم وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت باعلى صوتها فقالت

نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر * ولا أخي وعمه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري * شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي علي عمري * حتى ترم أعظمي في قبري

فاجابتها هند بنت اثاثة بن عباد بن المطلب فقالت

خزيت في بدر وبعد بدر * يابنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر * ملهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري * حمزة ليثي وعلي صقري
اذ رام شيب وأبوك غدري * فخضبا منه ضواحي النحر

من القزم وهو رذال المال ويقال القزمان الردى من كل شيء * وذكر الاصيرم وهو عمرو بن ثابت بن وقش ويقال فيه وقش بتحريك القاف * وقول حاطب المنافق الجنة من حرمل يريد الارض التي دفن فيها وكانت تنبت الحرمل أي ليس له جنة الا ذاك

﴿ فصل ﴾ وذكر خبر عمرو بن الجموح حين اراد بنوه ان يمنعوه من الخروج الى آخر القصة وزاد غير ابن اسحاق انه لما خرج قال اللهم لا تردني فاستشهد فجعلوه بنوه على بعير ليحملوه الى المدينة فاستصعب عليهم البعير فكان اذا وجهوه الى كل جهة سارع الا جهة المدينة فكان يأبى الرجوع اليها فلما لم يقدروا عليه ذكروا قوله اللهم لا تردني اليها فدفنوه في مصرعه

﴿ فصل ﴾ وقول هند بنت اثاثة * ملهاشميين الطوال الزهر * بحذف النون من حرف من لالتقاء

* ونذرك السوء فشرنذر * « قال ابن هشام » تركنامنها ثلاثة أبيات أقذعت فيها * قال ابن أسحق وقالت هند بنت عتبة أيضاً

شفيت من حمزة نفسي باحد * حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عني ذاك ما كنت أجد * من لذعة الحزن الشديد المعتمد
والحرب تعلوكم بشؤبوب برد * نقدم أقداما عليكم كالاسد

* قال ابن اسحق فحدثني صالح بن كيسان انه حدث ان عمر ابن الخطاب قال لحسان بن ثابت يا ابن الفريعة « قال ابن هشام » الفريعة بنت خالد بن خنيس و يقال خنبس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود ابن زيد ابن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج لو سمعت ما تقول هند و رأيت اشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا وتذكر ما صنعت بحمزة قال له حسان والله انى لا نظر الى الحربة تهوى و أنا على رأس فارع يعنى أطمه فقلت والله ان هذه لسلاح ماهى من سلاح العرب وكانها انما تهوى الى حمزة ولا أدرى ولكن أسمعنى بعض قولها أكفيكموها قال فانشده عمر بن الخطاب بعض ما قالت فقال حسان بن ثابت

أشرت لكاع وكان عادتها * لؤما اذا أشرت مع الكفر

(١٤٠)

« قال ابن هشام » وهذا البيت فى أبيات له تركناها وأبياتا أيضا له على الدال وأبياتا أخر على الذال لانه أقذع فيها

﴿ لوم الحليس بن زبان الكنانى أبا سفيان على المثلة بحمزة رضى الله عنه ﴾

قال ابن اسحق وقد كان الحليس بن زبان أخو بنى الحرث بن عبد مناة وهو يومئذ سيد الاحابيش مر بابى سفيان وهو يضرب فى شدق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح و يقول ذق عقق فقال الحليس يابنى كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ماترون لحما فقال و يحك اكتمها عنى فانها كانت زلة ثم ان ابا سفيان بن حرب حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ باعلى صوته فقال أنعمت فعال ان الحرب سجال يوم بيوم بدر أعل هبل أى أظهر دينك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عمر فاجبه فقل الله اعلى و أجل لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فلما أجاب عمر أباسفيان قال له أبو سفيان هلم الى يا عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ائته فانظر ماشانه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا قال عمر اللهم لا وانه ليسمع كلامك الآن قال أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر لقول ابن قمئة لهم انى قد قتلت محمدا * قال ابن هشام واسم ابن قمئة عبد الله * قال ابن اسحق ثم نادى أبو سفيان انه قد كان فى قتلاكم مثل والله مارضيت وما سخطت وما نهيت وما أمرت * ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى ان موعدكم بدر للعام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم هو بيننا و بينك موعد ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فقال اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وما يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون المدينة والذى نفسى بيده لئن أرادوها لاسيرن اليهم فيها ثم لاناجزنهم قال على فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل و وجهوا الى مكة وفرغ الناس لقتلاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى محمد بن

الساكنين ولا يجوز ذلك الا فى من وحدها لكثرة استعمالها كما خصت نونها بالفتح اذا التقت مع لام التعريف ولا يجوز ذلك فى نون ساكنة غيرها كرهوا توالى الكسرتين مع توالى الاستعمال فان التقت مع ساكن غير لام التعريف نحو من ابنك ومن اسمك كسرت على الاصل والقياس المستتب قال سيبويه وقد فتحها قوم فصحاء يعنى مع غير لام التعريف * وقول حسان فى هند أشرت لكاع جعل اسمها فى غير النداء وذلك جائز وان كان فى النداء أكثر نحو ياغدار و يافساق وكذلك لكع قد استعمل فى غير النداء نحو قوله عليه السلام أين لكع يعنى الحسن أو الحسين ممازحا لهما فان قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يمزح ولا يقول الا حقا فكيف يقول أين لكع وقد سماه سيدا فى حديث آخر فالجواب انه أراد التشبيه باللكع الذى هو الفلو أو المهر لانه طفل كما ان الفلو والمهر كذلك واذا قصد بالكلام قصد التشبيه لم يكن كذبا ونحو قوله عليه السلام لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس فى الدنيا لكع بن لكع واللكع فى اللغة وسخ الغرلة وهو أيضا الفلو الصغير فمن أجل هذا اجاز أن يستعمل فى غير النداء لانه على هذا الوجه غير معدول كما عدل خبث عن خبيث وفسق عن فاسق وقال ابن الانبارى فى الزاهر اشتقاقه من الملاكم وهو ما يخرج مع المولود من ماء الرحم ودمها وأنشد

رمت الفلاة بمجل متسربل * غرس السلى وملاكم الامشاج

قال و يقال فى الواحد يالكع وفى الاثنين ياذوى لكيعة ولكاعة ولا تصرف لكيعة ولكن تصرف لكاعة لانه مصدر وفى الجميع ياذوى لكيعة ولكاعة و فى المؤنث على هذا القياس « قال المؤلف » ولا يقال يالكاعان ولا فسقان لسر شرحناه فى غير هذا الكتاب وتلخيص معناه ان العرب قصدت بهذا البناء فى النداء قصد العلم لان الاسم العلم ألزم للمسمى من الوصف المشتق من الفعل نحو فاسق وغادر كما قالوا عمر وعدلوا عن عامر الذى هو وصف فى الاصل تحقيقا منهم للعلمية ثم ان الاسم العلم لا يثنى [ولا يجمع] وهو علم فاذا ثنى زال عنه تعريف العلمية

عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني أخو بني النجار من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات فقال رجل من الانصار أنا أنظر لك يارسول الله ما فعل سعد فنظر فوجده جريحا في القتلى و به رمق قال فقلت له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني ان أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات قال أنا في الأموات فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام وقل له ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيرا ما جزى نبيا عن أمته وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم انه لا عذر لكم عند الله ان خلص الى نبيكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عين تطرف قال ثم لم أبرح حتى مات قال فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره * قال ابن هشام وحدثني أبو بكر الزبيري ان رجلا دخل على أبي بكر الصديق و بنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشفها و يقبلها فقال له الرجل من هذه قال هذه بنت رجل خير مني سعد بن الربيع كان من النقباء يوم العقبة (١٤١) وشهد بدرا واستشهد يوم أحد * قال ابن اسحق وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع أنفه وأذناه فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى ما رأى لولا أن تحزن صفية وتكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب * قال ابن هشام ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال لن أصاب بمثلك أبدا ما وقفت موقفا قط أغيظ الي من هذا ثم قال جاءني جبريل فأخبرني ان حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وأبو سلمة بن عبد الاسد اخوة من الرضاعة أرضعتهم مولاة لأبي لهب * قال ابن اسحق وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمي عن محمد بن كعب القرظي وحدثني من لا اتهم عن ابن عباس ان الله عز وجل أنزل في ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول اصحابه وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون فعفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثل * قال ابن اسحق وحدثني حميد الطويل عن الحسن عن سمرة ابن جندب قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام قط ففارقه حتى يأمرنا بالصدقة و ينهانا عن المثلة

العلمية فمن أجل ذلك لم يثنوا يا فسق و يا غدر لان في ذلك نقضا للمقصود ومن تنزيله منزلة الاسم العلم أي انه مستحق لان يسمى بهذا الاسم فهذا أبلغ من أن يقولوا يا فاسق فيجيئوا بالاسم الذي يجري مجرى الفعل والفعل غير لازم والعلم ألزم منه والتثنية والجمع تبطل العلمية كما ذكرنا فافهمه ووقع في الموطأ من رواية يحيى في حديث عبد الله بن عمر انه قال لمولاة له اقعدي لكع وقد عيبت هذه الرواية على يحيى لان المرأة انما يقال لها لكاع وقد وجدت الحديث كما رواه يحيى في كتاب الدارقطني و وجهه في العربية انه منقول غير معدول فجاز أن يقال للامة يا لكع كما يقال لها اذا سبت يا زبيل و يا وسخ اذ اللكع ضرب من الوسخ كما قدمنا وهو في كتاب العين

«فصل» وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع فقال رجل من الانصار أنا وذكر الحديث الرجل هو محمد بن مسلمة ذكره الواقدي وذكر انه نادى في القتلى يا سعد بن الربيع مرة بعد مرة فلم يجبه أحد حتى قال يا سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني انظر ما صنعت فأجابه حينئذ بصوت ضعيف وذكر الحديث وهذا خلاف ما ذكره أبو عمر في كتاب الصحابة فانه ذكر فيه من طريق ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده ان الرجل الذي التمس سعدا في القتلى هو أبي بن كعب * وذكر عن حميد الطويل عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن المثلة وحميد الطويل هو حميد بن تير و يه و يقال ابن تيري يكنى اباحميدة مولى طلحة الطلحات وهو حديث صحيح في النهي عن المثلة «فان قيل» فقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرنيين فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم بالحرة «قلنا» في ذلك جوابان أحدهما انه فعل ذلك قصاصا لانهم قطعوا أيدي الرعاء وأرجلهم وسملوا اعينهم روى ذلك في حديث انس وقيل ان ذلك قبل تحريم المثلة فان قيل فقد تركهم يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا عطشا قلنا عطشهم لانهم عطشوا اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة روي في حديث مرفوع انه عليه السلام لما بقي هو واهله تلك الليلة بلا لبن قال اللهم عطش من عطش اهل بيت نبيك وقع هذا في شرح ابن بطال [وقد خرجه النسوي]

* قال ابن اسحق وحدثنى من لا اتهم عن مقسم مولى عبد الله بن الحرث عن ابن عباس قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسجى ببردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم اتى بالقتلى يوضعون الى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة * قال ابن اسحق وقد اقبلت فيما بلغنى صفية بنت عبد المطلب لتنظر اليه وكان اخاها لابيها وامها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام القها فارجعها لاترى ما باخيها فقال لها يا أمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان ترجعى قالت ولم وقد بلغنى ان قد مثل باخى وذلك فى الله فما أرضانا بما كان من ذلك لاحتسبن ولاصبرن ان شاء الله فلما جاء الزبير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك قال خل سبيلها فاتته فنظرت اليه فصلت عليه واسترجعت واستغفرت له ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن فزعم لى آل عبد الله بن جحش وكان لاميمة بنت عبد المطلب حمزة خاله وقد مثل به كما مثل بحمزة الا انه لم يبقر عن كبده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دفنه مع حمزة فى قبره ولم أسمع ذلك الا عن أهله * قال ابن اسحق وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم الى المدينة فدفنوهم بها ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال ادفنوهم حيث صرعوا * قال ابن اسحق وحدثنى محمد ابن مسلم الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذرى حليف بنى زهرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على القتلى يوم أحد قال أنا شهيد على هؤلاء انه ما من جريح يجرح فى الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون دم والريح ريح مسك أنظروا أكثر هؤلاء جمعا للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه فى القبر وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة فى القبر الواحد * وحدثنى عمى موسى بن يسار انه سمع أبا هريرة يقول قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ما من جريح يجرح فى الله الا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى اللون لون دم والريح ريح مسك * قال ابن اسحق وحدثنى ابى اسحق بن يسار عن أشياخ من بنى سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ حين أمر بدفن القتلى انظروا الى عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام فانهما كانا متصافيين فى الدنيا فاجعلوهما فى قبر واحد * قال ابن اسحق ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش كما ذكر لى فلما لقيت الناس نعى اليها اخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ثم نعى لها زوجها

﴿فصل﴾ وروى ابن اسحاق عمن لا يتهم عن مقسم عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى على حمزة وعلى شهداء يوم احد ولم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الاوزاعى لوجهين احدهما ضعف اسناد هذا الحديث فان ابن اسحق قال حدثنى من لا أتهم يعنى الحسن بن عمارة فيما ذكروا ولا خلاف فى ضعف الحسن بن عمارة عند اهل الحديث وأكثرهم لا يرونه شيئا وان كان الذى قال فيه ابن اسحاق حدثنى من لا أتهم غير الحسن فهو مجهول والجهل يوبقه والوجه الثانى انه حديث لم يصحبه العمل ولا يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى على شهيد فى شىء من مغازيه الا هذه الرواية فى غزوة أحد وكذلك فى مدة الخليفتين الا أن يكون الشهيد مرتثا من المعركة وأما ترك غسله فقد أجمعوا عليه وان اختلفوا فى الصلاة الا رواية شاذة عند بعض التابعين والمعنى فى ذلك والله أعلم تحقيق حياة الشهداء وتصديق قوله سبحانه «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا» الآية مع ان فى ترك غسله معنى آخر وهو ان دمه أثر عبادة وهو يجىء يوم القيامة وجرحه يثعب دما وريحه ريح المسك فكيف يطهر منه وهو طيب. وأثر عبادة ومن هذا الاصل انتزع بعض العلماء كراهية تجفيف الوجه من ماء الوضوء وهو قول الزهرى قال الزهرى وبلغنى انه يوزن ومن هذا الاصل انتزع كراهية السواك بالعشى للصائم لئلا يذهب خلوف فمه وهو أثر عبادة وجاء فيه ما جاء فى دم الشهداء انه أطيب عند الله من ريح المسك ويروى أطيب يوم القيامة من ريح المسك رواه مسلم باللفظين جميعا والمعنى واحد وجاءت الكراهية للسواك بالعشى للصائم عن على وأبى هريرة ذكر ذلك الدارقطنى * وذكر عبد الله بن جحش بن أخت حمزة وانه مثل به كما مثل بحمزة وعبد الله هذا يعرف بالمجدع فى الله لانه جدع انفه وأذناه يومئذ وكان سعد بن أبى وقاص يحدث انه لقيه يوم احد أول النهار فخلا به وقال له عبد الله يا سعد هلم فلندع الله وليذكر كل واحد منا حاجته فى دعائه وليؤمن الآخر قال سعد فدعوت الله أن ألقى فارسا شديدا بأسه شديدا حرده من المشركين فاقتله وآخذ سلبه فقال عبد الله آمين ثم استقبل عبد الله القبلة ورفع يديه الى السماء وقال اللهم لقنى اليوم فارسا شديدا بأسه شديدا حرده يقتلنى ويجدع أنفى وأذنى فاذا لقيتك غدا تقول لى يا عبدى فيم جدع انفك واذناك فاقول فيك يارب وفى رسولك فتقول لى صدقت قل يا سعد آمين قال فقلت آمين ثم مررت به آخر النهار قتيلا مجدوع الانف والاذنين وان اذنيه وانفه معلقان بخيط ولقيت أنا فلانا من المشركين فقتلته وأخذت سلبه وذكر الزبير ان سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم احد فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد فى يده سيفا فقاتل به فكان يسمى ذلك السيف العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركى بمائتى دينار وهذا

نحو

مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوج المرأة منها لبمكان لما رأى من تثبتها عند اخيها وخالها وصياحها على زوجها * قال ابن اسحق ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الانصار من بنى عبد الاشهل وظفر فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قال لكن حمزة لا بواكى له فلما سمع سعد بن معاذ واسيد بن حضير الى دار بنى عبد الاشهل أمرا نساءهم ان يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق حدثنى حكيم بن حكيم ابن عباد بن حنيف عن بعض رجال بنى عبد الاشهل قال لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه فقال ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بانفسكن « قال ابن هشام » ونهى يومئذ عن النوح « قال ابن هشام » وحدثنى ابو عبيدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما سمع بكاءهن قال رحم الله الانصار فان (١٤٣) المواساة منهم ما عمت لقديمة مروهن فلينصرفن * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الواحد ابن ابى عون عن اسماعيل بن محمد عن سعد بن ابى وقاص قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها واخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باحد فلما نعوا لها قالت فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا يا ام فلان هو بحمد الله كما تحبين قالت أرونيه حتى انظر اليه قال فاشير لها اليه حتى اذا رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة « قال ابن هشام » الجلل يكون من القليل ومن الكثير وهو ههنا من القليل قال امرؤ القيس فى الجلل القليل

لقتل بنى اسد ربهم * الا كل شئ سواه جلل

أى صغير وقليل « قال ابن هشام » والجلل أيضا العظيم قال الشاعر وهو الحارث بن وعلة الجرمى

ولئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمى

* قال ابن اسحق فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال اغسلى عن هذا دمه يا بنية فوالله لقد صدقنى اليوم وناولها على بن ابى طالب سيفه فقال وهذا أيضا فاغسلى عنه دمه فوالله لقد صدقنى اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وابو دجانة « قال ابن هشام » وكان يقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو الفقار « قال ابن هشام » وحدثنى بعض أهل العلم ان ابن ابى نجيح قال نادى مناد يوم أحد لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على « قال ابن هشام » وحدثنى بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن ابى طالب لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا * قال ابن اسحق وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال فلما كان الغد يوم الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله

نحو من حديث عكاشة الذى تقدم الا أن سيف عكاشة كان يسمى العون وكانت قصة عكاشة يوم بدر وكان الذى قتل عبد الله بن جحش أبو الحكم بن الاخنس بن شريق وكان عبد الله حين قتل ابن بضع وأربعين سنة فيما ذكروا ودفن مع حمزة فى قبر واحد

﴿فصل﴾ ومما وقع فى هذه الغزوة من الكلام الذى يسئل عنه قول أبى سفيان حين قال اعل هبل أى زد علوا ثم قال أنعمت فعال قالوا معناه الازلام وكان استقسم بها حين خرج الى أحد فخرج الذى يحب وقوله فعال أمر أى عال عنها واقصر عن لومها تقول العرب اعل عنى وعال عنى بمعنى أى ارتفع عنى ودعنى ويروى ان الزبير قال لابى سفيان يوم الفتح أين قولك أنعمت فعال فقال قد صنع الله خيرا وذهب أمر الجاهلية وقول عمر لا سواء أى لا نحن سواء ولا يجوز دخول لا على اسم مبتدأ معرفة الا مع التكرار نحو لا زيد قائم ولا عمرو خارج ولكنه جاز فى هذا الموضع لان القصد فيه الى نفى الفعل أى لا يستوى كما جاز لا نولك أى لا ينبغى لك وقد بينا هذا فى أول الكتاب حيث تكلمنا على * قوله فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

﴿فصل﴾ ومما يليق ذكره بهذه الغزاة حديث مخيريق وهو أحد بنى النضير وقوله ان أصبت فمالى لمحمد يصنع فيه ما شاء فاصيب يوم أحد فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف ماله أوقافا وهو أول حبس حبس فى الاسلام روى ذلك عن محمد بن كعب القرظى وقال الزهرى كانت سبع حوائط وأسماؤها الاعراف والاعواف والصافية والدلال وبرقة وحسنى ومشربة أم ابراهيم وانما سميت مشربة أم ابراهيم لانها كانت تسكنها وقد ذكر ابن اسحق حديث مخيريق وهذا الذى ذكرناه تكملة له وزيادة فائدة فيه * وذكر لا سيف الا ذو الفقار بفتح الفاء جمع فقارة وان قيل ذو الفقار بالكسر فهو جمع فقرة وقد تقدم شرحه ووقع فى غير هذه الرواية ان ريحا هبت يوم احد فسمعوا قائلا يقول

لا سيف الا ذو الفقار * ولا فتى الا على

فى أبيات ذكرها وذكر ابن اسحق أيضا من غير رواية البكائى قول على لفاطمة حين غسلت سيفه من الدم

أفاطم هائى السيف غير ذميم * فلست برعديد ولا بلئيم

عليه وسلم فى الناس بطلب العدو واذن مؤذنه ان لا يخرج معنا أحد الا أحد حضر يومنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال يارسول الله ان أبى كان خلفنى على أخوات لى سبع وقال يابنى انه لا ينبغى لى ولا لك ان نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج فى طلبهم ليظنوا به قوة وان الذى اصابهم لم يوهنهم عن عدوهم * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن ابى السائب مولى عائشة بنت عثمان ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الاشهل كان شهد أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخ لى فرجعنا جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدو قلت لاخى أو قال لى أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله مالنا من دابة نركبها ومامنا الا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أيسر جرحا منه فكان اذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون * قال ابن اسحق فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى الى حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق فاقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة وقد مر به كما حدثنى عبد الله بن ابى بكر معبد بن ابى معبد الخزاعى وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يامحمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك (١٤٤) فى أصحابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الاسد حتى لقى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا أصبنا حد أصحابه واشرافهم وقادتهم ثم نرجع قبل ان نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا

﴿ غزوة حمراء الاسد ﴾

ذكر شعر معبد الخزاعى وفيه * اذا تغطمطت البطحاء بالجيل * لفظ مستعار من الغطمة وهو صوت غليان القدر قوله بالجيل جعل الردف حرف لين والابيات كلها مردفة الروى بحرف مد ولين وهذا هو السناد الذى بيناه فى أول الكتاب عند قول ابن اسحق فسوند بين القبائل ونظيره قول ابن كلثوم *الا هبى بصحنك فاصبحينا * ثم قال تصفقها الرياح اذا جرينا وتسمية هذا سنادا عربية لا صناعية قال عدى بن الرقاع

وقصيدة قد بت أجمع بينها * حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف فى كعوب قناته * كيما يقيم ثقافه منآدها

قال ماوراءك يامعبد قال محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على ما ضيعوا فيهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط قال ويحك ما تقول قال والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فانى أنهاك عن ذلك قال والله لقد حملنى ما رأيت على ان قلت فيهم أبياتا من شعر قال وما قلت قال قلت

وقوله

كادت تهد من الاصوات راحلتى * اذ سالت الارض بالجرد الابابيل
تردى باسد كرام لا تنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عدوا أظن الارض مائلة * لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم * اذا تغطمطت البطحاء بالجيل
انى نذير لاهل البسل ضاحية * لكل ذى اربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخش تنابلة * وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا نريد المدينة قال ولم قالوا نريد الميرة قال فهل أنتم مبلغون عنى محمدا رسالة أرسلكم بها اليه وأحمل لكم هذه غدا زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال فاذا وافيتموه فاخبروه أنا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذى قال أبو سفيان فقال حسبنا الله ونعم الوكيل «قال ابن هشام» حدثنا ابو عبيدة ان أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع الى المدينة ليستأصلوا بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم صفوان بن أمية بن خلف لا تفعلوا فان القوم قد حربوا وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان فارجعوا فرجعوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد حين بلغه انهم هموا بالرجعة والذى نفسى بيده لقد سومت لهم حجارة لو صبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب قال أبو عبيدة وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه ذلك قبل رجوعه الى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وهو جد عبد الملك

ابن مروان أبو أمه عائشة بنت معاوية وأباعزة الجمحي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسره ببدر ثم من عليه فقال يارسول الله أقلني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول خدعت محمدا مرتين اضرب عنقه يا زبير فضرب عنقه «قال ابن هشام» وبلغني عن سعيد بن المسيب انه قال قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت فضرب عنقه «قال ابن هشام» ويقال ان زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الاسد كان لجأ الى عثمان ابن عفان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه على أنه ان وجد بعد ثلاث قتل فاقام بعد ثلاث وتوارى فبعثهما النبي صلى الله عليه وسلم وقال انكما ستجدانه بموضع كذا وكذا فوجداه فقتلاه * قال ابن اسحق فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان عبد الله بن أبي بن سلول كما حدثني ابن شهاب الزهري له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا له في نفسه وفي قومه وكان فيهم شريفا اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس حتى اذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أي عدو الله لست لذلك باهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول والله لكأنما قلت بجرا أن قمت أشدد أمره فلقيه رجل من الانصار بباب المسجد فقال مالك ويلك قال قمت أشدد أمره فوثب علي رجال من أصحابه يجبذونني ويعنفونني لكأنما قلت بجرا ان قمت أشدد أمره قال ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما أبتغي أن يستغفر لي * قال ابن اسحق وكان يوم أحد يوم بلاء ومصيبة وتمحيص اختبر الله به المؤمنين ومحق به المنافقين ممن كان يظهر الايمان بلسانه وهو مستخف بالكفر في قلبه ويوما أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته والحمد لله كثيرا لا شريك له

وقوله لا تنابلة التنابلة القصار وأحدهم تنبال تفعال من النبل وهي صغار الحصى * وذكر أباعزة وكان الذي أسره عمير بن عبد الله كذا ذكر بعضهم واحسبه عبد الله بن عمير أحد بني خدارة أو عبد الله بن عمير الخطمي ومن خبر أبي عزة ما ذكر الزبير عن ابن جعدبة والضحاك بن عثمان والجعدبة في اللغة واحدة الجعادب وهي النفاخات التي تكون في الماء قال ابرص أبوعزة الجمحي فكانت قريش لا تؤاكله ولا تجالسه فقال الموت خير من هذا فاخذ حديدة ودخل بعض شعاب مكة فطعن بها في معده والمعد موضع عقب الراكب من الدابة وقال ابن جعدبة فمارت الحديدة وقال الضحاك بين الجلد والصفاق فسال منه أصفر فبرئ فقال

اللهم رب وائل ونهد * والتهمات والجبال الجرد
ورب من يرعى بارض نجد * اصبحت عبدالك وابن عبد
أبرأتني من وضح بجلد * من بعد ما طعنت في معدي

* وذكر ارسال أبي سفيان مع الركب بالوعيد وكان الموصل مقالته للمؤمنين نعيم بن مسعود فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل كذلك جاء في التفسير * وذكر قول عبد الله بن أبي حين اخرج من المسجد لكأنما قلت بجرا البجر الامر العظيم والبجاري الدواهي وفي وصية أبي بكر يا هادي الطريق جرت انما هو الفجر والبجر قال الخطابي معناه الداهية وذكر ابن اسحق في غير هذه الرواية قول النبي صلى الله عليه وسلم في قتلى احد ياليتني غودرت مع أصحاب نحص الجبل . نحص الجبل أسفله قاله صاحب العين

﴿ تفسير ما نزل من القرآن في أحد ﴾

﴿ ذكر ما انزل الله عز وجل في أحد من القرآن ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال فكان مما انزل الله تبارك وتعالى في يوم احد من القرآن ستون آية من آل عمران فيها صفة ما كان في يومهم ذلك ومعاتبة من عاتب منهم يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم «قال ابن هشام» تبوئ المؤمنين تتخذ لهم مقاعد ومنازل * قال الكميت ابن زيد

ليتني كنت قبله * قد تبوأت مضجعا

وهذا البيت في ابيات له اي سميع بما تقولون عليم بما تخفون اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا أن تتخاذلا والطائفتان بنو سلمة بن جشم بن الخزرج وبنو حارثة بن النبيت من الاوس وهما الجناحان يقول الله تعالى والله وليهما اي المدافع عنهما ما همتا به من فشلهما وذلك انه انما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن اصابهما عن غير شك في دينهما فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته حتى سلمتا من وهونهما وضعفهما ولحقتا بنبيهما صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» حدثني رجل من الاسد من اهل العلم قال قالت الطائفتان ما نحب انا لم نهم بما هممنا به لتولي الله ايانا في ذلك * قال ابن اسحق يقول الله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون

أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل على وليستعن بى اعنه على امره وادافع عنه حتى ابلغ به وادفع عنه واقويه على نيته ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اى فاتقونى فانه شكر نعمتى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اقل عددا واضعف قوة اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين اى ان تصبروا لعدوى وتطيعوا امرى و يأتوكم من وجههم هذا أمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين «قال ابن هشام» مسومين معلمين بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى انه قال اعلموا على اذناب خيلهم ونواصيها بصوف ابيض فاما ابن اسحق فقال كانت سيماهم يوم بدر عمائم بيضاء وقد ذكرت ذلك فى حديث بدر والسيما العلامة وفى كتاب الله عز وجل سيماهم فى وجوههم من اثر السجود أى علامتهم وحجارة من سجيل منضود مسومة يقول معلمة بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى انه قال عليها علامة انها ليست من حجارة الدنيا وانها من حجارة العذاب قال رؤبة بن العجاج

فالآن تبلى بى الجياد السهم * ولا تجارينى اذا ما سوموا * وشخصت أبصارهم وأجذموا *

وهذه الابيات فى ارجوزة له والمسومة أيضا المرعية وفى كتاب الله تعالى والخيل المسومة ومنه شجر فيه تسميون تقول العرب سوم خيله وابله واسامها اذا رعاها قال الكميت بن زيد

راعيا كان مسجحا ففقدنا * ه وفقد المسيم هلك السوام

وهذا البيت فى قصيدة له وماجعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم أى ماسميت لكم من وسمت من جنود ملائكتى الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به لما (١٤٦) أعرف من ضعفكم وما النصر الا من عندى لسلطانى وقوتى وذلك ان العز والحكم الى لا الى أحد من خلقى ثم قال ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين أى ليقطع طرفا من المشركين بقتل ينتقم به منهم أو يردهم خائبين أى و يرجع من بقى منهم فلا خائبين لم ينالوا شيئا مما كانوا يأملون «قال ابن هشام» يكبتهم يغمهم أشد الغم ويمنعهم ما أرادوا قال ذو الرمة

فيما

ما انس من شجن لا انس موقفنا * فى حيرة بين مسرور ومكبوت

ويكبتهم أيضا يصرعهم لوجوههم * قال ابن اسحق ثم قال لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لك من الامر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون أى ليس لك من الحكم شىء فى عبادى الا ما أمرتك به فيهم او أتوب عليهم برحمتى فان شئت فعلت أو أعذبهم بذنوبهم فبحقى فانهم ظالمون أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم اياى والله غفور رحيم أى يغفر الذنب و يرحم العباد على ما فيهم ثم قال يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة أى لا تأكلوا فى الاسلام اذ هداكم الله به ما كنتم تأكلون اذ أنتم على غيره مما لا يحل لكم فى دينكم واتقوا الله لعلكم تفلحون أى وأطيعوا الله لعلكم تنجون مما حذركم الله من عذابه وتدركون مارغبكم الله فيه من ثوابه واتقوا النار التى أعدت للكافرين اى التى جعلت دارا لمن كفر بى ثم قال وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره ثم قال وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين أى دارا لمن أطاعنى وأطاع رسولى الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين أى وذلك هو الاحسان وأنا أحب من عمل به والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أى ان أتوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بمعصية الله ذكروا نهى الله عنها وما حرم عليهم فاستغفروه لها وعرفوا انه لا يغفر الذنوب الا هو ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أى لم يقيموا على معصيتى كفعل من أشرك بى فيما غلوا به فى كفرهم وهم يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيرى أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار

قد ذكر ابن اسحق ما يحتاج اليه قارىء السيرة من تفسير ذلك وذكر قوله سبحانه «ليس لك من الامر شىء أو يتوب عليهم» الآية لم يزد على ما فى الكتاب منه وفى تفسير الترمذى حديث مرفوع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أبى سفيان والحارث بن هشام وعمرو بن العاصى حتى أنزل الله تعالى «ليس لك من الامر شىء أو يتوب عليهم» قال فتابوا وأسلموا وحسن اسلامهم وهذا حديث ثابت فى حسن اسلام أبى سفيان خلافا لمن زعم غير ذلك واما الحارث بن هشام فلا خلاف فى حسن اسلامه وفى موته شهيدا بالشام وأما عمرو بن العاصى فقد قال فيه النبى عليه السلام أسلم الناس وآمن عمرو وقال فى حديث جرى ما كانت هجرتى للمال وانما كانت لله و رسوله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نعما بالمال الصالح للرجل الصالح فسماه رجلا صالحا والحديث الذى جرى انه كان قال له انى أريد أن أبعثك وجها يسلمك الله فيه و يغنمك وازعب لك زعبة من المال وستأتى نكت وعيون من أخبار الحارث وأبى سفيان

خالدين فيها ونعم أجر العاملين أى ثواب المطيعين * ثم استقبل ذكر المصيبة التى نزلت بهم والبلاء الذى أصابهم والتمحيص لما كان فيهم واتخاذه الشهداء منهم فقال تعزية لهم وتعريفا لهم فيما صنعوا وفيما هو صانع بهم قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين أى قد مضت منى وقائع نقمة فى أهل التكذيب لرسلى والشرك بى عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين فروا مثلات قد مضت منى فيهم ولمن هو على مثل ماهم عليه منى مثل ذلك فانى أمليت لهم أى لئلا يظنوا ان نقمتى انقطعت عن عدوكم وعدوى للدولة التى أدلتهم بها عليكم لنبتليكم بذلك لنعلم ما عندكم ثم قال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين أى هذا تفسير للناس ان قبلوا وهدى وموعظة أى نور وأدب للمتقين أى لمن أطاعنى وعرف أمرى ولا تهنوا ولا تحزنوا أى لا تضعفوا ولا تبتئسوا على ما أصابكم وانتم الاعلون اى لكم تكون العاقبة والظهور ان كنتم مؤمنين أى ان كنتم صدقتم نبيى بما جاءكم به عنى ان يمسسكم قرح أى جراح فقد مس القوم قرح مثله أى جراح مثلها وتلك الايام نداولها بين الناس أى نصرفها بين الناس للبلاء والتمحيص وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين اى ليميز بين المؤمنين والمنافقين وليكرم من اكرم من اهل الايمان بالشهادة والله لا يحب الظالمين اى المنافقين الذين يظهرون بالسنتهم الطاعة وقلوبهم مصرة على المعصية وليمحص الله الذين آمنوا اى يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذى نزل بهم وكيف صبرهم ويقينهم ويمحق الكافرين اى يبطل من المنافقين قولهم بالسنتهم ماليس فى قلوبهم حتى يظهر منهم كفرهم الذى يستترون به ثم قال تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ام حسبتم ان تدخلوا الجنة فتصيبوا من ثوابى الكرامة ولم اختبركم بالشدة

وابتليكم بالمكاره حتى اعلم صدق ذلك منكم بالايمان بى والصبر على ما اصابكم فى ولقد كنتم تمنون الشهادة على الذى انتم عليه من الحق قبل ان تلقوا عدوكم يعنى الذين استنهضوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خروجه بهم الى عدوهم لما فاتهم من حضور اليوم الذى كان قبله ببدر ورغبة فى الشهادة التى فاتتهم بها فقال ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه يقول فقد رايتموه وانتم تنظرون اى الموت بالسيوف فى ايدى الرجال قد خلى بينكم وبينهم وانتم تنظرون اليهم ثم صدهم عنكم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين اى لقول الناس قتل محمد صلى الله عليه وسلم وانهزامهم عند ذلك وانصرافهم عن عدوهم افان مات او قتل رجعتم عن دينكم كفارا كما كنتم وتركتم جهاد عدوكم وكتاب الله وما خلف نبيه صلى الله عليه وسلم من دينه معكم وعندكم وقد بين لكم فيما جاءكم به عنى انه ميت ومفارقكم ومن ينقلب على عقبيه اى يرجع عن دينه فلن يضر الله شيئا اى لن ينقص ذلك عن الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قدرته وسيجزى الله الشاكرين اى من اطاعه وعمل بامره ثم قال وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا اى ان لمحمد صلى الله عليه وسلم اجلا هو بالغه فاذا اذن الله عز وجل فى ذلك كان ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين اى من كان منكم يريد الدنيا ليست له رغبة فى الآخرة نؤته منها ما قسم له من رزق ولا يعدوه فيها وليس له فى الآخرة من حظ ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ما وعد به مع ما يجرى عليه من رزقه فى دنياه وذلك جزاء الشاكرين أى المتقين ثم قال وكاين من نبى قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين أى وكاين من نبى أصابه القتل ومعه ربيون كثير أى جماعة فما وهنوا لفقد نبيهم وما ضعفوا عن عدوهم وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم وذلك الصبر والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين «قال ابن هشام» واحد الربيين

فيما بعد ان شاء الله * وذكر قوله سبحانه «ويتخذ منكم شهداء» وفيه فضل عظيم للشهداء وتنبيه على حب الله اياهم حيث قال ويتخذ منكم شهداء ولا يقال اتخذت ولا أتخذ الا فى مصطفى محبوب قال الله سبحانه «ما اتخذ الله من ولد. وقال ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا» فالاتخاذ انما هو اقتناء واجتباء وهو افتعال من الاخذ فاذا قلت اتخذت كذا فمعناه أخذته لنفسى واخترته لها فالتاء الاولى بدل من ياء وتلك الياء بدل من همزة أخذ فقلبت تاء اذ كانت الواو تنقلب تاء فى مثل هذا البناء نحو اتعد واتزر والياء أخت الواو فقلبت فى هذا الموضع تاء وكثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى قالوا اتخذت بحذف احدى التاءين اكتفاء باحديهما عن الاخرى ولا يكون هذا الحذف الا فى الماضى خاصة لا يقال تتخذ كما يقال تخذ لان المستقبل ليس فيه همزة وصل وانما فروا فى الماضى من ثقل الهمزة فى الابتداء واستغنوا بحركة التاء عنها وكسروا الخاء من تخذت لانه لا مستقبل له مع الحذف فحركوا عين الفعل بالحركة التى كانت له فى المستقبل وكلامنا هذا على اللغة المشهورة والا فقد حكى يتخذ فى لغة ضعيفة ذكرها أبو عبيد وذكرها النحاس فى اعراب القرآن * وذكر قوله سبحانه «أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الى قوله وسيجزى الله الشاكرين» ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب

ربى وقولهم الرباب لولد عبد مناة بن أد بن طابخة بن الياس والضبة لانهم تجمعوا وتحالفوا من هذا يريدون الجماعات وواحدة الرباب ربة وربابة وهى جماعات قداح أو عصى ونحوها فشبهوها بها قال أبو ذؤيب الهذلى

وكانهن ربابة وكانه * يسر يفيض على القداح ويصدع

وهذا البيت فى أبيات له وقال أمية بن أبى الصلت

حول شياطينهم ابابيل ربـ ـبيون شدوا سنورا ومدسورا

وهذا البيت فى قصيدة له «قال ابن هشام» والربابة ايضا الخرقة التى تلف فيها القداح «قال ابن هشام» والسنور الدروع والدسر هى المسامير التى فى الحلق يقول الله عز وجل وحملناه على ذات الواح ودسر قال ابو الاخزر الحمانى من تميم دسرا باطراف القنا المقوم * قال ابن اسحق اى فقولوا مثل ماقالوا واعلموا انما ذلك بذنوب منكم واستغفروه كما استغفروه وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ولا ترتدوا على اعقابكم راجعين واسألوه كما سألوه ان يثبت اقدامكم واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين فكل هذا من قولهم قد كان وقد قتل نبيهم فلم يفعلوا كما فعلتم فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظهور على عدوهم وحسن ثواب الآخرة وما وعد الله فيها والله يحب المحسنين يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين اى عن عدوكم فتذهب دنياكم وآخرتكم بل الله مولاكم وهو خير الناصرين فان كان ماتقولون بالسنتكم صدقا فى قلوبكم فاعتصموا به ولا تستنصروا بغيره ولا ترجعوا على اعقابكم مرتدين عن دينه سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب اى الذى به كنت انصركم عليهم بما اشركوا بى ما لم اجعل لهم من حجة اى فلا تظنوا ان لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم بى واتبعتم امرى للمصيبة التى اصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لانفسكم خالفتم بها امرى وعصيتم فيها نبى صلى الله عليه وسلم ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من

يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين أى لقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم اذ تحسونهم بالسيوف أى القتل باذنى وتسليطى أيديكم عليهم وكفى أيديهم عنكم «قال ابن هشام» الحس الاستئصال يقال حسست الشئ أى استأصلته بالسيف وغيره قال جرير

تحسهم السيوف كما تسامى * حريق النار فى الاجم الحصيد

وهذا البيت فى قصيدة له وقال رؤبة بن العجاج

اذا شكونا سنة حسوسا * تأكل بعد الاخضر اليبيسا

وهذان البيتان فى ارجوزة له * قال ابن اسحق حتى اذا فشلتم أى تخاذلتم وتنازعتم فى الامر أى اختلفتم فى أمرى أى تركتم أمر نبيكم وما عهد اليكم يعنى الرماة من بعد ما أراكم ما تحبون أى الفتح لا شك فيه وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم منكم من يريد الدنيا أى الذين أرادوا النهب فى الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة ومنكم من يريد الآخرة أى الذين جاهدوا فى الله ولم يخالفوا الى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا رغبة فيه رجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا الى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا ليختبركم وذلك ببعض ذنوبكم ولقد عفا الله عن عظيم ذلك أن لا يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم ولكنى عدت بفضلى عليكم وكذلك من الله على المؤمنين ان عاقب ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدبا وموعظة فانه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم بما أصابوا من معصيته رحمة لهم وعائدة عليهم لما فيهم من الايمان ثم أنبهم بالفرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم وهم يدعون ولا يعطفون عليه لدعائه اياهم فقال اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم أى كربا بعد كرب بقتل من قتل من اخوانكم وعلو عدوكم عليكم وبما وقع فى أنفسكم من قول من قال قتل نبيكم فكان ذلك مما تتابع عليكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من ظهوركم على عدوكم بعد أن رأيتموه بأعينكم ولا ما أصابكم من قتل اخوانكم حتى فرجت ذلك الكرب عنكم والله خبير بما تعملون أى وكان الذى فرج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذى أصابهم ان الله عز وجل رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم صلى الله عليه

أهل الردة على أعقابهم فلم يضر ذلك دين الله ولا أمة نبيه وكان أبو بكر يسمى امير الشاكرين لذلك وفى هذه الآية دليل على صحة خلافته لانه الذى قاتل المنقلبين على أعقابهم حين ردهم الى الدين الذى خرجوا منه وكان فى قوله سبحانه «وسيجزى الله الشاكرين» دليل على انهم سيظفرون بمن ارتد وتكمل عليهم النعمة فيشكرون فتحر يضه اياهم على الشكر والشكر لا يكون الا على نعمة دليل على ان بلاء الردة لا يطول وان الظفر بهم سريع كما كان وكذلك قوله سبحانه «قل للمخلفين من الاعراب» فيه أيضاً التصحيح لخلافة أبى بكر لانه الذى دعى الاعراب الى جهاد حنيفة وكانوا أولى بأس شديد ولم يقاتلوا الجزية وانما قوتلوا ليسلموا وكان قتالهم بامر أبى بكر وفى سلطانه ثم قال «فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً» فاوجب عليهم الطاعة لابى بكر فكان فى الاية كالنص على خلافته وكذلك قوله «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» وقد بين فى سورة الحشر من الصادقون وهم المهاجرون بقوله «أولئك هم الصادقون» فامر الذين

وسلم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا بين أظهرهم هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم والمصيبة التى أصابتهم فى اخوانهم حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور فانزل الله النعاس أمنة منه على أهل اليقين به فهم نيام لا يخافون وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية تخوف القتل وذلك أنهم لا يرجون عاقبة فذكر الله عز وجل تلاومهم وحسرتهم على ما أصابهم ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لو كنتم فى بيوتكم لم تحضروا هذا الموطن الذى أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سرائركم لاخرج الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم الى موطن غيره يصرعون فيه حتى يبتلى به ما فى صدورهم وليمحص به ما فى قلوبهم والله عليم بذات الصدور أى لا يخفى عليه ما فى صدورهم مما استخفوا به منكم ثم قال يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير أى لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون اخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله والضرب فى الارض فى طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ويقولون اذا ماتوا أو قتلوا لو أطاعونا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم لقلة اليقين بربهم والله يحيى ويميت أى يعجل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته ثم قال تعالى ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون أى ان الموت لكائن لا بد منه فموت فى سبيل الله أو قتل خير لو علموا وأيقنوا مما يجمعون من الدنيا التى لها يتأخرون عن الجهاد تخوف الموت والقتل بما جمعوا من زهرة الدنيا زهادة فى الآخرة ولئن متم أو قتلتم أى ذلك كان لالى الله تحشرون أى ان الى الله المرجع فلا تغرنكم الدنيا ولا تغتروا بها وليكن الجهاد وما رغبكم الله فيه من ثوابه آثر عندكم منها ثم قال تبارك وتعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك أى لتركوك فاعف عنهم أى فتجاوز عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين فذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم لينه لهم وصبره عليهم لضعفهم وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه عليهم فى كل ما خالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم ثم قال تبارك وتعالى فاعف عنهم أى تجاوز عنهم واستغفر لهم ذنوبهم من قارف من أهل الايمان منهم وشاورهم فى الامر أى لتريهم انك تسمع منهم وتستعين بهم وان كنت غنيا عنهم تألفهم بذلك على دينهم فاذا عزمت أى على أمر جاءك منى وأمر من دينك فى جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم الا ذلك فامض على ما أمرت به على خلاف من خالفك وموافقة من وافقك وتوكل على الله أى ارض به من العباد ات ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم من

تبوؤا الدار والايمان أن يكونوا معهم أى تبعا لهم فخصلت الخلافة فى الصادقين بهذه الآية فاستحقوها بهذا الاسم ولم يكن فى الصادقين من سماه الله الصديق الا أبو بكر فكانت له خاصة ثم للصادقين بعده * وذكر قوله تعالى « وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير » ارتفع ربيون على تفسير ابن اسحاق بالابتداء والجملة فى موضع الحال من الضمير فى قتل وهذا أصح التفسيرين لانه قال فما وهنوا لما أصابهم ولو كانوا هم المقتولون ما قال فيهم ما وهنوا لما أصابهم اى ما ضعفوا وقد يخرج أيضا قول من قال ربيون مفعول لم يسم فاعله بقتل على ان يكون معنى قوله فما وهنوا أى ما وهن الباقين منهم لما أصيبوا به من قتل اخوانهم وهذا أوجه ولكن سبب نزول الآية يدل على صحة التفسير الاول * وقوله ربيون وهم الجماعات فى قول أهل اللغة وقال ابن مسعود ربيون ألوف وقال أبان بن تغلب الربى عشرة آلاف * وقوله تعالى « فأثابكم غما بغم » وعلى تفسير ابن اسحق غما بعد غم الباء متعلقة بمحذوف التقدير غما مقرونا بغم وعلى تفسير آخر متعلقة بأثابكم أى أثابكم غما بما غممتم نبيه حين خالفتم أمره * وقوله « ومنكم من يريد الآخرة » قال ابن عباس هو عبد الله بن جبير الذى كان أميرا على الرماة وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم والا يخالفوا أمر نبيهم فثبتت معه طائفة فاستشهد واستشهدوا وهم الذين أرادوا الآخرة وأقبلت طائفة على المغنم وأخذ السلب فكر عليهم العدو وكانت المصيبة وفى الخبر لقد رأيت خدم هند وصواحبها وهن مشمرات فى الحرب والخدم الخلاخيل وكذلك قوله حين ذكر هندا وانها اتخذت من آذان الشهداء وانفهم خدما وقلائد وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيا معناه الخلاخل أيضا * وقوله سبحانه « لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا » فى صحيح التفسير ان معتب بن قشير هو قائل هذه المقالة وكان منبوزا بالنفاق * وقوله « يظنون بالله غير الحق » اى يظنون ان الله خاذل دينه ونبيه * وقوله « ظن الجاهلية » اى اهل الجاهلية كابى سفيان واصحابه * وذكر قوله « وشاورهم فى الامر »

الناس وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده أي لئلا تترك أمري للناس وارفض أمر الناس الى أمري وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون ثم قال وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أي ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم عن رهبة من الناس ولا رغبة ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به ثم يجزى بكسبه غير مظلوم ولا متعدى عليه أفمن اتبع رضوان الله على ما أحب الناس أو سخطوا كمن باء بسخط من الله لرضا الناس أو لسخطهم يقول أفمن كان على طاعتي فثوابه الجنة ورضوان من الله كمن باء بسخط من الله واستوجب سخطه وكان مأواه جهنم وبئس المصير أسواء المثلان فاعرفوا هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لكل درجات مما عملوا في الجنة والنار أي ان الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته ثم قال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين أي لقد من الله عليكم يا أهل الايمان اذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلوا عليكم آياته فيما أحدثتم وفيما عملتم فيعلمكم الخير والشر لتعرفوا الخير فتعملوا به والشر فتتقوه ويخبركم برضاه عنكم اذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته لتتخلصوا بذلك من نقمته وتدركوا بذلك ثوابه من جنته وان كنتم من قبل لفي ضلال مبين أي لفي عمياء من الجاهلية أي لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة صم عن الخير بكم عن الحق عمي عن الهدى * ثم ذكر المصيبة التي أصابتهم فقال أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شيء قدير أي ان تك قد أصابتكم مصيبة في اخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثليها قبل من عدوكم في اليوم الذي كان قبله ببدر قتلا وأسرا ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم ان الله على كل شيء قدير أي ان الله على ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين أي ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فباذني كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصري وصدقتكم وعدي ليميز بين المؤمنين والمنافقين وليعلم الذين نافقوا منكم أي ليظهر ما فيهم وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا يعني عبد الله بن أبي وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى عدوه من المشركين بأحد وقولهم لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ولدفعنا عنكم ولكنا لا نظن أنه يكون قتال فاظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم يقول الله عز وجل هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم أي يظهرون لك الايمان وليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون أي ما يخفون الذين قالوا لاخوانهم الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين أي انه لا بد من الموت فان استطعتم ان تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا وذلك انهم انما نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله حرصا على البقاء في الدنيا وفرارا من الموت * ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم يرغب المؤمنين في الجهاد ويهون عليهم القتل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون أي لا تظنن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا أي قد أحييتهم فهم عندي يرزقون في روح الجنة وفضلها مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أي ويسرون بلحوق من لحقهم من اخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم قد أذهب الله عنهم الخوف والحزن يقول الله تعالى يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين لما عاينوا من وفاء الموعود وعظيم الثواب * قال ابن اسحق وحدثني اسمعيل بن أمية عن أبي الزبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل

وفسره وقد جاء عن ابن عباس انه قال نزلت في أبي بكر وعمر أمر بمشاورتهما * وذكر قوله «وما كان لنبي ان يغل» وفسره ان يكتم ما أنزل الله وأكثر المفسرين يقولون نزلت في الغلول وفي بعض الآثار انهم فقدوا قطيفة من المغنم فقال قائل لعل النبي صلى الله عليه وسلم أخذها فانزل الله الآية ومن قرأ يغل بضم الياء وفتح الغين فمعناه ان يلفى غالا تقول أجبنت الرجل اذا ألفيته جبانا وكذلك أغللته اذا وجدته غالا وقد قال عمرو بن معديكرب لبني سليم قاتلناكم فما أجبناكم وسألناكم فما أبخلناكم وتفسير ابن اسحق خارج عن مقتضى اللغة فان كتم تقدغل أي ستر وكذلك من خان في شيء وأخذه خفية فقد ستره وكتمه وأصل الكلمة الستر والاخفاء ومنه الغلالة والغلل للماء الذي يغطيه الشجر والنبات وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم في بعض المغازي باحراق متاع الغال وأخذت به طائفة من الفقهاء منهم أحمد واسحاق

﴿فصل﴾ وذكر قوله سبحانه «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله» الآيات وهؤلاء هم الذين سماهم الله

العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله تعالى فانا أبلغهم عنكم فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات ولا تحسبن * قال ابن اسحق وحدثني الحرث ابن الفضيل عن محمود بن لبيد الانصاري عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا * قال ابن اسحق وحدثني من لا اتهم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه سئل عن هؤلاء الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فقال اما انا قد سألنا عنها فقيل لنا انه لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش فيطلع الله عز وجل عليهم اطلاعة فيقول ياعبادي ما تشتهون فازيدكم قال فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث

شئنا قال ثم يطلع الله عليهم اطلاعة فيقول ياعبادي ما تشتهون فازيدكم فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا قال ثم يطلع عليهم اطلاعة فيقول ياعبادي ما تشتهون فازيدكم فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا الا أنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا ثم نرد الى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى * قال ابن اسحق وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقيل قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أبشرك ياجابر قال قلت بلى يانبي الله قال ان أباك حيث أصيب باحد أحياه الله عز وجل ثم قال له ما تحب ياعبد الله بن عمرو ان أفعل بك قال أي رب أحب أن تردني الى الدنيا فاقاتل فيك فاقتل مرة أخرى * قال ابن اسحق وحدثني عمرو بن عبيد عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع اليها ساعة من نهار وأن له الدنيا وما فيها الا الشهيد فانه يحب أن يرد الى الدنيا فيقاتل في سبيل الله فيقتل مرة أخرى * قال ابن اسحق ثم قال تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح أي الجراح وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أحد الى حمراء الاسد على ما بهم من ألم الجراح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل الناس الذين قالوا لهم ما قالوا النفر من عبد قيس الذين قال لهم أبو سفيان ما قال قالوا ان أبا سفيان ومن معه راجعون اليكم يقول الله عز وجل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم لما صرف الله عنهم من لقاء عدوهم انما ذلكم الشيطان أي لاولئك الرهط وما ألقى

الله شهداء بقوله «ويتخذ منكم شهداء» وهذا الاسم مأخوذ من الشهادة أو من المشاهدة فان كان من الشهادة فهو شهيد بمعنى مشهود أي مشهود عليه ومشهود له بالجنة أما مشهود عليه فلان النبي صلى الله عليه وسلم حين وقف على قتلى أحد قال هؤلاء الذين أشهد عليهم أي أشهد عليهم بالوفاء وقال عليهم ولم يقل لهم لان المعنى أجيء يوم القيامة شهيداً عليهم وهو ولاية وقيادة فوصلت بحرف على ويجوز ان يكون من الشهادة وتكون فعيلا بمعنى فاعل لان الله تعالى يقول «وتكونوا شهداء على الناس» أي تشهدون عليهم وهذا وان كان عاما في جميع أمة محمد عليه الصلاة والسلام فالشهداء أولى بهذا الاسم اذهم تبع للصديقين والنبيين قال الله سبحانه «فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء» فهذان وجهان في معنى الشهيد اذا جعلته مشتقا من الشهادة وان كان من المشاهدة فهو فعيل بمعنى فاعل أيضا لانه يشاهد من ملكوت الله ويعاين من ملائكته ما لا يشاهد غيره ويكون أيضا بمعنى مفعول وهو من المشاهدة أي ان الملائكة تشاهد قبضه والعروج بروحه ونحو ذلك فيكون فعيلا بمعنى مفعول وأولى هذه الوجوه كلها بالصحة أن يكون فعيلا بمعنى مفعول ويكون معناه مشهودا له بالجنة أو يشهد عليه النبي عليه السلام كما قال هؤلاء أنا شهيد عليهم أي قيم عليهم بالشهادة لهم واذا حشروا تحت لوائه فهو وال عليهم وان كان شاهداً لهم فن ههنا اتصل الفعل بعلى فتقوى هذا الوجه من جهة الخبر ومن وجه آخر من العربية وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر الشهداء قال والمرأة تموت بجمع شهيد ولم يقل شهيدة وفي رواية أخرى قال والنفساء شهيد يجرها جنينها بسرره الى الجنة ولم يقل شهيدة وفعيل اذا كان صفة لمؤنث كان بغير هاء اذا كان بمعنى مفعول نحو امرأة قتيل وجريح وان كان بمعنى فاعل كان بالهاء كقولهم امرأة عليمة ورحيمة ونحو ذلك فدل على أن الشهيد مشهود له ومشهود عليه وهذا استقراء من اللغة صحيح واستنباط من الحديث بديع فقف عليه * وذكر ابن اسحق حديث ابن عباس المرفوع وفيه ان الله جعل أرواحهم في أجواف طير خضر وعن قتادة قال ذكر لنا ان أرواح الشهداء تعارف عند السدرة في أجواف طير بيض وقد أنكر هذه الرواية قوم وقالوا لا يكون روحان في جسد واحد وان ذلك محال وهذا

جهل بالحقائق فان معنى الكلام بين فان روح الشهيد الذى كان فى جسده فى الدنيا يجعل فى جسد آخر كانه صورة طائر فيكون فى هذا الجسد الآخر كما كان فى الاول الى أن يعيده الله يوم القيامة كما خلقه وهذه الرواية لا تعارض ما رووه من قوله فى صور طير خضر والشهداء طير خضر وجميع الروايات كلها متفقة المعنى وانما الذى يستحيل فى العقل قيام حياتين بجوهر واحد فيحيا الجوهر بهما جميعا وأما روحان فى جسد فليس بمحال اذا لم نقل بتداخل الاجسام فهذا الجنين فى بطن أمه وروحه غير روحها وقد اشتمل عليهما جسد واحد وهذا أن لو قيل لهم ان الطائر له روح غير روح الشهيد وهما فى جسد واحد فكيف وانما قال فى أجواف طير خضر أى فى صورة طير خضر كما تقول رأيت ملكا فى صورة انسان وكذلك قوله عليه السلام انما نسمة المؤمن طائر يعلق فى ثمر الجنة تأوله بعضهم مخصوصاً بالشهيد وقال بعضهم انما الشهيد فى الجنة يأكل منها حيث شاء ثم يأوى الى قناديل معلقة فى العرش وغير الشهيد من المؤمنين نسمته أى روحه طائر لا ان روحه جعل فى جوف طائر ليأكل ويشرب كما فعل بالشهيد لكن الروح نفسه طائر يعلق بشجر الجنة يعلق بفتح اللام ينشب بها ويرى مقعده منها ومن رواه يعلق فمعناه يصيب العلقة أى ينال منها ما هو دون نيل الشهيد فضرب العلقة مثلا لان من أصاب العلقة من الطعام والشراب فقد أصاب دون ما أصاب غيره ممن أدرك الرغد فهو مثل مضروب يفهم منه هذا المعنى وان كان أراد يعلق الاكل نفسه فهو مخصوص بالشهيد فتكون رواية من رواه بالضم للشهداء ورواية الفتح لمن دونهم فالله اعلم بما اراد رسوله من ذلك * وقوله ثم تأوى الى قناديل يصدقه قوله تعالى عز وجل « والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم » وانما تأوى الى تلك القناديل ليلا وتسرح نهاراً فتعلم بذلك الليل من النهار وبعد دخول الجنة فى الآخرة لا تأوى الى تلك القناديل والله اعلم وانما ذلك مدة البرزخ هذا ما يدل عليه ظاهر الحديث وقال مجاهد الشهداء يأكلون من ثمر الجنة وليسوا فيها وقد أنكر ابو عمر قول مجاهد ورده وليس بمنكر عندى ويشهد له ما وقع فى مسند ابن ابى شيبة وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الشهداء بنهر أو على نهر يقال له بارق عند باب الجنة فى قباب خضر يأتيهم رزقهم منها بكرة وعشيا فهذا يبين ما اراد مجاهد والله اعلم ومما وقع فى السيرة أيضاً ولم يذكره ابن هشام حديث رواه ابن اسحاق قال حدثنى اسحاق بن عبد الله بن أبى فروة قال حدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهداء ثلاثة فادنى الشهداء عند الله منزلة رجل خرج مسودا بنفسه ورحله لا يريد أن يقتل ولا يقتل[1] أتاه سهم غرب فاصابه قال فاول قطرة تقطر من دمه يغفر الله بها ما تقدم من ذنبه ثم يهبط الله اليه جسدا من السماء فيجعل فيه روحه ثم يصعد به الى الله فما يمر بسماء من السموات الا شيعته الملائكة حتى ينتهى به الى الله فاذا انتهى به اليه وقع ساجدا ثم يؤمر به فيكسى سبعين زوجا من الاستبرق ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كاحسن ما رأيتم من شقائق النعمان وحدث كعب الاحبار عن قول رسول الله عليه السلام فقال كعب الاحبار أجل كاحسن ما رأيتم من شقائق النعمان ثم يقول اذهبوا به الى اخوانه من الشهداء فاجعلوه معهم فيؤتى به اليهم فى قبة خضراء فى روضة خضراء عند باب الجنة يخرج عليهم حوت وثور من الجنة لغدائهم فيلعبانهم حتى اذا كثر عجبهم منها طعن الثور الحوت بقرنه فيقرده لهم عما يدعون ثم يروحان عليهم لعشائهم فيلعبانهم حتى اذا كثر عجبهم منهما ضرب الحوت الثور بذنبه فيقره لهم عما يدعون فاذا انتهى الى اخوانه سالوه كما تسئلوا الراكب يقدم عليكم ببلاد كم فيقولون ما فعل فلان فيقول أفلس فيقولون فما أهلك ماله فوالله ان كان الكيسا جموعا

الشيطان على أفواههم يخوف أولياءه أى يرهبكم بأوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر أى المنافقون انهم لن يضروا الله شيأ يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب أى المنافقين وما كان الله ليطلعكم على الغيب أى فيما يريد من يبتليكم به لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء أى يعلمه ذلك فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا أى ترجعوا وتتوبوا فلكم اجر عظيم

---

١) فى الثانية : يريد أن يقتل ولا يقتل . وكذا قوله فيلعبانهم بالنون فى الثانية فيلعبا بهم فليراجع

تاجرا

﴿ ذكر من استشهد باحد من المهاجرين ﴾ * قال ابن اسحق واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش ثم من بنى هاشم بن عبد مناف * حمزة بن عبد المطلب بن هاشم رضى الله عنه قتله وحشى غلام جبير بن مطعم * ومن بنى أمية بن عبد شمس عبد الله بن جحش حليف لهم من بنى أسد بن خزيمة * ومن بنى عبد الدار بن قصى مصعب بن عمير قتله ابن قمئة الليثى * ومن بنى مخزوم بن يقظة شماس بن عثمان أربعة نفر * ومن الانصار ثم من بنى عبد الاشهل عمرو بن معاذ بن النعمان * والحرث بن أنس ابن رافع * وعمارة بن زياد بن السكن « قال ابن هشام » السكن بن رافع بن امرئ القيس و يقال السكن * قال ابن اسحق وسلمة بن ثابت ابن وقش * وعمرو بن ثابت بن وقش رجلان * قال ابن اسحق وقد زعم لى عاصم بن عمر بن قتادة ان أباهما ثابتا قتل يومئذ * و رفاعة بن وقش * وحسيل بن جابر أبو حذيفة وهو اليمان أصابه المسلمون فى المعركة ولا يدرون فتصدق حذيفة بديته على من أصابه * وصيفى بن قيظى * وحباب بن قيظى * وعباد بن سهل والحرث بن أوس بن معاذ اثنا عشر رجلا * ومن أهل راتج اياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم بن زعورا بن جشم بن عبد الاشهل * وعبيد بن التيهان « قال ابن هشام » و يقال عتيك بن التيهان * وحبيب بن يزيد بن تيم ثلاثة نفر * ومن بنى ظفر يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع رجل * ومن بنى عمرو بن عوف ثم من بنى ضبيعة بن زيد أبو سفيان بن الحرث بن قيس بن زيد * وحنظلة بن أبى عامر بن صيفى بن نعمان بن مالك بن أمة وهو غسيل الملائكة قتله شداد بن الاسود بن شعوب الليثى رجلان « قال ابن هشام » قيس بن زيد بن ضبيعة * ومالك بن أمة بن ضبيعة * قال ابن اسحق ومن بنى عبيد بن زيد * انيس بن قتادة رجل * ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف أبو حية وهو أخو سعد بن خيثمة لامه « قال ابن هشام » أبو حنة بن عمرو بن ثابت * قال ابن اسحق وعبد الله ابن جبير بن النعمان وهو امير الرماة رجلان * ومن بنى السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الاوس خيثمة ابو سعد بن خيثمة رجل * ومن حلفائهم من بنى العجلان عبد الله بن سلمة رجل * ومن بنى معاوية بن مالك سبيع بن حاطب بن الحرث بن قيس بن هيشة رجل « قال ابن هشام » و يقال سويبق بن الحرث بن حاطب بن هيشة * قال ابن اسحق * ومن بنى النجار ثم من بنى سواد بن مالك بن غنم عمرو بن

تاجرا فيقال لهم انا لا نعد الفاس ما تعدون وانما نعد الفلس من الاعمال فما فعل فلان وامرأته فلانة فيقول طلقها فيقولون فما الذى نزل بينهما حتى طلقها فوالله ان كان بها لمعجبا فيقولون ما فعل فلان فيقولون مات أيهات قبل بزمان فيقولون هلك والله ما سمعنا له بذكر ان لله طريقين أحدهما علينا والآخر يخالف بها عنا فاذا أراد الله بعبد خيرا مر به علينا فعرفناه وعرفنا متى مات واذا أراد الله بعبد شرا خولف به عنا فلم نسمع له بذكر هلك والله فلان فان هذا لادنى الشهداء عند الله منزلة وان الآخر رجل خرج مسودا بنفسه ورحله يحب أن يقتل ولا يقتل أتاه سهم غرب فاصابه فذلك رفيق ابراهيم خليل الرحمن يوم القيامة يحك ركبتاه ركبتيه وأفضل الشهداء رجل خرج مسودا بنفسه ورحله يحب أن يقتل وأن يقتل وقاتل حتى قتل قعصا فذلك يبعثه الله يوم القيامة شاهرا سيفه يتمنى على الله لا يسئله شيئا الا أعطاه اياه وقع فى هذا الحديث ذكر الحوت ولعبه مع الثور وقد خرجه هناد بن السرى باسناد حسن فى كتاب الرقاق له باكثر مما وقع ههنا وفى الصحيحين منه ذكر أكل أهل الجنة من كبد الحوت أول ما يأكلون ثم ينحر لهم ثور الجنة وفى هذا الحديث من باب التفكر والاعتبار ان الحوت لما كان عليه قرار هذه الارض وهو حيوان سابح ليستشعر أهل هذه الدار انهم فى منزل قلعة وليس بدار قرار فاذا نحر لهم قبل أن يدخلوا الجنة فاكلوا من كبده كان فى ذلك اشعار لهم بالراحة من دار الزوال وانهم قد صاروا الى دار القرار كما يذبح لهم الكبش الاملح على الصراط وهو صورة الموت ليستشعروا أن لا موت وأما الثور فهو آلة الحرث وأهل الدنيا لا يخلون من أحد الحرثين حرث لدنياهم وحرث لاخراهم ففى نحر الثور لهم هنالك اشعار باراحتهم من الكدين وترفيههم من نصب الحرثين فاعتبر والله المستعان

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحاق فيمن استشهد يوم أحد عبيد بن التيهان واسم التيهان مالك ولم يرفع نسبه وكذلك فعل فى هذا النسب حيث وقع فى هذا الكتاب وهو نسب مختلف فيه وقد رفعناه عند ذكر أبى الهيثم وذكرنا الخلاف فيه هنالك وقول كعب بن مالك * ولا مثل أضياف الاراشى معشرا * يعنى أبا الهيثم فجعله أراشيا وليست اراشة من الانصار ونسبه موسى بن عقبة فى جماعة منهم الى بلى وقالوا هو حليف الانصار وليس من أنفسهم وقال ابن اسحق والواقدى فى المستشهد يوم أحد عبيد بن التيهان وقال ابن عقبة وأبو معشر وابن عمارة هو عتيك بن التيهان * وذكر فيهم ابا حية الانصارى البدرى وقال ابن هشام أبو حنة بن ثابت بالنون وكذلك قال الواقدى قال ليس فيمن شهد يوم بدر من اسمه أبو حبة بالباء وكذلك

قيس *وابنه قيس بن عمرو «قال ابن هشام» عمرو بن قيس بن زيد بن سواد* قال ابن اسحق وثابت بن عمرو بن زيد * وعامر بن مخلد اربعة نفر * ومن بنى مبذول ابوهبيرة بن الحرث بن علقمة بن عمرو بن ثقف بن مالك بن مبذول* وعمرو بن مطرف بن علقمة بن عمرو رجلان* ومن بنى عمرو بن مالك اوس بن ثابت بن المنذر رجل «قال ابن هشام» اوس بن ثابت اخو حسان بن ثابت *قال ابن اسحق ومن بنى عدى بن النجار * انس بن النضر بن ضمضم ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار رجل «قال ابن هشام» انس بن النضر عم انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم *ومن بنى مازن بن النجار قيس بن مخلد* وكيسان عبد لهم رجلان*ومن بنى دينار بن النجار * سليم بن الحرث * ونعمان بن عبد عمرو رجلان *ومن بنى الحرث بن الخزرج خارجة بن زيد بن أبى زهير * وسعد ابن الربيع بن عمرو بن أبى زهير دفنا فى قبر واحد * وأوس بن الارقم بن زيد بن قيس بن نعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب ثلاثة نفر*ومن بنى الابجر وهم بنو خدرة مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الابجر وهو أبو أبى سعيد الخدرى «قال ابن هشام» اسم أبى سعيد الخدرى سنان ويقال سعد * قال ابن اسحق وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الابجر * وعتبة بن ربيع بن رافع ابن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الابجر ثلاثة نفر*ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة ابن عمرو بن الخزرج بن ساعدة وثقف بن فروة بن البدى رجلان *ومن بنى طريف رهط سعد بن عبادة عبد الله بن عمرو بن وهب ابن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف*وضمرة حليف لهم من بنى جهينة رجلان *ومن بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى سالم ثم من بنى مالك ابن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم نوفل بن عبد الله * وعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان * ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر ابن غنم بن سالم* والمجذر بن ذياد حليف لهم من بلى * وعبادة بن الحسحاس دفن النعمان بن مالك والمجذر وعبادة فى قبر واحد خمسة نفر* ومن بنى الحبلى رفاعة بن عمرو رجل * ومن بنى سلمة ثم من بنى حرام بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام *وعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام دفنا فى قبر واحد* وخلاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام * وأبو أيمن مولى عمرو بن الجموح أربعة نفر *ومن بنى سواد بن غنم سليم بن عمرو بن حديدة ومولاه عنترة * وسهل بن قيس بن أبى كعب بن القين ثلاثة نفر * ومن بنى زريق بن عامر ذكوان بن عبد قيس * وعبيد بن المعلى بن لوذان رجلان «قال ابن هشام» عبيد بن المعلى من بنى حبيب * قال ابن اسحق فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار خمسة وستون رجلا «قال ابن هشام» وممن لم يذكر ابن اسحق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا من الاوس ثم من بنى معاوية بن مالك * مالك بن نميلة حليف لهم من مزينة *ومن بنى خطمة واسم خطمة عبد الله بن جشم بن مالك بن الاوس * الحرث بن عدى بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة * ومن الخزرج ثم من بنى سواد بن مالك مالك بن اياس* ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار اياس بن عدى *ومن بنى سالم بن عوف عمرو بن اياس

﴿ ذكر من قتل من المشركين يوم أحد ﴾

قال ابن اسحق وقتل من المشركين يوم أحد من قريش ثم من بنى عبد الدار بن قصى من أصحاب اللواء طلحة بن أبى طلحة واسم أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه وأبو سعد بن أبى طلحة قتله سعد بن أبى وقاص «قال ابن هشام» ويقال قتله على بن أبى طالب * قال ابن اسحق وعثمان بن أبى طلحة قتله حمزة بن عبد المطلب ومسافع بن طلحة وجلاس بن طلحة قتلهما عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح وكلاب بن طلحة والحرث بن طلحة قتلهما قزمان حليف لبنى ظفر «قال ابن هشام» ويقال قتل كلابا عبد الرحمن بن عوف * قال ابن اسحق وارطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله حمزة بن عبد المطلب وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله قزمان وصواب غلام لهم حبشى قتله قزمان «قال ابن هشام» ويقال قتله على بن أبى طالب ويقال سعد بن أبى وقاص ويقال أبو دجانة * قال ابن اسحق والقاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف ابن

روى موسى بن عقبة عن ابن شهاب ابو حنة بالنون شهد بدرا واستشهد يوم احد وهو من الاوس واسمه ثابت وقيل عمرو بن ثابت والاختلاف فى اسمه وفى كنيته كثير واما ابو حبة المستشهد يوم اليمامة فهو ابو حبة ابن غزية بالباء المنقوطة بواحدة من اسفل ولم يخالف فى ذلك الا من لا يؤبه بقوله واسمه زيد بن غزية بن عمرو وهو من الخزرج والاول من الاوس وقد قيل فى الاول ابو حية بياء معجمة باثنتين فالله اعلم وحنة بالنون دير حنة معروف بالشام وحنة ام مريم بنت عمران وخنة بخاء منقوطة بنت يحيى بن اكثم القاضى وهى ام محمد بن نصر المروزى الفقيه وجنة بالجيم لا يعرف الا ابو جنة خال ذى الرمة الشاعر قاله ابن ماكولا * وذكر فيمن استشهد يوم احد عبد الله بن سلمة العجلانى سلمة بفتح اللام تقيد فى الاصل وفى الاصول الصحاح

عبد الدار قتله قزمان أحد عشر رجلا * ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي عبد الله بن حميد بن زهير بن الحرث بن أسد قتله علي بن أبي طالب رجل * ومن بني زهرة بن كلاب أبو الحكم بن الاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف لهم قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسباع بن عبد العزى واسم عبد العزى عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى حليف لهم من خزاعة قتله حمزة بن عبد المطلب رجلان * ومن بني مخزوم بن يقظة هشام بن أبي أمية بن المغيرة قتله قزمان والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة قتله قزمان وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة قتله علي بن أبي طالب وخالد بن الاعلم حليف لهم قتله قزمان أربعة نفر * ومن بني جمح بن عمرو عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة ابن جمح وهو أبو عزة قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرا وأبي ابن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده رجلان * ومن بني عامر بن لؤي عبيدة بن جابر وشيبة بن مالك بن المضرب قتلهما قزمان رجلان « قال ابن هشام » ويقال قتل عبيدة بن جابر عبد الله بن مسعود * قال ابن اسحق فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أحد من المشركين اثنان وعشرون رجلا

﴿ ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد ﴾

* قال ابن اسحق وكان مما قيل من الشعر في يوم أحد قول هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم « قال ابن هشام » عائذ بن عمران بن مخزوم

ما بال هم عميد بات يطرقني * بالود من هند اذ تعدو عواديها
باتت تعاتبني هند وتعذلني * والحرب قد شغلت عني مواليها
مهلا فلا تعذليني ان من خلقي * ما قد علمت وما ان لست أخفيها
مساعف لبني كعب بما كلفوا * حمال عبء وأثقال أعانيها
وقد حملت سلاحي فوق مشترف * ساط سبوح اذا يجري يباريها
كأنه اذ جرى عير بفدفدة * مكدم لاحق بالعون يحميها
من آل أعوج يرتاح الندى له * كجذع شعراء مستعل مراقيها
أعددته ورقاق الحد منتخلا * ومارنا لخطوب قد ألاقيها
هذا وبيضاء مثل النهي محكمة * لظت علي فما تبدو مساويها
سقنا كنانة من أطراف ذي يمن * عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنانة أنى تذهبون بنا * قلنا النخيل فأموها ومن فيها
نحن الفوارس يوم الجر من أحد * هابت معد فقلنا نحن نأتيها
هابوا ضرابا وطعنا صادقا خذما * مما يرون وقد ضمت قواصيها
ثمت رحنا كأنا عارض برد * وقام هام بني النجار يبكيها
كأن هامهم عند الوغى فلق * من قيض ربد نفته عن أداحيها
أو حنظل زعزعته الريح في غصن * بال تعاوره منها سوافيها
قد نبذل المال سحا لا حساب له * ونطعن الخيل شزرا في مآقيها
وليلة يصطلي بالفرث جازرها * يختص بالنقرى المثرين داعيها
وليلة من جمادى ذات أندية * جربا جمادية قد بت أسريها
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة * من القريس ولا تسري أفاعيها
أوقدت فيها لذي الضراء جاحمة * كالبرق ذاكية الاركان أحميها
أورثني ذلكم عمرو ووالده * من قبله كان بالمثنى يغاليها

الصحاح من رواية ابن هشام وذكره الدارقطني في باب سلمة بكسر اللام واخبر أنها رواية ابراهيم بن سعد عن ابن اسحاق وكذلك ذكر ابو عمر ايضا انها رواية ابراهيم بن سعد والله اعلم

﴿ شرح ما وقع في هذه الغزوة من الاشعار ﴾

وقد شرطنا الاضراب عن شرح شعر الكفرة والمفاخرين بقتال النبي صلى الله عليه وسلم الا من آمن منهم لكنه ذكر في شعر هبيرة الذي بدأ به بيتين ليسا من شعره فلذلك ذكرتهما وهما

وليلة يصطلي بالفرث جازرها * يختص بالنقرى المثرين داعيها
في ليلة من جمادى ذات أندية * جربا جمادية قد بت أسريها

قوله يصطلي بالفرث أي يستدفئ به من شدة البرد * وقوله يختص بالنقرى المثرين يريد يختص الاغنياء طلبا لمكافأتهم وليا كل عندهم يصف شدة الزمان قاله يعقوب في الالفاظ ونسبهما للهذلي وكذلك قال ابن هشام في هذين البيتين انهما ليسا لهبيرة ونسبهما لجنوب أخت عمرو ذي الكلب الهذلي * وقوله ذات اندية جمع ندى على غير قياس وقد قيل انه جمع الجمع كأنه جمع ندى على نداء مثل جمل وجمال ثم جمع الجمع على أفعلة وهذا بعيد في القياس لان الجمع الكثير لا يجمع وفعال من أبنية الجمع الكثير وقد قيل هو جمع ندي والندي المجلس وهذا لا يشبه معنى البيت ولكنه جمع جاء على مثال أفعلة لانه في معنى الاهوية والاشتية ونحو ذلك وأقرب من ذلك انه في معنى الرذاذ والرشاش وهما يجمعان على أفعلة وأراد بجمادى الشهر وكان هذا الاسم قد وقع على هذا الشهر في زمن جمود الماء ثم انتقل بالاهلة وبقي الاسم عليه وان كان في الصيف والقيظ وكذلك أكثر هذه الشهور بالعربية سميت باسماء ماخوذة من أحوال السنة الشمسية ثم لزمتها وان خرجت عن تلك

كانوا يبارون انواء النجوم فما * دنت عن السورة العليا مساعيها

* قال ابن اسحق فاجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال   سقتم كنانة جهلا من سفاهتكم * الى الرسول فجند الله مخزيها

أو ردتموها حياض الموت ضاحية * فالنار موعدها والقتل لاقيها   جمعتموهم أحابيشا بلا حسب * أئمة الكفر غرتكم طواغيها

الا اعتبرتم بخيل الله اذ قتلت * أهل القليب ومن ألقينه فيها   كم من أسير فككناه بلا ثمن * وجز ناصية كنا مواليها

« قال ابن هشام » أنشدنيها أبو زيد الانصارى لكعب بن مالك « قال ابن هشام » و بيت هبيرة بن أبى وهب الذى يقول فيه

وليلة يصطلى بالفرث جازرها * يختص بالنقرى المثرين داعيها   يروى لجنوب أخت عمرو ذى الكلب الهذلى فى أبيات لها فى

غير يوم أحد * قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبى وهب أيضا

الا هل أتى غسان عنا ودونهم * من الارض خرق سيره متنعنع   صحار واعلام كان قتامها * من البعد نقع هامد متقطع

تظل به البزل العراميس رزحا * ويخلو به غيث السنين فيمرع   به جيف الحسرى يلوح صليبها * كما لاح كتان التجار الموضع

به العين والآرام يمشين خلفة * وبيض نعام قيضه يتقلع   مجالدنا عن ديننا كل فخمة * مذربة فيها القوانس تلمع

وكل صموت فى الصوان كانها * اذا لبست نهى من الماء مترع   ولكن ببدر سائلوا من لقيتم * من الناس والانباء بالغيب تنفع

وانا بارض الخوف لو كان أهلها * سوانا لقد أجلوا بليل فاقشعوا

اذا جاء منا راكب كان قوله * أعدوا لما يزجى ابن حرب ويجمع

فمهما يهم الناس مما يكيدنا * فنحن له من سائر الناس أوسع

فلو غيرنا كانت جميعا تكيده ال * برية قد أعطوا يدا وتورعوا

نجالد لا تبقى علينا قبيلة * من الناس الا أن يهابوا ويفظعوا

ولما ابتنوا بالعرض قال سراتنا * علام اذا لم نمنع العرض نزرع   يقول

وفينا رسول الله نتبع أمره * اذا قال فينا القول لا نتطلع   تدلى عليه الروح من عند ربه * ينزل من جو السماء ويرفع

نشاوره فيما نريد وقصرنا * اذا ما اشتهى انا نطيع ونسمع   وقال رسول الله لما بدوا لنا * ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا

وكونوا كمن يشرى الحياة تقربا * الى ملك يحيا لديه ويرجع   ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا * على الله ان الامر لله أجمع

فسرنا اليهم جهرة فى رحالهم * ضحيا علينا البيض لا نتخشع   بملمومة فيها السنور والقنا * اذا ضربوا أقدامها لا تورع

فجئنا الى موج من البحر وسطه * أحابيش منهم حاسر ومقنع   ثلاثة آلاف ونحن نصية * ثلاث مئين ان كثرنا فأربع

نغاورهم تجرى المنية بيننا * نشارعهم حوض المنايا ونشرع   تهادى قسى النبع فينا وفيهم * وما هو الا اليثربى المقطع

ومنجوفة حرمية صاعدية * يذر عليها السم ساعة تصنع   تصوب بابدان الرجال وتارة * تمر باعراض البصار تقعقع

وخيل تراها بالفضاء كأنها * جراد صبا فى قرة يتريع   فلما تلاقينا ودارت بنا الرحا * وليس لامر حمه الله مدفع

ضربناهم حتى تركنا سراتهم * كأنهم بالقاع خشب مصرع   لدن غدوة حتى استفقنا عشية * كأن ذكانا حر نار تلفع

وراحوا سراعا موجعين كأنهم * جهام هراقت ماءه الريح مقلع   ورحنا وأخرانا بطاء كأننا * أسود على لحم ببيشة ضلع

فنلنا ونال القوم منا وربما * فعلنا ولكن ما لدى الله أوسع   ودارت رحانا واستدارت رحاهم * وقد جعلوا كل من الشر يشبع

الاوقات * وذكر شعر كعب بن مالك يجيب هبيرة وأوله ألا هل أتى غسان وقد افتتح قصيدة اخرى فى اشعار بدر بهذا اللفظ فقال * ألا هل أتى غسان فى نأى دارها * وانما ذكر غسان لانهم بنو عم الانصار والانصار بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر والذين بالشام بنو جفنة بن عمرو بن عامر والكل غسان لان غسان ماء شربوا منه حين ارتحالهم من اليمن فسموا به * وقوله سيره متنعنع أى مضطرب وقوله العراميس جمع عرمس وهى الناقة القوية على السير * وقوله قيضه يتقلع اى يتشقق والقيض قشور البيض والقوانس جمع قونس وهى بيضة السلاح * وقوله وكل صموت فى الصوان يعنى الدرع جعلها صموتا لشدة نسجها واحكام صنعتها والنهى الغدير سمى بذلك لان ماءه قد منع من الجريان بارتفاع الارض فغادره السيل فسمى غديرا ونهته الارض فسمى نهيا * وقوله ومنجوفة مفعولة من نجفت اذا حفرت ويكون أيضا من نجفت العنز اذا شددت بها النجاف وهو الحبل فان كان أراد الرماح فمعنى قوله منجوفة أى مشدودة مثقفة وان كان اراد أسنتها فهى أيضا منجوفة من نجفت اذا حفرت لان ثعلب الرمح داخل فى الحديدة فهى منجوفة له وان كان أراد السيوف فمنجوفة أى كالمحفورة لان متونها مدوسة مضروبة بمطارق الحديد فهى كالمحفورة * وقوله   تصوب بابدان الرجال وتارة * تمر باعراض البصار تقعقع

ونحن أناس من لا نرى القتل سبة * على كل من يحمي الذمار ويمنع
جلاد على ريب الحوادث لا ترى * على هالك عيناً لنا الدهر تدمع
بنوا الحرب لا نعيا بشيء نقوله * ولا نحن مما جرت الحرب نجزع
بنوا الحرب ان نظفر فلسنا بفحش * ولا نحن من أظفارها نتوجع
وكنا شهاباً يتقي الناس حره * ويفرج عنه من يليه ويسفع
فخرت على ابن الزبعرى وقد سرى * لكم طالب من آخر الليل متبع
فسل عنك في عليا معد وغيرها * من الناس من أخزى مقاما وأشنع
ومن هو لم تترك له الحرب مفخرا * ومن خده يوم الكريهة أضرع
شددنا بحول الله والنصر شدة * عليكم وأطراف الاسنة شرع
نكر القنا فيكم كان فروعها * عزالى مزاد ماؤها يتهزع
عمدنا الى أهل اللواء ومن يطر * بذكر اللواء فهو في الحمد أسرع
فخانوا وقد أعطوا يدا وتخاذلوا * أبى الله الا أمره وهو أصنع

«قال ابن هشام» وكان كعب بن مالك قد قال * مجالدنا عن جذمنا كل فخمة * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيصلح أن تقول مجالدنا عن ديننا فقال كعب نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أحسن فقال كعب مجالدنا عن ديننا * قال ابن اسحق وقال عبد الله بن الزبعرى في يوم أحد

يا غراب البين أسمعت فقل * انما تنطق شيئاً قد فعل
ان للخير وللشر مدى * وكلا ذلك وجه وقبل
والعطيات خساس بينهم * وسواء قبر مثر ومقل
كل عيش ونعيم زائل * وبنات الدهر يلعبن بكل
أبلغا حسان عني آية * فقريض الشعر يشفي ذا الغلل
كم ترى بالجر من جمجمة * وأكف قد أترت ورجل
وسرابيل حسان سريت * عن كماة أهلكوا في المنزل
كم قتلنا من كريم سيد * ماجد الجدين مقدام بطل
صادق النجدة قرم بارع * غير ملتاث لدى وقع الأسل
فسل المهراس ما ساكنه * بين أقحاف وهام كالحجل
ليت أشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الاسل
حين حكت بقباء بركها * واستحر القتل في عبد الاشل
ثم خفوا عند ذاكم رقصا * رقص الحفان يعلو في الجبل
فقتلنا الضعف من أشرافهم * وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لا ألوم النفس الا اننا * لو كررنا لفعلنا المفتعل
بسيوف الهند تعلو هامهم * عللا تعلوهم بعد نهل

فاجابه حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه فقال

ذهبت يا ابن الزبعرى وقعة * كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ونلنا منكم * وكذاك الحرب أحيانا دول
نضع الاسياف في أكتافكم * حيث نهوى عللا بعد نهل
نخرج الاصبح من استاهكم * كسلاح النيب يأكلن العصل
اذ تولون على أعقابكم * هربا في الشعب أشباه الرسل
اذ شددنا شدة صادقة * فاجاناكم الى سفح الجبل
بخناطيل كاشراف الملا * من يلاقوه من الناس يهل

يقول تشق أبدان الرجال حتى تبلغ البصائر فتقع فيها وهي جمع بصرة وهي حجارة لينة ويجوز أن يكون أراد جمع بصيرة مثل كريمة وكرام والبصيرة الدرع وقيل الترس والبصيرة أيضا طريقة الدم في الارض فان كانت في الجسد فهي جدية ولا معنى لها في هذا البيت وقول ابن الزبعري

ياغراب البين أسمعت فقل * انما تنطق شيا قد فعل

قوله قد فعل أي قد فرغ منه وقد كانوا في الجاهلية يقرون بالقدر وقال لبيد في الجاهلية

ان تقوى ربنا خير نفل * وباذن الله ريثي والعجل
من هداه سبل الخير اهتدى * ناعم البال ومن شاء أضل

وقال راجزهم

يا أيها اللائم لمني أو فذر * ان كنت أخطات فما أخطا القدر

وقوله غير ملتاث هو مفتعل من اللوثة كما قال الضبي * عند الحفيظة ان ذي لوثة لانا * والمهراس حجر منقور يمسك الماء فيتوضا منه شبه بالمهراس الذي هو الهاون ووهم المبرد فجعل المهراس اسما علما للمهراس الذي باحد خاصة وانما هو اسم لكل حجر نقر فامسك الماء وروى ابن عبدوس عن مالك انه سئل عن رجل يمر بمهراس في أرض فلاة كيف يغتسل منه فقال مالك هلا قلت مر بغدير ومن يحمل له مهراسا في أرض فلاة فهذا يبين لك ان المهراس ليس مخصوصا بالمهراس الذي كان باحد وكذلك وقع في غريب الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يتجارون مهراسا أي يرفعونه * قول حسان يجيبه * هربا في الشعب أشباه الرسل * يعني الغنم اذا أرسلها الراعي يقال لها حينئذ رسل * وقوله كاشراف الملا الاشراف جمع شرف وهو الشخص والملا ما اتسع من الارض ويريد بالاشراف ههنا أشخاص الشجر

ضاق عنا الشعب اذ نجزعه * وملانا الفرط منه والرجل
برجال لستم أمثالهم * أيدوا جبريل نصرا فنزل
وعلونا يوم بدر بالتقى * طاعة الله وتصديق الرسل
وقتلنا كل رأس منهم * وقتلنا كل جحجاح رفل
وتركنا فى قريش عورة * يوم بدر وأحاديث المثل
ورسول الله حقا شاهد * يوم بدر والتنابيل الهبل
فى قريش من جموع جمعوا * مثل ما يجمع فى الخصب الهمل
نحن لا أمثالكم ولد استها * نحضر الباس اذا الباس نزل

« قال ابن هشام » وانشدنى أبو زيد الانصارى وأحاديث المثل والبيت الذى قبله وقوله فى قريش من جموع جمعوا عن غير ابن اسحق . قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك يبكى (١٥٨) حمزة بن عبد المطلب وقتلى أحد من المسلمين رضى الله عنهم

نشجت وهل لك من منشج *
وكنت متى تذكر تلجج
تذكر قوم أتانى لهم *
أحاديث فى الزمن الاعوج
فقلبك من ذكرهم خافق *
من الشوق والحزن المنضج
وقتلاهم فى جنان النعيم *
كرام المداخل والمخرج
بما صبروا تحت ظل اللواء *
لواء الرسول بذى الاضوج
غداة أجابت باسيافها *
جميعا بنو الاوس والخزرج
وأشياع أحمد اذ شايعوا *
على الحق ذى النور والمنهج
فما برحوا يضربون الكماة *
ويمضون فى القسطل المرهج
كذلك حتى دعاهم مليك *
الى جنة دوحة المولج
فكلهم مات حر البلاء *
على ملة الله لم يحرج
كحمزة لما وفى صادقا *
بذى هبة صارم سلجج
فلاقاه عبد بنى نوفل *
يبربر كالجمل الادعج
فاوجر حربة كالشهاب *
تلهب فى اللهب الموهج
ونعمان أوفى بميثاقه * وحنظلة الخير لم يحنج
عن الحق حتى غدت روحه * الى منزل فاخر الزبرج

فاجابه ضرار بن الخطاب الفهرى فقال

أيجزع كعب لاشياعه * ويبكى من الزمن الاعوج
عجيج المذكى رأى ألفه * تروح فى صادر محنج
فراح الروايا وغادرنه * يعجعج قسرا ولم يحدج
فقولا لكعب يثنى البكا * وللنىء من لحمه ينضج
لمصرع اخوانه فى مكر * من الخيل ذى قسطل مرهج

ومنه

أولئك لا من ثوى منكم * من النار فى الدرك المرتج

واصولها * وقوله يهل اراد فيهل ثم جزم للشرط فانحذفت الالف لالتقاء الساكنين وهو من الهول يقال هالنى الامر يهولنى هولا اذا أفزعك * وقوله وملانا الفرط اراد الفرط بتحريك الراء وهى الاكمة وما ارتفع من الارض والرجل جمع رجلة وهو المطمئن من الارض والرجلة ايضا فى معنى الرجل من الجراد قال الشاعر * وتحت نحور الخيل حرشف رجلة * يريد بالحرشف جماعة الرجالة وهم صغار الجراد ضربهم مثلا للرجالة والرماة وجمع الفرط افراط * وقوله ولد استها كلمة تقولها العرب عند السب تقول يا بنى استها والولد بمعنى الاولاد وكتب اهل دمشق الى اهل مزة وهى على فرسخ من دمشق وكانوا امسكوا عنهم الماء فكتبوا اليهم من اهل دمشق الى بنى استها وبعد فاما ان تسيبوا الماء والا صبحتكم الخيل ذكره الجاحظ * وقوله فى المؤمنين أيدوا جبريل أى أيدوا بجبريل وحذف الجار فتعدى الفعل فنصب ولا يضر هذا الحذف الا أن يكون الفعل المتعدى بحرف جر متضمنا لمعنى فعل آخر ناصب كقولهم أمرتك الخير أى كلفتك الخير وألزمتكه ولا يستقيم نهيتك الشر اذ ليس فى معنى نهيتك فعل ناصب * وقوله أيدوا جبريل أى أصحبوه ونحو هذا فحسن حذف الباء لهذا * وقول حسان * تخرج الاصبح من أستاهكم * رواه أبو حنيفة تخرج الاضياح وهو اللبن الممزوج بالماء وهو فى معنى الاصبح لان الصحبة بياض غير خالص فجعله وصفا اللبن المذوق الخارج من بطونهم * وقوله * كسلاح النيب يأكلن العصل * العصل نبات كالرقلين يصلح الابل اذا أكلته ويكثر شربها الماء وهو من الحمض وينبت فى السباخ قاله أبو حنيفة . وقول كعب بن مالك * لواء الرسول بذى الاضوج * الاضوج جمع ضوج والضوج جانب الوادى * وقوله فى القسطل المرهج القسطل الغبار وكذلك الرهج وقد شرحنا السلجج فيما مضى والجمل الادعج يعنى الاسود ومنه الحديث فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم فى عينيه دعج وفى أشفاره وطف * وقوله وحنظلة الخير لم يحنج أى لم يمله شىء عن الطريق المستقيم يقال حنجت الشىء اذا أملته وعدلته عن وجهه ويقال أيضا أحنجته فهو محنج وسيأتى فى الشعر بعد هذا ما يدل عليه * وقوله * عن الحق حتى غدت روحه * أنث الروح لانه فى معنى النفس وهى لغة مشهورة معروفة أمر ذو الرمة عند موته أن يكتب على قبره

يا نازع الروح من جسمى اذا قبضت * وفارج الكرب أنقذنى من النار

فكان ذلك مكتوبا على قبره * وقوله فاخر الزبرج أى فاخر الزينة أى ظاهرها * وقوله فى الدرك المرتج أى المغلق يقال ارتجت الباب اذا أغلقته وهو من الرتاج قالت جارية من العرب ماتت أمها وتزوج أبوها

ولكن قد أتى من دون ودى * وبين فؤاده غلق الرتاج
ومن لم يؤذه ألم برأسى * وما الرئمان الا بالنتاج

فياليت عمـراوأشـياعه * وعتبة فى جمعنا السوزج   فيشفوا النفوس باوتارها * بقتلى أصيبت من الخزرج
وقتلى من الاوس فى معرك * أصيبوا جميعا بذى الاضوج   ومقتل حمزة تحت اللواء * بمطـرد مارن مخلـج
وحيث انثنى مصعب ثاويا * بضربة ذى هبة سلجج   باحـد وأسـيافنا فيهم * تلهب كاللهب الموهج
غـداة لقينا كم فى الحـديــد كاسـد البراح فـلم نعنج   بكل مجلحـة كالعـقا * ب وأجرد ذى ميعة مسرج
فدسناهم ثم حتى انثنوا * سوى زاهق النفس أو محرج   « قال ابن هشام » و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار
وقول كعب ذى النور والمنهج عن أبى زيد الانصارى * قال ابن اسحق وقال عبد الله بن الزبعرى فى يوم أحد يبكى القتلى

ألا ذرفت من مقلتيك دموع * وقد بان من حبل الشباب قطوع   وشط بمن تهوى المزار وفرقت * نوى الحى دار بالحبيب فجوع
وليس لما ولى على ذى حرارة * وان طال تذراف الدموع رجوع   فذر ذا ولـكن هل أتى أم مالك * أحاديث قومى والحديث يشيع
ومجنبنا جردا الى أهل يثرب * عناجيج منها متـلد ونزيع   عشـية سرنا فى لهام يقـودنا * ضرور الاعادى للصديق نفوع
نشـد علينا كل زغف كانها * غـدير بضوج الواديين نقيع   فلما رأونا خالطتهـم مهابة * وعاينهـم أمر هناك فظيع
وودوا لو أن الارض ينشق ظهرها * بهـم وصبور القـوم ثم جزوع   وقد عريت بيض كان وميضها * حريق ترقى فى الاباء سريع
بايماننا نعـلو بها كل هامـة * ومنهـا سمام للعـدو ذريع   فغادرن قتلى الاوس عاصبة بهم * ضـباع وطير يعتفين وقوع
وجمع بنى النجار فى كل تلعـة * بابدانهـم مـن وقعهـن نجيع   ولولا علو الشعب غادرن أحمدا * ولـكن علا والسمهرى شروع
كما غادرت فى الـكر حمزة ثاويا * وفى صدره ماضى الشـباة وقيع   ونعـمان قد غادرن تحت لوائه * عـلى لحمـه طير يجفن وقوع
باحد وارماح الـكماة يردنهـم * كما غال أشـطان الدلاء نزوع   فاجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال
أشاقك من أم الوليـد ربوع * بلاقع مامـن أهلهـن جميع

عفا هن صيفى الرياح وواكف * من الدرجاف السحاب هموع

ومنه قيـل ارتج على الخطيب اذا أغلق عليـه باب القول * وفى شعر ضرار من جمعنا السورج وهو فوعل من السراج يريد المضى * وفى شعر حسان * وفوا اذا كفرتم ياسخين بربكم * أراد سخينة فرخم

فـلم يبق الا موقد النار حوله * رواكد أمثـال الحمام كنوع   فدع ذكر دار بددت بين أهلها * نوى لمتينات الحبال قطوع
وقل ان يكن يوم باحد يعـده * سـفيه فان الحق سوف يشيع   فقد صابرت فيه بنو الاوس كلهم * وكان لهـم ذكر هناك رفيع
وحامى بنو النجار فيه وصابروا * وما كان منهـم فى اللقاء جزوع   أمام رسول الله لا يخـــذلونه * لهم ناصر من ربهم وشـفيع
وفوا اذ كفرتم ياسخين بربكم * ولا يسـتوى عبد وفى ومضيع   بايديهـم بيض اذا حمس الوغى * فلا بد أن يردى لهـن صريع
كما غادرت فى النقع عتبة ثاويا * وسعدا صريعا والوشيج شروع   وقد غادرت تحت العجاجة مسندا * أبيا وقـد بل القميص نجيع
بكف رسول الله حيث تنصبت * على القـوم مما قـد يثرن نقوع   أولئك قوم سادة مـن فروعكم * وفى كل قـوم سادة وفروع
بهـن نعـز الله حتى يعـزنا * وان كان أمرا ياسـخين فظيع   فلا تذكروا قتـلى وحمـزة فيهم * قتيـل ثوى لله وهـو مطيع
فان جنان الخـلد منزلة له * وأمر الذى يقضى الامور سريع   وقتلا كم فى النار أفضـل رزقهم * حميم معا فى جوفها وضريع
« قال ابن هشام » و بعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان وابن الزبعرى وقوله ماضى الشباة وطير يجفن عن غير ابن اسـحق * قال ابن اسحق وقال عمرو بن العاصى يوم أحد   خرجنا من الفيفا عليهم كاننا * مع الصبح من رضوى الحبيك المنطق
تمنت بنو النجار جهـلا لقاءنا * لدى جنب سلع والامانى تصدق   فما راعهـــم بالشر الا فجاءة * كراديس خيل فى الازقة تمرق
أرادوا لـكيما يستبيحوا قبابنا * ودون القباب اليوم ضرب تحرق   وكانت قبابا أومنت قبل ماترى * اذا رامها قوم أبيحوا واحنقوا
كان رؤس الخزرجيين غدوة * وأيمانهم بالمشرفية بروق   فاجابه كعب بن مالك فيما ذكر ابن هشام فقال
ألا أبلغا فهرا عـلى نأى دارها * وعندهم من علمنا اليوم مصـدق   بانا غداة السفح من بطن يثرب * صـبرنا ورايات المنيـة تخفق
صبرنا لهم والصـبر منا سجية * اذا طارت الابرام نسمو ونرتق   عـلى عادة تلكم جرينا بصـبرنا * وقدما لدى الغايات نجرى فنسبق
لنا حومة لا تسـتطاع يقودها * نبى أتى بالحـق عف مصـدق   ألا هـل أتى أفناء فهر بن مالك * مقطع أطـراف وهام مفلق
* قال ابن اسحق وقال ضرار بن الخطاب   انى وجدك لولا مقدمى فرسى * اذ جالت الخيل بين الجزع والقاع

مازال منكم بجنب الجزع من أحد * أصوات هام تزاقى أمرها شاعي
وفارس قد اصاب السيف مفرقه * أفلاق هامته كفروة الراعي
اني وجدك لا انفك منتطقا * بصارم مثل لوح الملح قطاع
على رحالة ملواح مثابرة * نحو الصريخ اذا ما ثوب الداعي
وما انتميت الى خور ولا كشف * ولا لئام غداة البأس أوراع
بل ضار بين حبيك البيض اذ لحقوا * شم العرانين عند الموت لذاع
شم بهاليل مسترخ حمائلهم * يسعون للموت سعيا غير دعداع

(وقال ضرار بن الخطاب أيضا)

لما أتت من بني كعب مزينة * والخزرجية فيها البيض تأتلق
وجردوا مشرفيات مهندة * وراية كجناح النسر تختفق
فقلت يوما بأيام ومعركة * تنبي لما خلفها ما هزهز الورق
قد عودوا كل يوم أن تكون لهم * ريح القتال وأسلاب الذين لقوا
خيرت نفسي على ما كان من وجل * منها وأيقنت ان المجد مستبق
أكرهت مهري حتى خاض غمرتهم * وبله من نجيع عانك علق
فظل مهري وسربالي جسيدهما * نفخ العروق رشاش الطعن والورق
أيقنت اني مقيم في ديارهم * حتى يفارق ما في جوفه الحدق
لا تجزعوا يابني مخزوم ان لكم * مثل المغيرة فيكم ما به زهق
صبرا فدى لكم أمي وما ولدت * تعاوروا الضرب حتى يدبر الشفق

(وقال عمرو بن العاصي)

لما رأيت الحرب ينـ * ـزو شرها بالرضف نزوا
وتنازلت شهباء تلـ * ـحوا الناس بالضراء لحوا
أيقنت ان الموت حق * والحياة تكون لغوا
حملت أثوابي على * عتد يبذ الخيل رهوا
سلس اذا نكبن في الـ * ـبيداء يعلو الطرف علوا
واذا تنزل ماؤه * من عطفه يزداد زهوا
ربد كيعفور الصريـ * ـمة راعه الرامون دحوا
شنج نساه ضابط * للخيل ارخاء وعدوا
ففدى لهم أمي غدا * ة الروع اذ يمشون قطوا
سيرا الى كبش الكتيـ * ـبة اذ جلته الشمس جلوا

وعنى قريشا لانها كانت تلقب بذلك * وفي أشعار ضرار في العينية منها أمرها شاع أراد شائع فقلبت كما قال الآخر * لاث به الاشاء والعبرى * أراد لائث وكما جاء في الحديث لا يحتكر الطعام الا طاغ أو باغ أو زاغ أراد زائغ * وفي شعره القافي * رشاش الطعن والورق * الورق ما تعقد من الدم قاله ابن دريد وغيره وفيه ما به رهق أي عيب والمرهق من الرجال المعيب * وفي شعر عمرو بن العاصي يمشون قطوا القطو والاقطيطاء مشي القطا * وفي شعر كعب خذم رعابيل الخذم القطع بالاسنان ورعابيل قطع متمزقة يقال خباء مرعبل أي متمزق * وقوله * انا بنو الحرب نمريها وننتجها * مستعار من مريت الناقة اذا استدررت لبنها وننتجها اذا استخرجت منها ولدا يقال نتجت الناقة ونتجها أهلها وأما أنتجت تنتج فاذا دنا نتاجها * وقوله * يوم رذاذ من الجوزاء مشمول * يريد من أيام انواء الجوزاء وهو نوء الهقعة أو الهنعة وذلك في الشتاء في شهر كانون الاول ومشمول من الريح الشمال * وقوله الثقها من اللثق وهو البلل والطين اليسير والرذاذ معروف وهو أكثر من الطش والبغش والطل نحو منه أو أقوى منه قليلا

«قال ابن هشام» وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمرو * قال ابن اسحق فاجابهم كعب بن مالك رضي الله عنه فقال

يقال

أبلغ قريشا وخير القول أصدقه * والصدق عند ذوي الالباب مقبول
أن قد قتلنا بقتلانا سراتكم * أهل اللواء ففيما يكثر القيل
ويوم بدر لقيناكم لنا مدد * فيه مع النصر ميكال وجبريل
ان تقتلونا فدين الحق فطرتنا * والقتل في الحق عند الله تفضيل
وان تروا أمرنا في رأيكم سفها * فرأي من خالف الاسلام تضليل
فلا تمنوا لقاح الحرب واقتعدوا * ان أخا الحرب أصدى اللون مشغول
ان لكم عندنا ضربا تراح له * عرج الضباع له خذم رعابيل
انا بنو الحرب نمريها وننتجها * وعندنا لذوي الاضغان تنكيل
ان ينج منها ابن حرب بعدما بلغت * منه التراقي وأمر الله مفعول
فقد أفادت له حلما وموعظة * لمن يكون له لب ومعقول
ولو هبطتم ببطن السيل كافحكم * ضرب بشاكلة البطحاء ترعيل
تلقاكم عصب حول النبي لهم * مما يعدون للهيجا سرابيل
من جذم غسان مسترخ حمائلهم * لا جبناء ولا ميل معازيل
يمشون تحت عمايات القتال كما * تمشي المصاعبة الادم المراسيل
أو مثل مشي أسود الظل الثقها * يوم رذاذ من الجوزاء مشمول
في كل سابغة كالنهي محكمة * قيامها فلج كالسيف بهلول
ترد حد قرام النبل خاسئة * ويرجع السيف عنها وهو مفلول
ولو قذفتم بسلع عن ظهوركم * وللحيات ودفع الموت تأجيل
مازال في القوم وتر منكم أبدا * تعفو السلام عليه وهو مطلول
عبد وحر كريم موثق قنصا * شطر المدينة مأسور ومقتول
كنا نؤمل أخراكم فاعجلكم * منا فوارس لا عزل ولا ميل
اذا جنى فيهم الجاني فقد علموا * حقا بان الذي قد جر محمول
ما نحن لا نحن من اثم مجاهرة * ولا ملوم ولا في الغرم مخذول

وقال حسان بن ثابت يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أحد «قال ابن هشام» هذه أحسن ما قيل

منع النـوم بالعشاء الهـموم * وخيال اذا تغـور النجـوم
من حبيب أصاب قلبك منه * سـقم فهو داخـل مكتوم
يالقومى هل يقتل المرء مثـلى * واهن البطش والعظام سؤوم
لو يدب الحـولى من ولد الذ * ر عليها لاندبتها الكلوم
شأنها العطر والفراش ويعـلو * ها لجـين ولؤلؤ منظوم
لم تفتها شمس النهار بشئ * غـير ان الشباب ليس يدوم
ان خالى خطيب جابية الجـو * لان عند النعمان حين يقوم
وانا الصقر عند باب ابن سـلمى * يوم نعمان فى الكبول سقيم

وأبى وواقـد أطلقا لى * يوم راحا وكبلهم مخطوم
ورهنت اليـد بن عنهـم جميعا * كل كف جزء لها متسوم
وسطت نسبتى الذوائب منهم * كل دار فيهـا أب لى عظيم
وأبى فى سميحة القائل الفا * صل يوم التقت عليه الخصوم
تلك أفعالنا وفعل الز بعرى * خامل فى صـديقه مذموم
رب حلم أضاعه عدم الما * ل وجهل غطى عليه النعيم
ان دهـرا يبور فيـه ذووا العلـ * م لدهـر هـو العتو الزنـيم
لا تسبنى فلست بسبى * ان سبى من الرجال الكريم
ما أبالى أنب بالحزن تيس * أم لحانى بظهـر غيب لئيم
ولى البأس منكم اذ رحلتم * أسرة من بنى قصى صميم
تسـعة تحمل اللـواء وطارت * فى رعاع من القنا مخـزوم
وأقاموا حتى أبيحوا جميعا * فى مقام وكلهـم مذمـوم
بدم عانـك وكان حفاظا * ان يقيموا ان الـكريم كريم
وأقاموا حـتى أزيروا شـعوبا * والقنا فى نحـورهم محطوم
وقـريش تفـرمنا لواذا * ان يقيموا وخف منها الحلوم
لم تطق حمـله العـواتق منهـم * انما يحـمل اللـواء النجوم

«قال ابن هشام» قال حسان هذه القصيدة * منع النوم بالعشاء الهموم * ليلا فدعا قومه فقال لهم خشيت أن يدركنى أجلى قبل أن أصبح فلا ترووها عنى «قال ابن هشام» أنشدنى أبو عبيدة للحجاج بن علاط السلمى يمدح على بن أبى طالب رضى الله عنـه ويذكر قتله طلحة بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار صاحب لواء المشركين يوم أحد

لله أى مذبب عن حرمة * أعنى ابن فاطمة المعم المخولا
سبقت يداك له بعاجل طعنة * تركت طليحة للجبين مجدلا

يقال أرض مطلولة ومبغوشـة ولا يقال مرذوذة ولـكن يقال مرذة ومرذ عليها قاله الخطابى * وذكر شـعر حسان قال ابن هشام هذه أجود ما قال وهذه القصيدة التى قالها حسان ليلا ونادى قومـه أنا بو الحسام أنا أبو الوليد وهما كنيتان له ثم أمرهم ان يرووها عنـه قبل النهار مخافة ان يعوقه عائق فخر فيها على ابن الزبعرى بمقامات له عند ملوك الشام من أبناء جفنة اوتك فيها اعنا من قومه * وذكر مقام خالد عند النعمان الغسانى من آل جفنة وليس بالنعمان بن المنذر وقال فيها

رب حلم أضاعه عدم الما * ل وجهل غطا عليه النعيم

غطا بتخفيف الطاء أنشده يونس بن حبيب وهكذا كان فى حاشية الشيخ مذكورا عن يونس وغط معناه ارتفع وعلا وأنشد النتبى

ومن تعاجيب خلق الله غاطية * يعصى منها ملاحى وغر بيب

ملاحى بتخفيف اللام ويقال ملاحى كما قال * كعنقود ملاحية حين نورا * وقال ابو حنيفـة من قال ملاحية بالتشديد شبهه بالملاح وهو نمر الاراك وفيه ملوحة قال والغربيب اسم لنوع من العنب وليس بنعت (قال المؤلف) واذا ثبت هـذا فلعلك أن تفهم منه معنى قوله سبحانه « وغرابيب سود » حـين وصف الجدد وسود عنـدى بدل لا نعت وانما يـتم شرح الآية لمن لحظه من هـذا المطلع فان أبا حنيفة زعم ان الغربيب اذا اطلق لفظه ولم يقيد بشئ موصوف به فانما يفهم منه العنب الذى هذا اسمه خاصة والله الموفق للصواب وفهم الـكتاب * وذكر فيه حماة للواء من بنى عبد الدار وانهم صرعوا حوله حتى أخـذته امرأة منهم وهى عمرة بنت علقمة فلذلك قال

لم تطق حمله العواتق منهم * انما يحمل اللواء النجوم

وقال فى شعر حجاج بن علاط يمدح عليا رضى الله عنه * أى مذبب عن حرمة * لله أى بيت فى حاشية الشيخ أبى بحر على هذا البيت فى حاشية الاصل يعنى أصل أبى الوليد قال ابراهيم اى نصب لانه مديح والمديح نصب فى أى حالية فاما ابن هشام فرفع أى (قال المؤلف) وهذا الذى ذكره من نصب أى على المديح لا يستقيم الا أن تقدر حذف المبتدأ قبله كانه قال لله أنت لانه لا ينصب على المدح الا بعد جملة تامة وأما الرفع على أن تجعل خبر لله فقبيح لانها وان كانت خبرا فاصلها الاستفهام فلها صـدر الكلام كما كان ذلك فى كم خبرية كانت أو استفهامية فالتقدير اذا لله دره أى مذبب عن حرمة هو ألا ترى انه يقبح أن يقول جاءنى اى فتى فان جملته

وشددت شدة باسل فكشفتهم * بالجر اذ يهوون أخول أخولا   * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه يبكى حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد رضى الله عنهم

يامى قــومى فاندبى * بسـحيرة شجو النوائح   كالحاملات الوقر بالثقـ * ـل الملحات الدوالح

المعـولات الخامشا * ت وجوه حرات صحائح   وكان سيل دموعها الا * نصاب تخضب بالذبائح

ينقضن أشعارا لهـ * ن هناك بادية المسائح   وكانها أذناب خيـ * ـل بالضحى شمس روامح

من بين مشرور ومجـ * ـزور يذعذع بالبوارح   (١٦٢)   يبكين شجو مسـلبا * ت كدحتهن الكوادح

ولقد أصاب قلوبها * مجـل له جلب قوارح

اذا أقصد الحدثان من * كنا نرجى اذ نشايح

أصحاب أحـد غالهم * دهـر ألم له جوارح

من كان فارسنا وحا * مينا اذا بعث المسالح

ياحمـزة لا والله لا * أنساك ماصر اللقائح

لمناخ أيتام وأضـ * ـياف وأرملة تلامح

ولما ينوب الدهر فى * حرب لحرب وهى لاقح

يافارسا يا مـدرها * ياحمز قد كنت المصامح

عنا شديدات الخطو * ب اذا ينوب لهن فادح

ذكرتنى أسد الرسو * ل وذاك مدرهنا المنافح

عنا وكان يعـد اذ * عد الشريفون الجحاجح

يعلو القماقم جهـرة * سبط اليدين أغر واضح

لا طائش رعش ولا * ذو علة بالحمـل آنح

بحـرا فليس يغب جا * را منه سيب أو منادح

أودى شباب أولى الحفا * ئظ والثقيلون المراجح

المطعمون اذا المشا * تى مايصفقهن ناضح

لحم الجلاد وفوقه * من شحمه شطب شرائح

ليدافعوا عـن جارهم * ما رام ذو الضغن المكاشح

لهفى لشبان رزئـ * ـناهم كأنهم المصابح

شم بطارقة غطا * رفة خضارمة مسامح

المشترون الحمد بالا * موال ان الحمد رابح

والجازمون بلجمهم * يوما اذا ماصاح صائح

وصفا جاريا على ماقبلها فقلت جاءنى رجل أى رجل جاز ذلك لانه اذا كان وصفا لم تله العوامل اللفظية فكانه لم يخرج عن أصله اذ المبتدأ لا تليه العوامل اللفظية * وقوله أخول أخولا أى متفرقين ووقع تفسيره فى بعض النسخ من قول ابن هشام وكان أصله من الخال وهو الخيلاء والكبر تقول فلان أخول من فلان أى أشد كبرا منه واختيالا فمعنى قولهم اذا جاء القوم أخول أخولا أى انفرد كل واحد منهم بنفسه، وازدهاه الخال أن يكون تابعا لغيره فكلما رأيت أحدا منهم قلت هذا أخول من الآخر هذا هو الاصل ثم كثر حتى استعمل فى التفرق مثلا وان لم يكن هناك من معنى الخال شئ وقد قيل فى أخول انه من تخولت بالموعظة ونحوها اذا فعلت ذلك شيأ فشيأ وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا * وذكر شعر حسان الحائى وقال فيه

كالحاملات الوقر بالثقـــل الملحات الدوالح

الدوالح جمع دالحة وهى المثقلة وكذلك الدلوح من السحاب وهى المثقلة بالماء وفيه

ينقضن أشعارا لهـــن هناك بادية المسائح

المسائح جمع مسيحة وهو مالم يمشط من الشعر بدهن ولا شئ والمسيحة أيضا القطعة من الفضة والمسيحة الفرس * وقوله من بين مشرور اى مفرق ويقال شررت الملح اذا فرقته والمجل كالجرح تقول مجلت يدى من العمل * وقوله نشايح أى نحاذر كما قال الآخر * وشايحت قبل اليوم انك شيح * وقوله قد كنت المصافح وفى الحاشية عند الشيخ المصافح بالفاء فى رواية اخرى وأما المصامح بالميم فيجوز أن يكون من صمحت الشئ اذا أذبته قاله صاحب العين قال والصمحمح من الرجال الشديد العصب وسنه ما بين الثلاثين الى الاربعين والصماح فيما ذكر أبو حنيفة الريح المنتنة * وقوله سيب أو منادح يجوز أن يكون جمع مندوحة وهى السعة وقياسه مناديح بالياء وحذفها ضرورة ويجوز أن يكون من الندح فيكون مفاعلا بضم الميم أى مكاثرا او يكون بفتح الميم فيكون جمع مندوحة مفعلة من الكثرة والسعة وأما قولهم أنا فى مندوحة من هذا الامر فهى مفعولة من الندح ووهم أبو عبيد فجعله من انداح بطنه اذا اتسع والنون فى مندوحة أصل وهى فى انداح زائدة لان وزنه انفعل والالف فى انداح أصل وهى بدل من واو كانه مندوحة الشج والميم فى مندوحة زائدة والدال عين الفعل وهو فى انداح فاء الفعل ومن ههنا قال الخطابى ياعجبا لابن قتيبة يترك مثل هذا من غلط أبى عبيد ويعنق فى الرد عليه فيما لا بال له من الغلط * وقوله خضارمة جمع خضرم وهو الكثير العطاء

من كان يرمى بالنوا * قر من زمان غير صالح
ما ان تزال ركابه * يرسمن فى غير صحاصح
راحت تبارى وهو فى * ركب صدورهم رواشح
حتى تؤب له المعا * لى ليس من فوز السفائح
ياحمز قد أوحدتنى * كالعود شذ به الكوافح
أشكو اليك وفوقك التـ * ـرب المكور والصفائح
من جندل يلقيه فو * قك اذ أجاد الضرح ضارح
فى واسع يحشونه * بالترب سوته المماسح
فعزاؤنا أنا نقو * ل وقولنا برح بوارح
من كان أمسى وهو عما * أوقع الحدثان جانح
فليأتنا فلتبك عيـ * ـناه لهلكانا النوافح
القائلين الفاعليـ * ـن ذوى السماحة والممادح
من لا يزال ندى يد * يه له طوال الدهر مائح

«قال ابن هشام» وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان وبيته المطعمون اذا المشاتى وبيته والجامزون بلجمهم وبيته من كان يرمى بالنواقر عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

أتعرف الدار عفار سمها * بعدك صوب المسبل الهاطل
بين السراديح فادمانة * فمدفع الروحاء فى حائل
سألتها عن ذاك فاستعجمت * لم تدر ما مرجوعة السائل
دع عنك دارا قد عفا رسمها * وابك على حمزة ذى النائل
المالىء الشيزى اذا أعصفت * غبراء فى ذى الشبم الماحل
والتارك القرن لدى لبدة * يعثر فى ذى الخرص الذابل
واللابس الخيل اذ أجحمت * كالليث فى غابته الباسل
أبيض فى الذروة من هاشم * لم يمر دون الحق بالباطل

مال شهيدا بين أسيافكم * شلت يدا وحشى من قاتل
أى امرئ غادر فى آلة * مطرورة مارنة العامل
أظلمت الارض لفقدانه * واسود نور القمر الناصل
صلى عليه الله فى جنة * عالية مكرمة الداخل
كنا نرى حمزة حرزا لنا * فى كل أمر نابنا نازل
وكان فى الاسلام ذا تدرإ * يكفيك فقد القاعد الخاذل
لا تفرحى يا هند واستجلبى * دمعا وأذرى عبرة الثاكل
وابكى على عتبة اذ قطه * بالسيف تحت الرهج الجائل
اذ خر فى مشيخة منكم * من كل عات قلبه جاهل
أرداهم حمزة فى اسرة * يمشون تحت الحلق الفاضل
غداة جبريل وزير له * نعم وزير الفارس الحامل

وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

طرقت همومك فالرقاد مسهد * وجزعت ان سلخ الشباب الاغيد
ودعت فؤادك للهوى ضمرية * فهواك غورى وصحوك منجد
فدع التمادى فى الغواية سادرا * قد كنت فى طلب الغواية تفند
ولقد أنى لك ان تناهى طائعا * أو تستفيق اذا نهاك المرشد
ولقد هددت لفقد حمزة هدة * ظلت بنات الجوف منها ترعد
ولو انه فجعت حراء بمثله * لرأيت رأسى صخرها يتبدد
قرم تمكن فى ذؤابة هاشم * حيث النبوة والندى والسوددا
والعاقر الكوم الجلاد اذا غدت * ريح يكاد الماء فيها يجمد
والتارك القرن الكمى مجدلا * يوم الكريهة والقنا يتقصد
وتراه يرفل فى الحديد كأنه * ذو لبدة شثن البراثن أربد
عم النبى محمد وصفيه * ورد الحمام فطاب ذاك المورد
وأتى المنية معلما فى أسرة * نصروا النبى ومنهم المستشهد
ولقد أخال بذاك هندا بشرت * لتميت داخل غصة لا تبرد
مما صبحنا بالعقنقل قومها * يوما تغيب فيه عنها الاسعدا
وببئر بدر اذ يرد وجوهم * جبريل تحت لوائنا ومحمد
حتى رأيت لدى النبى سراتهم * قسمين نقتل من نشاء ونطرد
فأقام بالعطن المعطن منهم * سبعون عتبة منهم والاسود
وابن المغيرة قد ضربنا ضربة * فوق الوريد لها رشاش مزبد

العطاء * وقوله يرسمن من الرسيم فى السير والصحاصح جمع صحصح وهى الارض الملساء * وقوله ليس من فوز السفائح السفائح جمع سفيحة وهى كالجوالق ونحوه * وقال فى القصيدة اللامية ذى الخرص الذابل يريد الرمح والخرص سنانه وجمعه خرصان * وفيه * شلت يدا وحشى من قاتل * ترك التنوين للضرورة لما كان اسما علما والعلم قد يترك صرفه كثيرا ومنع من ذلك البصريون واحتج الكوفيون فى اجازته بان الشاعر قد يحذف الحرف والحرفين نحو قول علقمة بسبا الكتان أى بسبائب وقول لبيد * كالحلاميح بايدى السلام أى التلاميذ * وقال ابن السراج محتجا عليهم ليس التنوين من هذا فى شىء لانه زائد لمعنى وما زيد لمعنى لا يحذف * وفى شعر كعب * طرقت همومك فالرقاد مسهد * أراد الرقاد مسهد صاحبه فحذف المضاف وقام المضاف اليه مقامه وهو الضمير المخفوض فصار الضمير مفعولا لم يسم فاعله فاستتر فى المسهد * ومنه * وجزعت ان سلخ الشباب الاغيد * أى الاغيد صاحبه وهو الناعم * وقوله

وأميــة الجمحى قوم ميــله • عضب بأيدى المؤمنين مهنـد   فاناك فل المشركين كأنهم • والخيل تثفنهم نعام شرد
شـتان من هو فى جهـنم ثاويا • أبدا ومن هو فى الجنان مخلدا   وقال كعب أيضا يبكى حمزة رضى الله عنهما
صفية قومى ولا تعجزى • وبكى النساء على حمـزة   ولا تسأمى أن تطيلى البكا • على أسد الله فى الهـزة

فقد كان عـزا لايتامنا • وليث المـلاحم فى البزة
يريد بذاك رضا احمد • ورضوان ذى العرش والعزة

وقال كعب رضى الله عنـه أيضا فى يوم أحد

انك عمر أبيك الكريـ • ـم ان تسألى عنك من يجتدينا
فان تسألى ثم لا تكذبى • يخبرك من قد سأل اليقينا
بانا ليالى ذات العظا • م كنا ثمالا لمن يعترينا
تلوذ النجوم باذرائنا • من الضر فى أزمات السنينا
بجـدوى فضول أولى وجدنا • وبالصبر والبـذل فى المعدمينا
وأبقت لنا جلمات الحرو • ب ممن نوازى لدن أن برينا
معاطن تهوى اليها الحقو • ق يحسبها من رآها الفتينا
تخيس فيها عتق الجما • ل صحما دواجن حمرا وجونا
ودفاع رجل كموج الفرا • ت يقـدم جأواء جولا طحونا
ترى لونها مثل لون النجو • م رجراجة تبرق الناظرينا
فان كنت عن شأننا جاهلا • فسل عنـه ذا العلم ممن يلينا
وجاؤا بنا كيف نفعل ان قلصت • عوانا ضروسا عضوضا حجونا
ألسنا نشد عليها العصا • ب حتى تدر وحتى تلينا
ويوم له رهـج دائم • شديد التهاول حامى الارينا

والخيل تثفنهم أى تتبع آثارهم وأصله من ثفنات البعير وهو ما حول الخف منه *وقول كعب فى الشعر الزائى * وليث الملاحم فى البزة * البزة الشارة الحسنة والبزة السلاح أيضا وهو من بززت الرجل اذا سلبته بزته يقال من عز بز أى من غلب سلب والبزابز الرجل الشديد * وقال أيضا فى القصيدة النونية * تلوذ البجود بأذرائنا* البجود جمع بجد وهم جماعة من الناس ويروى النجود بالنون وهى المرأة المكروبة والنجود من الابل القوية وقوله بأذرائنا جمع ذرى من قولهم أنا فى ذرى فلان أى فى ستره وتقول العرب ليس فى الشجر أذرى من السلم أى أدفأ ذرى منه لأنه يقال ما مات أحد صردا قط فى ذرى سلمة *وقوله جلمات الحروب من قولك جلمت الشئ وجرشته اذا قطعته ومنه الجلمان *وقوله لدن أن برينا أى خلقنا والبارى الخالق سبحانه أى هذا حالنا من لدن خلقنا *وقوله يحسبها من رآها الفتينا هى الصخور السود سميت بذلك لانها تشبه ما فتن بالنار أى احرق وفى التنزيل «على النار يفتنون» وأصل الفتن الاختبار وأما قيل فتنت الحديدة بالنار لانك تختبر طيبها من خبيثها *وقوله دواجن حمرا وجونا أى حمرا وسودا *وقوله جأواء أى كتيبة لونها لون الحديد *وقوله جولا طحونا الجول جانب البئر *وقوله ان قلصت يعنى الحرب ثم وصفها فقال عضوضا حجونا من العض وحجونا من حجنت العود اذا لويته *وقوله

ألسنا نشد عليها العصا * ب حتى تدر وحتى تلينا

هذا كله من صفة الحرب شبهها بناقة صعبة قلصت أى صارت قلوصا أى انا نذلل صعبها ونلين من ضرابها وقوله ويوم له رهج دائم الرهج الغبار *وقوله شديد التهاول جمع تهويل والتهاويل ألوان مختلفة قال الشاعر يصف روضا

وعازب قد علا التهويل جنبته * لا تنفع النعل فى رقراقه الحافى

وقوله حامى الارينا جمع ارة وهو مستوقد النار يجوز أن يكون وزنها علة من الاوار وهو الحر فحذفت الهمزة وهمزت الواو لانكسارها وجائز أن يكون وزنها فعة من تأريت بالمكان لانهم يتأرون حولها وهذا الوجه هو الصحيح لانهم جمعوها على ارين مثل سنين ولا يجمع هذا الجمع المسلم كجمع من يعقل الا اذا حذفت لامه وكان مؤنثا وكان لام الفعل حرف علة ولم يكن له مذكر كالامة اذا اجتمعت فيه هذه الشروط الاربعة جمع بالواو والنون فى الرفع والياء والنون فى الخفض والنصب كسنين وعضين غير أنهم قد قالوا رقين فى جمع الرقة وهى الورق وقد تكلمنا على سر هذا الجمع وسر أرضين فى نتائج الفكر بما فيه جلاء والحمد لله * وقوله كنار أبى حباحب والضيبنا يقال أبو حباحب ذباب يلمع بالليل وقيل كان رجلا لئيما لا يرفع ناره خشية الاضياف ولا يوقدها الا ضيفه وترك صرفه ولم يخفض وهو فى موضع الخفض لما قدمناه من أن الاسم اذا ترك صرفه ضرورة أو غير ضرورة لم يدخله الخفض كما لا يدخله التنوين لئلا يشبه ما يضيفه المتكلم الى نفسه وقال أبو حنيفة لا ادرى ما حباحب ولا أبو حباحب ولا بلغنى عن العرب فيه شئ وقال فى الارة عن قوم حكى قولهم هو من أريت الشئ اذا عملته وقال الارى هو عمل النحل وفعلها ثم سمى العسل اريا لهذا كما يسمى مزجا وأنشد

طـويل شديدا أوارالقنا * ل تنفى قواحزه المقرفينا
تخال الـكماة بأعـراضه * ثمـالا عـلى لذة مـترفينا
تعـاور أيمانهـم بينهـم * كؤس المنايا بحـد الظبينا
شهدنا فـكنا أولى بأسه * وتحت العماية والمعلمينا
بخرس الحسيس حسان رواء * وبصرية قـد أجمنا الجفونا
فما ينفللن وما ينحنـين * وما ينتهينا اذا ماتهينا
كبرق الخريف بأيدى الكما * ة يفجعن بالظل هاماسكونا
وعلمنا الضرب آباؤنا * وسـوف نعـلم ايضا بنينا
جـلاد الـكماة و بذل التلا * د عن جل أحسابنا مابقينا
اذا مر قرن كفى نسله * وأورثه بعـده آخرينا
نشب وتهلك آباؤنا * و بينا نربى بنينا فنينا
سألت بك ابن الزبعرى فلم * أنبائك فى القـوم الاهجينا
خبيثا تطيف بك المنديات * مقيما على اللؤم حينا فحينا
تبجحت تهجو رسول المليـ * ـك قاتلك الله جلفا لعينا
تقـول الخنا ثم ترمى به * نـقى الثياب تقيا أمينا

«قال ابن هشام» أنشدنى بيته بنا كيف نفعل والبيت الذى يليه والبيت الثالث منه وصدر الرابع منه وقوله نشب وتهلك آباؤنا والبيت الذى يليـه والبيت الثالث منـه أبو زيد الانصارى * قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك رضى الله عنه ايضاً فى يوم أحد

سائل قريشا غداة السفح من أحد * ماذا لقينا وما لاقوا من الهرب
كنا الاسود وكانوا النمر اذ زحفوا * ما ان نراقب من ال ولا نسب
فكم تركنا بها من سـيد بطل * حامى الذمار كريم الجد والحسب
فينا الرسول شهاب ثم نتبعـه * نور مضىء له فضل على الشهب
الحق منطقه والعدل سـيرته * فمن يجبه اليـه ينج من تبب
نجد المقدم ماضى الهم معتزم * حين القلوب على رجف من الرعب
يمضى ويذمرنا عن غير معصية * كانه البدر لم يطبع على الكذب
بدالنـا فاتبعنـاه نصـدقـه * وكذبوه فـكنا أسـعد العرب
جالوا وجلنا فما فاؤا وما رجعوا * ونحن نثفنهم لم نأل فى الطلب
ليسا سواء وشتى بين أمرهما * حزب الاله وأهل الشرك والنصب

« قال ابن هشام » أنشدنى من قوله يمضى ويذمرنا الى آخرها أبو زيد الانصارى * قال ابن اسحق وقال عبـد الله بن رواحـة يبكى حمزة بن عبـد المطلب « قال ابن هشام » أنشدنيها أبو زيد الانصارى لـكعب بن مالك

بكت عينى وحق لهـا بكاها * وما يغنى البكاء ولا العويل

وجاؤا بزج لم ير الناس مثله * هو الضحك الا انه عمل النحل

قال والضحك الزبد الابيض وقيل الثغر وقيل الطلع وقيل العجب * وقوله والظبينا جمع ظبة جمعها على هـذا الجمع المسلم لما قدمناه فى الارين والسنين غـير انه لم يكسر أول الكلمة كما كسرت السـين من سنين اشعارا بالجمع لان ظبين لا يشبه أن يكون واحـدا اذ ليس فى الاسماء فعـيل وكسروا أول سـنين ايذانا بانه جمع كى لا يتوهم انه اسم على فعول اذ ليس فى الاسماء فعول ولا فعيـل ولم يبلغ سيبويه ان ظبة تجمع على ظبين وقد جاء فى هذا الشعر وفى غيره كما تراه * وقوله قواحـزه جمع قاحز وهو الوثاب القلق يقال قحز قحزانا اذا وثب وقلق وقوله بخرس الحسيس يصف السيوف بالخرس لوقوعها فى الدم واللحم * وقوله حسان رواء من الدم وقوله بصرية منسوبة الى بصرى من أرض الشام كما أن المشرفية منسوبة الى مشارف من أرض الشام لانها تصنع فيها * وقوله قد أجمن الجفونا أى كرهن المقام فيها ومللنه ومنه قول هشام لسالم بن عبد الله ماطعامك قال الخبز بالزيت قال أما تأجمهما قال اذا أجمتهما تركتهما حتى أشتهيهما * وقوله وتحت العماية والمعلمينا باسقاط الواو من أول القسيم الثانى وقع فى الاصل وفى الحاشية وتحت العماية بواو العطف وقع فى الاصلين وبها يكمل الوزن ولا يجوز اسـقاطها الا على مـذهب الاخفش الذى يجيز الخرم فى أول القسـيم الثانى من البيت كما يجيزه العروضيون فى أول البيت * وقوله تطيف بك المنديات أى الامور الشنيعة * وقوله تبجست من تبجس الماء اذا انفجر * وقول ضرار فى قصيدته الدالية يكبوا فى جديته أى فى دمه * وقوله ثعلب جسد يريد ثعلب الرمح وجسـد من الجساد وهو الدم * وقوله الاضغان والحقـد حرك القاف بالكسر ضرورة ولو وقف على الدال بالسكون وكان الاسم مخفوضا كان الكسر أحسن فى الوقف كما قال واصطفقا بالرجـل أى الرجل * وقوله العوصاء والكود يريد الرملة العويص مسلكها والكؤد جمع عقبـة كؤد وهى الشاقة . وقول عكرمة ارحب هلا هو من زجر الخيل وكذلك هقط وهقط وهب وسقب * وذكر قول نعيم

* ياعين جودى بفيض غير ابساس * الابساس أن تستدر لبن الناقة بان تمسح ضرعها وتقول لها بس بس فاستعارت هـذا المعنى للدمع الفائض بغير تكلف ولا استدرار له * وقولها صعب البديهـة أى بديهته لا تعارض ولا تطاق فكيف رويته واحتفاله . وفى شعر كعب

بكت عينى وحق لها بكاها * وما يغنى البكاء ولا العويل

على أسد الاله غداة قالوا * أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً * هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الاركان هدت * وأنت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك في جنان * مخالطها نعيم لا يزول
الا ياهاشم الاخيار صبرا * فكل فعالكم حسن جميل
رسول الله مصطبر كريم * بامر الله ينطق اذ يقول
ألا من مبلغ عنى لؤيا * فبعد اليوم دائلة تدول
وقبل اليوم ماعرفوا وذاقوا * وقائعنا بها يشفى الغليل
نسيتم ضربنا بقليب بدر * غداة أتاكم الموت العجيل
غداة ثوى أبوجهل صريعاً * عليه الطير حائمة تجول
وعتبة وابنه خرا جميعا * وشيبة عضه السيف الصقيل
ومتركنا أمية مجلعبا * وفي حيزومه لدن نبيل
وهام بني ربيعة سائلوها * ففي أسيافنا منها فلول
ألا ياهند فابكي لا تملي * فانت الواله العبرى الهبول
ألا ياهند لا تبدى شماتا * بحمزة ان عزكم ذليل

* قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك رضى الله عنه أيضاً

أبلغ قريشا على نأيها * أتفخر منا بما لم تل
فخرتم بقتلى أصابتهم * فواضل من نعم المفضل
فحلوا جنانا وأبقوا لكم * أسودا تحامى عن الاشبل
تقاتل عن دينها وسطها * نبي عن الحق لم ينكل
رمته معد بعوار الكلام * ونبل العداوة لا تأتلى

« قال ابن هشام » أنشدنى قوله لم تل وقوله من نعم المفضل أبو زيد الانصارى . قال ابن اسحق وقال ضرار بن الخطاب في يوم أحد

ما بال عينيك قد أزرى بها السهد . كأنما جال في أجفانها الرمد
أمن فراق حبيب كنت تألفه . قد حال من دونه الاعداء والبعد
أم ذاك من شغب قوم لا جداء بهم . اذا الحروب تلظت نارها تقد
ما ينتهون عن الغى الذى ركبوا
وما لهم من لؤى ويحهم عضد
وقد نشدناهم بالله قاطبة
فما تردهم الارحام والنشد
حتى اذا ما أبوا الا محاربة
واستحصدت بيننا الاضغان والحقد

وضع المقصور في موضعه والممدود في موضعه لان البكا مقصور بمعنى الحزن والغم وان كان ممدودا فهو الصراخ وكذلك قياس الاصوات أن تكون على فعال فقوله حق لها بكاها أى حق لها حزنها لانه الذى يحق دون الصراخ ثم قال وما يغنى البكاء ولا العويل أى ليس ينفع الصياح ولا الصراخ ولا يجدى على أحد فتنزلت كل كلمة منزلتها * وقوله حق لها أى حق والاصل حقق على فعل فبكاها فاعل لا مفعول وكل فعل اذا أردت المبالغة في الامر ومعنى التعجب نقلت الضمة من عين الفعل الى فائه فتقول حسن زيد أى حسن جدا فان لم ترد معنى التعجب لم يجز الا الضم أو التسكين تقول كبر زيد وكبر ولا تقول كبر الا مع قصد التعجب قال الشاعر * وحب بها مقتولة حين تقتل * يعنى الخمر وقال آخر

لم يمنع القوم منى ما أردت ولم * أعطيهم ما أرادوا حسن ذا أدبا

أى حسن وقال آخر * الا حب بالبيت الذى أنت زائره * وقال بالبيت لان معناه كمعنى احبب بالبيت تعجبا

سرنا اليهم بجيش في جوانبه * قوانس البيض والمحبوكة السرد
والجرد ترفل بالابطال شازبة * كأنها حدأ في سيرها تؤد
جيش يقودهم صخر ويرأسهم * كأنه ليث غاب هاصر حرد
فأبرز الحين قوما من منازلهم * فكان منا ومنهم ملتقى أحد
فغودرت منهم قتلى مجدلة * كالمعز أصرده بالصردح البرد
قتلى كرام بنو النجار وسطهم * ومصعب من قنانا حوله قصد
وحمزة القرم مصروع تطيف به * ثكلى وقد حز منه الانف والكبد
كأنه حين يكبو في جديته * تحت العجاج وفيه ثعلب جسد
حوار ناب وقد ولى صحابته * كما تولى النعام الهارب الشرد
مجلحين ولا يلوون قد ملؤا * رعبا فنجتهم العوصاء والكؤد
تبكى عليهم نساء لا بعول لها * من كل سالبة أثوابها قدد
وقد تركناهم للطير ملحمة * وللضباع الى أجسادهم تفد

« قال ابن هشام » وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار * قال ابن اسحق وقال أبو زعنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة أخو بنى جشم ابن الخزرج يوم أحد

أنا أبو زعنة يعدو بى الهزم * لم تمنع المخزاة الا بالالم * يحمى الذمار خزرجى من جشم

قال ابن اسحق وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه « قال ابن هشام » قالها رجل من المسلمين يوم أحد غير على فيم ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحدا منهم يعرفها لعلى رضى الله عنه

لاهم ان الحرث بن الصمه * كان وفيا وبنا ذمه
أقبل في مهامه مهمه * كليلة ظلماء مدلهمه
بين سيوف ورماح جمه * يبغى رسول الله فيما ثمه

« قال ابن هشام » قوله كليلة عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال عكرمة بن أبى جهل في يوم أحد

كلهم يزجره أرحب هلا * ولن يروه اليوم الا مقبلا * يحمل رمحا ورئيسا جحفلا

وقال الاعشى بن زرارة بن النباش التميمي « قال ابن هشام » ثم أحد بنى أسد بن عمرو بن تميم يبكى قتلى بنى عبد الدار يوم أحد

حى من حى على نأيهم * بنو أبى طلحة لا تصرف
يمر ساقيهم عليهم بها * وكل ساق لهم يعرف
لا جارهم يشكو ولا ضيفهم * من دونه باب لهم يصرف

وقال عبدالله بن الزبعرى يوم أحد

قتلنا ابن جحش فاغتبطنا بقتله * وحمزة فى فرسانه وابن قوقل
وأفلتنا منهم رجال فاسرعوا * فليتهم عاجوا ولم نتعجل
أقاموا لنا حتى تعض سيوفنا * سراتهم وكلنا غير عزل
وحتى يكون القتل فينا وفيهم * ويلقوا صبوحا شره غير منجلى

« قال ابن هشام » وقوله وكلنا وقوله ويلقوا صبوحا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وعنها

اسائلة أصحاب أحد مخافة * بنات أبى من أعجم وخبير
فقال الخبيران حمزة قد ثوى * وزير رسول الله خير وزير
دعاه اله الحق ذو العرش دعوة * الى جنة يحيا بها وسرور
فذلك ما كنا نرجى ونرتجى * لحمزة يوم الحشر خير مصير
فوالله لا أنساك ماهبت الصبا * بكاء وحزنا محضرى ومسيرى
على أسد الله الذى كان مدرها * يذود عن الاسلام كل كفور
فياليت شلوى عند ذاك واعظمى * لدى أضبع تعتادنى ونسور
أقول وقد أعلى النعى عشيرتى * جزى الله خيرا من أخ ونصير

« قال ابن هشام » أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قولها

* بكاء وحزنا محضرى ومسيرى *

قال ابن اسحق وقالت نعم امرأة شماس بن عثمان تبكى شماسا وأصيب يوم أحد

ياعين جودى بفيض غير ابساس * على كريم من الفتيان لباس
صعب البديهة ميمون نقيبته * حمال ألوية ركاب أفراس
أقول لما أتى الناعى له جزعا * أوى الجواد وأودى المطعم الكاسى
وقلت لما خلت منه مجالسه * لا يبعد الله عنا قرب شماس

فاجابها أخوها وهو أبو الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها فقال

أقنى حياءك فى ستر وفى كرم * فانما كان شماس من الناس
لا تقتلى النفس اذ حانت منيته * فى طاعة الله يوم الروع والباس
قد كان حمزة ليث الله فاصطبرى * فذاق يومئذ من كان شماس

وقالت هند بنت عتبة حين انصرف المشركون عن أحد

رجعت وفى نفسى بلابل جمة * وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى
من اصحاب بدر من قريش وغيرهم * بنى هاشم منهم ومن أهل يثرب
ولكننى قد نلت شيأ ولم يكن * كما كنت أرجو فى مسيرى ومركبى

« قال ابن هشام » وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قولها وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى و بعضهم ينكرها لهند والله أعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ ذكر يوم الرجيع فى سنة ثلاث ﴾

* قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبدالله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة «قال ابن هشام» عضل والقارة من الهون بن خزيمة بن مدركة «قال ابن هشام» ويقال الهون بضم الهاء * قال ابن اسحق فقالوا يارسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرؤننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرا ستة من أصحابه وهم مرثد بن أبى مرثد الغنوى حليف حمزة بن عبد المطلب وخالد بن البكير الليثى حليف بنى عدى بن كعب وعاصم بن ثابت بن أبى الاقلح أخو بنى عمرو بن عوف ابن مالك بن الاوس وخبيب بن عدى أخو بنى جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف وزيد بن الدثنة بن معاوية أخو بنى بياضة بن عامر بن

وقول كعب * أبا يعلى لك الاركان هدت * كان حمزة يكنى ابا يعلى بابنه يعلى ولم يعش لحمزة ولد غيره وأعقب يعلى خمسة من البنين ثم انقرض عقبهم فيما ذكر مصعب ويكنى حمزة ايضا أبا عمارة وقد تقدم ذكره فى المبعث بهذه الكنية قيل ان عمارة بنت له كنى بها وهى التى وقع ذكرها فى السنن للدارقطنى ان مولى لحمزة مات وترك بنتا فورثت منه النصف وورثت بنت حمزة النصف الآخر ولم يسمها فى السنن ولكن جاء اسمها فى كتاب أحكام القرآن لبكر بن العلاء والله أعلم وقد روى ان الولاء كان لها وانها كانت المعتقة لا حمزة

﴿ مقتل خبيب وأصحابه ﴾

وذكر غدر عضل والقارة وهما بطنان من بنى الهون والهون هم بنو الريش و يثيع ابنى الهون بن خزيمة وقد تقدم التعريف بمعنى القارة وبالمثل الذى جرى فيهم والقارة الحرة وذكرنا السبب فى تسميتهم بها * وذكر ان أصحاب خبيب كانوا ستة وفى الجامع الصحيح للبخارى انهم كانوا عشرة وهو أصح والله اعلم * وذكر اسماء الستة وقد نسبهم فيما تقدم فأما خبيب فهو من بنى جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف بن مالك بن

زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبى مرثد الغنوى فخرج مع القوم حتى اذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز على صدور الهدأة غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم فى رحالهم الا الرجال بايديهم السيوف قد غشوهم فاخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم انا والله ما نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم شيأ من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه ان لا نقتلكم فاما مرثد بن أبى مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا فقال عاصم بن ثابت

ما علتى وانا جلد نابل * والقوس فيها وتر عنابل
تزل عن صفحتها المعابل * الموت حق والحياة باطل
وكل ما حم الاله نازل * بالمرء والمرء اليه آيل
ان لم أقاتلكم فامى هابل

«قال ابن هشام» هابل ثاكل وقال عاصم بن ثابت أيضا

أبو سليمان وريش المقعد * وضالة مثل الجحيم الموقد
اذا النواحى افترشت لم أرعد * ومجنأ من جلد ثور أجرد
ومؤمن بما على محمد *

وقال عاصم بن ثابت أيضا

أبو سليمان ومثلى راما * وكان قومى معشرا كراما

وكان عاصم بن ثابت يكنى أبا سليمان ثم قاتل القوم حتى قتل وقتل صاحباه فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فيه الخمر فمنعته الدبر فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسى فيذهب عنه فنأخذه فبعث الله الوادى فاحتمل عاصما فذهب به وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا تنجسا فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعته يحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدى وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا فى الحياة فاعطوا بايديهم فاسروهم ثم خرجوا بهم الى مكة ليبيعوهم بها حتى اذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القران ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه فقبره رحمه الله بالظهران وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة «قال ابن هشام» فباعوهما من قريش باسيرين من هذيل كانا بمكة * قال ابن اسحق فابتاع خبيبا حجير بن أبى اهاب التميمى حليف بنى نوفل لعقبة بن الحرث بن عامر بن نوفل وكان أبو اهاب أخا الحرث بن عامر لامه ليقتله بابيه «قال ابن هشام» الحرث بن عامر خال أبى اهاب وأبو اهاب أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم ويقال أحد بنى عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم من بنى تميم * قال ابن اسحق وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بابيه أمية بن خلف وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له يقال له نسطاس الى التنعيم وأخرجوه من الحرم ليقتلوه واجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الآن فى

الاوس وزيد بن الدثنة بن معاوية مقلوب من التدنة والتدن استرخاء اللحم * وذكر فيهم عاصم بن ثابت وقوله

ماعلتى وأنا جلد نابل * والقوس فيها وتر عنابل

والعنابل الشديد وكانه من العبالة وهى القوة والنون زائدة والعبالة أيضا شجرة صلبة وفى الخبر أن عصا موسى كانت من عبالة وقد روى ان عصى موسى كانت من عين ورقة آس الجنة ويجوز أن يكون منحوتا من أصلين من العنن والنبل كانه يصيب ما عن له بنبله * وذكر قوله أبو سليمان وريش المقعد قوله أبو سليمان أى أنا أبو سليمان قد عرفت فى الحروب وعندى نبل راشها المقعد وكان رائشا نبالا وريش السهم المحمود فيه اللؤام وهو أن تكون الريشة بطنها الى ظهر الاخرى واللغاب بعكس ذلك أن يكون ظهر واحدة الى ظهر الاخرى وهو الظهار أيضا ومن اللؤام أخذ اللأم وهو السهم المريش قال امرؤ القيس * كرك لامين على نابل * وسئل رؤبة عن معنى هذا البيت فقال حدثنى أبى عن أبيه قال حدثتنى عمتى وكانت فى بنى دارم قالت سألت امرأ القيس وهو يشرب طلاء له مع علقمة بن عبدة ما معنى قولك كرك لامين على نابل فقال مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش لؤاما وظهارا فما رأيت شيأ أسرع منه ولا أحسن فشبهت به ذكر هذا أبو حنيفة * وقوله وضالة أى سهام قداحها من الضال وهو السدر قال الشاعر

قطعت اذا تخوفت العواطى * ضروب السدر عبريا وضالا

فالعبرى منها ما كان على شطوط الانهار والضال ما كان فى البرية والعواطى هى الماشية تمطوا أى تتناول وانما تتناول أطراف الشجر فى الصيف فمعناه قطعت هذه الصحراء فى هذا الوقت وتخوفت أى تنقصت من قوله سبحانه «أو يأخذهم على تخوف» * وذكر أن حجير بن أبى اهاب هو الذى اشترى خبيبا

مكانك نضرب عنقه وانك فى أهلك قال والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانى جالس فى أهلى قال يقول أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس رحمه الله . وأما خبيب بن عدى فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح انه حدث عن ماوية مولاة حجير بن أبى أهاب وكانت قد أسلمت قالت كان خبيب عندى حبس فى بيتى فلقد اطلعت عليه يوما وان فى يده لقطفا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه وما أعلم فى أرض الله عنبا يؤكل * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى نجيح جميعا انها قالت قال لى حين حضره القتل ابعثى الى بحديدة أتطهر بها للقتل قالت فاعطيت غلاما من الحى الموسى فقلت أدخل بها على هذا الرجل البيت قالت فوالله ما هو الا أن ولى الغلام بها اليه فقلت ماذا صنعت أصاب والله الرجل ثاره بقتل هذا الغلام فيكون رجلا برجل فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال لعمرك ماخافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة الى ثم خلى سبيله «قال ابن هشام» ويقال ان الغلام ابنها * قال ابن اسحق قال عاصم ثم خرجوا بخبيب حتى اذا جاؤا به الى التنعيم ليصلبوه قال لهم ان رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا قالوا دونك فاركع فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ثم أقبل على القوم فقال أما والله لولا أن تظنوا انى انما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة قال فكان خبيب بن عدى أول من سن هاتين

الركعتين عند القتل للمسلمين قال ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال اللهم انا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة مايصنع بنا ثم قال اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ثم قتلوه رحمه الله فكان معاوية بن أبى سفيان يقول حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبى سفيان فلقد رأيته يلقينى الى الارض فرقا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عقبة بن الحرث قال سمعته يقول ما أنا والله قتلت خبيبا لانا كنت أصغر من ذلك ولكن أبا ميسرة أخا بنى عبد الدار أخذ الحربة فجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أصحابنا قال كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى على بعض الشام فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهرى القوم فذكر ذلك لعمر بن الخطاب وقيل ان الرجل مصاب فسأله عمر رضى الله عنه فى قدمة قدمها عليه فقال ياسعيد ما هذا الذى يصيبك فقال والله ياأمير المؤمنين مابى من باس ولكنى كنت فيمن حضر خبيب بن عدى حين قتل وسمعت دعوته فوالله ما خطرت على قلبى وأنا فى مجلس قط الا غشى على فزادته عند عمر رضى الله عنه خيرا «قال ابن هشام» أقام خبيب رضى الله عنه فى أيديهم حتى انقضت الاشهر الحرم ثم قتلوه * قال ابن اسحق وكان مما نزل من القرآن فى تلك السرية كما حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال ابن عباس لما أصيبت السرية التى كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع قال رجال من المنافقين ياويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا لاهم قعدوا فى أهليهم ولاهم أدوا رسالة صاحبهم فانزل الله تعالى فى ذلك من قول المنافقين وما أصاب أولئك النفر من الخير الذى أصابهم فقال سبحانه ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا أى لما يظهر من الاسلام بلسانه ويشهد الله

وكان خبيب قد قتل الحارث بن نوفل أخا حجير لامه وقال معمر بن راشد اشترى خبيبا بنو الحارث بن نوفل لانه قتل أباهم يوم بدر والمعنى قريب مما ذكر ابن اسحق * وقوله ماوية بنت حجير بالواو رواه يونس بن بكير عن ابن اسحق ورواه غيره عن ابن اسحق مارية بالراء وبالواو وقع فى النسخ العتيقة من رواية ابن هشام كما رواه ابن بكير وقد تكلمنا عن اشتقاق هذا الاسم فى صدر هذا الكتاب فاغنى عن اعادته وذكرنا ان المارية بالتخفيف هى البقرة وبتشديد الياء القطاة الملساء وأما الغلام الذى أعطته المدية فقيل هو أبو عيسى بن الحارث بن عدى بن نوفل بن عبد مناف قاله الزبير وهو جد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين الذى يروى عنه مالك فى الموطأ * وذكر ان أبا ميسرة هو الذى طعن خبيبا فى الخشبة وهو أبو ميسرة ابن عوف بن السباق بن عبد الدار والذى طعنه معه عقبة بن الحارث يكنى أبا سروعة ويقال ان أبا سروعة وعقبة اخوان أسلما جميعا ولعقبة بن الحارث حديث واحد فى الرضاع وشهادة امرأة واحدة فيه وحديثه مشهور فى الصحاح فيه انه قال تزوجت بنت أبى اهاب بن عزيز فجاءت امرأة سوداء فقالت انى قد أرضعتكما وذكر الحديث وزاد فيه الدارقطنى قال جاءت امرأة سوداء تسئل فلم نعطها شيئا فقالت انى والله أرضعتكما فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وقال انها كاذبة يارسول الله فقال له عليه السلام كيف وقد قيل فطلقها ونكحت ضريب بن الحارث فولدت له أم قتال وهى امرأة جبير بن مطعم وأم ابنه محمد ونافع ابنا جابر واسم هذه المرأة التى طلقها عقبة غنية وتكنى أم يحيى ذكر اسمها أبو الحسن الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف ولم يذكره أبو عمر فى كتاب النساء ولا كثير ممن الف فى الحديث * وذكر قصة عاصم

على ما فى قلبه ود وتخالف لما يقول بلسانه وهو ألد الخصام أى ذوجدال اذا كلمك و راجعك « قال ابن هشام » الالد الذى يشغب فتشتد خصومته وجمعه لد وفى كتاب الله عز وجل وتنذر به قوما لدا وقال المهلهل بن ربيعة التغلبى واسمه امرؤا القيس ويقال عدى بن ربيعة

ان تحت الاحجار حدا ولينا * وخصيما ألد ذا معلاق

ويروى ذا مغلاق فيما قال ابن هشام وهذا البيت فى قصيدة له وهو الالندد قال الطرماح بن حكيم الطائى يصف الحرباء

يوفى على جذم الجذول كأنه * خصم أبر على الخصوم ألندد

وهذا البيت فى قصيدة له واذا تولى سعى فى الارض * قال ابن اسحق حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أى خرج من عندك سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد أى لا يحب عمله ولا يرضاه واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد أى قد شروا أنفسهم من الله بالجهاد فى سبيله والقيام بحقه حتى هلكوا على ذلك يعنى تلك السرية « قال ابن هشام » يشرى نفسه يبيع نفسه وشروا باعوا قال يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى

وشريت بردا ليتنى * من بعد برد كنت هامه

برد غلام له باعه * وهذا البيت فى قصيدة له وشرى أيضا اشترى قال الشاعر

فقلت لها لا تجزعى أم مالك * على ابنيك ان عبد لئيم شراهما

قال ابن اسحق وكان مما قيل فى ذلك من الشعر قول خبيب بن عدى (١٧٠) رحمه الله حين بلغه أن القوم قد أجمعوا لصلبه « قال ابن هشام » وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له

لقد جمع الاحزاب حولى وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وكلهم مبدى العداوة جاهد * على لانى فى وثاق بمضيع

وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم * وقربت من جذع طويل ممنع

الى الله أشكو غربتى ثم كربتى * وما أرصد الاحزاب لى عند مصرعى

فذا العرش صبرنى على ما يراد بى * فقد بضعوا لحمى وقد ياس مطمعى

وذلك فى ذات الاله وان يشا * يبارك على أوصال شلو ممزع

وقد خيرونى الكفر والموت دونه * وقد هملت عيناى من غير مجزع

ومابى حذار الموت انى لميت * ولكن حذارى جحم نار ملفع

فوالله ما أرجو اذا مت مسلما * على اى جنب كان فى الله مصرعى

فلست بمبد للعدو تخشعا * ولا جزعا انى الى الله مرجعى

وقال حسان بن ثابت يبكى خبيبا

ما بال عينيك لا ترقا مدامعها * سحا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق

على خبيب فتى الفتيان قد علموا * لا فشل حين تلقاه ولا نزق

فاذهب خبيب جزاك الله طيبة * وجنة الخلد عند الحور فى الرفق

ماذا تقولون ان قال النبى لكم * حين الملائكة الابرار فى الافق

فيم قتلتم شهيد الله فى رجل * طاغ قد اوعث فى البلدان والرفق

« قال ابن هشام » ويروى الطرق وتركنا ما بقى منها لانه اقذع فيها قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى خبيبا

ياعين جودى بدمع منك منكسب * وابكى خبيبا مع الفتيان لم يؤب

صقرا توسط فى الانصار منصبه * سمح السجية محضا غير مؤتشب

قد هاج عينى على علات عبرتها * اذ قيل نص الى جذع من الخشب

ياأيها الراكب الغادى لطيته * أبلغ لديك وعيدا ليس بالكذب

بنى كهيبة ان الحرب قد لقحت * محلوبها الصاب اذ تمرى لمحتلب

فيها اسود بنى النجار تقدمهم * شهب الاسنة فى معصوصب لجب

« قال ابن هشام » وهذه القصيدة مثل التى قبلها وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان وقد تركنا أشياء قالها حسان فى أمر خبيب لما ذكرت . قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضا

(فصل)

حين حمته الدبر الدبر ههنا الزنابير وأما الدبر فصغار الجراد ومنه يقال ما دبر قاله أبو حنيفة قال وقد يقال للنحل أيضا دبر بفتح الدال واحدتها دبرة قال ويقال له خشرم ولا واحد له من لفظه هذه رواية أبى عبيد عن الاصمعى ورواية غيره عنه ان واحدته خشرمة وأقول جماعة النحل أيضا ولا واحد لها وكذلك النوب واللوب ومن اللوب حديث زبان بن قسور قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو نازل بوادى الشوحط فكلمته فقلت يارسول الله ان معنا لوبا يعنى نحلا كانت فى عيلم لنا به طرم وشمع فجاء رجل فضرب ميتين فانتج حيا وكفنه بالثمام يعنى نارا من زندين ونخسه يعنى دخنه فطار اللوب هاربا ودلى مشواره فى العيلم فاشتار العسل فمضى به فقال النبى صلى الله عليه وسلم ملعون ملعون من سرق شر وقوم فاضربهم أفلا تبعتم أثره وعرفتم خبره قال قلت يارسول الله انه دخل فى قوم لهم منعة وهم جيراننا من هذيل فقال النبى صلى الله عليه وسلم صبرك صبرك ترد نهر الجنة وان سعته كما بين اللقيقة والسحيقة يتسبسب جريا بعسل صاف من قذاه ما تقياه لوب ولا مجه نوب فالعيلم البئر وأراد بها ههنا وقبة النحل أو الخلية وقد يقال لموضع النحل اذا كان صدعا فى جبل شيق وجمعه شيقان ويقال لكل دخان نحاس ولا يقال أيام الا لدخان النحل خاصة يقال آمها يؤمها اذا دخنها قاله أبو حنيفة

لو كان فى الدار قرم ماجد بطل * ألوى من القوم صقر خاله أنس
اذن وجدت خبيبا مجلسا فسحا * ولم يشد عليك السجن والحرس
ولم تسقك التنعيم زعنفة * من القبائل منهم من نفت عدس
دلوك عدراوهم فيها أولو خلف * وانت ضيم لها فى الدار محتبس

« قال ابن هشام » أنس الاصم السلمى خال مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف وقوله من نفت عدس يعنى حجير بن ابى اهاب و يقال الاعشى بن زرارة بن النباش الاسدى وكان حليفا لبنى نوفل بن عبد مناف . قال ابن اسحق وكان الذين أجلبوا على خبيب فى قتله حين قتل من قريش عكرمة بن أبى جهل وسعيد بن عبد الله بن أبى قيس بن عبدود والاخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهره وعبيدة بن حكيم بن أمية بن حارثة ابن الاوقص السلمى حليف بنى أمية بن عبد شمس وأمية بن أبى عتبة و بنو الحضرمى . وقال حسان أيضا يهجو هذيلا فيما صنعوا بخبيب ابن عدى

أبلغ بنى عمرو بأن أخاهم * شراه امرؤ قد كان للغدر لازما
شراه زهير بن الاغر وجامع * وكانا جميعا ركبان المحارما
أجرتم فلما أن أجرتم غدرتم * وكنتم باكناف الرجيع لهاذما
فليت خبيبا لم تخنه أمانة * وليت خبيبا كان بالقوم عالما

« قال ابن هشام » زهير بن الاغر وجامع الهذليان اللذان باعا خبيبا . قال ابن اسحق وقال حسان ابن ثابت أيضاً

ان سرك الغدر صرفا لامزاج له * فأت الرجيع فسل عن دار لحيان
قوم تواصوا باكل الجار بينهم * فالكلب والقرد والانسان ميلان
لو ينطق التيس يوما قام يخطبهم * وكان ذا شرف فيهم وذا شان

« قال ابن هشام » وأنشدنى أبو زيد الانصارى قوله

لو ينطق التيس يوما قام يخطبهم * وكان ذا شرف فيهم وذا شان

* قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيلا

سالت هذيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما سالت ولم تصب
سالوا رسولهم ما ليس معطيهم * حتى الممات وكانوا سبة العرب
ولن ترى لهذيل داعيا أبدا * يدعو لمكرمة عن منزل الحرب
لقد أرادوا خلال الفحش و يحهم . وأن يحلوا حراما كان فى الكتب

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا

﴿ فصل ﴾ وذكر أن خبيبا أول من سن الركعتين عند القتل قوله هذا يدل على انهما سنة جارية وكذلك فعلهما حجر بن عدى بن الادبر حين قتله معاوية رحمه الله وذلك أن زيادا كتب من البصرة الى معاوية يذكر ان حجر وأصحابه قد خرجوا على السلطان وشقوا عصى المسلمين ووجه مع الكتاب بك فيه شهادة سبعين رجلا فيهم الحسن بن أبى الحسن البصرى وابن سيرين والربيع بن زياد وجماعة من علية التابعين ذكرهم الطبرى يشهدون بما قال زياد من خروج حجر بن عدى عليه وكان حجر شديد الانكار للظلم غليظا على الامراء وأنكر على زياد أمورا من الظلم فخرج عليه ولم يكن قصده الخروج على معاوية فلما حمل حجر الى معاوية فى خمسة من أصحابه قال له السلام عليك ياأمير المؤمنين فقال له معاوية أو أنا للمؤمنين أمير ثم أمر بقتله فمنذ ذلك صلى حجر الركعتين ثم لقى معاوية عائشة بالمدينة فقالت له أما اتقيت الله يامعاوية فى حجر ابن عدى وأصحابه فقال أو أنا قتلتهم انما قتلهم من شهد عليهم فلما أكثرت عليه قال لها دعينى وحجرا فانى ملاقيه غدا على الجادة قالت فاين عزب عنك حلم أبى سفيان فقال حين غاب عنى مثلك من قومى وانما صار فعل خبيب سنة حسنة والسنة انما هى أقوال من النبى صلى الله عليه وسلم وأفعال واقرار لانه فعلها فى حياته عليه السلام فاستحسن ذلك من فعله واستحسنه المسلمون مع ان الصلاة خير ما ختم به عمل العبد وقد صلى هاتين الركعتين أيضاً زيد بن حارثة مولى النبى صلى الله عليه وسلم وذلك فى حياته عليه السلام حدثنا أبو بكر بن طاهر [بن طاهر] الاشبيلى قال نا أبو على الغسانى قال نا أبو عمر النمرى قال نا أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان بن جبرون قال نا أبو محمد قاسم بن أصبغ قال نا أبو بكر بن أبى خيثمة نا ابن معين نا قال نا يحيى بن عبد الله بن بكير المصرى قال نا الليث بن سعد قال بلغنى ان زيد بن حارثة اكترى من رجل بغلا من الطائف اشترط عليه الكرى أن ينزله حيث شاء قال فمال به الى خربة فقال له انزل فنزل فاذا فى الخربة قتلى كثيرة قال فلما أراد ان يقتله قال دعنى أصلى ركعتين قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا قال فلما صليت أتانى ليقتلنى قال فقلت ياأرحم الراحمين قال فسمع صوتا لا تقتله قال فهاب ذلك فخرج يطلب احدا فلم يرشيئا فرجع الى فناديت ياأرحم الراحمين ففعل ذلك ثلاثا فاذا أنا بفارس بيده حربة حديد فى رأسها شعلة من نار فطعنه بها فانفذه من ظهره فوقع ميتا ثم قال لما دعوت المرة الاولى ياأرحم الراحمين كنت فى السماء السابعة فلما دعوت المرة الثانية ياأرحم الراحمين كنت فى السماء الدنيا فلما دعوت المرة الثالثة ياأرحم الراحمين أتيتك

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق ما أنزل الله تعالى فى خبر خبيب وأصحابه من قول المنافقين فيهم « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على ما فى قلبه » الآية وأكثر أهل التفسير على خلاف قوله وانها

لعمرى لقد شانت هذيل بن مدرك * أحاديث كانت فى خبيب وعاصم
أحاديث لحيان صلوب قبيحها * ولحيان جرامون شر الجرائم
أناس هم من قومهم فى صميمهم * بمنزلة الزمعان دبر القوادم
هم غدروا يوم الرجيع وأسلمت * أمانتهم ذا عفة ومكارم
رسول رسول الله غدروا ولم تكن * هذيل توقى منكرات المحارم
فسوف يرون النصر يوما عليهم * بقتل الذى تحميه دون الحرائم
أبابيل دبر شمس دون لحمه * حمت لحم شهاد عظام الملاحم
لعل هذيلا أن يروا بمصابه * مصارع قتلى أومقاما لمأتم
ونوقع فيها وقعة ذات صولة * يوافى بها الركبان أهل المواسم
بامر رسول الله ان رسوله * رأى رأى ذى حزم بلحيان عالم
قبيلة ليس الوفاء يهمهم * وان ظلموا لم يدفعوا كف ظالم
اذا الناس حلوا بالفضاء رأيتهم * بمجرى مسيل الماء بين المخارم
محلهم دار البوار ورأيهم * اذا نابهم أمر كرأى البهائم

وقال حسان بن ثابت يهجو هذيلا

لحى الله لحيانا فليست دماؤهم * لنا من قتيلى غدرة بوفاء
هموا قتلوا يوم الرجيع ابن حرة * أخا ثقة فى وده وصفاء
فلو قتلوا يوم الرجيع باسرهم * بذى الدبر ما كانوا له بكفاء
قتيل حمته الدبر بين بيوتهم * لدى أهل كفر ظاهر وجفاء
فقد قتلت لحيان أكرم منهم * وباعوا خبيبا ويلهم بلفاء
فاف للحيان على كل حالة * على ذكرهم فى الذكر كل عفاء
قبيلة باللؤم والغدر تعترى * فلم تمس يخفى لؤمها بخفاء
فلو قتلوا لم توف منه دماؤهم * بلى ان قتل القاتليه شفائى
فالا امت اذعر هذيلا بغارة * كغادى الجهام المغتدى بافاء
بامر رسول الله والامر أمره * يبيت للحيان الخنا بفناء
تصبح قوما بالرجيع كأنهم * جداء شتاء بتن غير دفاء

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا

فلا والله لا تدرى هذيل * أصاف ماء زمزم أم مشوب
ولا لهم اذا اعتمروا وحجوا * من الحجرين والمسعى نصيب
ولكن الرجيع لهم محل * به اللؤم المبين والعيوب
كأنهم لدى الكنات أصلا * تيوس بالحجاز لها نبيب
هموا غروا بذمتهم خبيبا * فبئس العهد عهدهم الكذوب

« قال ابن هشام » آخرها بيتا عن أبى زيد الانصارى

نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى رواه أبو مالك عن ابن عباس وقاله مجاهد وقال ابن الكلبى كنت بمكة فسئلت عن هذه الآية فقلت نزلت فى الاخنس بن شريق فسمعنى رجل من ولده فقال لى يا هذا انما أنزل القرآن على أهل مكة فلا تسم أحدا ما دمت فيها وكذلك قالوا فى قوله « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » نزلت فى صهيب بن سنان حين هاجر وترك جميع ماله لقريش ويدعونه يهاجر بنفسه الى الله ورسوله واستشهد ابن هشام على تفسير الالد بقول مهلهل قال واسمه امرؤ القيس ويقال عدى وقد صرح مهلهل باسم نفسه فى الشعر الذى استشهد به ابن هشام فقال

ضربت صدرها الى وقالت * يا عديا لقد وقتك الاواقى

وفيه البيت الذى ذكر ابن هشام

ان تحت الاحجار حدا ولينا * وخصيما ألد ذا معلاق

ويروى مغلاق بالغين المعجمة والمعلاق اللسان وأما المغلاق بالغين معجمة فالقول الذى يغلق فم الخصم ويسكته وبعده

حية فى الوجار أربد لا ينـ * ـفع منها السليم نفث الراقى

وسمى مهلهلا بقوله

لما توقل فى الكراع هجينهم * هلهلت أثأر جابرا أو صنبلا

هلهلت أى كدت وقاربت وأما الالد فهو من اللديدين وهما جانبا العنق فالالد الذى يريغ الحجة من جانب الى جانب يقال تركته يتلدد وقال الزجاج الخصام جمع فى هذه الآية ولا يستقيم ان يكون معناه المخاصمة لان افعل الذى يراد به التفضيل انما يكون بعض ما أضيف اليه تقول زيد أفصح الناس ولا تقول زيد أفصح الكلام ﴿قال الشيخ الحافظ رضى الله عنه﴾ وهذا الذى قاله حسن ان كان ألد من هذا الباب الذى مؤنثه الفعلى وأما ان كان من باب افعل الذى مؤنثه فعلاء نحو أخرس وخرساء فالخصام مصدر خاصمته وهو ظاهر قول المفسرين فانهم فسروه بالشديد الخصومة فالالد اذاً من صفة المخاصمة وان وصف به الرجل مجازاً ويقوى هذا قوله وخصيما ألد ولم يضفه ولا قال ألد من كذا فجعله من باب أصم وأشم ونحوه ويقويه أيضاً قولهم فى الجمع قوم لد روت عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أبغض الخلق الى الله الخصم الالد وقرأ ابن محيصن « ويشهد الله على ما فى قلبه » بفتح الياء والهاء ورفع الهاء من اسم الله تعالى أى ويعلم الله ما فى قلبه

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر حسان فى قصة خبيب وقوله فيه * من القبائل منهم من نفت عدس *

قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت يبكي خبيبا وأصحابه
صلى الاله على الذين تتابعوا
يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا
رأس السرية مرثد وأميرهم • وابن البكير امامهم وخبيب
وابن لطارق وابن دثنة منهم • وافاه ثم حمامه المكتوب
والعاصم المقتول عند رجيعهم
كسب المعالي انه لكسوب
منع المقادة ان ينالوا ظهره • حتى يجالد انه لنجيب
«قال ابن هشام» و يروى حتى تجدل انه لنجيب
«قال ابن هشام» وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان

قوله من نفت عدس يعني حجير بن أبي اهاب بن عزيز وهو ينتسب الى بني عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ابن مالك بن حنظلة و يقال بل هو من بني ربيعة بن مالك بن حنظلة ومن ههنا ذكر بني بني عدس له من أجل الاختلاف في نسبه وعدس بضم الدال في تميم وهو هذا وكل عدس في العرب سواه فهو بفتح الدال وهو من عدس في الارض اذا ذهب فيها والله أعلم فمن المفتوح الدال عدس بن عبيد في الانصار ثم في بني النجار وهو جد أبي أمامة أسعد بن دارة وقد قال بعض النسابين في عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الذي تقدم ذكره عدس بفتح الدال والاول أعرف وأشهر * وذكر قول خبيب حين رفعوه في الخشبة اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً فمن رواه بدداً بكسر[1] الباء فهو مصدر بمعنى التبدد أي ذوي بدد (فان قيل) فهل أجيبت فيهم دعوة خبيب والدعوة على تلك الحال من مثل ذلك العبد مستجابة (قلنا) أصابت منهم من سبق في علم الله أن يموت كافراً ومن أسلم منهم فلم يعنه خبيب ولا قصده بدعائه ومن قتل منهم كافرا بعد هذه الدعوة فانما قتلوا بدداً غير معسكرين ولا مجتمعين كاجتماعهم في أحد وقبل ذلك في بدر وان كانت الخندق بعد قصة خبيب فقد قتل منهم آحاد فيها متبددون ثم لم يكن لهم بعد ذلك جمع ولا معسكر غزوا فيه فنفذت الدعوة على صورتها وفيمن أراد خبيب رحمه الله وحاشاه أن يكره ايمانهم واسلامهم

﴿فصل﴾ وذكر اشعار حسان في خبيب وأصحابه وليس فيها معنى خفي ولا لفظ غريب وحشي فيحتاج الى تفسيره لكن في بعضها * بني كهيبة ان الحرب قد لقحت * جعل كهيبة كانه اسم علم لامهم وهذا كما يقال بني ضوطري و بني الغبري و بني درزة قال الشاعر * أولاد درزة أسلموك وطاروا * وهذا كله اسم لمن يسب وعبارة عن السفلة من الناس وكهيبة من الكهبة وهي الغبرة وهذا كما قالوا بني الغبراء وأكثر أشعار حسان في هذه القصة قال فيها من هذيل لانهم اخوة القارة والمشاركون لهم في الغدر بخبيب وأصحابه وهذيل وخزيمة أبناء مدركة بن الياس وعضل والقارة من بني خزيمة * وقوله وابن لطارق وابن دثنة منهم حذف التنوين كما تقدم في قوله شلت يدا وحشي من قاتل ولو انه حين حذف التنوين نصب وجعله كالاسم الذي لا ينصرف وهو في موضع الخفض مفتوح لكان وجها وقياسا صحيحا لان الخفض تابع التنوين فاذا زال التنوين زال الخفض لئلا يلتبس بالمضاف الى ضمير المتكلم لان ضمير المتكلم وان كان ياء فقد يحذف و يكتفي بالكسرة منه و زوال التنوين في أكثر ما لا ينصرف انما هو لاستغناء الاسم عنه اذ هو علامة الانفصال عن الاضافة فكل اسم لا يتوهم فيه الاضافة لا يحتاج الى التنوين لكنه اذا لم ينون لم يخفض لما ذكرناه من التباسه بالمضاف الى المتكلم وقد تقدم في أشعار أحد كنارا أبي حباحب والظبينا بفتح الباء من حباحب في موضع الخفض وكان حق كل علم الا ينون لانه مستغن عن الاضافة كما لم ينون جميع أنواع المعارف ولكنه نون ما نون منه للسر الذي بيناه في أسرار ما لا ينصرف من الاسماء وقد أملينا في ذلك جزأ ولكن الخفض في طارق و وحشي مروي و وجهه انه لما كان ضرورة شعر ولم يكثر في كلامهم لم يتبعوا الخفض فيه التنوين اذ لا يتوهم اضافته الى المتكلم اذ لا يقع الا نادرا في شعر فاللبس فيه بعيد * وقوله وابن البكير امامهم وخبيب أردف حرف الروي بياء مفتوح ما قبلها وقد تقدم القول فيه مرتين وخبيب في اللغة تصغير خب وهو الماكر من الرجال الخداع و يجوز أن يكون تصغير خاب من الخبب فيكون من باب تصغير الترخيم وهو الذي ينبني على حذف الزوائد وأما هذيل فقالوا فيه انه مصغر تصغير الترخيم لانه من هوذل الرجل ببوله اذا باعد به فكانه تصغير مهوذل على حذف الزوائد و يجوز أن يكون تصغير هذلول وهو التل الصغير من الرمل على تصغير الترخيم أيضاً * وقوله سالت هذيل رسول الله فاحشة ليس على تسهيل الهمزة في سالت ولكنها

(١) و في النسخة الاخرى [بكسر الباء فهو جمع بدة وهي الفرقة والقطعة من الشيء المتبدد أي ذوي بدد]

قال ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم وولى تلك الحجة المشركون ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب بئر معونة فى صفر على رأس أربعة أشهر من احد

﴿ حديث بئر معونة ﴾

وكان من حديثهم كما حدثنى أبى اسحق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الله بن ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيره من أهل العلم قالوا قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ودعاه اليه فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام وقال يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أخشى عليهم أهل نجد قال أبو براء أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة المعنق ليموت فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان أخو بنى عدى بن النجار وعروة بن أسماء بن الصلت السلمى ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر الصديق رضى الله عنه فى رجال مسمين من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم كلا البلدين منها قريب وهى الى حرة بنى سليم أقرب فلما نزلوها بعثوا حرام بن (١٧٤) ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بنى عامر فابوا أن يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم عصية ورعل وذكوان فاجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم يرحمهم الله الا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار فانهم تركوه وبه رمق فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا

لغة بدليل قولهم تسايل القوم ولو كان تسهيلا لكانت الهمزة بين بين ولم يستقم وزن الشعر بها لانها كالمتحركة وقد تقلب ألفا ساكنة كما قالوا المنساة ولكنه شىء لا يقاس عليه واذا كانت سال لغة فى سأل فيلزم أن يكون المضارع يسيل ولكن قد حكى يونس سلت تسال مثل خفت تخاف وهو عنده من ذوات الواو وقال الزجاج الرجلان يتسايلان وقال النحاس والمبرد يتساولان وهو مثل ما حكى يونس

﴿ خبر بئر معونة ﴾

قال ابن اسحق وكانوا أربعين رجلا والصحيح انهم كانوا سبعين كذا وقع فى صحيح البخارى ومسلم * وذكر أبا براء ملاعب الاسنة وانه أجار أصحاب بئر معونة من أهل نجد وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة سمى ملاعب الاسنة فى يوم سوبان وهو يوم كانت فيه وقيعة فى أيام جبلة وهى أيام حرب كانت بين قيس وتميم وجبلة اسم لهضبة عالية وقد تقدم طرف من هذا الحديث فى أول الكتاب وكان سبب تسميته فى يوم سوبان ملاعب الاسنة ان أخاه الذى يقال له فارس قرزل وهو طفيل بن مالك وقد ذكرنا فى أول الكتاب معنى قرزل كان أسلمه فى ذلك اليوم وفر فقال شاعر

فررت وأسلمت ابن أمك عامرا * يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

فسمى ملاعب الاسنة وملاعب الرماح قال لبيد

واننى ملاعب الرماح * ومدره الكتيبة الرداح

يرحمه الله وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ورجل من الانصار أحد بنى عمرو بن عوف « قال ابن وهو هشام » وهو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح * قال ابن اسحق فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذه الطير لشانا فاقبلا لينظرا فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى أصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن أمية ما ترى قال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فقال الانصارى لكنى ما كنت لارغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لتخبرنى عنه الرجال ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذوا عمرو بن أمية أسيرا فلما أخبرهم انه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه فخرج عمرو بن أمية حتى اذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من بنى عامر « قال ابن هشام » من بنى كلاب وذكر أبو عمرو المدنى أنهما من بنى سليم * قال ابن اسحق حتى نزلا معه فى ظل هو فيه وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية وقد سألهما حين نزلا ممن أنتما فقالا من بنى عامر فامهلهما حتى اذا ناما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أن قد أصاب بهما ثؤرة من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد قتلت قتيلين لادينهما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل أبى براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما أصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن أصيب

عامر بن فهيرة * قال ابن اسحق فحدثنى هشام عن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول من رجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة * قال ابن اسحق وقد حدثنى بعض بنى جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر قال وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم فكان يقول ان مما دعانى الى الاسلام انى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه فنظرت الى سنان الرمح حين خرج من صدره فسمعته يقول فزت والله فقلت فى نفسى ما فاز ألست قد قتلت الرجل قال حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا الشهادة فقلت فاز لعمر الله * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت يحرض بنى أبى براء على عامر بن الطفيل

بنى أم البنين ألم يرعكم * وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبى براء * ليخفره وما خطأ كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعى * فما أحدثت فى الحدثان بعدى
أبوك أبو الحروب أبو براء * وخالك ماجد حكم بن سعد

«قال ابن هشام» حكم بن سعد من القين بن جسر وأم البنين بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهى أم أبى براء * قال ابن اسحق فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعنه بالرمح فوقع فى فخذه فأشواه ووقع عن فرسه فقال هذا عمل ابى براء ان أمت فدمى لعمى فلا يتبعن به وان أعش فسارى رأيى فيما أتى الى وقال أنس بن عباس السلمى وكان خال طعيمة بن عدى بن نوفل وقتل يومئذ نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى

تركت ابن ورقاء الخزاعى ثاويا * بمعترك تسفى عليه الاعاصر
ذكرت أبا الريان لما رأيته * وأيقنت انى عند ذلك ثائر

وأبو الريان طعيمة بن عدي وقال عبد الله بن رواحة يبكى نافع بن بديل بن ورقاء

وهو عم لبيد بن ربيعة وكانوا اخوة خمسة طفيل فارس قرزل وعامر ملاعب الاسنة وربيعة المقترين وهو والد لبيد وعبيدة الوضاح ومعاوية معوذ الحكماء وهو الذى يقول

اذا سقط السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

وفى هذا الشعر يقول

يعوذ مثلها الحكماء بعدى * اذا ما الامر فى الحدثان نابا

وبهذا البيت سمى معوذ الحكماء واياهم عنى لبيد حين قال بين يدى النعمان بن المنذر

نحن بنى أم البنين الاربعه * المطعمون الجفنة المدعدعه
والضاربون الهام تحت الخيضعه * يارب هيجا هى خير من دعه

ثم ذكر الربيع بن زياد فقال * مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه *
الى آخر الرجز فى خبر طويل انما قال الاربعة وهم خمسة لان أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك لا كما قال بعض الناس وهو قول يعزى الى الفراء انه قال انما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافى فيقال له لا يجوز للشاعر ان يلحن لاقامة وزن الشعر فكيف بان يكذب لاقامة الوزن وأعجب من هذا انه استشهد به على تأويل فاسد تأوله فى قوله سبحانه «ولمن خاف مقام ربه جنتان» وقال أراد جنة واحدة وجاء بلفظ التثنية لتتفق رؤوس الآى أو كلا ما هذا معناه فصمى صمام ما أشنع هذا الكلام وأبعده عن العلم وفهم القرآن وأقل هيبة قائله من ان يتبوأ مقعده من النار فحذار منه حذار ومما يدلك انهم كانوا أربعة حين قال لبيد هذه المقالة ان فى الخبر ذكر يتم لبيد وصغر سنه وان أعمامه الاربعة استصغروه أن يدخلوه معهم على النعمان حين همهم ما قاولهم به الربيع بن زياد فسمعهم لبيد يتحدثون بذلك ويهتمون له فسألهم ان يدخلوه معهم على النعمان وزعم انه سيفحمه فتهاونوا بقوله حتى اختبروه باشياء مذكورة فى الخبر فبان بهذا كله انهم كانوا أربعة ولو سكت الجاهل لقل الخلاف والحمد لله * وذكر ابن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه ان عامر بن الطفيل قال يومئذ من رجل لما طعنته رفع حتى رأيت السماء من دونه هذه رواية البكائى عن ابن اسحق وروى يونس بن بكير عنه بهذا الاسناد ان عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك وقال للنبى عليه السلام من رجل يا محمد لما طعنته رفع الى السماء فقال هو عامر بن فهيرة وروى عبد الرزاق وابن المبارك ان عامر بن فهيرة التمس فى القتلى يومئذ ففقد فيرون أن الملائكة رفعته أو دفنته * وذكر قول حسان

بنى أم البنين ألم يرعكم * وأنتم فى دوائب أهل نجد

وهذه أم البنين التى ذكر لبيد فى قوله * نحن بنى أم البنين الاربعه * واسمها ليلى بنت عامر فيما ذكروا وقد ذكر ابن هشام نسبها ولم يذكر اسمها * وذكر قول أنس بن عباس السلمى

تركت ابن ورقاء الخزاعى ثاويا * بمعترك تسفى عليه الاعاصر
ذكرت أبا الزبان لما رأيته * وأيقنت انى عند ذلك ثائر

هكذا وقع فى النسخة أبا الزبان وفى رواية ابراهيم بن سعد أبا الريان بالراء المهملة وبالياء أخت الواو

رحم الله نافع بن بديل • رحمة المبتغى ثواب الجهاد صابر صادق وفى اذا ما • أكثر القوم قال قول السداد

وقال حسان بن ثابت يبكى قتلى بئر معونة و يخص المنذر بن عمرو رحمه الله تعالى على قتلى معونة فاستهلى • بدمع العين سحا غير نزر

على خيل الرسول غداة لاقوا • ولاقتهم مناياهم بقدر أصابهم الفناء بعقد قوم • تخون عقد حبلهم بغدر

فيا لهفى لمنذر اذ تولى • وأعنق فى منيته بصبر وكائن قد أصيب غداة ذاكم • من ابيض ماجد من سر عمرو

«قال ابن هشام» أنشدنى آخرها بيتا أبو زيد الانصارى وأنشدنى لكعب بن مالك فى يوم بئر معونه يعنى بنى جعفر بن كلاب

تركتم جاركم لبنى سليم • مخافة حربهم عجزا وهونا فلو حبلا تناول من عقيل • لمد بحبلها حبلا متينا

أو القرطاء ما ان أسلموه • وقدما ما وفوا اذ لا تفونا «قال ابن هشام» القرطاء قبيلة من هوازن

و يروى من نفيل مكان من عقيل وهو الصحيح لان القرطاء من نفيل قريب

﴿أمر اجلاء بنى النضير فى سنة اربع﴾

* قال ابن اسحق ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر اللذين قتل عمرو بن أمية الضمرى للجوار الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما كما حدثنى يزيد بن رومان وكان بين بنى النضير و بين بنى عامر عقد وحلف فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم فى دية ذينك القتيلين قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ثم خلا

وهكذا ذكره الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف كما فى رواية ابراهيم بن سعد* وذكر شعر كعب وفيه* أو القرطاء مال ان أسلموه* القرطاء هم بنو قرط وقريط وقريط وهم أبطن من بنى عامر ثم من بنى كلاب ولما قتل أصحاب بئر معونة نزل فيهم قرآن ثم رفع ان أبلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضى عنا و رضينا عنه فثبت هذا فى الصحيح وليس عليه رونق الاعجاز فيقال انه لم ينزل بهذا النظم ولكن بنظم معجز كنظم القرآن (فان قيل) انه خبر والخبر لا يدخله النسخ (قلنا) لم ينسخ منه الخبر وانما نسخ منه الحكم فان حكم القرآن ان يتلى فى الصلاة وان لا يمسه الا طاهر وان يكتب بين اللوحين وان يكون تعلمه من فروض الكفاية فكل ما نسخ و رفعت منه هذه الاحكام وان بقى محفوظا فانه منسوخ فان تضمن حكما جاز ان يبقى ذلك الحكم معمولا به وأنكرت ذلك المعتزلة وان تضمن خبرا بقى ذلك الخبر مصدقا به وأحكام التلاوة منسوخة عنه كما قد نزل لو ان لابن آدم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب و يتوب الله على من تاب و يروى لا يملأ عينى ابن آدم وفم ابن آدم كل ذلك فى الصحيح وكذلك روى واديا من مال أيضا فهذا خبر حق والخبر لا ينسخ ولكن نسخ منه أحكام التلاوة له وكانت هذه الآية أعنى قوله لو ان لابن آدم فى سورة يونس بعد قوله كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون كذلك قال ابن سلام وأما الحكم الذى بقى وكان قرآنا يتلى فالشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ولا ترغبوا عن آبائكم فان ذلك كفر بكم فهذا حكم كان نسخه جائزا حين نسخ حكم التلاوة وكان جائزا ان يبقى حكم التلاوة و ينسخ هذا الحكم بخلاف هذا الخبر كما تقدم

﴿غزوة بنى النضير وما نزل فيها﴾

ذكر ابن اسحق هذه الغزوة فى هذا الموضع وكان ينبغى ان يذكرها بعد بدر لما روى عقيل بن خالد وغيره عن الزهرى قال كانت غزوة بنى النضير بعد بدر بستة أشهر* وذكر نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى النضير وسيره اليهم حين نقضوا العهد الذى كان بينهم و بينه وهموا بقتله فلما تحصنوا فى حصونهم وحرق نخلهم نادوه ان يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه وذكر الحديث قال أهل التأويل وقع فى نفوس

بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنب جدار من بيوتهم قاعد فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب احدهم فقال انا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من اصحابه فيهم ابو بكر وعمر وعلى رضوان الله عليهم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما اراد القوم فقام وخرج راجعا الى المدينة فلما استلبث النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه قاموا فى طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رايته داخلا المدينة فاقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا اليه صلى الله عليه وسلم فاخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم «قال ابن هشام» واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم

المسلمين من هـذا الكلام شيء حتى أنزل الله تعالى ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمـة على أصولها الآية واللينـة ألوان التمر ماعـدا العجوة والبرني ففي هذه الآية ان النبي صـلى الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم الا ماليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة وفي الحديث العجوة من الجنة وتمرها يغذو أحسن غذاء والبرني أيضاً كذلك وقال أبو حنيفـة معناه بالفارسية حمـل مبارك لان بر معناه حمـل وني معناه جيـد أو مبارك فعربته العرب وأدخلته في كلامها وفي حـديث وفد عبد القيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم وذكر البرني انه من خير تمركم وانه دواء وليس بداء رواه منهم مزيدة العصرى ففي قوله تعالى «ماقطعتم من لينة» ولم يقل من نخلة على العموم تنبيه على كراهة قطع ما يقتات و يغذو من شجر العدو اذا رجي أن يصـير الى المسلمين وقد كان الصديق رضي الله عنـه يوصي الجيوش الا يقطعوا شجراً مثمراً وأخذ بذلك الاوزاعي فاما تأولوا حديث بني النضير وامارأوه خاصا للنبي عليـه السلام ولم يختلفوا ان سورة الحشر نزلت في بني النضـير ولا اختلفوا في أموالهم لان المسلمين لم يوجفوا عليها الخيل ولا ركاب وانما قذف الرعب في قلوبهـم وجلوا عن منازلهم الى خيـبر ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم فقسمها النبي صـلى الله عليه وسـلم بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهـم عن الانصار اذ كانوا قد ساهموهم في الاموال والديار غـير انه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما وقال غـير ابن اسحق وأعطى ثلاثة من الانصار وذكر الحارث بن الصمة فيهم وقوله سبحانه «يخربون بيوتهم» أي يخربونها من داخل والمؤمنون من خارج وقيل معنى بايديهم بما كسبت أيديهم من نقض العهد وأيدي المؤمنين أي بجهادهم * وقوله لاول الحشر روى موسى بن عقبـة انهـم قالوا الى أين نخرج يا محمـد قال الى الحشر يعني أرض المحشر وهي الشام وقيـل انهم كانوا من سبط لم يصبهم جـلاء قبلها فلذلك قال لاول الحشر والحشر الجلاء وقيل ان الحشر الثاني هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن فتحشر الناس الى الموقف تبيت معهم حيث باتوا وتقيـل معهم حيث قالوا وتأكل من تخلف والآية متضمنة لهـذه الاقوال كلها ولزائد عليها فان قوله لاول الحشر يؤذن ان ثم حشراً آخر فكان هـذا الحشر والجلاء الى خيبر ثم أجلاهم عمر من خيبر الى تيماء وأريحاء وذلك حين بلغه التثبت عن النبي صـلى الله عليه وسلم أنه قال لا يبقين دينان بارض العرب * وقوله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا يقال نزلت في قتل كعب ابن الاشرف * وقوله تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهـل القرى وروى عن مالك انه قال هم بنو قريظة وأهـل التأويل على انها عامة في جميع القـرى المفتتحة على المسلمين وان اختلفوا في حكمها فرأى قوم قسـمها كما تقسم الغنائم ورأى بعضـهم للامام أن يقفها وسـيأتي بيان هـذه المسـئلة في غزوة خيـبر ان شاء الله * وذكر شعر العبسي في اجـلاء اليهود فقال * أحـل اليهود بالحسي المزنم * يريد أحلاهـم بارض غربة وفي غير عشائرهم والزنيم والمزنم الرجـل يكون في القوم وليس منهم أي أنزلهم بمنزلة الحسي أي المبعد الطريد وانما جعل الطريد الذليل حسيا لانه عرضة الاكل والحسي والحسو ما يحسى من الطعام حسوا أي انه لا يمتنع على آكل ويجوز أن يريد بالحسي معنى الغـذى من الغنم وهو الصـغير الضـعيف الذي لا يستطيع الرعي يقال بدلوا بالمال الدثر والابل الكوم رذال المال وغذاء الغنم والمزنم منه فهذا وجه يحتمل وقد أكثرت التنقير عن الحسي في مضانه من اللغة فلم أجد نصاً شافيا أكثر من قول أبي علي الحسـية والحسي ما يحسى من الطعام واذ قد وجـدنا الغذى واحـد غذاء الغنم فالحسي في معناه غـير ممتنع ان يقال والله أعلم والمزنم أيضاً صـغار الابل وسائر هـذا الشعر مع ما بعده من الاشعار ليس فيـه عويص من الغريب ولا مستغلق من الكلام وماذكر من أمر الكاهنين فهما قريظة والنضـير وفي الحـديث يخرج في الكاهنين

* قال ابن اسحق ثم سار بالناس حتى نزل بهم «قال ابن هشام» وذلك فى شهر ربيع الاول فحاصرهم ست ليال ونزل تحريم الخمر . قال ابن اسحق فتحصنوا منه فى الحصون فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها فنادوه ان يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج منهم عدو الله عبد الله بن ابى بن سلول ووديعة بن مالك بن ابى قوقل وسويد وداعس قد بعثوا الى بنى النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قاتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله فى قلوبهم الرعب وسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن دمائهم على ان لهم ما حملت الابل من اموالهم الا الحلقة ففعل فاحتملوا من اموالهم ما استقلت به الابل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام فكان أشرافهم من سار منهم الى خيبر سلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق وحيى بن أخطب فلما نزلوها دان لهم أهلها * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر انه حدث انهم استقلوا بالنساء والابناء والاموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم وان فيهم لام عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسى التى ابتاعوا منه وكانت احدى نساء بنى غفار بزهاء وفخر ما رؤى مثله من حى من الناس فى زمانهم وخلوا الاموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الاولين دون الانصار الا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقرا فاعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسلم من بنى النضير الا رجلان يامين بن عمير بن كعب بن عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فاحرزاها * قال ابن اسحق وقد حدثنى بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأنى فجعل يامين بن عمير لرجل جعلا على أن يقتل له عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون * ونزل فى بنى النضير سورة الحشر باسرها يذكر فيها ما اصابهم الله به من نقمته وما سلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم وما عمل به فيهم فقال تعالى هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف ابوابهم اذ احتملوها فاعتبروا يا اولى الابصار ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء وكان لهم من الله نقمة لعذبهم فى الدنيا اى بالسيف ولهم فى الآخرة عذاب النار مع ذلك ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها واللينة ما خالف العجوة من النخل فباذن الله اى فبامر الله قطعت لم يكن فسادا ولكن كان نقمة من الله ليخزى الفاسقين «قال ابن هشام» اللينة من الالوان وهى ما لم تكن برنية ولا عجوة من النخل فيما حدثنا ابو عبيدة قال ابن ذو الرمة

كأن قتودى فوقها عش طائر * على لينة سوقاء تهفو جنوبها

وهذا البيت فى قصيدة له ما افاء الله على رسوله منهم * قال ابن اسحق يعنى من بنى النضير فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير اى له خاصة «قال ابن هشام» أوجفتم حركتم واتعبتم فى السير قال تميم بن ابى بن مقبل احد بنى عامر بن صعصعة

مذاويد بالبيض الحديث صقالها * عن الركب أحيانا اذا الركب أوجفوا

وهذا البيت فى قصيدة له وهو الوجيف قال ابو زيد الطائى واسمه حرملة بن المنذر

مسنفات كأنهن قنا الهنـ * ـد لطول الوجيف جذب المرود

وهذا البيت فى قصيدة له «قال ابن هشام» السناف البطان والوجيف ايضا وجيف القلب والكبد وهو الضربان قال قيس بن الخطيم الظفرى

انا وان قدموا التى عملوا * أكبادنا من ورائهم تجف

وهذا البيت فى قصيدة له ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول * قال ابن اسحق ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب وفتح بالحرب عنوة فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين

رجل يدرس القرآن درسا لم يدرسه أحد قبله ولا يدرسه أحد بعده فكانوا يرونه انه محمد بن كعب القرظى وهو محمد بن كعب بن عطية وسيأتى خبر جده عطية فى بنى قريظة والكاهن فى اللغة بمعنى الكاهل وهو الذى يقوم بحاجة أهله اذا خلف عليهم يقال هو كاهن أبيه وكاهله قاله الهروى فيحتمل أن يكون سمى الكاهنان بهذا

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق خروج بنى النضير الى خيبر وانهم اشتغلوا بالنساء والابناء والاموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم وان فيهم لام عمرو صاحبة عروة بن الورد التى ابتاعوا منه وكانت احدى نساء بنى غفار انتهى كلام ابن اسحق ولم يذكر اسمها فى رواية البكائى عنه وذكره فى غيرها وهى سلمى قال الاصمعى اسمها ليلى بنت شعواء وقال أبو الفرج هى سلمى أم وهب امرأة من كنانة كانت ناكحا فى مزينة فاغار عليهم عروة بن الورد فسباها وذكر الحديث وقول أبى الفرج انها من كنانة لا يدفع قول

وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا يقول هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين على ماوضعه الله عليه ثم قال تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يعنى عبدالله بن أبى وأصحابه ومن كان على مثل أمرهم يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب يعنى بنى النضير الى قوله كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب اليم يعنى بنى قينقاع * ثم القصة الى قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين وكان مما قيل فى بنى النضير من الشعر قول ابن القيم العبسى و يقال قالها قيس بن بحر بن طريف «قال ابن هشام». قيس بن بحر الاشجعى فقال

آهلى فداء لامرئ غير هالك * أحل اليهود بالحسى المزنم
يقيلون فى جمر العضاه وبدلوا * أهيضب عورى بالودى المكمم
فان يك ظنى صادقا بمحمد * تروا خيله بين الصلا ويرمرم
يؤم بها عمرو بن بهثة انهم * عدو وماحى صديق كمجرم
عليهن أبطال مساعير فى الوغى * يهزون أطراف الوشيج المقوم
وكل رقيق الشفرتين مهند * تورثن من أزمان عاد وجرهم
فمن مبلغ عنى قريشا رسالة * فهل بعدهم فى المجد من متكرم
بان أخاكم فاعلمن محمدا * تليد الندى بين الحجون وزمزم
فدينوا له بالحق تجسم أموركم * وتسموا من الدنيا الى كل معظم
نبى تلاقته من الله رحمة * ولا تسألوه أمر غيب مرجم
فقد كان فى بدر لعمرى عبرة * لكم يا قريشا والقليب الململم
غداة أتى فى الخزرجية عامدا * اليكم مطيعا للعظيم المكرم
معانا بروح القدس ينكى عدوه * رسولا من الرحمن حقا بعلم
رسولا من الرحمن يتلو كتابه * فلما أنار الحق لم يتلعثم
أرى أمره يزداد فى كل موطن * علوا لأمر حمه الله محكم

«قال ابن هشام» عمرو ابن بهثة من غطفان وقوله بالحسى المزنم عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه يذكر اجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الاشرف «قال ابن هشام» قالها رجل من المسلمين غير على بن أبى طالب رضوان الله عليه فيما ذكر بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحدا منهم يعرفها لعلى رضوان الله عليه

عرفت ومن يعتدل يعرف * وأيقنت حقا ولم أصدف
عن الكلم المحكم اللاء من * لدى الله ذى الرأفة الارأف
رسائل تدرس فى المؤمنين * بهن اصطفى أحمد المصطفى
فاصبح أحمد فينا عزيزا * عزيز المقامة والموقف
فيا أيها الموعدوه سفاها * ولم يأت جورا ولم يعنف
ألستم تخافون أدنى العذاب * وما آمن الله كالاخوف
وان تصرعوا تحت أسيافه * كمصرع كعب أبى الاشرف
غداة رأى الله طغيانه * وأعرض كالجمل الاجنف
فانزل جبريل فى قتله * بوحى الى عبده ملطف
فدس الرسول رسولا له * بابيض ذى هبة مرهف
فباتت عيون له معولات * متى ينع كعب لها تذرف
وقلن لاحمد ذرنا قليلا * فانا من النوح لم نشتف
فخلاهم ثم قال اظعنوا * دحورا على رغم الآنف
وأجلى النضير الى غربة * وكانوا بدار ذوى زخرف
الى أذرعات ردافى وهم * على كل ذى دبر أعجف

(فاجابه سمال اليهودى فقال)

ان تفخروا فهو فخر لكم * بمقتل كعب أبى الاشرف
غداة غدوتم على حتفه * ولم يأت غدرا ولم يخلف
فعل الليالى وصرف الدهور * يدلن من العادل المنصف
بقتل النضير وأحلافها * وعقر النخيل ولم تقطف
فان لا أمت نأتكم بالقنا * وكل حسام معا مرهف
بكف كمى به يحتمى * متى يلق قرنا له يتلف
مع القوم صخر وأشياعه * اذا غاور القوم لم يضعف
كليث بترج حمى غيله * أخى غابة هاصر أجوف

ابن اسحق انها من غفار لان غفار من كنانة غفار بن مليل بن ضمرة بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وعروة بن الورد بن زيد و يقال ابن عمرو بن ناشب بن هدم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس فهو عبسى غطفانى قيسى لان عبسا هو ابن بغيض بن ريث بن غطفان قال فيه عبد الملك بن مروان ما يسرنى ان احدا من العرب ولدنى الا عروة بن الورد لقوله

أتهزأ منى ان سمنت وقد ترى * بجسمى مس الحق والحق جاهد
انى امرؤ عافى انائى شركة * وأنت امرؤ عافى انائك واحد
اقسم جسمى فى جسوم كثيرة * واحسوا قراح الماء والماء بارد

قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك يذكر اجلاء بني النضير وقتل كعب ابن الاشرف

لقد خزيت بغدرتها الحبور * كذاك الدهر ذو صرف يدور
وذلك انهم كفروا برب * عزيز أمره أمر كبير
وقد أوتوا معا فهما وعلما * وجاءهم من الله النذير
نذير صادق أدى كتابا * وآيات مبينة تنير
فقالوا ما أتيت بامر صدق * وأنت بمنكر منا جدير
فقال بلى لقد أديت حقا * يصدقني به الفهم الخبير
فمن يتبعه يهد لكل رشد * ومن يكفر به يجز الكفور
فلما أشربوا غدرا وكفرا * وجد بهم عن الحق النفور
أرى الله النبي برأي صدق * وكان الله يحكم لا يجور
فايده وسلطه عليهم * وكان نصيره نعم النصير
فغودر منهم كعب صريعا * فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته * بايدينا مشهرة ذكور
بامر محمد اذ دس ليلا * الى كعب أخا كعب يسير
فماكره فانزله بمكر * ومحمود أخو ثقة جسور
فتلك بنو النضير بدار سوء * أبارهم بما اجترموا المبير
غداة أتاهم في الزحف رهوا * رسول الله وهو بهم بصير
وغسان الحماة موازروه * على الاعداء وهو لهم وزير
فقال السلم ويحكموا فصدوا * وخالف أمرهم كذب وزور
فذاقوا غب أمرهم وبالا * لكل ثلاثة منهم بعير
وأجلوا عامدين لقينقاع * وغودر منهم نخل ودور

(فاجابه سمال اليهودي فقال)

أرقت وضافني هم كبير * بليل غيره ليل قصير
أرى الاحبار تنكره جميعا * وكلهم له علم خبير
وكانوا الدارسين لكل علم * به التوراة تنطق والزبور
قتلتم سيد الاحبار كعبا * وقدما كان يأمن من يجير
تدلى نحو محمود أخيه * ومحمود سريرته الفجور
فغادره كأن دما نجيعا * يسيل على مدارعه عبير
(١٨٠)
فقد وأبيكم وأبي جميعا * أصيبت اذ أصيب به النضير
فان نسلم لكم نترك رجالا * بكعب حولهم طير تدور
كانهم عتائر يوم عيد * تذبح وهي ليس لها نكير
ببيض لا تليق لهن عظما * صوافي الحد أكثرها ذكور
كما لاقيتم من بأس صخر * باحد حيث ليس لكم نصير

وكان يقال من قال ان حاتما أسمح العرب فقد ظلم عروة بن الورد قال أبو الفرج وكان عروة يتردد على بني النضير فيستقرضهم اذا احتاج ويبيع منهم اذا غنم فرأوا عنده سلمى فاعجبتهم فسألوه أن يبيعها منهم فابى فسقوه الخمر واحتالوا عليه حتى ابتاعوها منه وأشهدوا عليه وفي ذلك يقول

سقوني الخمر ثم تكنفوني * عداة الله من كذب وزور

وروى

(وقال عباس بن مرداس أخو بني سليم يمتدح رجال بني النضير)

ولو أن أهل الدار لم يتصدعوا * رأيت خلال الدار ملهى وملعبا
فانك عمري هل أريك ظعائنا * سلكن على ركن الشطاة فتيأبا
عليهن عين من ظباء تبالة * أوانس يصبين الحليم المجربا
اذا جاء باغي الخير قلن فجاءة * له بوجوه كالدنانير مرحبا
وأهلا فلا ممنوع خير طلبته * ولا أنت تخشى عندنا أن تؤنبا
فلا تحسبني كنت مولى ابن مشكم * سلام ولا مولى حيي بن أخطبا

(فاجابه خوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال)

تبكى على قتلى يهود وقد ترى * من الشجو لو تبكي أحب وأقربا
فهلا على قتلى ببطن أرينق * بكيت ولم تعول من الشجو مسهبا
اذا السلم دارت في صديق رددتها * وفي الدين صدادا وفي الحرب ثعلبا
عمدت الى قدر لقومك تبتغي * لهم شبها كيما تعز وتغلبا
فانك لما ان كلفت تمدحا * لمن كان عيبا مدحه وتكذبا
رحلت بامر كنت أهلا لمثله * ولم تلف فيهم قائلا لك مرحبا
فهلا الى قوم ملوك مدحتهم * تبنوا من العز المؤثل منصبا
الى معشر سادوا ملوكا وكرموا * ولم يلف فيهم طالب العرف مجدبا
أولئك أحرى من يهود بمدحة * تراهم وفيهم عزة المجد ترتبا

(فاجابه عباس بن مرداس السلمي فقال)

هجوت صريح الكاهنين وفيكم * لهم نعم كانت من الدهر ترتبا
أولئك أحرى لو بكيت عليهم * وقومك لو أدوا من الحق موجبا
من الشكر ان الشكر خير مغبة * وأوفق فعلا للذي كان أصوبا
فكنت كمن أمسى يقطع رأسه * ليبلغ عزا كان فيه مركبا
فبك بني هارون واذكر فعالهم * وقتلهم للجوع اذ كنت مجدبا
أخوات اذر الدمع بالدمع وابكهم * وأعرض عن المكروه منهم ونكبا
فانك لو لاقيتهم في ديارهم * لالفيت عما قد تقول منكبا
سراع الى العليا كرام لدى الوغى * يقال لباغي الخير أهلا ومرحبا

(فاجابه كعب بن مالك أو عبد الله بن رواحة فيما قال ابن هشام فقال)

لعمري لقد حكت رحى الحرب بعدما * أطارت لؤيا قبل شرق ومغربا
بقية آل الكاهنين وعزها * فعاد ذليلا بعد ما كان أغلبا
فطاح سلام وابن سعية عنوة * وقيد ذليلا للمنايا ابن أخطبا

و روى أيضاً أن قومها افتدوها منه وكان يظن انها لا تختار عليه أحداً ولا تفارقه فاختارت قومها فتدم وكان له منها بنون فقالت له والله ما أعلم امرأة من العرب ارخت ستراً على بعل مثلك اغض طرفا ولا أندى كفا ولا اغنى غناء وانك لرفيع العماد كثير الرماد خفيف على ظهور الخيل ثقيل على متون الاعداء راضي للاهل والجار وما كنت لاوثرعنك أهلي لولا انى كنت اسمع بنات عمك يقلن فعلت أمة عروة وقالت أمة عروة فاجد من ذلك الموت والله لا يجامع وجهي وجه غطفانية أبداً فاستوص ببنيك خيرا قال ثم تزوجها بعده رجل من بني النضير فسألها أن تثنى عليه في نادى قومه كما أثنت على عروة فقالت اعفنى فانى لا أقول الا ما علمته فابى أن يعفيها فجاءت حتى وقفت على النادى وهو فيه فقالت عموا صباحا ثم قالت ان هذا أمرنى أن أثنى عليه بما علمت فيه ثم قالت له والله ان شملتك لالتفاف وان شربك لاشتفاف وان ضجعتك لانجعاف وانك لتشبع ليلة تضاف وتنام ليلة تخاف فقال له قومه قد كنت في غنى عن هذا وفيها يقول عروة بن الورد

أرقت وصحبتى بمضيق عمق * لبرق فى تهامة مستطير
اذا قلت استهل على قديد * يحور ربابه حور الكسير
سقى سلمى وأين محل سلمى * اذا حلت مجاورة السرير
اذا حلت بارض بنى على * وأهلك بين امرة وكير
ذكرت منازلا من أم وهب * محل الحى أسفل ذى النقير
وآخر معهد من أم وهب * معرسنا فويق بنى النضير
وقالت ما تشاء فقلت ألهوا * الى الاصباح آثر ذى أثير
بآنسة الحديث رضاب فيها * بعيد النوم كالعنب العصير
أطعت الامرين بصرم سلمى * فطاروا فى بلاد اليستعور
سقونى الخمر ثم تكنفونى * عداة الله من كذب وزور
وقالوا لست بعد فداء سلمى * بمغن ما لديك ولا فقير
ولا وأبيك لو كاليوم أمرى * ومن لك بالتدبر فى الامور
اذا لملكت عصمة أم وهب * على ما كان من حسك الصدور
فيا للناس كيف غلبت نفسى * على شئ ويكرهه ضميرى

قوله السرير موضع فى ناحية كنانة وقوله اليستعور هو موضع قبل حرة المدينة فيه عضاه من سمر وطلح وقال أبو حنيفة اليستعور شجر يستاك به ينبت بالسراة واليستعور أيضاً من أسماء الدواهى والياء فى اليستعور أصلية فهذا شرح ما أومأ اليه ابن اسحق من حديث أم عمرو واسمها أم وهب كما ذكر فى شعره

﴿ غزوة ذات الرقاع ﴾

وسميت ذات الرقاع لانهم رقعوا فيها راياتهم فى قول ابن هشام قال ويقال ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وذكر غيره انها أرض فيها بقع سود وبقع بيض كانها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك وكانوا قد نزلوا فيها فى تلك الغزاة وأصح من هذه الاقوال كلها ما رواه البخارى من طريق أبى موسى الاشعرى قال خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماى وسقطت أظفارى فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما

ذا فى الناس أكدى وأصعبا
وشاس وعزال وقد صليا بهما
وما غيبا عن ذاك فمن تغيبا
وعوف بن سلمى وابن عوف كلاهما
وكعب رئيس القوم حان وخيبا
فبعدا وسحقا للنضير ومثلها
ان أعقب فتح أو ان الله أعقبا

«قال ابن هشام» قال أبو عمرو المدنى ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بنى النضير بنى المصطلق وسأذكر حديثهم ان شاء الله فى الموضع الذى ذكره ابن اسحق فيه

﴿ غزوة ذات الرقاع فى سنة أربع ﴾

* قال ابن اسحق ثم أقام رسول الله صلى الله وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى ثم غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ويقال عثمان بن عفان فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق حتى نزل نخلا وهى غزوة ذات الرقاع «قال ابن هشام» وانما قيل لها غزوة ذات

* قال ابن اسحق فلقي بها جمعا عظيما من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بالناس « قال ابن هشام » حدثنا عبد الوارث بن سعيد التنورى وكان يكنى أبا عبيدة قال حدثنا يونس بن عبيد عن الحسن بن أبى الحسن عن جابر بن عبد الله فى صلاة الخوف قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف ثم انصرف بالناس « قال ابن هشام » بطائفة ركعتين ثم سلم وطائفة مقبلون على العدو قال فجاؤا فصلى بهم ركعتين أخريين ثم سلم « قال ابن هشام » وحدثنا عبد الوارث قال حدثنا أيوب عن أبى الزبير عن جابر قال صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين فركع بنا جميعا ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد الصف الاول فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بانفسهم ثم تأخر الصف الاول وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ثم ركع النبى صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ثم سجد النبى صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه فلما رفعوا رؤسهم سجد الآخرون بانفسهم فركع النبى صلى الله عليه وسلم بهم جميعا وسجد كل واحد منهما بانفسهم سجدتين « قال ابن هشام » حدثنا عبد الوارث بن سعيد التنورى (١٨٢) قال حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال يقوم الامام وتقوم معه طائفة وطائفة مما يلى العدو فيركع بهم الامام ويسجد بهم ثم يتأخرون فيكونون مما يلى العدو ويتقدم الآخرون فيركع بهم الامام ركعة ويسجد بهم ثم تصلى كل طائفة بانفسهم ركعة فكانت لهم مع الامام ركعة ركعة وصلوا بانفسهم ركعة ركعة

* قال ابن اسحق وحدثنى عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله أن رجلا من بنى محارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب ألا أقتل لكم محمدا قالوا بلى وكيف تقتله قال أفتك به قال فاقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجره فقال يا محمد أنظر الى سيفك هذا قال نعم وكان محلى بفضة فيما قال ابن هشام قال فاخذه فاستله ثم جعل يهزه ويهم فيكبته الله ثم قال يا محمد أما تخافنى قال لا وما أخاف منك قال أما تخافنى وفى يدى السيف قال لا يمنعنى منك ثم عمد الى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرده عليه قال فانزل الله فيه يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن رومان أنها انما أنزلت فى عمرو بن جحاش أخى بنى النضير وما هم به فالله أعلم أى ذلك كان * قال ابن اسحق وحدثنى وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لى ضعيف فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جعلت الرفاق تمضى وجعلت أتخلف حتى أدركنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا جابر قال قلت يا رسول الله أبطأ بى جملى هذا قال أنخه قال فانخته وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعطنى هذه العصا من يدك أو اقطع لى عصا من شجرة قال ففعلت قال فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخسه بها نخسات ثم قال اركب فركبت فخرج والذى بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقة قال وتحدثت مع رسول الله صلى الله

كنا نعصب من الخرق على أرجلنا فحدث أبو موسى بهذا ثم كره ذلك فقال ما كنت أصنع بان أذكره كانه كره أن يكون شيأ من عمله أفشاه

﴿ فصل ﴾ وذكر صلاة الخوف وأورده من طرق ثلاث وهى مروية بصور مختلفة أكثر مما ذكر سمعت شيخنا أبا بكر رحمه الله يقول فيها ست عشرة رواية وقد خرج المصنفون أصحها وخرج أبو داود منها جملة ثم اختلف الفقهاء فى الترجيح فقالت طائفة يعمل منها بما كان أشبه بظاهر القرآن وقالت طائفة يجتهد فى طلب الآخر منها فانه الناسخ لما قبله وقالت طائفة يؤخذ بأصحها نقلا وأعلاها رواة وقالت طائفة وهو مذهب شيخنا يؤخذ بجميعها على حسب اختلاف أحوال الخوف فاذا اشتد الخوف أخذ بأيسرها مؤنة فاذا تفاقم الخوف صلوا بغير امام لقبلة أو لغير قبلة وقد روى ابن سلام عن طائفة من السلف ان صلاة الخوف قد تؤل الى أن تكون أربع تكبيرات وذلك عند معمعة القتال وسيأتى بقية القول فى صلاة الخوف فى خبر بنى قريظة ان شاء الله ومما تخالف به صلاة الخوف حكم غيرها انه لا سهو فيها على امام ولا على مأموم رواه الدارقطنى بسند ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا سهو فى صلاة الخوف

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث جابر حين أبطأ به جمله فنخسه النبى صلى الله عليه وسلم نخسات فخرج يواهق ناقته مواهقة المواهقة كالمسابقة والمجاراة وأنشد سيبويه لاوس بن حجر

تواهق رجلاها يداها ورأسه * لها قتب خلف الحقيبة رادف

رفع يداها ورجلاها رفع الفاعل لان المواهقة لا تكون الا من اثنين فكل واحد منهما فاعل فى المعنى كما ذكروا فى قول الراجز

عليه وسـلم فقال لى أتبيعني جملك هذا يا جابر قال قلت يارسول الله بل أهبه لك قال لا ولكن بعنيه قال قلت فسمنيه يارسـول الله قال قد أخذته بدرهم قال قلت لا اذن تغبنني يارسـول الله قال فبدرهمين قال قلت لا قال فلم يزل يرفع لى رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فى ثمنه حـتى بلغ الاوقية قال فقلت أفقد رضيت يارسول الله قال نعم قلت فهولك قال قد أخذته قال ثم قال يا جابر هل تزوجت بعـد قال قلت نعم يارسول الله قال أثيبا أم بكرا قال قلت بل ثيبا قال أفـلا جارية تلاعبها وتلاعبك قال قلت يارسول الله ان أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سـبعا فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤسهن وتقوم عليهن قال أصـبت ان شاء الله أما انا لوقد جئنا صرارا أمرنا بجزور فنحرت وأقمنا عليها يومنا ذاك وسمعت بنا فنفضت نمارقها قال قلت والله يارسول الله مالنا من نمارق قال انها ستكون فاذا أنت قدمت فاعمل عملا كيسا قال فلما جئنا صرارا أمر رسول الله صـلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسـلم دخل ودخلنا قال فحدثت المرأة الحديث وما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فدونك سمع وطاعة قال فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فاقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم جلست فى المسجد قريبا منه قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الجمل فقال ماهذا قالوا يارسول الله هـذا جمل جاء به جابر قال فأين جابر قال فدعيت له قال فقال يا ابن أخى خـذ برأس جملك فهولك ودعا بلالا فقال له اذهب بجابر فاعطه أوقية قال فذهبت معـه فاعطانى أوقيـة وزادنى شيأ يسيرا

قدسالم الحيات منه القدما * الافعوان والشجاع الشجعما

هكذا تأوله سيبويه ولعـل هـذا الشاعر كان من لغته أن يجعـل التثنية بالالف فى الرفع والنصب والخفض كما قال تزودمنا بين أذناه طعنة * دعته الى هابى التراب عقيم

وكما قال الآخر * قد بلغا فى المجد غايتاها * وهى لغة بنى الحارث بن كعب قاله أبو عبيد وقال النحاس فى الكتاب المقنع هى أيضاً لغة لخثعم وطيء وأبطن من كنانة والبيت أعنى تواهق رجلاها يداها هولاوس بن حجر الاسدى وليس ممن هذه لغته فالبيت اذا على ماقاله سيبويه *وذكر مساومة النبى صلى الله عليه وسلم لجابر فى الجمل حتى اشتراه منه باوقية وانه أعطاه أولا درهما فقال لا اذا تغبننى يارسول الله فان كان أعطاه الدرهم مازحا فقد كان يمزح ولا يقول الا حقا فاذا كان حقا ففيه من الفقه اباحة المكايسة الشديدة فى البيع وأن يعطى فى السلعة مالا يشبه أن يكون ثمنا لها بنص الحـديث وفى دليله ان من اشترى سلعة بمالا يشـبه أن يكون لها ثمنا وهو عاقل بصير ولم يكن فى البيع تدليس عليه فهو بيع ماض لا رجوع فيه وروى من وجه صحيح انه كان يقول له كلما زاده درهما قد أخـذته بكذا والله يغفر لك فكانه عليه السـلام أراد باعطائه اياه درهـما درهـما أن يكثر استغفاره له وفى جمل جابر هـذا أمور من الفقه سوى ماذكرنا وذلك أن طائفـة من الفقهاء احتجوا به فى جواز بيع وشرط لان النبى صـلى الله عليه وسـلم شرط له ظهره الى المدينـة وقالت طائفة لا يجوز بيع وشرط وان وقع فالشرط باطل والبيع باطل واحتجوا بحـديث عمرو بن شعيب عن أبيـه شعيب عن جد أبيه عبد الله بن عمرو بن العاصى ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن شرط وبيع وعن بيع وسلف وقد روى أبو داود هذا الحـديث فقال عن عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن أبيه محـمد بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عبد الله بن عمرو وهـذه روايه مستغربة عند أهل الحديث جـدا لان المعروف عندهم ان شعيبا انما يروى عن جده عبد الله لا عن أبيه محمد لان أباه محمدا مات قبل جده عبد الله فقف على هذه التنبيهة فى هذا الحديث فقل من تنبه لها وقالوا لا حجة فى حديث جابر لما فيـه من الاضطراب فقد روى انه قال أفقرنى ظهره الى المدينـة وروى انه قال استثنيت ظهره الى المدينـة وروى انه قال شرط لى ظهره وقال البخارى الاشتراط أكثر وأصح وكذلك اضطربوا فى الثمن فقالوا بعته منه باوقية وقال بعضهم باربع أواقى وقال بعضهم بخمس أواقى وقال بعضهم بخمسة دنانير وقال بعضهم بأربعة دنانير وقال بعضهم هو فى معنى الاوقية وكل هذه الروايات قد ذكرها البخارى وقال مسلم فى بعض رواياته دينارين ودرهمين وقالت طائفة بابطال الشرط وجواز البيع واحتجوا بحديث بريرة حين باعها أهلها من عائشة واشترطوا الولاء فاجاز النبى صـلى الله عليه وسـلم البيع وأبطل الشرط واستـعمل مالك هذه الاحاديث أجمع فقال بابطال البيع والشرط على صورة وبجوازهما على صورة اخرى وبابطال الشرط وجواز البيع على صورة ايضاً وذلك بين فى المسائل لمن تدبرها وأبين ماتوجد محكمة الاصول مستثمرة الجنا والفصول فى كتاب المقدمات لابن رشد فلينظرها هنالك من أرادها

﴿ فصـل ﴾ ومن لطيف العلم فى حديث جابر بعد أن تعلم قطعا ان النبى صـلى الله عليه وسلم لم يكن يفعل

شيئاً عبثا بل كانت أفعاله مقرونة بالحكمة ومؤيدة بالعصمة فاشتراؤه الجمل من جابر ثم أعطاه الثمن وزاده عليه زيادة ثم رد الجمل عليه وقد كان يمكن أن يعطيه ذلك العطاء دون مساومة فى الجمل ولا اشتراء ولا شرط ولا توصيل فالحكمة فى ذلك بديعة جدا فلتنظر بعين الاعتبار وذلك انه سأله هل تزوجت ثم قال له هلا بكرا فذكر له مقتل أبيه وما خلف من البنات وقد كان عليه السلام قد أخبر جابرا بان الله قد أحيا أباه ورد عليه روحه وقال ما تشتهى فازيدك فاكد عليه السلام هذا الخبر بمثل ما يشبهه فاشترى منه الجمل وهو مطيته كما اشترى الله تعالى من أبيه ومن الشهداء أنفسهم بثمن هو الجنة ونفس الانسان مطيته كما قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ان نفسى مطيتى ثم زادهم زيادة فقال «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» ثم رد عليهم أنفسهم التى اشترى منهم فقال «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا» الآية فاشار عليه السلام باشترائه الجمل من جابر واعطائه الثمن وزيادته على الثمن ثم رد الجمل المشترى عليه أشار بذلك كله الى تاكيد الخبر الذى أخبر به عن فعل الله تعالى بابيه فتشاكل الفعل مع الخبر كما تراه وحاش لافعاله أن تخلو من حكمة بل هى كلها ناظرة الى القرآن ومنتزعة منه صلى الله عليه وسلم

﴿فصل﴾ وحدث عن عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر وذكر حديث غورث وقد ذكره البخارى فقال فيه غورث بن الحارث وقد ذكره الخطابى فقال فيه انه لما هم بقتل النبى صلى الله عليه وسلم رمى بالزلخة فندر السيف من يده وسقط الى الارض والزلخة وجع ياخذ فى الصلب وأما روايته الحديث عن عمرو ابن عبيد فاعجب شئ سياقته اياه عن عمرو بن عبيد وقد رواه الاثبات عن جابر وعمرو بن عبيد متفق على وهن حديثه وترك الرواية عنه لما اشتهر من بدعته وسوء نحلته فانه حجة القدرية فيما يسندون الى الحسن رضى الله عنه من القول بالقدر وقد برأه الله منه وكان عند الله وجيها واما عمرو بن عبيد بن دأب فقد كان عظيما فى زمانه عالى الرتبة فى الورع حتى افتتن به وبمقالته امة فصار واقدرية وقد نبز بمذهبه قوم من أهل الحديث فلم يسقط حديثهم لانهم لم يجادلوا على مذهبهم ولا طعنوا فى مخالفيهم من اهل السنة كما فعل عمرو بن عبيد فممن نبز بالقدر ابن ابى ذئب وقتادة وداود بن الحصين وعبد الحميد بن جعفر وطائفة سواهم من الاثبات فى علم الحديث وعمرو بن عبيد يكنى أبا عثمان وابوه عبيد بن دأب كان صاحب شرطة فيما ذكروا وسمع يوما ناسا يقولون فى ابنه هذا خير الناس ابن شر الناس فالتفت اليهم وقال وما يعجبكم من هذا هو كابراهيم وانا كآزر وكان ابو جعفر المنصور يقول بعد موت عمرو بن عبيد ما بقى احد يستحيا منه بعد عمرو وكان يقول

كلكم خاتل صيد * كلكم يمشى رويد * غير عمرو بن عبيد

وقد نبز ابن اسحق بالقدر ايضاً وروايته عن عمرو بن عبيد تؤيد قول من عزاه اليه والله اعلم

﴿فصل﴾ وذكر قول جابر والله مازال يمنى عندنا ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب فيما أصيب منا يوم الحرة يعنى وقعة الحرة التى كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدى مسلم بن عقبة المرى الذى يسميه اهل المدينة مسرف بن عقبة وكان سببها ان اهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بن الحكم وبنى أمية وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الذى غسلت أباه الملائكة يوم أحد ولم يوافق على هذا الخلع احد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم روى البخارى أن عبد الله بن عمر لما أرجف اهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه وقال لهم انا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله وانه والله لا يبلغنى عن أحد منكم انه خلع يداً من طاعته الا كانت الفيصل بينى وبينه ثم لزم بيته ولزم ابو سعيد الخدرى بيته فدخل عليه فى تلك الايام التى انتهبت المدينة فيها فقيل له من أنت ايها الشيخ فقال أنا ابو سعيد الخدرى صاحب النبى صلى الله

قال فوالله مازال يمنى عندى ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا يعنى يوم الحرة

* قال ابن اسحق وحدثني عمي صدقة بن يسار عن عقيل بن جابر عن جابر بن عبد الله الانصاري * قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل فاصاب رجل امرأة رجل من المشركين فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا أتى زوجها وكان غائبا فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دما فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا فقال من رجل يكلؤنا ليلتنا قال فانتدب رجل من المهاجرين ورجل آخر من الانصار فقالا نحن يا رسول الله قال فكونا بفم الشعب قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا الى الشعب من الوادي وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق فلما خرج الرجلان الى فم الشعب قال الانصاري للمهاجري أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره قال بل اكفني أوله قال فاضطجع المهاجري فنام وقام الانصاري يصلي قال وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف انه ربيئة القوم قال فرمى بسهم فوضعه فيه قال فنزعه فوضعه فثبت قائما قال ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه قال فنزعه فوضعه وثبت قائما ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه قال فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أهب صاحبه فقال اجلس فقد أثبت قال فوثب فلما رآهما الرجل عرف أنه قد نذرا به فهرب قال ولما رأى المهاجري ما بالانصاري من الدماء قال سبحان الله أفلا أهببتني أول ما رماك قال كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها فلما تابع علي الرمي ركعت فاذنتك وايم الله لولا أن أضيع ثغرا أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو انفذها «قال ابن هشام» ويقال أنفدها * قال ابن اسحق ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجبا

﴿غزوة بدر الآخرة﴾ في شعبان سنة أربع * قال ابن اسحق ثم خرج في شعبان الى بدر لميعاد أبي سفيان حتى نزله

عليه وسلم فقالوا له قد سمعنا خبرك ولنعم ما فعلت حين كففت يدك ولزمت بيتك ولكن هات المال فقال قد أخذه الذين دخلوا قبلكم علي وما عندي شيء فقالوا كذبت ونتفوا لحيته وأخذوا ما وجدوا حتى صوف الفرش وحتى أخذوا زوجين من حمام كان صبيانه يلعبون بهما وأما جابر بن عبد الله الذي كنا بسياق حديثه فخرج في ذلك اليوم يطوف في أزقة المدينة والبيوت تنتهب وهو أعمى وهو يعثر في القتلى ويقول تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قائل ومن أخاف رسول الله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبي فحملوا عليه ليقتلوه فاجاره منهم مروان وأدخله بيته وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والانصار الف وسبعمائة وقتل من اخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان فقد ذكروا ان امرأة من الانصار دخل عليها رجل من اهل الشام وهي ترضع صبيها وقد اخذ ما كان عندها فقال لها هات الذهب والا قتلتك وقتلت صبيك فقالت ويحك ان قتلته فابوه ابو كبشة صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وأنا من النسوة اللاتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خنت الله في شيء بايعت رسوله عليه فانتفض الصبي من حجرها وثديها في فيه وضرب به الحائط حتى انتثر دماغه في الارض والمرأة تقول يا بني لو كان عندي شيء افديك به لفديتك فما خرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وصار مثلة في الناس (قال المؤلف) وأحسب ان هذه المرأة جدة للصبي لا امه اذ يبعد في العادة ان تبايع النبي عليه السلام وتكون يوم الحرة في سن من ترضع والحرة التي يعرف بها هذا اليوم يقال لها حرة زهرة وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف بها وقال ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار أمتي بعد أصحابي ويذكر عن عبد الله بن سلام انه قال لقد وجدت صفتها في كتاب يهود بن يعقوب الذي لم يدخله تبديل وانه يقتل فيها قوم صالحون يجيئون يوم القيامة وسلاحهم على عواتقهم وذكر الحديث وعرفت حرة زهرة بقرية كانت لبني زهرة قوم من اليهود وكانت كبيرة في الزمان الاول ويقال كان فيها ثلاثمائة صائغ ذكره الزبير في فضائل المدينة له وكانت هذه الوقعة سنة ثلاث وستين وقد كان يزيد بن معاوية قد أعذر اليهم فيما ذكروا وبذل لهم من العطاء أضعاف ما يعطي الناس واجتهد في استمالتهم الى الطاعة وتحذيرهم من الخلاف ولكن أبى الله الا ما أراد والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون «تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون»

﴿فصل﴾ وذكر حديث الانصاري والمهاجري وهما عباد بن بشر وعمار بن ياسر وان رجلا من العدو رمى الانصاري بسهم وهو يصلي لما علم انه ربيئة القوم الربيئة هو الطليعة يقال ربأ على القوم يربأ فهو رباء وربيئة قال الشاعر

ربأت شماء لا يأوي لقلتها * الا السحاب والا الاوب والسبل

فرباء فعال من ربأ اذا نظر من مكان مرتفع وشماء يريد هضبة شماء وانما قالوا ربيئة بهاء التأنيث وطليعة

« قال ابن هشام » واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول الانصارى * قال ابن اسحق فاقام عليه ثمان ليال ينتظر أباسفيان وخرج أبوسفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية الظهران و بعض الناس يقول قد بلغ عسفان ثم بدا له فى الرجوع فقال يامعشر قريش انه لا يصلحكم الاعام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أباسفيان لميعاده فاتاه مخشى بن عمرو الضمرى وهو الذى كان وادعه على بنى ضمرة فى غزوة ودان فقال يامحمد أجئت للقاء قريش على هذا الماء قال نعم ياأخا بنى ضمرة وان شئت مع ذلك رددنا اليك ما كان بيننا و بينك ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا و بينك قال لا والله يامحمد مالنا بذلك منك من حاجة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أباسفيان فمر به معبد بن أبى معبد الخزاعى فقال وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تهوى به

قد نفرت من رفقتى محمد * وعجوة من يثرب كالعنجد
تهوى على دين أبيها الاتلد * قد جعلت ماء قديد موعدى
* وماء ضجنان لها ضحى الغد *

وقال عبد الله بن رواحة فى ذلك « قال ابن هشام » أنشدنيها أبوزيد الانصارى لكعب بن مالك

وعدنا أباسفيان بدرا فلم نجد * لميعاده صدقا وما كان وافيا
فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا * لأبت ذميما وافتقدت المواليا
تركنا به أوصال عتبة وابنه * وعمرا أباجهل تركناه ثاويا
عصيتم رسول الله أف لدينكم * وأمركم السيئ الذى كان غاويا
فانى وان عنفتمونى لقائل * فدى لرسول الله أهلى وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره * شهابا لنا فى ظلمة الليل هاديا

لانهما فى معنى العين والعين مؤنثة تقول ثلاث أعين وان كانوا رجالا يعنى الطلائع لان الطليعة والربيئة انما يراد منه عينه الناظرة كما تقول فى ثلاثة أعبد أعتقت ثلاث رقاب فتؤنث لان الرقبة ترجمة عن جميع العبد كما ان العين الذى هو الطليعة كذلك و يجوز ان تكون الهاء فى ربيئة وطليعة للمبالغة كما هى فى علامة ونسابة فعلى الوجه الاول تقول ثلاث طلائع وثلاث ربايا فى جمع ربيئة كما تقول ثلاث أعين لانه باب واحد من التأنيث واذا كانت الهاء للمبالغة قلت ثلاثة وأربعة لانك تقصد التذكير لان هاء المبالغة لا توجب تأنيث المسمى ولانها فى الصفة والصفة بعد الموصوف ولذلك تقول هذا علامة ولا تقول هذه علامة بخلاف الرقبة والعين لانك تقول فى العبد الذكر هذه رقبة فاعتقها و فى العين هذه طليعة وهذه عين وأنت تعنى الرجل هذا معنى الفرق بينهما و فى هذا الحديث من الفقه صلاة المجروح وجرحه يثعب دما كما فعل عمر بن الخطاب وقد ترجم بعض المصنفين عليه لموضع هذا الفقه وفيه متعلق لمن يقول ان غسل النجاسة لا يعد فى شروط صحة الصلاة وفيه من الفقه أيضا تعظيم حرمة الصلاة وان للمصلى ان يتمادى عليها وان جر اليه ذلك القتل وتفويت النفس مع ان التعرض لفوات النفس لا يحل الا فى حال المحاربة ألا ترى الى قوله لولا ان أضيع ثغرا أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسى قبل ان أقطعها أو انفذها يعنى السورة التى كان يقرؤها وذكر قول معبد * وعجوة من يثرب كالعنجد * العنجد حب الزبيب وقد يقال للزبيب نفسه أيضا عنجد وأما العنب فيقال لعجمه الفرصد والاتلد الاقدم من المال التليد * وأما قول حسان * دعوا فلجات الشام * جمع فلج وهو الماء الجارى سمى فلجا لانه قد خد فى الارض وفرق بين جانبيه مأخوذ من فلج الاسنان أو من الفلج وهو القسم والفالج مكيال يقسم به والفالج بعير ذو سنامين وهو من هذا الاصل ورواه أبوحنيفة بالحاء وقال الفلجة المزرعة * وذكر شعر أبى سفيان * أحسان انا يا ابن آكلة الفغا * الفغا ضرب من التمر و يقال هى غبرة تعلو البسر والمفغاة الفغا * وفيه * كما أخذكم بالعين ارطال آنك * ألفيت على هذا البيت فى حاشية أبى بحر ما هذا نصه ذكر محمد بن سلام فى الطبقات له هذا البيت حسبتم جلاد القوم حول بيوتكم * كاخذكم فى العين ارطال آنك

وقال حسان بن ثابت فى ذلك كأخذكم

دعوا فلجات الشام قد حال دونها * جلاد كأفواه المخاض الاوارك
بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم * وأنصاره حقا وأيدى الملائك
اذا سلكت للغور من بطن عالج * فقولا لها ليس الطريق هنالك
أقمنا على الرس النزوع ثمانيا * بارعن جرار عريض المبارك
بكل كميت جوزه نصف خلقه * وقب طوال مشرفات الحوارك
ترى العرفج العامى تذرى أصوله * مناسم أخفاف المطى الرواتك
فان تلق فى تطوافنا والتماسنا * فرات بن حيان يكن رهن هالك * وان تلق قيس بن امرئ القيس بعده * يزد فى سواد لونه لون حالك
فابلغ أبا سفيان عنى رسالة * فانك من غر الرجال الصعالك

فاجابه أبوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب فقال

أحسان انا يا ابن آكلة الفغا * وجدك نغتال الخروق كذلك
خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا * ولو وألت منا بشد مدارك
اذا ما انبعثنا من مناخ حسبته * مدمن أهل الموسم المتعارك
أقمت على الرس النزوع تريدنا * وتتركنا فى النخل عند المدارك
على الزرع تمشى خيلنا وركابنا * فما وطئت ألصقنه بالدكادك
أقمنا ثلاثا بين سلع وفارع * بجرد الجياد والمطى الرواتك
حسبتم جلاد القوم عند قبابهم * كما أخذكم بالعير أرطال آنك
فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها * على نحو قول المعصم المتماسك

سعدتم بها وغيركم كان أهلها * فوارس من أبناء فهر بن مالك فانك لا فى هجرة ان ذكرتها * ولا حرمات الدين أنت بناسك

«قال ابن هشام» بقيت منها أبيات تركناها لقبح اختلاف قوافيها وأنشدنى أبو زيد الانصارى هذا البيت * خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا والبيت الذى بعده لحسان بن ثابت فى قوله * دعوا فلجات الشام قد حال دونها * وأنشدنى له فيها بيته فابلغ اباسفيان

﴿ غزوة دومة الجندل ﴾

فى شهر ربيع الاول سنة خمس * قال ابن اسحق ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فاقام بها أشهرا حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة * قال ابن اسحق ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل «قال ابن هشام» فى شهر ربيع الاول واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى * قال ابن اسحق ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل اليها ولم يلق كيدا فاقام بالمدينة بقية سنته

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس فحدثنى يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظى والزهرى وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر وغيرهم من علمائنا كل قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق وبعضهم يحدث مالا يحدث به بعض قالوا انه كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود منهم سلام بن ابى الحقيق النضرى وحيي بن اخطب النضرى وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق النضرى وهوذة بن قيس الوائلى وأبو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله فقالت لهم قريش يامعشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه ونحن ومحمد أفديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق فهم الذين انزل الله تعالى فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا الى قوله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله أى النبوة فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا قال فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه * قال ابن اسحق فخرجت قريش وقائدها ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فى بنى

ووصل به بان قال فقال أبو سفيان بن حرب لابى سفيان بن الحارث ياابن أخى لم جعلتها آنك ان كانت الفضة بيضاء جيدة * وقوله * سعدتم بها وغيركم كان أهلها * وفى حاشية الشيخ شقيتم بها وغيركم أهل ذكرها * وقوله * خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا * اليعافير الظباء العفر يريد انهم لكثرة عددهم لا تنجو منهم اليعافير

﴿ غزوة دومة الجندل ﴾

قال أبو عبيد البكرى سميت دومة الجندل بدومى بن اسماعيل كان نزلها

﴿ غزوة الخندق ﴾

وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب ولكنه من مكايد الفرس وحروبها ولذلك أشار به سلمان الفارسى وأول من خندق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبرى منوشهر بن أيرج بن افريدون وقد قيل فى افريدون انه ابن اسحق عليه السلام وأكثرهم يقول فيه هو ابن أثفيان وهو أول من اتخذ آلة الرمى والى رأس ستين سنة من ملكه بعث موسى عليه السلام وقد تقدم ذكر الكمائن فى الحروب وان أول من فعلها بختنصر فى قول الطبرى * وذكر تحزيب بنى قريظة الاحزاب ونسب طائفة من بنى النضير فقال فيهم النضرى وهكذا تقيد فى النسخة العتيقة وقياسه النضيرى الا ان يكون من باب قولهم ثقفى وقرشى وهو خارج عن القياس وانما يقال فعلى فى النسب الى فعيلة * وذكر قائد غطفان يوم الاحزاب وهو عيينة بن حصن واسمه حذيفة وسمى عيينة لشتركان بعينه وهو الذى قال فيه عليه السلام الاحمق المطاع لانه كان من الجرارين تتبعه عشرة آلاف قناة وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم ان شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره وفى رواية أخرى انه قال انى اداريه لانى أخشى أن يفسد على خلقا كثيرا وفى هذا بيان معنى

فزارة والحرث بن عوف بن ابى حارثة المرى فى بنى مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن اشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من اشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيبا للمسلمين فى الاجر وعمل معه المسلمون فيه فدأب فيه ودأبوا وأبطاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعيف من العمل و يتسللون الى اهليهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اذن وجعل الرجل من المسلمين اذا نابته النائبة من الحاجة التى لا بد له منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم و يستأذن فى اللحوق لحاجته فيأذن له فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان فيه من عمله رغبة فى الخير واحتسابا له فانزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة فى الرغبة فى الخير والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل و يذهبون بغير اذن من النبى صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة

أو يصيبهم عذاب أليم « قال ابن هشام » اللواذ الاستتار بالشىء عند الهرب قال حسان بن ثابت

وقريش تفر منا لواذا * أن يقيموا وخف منها الحلوم

وهذا البيت فى قصيدة له قد ذكرتها فى أشعار يوم أحد ألا ان لله ما فى السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه * قال ابن اسحق من صدق أو كذب و يوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شىء عليم * قال ابن اسحق وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جعيل سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا فقالوا

سماه من بعد جعيل عمرا * وكان للبائس يوما ظهرا

فاذا مروا بعمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا واذا مروا بظهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهرا * قال ابن اسحق وكان فى حفر الخندق أحاديث بلغتنى من الله تعالى فيها عبرة فى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق نبوته عاين ذلك المسلمون فكان فيما بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يحدث انه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كدية فشكوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية فيقول من حضرها فوالذى بعثه بالحق نبيا لانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فاسا ولا مسحاة * قال ابن اسحق وحدثنى سعيد بن ميناء أنه حدث أن ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت دعتنى أمى عمرة بنت رواحة فاعطتنى حفنة من تمر فى ثوبى ثم قالت أى بنية اذهبى الى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما قالت فاخذتها فانطلقت بها فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى فقال تعالى يا بنية ما هذا معك قالت فقلت يا رسول الله هذا تمر بعثتنى به أمى الى أبى بشير بن سعد وخالى عبد الله بن رواحة يتغديانه قال هاتيه قالت فصببته فى كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ثم قال لانسان عنده اصرخ فى أهل الخندق ان هلم الى الغداء فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب * قال ابن اسحق وحدثنى سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله قال عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق فكانت

الشر الذى اتقى منه وكان دخل على النبى صلى الله عليه وسلم بغير اذن فلما قال له أين الاذن قال ما استأذنت على مضرى قبلك وقال ما هذه الحميراء معك يا محمد فقال هى عائشة بنت أبى بكر فقال طلقها وأنزل لك عن أم البنين فى أمور كثيرة تذكر من جفائه أسلم ثم ارتد وآمن بطليحة حين تنبأ وأخذ اسيرا فاتى به أبو بكر رضى الله عنه أسيرا فمن عليه ولم يزل مظهرا للاسلام على جفوته وعنجهيته ولوثة اعرابيته حتى مات قال الشاعر

وانى على ما كان من عنجهيتى * ولوثة اعرابيتى لأديب

وذكر حفره الخندق وانه عرضت له صخرة ووقع فى غير السيرة عبلة وهى الصخرة الصماء وجمعها عبلات و يقال لها العبلاء والاعبل أيضا وهى صخرة بيضاء [وذكر انه لمعت له من تلك الصخرة برقة بعد برقة وخرجه النسوى من طريق البراء بن عازب باتم مما وقع فى السيرة قال لما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحفر الخندق عرض لنا حجر لا يأخذ فيه المعول فأخذ المعول وقال بسم الله فضرب ضربة فكسر ثلث الصخرة وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله انى لابصر قصورها الحمر من مكانى هذا قال ثم ضرب أخرى وقال بسم الله وكسر ثلثا آخر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله انى لابصر قصر المدائن الابيض الآن ثم ضرب ثالثة وقال بسم الله فقطع الحجر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى لابصر باب صنعاء] * وقوله فاسا ولا مسحاة المسحاة مفعلة من سحوت

عندى شويهة غير جد سمينة قال فقلت والله لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فامرت امرأتى فطحنت لنا شيئا من شعير فصنعت لنا منه خبزا وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق قال وكنا نعمل فيه نهارنا فاذا أمسينا رجعنا الى أهالينا قال قلت يارسول الله انى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير فاحب أن تنصرف معى الى منزلى وانما أريد أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده قال فلما أن قلت له ذلك قال نعم ثم أمر صارخا فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت جابر بن عبد الله قال قلت انا لله وانا اليه راجعون قال فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه قال فجلس وأخرجناها اليه قال فبرك وسمى ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها * قال ابن اسحق وحدثت عن سلمان الفارسى أنه قال ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت على صخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منى فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان على نزل فاخذ المعول من يدى فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة قال ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى قال ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى قال قلت بابى أنت وأمى يارسول الله ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب قال أوقد رأيت ذلك ياسلمان قال قلت نعم قال أما الاولى فان الله فتح على بها اليمن وأما الثانية فان الله فتح على بها الشام والمغرب وأما الثالثة فان الله فتح على بها (١٨٩) المشرق * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة انه كان يقول حين فتحت هذه الامصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده افتتحوا ما بدا لكم فوالذى نفس أبى هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها الى يوم القيامة الا وقد أعطى الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك * قال ابن اسحق ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق

أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة بين الجرف وزغابة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم « قال ابن هشام » واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم * قال ابن اسحق وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا فى الآطام وخرج عدو الله حيى بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده على ذلك وعاهده فلما سمع كعب بحيى بن أخطب أغلق دونه باب حصنه فاستاذن عليه فابى أن يفتح له فناداه حيى ويحك يا كعب افتح لى قال ويحك ياحيى انك امرؤ مشؤوم وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا قال ويحك افتح لى أكلمك قال ما أنا بفاعل قال والله ان أغلقت الحصن دونى الا تخوفت على جشيشتك أن آكل منها معك فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الاسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى الى جانب أحد قد عاهدونى وعاقدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه قال فقال له كعب جئتنى والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه فهو يرعد ويبرق ليس فيه شىء ويحك ياحيى فدعنى وما أنا عليه فانى لم أر من محمد الا صدقا ووفاء فلم

سحوت الطين اذا قشرته ويقال لحد الفاس والمسحاة الغراب ولنصابها الفعال بكسر الفاء قاله أبو عبيد فى حديث سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى انه عليه السلام حين ضرب فى الخندق قال

بسم الله وبه بدينا * ولو عبدنا غيره شقينا * حبذا ربا وحبذا دينا

وقوله حتى نزلوا بين الجرف وزغابة زغابة اسم موضع بالغين المنقوطة والزاى المفتوحة وذكره البكرى بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زعابة بضم الزاى والعين المهملة وحكى عن الطبرى أنه قال فى هذا الحديث بين الجرف والغابة واختار هذه الرواية وقال لان زغابة لا تعرف (قال المؤلف) والاعرف عندى فى هذه الرواية رواية من قال زغابة بالغين المنقوطة لان فى الحديث المسند انه عليه السلام قال فى ناقة أهداها اليه أعرابى فكافأه بست بكرات فلم يرض فقال عليه السلام ألا تعجبون لهذا الاعرابى أهدى الى ناقة أعرفها بعينها كما أعرف بعض أهلى ذهبت منى يوم زغابة وقد كافأته بست فسخط الحديث وقال ذنب نقمى ونقمى معا * وذكر حيى بن أخطب وما قال لكعب وانه لم يزل يفتل فى الذروة والغارب هذا مثل وأصله فى البعير يستصعب عليك فتأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه وتفتل هناك فيجد البعير لذة فيأنس عند ذلك فضرب هذا الكلام مثلا فى المراوضة والمخاتلة وكذلك جاء فى حديث ابن الزبير حين أراد عائشة على الخروج الى البصرة فأبت عليه فجعل يفتل فى الذروة والغارب حتى أجابته وقال الحطيئة

يزل حيي بكعب يفتله فى الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك فنقض كعب بن أسد عهده وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر والى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ بن النعمان وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة بن دليم أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بنى الحرث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بنى عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس قال فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا من رسول الله لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن عبادة دع عنك مشاتمهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقارة أى كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط «قال ابن هشام» وأخبرنى من أثق به من أهل العلم أن معتب بن قشير لم يكن من المنافقين واحتج بانه كان من أهل بدر *قال ابن اسحق وحتى قال أوس بن قيظى أحد بنى حارثة بن الحرث يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو وذلك على ملأ من رجال قومه فاذن لنا أن نخرج فنرجع الى دارنا فانها خارج من المدينة فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر لم يكن بينهم حرب الا الرميا بالنبل والحصار «قال ابن هشام» ويقال الرميا فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى الى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والى الحرث بن عوف بن أبى حارثة المرى وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح الا المراوضة فى ذلك فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعث الى

لعمرك ما قراد بنى بغيض * اذا نزع القراد بمستطاع

يريد انهم لا يخدعون ولا يستذلون *وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم الحنوا لى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد الناس . اللحن العدول بالكلام على الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه كما أن اللحن الذى هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف (قال السيرافى) ما عرفت حقيقة معنى النحو الا من معنى اللحن الذى هو ضده فان اللحن عدول عن طريق الصواب والنحو قصد الى الصواب وأما اللحن بفتح الحاء فأصله من هذا الا انه اذا لحن لك لتفهم عنه ففهمت سمى ذلك الفهم لحنا ثم قيل لكل من فهم قد لحن بكسر الحاء وأصله ماذكرناه من الفهم عن اللاحن قال الجاحظ فى قول مالك بن أسماء

منطق صائب وتلحن أحيا * نا وخير الحديث ما كان لحنا

أراد ان اللحن الذى هو الخطأ قد يستملح ويستطاب من الجارية الحديثة السن وخطئ الجاحظ فى هذا التأويل وأخبر بما قاله الحجاج بن يوسف لامرأته هند بنت أسماء بن خارجة حين لحنت فانكر عليها اللحن فاحتجت بقول أخيها مالك بن أسماء *وخير الحديث ما كان لحنا* فقال لها الحجاج لم يرد أخوك هذا انما أراد اللحن الذى هو التورية والالغاز فسكتت فلما حدث الجاحظ بهذا الحديث قال لو كان بلغنى هذا قبل أن أألف كتاب البيان ما قلت فى ذلك ما قلت فقيل له أفلا تغيره فقال كيف وقد سارت به البغال الشهب وأنجد فى البلاد وغار وكما قال الجاحظ فى معنى تلحن أحيانا قال ابن قتيبة مثله أو قريبا منه * وقوله يفت فى أعضاد الناس أى يكسر من قوتهم ويوهنهم وضرب العضد مثلا والفت الكسر وقال فى أعضادهم ولم يقل يفت أعضادهم لانه كناية عن الرعب الداخل فى القلب ولم يرد كسرا حقيقيا ولا العضد الذى هو العضو وانما هو عبارة عما يدخل فى القلب من الوهن وهو من أفصح الكلام *وذكر أوس بن قيظى وهو القائل «ان بيوتنا عورة» وابنه عرابة بن أوس كان سيدا ولا صحبة له وقد قيل له صحبة وقد ذكرناه فيمن استصغر يوم أحد وهو الذى يقول فيه الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

ولعرابة أخ اسمه كباثة مذكور فى الصحابة أيضا

﴿ فصل ﴾ وذكر ما هم به النبى صلى الله عليه وسلم من مصالحة الاحزاب على ثلث تمر المدينة وفيه من

الفقه

سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه فقالا له يارسول الله أمرا تحبه فنصنعه أم شيأ أمرك الله به لابد لنا من العمل به أم شيأ تصنعه لنا قال بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك الا لاننى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمر ما فقال له سعد بن معاذ يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة الا قرى أو بيعا أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا والله مالنا بهذا من حاجة لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت وذاك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال ليجهدوا علينا * قال ابن اسحق

فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود بن أبى قيس أخو بنى عامر بن لؤى « قال ابن هشام » ويقال عمرو بن عبد بن أبى قيس * قال ابن اسحق وعكرمة بن أبى جهل وهبيرة بن أبى وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب الشاعر بن مرداس أخو بنى محارب بن فهر تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بنى كنانة فقالوا تهيؤا يابنى كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها « قال ابن هشام » ويقال ان سلمان الفارسى أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال ابن هشام » وحدثنى بعض أهل العلم أن المهاجرين يوم الخندق قالوا سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت * قال ابن اسحق ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم فى السبخة بين الخندق وسلع وخرج على بن أبى طالب عليه السلام فى نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التى أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال من يبارز فبرز له على بن أبى طالب فقال له ياعمرو انك قد كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين الا أخذتها منه قال له أجل قال له على فانى أدعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام قال لا حاجة لى بذلك قال فانى أدعوك الى النزال فقال له لم

الفقه جواز اعطاء المال للعدو اذا كان فيه نظر للمسلمين وحياطة لهم وقد ذكر أبو عبيد هذا الخبر وانه أمر معمول به وذكر ان معاوية صالح ملك الروم على الكف عن ثغور الشام بمال دفعه اليه قيل كان مائة ألف دينار وأخذ من الروم رهنا فغدرت الروم ونقضت الصلح فلم يرمعاوية قتل الرهائن وأطلقهم وقال وفاء بغدر خير من غدر بغدر قال وهو مذهب الاوزاعى وأهل الشام الا نقتل الرهائن وان غدر العدو * وذكر قوله عليه السلام سلمان منا أهل البيت بالنصب على الاختصاص أو على اضمار أعنى وأما الخفض على البدل فلم يره سيبويه جائزا من ضمير المتكلم ولا من ضمير المخاطب لانه فى غاية البيان وأجازه الاخفش

﴿ فصل ﴾ وذكر خبر عمرو بن ود العامرى ومبارزته لعلى الى آخر القصة ووقع فى مغازى ابن اسحاق من غير رواية ابن هشام عن البكائى فيها زيادة حسنة رأيت أن أوردها هنا تتمما للخبر * قال ابن اسحاق ان عمرو بن ود خرج فنادى هل من مبارز فقام على رضى الله عنه وهو مقنع بالحديد فقال أنا له يانبى الله فقال انه عمرو اجلس ونادى عمرو ألا رجل يؤنبهم ويقول أين جنتكم التى تزعمون انه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون لى رجلا فقام على فقال أنا يارسول الله فقال اجلس انه عمرو ثم نادى الثالثة وقال

ولقد بححت من الندا * ءبجمعكم هل من مبارز

ووقفت اذ جبن المشـ * ـجع موقف القرن المناجز

وكذاك انى لم أزل * متسرعا قبل الهزاهز

ان الشجاعة فى الفتى * والجود من خير الغرائز

فقام على فقال يارسول الله أنا له فقال انه عمرو فقال وان كان عمرا فاذن له النبى صلى الله عليه وسلم فمشى اليه على حتى أتاه وهو يقول

لا تعجلن فقد أتا * ك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نية وبصيرة * والصدق منجى كل فائز

انى لارجوا أن أقيـ * ـم عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبـ * ـقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو من أنت قال أنا على قال ابن عبد مناف فقال أنا على بن أبى طالب فقال غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أسن منك فانى أكره أن أهريق دمك فقال له على رضى الله عنه ولكنى والله لا أكره أن

يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك قال له علي ولكني والله أحب أن أقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة * قال ابن اسحق وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك

نصر الحجارة من سفاهة رأيه * ونصرت رب محمد بصوابي

فصدرت حين تركته متجدلا * كالجذع بين دكادك وروابي

وعففت عن أثوابه ولو انني * كنت المقطر بزني أثوابي

لا تحسبن الله خاذل دينه * ونبيه يا معشر الاحزاب

«قال ابن هشام» وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي بن أبي طالب «قال ابن هشام» وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فقال حسان بن ثابت في ذلك

فر وألقى لنا رمحه * لعلك عكرم لم تفعل

ووليت تعدو كعدو الظليم ما ان تجور عن المعدل

ولم تلو ظهرك مستأنسا * كأن قفاك قفا فرعل

«قال ابن هشام» الفرعل صغير الضباع وهذه الابيات في أبيات له وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبني قريظة حم لا ينصرون * قال ابن اسحق وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الانصاري أخو بني حارثة أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق وكان من احرز حصون المدينة قال وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فمر سعد وعليه درع له مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربته يرفل بها ويقول

ليث قليلا يشهد الهيجا حمل * لا بأس بالموت اذا حان الاجل

فقالت له أمه الحق أي بني فقد والله أخرت قالت عائشة فقلت لها يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي قالت وخفت عليه حيث اصاب السهم منه فرمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل رماه كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة حبان بن قيس بن العرقة احد

اهريق دمك فغضب ونزل فسل سيفه كانه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضبا وذكر انه كان على فرسه فقال له علي كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معي فنزل عن فرسه ثم أقبل نحو علي واستقبله علي رضي الله عنه بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه وضربه علي على حبل العاتق فسقط وثار العجاج وسمع النبي صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف أن عليا رضي الله عنه قد قتله ثم يقول علي رضي الله عنه

أعلي تقتحم الفوارس هكذا * عني وعنه أخروا أصحابي

فاليوم تمنعني الفرار حفيظتي * ومصمم في الرأس ليس بناب

أدى عمير حين أخلص صقله * صافي الحديدة يستفيض ثواب

فغدوت ألتمس القراع بمرهف * عضب مع البتراء في اقراب

قال ابن عبد حين شد ألية * وحلفت فاستمعوا من الكذاب

ألا يفر ولا يهلل فالتقى * رجلان يلتقيان كل ضراب

وبعده نصر الحجارة الى آخر الابيات الا انه روى عبد الحجارة وعبدت رب محمد وروى في موضع ولقد بححت ولقد عجبت ويروى فالتقى أسدان يضطربان كل ضراب وفيه انصاف من علي رضي الله عنه لقوله أسدان ونسبه الى الشجاعة والنجدة وقوله أدى عمير الى قوله ثوابي أي أدى الى ثوابي وأحسن جزائي حين أخلص صقله ثم أقبل نحو النبي صلى الله عليه وسلم وهو متهلل فقال له عمر ابن الخطاب رضي الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس في العرب درع خير منها فقال اني حين ضربته استقبلني بسوأته فاستحييت ابن عمي ان استلبه وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت الخندق هاربة فمن هنالم يأخذ علي سلبه وقيل تنزه عن أخذها وقيل انهم كانوا في الجاهلية اذا قتلوا القتيل لا يسلبونه ثيابه وقول عمرو لعلي والله ما أحب ان اقتلك زاد فيه غيره فان أباك كان لي صديقا قال الزبير كان أبو طالب ينادم مسافر بن أبي عمرو فلما هلك اتخذ عمرو بن ود نديما فلذلك قال لعلي حين بارزه ما قال * وقول حسان في عكرمة * كأن قفاك قفا فرعل * الفرعل ولد الضبع * وذكر قول سعد * ليث قليلا يلحق الهيجا حمل * هو بيت تمثل به عني به حمل بن سعدانه ابن حارثة بن معقل بن كعب بن عليم بن جناب الكلبي * وقوله يرقد بالحربة أي يسرع بها يقال ارقد وارمد بمعنى واحد قال ذو الرمة

يرقد في أثر عراض وتتبعه * صهباء شامية عثنونها حصب

يعني الريح وابن العرقة الذي رمى سعدا هو حبان بن قيس بن العرقة والعرقة هي قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم تكنى أم فاطمة سميت العرقة لطيب ريحها وهي جدة خديجة أم أمها هالة وحبان هو ابن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي وأم سعد اسمها كبشة بنت رافع وحديث اهتزاز العرش ثابت

بنى عامر بن لؤى فلما اصابه قال خذها منى وانا ابن العرقة فقال له سعد عرق الله وجهك فى النار اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فابقنى لها فانه لا قوم أحب الى ان اجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه اللهم وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك انه كان يقول ما اصاب سعدا يومئذ الا ابو اسامة الجشمى حليف بنى مخزوم وقد قال ابو اسامة فى ذلك شعرا قال لعكرمة بن ابى جهل

اعكرم هلا لمتنى اذ تقول لى * فداك بآطام المدينة خالد   ألست الذى الزمت سعدا مريشة * لها بين أثناء المرافق عاند
قضى نحبه منها سعيد فاعولت * عليه مع الشمط العذارى النواهد   وأنت الذى دافعت عنه وقد دعا * عبيدة جمعا منهم اذ يكابد
على حين ماهم جائر عن طريقه * وآخر مرعوب عن القصد قاصد   والله أعلم أى ذلك كان «قال ابن هشام» ويقال ان الذى رمى

سعدا خفاجة بن عاصم بن حبان * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان بن ثابت معنا فيه مع النساء والصبيان قالت صفية رضى الله عنها فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم الينا ان أتانا آت قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن وانى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل اليه فاقتله قال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيئا احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته قالت فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه الا أنه رجل قال مالى بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب * قال ابن اسحق وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم واتيانهم اياهم من فوقهم ومن أسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال ابن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديما فى الجاهلية فقال يا بنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد بلدكم فيه اموالكم وابناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم واموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كانتم فان رأوا نهزة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه فقالوا لقد أشرت بالرأى ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا وانه قد بلغنى امر قد رأيت على حقا ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا عنى قالوا نفعل قال تعلموا أن معشر يهود

من وجوه وفى بعض ألفاظه ان جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش وفى حديث آخر قال عليه السلام لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطؤا الارض قبلها ويذكر أن قبره وجد منه رائحة المسك وقال عليه السلام لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد وفى كتاب الدلائل أن النبى صلى الله عليه وسلم جلس على قبر سعد حين وضع فيه فقال سبحان الله لهذا العبد الصالح ضم فى قبره ضمة ثم فرج عنه وأما ضغطة القبر التى ذكر فى الحديث فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يا رسول الله ما انتفعت بشئ منذ سمعتك تذكر ضغطة القبر وضمته فقال يا عائشة ان ضغطة القبر على المؤمن أو قال ضمة القبر على المؤمن كضمة الام الشفيقة يديها على رأس ابنها يشكو اليها الصداع وصوت منكر ونكير كالكحل فى العين ولكن يا عائشة ويل للشاكين أولئك الذين يضغطون فى قبورهم ضغط البيض على الصخر ذكره أبو سعيد بن الاعرابى فى كتاب المعجم * وذكر ابن اسحق فى رواية الشيبانى عنه قال حدثنى أمية بن عبد الله قال قلت لبعض أهل سعد بن معاذ ما بلغكم فى هذا يعنى الضمة التى انضم بها القبر عليه قال كان يقصر فى بعض الطهور من البول بعض التقصير

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث حسان حين جعل فى الآطام مع النساء والصبيان وما قالت له صفية فى أمر اليهودى حين قتلته وما قال لها ويحمل هذا الحديث عند الناس على ان حسانا كان جبانا شديد الجبن وقد

قدندموا على ماصنعوا فيما بينهم و بين محمد وقد أرسلوا اليه انا قدندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك ان ناخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستاصلهم فارسل اليهم ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يامعشر غطفان انكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا اراكم تتهمونى قالوا صدقت ما انت عندنا بمتهم قال فاكتموا عنى قالوا نفعل فما أمرك ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ان ارسل ابو سفيان بن حرب ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن ابى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا و بينه فارسلوا اليهم ان اليوم يوم السبت وهو لا نعمل فيه شيا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فاصابه مالم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تنشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بنى قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل اليهم بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا ان تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم و بين الرجل فى بلدكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله بينهم و بعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم دعا

حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا * قال ابن اسحق فحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال قال رجل من اهل الكوفة لحذيفة بن اليمان ياابا عبد الله أرأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم ياابن اخى قال فكيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال فقال والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الارض ولحملناه على أعناقنا قال فقال حذيفة ياابن اخى والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة اسال الله تعالى ان يكون رفيقى فى الجنة فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم احد دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى فقال ياحذيفة اذهب فادخل فى القوم فانظر ماذا يصنعون ولا تحدثن شيا حتى تاتينا قال فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فقام أبوسفيان فقال يامعشر قريش لينظر امرؤ من جليسه قال حذيفة فأخذت بيد الرجل الذى كان الى جنبى فقلت من أنت قال فلان بن فلان ثم قال أبوسفيان يامعشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة و بلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فانى مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فوالله ما أطلق عقاله الا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن لا تحدث شيأ حتى تاتينى ثم شئت لقتلته بسهم قال حذيفة فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مرط لبعض نسائه مراجل «قال ابن هشام» المراجل ضرب من وشى اليمن فلما رآنى أدخلنى الى رجليه وطرح على طرف المرط ثم ركع وسجد وانى لفيه فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم

﴿ غزوة بنى قريظة فى سنة خمس ﴾ * قال ابن اسحق ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا الى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح فلما كانت الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى الزهرى معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج فقال أوقد وضعت السلاح يارسول الله قال نعم فقال جبريل فما وضعت الملائكة

دفع هذا بعض العلماء وأنكره وذلك انه حديث منقطع الاسناد وقال لو صح هذا لهجى به حسان فانه كان يهاجى الشعراء كضرار وابن الزبعرى وغيرهما وكانوا يناقضونه و يردون عليه فما عيره أحد منهم بجبن ولا وسمه به فدل هذا على ضعف حديث ابن اسحق وان صح فلعل حسان أن يكون معتلا فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال وهذا أولى ما تأول عليه وممن أنكر أن يكون هذا صحيحا أبو عمر رحمه الله فى كتاب الدرر له

﴿ فصل ﴾ وذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة حين مر بالصورين والصور القطعة من النخل فسألهم فقالوا مر بنا دحية بن خليفة الكلبى هو دحية بفتح الدال ويقال دحية بكسر الدال أيضاً والدحية

السلاح بعد وما رجعت الآن الا من طلب القوم ان الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير الى بني قريظة فاني عامد اليهم فمزلزل بهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا فأذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا ببني قريظة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضوان الله عليه برايته الى بني قريظة وابتدرها الناس فسار علي بن أبي طالب حتى اذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لم أظنك سمعت منهم لي اذى قال نعم يا رسول الله قال لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفر من أصحابه بالصورين قبل أن يصل الى بني قريظة فقال هل مر بكم أحد قالوا يا رسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها قطيفة ديباج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم * ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم يقال لها بئر أنا «قال ابن هشام» بئر أنى * قال ابن اسحق وتلاحق به الناس فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد العصر الا ببني قريظة فشغلهم ما لم يكن لهم منه بد في حربهم وأبوا أن يصلوا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تأتوا بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني بهذا الحديث أبي اسحق بن يسار عن معبد بن كعب بن مالك الانصاري * وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وقد كان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء الكعب بن أسد بما كان عاهده عليه فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد لهم يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا نخذوا أيها شئتم قالوا وما هي قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه لنبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم قالوا لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنجدن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا علينا ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا الا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما ثم انهم

والدحية بلسان اليمن الرئيس وجمعه دحاء وفي مقطوع الاحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دحية تحت يد كل دحية سبعون ألف ملك ذكره القتبي ورواه ابن سنجر في تفسيره مسندا الى عبد الله بن الهذيل رواه عنه أبو التياح وذكر ان حماد بن سلمة قال لابي التياح حين حدثه بهذا الحديث ما الدحية قال الرئيس وأما نسب دحية فهو ابن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد ابن امرئ القيس بن الخزرج والخزرج العظيم البطن ابن زيد مناة بن عامر بن بكر بن عامر الاكبر بن عوف ابن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب يذكر من جماله أنه كان اذا قدم المدينة لم تبق معصر وهي المراهقة للحيض الا خرجت تنظر اليه * وذكر قوله عليه السلام لا يصلين أحدكم العصر الا في بني قريظة فغربت عليهم الشمس قبلها فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسوله صلى الله عليه وسلم وفي هذا من الفقه انه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية فقد صلت منهم طائفة قبل أن تغرب الشمس وقالوا لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم اخراج الصلاة عن وقتها وانما أراد الحث والاعجال فما عنف أحد من الفريقين وفي هذا دليل على أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب وفي حكم داود وسليمان في الحرث أصل لهذا الاصل أيضاً فانه قال سبحانه «ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما» ولا يستحيل أن يكون الشيء صوابا في حق انسان وخطأ في حق غيره فيكون من اجتهد في مسئلة فأداه اجتهاده الى التحليل مصيبا في استحلاله وآخر اجتهد فأداه اجتهاده ونظره الى تحريمها مصيبا في تحريمها وانما المحال أن يحكم في النازلة بحكمين متضادين في حق شخص واحد وانما عسر فهم هذا الاصل على طائفتين الظاهرية والمعتزلة أما الظاهرية فانهم علقوا الاحكام بالنصوص فاستحال عندهم أن يكون النص يأتي بحظر واباحة معا الا على وجه النسخ وأما المعتزلة فانهم علقوا الاحكام بتقبيح العقل وتحسينه

بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس لنستشيره فى أمرنا فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم وقالوا له يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه انه الذبح قال أبو لبابة فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد الى عمود من عمده وقال لا أبرح من مكانى (١٩٦) هذا حتى يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله أن لا أطأ بنى قريظة أبدا ولا أرى فى بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا «قال ابن هشام» فانزل الله تعالى فى ابى لبابة فيما قال سفيان بن عيينة عن اسمعيل بن ابى خالد عن عبد الله بن أبى قتادة يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون * قال ابن اسحق فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال أما انه لو جاءنى لاستغفرت له فاما اذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه * قال ابن اسحق فحدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط أن توبة أبى لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو فى بيت أم سلمة رضى الله عنها فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك قالت فقلت مما تضحك يا رسول الله أضحك الله سنك قال تيب على أبى لبابة قالت قلت أفلا أبشره يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا الى صلاة الصبح أطلقه «قال ابن هشام» أقام أبو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال تأتيه امرأته فى كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فيرتبط بالجذع فيما حدثنى بعض أهل العلم والآية التى نزلت فى توبته قول الله عز وجل وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم

فصار حسن الفعل عندهم أو قبحه صفة عين فاستحال عندهم أن يتصف فعل بالحسن فى حق زيد والقبح فى حق عمرو كما يستحيل ذلك فى الالوان والاكوان وغيرهما من الصفات القائمة بالذوات وأما ماعدى هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق فليس الحظر والاباحة عندهم بصفات أعيان وانما هى صفات أحكام والحكم من الله تعالى يحكم بالحظر فى النازلة على من أداه نظره واجتهاده الى الحظر وكذلك الاباحة والندب والايجاب والكراهة كلها صفات أحكام فكل مجتهد وافق اجتهاده وجها من التأويل وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفع به عن حضيض التقليد الى هضبة النظر فهو مصيب فى اجتهاده مصيب للحكم الذى تعبد به وان تعبد غيره فى تلك النازلة بعينها بخلاف ما تعبد هو به فلا يبعد فى ذلك الا على من لا يعرف الحقائق أو عدل به الهوى عن أوضح الطرائق

﴿فصل﴾ وذكر أبا لبابة واسمه رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر وقيل اسمه مبشر وتوبته وربطه نفسه حتى تاب الله عليه وذكر فيه انه أقسم الا يحله الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى حماد بن سلمة عن على ابن زيد عن على بن الحسين ان فاطمة أرادت حله حين نزلت توبته فقال قد أقسمت الا يحلنى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاطمة مضغة منى فصلى الله عليه وعلى فاطمة فهذا حديث يدل على ان من سبها فقد كفر وأن من صلى عليها فقد صلى على أبيها صلى الله عليه وسلم وفيه أنزل الله تعالى «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا» الآية غير ان المفسرين اختلفوا فى ذنبه ما كان فقال ابن اسحق ما ذكره فى السيرة من اشارته على بنى قريظة وقال آخرون كان من المخلفين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فنزلت توبة الله عليه فى هذه الآية (فان قيل) ليس فى الآية نص على توبته وتوبة الله عليه أكثر من قوله تعالى «عسى الله أن يتوب عليهم» (فالجواب) ان عسى من الله واجبة وخبر صدق (فان قيل) وهو سؤال يجب الاعتناء به ان القرآن نزل بلسان العرب وليست عسى فى كلام العرب بخبر ولا تقتضى وجوبا فكيف تكون عسى واجبة فى القرآن وليس بخارج عن كلام العرب (وأيضا) فان لعل تعطى معنى الترجى وليست من الله واجبة فقد قال لعلهم يشكرون فلم يشكروا وقال لعله يتذكر أو يخشى فلم يتذكر ولم يخش فما الفرق بين لعل وعسى حتى صارت عسى واجبة (قلنا) لعل تعطى الترجى وذلك الترجى مصروف الى الخلق وعسى مثلها فى الترجى وتزيد عليها بالمقاربة ولذلك قال عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ومعناه الترجى مع الخبر بالقرب كأنه قال قرب أن يبعثك فالترجى مصروف الى العبد كما فى لعل والخبر عن القرب والمقاربة مصروف الى الله تعالى وخبره حق ووعده حتم فما تضمنته من الخبر فهو الواجب دون الترجى الذى هو محال على الله تعالى ومصروف الى العبد وليس فى لعل من تضمن الخبر

مثل

*قال ابن اسحق ثم ان ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من بنى هدل ليسوا من بنى قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال أنا عمرو بن سعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أغدر بمحمد أبدا فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمنى اقالة عثرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الارض الى يومه هذا فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شانه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه و بعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبحت رمته ملقاة ولا يدرى أين ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة والله أعلم أى ذلك كان * فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبت الاوس فقالوا يارسول الله صلى الله عليك وسلم انهم كانوا موالينا دون الخزرج وقد فعلت فى موالى اخواننا بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قريظة قد حاصر بنى قينقاع وكانوا احلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فساله اياهم عبد الله بن ابى بن سلول فوهبهم له فلما كلمته الاوس قال رسول صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يامعشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذاك الى سعد بن معاذ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة فى مسجده كانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطؤا له بوسادة من أدم وكان رجلا جسيما جميلا ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن فى مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال لقد أنى لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بنى عبد الاشهل فنعى لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل اليهم سعد عن كلمته التى سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم فاما المهاجرون من قريش فيقولون انما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار وأما الانصار فيقولون قد عمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد ابن معاذ عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم لما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا فى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فانى احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء *قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة « قال ابن هشام » حدثنى بعض من أثق به من أهل العلم ان على بن أبى طالب صاح وهم محاصروا بنى قريظة يا كتيبة الايمان وتقدم هو والزبير بن العوام وقال والله لاذوقن ماذاق

مثل ما فى عسى فمن ثم كانت عسى واجبة اذا تكلم الله بها ولم تكن كذلك لعل (فان قيل) فهل يجوز فى ليت ما كان فى لعل من ورودها فى كلام البارى سبحانه على أن يكون التمنى مصروفا الى العبد كما كان الترجى فى لعل كذلك (قلنا) هذا غير جائز وانما جاز ذلك فى لعل على شرط وصورة نحو أن يكون قبلها فعل و بعدها فعل والاول سبب للثانى نحو قوله « يعظكم لعلكم تذكرون » فقال بعض الناس لعل ههنا بمعنى كى أى كى تذكروه وأنا أقول لم يذهب منها معنى الترجى لان الموعظة مما يرجى أن تكون سببا للتذكر فعلى هذه الصورة وردت فى القرآن ونحو قوله أيضا « فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك » هى ههنا توقع وتخوف أى ما أصابك من التكذيب مما يتخوف و يتوقع منه ضيق الصدر فهذا هو الجائز فى لعل وأما أن ترد فى القرآن داخلة على الابتداء والخبر مثل أن تقول مبتدئا لعل زيدا يؤمن فهذا غير جائز لان الرب سبحانه لا يترجى وان صرف الترجى الى حق المخلوق وموضوعها فى كلام العرب أن يكون المتكلم بها لا يستقيم أيضا الا على الصورة التى قدمنا من كونها بمعنى كى و وقوعها بين السبب والمسبب واذا ثبت هذا فلا اشكال فى ليت انها لا تكون فى كلام البارى سبحانه لان التمنى محال عليه والترجى والتوقع والتخوف كذلك حتى تزيلها عن الموضع الذى يكون معناها فيه للمتكلم بها

﴿ فصل ﴾ وذكر حكم سعد فى بنى قريظة وقول النبى عليه السلام له لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة هكذا فى السيرة ارقعة وفى الصحيح من فوق سبع سموات والمعنى واحد لان الرقيع من أسماء

حمزة أولا فتحن حصنهم فقالوا يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ * قال ابن اسحق ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فى دار بنت الحرث امرأة من بنى النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التى هى سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق يخرج بهم اليه ارسالا وفيهم عدو الله حيى بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا يا كعب ماتراه يصنع بنا قال أفى كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعى لا ينزع وانه من ذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى بحيى بن أخطب عدو الله وعليه حلة له فقاحية « قال ابن هشام » فقاحية ضرب من الوشى قد شققها عليها من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما والله مالمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه فقال جبل بن جوال الثعلبى

لعمرك مالام ابن أخطب نفسه
ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها
وقلقل يبغى العز كل مقلقل

* قال ابن اسحق وقد حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت لم يقتل من نسائهم عن
الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندى تحدث معى وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها فى السوق اذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله قالت قلت لها ويلك مالك قالت اقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته قالت فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل « قال ابن هشام » وهى التى طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته

السماء لانها رقعت بالنجوم ومن أسمائها الجرباء وبرقع وفى غير رواية البكائى انه عليه السلام قال فى حكم سعد بذلك طرقنى الملك سحرا وفيه من الفقه تعليم حسن اللفظ اذا تكلمت بالفوق مخبرا عن الله سبحانه ألا تراه كيف قال بحكم الله من فوق سبع سموات ولم يقل فوق على الظرف فدل على ان الحكم نازل من فوق وهو حكم الله تعالى وهذا نحو من قوله تعالى « يخافون ربهم من فوقهم » أى يخافون عقابا ينزل من فوقهم وهو عقاب ربهم (فان قيل) أوليس بجائز أن يخبر عنه سبحانه انه فوق سبع سموات (قلنا) ليس فى هذه الآية ولا فى هذا الحديث دليل على اطلاق ذلك فان جاز فبدليل آخر وكذلك قول زينب زوجنى الله من نبيه من فوق سبع سموات وانما معناه ان تزويجه اياها نزل من فوق سبع سموات ولا يبعد فى الشرع وصفه سبحانه بالفوق على المعنى الذى يليق بجلاله لا على المعنى الذى يسبق للوهم من التحديد ولكن لا يتلقى اطلاق ذلك الوصف مما تقدم من الآية والحديثين لارتباط حرف الجر بالفعل حتى صار وصفا له لا وصفا للبارى سبحانه وقد أملينا فى حديث الامة التى قال لها أين الله قالت فى السماء مسئلة بديعة نافعة شافية رافعة لكل لبس والحمد لله

﴿ فصل ﴾ وذكر حبس بنى قريظة فى دار بنت الحرث كذا وقع فى هذا الكتاب والصحيح عندهم بنت الحرث واسمها كيسة بنت الحرث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس وكانت تحت مسيلمة الكذاب ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز وكيسة أخرى مذكورة فى النساء وهى بنت عبد الحميد بن عامر بن كريز وكيسة بنت أبى بكرة روت عن أبيها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان ينهى عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد النهى ويقول فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم واما كيسة بسكون الياء فهى بنت ابى كثير تروى عن أمها عن عائشة فى الخمر لا طيب الله من تطيب بها ولا شفى من استشفى بها ذكره البخارى فى الاشربة فى بعض روايات الكتاب ووقع اسمها فى السيرة من غير رواية ابن هشام زينب بنت الحرث النجارية فالله أعلم وأما كيسة بنت الحرث فهى التى أنزل فى دارها وفد بنى حنيفة وسيأتى ذكرها * وذكر رفيدة وهى امرأة من أسلم الذى كان سعد يمرض فى خيمتها لم يذكرها أبو عمر وزادها أبو على الغسانى فى كتاب أبى عمر حدثنى بتلك الزوائد أبو بكر بن طاهر عنه وحدثنى عنه أيضا عن أبى عمر انه قال لابى على أمانة الله فى عنقك متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة لم أذكره الا ألحقته فى كتابى الذى فى الصحابة

﴿ فصل ﴾ وذكر فى غزوة الخندق ثعلبة بن سعية وأسد بن سعية وأسيد بن سعية وهم من بنى هدل وقد تكلمنا فى الجزء الثانى من هذا الكتاب على سعية وسعنة بالنون وذكرنا الاختلاف فى أسيد وأسيد وذكرنا خبرا عجيبا لزيد بن سعية بالياء ومن قال من النسابين هدل بسكون الدال فى بنى هدل فاغنى ذلك

* قال ابن اسحق وقد كان ثابت بن قيس بن الشماس فيما ذكر لى ابن شهاب الزهرى أتى الزبير بن باطا القرظى وكان يكنى أبا عبد الرحمن وكان الزبير قد من على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية وذكر لى بعض ولد الزبير انه كان من عليه يوم بعاث أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه ثابت وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفنى قال وهل يجهل مثلى مثلك قال انى قد أردت أن أجزيك بيدك عندى قال ان الكريم يجزى الكريم ثم اتى ثابت بن قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه قد كانت للزبير على منة وقد أحببت ان أجزيه بها فهب لى دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمك فهو لك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة قال فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال بأبى أنت وأمى يا رسول الله هب لى امرأته وولده قال هم لك قال فاتاه فقال قد وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك فهم لك قال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ماله قال هو لك فاتاه ثابت فقال قد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك قال اى ثابت ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية يترآى فيها عذارى الحى كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل سيد الحاضر والبادى حيى بن اخطب قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا فررنا عزال بن سموأل قال قتل قال فما فعل المجلسان يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قال ذهبوا قتلوا قال فانى اسألك يا ثابت بيدى عندك الا ألحقتنى بالقوم فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير فما انا بصابر لله فتلة دلو ناضح حتى القى الاحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ ابا بكر الصديق قوله القى الاحبة قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا مخلدا « قال ابن هشام » قبلة دلو ناضح قال زهير ابن ابى سلمى فى قبلة وقابل يتغنى كلما قدرت * على العراقى يداه قائما دفقا وهذا البيت فى قصيدة له « قال ابن هشام » ويروى وقابل يتلقى يعنى قابل الدلو يتناول * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أنبت منهم * قال ابن اسحق وحدثنى شعبة بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن عطية القرظى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر ان يقتل من بنى قريظة كل من انبت منهم وكنت غلاما فوجدونى لم انبت فخلوا سبيلى قال وحدثنى ايوب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن ابى صعصعة اخو بنى عدى بن النجار ان سلمى بنت قيس ام المنذر اخت سليط بن قيس وكانت احدى

عن اعادته وأما حديث المرأة المقتولة من بنى قريظة ففيها دليل لمن قال بقتل المرتدة من النساء أخذا بعموم قوله عليه السلام من بدل دينه فاضربوا عنقه وفى هذا الحديث مع العموم قوة أخرى وهو تعليق الحكم بالعلة وهو التبديل والردة ولا حجة مع هذا لمن زعم من أهل العراق بان لا تقتل المرأة لنهيه عليه السلام عن قتل النساء والولدان وللاحتجاج للفريقين وما نزل به كل واحد منهم موطن غير هذا

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث ثابت بن قيس مع الزبير بن باطا وهو الزبير بفتح الزاى وكسر الباء جد لزبير بن عبد الرحمن المذكور فى الموطأ فى كتاب النكاح واختلف فى الزبير بن عبد الرحمن فقيل الزبير بفتح الزاى وكسر الباء كاسم جده وقيل الزبير وهو قول البخارى فى التاريخ * وذكر فيه قول الزبير فما انا بصابر لله فتلة دلو ناضح * وقال ابن هشام انما هو قبلة دلو بالقاف والباء وقابل الدلو هو الذى يأخذها من المستقى * وذكر أبو عبيد الحديث فى الاقوال على غير ما قالاه جميعا فقال قال الزبير يا ثابت الحقنى بهم فلست صابرا عنهم افراغة دلو * وذكر حديث عطية القرظى وهو جد محمد بن كعب القرظى وذكر انه لم يكن أنبت فترك ففى هذا ان الانبات أصل فى معرفة البلوغ اذا جهل الاحتلام ولم تعرف سنوه * وذكر حيى بن أخطب حين قدم الى القتل وعليه حلة فقاحية الحلة ازار ورداء وأصل تسميتها بهذا اذا كان الثوبان جديدين كما حل طيهما فقيل لهما حلة لهذا ثم استمر عليه الاسم قاله الخطابى * وقوله فقاحية نسبت الى الفقاح وهو الزهر اذا انشقت أكمته وانفرجت براعيمه وتفتقت أخفيته فيقال له حينئذ فقح وهو فقاح والقنابع أيضا فى معنى البراعيم واحدها قنبعة وأما الفقاع بالعين فهو الفطر ويقال له أيضا آذان الكماة من كتاب النبات ويروى أيضا حلة شقحية وهو سنح البسر اذا تلون قاله الخطابى * ولكنه من يخذل الله يخذل * بنصب الهاء من اسم الله ويصحح هذه الرواية ان فى الخبر قول النبى صلى الله عليه وسلم ألم يمكن الله منك فقال بلى ولقد قلقلت كل مقلقل ولكن من يخذلك يخذل فقوله يخذلك كقول الآخر فى البيت * ولكنه من يخذل الله يخذل * لانه انما نظم فى البيت كلام حيى * وذكر حديثه عن أيوب بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبى صعصعة وألفيت فى حاشية الشيخ قال وقع فى تاريخ البخارى ان أيوب نفسه هو المخبر أن سلمى بنت قيس هى سلمى بنت أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله وهو الصحيح والله أعلم * وقوله عن سلمى بنت قيس هى سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبيد بن ملك بن عمرو بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار

خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلت معه القبلتين و بايعته بيعة النساء سألته رفاعة بن سموال القرظي وكان رجلا قد بلغ فلاذ بها وكان يعرفهم قبل ذلك فقالت يا نبي الله بأبي انت وامي هب لي رفاعة فانه قد زعم انه سيصلي و يأكل لحم الجمل قال فوهبه لها فاستحيته * قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين واعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال وأخرج منها الخمس فكان للفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم وللراجل من ليس له فرس سهم وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثين فرسا وكان أول فيء وقعت فيه السهمان وأخرج منه الخمس فعلى سنتها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ومضت السنة في المغازي * ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصاري أخا بني عبد الاشهل بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليها أن يتزوجها و يضرب عليها الحجاب فقالت يارسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركها وقد كانت حين سباها قد تعصت بالاسلام وأبت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم و وجد في نفسه لذلك من أمرها فبيناهو مع أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا لثعلبة بن سعية يبشرني باسلام ريحانة فجاءه فقال يارسول الله قد أسلمت ريحانة فسره ذلك من أمرها * قال ابن اسحق وأنزل الله تعالى في أمر الخندق وأمر بني قريظة من القرآن القصة في سورة الاحزاب يذكر فيها مانزل من البلاء ونعمته عليهم وكفايته اياهم حين فرج الله ذلك عنهم بعد مقالة من قال من أهل النفاق يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة يقول الله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فالذين جاؤهم من فوقهم بنو قريظة والذين جاؤهم من أسفل منهم قريش وغطفان يقول الله تعالى هنالك ابتلي المؤمنون و زلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله و رسوله الا غرورا لقول معتب بن قشير اذ يقول ماقال واذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا و يستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعورة ان يريدون الا فرارا لقول أوس بن قيظي ومن كان على مثل رأيه من قومه ولو دخلت عليهم من أقطارها أي المدينة « قال ابن هشام » الاقطار الجوانب و واحدها قطر وهي الاقتار و واحدها قتر قال الفرزدق

كم من غنى فتح الاله لهم به * والخيل مقعية على الاقطار

و يروى على الاقتار وهذا البيت في قصيدة له ثم سئلوا الفتنة اى الرجوع الى الشرك لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسؤلا فهم بنو حارثة وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين همتا بالفشل يوم أحد ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدا فذكر لهم الله الذي أعطوا من أنفسهم ثم قال تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم أي أهل النفاق والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا أي الا دفعا وتعذيرا أشحة عليكم أي للضغن الذي في أنفسهم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت أي اعظاما له وفرقا منه فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أي في القول بما لا تحبون لانهم لا يرجون آخرة ولا تحملهم حسنة فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده « قال ابن هشام » سلقوكم بالغوا فيكم بالكلام فاحرقوكم وآذوكم تقول العرب خطيب سلاق وخطيب

* وقوله تعالى « و بلغت القلوب الحناجر » والقلب لا ينتقل من موضعه ولو انتقل الى الحنجرة لمات صاحبه والله سبحانه لا يقول الا الحق ففي هذا دليل على ان التكلم بالمجاز على جهة المبالغة فهو حق اذا فهم المخاطب عنك وهذا كقوله تعالى « يريد أن ينقض فأقامه » أي مثله كمثل من يريد أن يفعل الفعل و يهم به فهو من مجاز التشبيه وكذلك هؤلاء مثلهم فيما بلغهم من الخوف والوهل وضيق الصدر كمثل المنخلع قلبه من موضعه وقيل هو على حذف المضاف تقديره بلغ وجيف القلوب الحناجر وأما قوله « اذ القلوب لدى الحناجر » فلا معنى لحمله على المجاز لانه في صفة هول القيامة والامر فيه أشد مما تقدم لاسيما وقد قال في أخرى « لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء » أي قد فارق القلب الفؤاد و بقي فارغا هواء وفي هذا دليل على ان القلب غير الفؤاد كان الفؤاد هو غلاف القلب و يؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم في أهل اليمن ألين قلوبا وأرق أفئدة مع قوله تعالى « فويل للقاسية قلوبهم » ولم يقل للقاسية أفئدتهم والقسوة ضد اللين فتأمله * وقوله تعالى « قد يعلم الله المعوقين منكم » أي المخذلين لاخوانهم فيعوقونهم بالتخذيل عن الطاعة

مسلق ومسلاق قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة

فيهم المجد والسماحة والنجـ * ـدة فيهم والخاطب السلاق

وهذا البيت فى قصيدة له يحسبون الاحزاب لم يذهبوا قريش وغطفان وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا ثم أقبل على المؤمنين فقال لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر أى لئلا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ولا عن مكان هو به ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء ليختبرهم فقال ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله وصدق الله و رسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء وتصديقا للحق لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه أى فرغ من عمله و رجع الى ربه كمن استشهد يوم بدر و يوم أحد « قال ابن هشام » قضى نحبه مات والنحب النفس فيما أخبرنى أبو عبيدة و جمعه نحوب قال ذو الرمة

عشية فر الحارثيون بعدما * قضى نحبه فى ملتقى الخيل هو بر

وهذا البيت فى قصيدة له وهو بر من بنى الحرث ابن كعب أراد يزيد بن هو بر والنحب أيضاً النذر قال جرير بن الخطفى

بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا * عشية بسطام جرين على نحب

يقول على نذر كانت نذرت أن تقتله فقتلته وهذا البيت فى قصيدة له و بسطام بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى وهو ابن ذى الجدين حدثنى أبو عبيدة أنه كان فارس ربيعة بن نزار وطخفة موضع بطريق البصرة والنحب أيضاً الخطار وهو الرهان قال الفرزدق

وإذ نحبت كلب على الناس أينا * على النحب اعطى للجزيل وأفضل

والنحب أيضاً البكاء ومنه قولهم ينتحب

الطاعة لقولهم هلم الينا تقول عاقنى الامر عن كذا وعوقنى فلان عن كذا أى صرفنى عنه * وذكر الصياصى وانها الحصون واستشهد بقول سحيم يصف سيلا

وأصبحت الثيران صرعى وأصبحت * نساء تميم يبتدرن الصياصيا

وألفيت فى حاشية الشيخ أبى بحر رحمه الله على هذا البيت الصياصى قرون الثيران المذكورة فيه لا ما توهم ابن هشام انها الحصون والآطام يقول لما أهلك هذا السيل الثيران وغرقها أصبحت نساء تميم يبتدرن أخذ قرونها لينسجن بها البجد وهى الاكسية قال هذا يعقوب عن الاصمعى و يصحح هذا أنه لا حصون فى بادية الاعراب (قال المؤلف) و يصحح هذا التفسير أيضا رواية أحمد بن داود له فانه أنشده فى كتاب النبات له فقال فيه يلتقطن الصياصيا ولم يقل يبتدرن وأنشد

فذعرنا سحم الصياصى بأيديـ * ـهن نضح من الكحيل وقار

الكحيل القطران والقار الزفت شبه السواد الذى فى أيديهن بنضح من ذلك الكحيل والقار يصف بقر وحش وأنشد لدريد الصمة * كوقع الصياصى فى النسيج الممدد * وحمله الاصمعى على ما تقدم فى البيت

والنحب أيضاً الحاجة والهمة تقول مالى عندهم نحب قال مالك بن نويرة اليربوعى

وما لى نحب عندهم غير اننى * تلمست ما تبغى من الشدن السجر

وقال نهار بن توسعة أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل « قال ابن هشام » هو مولى أبى حنيفة الفقيه

ونجى يوسف الثقفى ركض * دارك بعدما وقع اللواء

ولو أدركته لقضيت نحبا * به ولكل مخطأة وفاء

والنحب أيضاً السير الخفيف المر * قال ابن اسحق ومنهم من ينتظر أى ما وعد الله به من نصره والشهادة على ما مضى عليه أصحابه يقول الله تعالى وما بدلوا تبديلا أى ما شكوا وما ترددوا فى دينهم وما استبدلوا به غيره ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم أى قريشا وغطفان لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب أى بنى قريظة من صياصيهم والصياصى الحصون والآطام التى كانوا فيها « قال ابن هشام » قال سحيم عبد بنى الحساس و بنو الحساس من بنى اسد بن خزيمة

وأصبحت الثيران صرعى وأصبحت * نساء تميم يلتقطن الصياصيا

ويروى يبتدرن وهذا البيت فى قصيدة له والصياصى أيضا القرون قال النابغة الجعدى

وسادة رهطى حتى بقيـ * ـت فردا كصيصة الاعضب

يقول أصاب الموت سادة رهطى وهذا البيت فى قصيدة له وقال أبو داود الايادى

فذعرنا سحم الصياصى بايديـ * ـهن نضح من الكحيل وقار

وهذا البيت فى قصيدة له والصياصى ايضا الشوك الذى للنساجين فيما أخبرنى أبو عبيدة وأنشدنى لدريد بن الصمة الجشمى جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن

نظرت اليه والرماح تنوشه * كوقع الصياصى فى النسيج الممدد

وهذا البيت فى قصيدة له والصياصى أيضا التى تكون فى أرجل

الديكة ناتئة كانها القرون الصغار والصياصي أيضا الاصول أخبرني أبو عبيدة ان العرب تقول جذ الله صيصته أي أصله * قال ابن اسحق وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا أي قتل الرجال وسبي الذراري والنساء وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها يعني خيبر وكان الله على كل شيء قديرا * قال ابن اسحق فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيدا * قال ابن اسحق حدثني معاذ بن رفاعة الزرقي قال حدثني من شئت من رجال قومي ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد فوجده قد مات * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت أقبلت عائشة قافلة من مكة ومعها أسيد بن حضير فلقيه موت امرأة له فحزن عليها بعض الحزن فقالت له عائشة يغفر الله لك يا أبا يحيى أتحزن على امرأة وقد أصبت بابن عمك وقد اهتز له العرش * قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري قال كان سعد رجلا بادنا فلما حمله الناس وجدوا له خفة فقال رجال من المسلمين والله ان كان لبادنا وما حملنا من جنازة أخف منه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان له حملة غيركم والذي نفسي بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش * قال ابن اسحق وحدثني معاذ ابن رفاعة عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح عن جابر بن عبد الله قال لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يا رسول الله مم سبحت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه «قال ابن هشام» ومجاز هذا الحديث قول عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر لضمة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ * قال ابن اسحق ولسعد يقول رجل من الانصار (٢٠٢)

وما اهتز عرش الله من موت هالك * سمعنا به الا لسعد أبي عمرو

وقالت ام سعد حين احتمل نعشه وهي تبكيه «قال ابن هشام» وهي كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الابجر وهو خدرة بن عوف بن الحرث بن الخزرج

ويل ام سعد سعدا * صرامة وحدا
وسوددا ومجدا * وفارسا معدا
سد به مسدا * يقدها ما قدا

عن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ * قال ابن اسحق ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق الا ستة نفر * من بني عبد الاشهل سعد بن معاذ وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو وعبد الله بن سهل ثلاثة نفر * ومن بني جشم بن الخزرج ثم من بني سلمة الطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة رجلان * ومن بني النجار ثم من بني دينار كعب بن زيد أصابه سهم غرب فقتله «قال ابن هشام» سهم غرب وسهم غرب باضافة وغير اضافة وهو الذي لا يعرف من أين جاء ولا من رمى به * وقتل من المشركين ثلاثة نفر * من بني عبد الدار ابن قصي منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة «قال ابن هشام» هو عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد ابن السباق * قال ابن اسحق ومن بني مخزوم بن يقظة نوفل بن عبد الله بن المغيرة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فقتل فغلب المسلمون على جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده ولا بثمنه فخلى بينهم وبينه «قال ابن هشام» أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده عشرة آلاف درهم فيما بلغني عن الزهري * قال ابن اسحق ومن بني عامر بن لؤي ثم من بني مالك بن حسل * عمرو بن عبد ود قتله علي بن أبي طالب رضوان الله عليه «قال ابن هشام» وحدثني الثقة انه حدث عن ابن شهاب الزهري انه قال قتل علي بن أبي طالب يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو «قال ابن هشام» ويقال عمرو ابن عبد ود ويقال عمرو بن عبد * قال ابن اسحق واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين ثم من بني الحرث بن الخزرج خلاد بن سويد بن ثعلبة ابن عمرو طرحت عليه رحى فشدخته شدخا شديدا فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان له لاجر شهيدين ومات أبو سنان بن محصن بن حرثان أخو بني أسد بن خزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بني قريظة فدفن في مقبرة بني قريظة التي يدفنون فيها اليوم

قبل هذا من أنها القرون التي ينسج بها الا انها شوك كما قال ابن هشام * وذكر اهتزاز العرش وقد تكلم الناس في معناه وظنوا انه مشكل وقال بعضهم الاهتزاز هاهنا بمعنى الاستبشار بقدوم روحه وقال بعضهم يريد حملة العرش ومن عنده من الملائكة استبعادا منهم لان يهتز العرش على الحقيقة ولا بعد فيه لانه مخلوق وتجوز عليه الحركة والهزة ولا يعدل عن ظاهر اللفظ ما وجد اليه سبيل وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح قال أبو عمر هو ثابت من طرق متواترة وما روي من قول البراء بن عازب في معناه انه سرير سعد اهتز لم يلتفت اليه العلماء وقالوا كانت بين هذين الحيين من الانصار ضغائن وفي لفظ الحديث اهتز عرش الرحمن رواه أبو الزبير عن جابر يرفعه ورواه البخاري من طريق الاعمش عن أبي صالح وابي سفيان كلاهما

واليه دفنوا أمواتهم فى الاسلام * ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو الذى يغزوها حتى فتح الله تعالى عليه مكة

﴿ ماقيل من الشعر فى أمر الخندق و بنى قريظة ﴾ وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بنى محارب بن فهر فى يوم الخندق

ومشفقة تظن بنا الظنونا * وقد قدنا عرندسة طحونا
كان زهاءها أحد اذاما * بدت اركانه للناظرينا
ترى الابدان فيها مسبغات * على الابطال واليلب الحصينا
وجردا كالقداح مسومات * نؤم بها الغواة الخاطئينا
كانهم اذا صالوا وصلنا * بباب الخندقين مصافحونا
اناس لانرى فيهم رشيدا * وقد قالوا ألسنا راشدينا
فاجرناهم شهرا كريتا * وكنا فوقهم كالقاهرينا
نراوحهم ونغدو كل يوم * عليهم فى السلاح مدججينا
بايدينا صوارم مرهفات * نقد بها المفارق والشؤنا
كان وميضهن معريات * اذا لاحت بايدى مصلتينا
وميض عقيقة لمعت بليل * ترى فيها العقائق مستبينا
فلولا خندق كانوا لديه * لدمرنا عليهم أجمعينا
ولكن حال دونهم وكانوا * به من خوفنا متعوذينا
فان نرحل فانا قد تركنا * لدى أبياتكم سعدا رهينا
اذا جن الظلام سمعت نوحا * على سعد يرجعن الحنينا
وسوف نزوركم عما قريب * كما زرنا كم متوازرينا
بجمع من كنانة غير عزل * كاسد الغاب قد حمت العرينا

(فاجابه كعب بن مالك اخو بنى سلمة رضى الله عنه فقال)

وسائلة تسائل مالقينا * ولوشهدت رأتنا صابرينا
صبرنا لانرى لله عدلا * على ما نابنا متوكلينا
وكان لنا النبى وزير صدق * به نعلو البرية أجمعينا
نقاتل معشرا ظلموا وعقوا * وكانوا بالعداوة مرصدينا
نعاجلهم اذا نهضوا الينا * بضرب يعجل المتسرعينا
ترانا فى فضافض سابغات * كغدران الملا متسربلينا
وفى ايماننا بيض خفاف * بها نشفى مراح الشاغبينا
بباب الخندقين كان اسدا * شوا بكهن يحمين العرينا
فوارسنا اذا بكروا وراحوا * على الاعداء شوسا معلمينا
لننصر احمدا والله حتى * نكون عباد صدق مخلصينا
ويعلم أهل مكة حين ساروا * واحزاب اتوا متحزبينا
بان الله ليس له شريك * وان الله مولى المؤمنينا
فاما تقتلوا سعدا اسفاها * فان الله خير القادرينا
سيدخله جنانا طيبات * تكون مقامة للصالحينا
كما قدردكم فلا شريدا * بغيظكم خزايا خائبينا
خزايا لم تنالوا ثم خيرا * وكدتم أن تكونوا دامرينا
بريح عاصف هبت عليكم * فكنتم تحتها متكمهينا

(وقال عبد الله بن الزبعرى السهمى فى يوم الخندق)

حى الديار محا معارف رسمها * طول البلا وتراوح الاحقاب
فكانما كتب اليهود رسومها * الا الكنيف ومعقد الاطناب
قفرا كانك لم تكن تلهو بها * فى نعمة بأوانس أتراب
فاترك تذكر مامضى من عيشة * ومحلة خلق المقام يباب
واذكر بلاء معاشر واشكرهم * ساروا باجمعهم من الانصاب
أنصاب مكة عامدين ليثرب * فى ذى غياطل جحفل جبجاب
يدع الحزون مناهجا معلومة * فى كل نشر ظاهر وشعاب
فيها الجياد شوازب مجنوبة * قب البطون لواحق الاقراب
من كل سلهبة وأجرد سلهب * كالسيد بادر غفلة الرقاب
جيش عيينة قاصد بلوائه * فيه وصخر قائد الاحزاب
قرمان كالبدرين اصبح فيهما * غيث الفقير ومعقل الهراب
حتى اذا وردا المدينة وارتدوا * للموت كل مجرب قضاب

عن جابر ورواه من الصحابة جماعة غير جابر منهم ابو سعيد الخدرى واسيد بن حضير ورميثة بنت عمرو ذكر ذلك الترمذى والعجب لما روى عن ملك رحمه الله من انكاره للحديث وكراهيته للتحدث به مع صحة نقله وكثرة الرواة له ولعل هذه الرواية لم تصح عن ملك والله أعلم

﴿ فصل فى اشعار يوم الخندق ﴾

ذكر فيها شعر ضرار بن الخطاب * على الابطال واليلب الحصينا * اليلب الترسة وقيل الدرق وقيل بيضات ودروع كانت تتخذ من جلود الابل و يشهد لهذا قول حبيب

هذه الاسنة والماذى قد كثرا * فلا الصياصى لها قدر ولا اليلب

اى لا حاجة بعد وجود الدروع الماذية الى اليلب و بعد الاسنة الى الصياصى وهى القرون وكانت أسنتهم منها فى الجاهلية قال الشاعر

يهز هز صعدة جرداء فيها * نقيع السم اوقرن محيق

وذكر فى شعر كعب * فكنتم تحتها متكمهينا * متفعلين من الكمه وهو العمى والاظهر فى الاكمه انه الذى

شهرا وعشرا قاهر بن محمدا * وصحابه فى الحرب خير صحاب
نادوا برحلتهم صبيحة قلتم * كدنا نكون بها مع الخياب
لولا الخنادق غادرن من جمعهم * قتلى لطير سغب وذئاب

(فاجابه حسان بن ثابت الانصارى فقال)

هل رسم دارسة المقام يباب * متكلم لمحارب بجواب
قفر عفا رهم السحاب رسومه * وهبوب كل مطلة مرباب
ولقد رأيت بها الحلول يزينهم * بيض الوجوه ثواقب الاحساب
فدع الديار وذكر كل خريدة * بيضاء آنسة الحديث كعاب
واشك الهموم الى الاله وما ترى * من معشر ظلموا الرسول غضاب
ساروا بجمعهم اليه وألبوا * أهل القرى وبوادى الاعراب
جيش عيينة وابن حرب فيهم * متخمطون بحلبة الاحزاب
حتى اذا وردوا المدينة وارتجوا * قتلى الرسول ومغنم الاسلاب
وغدوا علينا قادرين بايديهم * ردوا بغيظهم على الاعقاب
بهبوب معصفة تفرق جمعهم * وجنود ربك سيد الارباب
فكفى الاله المؤمنين قتالهم * وأثابهم فى الاجر خير ثواب
من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم * تنزيل نصر مليكنا الوهاب
وأقر عين محمد وصحابه * وأذل كل مكذب مرتاب
عاتى الفؤاد موقع ذى ريبة * فى الكفر ليس بطاهر الاثواب
علق الشقاء بقلبه ففؤاده * فى الكفر آخر هذه الاحقاب

آراب

(وأجابه كعب بن مالك أيضا فقال)

أبقى لنا حدث الحروب بقية * من خير نحلة ربنا الوهاب
بيضا مشرفة الذرى ومعاطنا * حم الجذوع غزيرة الاحلاب
كاللوب يبذل جمها وحفيلها * للجار وابن العم والمنتاب
ونزائعا مثل السراج نمى بها * علف الشعير وجزة المقضاب
عرى الشوى منها وأردف نحضها * جرد المتون وسائر الآراب

بولدا عمى وقد قيل فيه انه الذى لا يبصر بالليل شيئاً ذكر هذا القول البخارى فى التفسير * وفيه قوله * وجنود ربك سيد الارباب * فيه شاهد لمن زعم أن السيد من اسماء الله وقد كره اكثر العلماء ان يقال فى الدعاء ياسيدى وأجازه بعضهم واحتج بحديث ليس اسناده بالقوى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له رجل ياسيد فقال السيد الله واما مذهب القاضى فى مثل هذا من الاسماء التى يراد بها المدح والتعظيم فذكر الله به جائز مالم يرد نهى عنه أو تجمع الامة على ترك الدعاء به كما أجمعوا الا يسمى بفقيه ولا عاقل ولا سخى وان كان فى ذلك مدح ﴿ قال المؤلف ﴾ والذى أقول فى السيد انه اسم يعتبر بالاضافة لانه فى أصل الوضع بعض ما أضيف اليه تقول فلان سيد قيس اذا كان واحدا منهم ولا يقال فى قيس هو سيد تميم لانه ليس واحدا منهم فكذلك لا يقال فى الله تعالى هو سيد الناس ولا سيد الملائكة وانما يقال ربهم فاذا قلت سيد الارباب وسيد الكرماء جاز لان معناه أكرم الكرماء وأعظم الارباب ثم يشتق له من اسم الرب فيوصف بالربوبية ولا يوصف بالسودد لانه ليس باسم له على الاطلاق وقد جاء فى شعر حسان الذى يرثى به رسول الله صلى الله عليه وسلم * ياذا الجلال وذا العلا والسودد * يصف الرب ولكن لا تقوم الحجة فى اطلاق هذه الاسماء الا أن يسمعها الرسول عليه السلام فلا ينكرها كما سمع شعر كعب فلم ينكره وانما يوصف على الوجه الذى قدمناه وعلى المعنى الذى بيناه * وقول كعب * بيضاء مشرفة الذرى ومعاطنا * يعنى الآطام وقوله معاطنا يعنى منابت النخل عند الماء شبهها بمعاطن الابل وهى مباركها عند الماء * وقوله حم الجذوع وصفها بالحمة وهى السواد لانها تضرب الى السواد من الخضرة والنعمة وشبه ما يجتنى منها بالحلب فقال غزيرة الاحلاب * وقوله كاللوب اللوب جمع لوبة واللاب جمع لابة وهى الحرة يقال ما بين لابتيها مثل فلان ولا يقال ذلك فى كل بلد فقد قال شبيب بن شيبة لرجل نسبه الى التصحيف فى حديث السقط انه يظل محبنطئاً على باب الجنة فقال له شبيب بالظاء منقوطة فقال الرجل أخطأت انما هو بالطاء قال الراجز

انى اذا استنشدت لا احبنطى * ولا أحب كثرة التمطى

فقال له شبيب أتلحننى وما بين لابتيها أفصح منى فقال له الرجل وهذه لحنة أخرى اوللبصرة لابتان انما اللابتان للمدينة والكوفة * وقوله يبذل جمها وحفيلها أى الكثير منها والمنتاب الزائر مفتعل من ناب ينوب اذا ألم * وقوله ونزائعا مثل السراج يعنى الخيل العربية التى نزعت من الاعداء * وقوله مثل السراج بالجيم كذا وقع فى الاصل أى كل واحد منها كالسراج ووقع فى الحاشية بالحاء وفسره فقال جمع سرحان وهو الذئب وهذا الجمع انما جاز على تقدير حذف الزائدتين من الاسم وهى الالف والنون ولو جمعه على لفظه لقال سراحين * وقوله وجزة المقضاب المقضاب مزرعة وجزتها ما يجز منها للخيل * وقوله عرى الشوى منها يعنى القوائم والنحض اللحم والآراب المفاصل واحدها ارب وفى الحديث أمرت ان اسجد على سبعة

قوداً تراح الى الصياح اذا غدت * فعل الضراء تراح للكلاب
حوش الوحوش مطارة عند الوغى * عبس اللقاء مبينة الانجاب
يعدون بالزغف المضاعف شكه * و بمترصات فى الثقاف صياب
يصل اليمين بمارن متقارب * وكلت وقيعته الى خباب
وتحوط سائمة الديار وتارة * تردى العدا وتؤب بالأسلاب
علفت على دعة فصارت بدناً * دخس البضيع خفيفة الاقصاب
وصوارم نزع الصياقل علبها * و بكل أروع ماجد الانساب
وأغر أزرق فى القناة كأنه * فى طخية الظلماء ضوء شهاب

آراب * وقوله قوداً أى طوال الاعناق والضراء الكلاب الضارية وفى الحديث ان قيساً ضراء الله فى الارض أى أسده الضارية والكلاب جمع كالب وهو صاحب الكلاب الذى يصيد بها * وقوله عبس اللقاء جمع عبوس * وقوله دخس البضيع البضيع اللحم المستطيل والدخيس من اللحم الكثير * وقوله خفيفة الاقصاب يعنى جمع قصب وهو المعى ومنه سمى الجزار قصاباً * وقوله يعدون بالزغف أى بالدروع * وقوله شكه حلقه ونسجه * وقوله * و بمترصات فى الثقاف صياب * المترصات المحكمة يعنى الرماح المثقفة * وقوله نزع الصياقل علبها أى جسأتها وخشونة درئها يقال علب اللحم اذا لم يكن رخصاً وعلب النبات اذا جسأ * وقوله بمارن متقارب المارن اللين و وقيعته صقله وخباب اسم صيقل * وقوله واغر ازرق يعنى الرمح وطخية الظلماء أى شدتها وطخاء القلب ظلمته ومنه قوله عليه السلام فى السفرجل انه يذهب بطخاء القلب * وقول كعب * جاءت سخينة كى تغالب ربها * كان هذا الاسم مما سميت به قريش قديماً ذكروا أن قصياً كان اذا ذبحت ذبيحة أو نحرت نحيرة بمكة أتى بعجزها فصنع منه خزيرة وهو لحم يطبخ ببر فيطعمه الناس فسميت قريش بها سخينة وقيل ان العرب كانوا اذا أسنتوا أكلوا العلهز وهو الوبر والدم وتأكل قريش الخزيرة والفيتة فنفست عليهم ذلك فلقبوهم سخينة ولم تكن قريش تكره هذا اللقب ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ورسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ولتركه أدباً مع النبى عليه السلام اذ كان قرشياً ولقد استنشد عبد الملك بن مروان ما قاله الهوازنى فى قريش

يا شدة ما شددنا غير كاذبة * على سخينة لولا الليل والحرم

فقال ما زاد هذا على ان استثنى ولم يكره سماع التلقيب بسخينة فدل هذا على أن هذا اللقب لم يكن مكروهاً عندهم ولا كان فيه تعيير لهم بشىء يكره * و فى شعر كعب أيضاً من سره ضرب يمعمع بعضه المعمعة صوت النار فيما عظم وكثف من الشعراء والقصباء ونحوها والكلحبة صوتها فيما دق كالسراج ونحوه والقطمطة صوت الغليان وكذلك الغرغرة والجعجعة صوت الرحى والدردبة صوت الطبل * وقوله الاباء هو القصب واحدتها اباءة والهمزة الآخرة فيها بدل من ياء قاله ابن جنى لانه عنده من الاباية كان القصب يابى على من أراده بمضغ أو نحوه و يشهد لما قاله ابن جنى قول الشاعر

يراه الناس أخضر من بعيد * وتمنعه المرارة والاباء

وقوله فليأت مأسدة هى الارض الكثيرة الاسد وكذلك المسبعة الارض الكثيرة السباع و يجوز أن يكون ماسدة جمع أسد كما قالوا مشيخة ومعلجة حكى سيبويه مشيخة ومشيوخاء ومعلجة ومعلوجاء وألفيت أيضاً فى النبات مسلوقاء لجماعة السلم ومشيوحاء للشيح بالحاء المهملة الكثير * وقوله تسن سيوفها بنصب الفاء وهو الاصح عند القاضى أبى الوليد ووقع فى الاصل عند أبى بحر تسن سيوفها بالرفع ومعنى الرواية الاولى تسن أى تصقل ومعنى الرواية الثانية أى تسن للابطال ولمن بعدها من الرجال سنة الجرأة

وكتيبة ينفى القران قتيرها * وترد حد قواحز النشاب
جأوى ململمة كان رماحها * فى كل مجمعة صريمة غاب
يأوى الى ظل اللواء كانه * فى صعدة الخطى فىء عقاب
أعيت أبا كرب وأعيت تبعاً * وأبت بسالتها على الاعراب
ومواعظ من ربنا نهدى بها * بلسان أزهر طيب الاثواب
عرضت علينا فاشتهينا ذكرها * من بعد ما عرضت على الاحزاب
حكماً يراها المجرمون بزعمهم * حرجاً و يفهمها ذوو الالباب
جاءت سخينة كى تغالب ربها * فليغلبن مغالب الغلاب

« قال ابن هشام » حدثنى من أثق به قال حدثنى عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير قال لما قال كعب بن مالك

جاءت سخينة كى تغالب ربها * فليغلبن مغالب الغلاب

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا

* قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق

فليأت مأسدة تسن سيوفها * بين المذاد و بين جذع الخندق
فى عصبة نصر الاله نبيه * بهم وكان بعبده ذا مرفق
من سره ضرب يمعمع بعضه * بعضاً كمعمعة الاباء المحرق
درب بضرب المعلمين وأسلموا * مهجات أنفسهم لرب المشرق
فى كل سابغة تخط فضولها * كالنهى هبت ريحه المترقرق

بيضاء محكمة كان قتيرها * حدق الجنادب ذات شك موثق جدلاء يحفزها نجاد مهند * صافى الحديدة صارم ذى رونق
تلكم مع التقوى تكون لباسنا * يوم الهياج وكل ساعة مصدق نصل السيوف اذا قصرن بخطونا * قدما ونلحقها اذا لم تلحق
فترى الجماجم ضاحيا هاماتها * بله الاكف كانها لم تخلق نلقى العدو بفخمة ململومة * تنفى الجموع كفصد رأس المشرق
ونعد للاعداء كل مقلص * ورد ومحجول القوائم ابلق تردى بفرسان كان كماتهم * عند الهياج أسود طل ملثق
صدق يعاطون الكماة حتوفهم * تحت العماية بالوشيج المزهق
أمر الاله بربطها لعدوه * فى الحرب ان الله خير موفق
لتكون غيظا للعدو وحيطا * للدار ان دلفت خيول النزق
ويعيننا الله العزيز بقوة * منه وصدق الصبر ساعة نلتقى
ونطيع أمر نبينا ونجيبه * واذا دعا لكريهة لم نسبق
ومتى ينادى للشدائد نأتها * ومتى نرى الحومات فيها نعنق
من يتبع قول النبى فانه * فينا مطاع الامر حق مصدق
فبذلك ينصرنا ويظهر عزنا * ويصيبنا من نيل ذاك بمرفق
ان الذين يكذبون محمدا * كفروا وضلوا عن سبيل المتقى

«قال ابن هشام» أنشدنى بيته تلكم مع التقوى تكون لباسنا وبيته من يتبع قول النبى أبو زيد وأنشدنى تنفى الجموع كرأس قدس المشرق

* قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق

لقد علم الاحزاب حين تالبوا * علينا وراموا ديننا ما نوادع
أضاميم من قيس بن عيلان أصفقت * وخندف لم يدروا بما هو واقع لمضر
يذودوننا عن ديننا ونذودهم * عن الكفر والرحمن راء وسامع اذا غايظونا فى مقام أعاننا * على غيظهم نصر من الله واسع
وذلك حفظ الله فينا وفضله * علينا ومن لم يحفظ الله ضائع هدانا لدين الحق واختاره لنا * ولله فوق الصانعين صنائع

«قال ابن هشام» وهذه الابيات فى قصيدة له * قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق

والاقدام * وقوله فى وصف الدرع * جدلاء يحفزها نجاد مهند * جدلاء من الجدل وهو قوة الفتل ومنه الاجدل للصقر وفى هذا البيت دليل على قوة امتناع الصرف فى أجدل وانه من باب أفعل الذى مؤنثه فعلاء ومن صرفه شبهه بارنب وافكل وهو أضعف الوجهين وان كانوا قد قالوا فى جمعه أجادل مثل أرانب فقد قالوا أيضا الاجارع والاباطح فى جمع أجرع وأبطح ولكنهم لا يصرفونهما من حيث قالوا فى المؤنث بطحاء وجرعاء وكذلك القول فى ابرق وبرقاء * وقوله يحفزها نجاد مهند كقول ابن الاسلت فى وصف الدرع

أحفزها عنى بذى رونق * أبيض مثل الملح قطاع

وذلك ان الدرع اذا طالت فضولها حفزوها أى شروها وافر بطوها بنجاد السيف * وقوله * تلكم مع التقوى تكون لباسنا * من أجود الكلام وأملح الالتفاتات لانه قول انتزعه من قول الله تعالى «ولباس التقوى ذلك خير» وقال الشاعر

انى كانى أرى من لا وفاء له * ولا امانة وسط القوم عريانا

وموضع الاجادة والاحسان من قول كعب انه جعل لباس الدرع تبعا للباس التقوى لان حرف مع تعطى فى الكلام ان ما بعده هو المتبوع وليس بتابع وقد احتج الصديق على الانصار يوم السقيفة بان قال لهم أنتم الذين آمنوا ونحن الصادقون وانما أمركم الله ان تكونوا معنا فقال «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» والصادقون هم المهاجرون قال الله تعالى «للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون» * وقوله بله الاكف بخفض الاكف هو الوجه وقد روى بالنصب لانه مفعول أى دع الاكف فهذا كما تقول رويد زيد ورويد زيدا بلا تنوين مع النصب وبله كلمة بمعنى دع وهى من المصادر المضافة الى ما بعدها وهى عندى من لفظ البله والتباله وهو من الغفلة لان من غفل عن الشىء تركه ولم يسئل عنه وكذلك قوله بله الاكف أى لا تسئل عن الاكف اذا كانت الجماجم ضاحية مقطعة وفى الحديث يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت بله ما أطلعتهم عليه * وقوله بفخمة ململومة أى كتيبة مجموعة وقوله كفصد رأس المشرق الصحيح فيه ما رواه ابن هشام عن أبى زيد كرأس قدس المشرق لان قدس جبل معروف من ناحية المشرق * وقوله * عند الهياج اسود طل ملثق * الطل معروف والثق ما يكون عن الطل من زلق وطين والاسد أجوع ما تكون وأجرأ فى ذلك الحين * وقوله فى العينية

* أضاميم من قيس بن عيلان أصفقت * واحد الاضاميم اضامة وهو كل شىء مجتمع يقال اضامة من الناس واضامة من كتب * وقوله من قيس بن عيلان * هو المشهور عند أهل النسب وبعضهم يقول ان قيسا هو عيلان لا ابنه قال وعرف قيس بن عيلان بفرس كان له يسمى عيلانا كما عرف قيس كبة من بجيلة بفرس اسمه كبة وكان هو وقيس عيلان متجاورين فكان اذا ذكر أحدهما وقيل أى القيسين هو * قيل قيس عيلان أو قيس كبة وقيل ان عيلان اسم كلب كان له وقيل عيلان اسم جبل ولد عنده وقيل اسم غلام

لمضر كان حضنه وقيل كان جوادا أتلف ماله فادركته عيلة فسمي عيلان ومما يحتج به للقول الآخر قول رؤبة * وقيس عيلان ومن تقيسا * وقوله فى الدالية وما بين العريض الى الصماد العريض موضع والصماد جمع صمد وهو ماغلظ من الارض * وقوله نواضح فى الحروب يعنى حدائق نخل تسقى بالنضح وأراد بالخوص آبارا وانما جعل البئر خوصا لان العين الخوصاء هى الغائرة وجمعها خوص فعيون الماء فى الآبار كذلك غائرة * وأنشد أبو عبيد فى وصف الابل

مخيسة بزلا كان عيونها * عيون الركايا أنكرتها المواتح

وقوله يزخر المرار فيها * المرار اسم نهر * وقوله

كان الغاب والبردى فيها * أجش اذا تبقع للحصاد

يريد صوت خفيف الريح كصوت الاجش وهو الابح وقد يوصف النبات أيضا بالغنة من أجل خفيف الريح فيه فيقال روضة غناء وقد قيل انما ذلك من أجل صوت الذباب الذى يكون فيه قاله أبو حنيفة * وقوله تبقع للحصاد أى صارت فيه بقع بيض من اليبس يقال للزرع اذا صار كذلك ارقاط واسحام واسحار واذا أخذ السبل الحب قيل الحم واسفى من السفى وأشع من الشماع بفتح الشين وكسرها وهو السفى ويقال أسبل الزرع من السبل كما يقال بعير حظل واحظل المكان من الحنظل وهى لغة أهل الحجاز وبنو تميم يقولون سبل وأما همدان فيسمون السنبل سبولا والواحدة سبولة فقياس لغتهم ان يقال أسبل وانما فخرت الانصار فى هذا الشعر والذى قبله بنخلها وآطامها اشارة الى عزها ومنعتها وانها لم تغلب على بلادها على قديم الدهر كما أجليت أكثر الاعاريب عن محالها وأزعجها الخوف عن مواطنها وهذا المعنى أراد حسان فى قوله

أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

لان اقامتهم حول قبور آبائهم وأجدادهم دليل على منعتهم والا مغالب لهم على ماتخير وه من بقاع الارض وآثروه عند ارتيادهم * وقوله * أثرنا سكة الانباط فيها * السكة النخل المصطف أى حرثناها وغرسناها كما تفعل الانباط فى أمصارها لاتخاف عليها كيد كائد واياها أراد النبى صلى الله عليه وسلم بقوله خير المال سكة مأبورة والسكة أيضا السنة وهى الحديدة التى يشق بها الفدان الارض ويقال لها أيضا المان وهو تفسير الاصمعى وفسره أبو عبيد على المعنى الآخر وانها النخل ويقال أيضا أبيثت الارض فى معنى أثيرت قاله ابو حنيفة ويروى فى الحماسة * هلم اليها قد أبيثت زروعها * أى أثيرت وفى الغريب المصنف

وحق بنى شغارة ان يقولوا * لصخر الغى ماذا تستبيث

وغلط أبو عبيد فجعل تستبيث من نبيثت البئر وهو ترابها ولو كان كذلك لقال تستنبيث بنون قبل الباء وقوله * جلهات واد * الجلهات من الوادى ما كشفت عنه السيول الشمراء فابرزته وهو من الجله وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس * وقوله صفراء الجراد وهى الخيفانة منها وهى التى ألقت سرأها أى بيضها وهى اخف طيرانا والكتفان من الجراد أكبر من الخيفان وأول أمر الجراد دود يقال له الغمص يلقيه بحر اليمن وله علامة قبل خروجه وهو برق يلمع من ذلك البحر سبع عشرة مرة فيعلمون بخروج الجراد قاله ابو حنيفة * وقوله غير معتلث الزناد * الزناد المعتلث هو الذى لايدرى من أى عود هو وأصل الاعتلاث

ألا أبلغ قريشا أن سلما * وما بين العريض الى الصماد نواضح فى الحروب مدربات * وخوص ثقبت من عهد عاد

روا كد يزخر المرار فيها * فليست بالجمام ولا الثماد

كان الغاب والبردى فيها * أجش اذا تبقع للحصاد

ولم نجعل تجارتنا اشتراء الـ * حمير لارض دوس أو مراد

بلاد لم تثر الا لكيما * نجالد ان نشطتم للجلاد

أثرنا سكة الانباط فيها * فلم تر مثلها جلهات واد

قصرنا كل ذى حضر وطول * على الغايات مقتدر جواد

أجيبونا الى ما نجتديكم * من القول المبين والسداد

والا فاصبروا لجلاد يوم * لكم منا الى شطر المذاد

نصبحكم بكل أخى حروب * وكل مطهم سلس القياد

وكل طمرة خفق حشاها * تدف دفيف صفراء الجراد

وكل مقلص الآراب نهد * تمم الخلق من أخر وهادى

خيول لا تضاع اذا أضيعت * خيول الناس فى السنة الجماد

ينازعن الاعنة مصغيات * اذا نادى الى الفزع المنادى

اذا قالت لنا النذر استعدوا * توكلنا على رب العباد

وقلنا لن يفرج ما لقينا * سوى ضرب القوانس والجهاد

فلم تر عصبة فيمن لقينا * من الاقوام من قار وبادى

أشد بسالة منا اذا ما * أردناه وألين فى الوداد

اذا ما نحن أشرجنا عليها * جياد الجدل فى الارب الشداد

قذفنا فى السوابغ كل صقر * كريم غير معتلث الزناد

أشم كانه أسد عبوس * غداة بدا ببطن الجذع غاد

يغشى هامة البطل المذكى * صبي السيف مسترخي النجاد لنظهر دينك اللهم انا * بكفك فاهدنا سبل الرشاد

« قال ابن هشام » بيته قصرنا كل ذي حضر وطول والبيت الذي يتلوه والبيت الثالث منه والبيت الرابع منه و بيته أشم كأنه أسد عبوس والبيت الذي يتلوه عن أبي زيد الانصاري * قال ابن اسحق وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح يبكي عمرو بن عبدود و يذكر قتل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه اياه

عمرو بن عبد كان أول فارس * جزع المذاد وكان فارس يليل
سمح الخلائق ماجد ذو مرة * يبغي القتال بشكة لم ينكل
ولقد علمتم حين ولوا عنكم * أن ابن عبد فيهم لم يعجل
حتى تكنفه الكماة وكلهم * يبغي مقاتله وليس بمؤتل
ولقد تكنفت الاسنة فارسا * بجنوب سلع غير نكس أميل
بسل النزال على فارس غالب * بجنوب سلع ليته لم ينزل
فاذهب علي فما ظفرت بمثله * فخرا ولا لاقيت مثل المعضل
نفسي الفداء لفارس من غالب * لاقى حمام الموت لم يتحلحل
أعني الذي جزع المذاد مهره * طلبا لثار معاشر لم يخذل

قال مسافع أيضا يؤنب فرسان عمرو والذين كانوا معه فاجلوا عنه وتركوه

عمرو بن عبد والجياد يقودها * خيل تقاد له وخيل تنعل
أجلت فوارسه وغادر رهطه * ركنا عظيما كان أول فيها أول
عجبا وان أعجب فقد أبصرته * مهما يسوم على عمرا ينزل
لاتبعدن فقد أصبت بقتله * ولقيت قبل الموت أمرا يثقل
وهبيرة المسلوب ولى مدبرا * عند القتال مخافة أن يقتلوا
وضرار اكان البأس منه محضرا * ولى كما ولى اللئيم الاعزل

« قال ابن هشام » و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له وقوله عمرا ينزل عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال هبيرة بن أبي وهب يعتذر من فراره و يبكي عمرا و يذكر قتل علي اياه

لعمري ماوليت ظهري محمدا * واصحابه جبنا ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد * لسيفي غناء ان ضربت ولا نبلي
وقفت فلما لم أجد لي مقدما * صددت كضرغام هزبر أبي شبل
ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد * مكرا وقدما كان ذلك من فعلي
فلا تبعدن ياعمرو حيا وهالكا * وحق لحسن المدح مثلك من مثلي
ولا تبعدن ياعمرو حيا وهالكا * فقد بنت محمود الثنا ماجد الاصل
فمن لطراد الخيل تقدع بالقنا * وللفخر يوما عند قرقرة البزل
هنالك لو كان ابن عبد لزارها * وفرجها حقا فتى غير ماوغل
فعنك علي لاأرى مثل موقف * وقفت على نجد المقدم كالفحل
فما ظفرت كفاك فخرا بمثله * أمنت به ماعشت من زلة النعل

الاختلاط يقال علثت الطعام اذا خلطت حنطة بشعير والعلاثة الزند الذي لايوري نارا

وقال هبيرة بن أبي وهب يبكي عمرو بن عبد ود و يذكر قتل علي رضوان الله عليه اياه

مقتل

لقد علمت عليا لؤي بن غالب * لفارسها عمرو اذا ناب نائب
لفارسها عمرو اذا ما يسومه * علي وان الليث لابد طالب
عشية يدعوه علي وانه * لفارسها اذ خام عنه الكتائب
فيالهف نفسي ان عمرا تركته * بيثرب لازالت هنالك المصائب

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبدود

بقية كم عمرو أبحناه بالقنا * بيثرب نحمي والحماة قليل
ونحن قتلناكم بكل مهند * ونحن ولاة الحرب حين نصول
ونحن قتلناكم ببدر فاصبحت * معاشركم في الهالكين تجول

« قال ابن هشام » و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضا في شأن عمرو بن عبدود

أمسى الفتى عمرو بن عبد يبتغي * بجنوب يثرب ثأره لم ينظر
فلقد وجدت سيوفنا مشهورة * ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
ولقد لقيت غداة بدر عصبة * ضربوك ضربا غير ضرب الحسر
أصبحت لاتدعى ليوم عظيمة * ياعمرو أولجسيم أمر منكر

« قال ابن هشام » و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضا

ألا أبلغ أبا هدم رسولا * مغلغلة تخب بها المطي
أكنت وليكم في كل كره * وغيري في الرخاء هو الولي
ومنكم شاهد ولقد رآني * رفعت له كما احتمل الصبي

« قال ابن هشام » وتروى هذه الابيات لربيعة بن أمية الديلي و يروى فيها آخرها

كببت الخزرجي على يديه * وكان شفاء نفسي الخزرجي

وتروى أيضا لابي اسامة الجشمي * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت في بني قريظة يبكي سعد بن معاذ و يذكر حكمه فيهم

لقد سجمت من دمع عيني عبرة * وحق لعيني أن تفيض على سعد
قتيل ثوى في معرك فجعت به * عيون ذواري الدمع دائمة الوجد
على ملة الرحمن وارث جنة * مع الشهداء وفدها أكرم الوفد
فان تك قد ودعتنا وتركتنا * وأمسيت في غبراء مظلمة اللحد
فانت الذي ياسعد أبت بمشهد * كريم وأثواب المكارم والحمد
بحكمك في حيي قريظة بالذي * قضى الله فيهم ماقضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمك فيهم * ولم تعف اذ ذكرت ماكان من عهد * فان كان ريب الدهر امضاك في الاولى * شروا هذه الدنيا بجناتها الخلد

فنعم مصير الصادقين اذا دعوا * الى الله يوما للوجاهة والقصد

وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى سعد بن معاذ ورجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء ويذكرهم بما كان فيهم من الخير

ألا يالقومى هل لما حم دافع * وهل ما مضى من صالح العيش راجع
تذكرت عصرا قد مضى فتهافتت * بنات الحشا وانهل منها المدامع
صبابة وجد ذكرتنى اخوة * وقتلى مضى فيها طفيل ورافع
وسعد فاضحوا فى الجنان وأوحشت * منازلهم فالارض منهم بلاقع
وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم * ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعا فاجابوه بحق وكلهم * مطيع له فى كل امر وسامع
فانكلوا حتى توالوا جماعة * ولا يقطع الآجال الا المصارع
لانهم يرجون منه شفاعة * اذا لم يكن الا النبيون شافع
فذلك يا خير العباد بلاؤنا * اجابتنا لله والموت ناقع
لنا القدم الاولى اليك وما خلفنا * لاولنا فى ملة الله تابع *
ونعلم ان الملك لله وحده * وان قضاء الله لابد واقع

وقال حسان بن ثابت أيضا فى يوم بنى قريظة

لقد لقيت قريظة ما ساءها * وما وجدت لذل من نصير
أصابهم بلاء كان فيه * سوى ما قد أصاب بنى النضير
غداة أتاهم يهوى اليهم * رسول الله كالقمر المنير
له خيل مجنبة تعادى * بفرسان عليها كالصقور
تركناهم وما ظفروا بشىء * دماؤهم عليهم كالعبير
فهم صرعى تحوم الطير فيهم * كذاك يدان ذو العند الفجور
فانذر مثلها نصحا قريشا * من الرحمن ان قبلت نذيرى

وقال حسان بن ثابت فى بنى قريظة

لقد لقيت قريظة ما ساءها * وحل بحصنها ذل ذليل
وسعد كان أنذرهم بنصح * بان الهكم رب جليل
فما برحوا بنقض العهد حتى * فلاهم فى بلادهم الرسول
أحاط بحصنهم منا صفوف * له من حر وقعتهم صليل

وقال حسان بن ثابت أيضا فى يوم بنى قريظة

تفاقد معشر نصروا قريشا * وليس لهم ببلدتهم نصير
هم أوتوا الكتاب فضيعوه * وهم عمى من التوراة بور
كفرتم بالقرآن وقد أتيتم * بتصديق الذى قال النذير
(٢٠٩)
فهان على سراة بنى لؤى * حريق بالبويرة مستطير

فاجابه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب فقال

﴿ مقتل ابن أبى الحقيق ﴾
ذكر فيه النفر الخمسة الذين قتلوه وسماهم وذكر فيهم ابن عقبة اسعد بن حرام ولا يعرف أحد ذكره غيره * وذكر

أدام الله ذلك من صنيع * وحرق فى طوائفها السعير
ستعلم أينا منها بنزه * وتعلم أى أراضينا تضير
فلو كان النخيل بها ركابا * لقالوا لا مقام لكم فسيروا

وأجابه جبل بن جوال الثعلبى أيضا وبكى النضير وقريظة فقال

الا يا سعد سعد بنى معاذ * لما لقيت قريظة والنضير
لعمرك ان سعد بنى معاذ * غداة تحملوا لهو الصبور
فاما الخزرجى أبو حباب * فقال لقينقاع لا تسيروا
وبدلت الموالى من حضير * أسيدا والدوائر قد تدور
وأقفرت البويرة من سلام * وسعية بن أخطب فهى بور
وقد كانوا ببلدتهم ثقالا * كما ثقلت بميطان الصخور
فان يهلك أبو حكم سلام * فلا رث السلاح ولا دثور
وكل الكاهنين وكان فيهم * مع اللين الخضارمة الصقور
وجدنا المجد قد ثبتوا عليه * بمجد لا تغيبه البدور
أقيموا يا سراة الاوس فيها * كانكم من المخزاة عور
تركتم قدركم لاشىء فيها * وقدر القوم حامية تفور

*قال ابن اسحق ولما انقضى شأن الخندق وأمر بنى قريظة وكان سلام بن أبى الحقيق وهو أبو رافع فيمن حزب الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الاشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه استأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل سلام بن أبى الحقيق وهو بخيبر فاذن لهم

﴿ مقتل سلام بن أبى الحقيق ﴾

* قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبد الله بن كعب بن مالك قال وكان مما صنع الله به لرسوله صلى الله عليه وسلم ان هذين الحيين من الانصار الاوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين لا تصنع الاوس شيا فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء الا قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسلام قال فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها واذا فعلت الخزرج شيا قالت الاوس مثل ذلك ولما أصابت الاوس كعب بن الاشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج والله لا يذهبون بها فضلا علينا أبدا قال فتذاكروا من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الاشرف فذكروا ابن أبى الحقيق وهو بخيبر فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتله فاذن لهم فخرج اليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحرث بن ربعى وخزاعى بن أسود حليف لهم من أسلم فخرجوا وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله

ابن عتيك ونهاهم ان يقتلوا وليدا أو امرأة فخرجوا حتى اذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلا فلم يدعوا بيتا في الدار الا أغلقوه على أهله قال وكان في علية له اليها عجلة قال فاسندوا فيها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا عليه فخرجت اليهم امرأته فقالت من أنتم قالوا اناس من العرب نلتمس الميرة قالت ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه قال فلما دخلنا عليه أغلقنا علينا وعليها الحجرة تخوفا أن تكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه قالت فصاحت امرأته فنوهت بنا وابتدرناه وهو على فراشه باسيافنا فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل الا بياضه كأنه قبطية ملقاة قال ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده ولولا ذلك لفرغنا منها بليل قال فلما ضربناه باسيافنا تحامل عليه عبدالله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول قطني قطني أي حسبي حسبي قال وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيء البصر قال فوقع من الدرجة فوثئت يده وثأ شديدا ويقال رجله فيما قال ابن هشام وحملناه حتى نأتي منهرا من عيونهم فندخل فيه قال فأوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبونا قال حتى اذا يئسوا رجعوا الى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضي بينهم قال فقلنا كيف لنا بان نعلم بان عدو الله قد مات قال فقال لنا رجل منا أنا أذهب فانظر لكم قال فانطلق حتى دخل في الناس قال فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول اما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي وقلت أنى ابن عتيك بهذه البلاد ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت فاظ واله يهود فما سمعت من كلمة كانت ألذ الى نفسي منها قال ثم جاءنا فاخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على اسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده في قتله كلنا يدعيه قال فقال رسول صلى الله عليه وسلم هاتوا أسيافكم قال فجئناه بها فنظر اليها فقال لسيف عبدالله بن أنيس هذا قتله أرى فيه أثر الطعام * قال ابن اسحق فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الاشرف وقتل سلام بن أبي الحقيق

لله در عصابة لاقيتهم * يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الاشرف

يسرون بالبيض الخفاف اليكم * مرحا كأسد في عرين مغرف

حتى أتوكم في محل بلادكم * فسقوكم حتفا ببيض ذفف

مستنصرين لنصر دين نبيهم * مستصغرين لكل أمر مجحف

« قال ابن هشام » قوله ذفف عن غير ابن اسحق

في الحديث قطني قطني قال معناه حسبي حسبي (قال المؤلف) وهذه الكلمة أصلها من القط وهو القطع ثم خففت وأجريت مجرى الحرف وكذلك قد بمعنى قط هي أيضا من القد وهو القطع طولا والقط بالطاء هو القطع عرضا يقال ان عليا رحمه الله كان اذا استعلى الفارس قده واذا استعرضه قطه ولما كان الشيء الكافي الذي لا يحتاج معه الى غيره يدعوا الى قطع الطلب وترك المزيد جعلوا قد وقط تشعر بهذا المعنى فاذا ذكرت نفسك قلت قدي وقطي كما تقول حسبي وان شئت ألحقت نونا فقلت قدني وذلك من أجل سكون آخرها فكرهوا تحريكه من اجل الياء كما كرهوا تحريك آخر الفعل فقالوا ضربني وكذلك كرهوا تحريك آخر ليت فقالوا ليتني وقد يقولون ليتي وهو قليل وقالوا لعلني ولعلي وقالوا من لدني فادخلوها على الياء المخفوضة بالظرف كما أدخلوها على الياء المخفوضة بمن وعن فعلوا هذا أو قاية لاواخر هذه الكلم من الخفض وخصوا النون بهذا لانها اذا كانت تنوينا في آخر الاسم آذنت بامتناع الاضافة وكذلك في هذه المواطن التي سميناتشعر بامتناعها من الخفض وتشعر في الفعل والحروف بامتناعها من الاضافة أيضا لان الحرف لا يضاف وكذلك الفعل مع ان النون من علامات الاضمار في فعلنا وفعلنا في ضمير المفعول فاما قد وقط فاسمان وكذلك لدن ولكن كرهوا تحريك أواخرها لشبهها بالحروف (فان قيل) فما موضع ني من قوله قطني (قلنا) موضعها خفض بالاضافة كما هي في لدني ﴿فان قلت﴾ كيف تكون ضمير المفعول والمنصوب في ضربني وليتني ثم تقول انها في موضع خفض (قلنا) الضمير في الحقيقة هي الياء وحدها في الخفض والنصب كما ان الكاف والهاء كذلك وقد قالوا مني وعني وهو ضمير خفض وفيه النون وقالوا ليتي ولعلي وهو ضمير نصب وليس فيه نون (فان قيل) فما موضع الاسم من الاعراب اذا قلت قطي وقدي (قلنا) اعرابهما كاعراب حسبي مبتدأ وخبره محذوف وانما لزم حذف خبره لما دخله من معنى الامر ومن هذا الباب قول جهنم أعاذنا الله منها قطي وعزتك قطي ويروى قطني وذلك بعد قولها هل من مزيد فاذا وضعت فيها القدم وزوى بعضها الى بعض قالت قطني وقد جمع الشاعر بين اللغتين فقال * قدني من نصر الخبيبين قدي *
فهذا ما في قط التي هي بمعنى حسبي فاما قط المبنية على الضم فهي ظرف لما مضى وهي تقال بالتخفيف والتثقيل وهي من القط أيضا الذي بمعنى القطع وفي مقابلتها في المستقبل عوض ما فعلته قط ولا أفعله عوض مثل قبل وبعد

﴿ اسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ﴾ * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن راشد مولى حبيب بن أوس الثقفى عن حبيب بن أبى أوس الثقفى قال حدثنى عمرو بن العاص من فيه قال لما انصرفنا مع الاحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيى و يسمعون منى فقلت لهم تعلمون والله انى أرى أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا وانى لقد رأيت أمرا فما ترون فيه قالوا وماذا رأيت قال رأيت ان نلحق بالنجاشى فنكون عنده فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى فانا أن نكون تحت يديه أحب الينا من أن نكون تحت يدى محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم الا خير قالوا ان هذا الرأى قلت فاجمعوا لنا ما نهديه له وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الادم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه اليه فى شأن جعفر وأصحابه قال فدخل عليه ثم خرج من عنده قال فقلت لاصحابى هذا عمرو بن أمية الضمرى لو قد دخلت على النجاشى لسألته اياه فاعطانيه فضربت عنقه فاذا فعلت ذلك رأت قريش انى قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد قال فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال مرحبا بصديقى أهديت الى من بلادك شيأ قال قلت نعم أيها الملك قد أهديت اليك أدما كثيرا قال ثم قربته اليه فاعجبه واشتهاه ثم قلت له ايها الملك انى قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فاعطنيه لاقتله فانه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا قال فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت انه قد كسره فلو انشقت لى الارض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت له أيها الملك والله لو ظننت انك تكره هذا ما سألتكه قال أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله قال قلت أيها الملك اكذاك هو قال ويحك يا عمرو أطعنى واتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قال قلت أفتبايعنى له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت الى اصحابى وقد حال رأيى عما كان عليه وكتمت أصحابى اسلامى ثم خرجت عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت أين يا أبا سليمان قال والله لقد استقام الميسم وان الرجل لنبى اذهب والله فاسلم فحتى متى قال قلت والله ما جئت الا لاسلم قال فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد فاسلم و بايع ثم دنوت فقلت يا رسول الله انى أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ولا أذكر ما تأخر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمرو بايع فان الاسلام يجب ما كان قبله وان الهجرة تجب ما كان قبلها قال فبايعته ثم انصرفت « قال ابن هشام » و يقال فان الاسلام يحت ما كان قبله وان الهجرة تحت ما كان قبلها * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة كان معهما أسلم حين أسلما * قال ابن اسحق فقال ابن الزبعرى السهمى

أنشد عثمان بن طلحة خلفنا * وملقى نعال القوم عند المقبل
وما عقد الآباء من كل حلفة * وما خالد من مثلها بمحلل
أمفتاح بيت غير بيتك تبتغى * وما تبتغى من مجد بيت مؤثل
فلا تامنن خالدا بعد هذه * وعثمان جاآ بالدهيم المعضل

وكان فتح قريظة فى ذى القعدة وصدر ذى الحجة و ولى تلك الحجة المشركون

﴿ اسلام عمرو بن العاصى وخالد بن الوليد رحمة الله عليهما ﴾

[روينا من طريق أبى بكر الخطيب باسناد يرفعه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقدم عليكم الليلة رجل حكيم فقدم عمرو بن العاص مهاجرا] ذكر فيه اجتماعه مع خالد فى الطريق وقول خالد له والله لقد استقام الميسم من رواه الميسم بالياء فهى العلامة أى قد تبين الامر واستقامت الدلالة ومن رواه المنسم بفتح الميم و بالنون فمعناه استقام الطريق ووجبت الهجرة والمنسم مقدم خف البعير وكنى به عن الطريق للتوجه به فيه وذكر الزبير خبر عمرو هذا وزاد فيه أن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة صحبهما فى تلك الطريق فلما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم قال عمرو وكنت أسن منهما فاردت أن أكيدهما فقدمتهما قبلى للبيعة فبايعا واشترطا ان يغفر من ذنبهما ما تقدم فاضمرت فى نفسى ان نبايع على ان يغفر الله من ذنبى ما تقدم وما تأخر فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبى وانسيت أن أقول وما تأخر * وذكر فيه قدوم عمرو بن أمية الضمرى على النجاشى بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم وكان فى الكتاب ما تكلم به عمرو بن أمية فانه لما قدم عليه قال له يا أصحمة ان على القول وعليك الاستماع انك كانك فى الرقة علينا منا وكانا بالثقة بك منك لانا لم نظن بك خيرا قط الا نلناه ولم نخفك على شىء قط الا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من فيك الانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفى ذلك وقع الحز واصابة المفصل والا فانت فى هذا النبى الامى كاليهود فى عيسى بن مريم وقد فرق النبى عليه السلام رسله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر فقال النجاشى أشهد بالله انه النبى الامى الذى ينتظره

﴿ غزوة بني لحيان ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن أسحق المطلبي قال ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرا وشهري ربيع وخرج في جمادى الاولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة الى بني لحيان يطلب باصحاب الرجيع خبيب بن عدى وأصحابه وأظهر انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة فخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق فسلك على غراب جبل بناحية المدينة على طريق الشام ثم على مخيض ثم على البتراء ثم صفق ذات اليسار فخرج على بين ثم على صخيرات اليمام ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فاغذ السير سريعا حتى نزل على غران وهي منازل بني لحيان وغران واد بين امج وعسفان الى بلد يقال له ساية فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤس الجبال فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم واخطأه من غرتهم ما اراد قالوا لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة انا قد جئنا مكة فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم كر وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا فكان جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعا آيبون تائبون ان شاء الله لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والحديث عن غزوة بني لحيان عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر عن عبد الله بن كعب بن مالك فقال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان

لو أن بني لحيان كانوا تناظروا * لقوا عصبا في دارهم ذات مصدق
لقوا سرعانا يملأ السرب روعه * امام طحون كالمجرة فيلق
ولكنهم كانوا وبارا تتبعت * شعاب حجاز غير ذي متنفق

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يقم بها الا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل من غطفان على لقاح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة وفيها رجل من بني غفار وامرأة له فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح

أهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وان العيان له ليس باشفى من الخبر عنه ولكن أعواني من الحبش قليل فانظرني حتى أكثر الاعوان وألين القلوب وسنذكر فيما بعد ان شاء الله ماقالته أرسال النبي صلى الله عليه وسلم الى الملوك وماردت عليها فان دحية كان رسوله الى قيصر وخارجة بن حذافة كان رسوله الى كسرى وشجاع بن وهب الى جبلة بن الايهم الغساني وسليط بن عمرو الى هوذة بن على الحنفي صاحب اليمامة والعلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى والمهاجر بن أبي أمية الى الحارث بن عبد كلال وعمرو بن العاصي الى الجلندي صاحب عمان وحاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس صاحب مصر وعمرو بن أمية الى النجاشي كما تقدم ولكل واحد منهم كلام قاله وشعر نظمه سنذكره بعد ان شاء الله

﴿ فصل ﴾ وما وقع في أشعار السيرة من ذكر السمهرية من الرماح فمنسوبة الى سمهر وكان صنعا فيما زعموا يصنع الرماح وكانت امرأته ردينة تبيعهما فقيل للرماح الردينية لذلك وأما الماسخي من القسي فمنسوبة الى ماسخة واسمه نبيشة بن الحارث أحد بني نصر بن الازد وقال الجعدى

بعيس تعطف أعناقها * كما عطف الماسخي القيانا

وقد تنسب القسي أيضا الى زارة وهي امرأة ماسخة قال صخر الغي

سمحة من قسي زرارة حمـ * ـراء هتوف عدادها غرد

من كتاب النبات للدينوري واليزنية منسوبة الى عبيد الطعان وهو المعروف بزن بن هماذى والماذية منسوبة الى ماذى بن يافث بن نوح قاله الطبرى وزعم ان أول من عمل السيوف جم وهو رابع ملوك الارض

﴿ غزوة بني لحيان ﴾

ليس فيها مايشكل وفيها من شعر حسان * لقوا سرعانا يملأ السرب روعه * سرعان الناس سباقهم والسرب المال الراعي كانه جمع سارب ويقال هو آمن في سربه اذا لم يذعر ولا خاف على ماله من الغارة ومن قال في سربه بكسر السين فهو مثل لان السرب هو القطيع من الوحش والطير فمعنى آمن في سربه أى لم يذعر هو نفسه ولا ذعر أهله ولهذا المعنى أشار من قال من أهل اللغة معنى في سربه أى في نفسه لم يرد ان النفس يقال لها سرب وانما أراد انه لم يذعر هو ولا من معه لا كالآخر الذي تقدم ذكره وقيل فيه آمن في سربه بفتح السين فكان الواحد آمن في ماله والآخر آمن في نفسه ويقال في سربه أى في طريقه أيضا * وقوله * أمام طحون كالمجرة فيلق * يعني كتيبة جعلها كالمجرة للمعان السيوف والاسنة فيها كالنجوم حول المجرة

* قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك كل قد حدث عن غزوة ذى قرد بعض الحديث انه كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الاكوع الاسلمى غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده حتى اذا علا ثنية الوداع نظر الى بعض خيولهم فاشرف فى ناحية سلع ثم صرخ واصباحاه ثم خرج يشتد فى آثار القوم وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم فجعل يردهم بالنبل ويقول اذا رمى خذها وانا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ثم عارضهم فاذا أمكنه الرمى رمى ثم قال خـذها وانا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع قال فيقول قائلهم أو يكنا هو أول النهار قال و بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الاكوع فصرخ بالمدينة الفزع الفزع فترامت الخيول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أول من انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان المقداد بن عمرو وهو الذى يقال له المقداد بن الاسود حليف بنى زهرة ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقداد من الانصار عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء أحد بنى عبد الاشهل وسعد بن زيد أحد بنى كعب بن عبد الاشهل وأسيد بن ظهير أخو بنى حارثة بن الحرث يشك فيه وعكاشة بن محصن أخو بنى أسد بن خزيمة ومحرز بن نضلة أخو بنى أسد بن خزيمة وأبو قتادة الحرث بن ربعى أخو بنى سلمة وأبو عياش وهو عبيد بن زيد بن الصامت أخو بنى زريق فلما اجتمعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد فيما بلغنى ثم قال اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى عن رجال من بنى زريق لابى عياش يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك فلحق بالقوم قال أبو عياش فقلت يا رسول الله أنا أفرس الناس ثم ضربت الفرس فوالله ماجرى بى خمسين ذراعا حتى طرحنى فعجبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أعطيته أفرس منك وأنا أقول أنا أفرس الناس فزعم رجال من بنى زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فرس أبى عياش معاذ بن ماعص او عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة وكان ثامنا

المجرة لان النجوم وأكثرما تكون حولها وقد قيل ان المجرة نفسها نجوم صغار متلاصقة فبياض المجرة من بياض تلك النجوم وقد روى فى حديث منقطع ان المجرة التى فى السماء هى من لعاب حية تحت العرش وفى حديث معاذ بن جبل أن النبى صلى الله عليه وسلم حين بعثه الى اليمن قال له انك ستقدم على قوم يسئلونك عن المجرة فقل لهم هى من عرق الافعى التى تحت العرش لكن أسناد هذا الحديث ضعيف عند أهل النقل لا يعرج عليه ذكره العقيلى وعن على انها شرج السماء الذى تنشق منه وأما قول المنجمين غير الاسلاميين فى معنى المجرة فذكرهم الناضى فى النقض الكبير نحوا من عشرة أقوال وأكثرها مايجوزه العقل ومنها ماهو شبه الهذيان والله أعلم ويجوز ان يكون قوله كالمجرة أى أثر هذه الكتيبة الطحون كاثر المجرة تفشر مامرت عليه وتكنسه والفيلق فيعل من الفلق وهى الداهية كانها تفلق القلوب وهى الفالقة أيضاً قال ابن أحمر

قد طرقت ببكرها أم طبق * فذروه خبرا ضخم العنق

فقيل وماذاك فقال * موت الامام فلقة من الفلق *

﴿ غزوة ذى قرد ﴾

ويقال فيه قرد بضمتين هكذا ألفيته مقيدا عن أبى على والقرد فى اللغة الصوف الردىء يقال فى مثل عثرت على الغزل بآخرة فلم تدع بنجد قردة وذكر ابن اسحق فى هذه الغزوة أسماء خيل جماعة ممن حضرها فذكر بعزجة فرس المقداد والبعزجة شدة جرى فى مغالبة كانه منحوت من بعج اذا شق وعز أى غلب وأما سبحة فمن سبح اذا علا علوا فى اتساع ومنه سبحان الله وسبحات الله عظمته وعلوه لان الناظر المفكر فى سبحاته يسبح فى بحر لا ساحل له وقد ذكرنا فى معنى هذه الكلمة حقائق ودقائق أسرار فى شرح سبحان الله وبحمده وأما حزوة فمن حزوت الطير اذا زجرتها أو من حزوت الشىء اذا أظهرته قال الشاعر

ترى الامعز المحزو فيه كانه * من الحر واستقباله الشمس مسطح

وجلوة من جلوت السيف وجلوت العروس كانها تجلو الغم عن قلب صاحبها ومسنون من سننت الحديدة اذا صقلتها * وذكر سلمة بن الاكوع واسم الاكوع سنان وخبر سلمة فى ذلك اليوم أطول مما ذكره ابن اسحق وأعجب فانه استلب وحده فى ذلك اليوم من العدو وهو راجل قبل أن تلحق به الخيل ثلاثين بردة وثلاثين درقة وقتل منهم بالنبل كثيرا فكلما هربوا أدركهم وكلما راموه أفلت منهم وشهرة حديثه تغنى عن سرده فانه فى كتب الحديث المشهورة وقيل ان سلمة هذا هو الذى كلمه الذئب وقيل ان الذى كلمه الذئب هو اهبان بن صيفى وهو حديث مشهور * وقوله اليوم يوم الرضع يريد يوم اللئام أى يوم جبنهم وفى قولهم لئيم

و بعض الناس يعد سلمة بن عمرو بن الاكوع أحد الثمانية ويطرح أسيد بن ظهير أخا بني حارثة والله أعلم أي ذلك كان ولم يكن سلمة يومئذ فارسا قد كان أول من لحق بالقوم على رجليه فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا * قال ابن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ان أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة أخو بني أسد بن خزيمة وكان يقال لمحرز الاخرم ويقال له قمير وان الفزع لما كان جال فرس لمحمود بن مسلمة في الحائط حين سمع صاهلة الخيل وكان فرسا صنيعا جاما فقال نساء من نساء بني عبد الاشهل حين رأين الفرس يجول في الحائط بجذع نخل هو مربوط فيه يا قمير هل لك في أن تركب هذا الفرس فانه كما ترى ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين قال نعم فاعطينه اياه فخرج عليه فلم يلبث ان بذ الخيل بجمامه حتى أدرك القوم فقتلهم بين أيديهم ثم قال قفوا يا معشر بني اللكيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والانصار قال وحمل عليه رجل منهم فقتله وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على آرية من بني عبد الاشهل فلم يقتل من المسلمين غيره «قال ابن هشام» وقتل يومئذ من المسلمين مع محرز وقاص بن محرز المدلجي فيما ذكر غير واحد من أهل العلم *قال ابن اسحق وكان اسم فرس محمود ذو اللمة «قال ابن هشام» وكان اسم فرس سعد بن زيد لاحق واسم فرس المقداد بعزجة

و يقال سبحة واسم فرس عكاشة بن محصن ذو اللمة واسم فرس أبي قتادة حزوة وفرس عباد بن بشر لماع وفرس أسيد بن ظهير مسنون وفرس أبي عياش جلوة * قال ابن اسحق وحدثني بعض من لا أتهم عن عبد الله ابن كعب بن مالك ان محرزا انما كان على فرس لعكاشة ابن محصن يقال له الجناح فقتل محرز واستلب الجناح ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحرث بن ربعي أخو بني سلمة حبيب بن عيينة بن حصن وغشاه برده ثم لحق بالناس وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين «قال ابن هشام» واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم * قال ابن اسحق فاذا حبيب مسجى ببرد أبي قتادة فاسترجع الناس وقالوا اقتل أبو قتادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بابي قتادة ولكنه قتيل لابي قتادة وضع عليه برده لتعرفوا انه صاحبه وأدرك عكاشة بن محصن أوبارا وابنه عمرو بن أوبار وهما على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذوا بعض اللقاح وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذي قرد وتلاحق به الناس فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به وأقام عليه يوما وليلة وقال له سلمة بن الاكوع يا رسول الله لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت باعناق القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني انهم الآن ليغبقون في غطفان فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه في كل مائة رجل جزورا وأقاموا عليها ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا حتى قدم المدينة وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من ابل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر فلما فرغت قالت يا رسول الله اني قد نذرت لله أن أنحرها ان نجاني الله عليها قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بئس ما جزيتها أن أحملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها انه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين انما هي ناقة من ابلي فارجعي الى أهلك على بركة الله والحديث على امرأة الغفاري وما قالت وما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي الزبير

راضع أقوال ذكرها ابن الانباري قيل الراضع هو الذي رضع اللؤم في ثدي أمه أي غدي به وقيل هو الذي يرضع ما بين أسنانه يستكثر من الجشع بذلك وشاهد هذا القول قول امرأة من العرب تذم رجلا انه لاكلة ثكلة يا كل من جشعه خلاله أي ما يتخلل بين أسنانه قال ابن قتيبة ولم أسمع في الجشع والحرص أبلغ من هذا ومن قولهم هو يثير الكلاب من مرابضها أي يلتمس تحتها عظما يتمرقه وقيل في اللئيم الراضع غير ما ذكرناه مما هو معروف عند الناس ومذكور في كتبهم وقوله اليوم يوم الرضع بالرفع فيهما وبنصب الاول ورفع الثاني حكى سيبويه اليوم يومك على أن تجعل اليوم ظرفا في موضع خبر للثاني لان ظروف الزمان يخبر بها عن زمان مثلها اذا كان الظرف يتسع ولا يضيق على الثاني مثل أن تقول الساعة يومك وقد قيل في قوله تعالى «فذلك يومئذ يوم عسير» أن يومئذ ظرف ليوم عسير وذلك أن ظروف الزمان أحداث وليست بجثث فلا يمتنع فيها مثل هذا كما لا يمتنع في سائر الاحداث *وقوله عليه السلام للغفارية واسمها ليلى ويقال هي امرأة أبي ذر حين أخبرته انها نذرت ان الله نجاها عليها أن تنحرها قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بئس ما جزيتها ان حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها انه لا نذر في معصية الله ولا في مالا تملكين فيه حجة للشافعي ومن قال بقوله ان ما أحرزه العدو من مال انه لهم بلا ثمن قبل القسم وبعده لانه لا يخرجه من ملكه حوز العدو له وقال مالك هو أولى به قبل القسم وصاحبه بعد القسم أولى به بالثمن وفيه قولان آخران لاهل العراق *وقوله عليه السلام انه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين وقوله عليه السلام لا نذر لاحد فيما لا يملك ولا طلاق لاحد فيما لا يملك ولا عتق لاحد فيما لا يملك حديث مروي من طريق عبد الله بن عمرو ومن طريق أبي هريرة

المكي عن الحسن بن أبي الحسن البصري وكان مما قيل من الشعر في يوم ذي قرد قول حسان بن ثابت

لولا الذي لاقت ومس نسورها * بجنوب ساية أمس في التقواد
للقيتكم يحملن كل مدجج * حامي الحقيقة ماجد الاجداد
ولسر أولاد اللقيطة أننا * سلم غداة فوارس المقداد
كنا ثمانية وكانوا جحفلا * لجبا فشكوا بالرماح بداد
كنا من القوم الذين يلونهم * ويقدمون عنان كل جواد
كلا (٢١٥) ورب الراقصات الى منى * يقطعن عرض مخارم الاطواد
حتى نبيل الخيل في عرصاتكم * ونؤوب بالملكات والاولاد
رهوا بكل مقلص وطمرة * في كل معترك عطفن رواد
أفنى دوابرها ولاح متونها * يوم تقاد به ويوم طراد
فكذاك ان جيادنا ملبونة * والحرب مشعلة بريح غواد
وسيوفنا بيض الحدائد تجتلي * جنن الحديد وهامة المرتاد
أخذ الاله عليهم لحرامه * ولعزة الرحمن بالاسداد
كانوا بدار ناعمين فبدلوا * أيام ذي قرد وجوه عناد

«قال ابن هشام» فلما قالها حسان غضب عليه سعد بن زيد وحلف أن لا يكلمه أبدا قال انطلق الى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد فاعتذر اليه حسان قال والله ماذاك أردت ولكن الروي وافق اسم المقداد وقال أبياتا يرضي بها سعدا

اذا أردتم الاشد الجلدا * أو ذا غناء فعليكم سعدا * سعد بن زيد لا يهد هدا

فلم يقبل منه سعد ولم يغن شيا وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد

أظن عيينة اذ زارها * بان سوف يهدم فيها قصورا
فأكذبت ما كنت صدقته * وقلتم سنغنم امرا كبيرا
فعفت المدينة اذ زرتها * وآنست للاسد فيها زئيرا

هريرة ولكنه لم يخرج في الصحيحين لعلل في أسانيده وقد قال بهذا الحديث ان لا طلاق قبل الملك جماعة من الصحابة وفقهاء التابعين وفقهاء الامصار وسواء عندهم عين امرأة أو لم يعين واليه مال البخاري رحمه الله و رواه ابن كنانة عن مالك وابن وهب واحتج ابن عباس في هذه المسئلة بقوله تعالى «اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن» قال فاذا لا طلاق الا بعد نكاح وقال شريك القاضي النكاح عقد والطلاق حل فلا يكون الحل الا بعد العقد * وذكر شعر حسان * لولا الذي لاقت ومس نسورها * يعني الخيل والنسر كالنواة في باطن الحافر وفي الفرس عشرون عضوا كل عضو منها يسمى باسم طائر فمنها النسر والنعامة والهامة والسمامة والسعدانة وهي الحمامة والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصرد والصقر والخرب والناهض وهو فرخ العقاب والخطاف ذكرها وبقيتها الاصمعي وروى فيها شعرا لابي حزرة جرير وهو

وأقب كالسرحان تم له * ما بين هامته الى النسر
رحبت نعامته ووفر فرخه * وتمكن الصردان في النحر
وأناف بالعصفور في سعف * هام اشم موثق الجذر
وازدان بالديكين صلصله * ونبت دجاجته عن الصدر
والناهضان أمر جلزهما * فكأنما عثما على كسر
مسحنفر الجنبين ملتئم * ما بين شيمته الى الغر
وصفت سماناه وحافره * وأديمه ومنابت الشعر
وسما الغراب لموقعيه معا * فأبين بينهما على قدر
واكتن دون قبيحه خطافه * ونأت سمامته على الصقر
وتقدمت عنه القطاة له * فنأت بموقعها عن الحر
وسما على نقويه دون حداته * خربان بينهما مدى الشبر
يدع الرضيم اذا جرى فلقا * بتوائم كمواسم سمر
ركبن في محض الشوى سبط * كفت الوثوب مشدد الاسر

وقوله فشكوا بالرماح بداد يريد من التبدد وهو التفرق وهو في موضع نصب غير انه مبني ونصبه كانتصاب المصدر اذا قلت مشيت القهقرى وقعدت القرفصاء وكأنه قال طعنوا الطعنة التي يقال لها بداد و بداد مثل فجار من قوله احتملت فجار جعلوه اسما علما للمصدر كما قالوا احتملت برة فجعل برة علما للبر وسر هذه العلمية في هذا الموطن انهم أرادوا الفعل الاتم الذي يسمى باسم ذلك الفعل حقيقة فقد يقول الانسان بر فلان وفجر أي قارب أن يفعل ذلك أو فعل منه بعضه فاذا قال فعلت برة فانما يريد البر الذي يسمى برا على الحقيقة فجاء

فولوا سراعا كشد النعا * مولم يكشفوا عن ملط حصيرا
رسول يصدق ماجاءه * و يتلوا كتابا مضيئا منيرا
أمير علينا رسول المليك أحبب بذاك الينا أميرا
وقال كعب بن مالك في يوم ذي قرد للفوارس
أيحسب أولاد اللقيطة أننا * على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس
وانا أناس لانرى القتل سبة * ولا ننثنى عند الرماح المداعس
وانا لنقرى الضيف من قمع الذرا * ونضرب رأس الابلخ المتشاوس
نرد كماة المعلمين اذا انتحوا * بضرب يسلى نخوة المتقاعس
بكل فتى حامى الحقيقة ماجد * كريم كسرحان الغضاة مخالس
يذودون عن احسابهم و بلادهم * ببيض تقد الهام تحت القوانس
فسائل بنى بدر اذا ما لقيتهم * بما فعل الاخوان يوم التمارس
اذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتمو * ولا تكتموا أخباركم فى المجالس
وقولوا زللنا عن مخالب خادر * به وحر فى الصدر مالم يمارس
« قال ابن هشام » أنشدنى بيته وانا لنقرى الضيف أبو زيد

* قال ابن اسحق وقال شداد بن عارض الجشمى فى يوم ذى قرد لعيينة بن حصن وكان عيينة بن حصن يكنى بابى مالك
فهلا كررت ابامالك * وخيلك مدبرة تقتل ذكرت الاياب الى عسجر * وهيهات

قد بعد المقفل
وطمنت نفسك ذا ميعة * مسح الفضاء اذا يرسل
اذا قبضه اليك الشما * ل جاش كما اضطرم المرجل
فلما عرفتم عباد الالـ * ـه لم ينظر الآخر الاول
عرفتم فوارس قد عودوا * طراد الكماة اذا سهلوا
اذا طردوا الخيل تشقى بهم * فضاحا وان يطردوا ينزلوا
فيعتصموا فى سواء المقا * م بالبيض أخلصها الصيقل

﴿ غزوة بنى المصطلق ﴾

* قال ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبا ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست « قال ابن هشام » واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى و يقال نميلة بن عبد الله الليثى * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى المصطلق يجمعون له وقائدهم الحرث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحرث زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج اليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بنى المصطلق وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فافاءهم عليه وقد أصيب رجل من المسلمين من بنى كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر يقال له هشام بن صبابة أصابه رجل من الانصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ وقال

بالاسم العلم الذى هو عبارة عن مسماه حقيقة اذلا يتصور هذا الضرب من المجاز فى الاعلام وكذلك اذا أراد الفجور على الحقيقة وأراد رفع المجاز سماه فجار تحقيقا للمعنى أى مثل هذه الفعلة ينبغى أن تسمى باسم الفجور حقيقة وكذلك قالوا فى النداء يا فساق و يا فسق فجاؤا بالصيغة المعروفة للعلمية مع النداء خاصة أى ان هذا الاسم ينبغى أن يكون اسمه الذى يدعى به اذ الاسم العلم ألزم لمسماه من اسم مشتق من فعل فعله لان الفعل لا يثبت والاسم العلم يثبت فهذا هو معزاهم فى هذه الاسماء التى هى على صيغ الاعلام فى هذه المواطن فتأملها وقد بسطنا هذا الغرض بسطا شافيا فى أسرار ما ينصرف ومالا ينصرف فلتنظر هنالك فثم ترى سر بنائها على الكسر مع ما يتصل بمعانيها ان شاء الله وألفيت فى حاشية الشيخ رحمه الله على قوله فشكوا بالرماح فشلوا باللام الرواية الصحيحة وحقيقة المعنى و وقع فى الاصلين فشكوا بالكاف كما فى هذا الاصل الى ههنا انتهى كلام الشيخ والشل باللام الطرد والشك بالكاف الطعن كما قال * شك الفريصة بالمدرى فانفذها * وقوله رهوا أى مشيا بسكون و يقال لمستنقع الماء أيضا رهو والرهو أسماء الكركى والرهو المرأة الواسعة * وقوله رادى أى تردى بفرسانها أى تسرع * وقول حسان فى خيل عيينة

فولوا سراعا كشد النعا * م لم يكشفوا عن ملط حصيرا

أى لم يغنموا بعيرا ولا كشفوا عنه حصيرا يعنى بالحصير ما يكتنف به حول الابل من عيدان الحظيرة والملط من قولهم لطت الناقة وألطت بذنبها اذا أدخلته بين رجليها

﴿ غزوة بنى المصطلق ﴾

وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة فجذيمة هو المصطلق وهو مفتعل من الصلق وهو رفع الصوت * وذكر المريسيع وهو ماء لخزاعة وهو من قولهم رسعت عين الرجل اذا دمعت من فساد * وذكر سنان بن وبرة

الجهني يامعشر الانصار وصرخ جهجاه يامعشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث فقال أوقد فعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعدنا وجلابيب قريش هذه الا كما قال الاول سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال مر به عباد بن بشر فليقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف ياعمر اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه لا ولكن أذن بالرحيل في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ان زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به وكان في قومه شريفا عظيما فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار من أصحابه يارسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل حدبا على ابن أبي بن سلول ودفعا عنه * قال ابن اسحق فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يانبي الله والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوما بلغك ما قال صاحبكم قال وأي صاحب يارسول الله قال عبد الله بن أبي قال وما قال قال زعم انه ان رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الاذل قال فأنت يارسول الله والله تخرجه منها ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال يارسول الله ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى أنك قد استلبته ملكا ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا ان وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالامس من حديث عبد الله بن أبي ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له بقعاء فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبت على الناس ريح شديدة آذتهم وتخوفوها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوها فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع وكان عظيما من عظماء يهود وكهفا للمنافقين مات في ذلك اليوم ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن كان على مثل أمره فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد بن أرقم ثم قال هذا الذي أوفى لله باذنه وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي

وقال غيره هو سنان بن تيم من جهينة بن سود بن أسلم حليف الانصار *وذكر انه نادى ياللانصار ونادى جهجاه الغفاري ياللمهاجرين ولم يذكر ما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعهما وفي الصحيح انه عليه السلام حين سمعهما منهما قال دعوها فانها منتنة يعني انها كلمة خبيثة لانها من دعوى الجاهلية وجعل الله المؤمنين اخوة وحزبا واحدا فانما ينبغي أن تكون الدعوة ياللمسلمين فمن دعا في الاسلام بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال أحدها أن يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطا اقتداء بأبي موسى الاشعري في جلده النابغة الجعدي خمسين سوطا حين سمع يالعامر فاقبل يشتد بعصبة له والقول الثاني ان فيها الجلد دون العشرة لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة الا في حد والقول الثالث اجتهاد الامام في ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعة واغلاق باب الشر اما بالوعيد واما بالسجن واما بالجلد (فان قيل) ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعاقب الرجلين حين دعوا بها (قلنا) قد قال دعوها فانها منتنة فقد أكد النهي فمن عاد اليها بعد هذا النهي وبعد وصف النبي صلى الله عليه وسلم لها بالانتان وجب أن يؤدب حتى يشم نتنها كما فعل أبو موسى رحمه الله بالجعدي فلا معنى لنتنها الا سوء العاقبة فيها والعقوبة عليها وأما جهجاه فهو ابن مسعود بن سعد بن حرام وهو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء وهو كان صاحب هذه القصة فيما روى ابن أبي شيبة والبزار وقد قيل ايضا ان الرجل الذي قال فيه عليه السلام هذه المقالة هو ثمامة بن أثال الحنفي ذكره ابن اسحاق وقيل بل هو أبو بصرة الغفاري قاله أبو عبيد ومات جهجاه هذا بعد قتل عثمان رحمه الله أخذته الاكلة في ركبته فمات منها وكان قد كسر بركبته عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان يخطب بها وذلك انه انتزعها من عثمان حين أخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه فكان هو أحد المعينين عليه حتى كسر العصا على ركبته فيما ذكروا فابتلي بما ابتلي به من الاكلة نعوذ بالله من عقوبته ونستجير به من الاهواء المضلة *وذكر مقالة عبد الله بن أبي وان ابنه عبد الله بن عبد الله استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه من أجل

الذى كان من أمر ابيه * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان عبد الله أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه فان كنت لابد فاعلا فمرنى به فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى وانى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى انظر الى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته مابقى معنا وجعل بعد ذلك اذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعنفونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم كيف ترى ياعمر اما والله لو قتلته يوم قلت لى أقتله لأرعدت له آنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته قال قال عمر قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى * قال ابن اسحق وقدم مقيس بن صبابة من مكة مسلما فيما يظهر فقال يارسول الله جئتك مسلما وجئتك أطلب دية أخى قتل خطأ فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن صبابة فاقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج الى مكة مرتدا فقال فى شعر يقوله

شفى النفس ان قد بات بالقاع مسندا * يضرج ثوبيه دماء الاخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله * تلم فتحمينى وطاء المضاجع
حللت به وترى وأدركت ثؤرتى * وكنت الى الاوثان أول راجع
ثأرت به فهرا وحملت عقله * سراة بنى النجار أرباب فارع

وقال مقيس بن صبابة أيضا

جللته ضربة باتت لها وشل * من ناقع الجوف يعلوه وينصرم
فقلت والموت تغشاه أسرته * لاتأمنن بنى بكر اذا ظلموا

تلك المقالة وفى هذا العلم العظيم والبرهان النير من أعلام النبوة فان العرب كانت أشد خلق الله حمية وتعصبا فبلغ الايمان منهم ونور اليقين من قلوبهم الى أن يرغب الرجل منهم فى قتل أبيه وولده تقربا الى الله وتزلفا الى رسوله مع ان الرسول عليه السلام أبعد الناس نسبا منهم وما تأخر اسلام قومه وبنى عمه وسبق الى الايمان به الاباعد الا لحكمة عظيمة اذ لو بادر أهله وأقربوه الى الايمان به لقيل قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم أو من غيرهم علم ان ذلك عن بصيرة صادقة ويقين قد تغلغل فى قلوبهم ورهبة من الله أزالت صفة قد كانت سدكت فى نفوسهم من أخلاق الجاهلية لا يستطيع ازالتها الا الذى فطر الفطرة الاولى وهو القادر على مايشاء وأما عبد الله بن عبد الله فكان من كتاب النبى صلى الله عليه وسلم وكان اسمه حباب وبه كان يكنى أبوه فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله مات شهيدا باليمامة رضى الله عنه وروى الدارقطنى مسندا ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على جماعة فيهم عبد الله بن أبى فسلم عليهم ثم ولى فقال عبد الله لقد عتا ابن أبى كبشة فى هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله فاستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى أن يأتيه برأس أبيه فقال لا ولكن برأباك وذكر ابن اسحاق فى هذا الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم حين بلغته مقالة عبد الله بن أبى متن الناس يومهم ذلك ويروى مشى فامامتن فقال صاحب العين يقال سار واسيرا ممتنا أى بعيدا

﴿ فصل ﴾ وذكر جويرية بنت الحارث ووقوعها فى السهم لثابت بن قيس أولابن عم له ثم جاءت تستعين فى كتابتها قالت عائشة وكانت امرأة حلوة ملاحة الملاح أبلغ من المليح فى كلام العرب وكذلك

الوضاء

« قال ابن هشام » وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق يامنصور أمت أمت * قال ابن اسحق وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناس وقتل على بن أبى طالب رضوان الله عليه منهم رجلين مالكا وابنه وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلا من فرسانهم يقال له أحمر أو احيمر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سبيا كثيرا فشا قسمه فى المسلمين وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحرث بن أبى ضرار زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحرث فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس أولابن عم له فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة ملاحة لايراها أحد الا أخذت بنفسه فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها قالت عائشة فوالله ماهو الا ان رأيتها على باب حجرتى فكرهتها وعرفت انه سيرى منها صلى الله عليه وسلم ما رأيت فدخلت عليه فقالت يارسول الله أنا جويرية بنت الحرث بن أبى ضرار سيد قومه وقد أصابنى من البلاء مالم يخف عليك فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس أولابن عم له فكاتبته على نفسى فجئتك أستعينك على كتابتى قال فهل لك فى خير من ذلك قالت وماهو يارسول الله قال أقضى عنك كتابتك وأتزوجك قالت نعم يارسول الله قال قد فعلت قالت وخرج الخبر الى الناس أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية ابنة الحرث فقال الناس أصهار رسول صلى الله عليه وسلم وأرسلوا ما بأيديهم قالت فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها * قال ابن اسحق وحدثني يزيد بن رومان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم بعد اسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط فلما سمعوا به ركبوا اليه فلما سمع بهم هابهم فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره ان القوم قد هموا بقتله ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم فاكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يغزوهم فبيناهم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله سمعنا برسولك حين بعثته الينا فخرجنا اليه لنكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من الصدقة فانشمر راجعا فبلغنا انه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا اليه لنقتله والله ما جئنا لذلك فأنزل الله تعالى فيه وفيهم يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم الى آخر الآية وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك كما حدثني من لا أتهم عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها حتى اذا كان قريبا من المدينة وكانت معه عائشة في سفره ذلك قال فيها أهل الافك ما قالوا

الوضاء أبلغ من الوضيء والكبار كذلك أبلغ من الكبير غير أنه لا يوصف الباري سبحانه بهذا اللفظ فيقال فيه كبار بمعنى كبير لانه على بنية الجمع نحو ضراب وشهاد فكان لفظ الكبير ونحوه أبعد من الاشتراك وأدل على الوحدانية والله أعلم وأما معنى الملاحة فذهب قوم الى انها من الملحة وهي البياض تقول العرب عنب ملاحي والصحيح في معنى المليح انه مستعار من قولهم طعام مليح اذا كان فيه من الملح بقدر ما يصلحه ولذلك اذا بالغوا في المدح قالوا مليح قزيح فمليح من ملحت القدر وقزيح من قزحتها اذا طيبت نهكتها بالافاويه وهي الاقزاح ويدلك على بعد هذا المعنى من البياض قولهم في الاسود مليح وفي العينين اذا اشتد سوادهما وحسنهما كما جاء في تفسير قوله سبحانه « وألقيت عليك محبة مني » انها ملاحة في العينين وقال الاصمعي الحسن في العينين والجمال في الانف والملاحة في الفم وقالت امرأة خالد بن صفوان لبعلها انك لجميل يا أبا صفوان فقال وكيف وليس عندي رداء الجمال ولا برنسه ولا عموده ثم قال عموده الطول وأنا ربعة وبرنسه سواد الشعر وأنا أشمط ورداؤه البياض وأنا آدم ولكن قولي انك مليح ظريف فعلمها ان الملاحة قد تكون من صفة الآدم فهي اذا ليست من معنى البياض في شيء وانما هي ضد المساسة *وقول عائشة في جويرية فوالله ما هو الا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها فيه ما كان عليه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من الغيرة عليه والعلم بموقع الجمال منه كما قد روي انه عليه السلام انه خطب امرأة فارسل عائشة لتنظر اليها فلما رجعت اليه قالت ما رأيت طائلا فقال بلى لقد رأيت خالا في خدها اقشعرت منه كل شعرة في جسدك وأما نظره عليه السلام لجويرية حتى عرف من حسنها ما عرف فانما ذلك لانها كانت امرأة مملوكة ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها لانه لا يكره النظر الى الاماء وجائز أن يكون نظر اليها لانه نوى نكاحها كما نظر الى المرأة التي قالت له اني قد وهبت نفسي لك يارسول الله فصعد فيها النظر ثم صوب ثم أنكحها من غيره وقد ثبت عنه عليه السلام الرخصة في النظر الى المرأة عند ارادة نكاحها وقال للمغيرة حين شاوره في نكاح امرأة لو نظرت اليها فان ذلك أحرى أن يدوم بينكما وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح ثبيتة بنت الضحاك وقد أجازه مالك في احدى الروايتين عنه ذكرها ابن أبي زيد وفي مسند البزار من طريق أبي بكرة لا حرج أن ينظر الرجل الى المرأة اذا أراد تزوجها وهي لا تشعر وفي تراجم البخاري النظر الى المرأة قبل التزويج وأورد في الباب قوله عليه السلام لعائشة أريتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حرير فكشفت عن وجهك فقال هذه امرأتك فقلت ان يكن من عند الله يمضه وهذا استدلال حسن وفي قوله ان يكن من عند الله سؤال لان رؤياه وحي فكيف يشك في انها من عند الله والجواب انه لم يشك في صحة الرؤيا ولكن الرؤيا قد تكون على ظاهرها وقد تكون لمن هو نظير المرء أو سميه فمن ها هنا تطرق الشك ما بين أن تكون على ظاهرها أو لها تأويل كذلك وسمعت شيخنا يقول في معنى هذا الحديث ولغيره فيه قول لا أرضاه فلا يخلو نظره عليه السلام اليها من أحد الامرين أو يكون ذلك قبل أن يضرب الحجاب والا فقد قال الله تعالى له « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » وهو امام المتقين وقدوة الورعين صلى الله عليه وسلم وأما جويرية فهي بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن ملك بن جذيمة وجذيمة هو المصطلق من خزاعة كان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية وقد روي مثل هذا في حديث ميمونة بنت الحارث وكذلك زينب بنت جحش كان اسمها برة أيضا وزينب بنت أبي سلمة ربيبته عليه السلام كان اسمها برة فسماهن جميع بغير ذلك الاسم توفيت جويرية في شهر ربيع الاول سنة ست أو خمس وخمسين من الهجرة وكانت قبل أن تسبى عند مسافع بن صفوان الخزاعي

﴿ خبر الافك فى غزوة بنى المصطلق ﴾ * قال ابن اسحق حدثنا الزهرى عن علقمة بن وقاص وعن سعيد بن جبير وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال كل قد حدثنى بعض هذا الحديث و بعض القوم كان أوعى له من بعض وقد جمعت لك الذى حدثنى القوم * قال محمد بن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة وعبد الله بن أبى بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهل الافك ماقالوا وكل قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعا يحدث بعضهم مالم يحدث صاحبه وكل كان عنها ثقة فكلهم حدث عنها بما سمع قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كانت غزوة بنى المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمى عليهن معه فخرج بى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان النساء اذ ذاك انما يأكلن العلق لم يهيجهن اللحم فيثقلن وكنت اذا رحل لى بعيرى جلست فى هودجى ثم يأتى القوم الذين يرحلون لى ويحملوننى فيأخذون باسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به قالت فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجه قافلا حتى اذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ثم أذن فى الناس بالرحيل فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتى وفى عنقى عقد لى فيه جزع ظفار فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى فلما رجعت الى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده وقد أخذ الناس فى الرحيل فرجعت الى مكانى الذى ذهبت اليه فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلافى الذين كانوا يرحلون لى البعير وقد فرغوا من رحلته فاخذوا الهودج وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع فاحتملوه فشدوه على البعير ولم يشكوا أنى فيه ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به فرجعت الى العسكر ومافيه من داع ولا مجيب قد انطلق الناس قالت فتلففت بجلبابى ثم اضطجعت فى مكانى وعرفت ان لو قد افتقدت لرجع الى

قالت فوالله انى لمضطجعة اذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجاته بها
فلم يبت مع الناس فرأى سوادى فاقبل حتى وقف على وقد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب فلما رآنى قال انا لله وانا اليه راجعون ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متلففة فى ثيابى قال ما خلفك يرحمك الله قالت فما كلمته ثم قرب البعير فقال اركبى واستأخر عنى قالت فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس فوالله ما ادركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى فقال أهل الافك ماقالوا فارتج العسكر ووالله ما أعلم بشىء من ذلك ثم قدمنا المدينة فلم ألبث ان اشتكيت شكوى شديدة ولا يبلغنى من ذلك شىء وقد انتهى الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أبوى لا يذكرون لى منه قليلا ولا كثيرا الا انى قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بى كنت اذا اشتكيت رحمنى ولطف بى فلم يفعل ذلك بى فى شكواى تلك فانكرت ذلك منه كان اذا دخل على وعندى أمى تمرضنى «قال ابن هشام» وهى أم رومان واسمها زينب بنت عبد دهمان أحد بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة قال كيف تيكم لا يزيد على ذلك * قال ابن اسحق قالت حتى وجدت فى نفسى فقلت يارسول الله حين رأيت ما رأيت من جفائه لى لو أذنت لى فانتقلت الى أمى فمرضتنى قال لا عليك قالت فانتقلت الى أمى ولا علم لى بشىء مما كان حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الاعاجم نعافها ونكرهها انما كنا نذهب فى فسح المدينة وانما كانت النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب

﴿ حديث الافك ﴾

فيه من الغريب قول عائشة والنساء يومئذ لم يهجهن اللحم فيثقلن التهييج انتفاخ فى الجسم قد يكون من سمن وقد يكون من آفة قال الاصمعى أو غيره هجمت على حى من العرب بواد خصيب واذا ألوانهم مصفرة ووجوههم مهيجة فقلت لهم ما بالكم واديكم أخصب واد وأنتم لا تشبهون الخاصب فقال لى شيخ منهم ان بلدنا ليست له ريح يريدان الجبال أحاطت به فلا تذهب الرياح وباءه ولا رمده * وفيه ذكر صفوان بن المعطل ابن ربيضة بن خزاعى بن محارب بن مرة بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمى ثم الذكوانى يكنى أبا عمرو وكان يكون على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به ولذلك تخلف فى هذا الحديث الذى قال فيه أهل الافك ماقالوا وقد روى فى تخلفه سبب آخر وهو انه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ويشهد لصحة هذا حديث أبى داود ان امرأة صفوان اشتكت به الى النبى صلى الله عليه وسلم وذكرت أشياء منها انه لا يصلى الصبح فقال صفوان يارسول الله انى امرؤ ثقيل الرأس لا أستيقظ حتى تطلع الشمس فقال له النبى عليه السلام فاذا استيقظت فصل وقد ضعف البزار حديث أبى داود هذا فى مسنده وقتل صفوان بن المعطل شهيدا فى خلافة معاوية واندقت رجله يوم قتل فطاعن

أبن سعد بن تيم خالة أبى بكر الصديق رضى الله عنه قالت فوالله انها لتمشى معى اذ عثرت فى مرطها فقالت تعس مسطح ومسطح لقب واسمه عوف قالت قلت بئس لعمر الله ماقلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرا قالت أوما بلغك الخبر يابنت أبى بكر قالت قلت وما الخبر فاخبرتنى بالذى كان من قول أهل الافك قالت قلت أوكان هذا قالت نعم والله لقد كان قالت فوالله ماقدرت على ان أقضى حاجتى ورجعت فوالله مازلت أبكى حتى ظننت ان البكاء سيصدع كبدى قالت وقلت لامى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيأ قالت أى بنية خفضى عليك الشأن فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر الا كثرن وكثر الناس عليها قالت وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس مابال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق والله ماعلمت منهم الا خيرا ويقولون ذلك لرجل والله ماعلمت منه الا خيرا ومايدخل بيتا من بيوتى الا وهو معى قالت وكان كبر ذلك عبد الله بن أبى بن سلول فى رجال من الخزرج مع الذى قال مسطح وحمنة بنت جحش وذلك ان أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن من نسائه امرأة تناصينى فى المنزلة عنده غيرها فاما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل الا خيرا وأما حمنة بنت جحش فاشاعت من ذلك ما أشاعت تضادنى لاختها فشقيت بذلك فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أسيد بن حضير يارسول الله ان يكونوا من الاوس نكفكهم وان يكونوا من اخواننا من الخزرج فمر بامرك فوالله انهم لاهل أن تضرب أعناقهم قالت فقام سعد بن عبادة وكان قبل ذلك يرى رجلا صالحا فقال كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم أما والله ماقلت هذه المقالة الا انك قد عرفت انهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ماقلت هذا فقال أسيد كذبت لعمر الله ولكنك منافق تجادل عن المنافقين قالت وتساور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الاوس والخزرج شر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على فدعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه واسامة بن زيد فاستشارهما فاما اسامة فاثنى على خيرا وقاله ثم قال يارسول الله أهلك ولا نعلم الا خيرا وهذا الكذب والباطل وأما على فانه قال يارسول الله ان النساء لكثير وانك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية فانها ستصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ليسألها قالت فقام اليها على بن أبى طالب فضربها ضربا شديدا ويقول اصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فتقول والله ما أعلم الا خيرا وما كنت أعيب على عائشة شيأ الا انى كنت أعجن عجينى فآمرها ان تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله قالت ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى أبواى وعندى امرأة من الانصار وأنا أبكى وهى تبكى معى فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ياعائشة انه قد كان ماقد بلغك من قول الناس فاتقى الله فان كنت قارفت سوأ مما يقول الناس فتوبى الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده قالت فوالله ماهو الا ان قال لى ذلك فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيا وانتظرت أبوى أن يجيبا عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتكلما قالت وايم الله لانا كنت أحقر فى نفسى وأصغر شانا من أن ينزل الله فى قرآنا يقرأ به فى المساجد ويصلى به ولكنى قد كنت أرجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه شيا يكذب به الله عنى لما يعلم من براءتى أو يخبر خبرا فاما قرآن ينزل فى فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك قالت فلما لم أر أبوى يتكلمان قالت قلت لهما ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فقالا والله ماندرى بماذا نجيبه قالت ووالله ما أعلم اهل بيت دخل عليهم مادخل على آل ابى بكر فى تلك الايام قالت فلما ان استعجما

بها وهى منكسرة حتى مات وذلك بالجزيرة بموضع له شمطاط * وفيه من غير رواية ابن اسحاق انهم دعوا الجارية فسألوها حتى أسقطوا لها به يريد أفصحوا بالامر ونقروا عنه يقال ساقطته الحديث مساقطة وأسقطوا به فى هذا المعنى قال أبو حية

اذا هن ساقطن الحديث كانه * سقاط حصى المرجان من سلك ناظم

كذا فسره أبو الحسن بن بطال وفيما ذكر ابن اسحاق من رواية الشيبانى عنه انهم أداروا الجارية على الحديث ولم يصرحوا لها حتى فطنت بما أرادوا فقالت ما أعلم عليها عيبا الحديث وأما ضرب على للجارية وهى حرة ولم تستوجب ضربا ولا استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ضربها فارى معناه انه أغلظ لها بالقول وتوعدها بالضرب واتهمها أن تكون خانت الله ورسوله فكتمت من الحديث مالا يسعها كتمه مع ادلاله وانه كان من أهل البيت وفى غير حديث ابن اسحق قالت الجارية والله ما أعلم عليها الا ما يعلم الصائغ على الذهب الاحمر وأما بريرة فهى مولاة عائشة رضى الله عنها التى اشترتها من بنى كاهل فاعتقتها وخيرت فى زوجها وكان عبدا لبنى جحش هذه رواية أهل المدينة وفى رواية أهل العراق انه كان حرا وهى رواية الاسود بن يزيد عن عائشة والاولى رواية عروة والقاسم بن محمد عن عائشة وكذلك يقولون بتخيير الامة اذا

على استعبرت فبكيت ثم قلت والله لا أتوب الى الله مما ذكرت ابدا والله انى لا اعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أنى منه بريئة لاقولن ما لم يكن ولئن انا انكرت ما يقولون لا تصدقوننى قالت ثم التمست اسم يعقوب فما اذكره فقلت ولكن ساقول كما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه فسجى بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت راسه فاما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت ولا باليت قد عرفت انى منه بريئة وان الله عز وجل غير ظالمى وأما أبواى فوالذى نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس قالت ثم سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وانه ليتحدر منه مثل الجمان فى يوم شات فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول أبشرى يا عائشة فقد أنزل الله براءتك قالت قلت بحمد الله ثم خرج الى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ثم أمر بمسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم * قال ابن اسحق وحدثنى أبى اسحق بن يسار عن (٢٢٢) بعض رجال بنى النجار ان أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم ايوب يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة قال بلى وذلك الكذب أكنت يا أم أيوب فاعلة قالت لا والله ما كنت لافعله قال فعائشة والله خير منك قالت فلما نزل القرآن ذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الافك فقال تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم وذلك حسان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ما قالوا «قال ابن هشام» ويقال وذلك عبد الله بن أبى وأصحابه «قال ابن هشام» والذى تولى كبره عبد الله بن أبى وقد ذكر ذلك ابن اسحق فى هذا الحديث قبل هذا ثم غيرها قال تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته ثم قال اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فلما نزل هذا فى عائشة وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته والله لا أنفق على مسطح شيأ أبدا ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة وأدخل علينا قالت فانزل الله فى ذلك ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم «قال ابن هشام» يقال كبره وكبره فى الرواية وأما فى القرآن فكبره بالكسر «قال ابن هشام» ولا يأتل ولا يأل أولوا الفضل منكم قال امرؤ القيس بن حجر الكندى

الا رب خصم فيك ألوى رددته * نصيح على تعذاله غير مؤتل

وهذا البيت فى قصيدة له ويقال ولا يأتل أولوا الفضل ولا يحلف أولوا الفضل وهو قول الحسن بن أبى الحسن البصرى فيما بلغنا عنه وفى كتاب الله تعالى للذين يؤلون من نسائهم وهو من الالية والالية اليمين قال حسان بن ثابت

آليت ما فى جمع الناس مجتهدا * منى ألية بر غير افناد

وهذا البيت فى أبيات له سأذكرها ان شاء الله تعالى فى موضعها فعنى

عتقت وان كان بعلها حرا وقول أهل الحجاز على حسب روايتهم فلا يرون تخييرها الا اذا كان زوجها عبدا وعاشت بريرة حتى روى عنها الحديث بعض التابعين قال عبد الملك بن مروان كنت أجالس بريرة قبل أن ألى هذا الامر فتقول لى يا أبا عبد الملك ان فيك خصالا لخليقة بهذا الامر فان وليت هذا الامر فاتق الله فى الدماء فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليحال بينه وبين الجنة بعد أن ينظر اليها بمحجمة دم أراقها من مسلم فى غير حق والبريرة واحدة البرير وهو ثمر الاراك * واما ام رومان وهى ام عائشة فقد مر ذكرها فى هذا الحديث وهى زينب بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن دهمان وهى من كنانة واختلف فى عمود نسبها ولدت لابى بكر عائشة وعبد الرحمن وكانت قبل ابى بكر عند عبد الله بن الحارث بن سخبرة فولدت له الطفيل وتوفيت ام رومان سنة ست من الهجرة ونزل النبى صلى الله عليه وسلم فى قبرها وقال اللهم انه لم يخف عليك ما لقيت ام رومان فيك وفى رسولك وقال من سره ان ينظر الى امرأة من الحور العين فلينظر الى ام رومان وروى البخارى حديثا عن مسروق وقال فيه سالت أم رومان وهى أم عائشة عما قيل فيها ومسروق ولد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا خلاف فلم ير أم رومان قط فقيل انه وهم فى الحديث وقيل بل الحديث صحيح وهو مقدم على ما ذكره اهل السيرة من موتها فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وقد تكلم شيخنا أبو بكر رحمه الله على هذا الحديث واعتنى به لاشكاله فاورده من طرق ففى بعضها حدثتنى أم رومان وفى بعضها عن مسروق عن أم رومان معنعنا قال رحمه الله والعنعنة أصح فيه واذا كان الحديث معنعنا كان محتملا ولم يلزم فيه ما يلزم فى حدثنا وفى سألت لان للراوى أن يقول عن فلان وان لم يدركه وهو كثير فى الحديث * وقول عائشة لم تكن امرأة تناصبنى فى المنزلة عنده

أن يؤتوا في هذه المذاهب أن لا يؤتوا وفي كتاب الله عز وجل يبين الله لكم أن تضلوا يريد أن لا تضلوا ويمسك السماء أن تقع على الارض يريد أن لا تقع على الارض وقال ابن مفرغ الحميري لاذعرت السوام في وضح الصبـــح مغيرا ولا دعيت يزيدا

يوم أعطى مخافة الموت ضيما * والمنايا يرصدنني ان أحيدا يريد أن لا أحيد وهذان البيتان في أبيات له * قال ابن اسحق قالت فقال أبو بكر بلى والله اني لاحب أن يغفر الله لي فرجع الى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا *قال ابن اسحق ثم ان صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف حين بلغه ما كان يقول فيه وقد كان حسان قال شعرا مع ذلك يعرض بابن المعطل فيه وبمن أسلم من العرب من مضر فقال

أمسى الجلابيب قد عزوا (٢٢٣) وقد كثروا * وابن الفريعة أمسى بيضة البلد
قد ثكلت امه من كنت صاحبه * أو كان منتشبا في برثن الاسد
ما لقتيلي الذي أعدو فآخذه * من دية فيه يعطاها ولا قود
ما البحر حين تهب الريح شامية * فيغطئل ويرمي العبر بالزبد
يوما بأغلب مني حين تبصرني * مـــل غيظ أفري كفري العارض البرد
أما قريش فاني لن أسالمهم * حتى ينيبوا من الغيات للرشد
ويتركوا اللات والعزى بمعزلة * ويسجدوا كلهم للواحد الصمد
ويشهدوا أن ما قال الرسول لهم * حق ويوفوا بعهد الله والوكد

فاعترضه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف ثم قال كما

غيرها هكذا في الاصل تناصبني والمعروف في الحديث تناصيني من المناصاة وهي المساواة وأصله من الناصية * وذكر قول حسان

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا * وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

يعني بالجلابيب الغرباء وببيضة البلد يعني منفردا وهي كلمة يتكلم بها في المدح تارة وفي معنى القل أخرى يقال فلان بيضة البلد اي انه واحد في قومه عظيم فيهم وفلان بيضة البلد يريد انه ذليل ليس معه أحد * وأما قوله *قد ثكلت أمه من كنت صاحبه* فقد يجوز أن يكون قوله من مبتدأ وقد ثكلت أمه في موضع الخبر المقدم عليه ويجوز أن يكون من مفعولا بثكلت وأضمر قبل الذكر مع اتصال الضمير بالفاعل فيكون مثل قوله * جزى ربه عني عدي بن حاتم * ومثل قوله * أبقى اليوم مجده مطعما * وقد تقدم القول فيه * وقوله فيغطئل يريد البحر اي يهيج ويلتطم واصل هذه الكلمة من الغيطلة وهي الظلمة وأصلها يغطال مثل يسواد ولكنه همز الالف لئلا يجتمع ساكنان وان كان اجتماعهما في مثل هذا الموضع حسنا كقوله تبارك وتعالى «ولا الضالين» ولكنهما في الشعر لا يجتمعان الا في عروض واحدة وهي المتقارب ومع هذا فقد قرأ ايوب بن ابي تميمة السختياني ولا الضألين بهمزة مفتوحة وقرأ عمرو بن عبيد «انس قبلهم ولا جأن» وانشد الخطابي

سقى مطفيات المحل سكبا وديمة * عظام ابن ليلى حيث كان رميمها
فاصبح منها كل واد وتلعة * حدائق خضر امزهئرا عميمها

وانشد ايضا *خاطمها زأمها ان تهربا* (فان قيل) الهمزة في هذا كله مفتوحة وفي قوله يغطئل مكسورة وكذلك في الحديث الصحيح اسود مربئد في رواية (قلنا) انما كسرت الهمزة في مزهئر ومربئد ويغطئل بعد ان فتحت في الماضي فقيل أغطال وازهار فصار على وزن اطمان فجاء اسم الفاعل والمستقبل على ذلك القياس مكسورا كما يكسر في مطمئن * وقول ثابت لعبد الله بن رواحة أما أعجبك ضرب حسان بالسيف معناه أما جعلك تعجب تقول عجبت من الشيء وأعجبني الشيء اذا كان ذلك العجب من مكروه أو محبوب وهو عند الناس بمعنى سرني لا غير وفي الحديث وكلام العرب شواهد كثيرة على هذا المعنى منها في الكامل فلا يعجبني ان أعجبه بكاء ابيه وفي حديث ذكره عن عبد الرحمن بن حسان وكذلك أنشد

الا هزئت بنا قرشية يهتز منكبها * تقول لي ابن قيس ذا وبعض الشيب يعجبها

تلق ذباب السيف عني فانني * غلام اذا هوجيت لست بشاعر

*قال ابن اسحق وحدثني محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي ان ثابت بن قيس بن الشماس وثب على صفوان بن المعطل حين ضرب حسان فجمع يديه الى عنقه بحبل ثم انطلق به الى دار بني الحرث بن الخزرج فلقيه عبد الله بن رواحة فقال ما هذا قال ما أعجبك ضرب حسان بالسيف والله ما أراه الا قد قتله قال له عبد الله بن رواحة هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء مما صنعت قال لا والله قال لقد اجترأت اطلق الرجل فاطلقه ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له فدعا حسان وصفوان بن المعطل فقال ابن المعطل يا رسول الله آذاني وهجاني فاحتملني الغضب فضربته فقال

حدثني يعقوب بن عتبة

رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان أحسن ياحسان أتشوهت على قومه ان هداهم الله للاسلام ثم قال احسن ياحسان فى الذى قد اصابك قال هى لك يارسول الله « قال ابن هشام » ويقال أبعد أن هدا كم الله للاسلام * قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن ابراهيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عوضا منها بيرحاء وهى قصر بنى حديلة اليوم بالمدينة وكانت مالا لابى طلحة بن سهل تصدق بها على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان فى ضربته وأعطاه سيرين أمة قبطية فولدت له عبد الرحمن بن حسان قالت وكانت عائشة تقول لقد سئل عن ابن المعطل فوجدوه رجلا حصورا ما يأتى النساء ثم قتل بعد ذلك شهيدا ثم قال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شان عائشة رضى الله عنها

حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
عقيلة حى من لؤى بن غالب * كرام المساعى مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها * وطهرها من كل سوء و باطل
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم * فلا رفعت سوطى الى أناملى
وكيف وودى ماحييت ونصرتى * لآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم * تقاصر عنه سورة المتطاول
فان الذى قد قيل ليس بلائط * ولكنه قول امرئ بى ماحل

وقال كعب بن زهير

لو كنت أعجب من شىء لاعجبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر

وقوله عليه السلام اتشوهت على قومى ان هداهم الله معناه أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم الى الله والى رسوله * وقوله فاعطاه عوضا منها بيرحاء وذكر بعضهم ان هذه البئر سميت بيرحاء بزجر الابل عنها وذلك ان الابل يقال لها اذا زجرت عن الماء وقد رويت حاحا [وهكذا كان الاصيلى يقيده برفع الراء اذا كان الاسم مرفوعا وبالمد وغير الاصيلى يقول بيرحاء بالفتح على كل حال وبالقصر بجعله اسما واحدا وقد حكى عن بعضهم فيه بيرحاء بفتح الباء مع القصر] * وفى الصحيح ان اباطلحة دفع بيرحاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها صدقة فامره النبى صلى الله عليه وسلم ان يجعلها فى الاقربين فقسمها بين أبى وحسان وفسر البخارى وابوداود القرابة التى بين أبى طلحة وبينهما قالا فاما حسان فهو ابن المنذر بن ثابت بن حرام وأبو طلحة هو زيد بن سهل بن حرام فهذه قرابة قريبة وأما أبى فيجتمع معه فى الاب السادس وهو عمرو بن مالك بن النجار وقد كان أبى غنيا فكيف ترك من هو أقرب منه وخصه والوجه فى ذلك ان أبيا كان ابن عمة أبى طلحة وهى صهيلة بنت الاسود بن حرام وهو معروف عند أهل النسب فمن أجل ذلك النسب خصه بها لامن أجل النسب الذى ذكرناه فانه بعيد وانما قال له النبى صلى الله عليه وسلم اجعلها فى الاقربين وفى المسند من حديث عائشة انه لما أنزل الله براءتها قام اليها أبو بكر فقبل رأسها فقالت له هلا كنت عذرتنى فقال أى سماء تظلنى وأى ارض تقلنى ان قلت بما لا اعلم وكان نزول براءة عائشة رضى الله عنها بعد قدومهم المدينة بسبع وثلاثين ليلة فى قول بعض المفسرين *وقول حسان فى عائشة

حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

حصان فعال بفتح الحاء يكثر فى أوصاف المؤنث وفى الاعلام منها كانهم قصدوا بتوالى الفتحات مشاكلة خفة اللفظ لخفة المعنى أى المسمى بهذه الصفات خفيف على النفس وحصان من الحصن والتحصن وهو الامتناع على الرجال من نظرهم اليها وقالت جارية من العرب لامها

ياأمتا أبصرنى راكب * يسير فى مسحنفر لاحب
جعلت أحثى التراب فى وجهه * حصنا وأحمى حوزة الغائب

فقالت لها أمها

الحصن أدنى لو تاييته * من حثيك الترب على الراكب

ذكر هذه الابيات أحمد بن أبى سعيد السيرافى فى شرح أبيات الايضاح والرزان والثقال بمعنى واحد وهى القليلة الحركة * وقوله وتصبح غرثى من لحوم الغوافل أى خميصة البطن من لحوم الناس أى اغتيابهم

« قال ابن هشام » بيته عقيلة حى والذى بعده وبيته له رتب عال عن أبى زيد الانصارى « قال ابن هشام » وحدثنى أبو عبيدة ان امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة فقالت حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل فقالت عائشة لكن أبوها * قال ابن اسحق وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسان وأصحابه فى فريتهم على عائشة «قال ابن هشام » فى ضرب حسان وصاحبه

لقد ذاق حسان الذى كان أهله * وحمنة اذ قالوا هجيرا ومسطح

وضرب الغرث مثلا وهو عدم الطعم وخلو الجوف وفى التنزيل «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا» ضرب المثل لاخذه فى العرض بأكل اللحم لان اللحم ستر على العظم والشاتم لاخيه كانه يقشر ويكشف ما عليه من ستر * وقال ميتا لان الميت لا يحس وكذلك الغائب لا يسمع ما يقول فيه المغتاب ثم هو فى التحريم كأكل لحم الميت * وقوله من لحوم الغوافل يريد العفائف الغافلة قلوبهن عن الشر كما قال سبحانه «ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات» جعلهن غافلات لان الذى رمين به من الشر لم يهممن به قط ولا خطر على قلوبهن فهن فى غفلة عنه وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف * وقوله * له رتب عال على الناس كلهم * الرتب ما ارتفع من الارض وعلا والرتب أيضا قوة فى الشىء وغلظ فيه والسورة رتبة رفيعة من الشرف مأخوذة اللفظ من سور البناء * وقوله * فان الذى قد قيل ليس بلائط * أى بلاصق يقال ما يليط ذلك بفلان أى ما يلصق به ومنه سمى الربا لياطا لانه ألصق بالبيع وليس ببيع وفى الكتاب الذى كتب لثقيف وما كان من دين ليس فيه رهن فانه لياط مبرأ من الله وسيأتى حديثه مفسرا ان شاء الله * وقوله فى الشعر * فلا رفعت سوطى الى أناملى * دعاء على نفسه وفيه تصديق لمن قال ان حسان لم يجلد فى الافك ولا خاض فيه وأنشدوا البيت الذى ذكره ابن اسحاق * لقد ذاق حسان الذى كان أهله * على خلاف هذا اللفظ

لقد ذاق عبد الله ما كان أهله * وحمنة اذ قالوا هجيرا ومسطح

وذكر ما أنزل الله تعالى فى أصحاب الافك وقوله تعالى «اذ تلقونه بألسنتكم» وكانت عائشة رضى الله عنها تقرؤها اذ تلقونه بالسنتكم من الولق وهو استمرار اللسان بالكذب وأما اقامة الحد عليهم ففيه التسوية بين أفضل الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم وأدنى الناس درجة فى الايمان لا يزاد القاذف على الثمانين وان شتم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ينقص منها فان قذف قاذف اليوم احدى أمهات المؤمنين سوى عائشة فيتوجه فيه للفقهاء قولان أحدهما ان يجلد ثمانين كما يقتضيه عموم التنزيل وكما فعل النبى صلى الله عليه وسلم بالذين قذفوا أهله قبل نزول القرآن ببراءتها وأما بعد نزول القرآن ببراءتها فيقتل قاذفها قتل كفر ولا يصلى عليه ولا يورث لانه كذب الله تعالى والقول الثانى فى قاذف أمهات المؤمنين غير عائشة رضى الله عنهن ان يقتل أيضا وبه كان يأخذ شيخنا رحمه الله ويحتج بقوله تعالى «ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة» الآية واذا قذف أزواج النبى عليه السلام فقد سبه فمن أعظم الاذاية أن يقال عن الرجل قرنان واذا سب نبى بمثل هذا فهو كفر صراح وقد قال المفسرون فى قوله تعالى فخانتاهما أى خانتا فى الطاعة لهما والايمان وما بغت امرأة نبى قط أى ما زنت * وذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى حسان جاريته بضرب صفوان بن المعطل له وهذه الجارية اسمها سيرين بنت شمعون أخت مارية سرية النبى صلى الله عليه وسلم وهى أم عبد الرحمن بن حسان الشاعر وكان عبد الرحمن يفخر بانه ابن خالة ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم وقد روت سيرين هذه عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا قالت رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خللا فى قبر ابراهيم ابنه فاصلحه وقال ان الله يحب من العبد اذا عمل عملا أن يصلحه

﴿ غزوة الحديبية ﴾

يقال فيها الحديبية بالتخفيف وهو الاعرف عند أهل العربية قال الخطابى أهل الحديث يقولون الحديبية بالتشديد والجعرانة كذلك وأهل العربية يقولونهما بالتخفيف وقال البكرى أهل العراق يشددون الراء

تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم
وسخطة ذى العرش الكريم فأترحوا
وآذوا رسول الله فيها فجللوا
مخازى تبقى عمموها وفضحوا
وصبت عليهم محصدات كأنها
شآبيب قطر من ذرى المزن تسفح

﴿ أمر الحديبية فى آخر سنة ست وذكر بيعة الرضوان والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين سهيل بن عمرو ﴾

* قال ابن اسحق ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان وشوالا وخرج في ذي القعدة معتمرا لا يريد حربا « قال ابن هشام » واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي * قال ابن اسحق واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذي صنعوا أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فابطأ عليه كثير من الاعراب وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدى واحرم بالعمرة ليامن الناس من حربه وليعلم الناس انه انما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له * قال ابن اسحق حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهما حدثاه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة نفر وكان جابر بن عبد الله فيما بلغني يقول كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة قال الزهري وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي « قال ابن هشام » ويقال بسر فقال يارسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها الى كراع الغميم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فان هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وان أظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ثم قال من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها * قال ابن اسحق فحدثني عبد الله بن أبي بكر ان رجلا من أسلم قال انا يارسول الله قال فسلك بهم طريقا وعرا أجرل بين شعاب فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا الى أرض سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها للحطة التي عرضت على بني اسرائيل فلم يقولوها قال ابن شهاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض في طريق على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة قال فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش فترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم رجعوا راكضين الى قريش وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا سلك في ثنية المرار بركت ناقته فقالت الناس خلأت الناقة قال ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسالوني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ثم قال للناس انزلوا قيل له يارسول الله ما بالوادي ماء ينزل عليه فاخرج سهما من كنانته فاعطاه رجلا من أصحابه فنزل به في قليب من تلك القلب

والياء في الجعرانة والحديبية وأهل الحجاز يخففون وقال أبو جعفر النحاس سألت كل من لقيته ممن أثق بعلمه عن الحديبية فلم يختلفوا على انها بالتخفيف

﴿ فصل ﴾ وذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم معتمرا الى مكة ولم يذكر في حديثه من أين أحرم وفي الصحيح من رواية الزهري انه أحرم من ذي الحليفة وهو خلاف ما يروى عن علي رحمه الله من قوله ان تمام العمرة أن تحرم بها من دويرة اهلك وهذا من قول علي متأول فيمن كان منزله من وراء الميقات فهو الذي يحرم من دويرة أهله كما يحرم أهل مكة من مكة في الحج * وفيه انه أشعر الهدى وهو خلاف قول النخعي وأهل الكوفة في قولهم ان الاشعار منسوخ بنهيه عن المثلة ويقال لهم ان النهي عن المثلة كان باثر غزوة أحد فلا يكون الناسخ متقدما على المنسوخ * وفيه انهم مروا بطريق أجرد ومعناه كثير الحجارة والجرد الحجر وفيه انه بعث عينا له من خزاعة الى مكة فدل على انه يجوز للرجل أن يسافر وحده اذا مست الحاجة الى ذلك أو كان في ذلك صلاح للمسلمين وفي البخاري والنسوي ان عينه الذي أرسل جاءه بغدير الاشطاط والاشطاط جمع شط وهو السنام قال الراجز * شطا رميت فوقه بشط * وشط الوادي أيضا جانبه وبعضهم يقول فيه الاشظاظ بالظاء المعجمة واسم عينه ذلك بسر بن سفيان بن عمرو بن عمير الخزاعي وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بديل ابن أم أصوم وهو بديل بن سلمة الى خزاعة يستنفرهم الى قتال أهل مكة عام الفتح * وفيه ان قريشا خرجت ومعها العوذ المطافيل العوذ جمع عائذ وهي الناقة التي معها ولدها يريد انهم خرجوا بذوات الالبان من الابل ليتزودوا ألبانها ولا يرجعوا حتى يناجزوا محمدا وأصحابه في زعمهم وانما قيل للناقة عائذ وان كان الولد هو الذي يعوذ بها لانها عاطف عليه كما قالوا تجارة رابحة وان كانت مربوحا فيها لانها في معنى نامية وزاكية وكذلك عيشة راضية لانها في معنى صالحة ومن نحو هذا قوله والهدى معكوفا وان كان عاكفا لانه محبوس في المعنى فتحول وزنه في اللفظ الى وزن ما هو في معناه كما قالوا

فغرزه فى جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن * قال ابن اسحق فحدثنى بعض أهل العلم عن رجال من أسلم أن الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سهم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن افصى بن أبى حارثة وهو سائق بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال ابن هشام » أفصى بن حارثة * قال ابن اسحق وقد زعم لى بعض أهل العلم ان البراء بن عازب كان يقول انا الذى نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله أعلم أى ذلك كان وقد أنشدت أسلم أبياتا من شعر قالها ناجية قد ظننا انه هو الذى نزل بالسهم فزعمت أسلم ان جارية من الانصار أقبلت بدلوها وناجية فى القليب يميح على الناس فقالت

يا أيها المائح دلوى دونكا * انى رأيت الناس يحمدونكا * يثنون خيرا ويمجدونكا *

« قال ابن هشام » ويروى انى رأيت الناس يمدحونكا * قال ابن اسحق فقال ناجية وهو فى القليب يميح على الناس

قد علمت جارية يمانية * أنى أنا المائح واسمى ناجيه
وطعنة ذات رشاش واهيه * طعنتها عند صدور العاديه

فقال الزهرى فى حديثه فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بديل بن ورقاء الخزاعى فى رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذى جاء به فأخبرهم انه لم يأت يريد حربا وانما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته ثم قال لهم نحوا مما قال لبشر بن سفيان فرجعوا الى قريش فقالوا يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد ان محمدا لم يأت لقتال وانما جاء زائرا لهذا البيت فاتهموهم وجبهوهم وقالوا وان كان جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تحدث بذلك عنا العرب قال الزهرى وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمها ومشركها لا يخفون عنه شيأ كان بمكة قال ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص بن الاخيف أخا بنى عامر بن لؤى فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال هذا رجل غادر فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل وأصحابه فرجع الى قريش فاخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان وكان يومئذ سيد الاحابيش وهو أحد بنى الحرث بن عبد مناة بن كنانة فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال لهم ذلك قال فقالوا له اجلس فانما أنت أعرابى لا علم لك * قال ابن اسحق فحدثنى

فى المرأة تهراق الدماء وقياسه تهريق الدماء ولكنه فى معنى تستحاض فحول الى وزن ما لم يسم فاعله و بقيت الدماء منصوبة على المفعول كما كانت وقوله فى بئر الحديبية انما يتبرض ماؤها تبرضا من البرض وهو الماء الذى يقطر قليلا قليلا والبارض من النبات الذى كانه يقطر من الرى والنعمة قال الشاعر

رعى بارض البهمى جميما وبسرة * وصمعاء حتى آنفته نصالها

يقال لكل شئ فى أوله بسرة حتى للشمس عند طلوعها وصمعاء متحدة قد شوكت قاله أبو حنيفة * وذكر أن رجلا من أسلم سلك بهم طريقا وعرا أجرل يقال ان ذلك الرجل هو ناجية الاسلمى وهو سائق بدنه وهو ناجية بن جندب و يقال فيه ابن عمير وكان اسمه ذكوان فسماه النبى صلى الله عليه وسلم ناجية حين نجا من كفار قريش وعاش الى زمن معاوية وأما صاحب بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكور فى حديث آخر فى الموطأ وغيره فاسمه ذؤيب بن حلحلة بن عمرو بن كليب بن اصرم بن عبد الله بن قمير بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة وهو لحى بن حارثة جد خزاعة وذؤيب هذا هو والد قبيصة بن ذؤيب القاضى صاحب عبد الملك بن مروان وعاش ذؤيب الى خلافة معاوية أيضا * وذكر فى نسب أسلم بن أفصى بن أبى حارثة وهو وهم وقد أصلحه ابن هشام فقال هو حارثة يعنى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الاسد ويحتمل أن يكون ابن اسحق لم يهم فيه ولكنه نسبه الى ابى حارثة بن عمرو بن عامر وهو عم حارثة بن ثعلبة وحارثة هو أبو الاوس والخزرج * وذكر قوله عليه السلام لا تدعونى قريش اليوم الى خطة الحديث وفى غير رواية ابن اسحق عن الزهرى انه قال والذى نفسى بيده لا تدعونى قريش ولم يقل فى الحديث ان شاء الله وقد تكلموا فى ذلك فقيل انما أسقط الاستثناء لانه أمر واجب كان قد أمر به ألا تراه يقول فى الحديث انما أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى وقيل ان اسقاط الاستثناء انما هو من الراوى اما نسيه وأما لم يحفظه وفى الحديث أو تنفرد هذه السالفة السالفة صفحة العنق وانفرادها عبارة عن القتل أو الذبح وفى الرجز الذى أنشده * يا أيها المائح دلوى دونكا * لو قال دونك دلوى لكان الدلو فى موضع نصب على الاغراء

يد الله بن أبي بكر ان الحليس غضب عند ذلك وقال يامعشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أيصد عن بيت الله من جاء معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد قال فقالوا له مه كف عنا ياحليس حتى ناخذ لانفسنا ما نرضى به قال الزهري في حديثه ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي فقال يامعشر قريش اني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه الى محمد اذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم انكم والد واني ولد وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسي قالوا صدقت ما انت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال يامحمد أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة ابدا وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا قال وابو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فقال امصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه قال من هذا يامحمد قال هذا ابن ابي قحافة قال اما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بها قال ثم جعل يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه قال والمغيرة ابن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد قال فجعل يقرع يده اذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان لا تصل اليك قال فيقول عروة ويحك ما أفظك واغلظك قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عروة من هذا يامحمد قال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة قال أي غدر وهل غسلت سوأتك الا بالامس «قال ابن هشام» أراد عروة بقوله هذا ان المغيرة بن شعبة قبل (٢٢٨) اسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بني مالك من ثقيف فتهايج الحيان من ثقيف بنو مالك رهط المقتولين والاحلاف رهط المغيرة فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية وأصلح ذلك الامر * قال ابن اسحق قال الزهري فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما كلم أصحابه وأخبره انه لم يات يريد حربا فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء الا أخذوه فرجع الى قريش فقال يامعشر قريش اني قد مع

فاما قدمها على دونك لم يجز نصبها بدونك ولكنه بفعل آخر كأنه قال املأ دلوي فقوله دونكا أمر بعد أمر * وفيه قوله صلى الله عليه وسلم في الحليس ان هذا من قوم يتألهون أي يعظمون أمر الاله ومنه قول رؤبة * سبحن واسترجعن من تأله * أي من تنسك وتعظيم لله سبحانه * وقول عروة بن مسعود لقريش قد عرفتم انكم والد أي كل واحد منكم كالوالد وقيل معناه أنتم حي قد ولدني لانه كان لسبيعة بنت عبد شمس وقد يجوز أن يقال في الجماعة هم لي صديق وعدو وفي التنزيل «وحسن أولئك رفيقا» فيفرد لانه صفة لفريق وحزب ويقبح أن تقول قومك ضاحك أو باك وانما يحسن هذا اذا وصفت بصديق ورفيق وعدو لانها صفة تصلح للفريق والحزب لان العداوة والصداقة صفتان متضادتان فاذا كان على احدهما الفريق الواحد كان الآخر على ضدها وكانت قلوب أحد الفريقين في تلك الصفة على قلب رجل واحد في عرف العادة فحسن الافراد وليس يلزم مثل هذا في القيام والقعود ونحوه حتى يقال هم قاعد أو قائم كما يقال هم صديق لما قدمناه من الاتفاق والاختلاف وأما قوله تعالى «يخرجكم طفلا» بلفظ الافراد وقال في موضع آخر واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فالاحسن في حكم البلاغة أن يعبر عن الاطفال الرضع بالطفل في الواحد والجميع لانهم

جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم * قال ابن اسحق وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي فبعثه الى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعته الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وقد حدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس ان قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه احدا فأخذوا أخذا فأتي بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يارسول الله اني أخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب وانه انما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته * قال ابن اسحق فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتى أتى أباسفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله

به فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان عثمان بن عفان قد قتل

﴿ بيعة الرضوان ﴾

* قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان قد قتل لا نبرح حتى نناجز القوم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت وكان جابر بن عبد الله يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس أخو بنى سلمة فكان جابر ابن عبد الله يقول والله لكأنى أنظر اليه لاصقا بابط ناقته قد ضبأ اليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى ذكر من أمر عثمان باطل « قال ابن هشام » فذكر وكيع عن اسمعيل ابن أبى خالد عن الشعبى ان أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الاسدى « قال ابن هشام » وحدثنى من أثق به عمن حدثه باسناد له عن ابن أبى مليكة عن ابن أبى عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان فضرب باحدى يديه على الاخرى

﴿ الهدنة ﴾

* قال ابن اسحق قال الزهرى ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بنى عامر بن لؤى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ائت محمدا فصالحه ولا يكن فى صلحه الا أن يرجع عنه عامه هذا فوالله لا تحدث العرب عنا انه دخلها علينا عنوة أبدا فاتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل فلما انتهى سهيل بن عمرو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم

مع حدثان الولادة كالجنس الذى يقع على القليل والكثير بلفظ واحد ألا ترى ان بدء الخلق طين ثم منى والمنى جنس لا يتميز بعضه من بعض فلذلك لا يجمع وكذلك الطين ثم يكون الخلق علقا وهو الدم فيكون ذلك جنسا ثم يخرجهم الله طفلا أى جنسا تاليا للعلق والمنى لا يكاد يتميز بعضهم من بعض الا عند آبائهم فاذا كبروا وخالطوا الناس وعرف الناس صورهم بعضها من بعض فصاروا كالرجال والفتيان قيل فيهم حينئذ أطفال كما يقال رجال وفتيان ولا يعترض على هذا الاصل بالاجنة انهم مغيبون فى البطون فلم يكونوا كالجنس الظاهر للعيون كالماء والطين والعلق وانما جمع الجنين على أجنة وحسن ذلك فيه لانه تبع للبطن الذى هو فيه ويقوى هذا الغرض الذى صمدنا اليه فى الطفل قول رجل من بنى مجاعة لعمر بن عبد العزيز وقد سأله هل بقى من كهول بنى مجاعة أحد قال نعم وشكير كثير فانظر كيف قال الكهول وجمع وقال فى الصغار شكير كما تقول حشيش ونبات فتفرد لانه جنس واحد والطفل فى معنى الشكير ما داموا رضعا حتى يتميزوا بالاسماء والصور عند الناس فهذا احكم البلاغة ومساق الفصاحة فافهمه *وأما قول عروة جمعت أوشاب الناس يريد أخلاطا وكذلك الاوباش*وقوله فى حديث المغيرة أما المال فلست منه فى شىء فيه من الفقه ان أموال المشركين حرام اذا أمنوك وأمنتهم وانما يحل بالمحاربة والمغالبة لا عند طمانينتهم اليك وأمنتهم منك فان ذلك هو الغدر وفى هذا المعنى آثار قد مضى بعضها وسيأتى بعضها فى غزوة خيبر وغيرها وفيه انهم كانوا يتدلكون بنخامة النبى صلى الله عليه وسلم اذا تنخم وفى ذلك دليل على طهارة النخامة خلافا للنخعى وما يروى فى ذلك عن سلمان الفارسى وحديث اذا تنخم أحدكم فى الصلاة أبين فى الحجة لان حديث السيرة يحتمل الخصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم

﴿ فصل ﴾ وذكر مصالحة النبى صلى الله عليه وسلم لقريش وشرطهم أن لا يأتيه منهم أحد ممن هو على دينه الا رده عليهم وفى هذا الحديث مصالحة المشركين على غير مال يؤخذ منهم وذلك جائز اذا كان بالمسلمين ضعف وقد تقدم مصالحتهم على مال يعطونه فى غزوة الخندق واختلف هل يجوز صلحهم الى أكثر من عشر سنين فقال بعضهم يجوز ذلك اذا رآه الامام وقالت طائفة لا يتجاوز فى صلحهم الى أكثر من عشر سنين وحجتهم أن حظر الصلح هو الاصل بدليل آية القتال وقد ورد التحديد بالعشر فى حديث ابن اسحق فحصلت الاباحة فى هذا المقدار متحققة وبقيت الزيادة على الاصل وهو الحظر وفيه الصلح على أن رد المسلم الى دار الكفر وهذا منسوخ عند أبى حنيفة بحديث سرية خالد حين وجهه النبى صلى الله عليه وسلم الى خثعم وفيهم ناس مسلمون فاعتصموا بالسجود فقتلهم خالد فوداهم النبى صلى الله عليه وسلم نصف الدية وقال أنا برىء من مسلم بين مشركين وقال فقهاء الحجاز هو جائز ولكن للخليفة الاكبر لا لمن دونه وفيه نسخ السنة بالقرآن على أحد القولين فان هذا العهد كان يقتضى أن لا يأتيه مسلم الا رده فنسخ الله تعالى ذلك فى النساء خاصة فقال عز وجل « فان علمتموهن مؤمنات » هذا على رواية عقيل بن خالد عن الزهرى فانه قال فى الحديث أن

فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح فلما التأم الامر ولم يبق الا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس برسول الله قال بلى قال أولسنا بالمسلمين قال بلى قال أوليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا قال أبو بكر يا عمر الزم غرزه فانى أشهد انه رسول الله قال عمر وأنا أشهد انه

رسول الله ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ألست برسول الله قال بلى قال أولسنا بالمسلمين قال بلى قال أو ليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطى الدنية فى ديننا قال أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى قال فكان عمر يقول مازلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيرا قال ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال فقال سهيل لا أعرف هذا ولكن أكتب باسمك اللهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل ابن عمرو قال فقال سهيل لو شهدت انك رسول الله لم أقاتلك ولكن أكتب اسمك واسم أبيك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يامن فيهن الناس و يكف بعضهم عن بعض على انه من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وكادت

لا يأتيه أحد وأحد يتضمن الرجال والنساء والاحسن أن يقال فى مثل هذا تخصيص عموم لا نسخ على ان بعض حذاق الاصوليين قد قال فى العموم اذا عمل بمقتضاه فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم واعتقد فيه العموم ثم ورد التخصيص فهو نسخ وهو قول حسن وفى رواية أخرى أن لا يأتيه رجل فهذا اللفظ لا يتناول النساء وقالت طائفة انما استجاز النبى صلى الله عليه وسلم رد المسلمين اليهم فى هذا الصلح لقوله عليه السلام لا تدعونى قريش الى خطة يعظمون فيها الحرم الا أجبتهم اليها وفى رد المسلم الى مكة عمارة البيت وزيادة خير له فى الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت فكان هذا من تعظيم حرمات الله تعالى فعلى هذا القول يكون حكما مخصوصا بمكة و بالنبى صلى الله عليه وسلم و يكون غير جائز لمن بعده كما قال العراقيون

﴿ فصل ﴾ وذكر قول الله سبحانه «اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن» وهذا عند أهل العلم مخصوص بنساء أهل العهد والصلح وكان الامتحان ان يستحلف المرأة المهاجرة انها ما خرجت ناشزا ولا هاجرت الا لله ولرسوله فاذا حلفت لم ترد و رد صداقها الى بعلها وان كانت من غير أهل العهد لم تستحلف ولم يرد صداقها * وفيه ان النبى صلى الله عليه وسلم محا اسمه وهو رسول الله وكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله لانه قول حق كله وظن بعض الناس انه كتب بيده وفى البخارى انه كتب وهو لا يحسن الكتابة فتوهم ان الله تعالى أطلق يده بالكتابة فى تلك الساعة خاصة وقال هى آية فيقال له كانت تكون آية لولا انها مناقضة لآية أخرى وهو كونه أميا لا يكتب و بكونه أميا فى أمة أمية قامت الحجة وألجم الجاحد وانحسمت الشبهة فكيف يطلق الله يده لتكون آية وانما الآية أن لا يكتب والمعجزات يستحيل ان يدفع بعضها بعضا وانما معنى كتب أى أمر أن يكتب وكان الكاتب فى ذلك اليوم على بن أبى طالب وقد كتب له عدة من أصحابه منهم عبد الله بن الارقم وخالد بن سعيد وأخوه ابان وزيد بن ثابت وعبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول وأبى بن كعب القارى وقد كتب له أيضا فى بعض الاوقات أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وكتب له كثيرا معاوية بن أبى سفيان بعد عام الفتح وكتب له أيضا الزبير بن العوام ومعيقيب بن أبى فاطمة والمغيرة بن شعبة وشرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاصى وجهيم بن الصلت وعبد الله بن رواحة ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن سعد بن أبى سرح وحنظلة الاسيدى وهو حنظلة بن الربيع وفيه يقول الشاعر بعد موته

ان سواد العين أودى به * حزن على حنظلة الكاتب

والعلاء بن الحضرمى ذكرهم عمر بن شبة فى كتاب الكتاب له * وأما قول سهيل بن عمرو له ولكن اكتب باسمك اللهم فانها كلمة كانت قريش تقولها ولقولهم لها سبب قد ذكرناه فى كتاب التعريف والاعلام وأول من قالها أمية بن أبى الصلت ومنه تعلموها وتعلمها هو من رجل من الجن فى خبر طويل ذكره المسعودى وهو الخبر الذى لخصناه فى الكتاب المذكور

﴿ فصل ﴾ وذكر فى الكتاب وان بيننا و بينكم عيبة مكفوفة أى صدور منطوية على ما فيها لا تبدى عداوة وضرب العيبة مثلا وقال الشاعر

وانه لا اسلال ولا اغلال وانه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن احب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا نحن فى عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن فى عقد قريش وعهدهم وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها باصحابك فاقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف فى القرب لا تدخلها بغيرها فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو واذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى الحديد قد انفلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون فلما رأى سهيل أبا جندل قام اليه فضرب وجهه وأخذ بتلبيبه ثم قال يا محمد قد لجت القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا قال صدقت فجعل ينتره بتلبيبه ويجره ليرده الى قريش وجعل أبو جندل يصرخ باعلى صوته يامعشر المسلمين أأرد الى المشركين يفتنونى فى دينى فزاد الناس الى ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وانا لا نغدر بهم قال فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى الى جنبه ويقول اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون وانما دم أحدهم دم كلب قال ويدنى قائم السيف منه قال يقول عمر رجوت ان يأخذ السيف فيضرب به أباه قال فضن الرجل بابيه ونفذت القضية فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبى وقاص ومحمود بن سلمة ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك وعلى بن أبى طالب وكتب وكان هو كاتب الصحيفة * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطربا فى الحل وكان يصلى فى الحرم فلما فرغ من الصلح قام الى هديه فنحره ثم جلس فحلق رأسه وكان الذى حلقه فيما بلغنى فى ذلك اليوم خراش بن أمية ابن الفضل الخزاعى فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين

وكادت عياب الودمنا ومنهم * وان قيل أبناء العمومة تصفر

وقال صلى الله عليه وسلم الانصار كرشى وعيبتى فضرب العيبة مثلا لموضع السر وما يعتد به من ودهم والكرش وعاء يصنع من كرش البعير يجعل فيه ما يطبخ من اللحم يقال ما وجدت لهذه البضعة فاكرش أى ان الكرش قد امتلأ فلم يسعها فمه ويضرب أيضا هذا مثلا كما قال الحجاج ما وجدت الى دم فلان فاكرش * وقوله ولا اغلال هى الخيانة يقال فلان مغل الاصبع أى خائن اليد قال الشاعر

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن * بالغدر خائنة مغل الاصبع

والاسلال السرقة والخلسة ونحوها وهى السلة قالوا فى المثل الخلة تدعو الى السلة

﴿ فصل ﴾ وذكر خروج أبى جندل يرسف فى الحديد أبو جندل هو العاصى بن سهيل وأما أخوه عبد الله بن سهيل فكان قد فر يوم بدر الى المسلمين فلحق بهم وشهد بدرا والمشاهد كلها وقتل يوم اليمامة شهيدا وأما أبو جندل فاستشهد مع أبيه بالشام فى خلافة عمر وهو الذى شرب الخمر متأولا لقوله تبارك وتعالى «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا» الآية فجلده أبو عبيدة بأمر عمر وجلد صاحبه وهو ضرار ثم ان أبا جندل أشفق من الذنب حتى قال لقد هلكت فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فكتب اليه ان الذى زين لك الخطيئة هو الذى حظر عليك التوبة «بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب» الآية وكان شرب بها معه ضرار بن الخطاب وأبو الازور فلما أمر عمر أن يجلدوا قالوا دعنا نلقى العدو فان قتلنا فذاك والا حددتمونا فقتل أبو الازور وحد الآخران

﴿ فصل ﴾ وذكر قول عمر رضى الله عنه فعلام نعطى الدنية فى ديننا هى فعيلة من الدناءة وأصلها الهمز وفى غير رواية ابن اسحق ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر انى عبد الله ولست أعصيه وهو ناصرى وانه أتى أبا بكر رضى الله عنه فقال له مثل ما قال للنبى صلى الله عليه وسلم فجاوبه أبو بكر بمثل ما جاوبه به النبى صلى الله عليه وسلم حرفا بحرف ثم قال له يا عمر الزم غرزه فانى أشهد انه رسول الله قال عمر وما شككت منذ أسلمت الا تلك الساعة وفى هذا ان المؤمن قد يشك ثم يجدد النظر فى دلائل الحق فيذهب شكه وقد روى عن ابن عباس انه قال هو شىء لا يسلم منه أحد ثم ذكر ابن عباس قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم ولكن ليطمئن قلبى ولولا الخروج عما صمدنا اليه فى هذا الكتاب لذكرنا ما للعلماء فى قول ابراهيم صلى الله عليه

قالوا والمقصرين يارسول الله قال يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يارسول الله قال يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يارسول الله قال والمقصرين فقالوا يارسول الله فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين قال لم يشكوا وقال عبد الله بن أبي نجيح حدثني مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية في هداياه جملا لابي جهل في رأسه برة من فضة يغيظ بذلك المشركين قال الزهري في حديثه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلا حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ثم كانت القصة فيه وفي أصحابه حتى انتهى الى ذكر البيعة فقال جل ثناؤه ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ثم ذكر من تخلف عنه من الاعراب ثم قال حين استنفرهم للخروج معه فابطؤا عليه سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا ثم القصة عن خبرهم حتى انتهى الى قوله سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم اولى الباس الشديد * قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن ابي نجيح عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال فارس * قال ابن اسحق وحدثني من لا اتهم عن الزهري انه قال اولى الباس الشديد حنيفة مع الكذاب * ثم قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا * ثم ذكر محبسه وكفه اياه عن القتال بعد الظفر منه بهم يعني النفر الذين اصاب منهم وكفهم عنه ثم قال تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا * ثم قال تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله « قال ابن هشام » المعكوف المحبوس قال أعشى بني قيس بن ثعلبة

وكأن السموط عكفها السلـ * ـك بعطفي جيداء أم غزال

وهذا البيت في قصيدة له * قال ابن اسحق ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم والمعرة الغرم أي أن تصيبوا منهم بغير علم فتخرج دياته فأما اثم فلم يخشه عليهم « قال ابن هشام » بلغني عن مجاهد انه قال نزلت هذه الآية في الوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة وأبي جندل بن سهيل وأشباههم * قال ابن اسحق ثم قال تبارك وتعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية يعني سهيل بن عمرو حين حمي ان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وأن محمدا رسول الله ثم قال تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها أي التوحيد شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله * ثم قال تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا أي رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رأى أنه سيدخل مكة آمنا لا يخاف يقول محلقين رؤسكم ومقصرين معه لا تخافون فعلم من ذلك مالم تعلموا فجعل من دون

وسلم ولكن ليطمئن قلبي وذكرنا النكتة العظمى في ذلك ولعلنا أن نلقى لها موضعا فنذكرها والشك الذي ذكره عمر وابن عباس مالا يصر عليه صاحبه وانما هو من باب الوسوسة التي قال فيها عليه السلام مخبرا عن ابليس الحمد لله الذي رد كيده الى الوسوسة وفي غير رواية ابن اسحق من الصحيح انه عليه السلام دخل على أم سلمة وشكى اليها مالقي من الناس حين أمرهم أن يحلقوا وينحروا فلم يفعلوا لما بهم من الغيظ فقالت يارسول الله اخرج اليهم فلا تكلمهم حتى تحلق وتنحر فانهم اذا رأوك قد فعلت ذلك لم يخالفوك ففعل صلى الله عليه وسلم وفعل الناس [وكان الذي حلق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم خراش بن أمية الخزاعي وهو الذي كان بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الى مكة فعقروا جمله وأرادوا قتله فحينئذ بعث اليهم عثمان بن عفان رضي الله عنه] ففي تركهم للبدار دليل على أن الامر ليس على الفور كما ذهب اليه بعض الاصوليين وفيه انهم حملوا الامر على غير الوجوب لقرينة وهي انهم رأوه لم يحلق ولم ينحر ولم يقصر فلما رأوه قد فعل اعتقدوا وجوب الامر وامتثلوه وفيه أيضا اباحة مشاورة النساء وذلك ان النهي عن مشاورتهن انما هو عندهم في أمر الولاية خاصة كذلك قال أبو جعفر النحاس في شرح هذا الحديث

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحاق استغفار النبي صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة واحدة

ذلك فتحاقر يبا صلح الحديبية يقول الزهرى فما فتح فى الاسلام فتح قبله كان أعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وآمن الناس كلهم بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد فى الاسلام يعقل شيأ الا دخل فيه ولقد دخل فى تينك السنتين مثل من كان فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر « قال ابن هشام » والدليل على قول الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى الحديبية فى ألف وأربعمائة فى قول جابر بن عبد الله ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف

﴿ ماجرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح ﴾ * قال ابن اسحق فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية وكان ممن حبس بمكة فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة والاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الازهر والاخنس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين (٢٣٣) فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك قال يارسول الله أتردنى الى المشركين يفتنوننى فى دينى قال ياأبا بصير انطلق فان الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما حتى اذا كان بذى الحليفة جلس الى جدار وجلس معه صاحباه فقال أبو بصير أصارم سيفك هذا ياأخا بنى عامر فقال نعم قال أنظر اليه قال انظر ان شئت قال فاستله أبو بصير ثم علاه به حتى قتله وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالعا قال ان هذا الرجل قد رأى فزعا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك مالك قال قتل صاحبكم صاحبى فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا بالسيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله وفت ذمتك وأدى الله عنك أسلمتنى بيد القوم وقد امتنعت بدينى ان أفتتن فيه او يعبث بى قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل امه محش حرب لو كان معه رجال ثم خرج ابو بصير حتى نزل العيص من ناحية ذى المروة على ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا ياخذون عليها الى الشام وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بصير ويل امه محش حرب لو كان معه رجال فخرجوا الى ابى بصير بالعيص فاجتمع اليه منهم قريب من سبعين رجلا وكانوا قد ضيقوا على قريش لا يظفرون باحد منهم الا قتلوه ولا تمر بهم عير الا اقتطعوها حتى كتبت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تساله بارحامها الا آواهم فلا حاجة لهم بهم فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا عليه المدينة « قال ابن هشام » ابو بصير ثقفى * قال ابن اسحق فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل ابى بصير صاحبهم العامرى أسند ظهره الى الكعبة ثم قال والله لا أؤخر ظهرى عن الكعبة حتى يودى هذا الرجل فقال ابو سفيان بن حرب والله ان هذا لهو السفه والله لا يودى ثلاثا

ولم يكن المقصر يومئذ من أصحابه الا رجلين أحدهما عثمان بن عفان والآخر أبو قتادة الانصارى كذلك جاء فى مسند حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه * وذكر حديث أبى بصير واختلف فى اسمه فقيل عبيد ابن أسيد بن جارية وقيل عتبة * وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم له حين قتل أحد الرجلين ويل امه محش حرب وفى الصحيح ويل أمه مسعر حرب يقال حششت النار وارثتها وأذكيتها وأثقبتها وسعرتها بمعنى واحد وسمى الاسعر الجعفى أسعر بقوله

فلا يدعنى قومى لسعد بن مالك * لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

وكان اسمه مرثد بن حمران ومالك فى هذا البيت هو مذحج وأما لحوق أبى بصير بسيف البحر ففى رواية معمر عن الزهرى انه كان يصلى باصحابه هنالك حتى لحق بهم أبو جندل بن سهيل فقدموه لانه قرشى فلم يزل أصحابه يكثرون حتى بلغوا ثلاثمائة وكان أبو بصير كثيرا ما يقول هنالك الله العلى الاكبر من ينصر الله فسوف ينصر فلما جاءهم الفرج من الله تعالى وكلمت قريش النبى عليه السلام ان يؤويهم اليه لما ضيقوا عليهم ورد كتاب النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بصير فى الموت يجود بنفسه فاعطى الكتاب فجعل يقرأه ويسر به حتى قبض والكتاب على صدره فبنى عليه هنالك مسجد يرحمه الله وفى الحديث من غير السيرة ان المسلمين حين حلقوا فى ذلك اليوم وهم بالحل قد منعوا ان يدخلوا الحرم جاءت الريح فاحتملت شعورهم حتى ألقتها فى الحرم فاستبشروا بقبول الله عمرتهم ذكره أبو عمر والعمرة مشتقة من عمارة المسجد الحرام وبنيت على فعلة لانها فى معنى قربة ووصلة الى الله تعالى وليس قول من قال انها الزيارة فى اللغة ببين ولا فى قول الاعشى حجة لهم لانه يحتمل التاويل وهو قوله * وراكب جاء من تثليث معتمر *

﴿ فصل ﴾ ومما يسئل عنه فى حديث أبى بصير قتله الرجل الكافر وهو فى العهد أكان ذلك حراما أم

فقال فى ذلك موهب بن رياح أبو أنيس حليف بنى زهرة «قال ابن هشام» أبو أنيس أشعرى

أتانى عن سهيل ذرو قول * فأيقظنى وما بى من رقاد
فان تكن العتاب تريدمنى * فعاتبنى فما بك من بعاد
أتوعدنى وعبد مناف حولى * بمخزوم ألهفى من تعادى
فان تغمز قناتى لاتجدنى * ضعيف العود فى الكرب الشداد
أسامى الاكرمين أبا بقومى * اذا وطئ الضعيف بهم أرادى
هم منعوا الظواهر غير شك * الى حيث البواطن فالعوادى
بكل طمرة و بكل نهد * سواهم قد طوين من الطراد
لهم بالخيف قد علمت معد * رواق المجد رفع بالعماد

فأجابه عبدالله بن الزبعرى فقال

أمسى موهب كحمار سوء * أجاز ببلدة فيها ينادى
فان العبد مثلك لا يناوى * سهيلا ضل سعيك من تعادى
فاقصر يا ابن قين السوء عنه * وعد عن المقالة فى البلاد
ولا تذكر عتاب أبى يزيد * فهيهات البحور من الثماد

وهاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط فى تلك المدة فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه ان يردها عليهما بالعهد الذى بينه و بين قريش فى الحديبية فلم يفعل أبى الله ذلك

قال ابن اسحق فحدثنى الزهرى عن عروة بن الزبير قال دخلت عليه وهو يكتب كتابا الى ابن أبى هنيدة صاحب الوليد ابن عبد الملك وكتب اليه يسأله عن قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر «قال ابن هشام» واحدة العصم عصمة وهى الحبل والسبب قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة

الى المرء قيس نطيل السرى * ونأخذ من كل حى عصم

وهذا البيت فى قصيدة له واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم قال فكتب اليه عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قريشا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير اذن وليه فلما هاجر النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام أبى الله ان يرددن الى المشركين اذا هن امتحن بمحنة الاسلام فعرفوا انهن انما جئن رغبة فى الاسلام وأمر برد صدقاتهن اليهم ان احتبسن عنهم ان هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ورد الرجال وسال الذى أمره الله به ان يسال من صدقات نساء من حبسوا منهن وان يردوا عليهم مثل الذين يردون عليهم ان هم فعلوا ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء كما رد الرجال ولولا الهدنة والعهد الذى كان بينه و بين قريش يوم الحديبية لامسك النساء ولم يردد لهن صداقا وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد * قال ابن اسحق وسألت الزهرى عن هذه الآية وقول الله عز وجل فيها وان فاتكم شىء من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون فقال يقول ان فات أحدا منكم أهله الى الكفار ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم فعوضوهم من فىء ان أصبتموه فلما نزلت

مباحاله وظاهر الحديث رفع الحرج عنه لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يثرب بل مدحه وقال ويل امه محش حرب (فان قيل) وكيف يكون ذلك جائزا له وقد حقن الصلح الدماء (قلنا) انما ذلك فى حق أبى بصير على الخصوص لانه دافع عن نفسه ودينه ومن قتل دون دمه فهو شهيد وانما لم يطالبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية لان أولياء المقتول لم يطالبوه اما لانهم كانوا قد أسلموا واما لان الله شغلهم عن ذلك حتى انتكث العهد وجاء الفتح (فان قيل) فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يدى من قتل خطا من أهل الصلح كما ودى العامريين وغيرهما (قلنا) عن هذا جوابان احدهما ان أبا بصير كان قد رده الى المشركين فصار فى حكمهم ولم يكن فى فيئة المسلمين وحزبهم فيحكم عليه بما يحكم عليهم (والجواب الثانى) انه ان كان قتل عمدا ولم يكن قتل خطأ كما كان قتل العامريين وقد قال عمر بن الخطاب لا تعقل العاقلة عمدا ولا عبدا

﴿ فصل ﴾ وقول عمر للنبى صلى الله عليه وسلم ألم تعدنا انا نأتى البيت ونطوف به فقال نعم وذكر الحديث كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أرى ذلك فى منامه ورؤيا الانبياء وحى ثم أنزل الله تعالى «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق» الآية ويسئل عن قوله ان شاء الله آمنين ما فائدة هذا الاستثناء وهو خبر واجب وفى الجواب أقوال أحدها انه راجع الى قوله آمنين لا الى نفس الدخول وهذا ضعيف لان الوعد بالامان قد اندرج فى الوعد بالدخول الثانى انه وعد على الجملة والاستثناء راجع الى التفصيل اذ لا يدرى كل انسان منهم هل يعيش الى ذلك أم لا فرجع الشك الى هذا المعنى لا الى الامر الموعود به وقد قيل انما هو تعليم للعباد أن يقولوا هذه الكلمة ويستعملونها فى كل فعل مستقبل أعنى ان شاء الله

(فصل)

هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله عز وجل ولا تمسكوا بعصم الكوافر كان ممن طلق عمر بن الخطاب امرأته قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة وأم كلثوم بنت جرول أم عبيد الله بن عمر الخزاعية فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما « قال ابن هشام » حدثنا أبو عبيدة أن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة ألم تقل يارسول الله انك تدخل مكة آمنا قال بلى أفقلت لكم من عامي هذا قالوا لا قال فهو كما قال لي جبريل عليه السلام

﴿ذكر المسير الى خيبر﴾ في المحرم سنة سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

* قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم وولي تلك الحجة المشركون ثم خرج في بقية المحرم الى خيبر « قال ابن هشام » واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي ودفع الراية الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانت بيضاء * قال ابن اسحق فحدثني محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر الاسلمي ان أباه حدثه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مسيره الى خيبر لعامر بن الاكوع وهو عم سلمة بن عمرو بن الاكوع وكان اسم الاكوع سنان انزل يا ابن الاكوع فخذ لنا من هناتك قال فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
انا اذا قوم بغوا علينا * وان أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

﴿فصل﴾ وذكر بيعة الشجرة وسببها ولم يذكر أول من بايع وذكر الواقدي ان أول من بايع بيعة الرضوان سنان بن أبي سنان الاسدي وقال موسى بن عقبة أول من بايع أبو سنان واسمه وهب بن محصن أخي عكاشة بن محصن الاسدي وقال الواقدي كان أبو سنان أسن من أخيه عكاشة بعشر [بعشرين] سنين شهد بدرا وتوفي يوم بني قريظة ويروى انه حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ابسط يدك أبايعك قال علام تبايعني قال على ما في نفسك يارسول الله وأما سنان ابنه فهو أيضا بدري مات سنة ثلاث وثلاثين وأما مبايعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة في احدى الروايتين عن جابر وألفا وخمسمائة في الرواية الاخرى عنه فبايعوه في قول جابر على أن لا يفروا وقال ولم يبايعوه على الموت وقال سلمة بن الاكوع بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال الترمذي وكلا الحديثين صحيح لان بعضهم بايع على أن لا يفروا ولم يذكروا الموت وبعضهم قال أبايعك على الموت

﴿فصل﴾ ومما قاله أبو جندل بن سهيل أيام كونه مع أبي بصير بسيف البحر

أبلغ قريشا عن أبي جندل * انا بذي المروة فالساحل
في معشر تخفق أيمانهم * بالبيض فيها والقنا الذابل
يأبون ان تبقى لهم رفقة * من بعد اسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجا * والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء باسلامه * أو يقتل المرء ولم يأتل

﴿غزوة خيبر﴾

ذكر البكري ان أرض خيبر سميت باسم رجل من العماليق نزلها وهو خيبر بن قانية بن مهلايل وكذلك قال في الوطيح وهو من حصونها انه سمي بالوطيح بن مازن رجل من ثمود ولفظه مأخوذ من الوطح وهو ما تعلق بالاظافر ومخالب الطير من الطين * وذكر ابن اسحق قوله عليه السلام لسلمة بن الاكوع خذ لنا من هناتك الهنة كناية عن كل شيء لا تعرف اسمه أو تعرفه فتكني عنه وأصل الهنة هنة وهنوة قال الشاعر * على هنوات شأنها متتابع * وفي البخاري أن رجلا قال لابن الاكوع ألا تنزل فتسمعنا من هنيهاتك صغره بالهاء ولو صغره على لغة من قال هنوات لقال هنيات وانما أراد صلى الله عليه وسلم ان يحدو بهم والابل تستحث بالحداء ولا يكون الحداء الا بشعر أو رجز وقد ذكرنا أول من سن حداء الابل وهو مضر ابن نزار والرجز شعر وان لم يكن قريضا وقد قيل ليس بشعر وانما هي أشطار أبيات وانما الرجز الذي هو شعر سداسي الاجزاء نحو مقصورة ابن دريد أو رباعي الاجزاء نحو قول الشاعر

يا مر يا خير أخ * نازعت در الحلمه

واحتج من قال في مشطور الرجز انه ليس بشعر انه قد جرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يجري على لسانه الشعر وقد روى انه أنشد هذا الرجز الذي قاله ابن الاكوع في هذا الحديث وقال أيضا اما متمثلا واما منشئا

هل أنت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمك الله فقال عمر بن الخطاب وجبت والله يا رسول الله لو أمتعتنا به فقتل يوم خيبر شهيدا وكان قتله فيما بلغني ان سيفه رجع عليه وهو يقاتل فكلمه كلما شديدا فمات منه فكان المسلمون قد شكوا فيه وقالوا انما قتله سلاحه حتى سأل ابن أخيه سلمة بن عمرو بن الاكوع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأخبره بقول الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لشهيد وصلى عليه فصلى عليه المسلمون * قال ابن اسحق حدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي مروان الاسلمي عن أبيه عن أبي معتب بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لاصحابه وأنا فيهم قفوا ثم قال اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله قال وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها * قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا قوما لم يغر عليهم حتى يصبح فان سمع أذانا أمسك وان لم يسمع أذانا أغار فنزلنا خيبر ليلا فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا أصبح لم يسمع أذانا فركب وركبنا معه فركبت خلف أبي طلحة وان قدمي لتمس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقبلنا عمال خيبر

و في هذا الرجز من غير رواية ابن اسحاق مما وقع في البخاري وغيره * فاغفر فداء لك ما أبقينا * و يروى ما اقتفينا أي ما تبعنا من الخطايا من قفوت الاثر واقتفيته وفي التنزيل « ولا تقف ما ليس لك به علم » * واما قوله ما أبقينا أي ما خلفنا مما اكتسبنا أو يكون معناه ما أبقينا من الذنوب فلم نحقق التوبة منه كما ينبغي * وقوله فداء لك قد قيل ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي اغفر لنا تقصيرنا في حقك وطاعتك اذ لا يتصور أن يقال لله تبارك وتعالى مثل هذا الكلام وذلك ان معنى قولهم فداء لك أي فداء لك أنفسنا وأهلونا وحذف الاسم المبتدأ لكثرة دوره في الكلام مع العلم به وانما يفدى الانسان بنفسه من يجوز عليه الفناء وأقرب ما قيل فيه من الاقوال الى الصواب انها كلمة يترجم بها عن محبة وتعظيم فجاز أن يخاطب بها من لا يجوز في حقه الفداء ولا يجوز عليه الفناء قصدا لاظهار المحبة والتعظيم له وان كان أصل الكلمة ما ذكرنا فرب كلمة ترك أصلها واستعملت كالمثل في غير ما وضعت له أولا كما جاؤا بلفظ القسم في غير موضع القسم اذا أرادوا تعجبا واستعظاما لامر كقوله عليه السلام في حديث الاعرابي من رواية اسماعيل بن جعفر أفلح وأبيه ان صدق ومحال أن يقصد صلى الله عليه وسلم القسم بغير الله تبارك وتعالى لا سيما برجل مات على الكفر وانما هو تعجب من قول الاعرابي والمتعجب منه هو مستعظم ولفظ القسم في أصل وضعه لما يعظم فاتسع في اللفظ حتى قيل على هذا الوجه وقال الشاعر

فان تك ليلى استودعتني أمانة * فلا وأبي أعدائها لا أخونها

لم يرد أن يقسم بأبي أعدائها ولكنه ضرب من التعجب وقد ذهب أكثر شراح الحديث الى النسخ في قوله أفلح وأبيه قالوا نسخه قوله عليه السلام لا تحلفوا بآبائكم وهذا قول لا يصح لانه لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحلف قبل النسخ بغير الله و يقسم بقوم كفار وما أبعد هذا من شيمته صلى الله عليه وسلم تالله ما فعل هذا قط ولا كان له بخلق وقال قوم رواية اسماعيل بن جعفر مصحفة وانما هو أفلح والله ان صدق وهذا أيضا منكر من القول واعتراض على الاثبات العدول فيما حفظوا وقد خرج مسلم في كتاب الزكاة قوله عليه السلام لرجل سأله أي الصدقة أفضل فقال وأبيك لانبئنك أو قال لاخبرنك وذكر الحديث وخرج في كتاب البر والصلة قوله لرجل سأله من أحق الناس بأن أبره أو قال أصله فقال وأبيك لانبئنك صل أمك ثم اباك ثم ادناك فادناك فقال في هذه الاحاديث كما ترى وابيك فلم يأت اسماعيل بن جعفر اذا في روايته بشيء امر ولا بقول بدع وقد حمل عليه في روايته رجل من علماء بلادنا وعظماء محدثيها وغفل عفا الله عنه عن الحديثين اللذين تقدم ذكرهما وقد خرجهما مسلم بن الحجاج وفي تراجم ابي داود في كتاب الايمان في مصنفه ما يدل على أنه كان يذهب الى قول من قال بالنسخ وان القسم بالآباء كان جائزا والذي ذكرناه ليس من باب الحلف بالآباء كما قدمنا ولا قال في الحديث وابي وانما قال وابيه او وابيك بالاضافة الى ضمير المخاطب او الغائب و بهذا الشرط يخرج عن معنى الحلف الى معنى التعجب الذي ذكرناه * وذكر ابن اسحاق حديثه عليه السلام حين أشرف على خيبر وقال في اسناده عن عطاء بن مروان وهذا هو الصحيح في هذا الاسناد لان عطاء بن ابي مروان الاسلمي معروف في اهل المدينة يكنى ابا مصعب قاله البخاري في التاريخ و بعض من يروي السيرة يقول في هذا الاسناد عن عطاء بن ابي رباح عن مروان الاسلمي والصحيح ما قدمناه

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث انس حين استقبلتهم عمال خيبر بمساحيهم ومكاتلهم المكاتل جمع مكتل

وهي

قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا محمد والخميس معه فادبروا هرابا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين * قال ابن اسحق حدثنا هرون عن حميد عن أنس بمثله * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة الى خيبر سلك على عصر فبنى له فيها مسجد ثم على الصهباء ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه حتى نزل بواد يقال له الرجيع فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغني ان غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جمعوا له ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه حتى اذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حسا ظنوا أن القوم قد خالفوا اليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا فى أهليهم وأموالهم وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر وتدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاموال يأخذها مالا مالا ويفتتحها حصنا حصنا فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه منه رحا فقتلته * ثم القموص حصن بنى أبى الحقيق وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا منهن صفية بنت حيى بن أخطب وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وبنتى عم لها فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه وكان دحية بن خليفة الكلبى قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها وفشت السبايا من خيبر فى المسلمين وأكل المسلمون لحوم الحمر الاهلية من حمرها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى الناس عن أمور سماها لهم * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن عمرو بن ضمرة الفزارى عن عبد الله بن ابى سليط عن أبيه قال أتانا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الحمر الانسية والقدور تفور بها فكفأناها على وجوهها * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مكحول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذ عن أربع عن اتيان الحبالى من السبايا وعن أكل الحمار الاهلى وعن أكل كل ذى ناب من السباع وعن بيع المغانم حتى تقسم * وحدثنى سلام بن كركرة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله الانصارى ولم يشهد جابر خيبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم فى أكل لحوم الخيل *قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن أبى مرزوق مولى تجيب عن حنش الصنعانى قال غزونا مع رويفع بن ثابت الانصارى المغرب ففتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة فقام فينا خطيبا فقال أيها الناس انى لا اقول فيكم الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله فينا يوم خيبر قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع غيره يعنى اتيان الحبالى من السبايا حتى يستبرئها ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ولا يحل لامرئ

وهى القفة العظيمة سميت بذلك لتكتل الشىء فيها وهو تلاصق بعضه ببعض والكتلة من التمر ونحوه فصيحة وان ابتذلتها العامة * وقول النبى صلى الله عليه وسلم حين رآهم الله أكبر خربت خيبر فيه اباحة التفول وقوة لمن استجاز الزجر وقد قدمنا فى ذلك قولا مقنعا وذلك انه رأى المساحى والمكاتل وهى من آلة الهدم والحفر مع ان لفظ المسحاة من سحوت الارض اذا قشرتها فدل ذلك على خراب البلدة التى أشرف عليها وفى غير رواية ابن هشام قال حين ذكر المساحى كانوا يؤتون الماء الى زرعهم معناه يسوقون والانى هى الصافية وقول اليهود محمد والخميس سمى الجيش العظيم خميسا لان له ساقة ومقدمة وجناحين وقلبا لا من اجل تخميس الغنيمة فان الخمس من سنة الاسلام وقد كان الجيش يسمى خميسا فى الجاهلية وقد ذكرنا الشاهد على ذلك فيما تقدم * وقوله يتدنى الحصون أى يأخذ الادنى فالادنى * وذكر نهيه عليه السلام عن أكل لحوم الحمر الاهلية وحديث جابر انه نهى عليه السلام يوم خيبر عن أكل لحوم الحمر الاهلية وأرخص لهم فى لحوم الخيل أما الحمر الاهلية فمجتمع على تحريمها الا شيئا يروى عن ابن عباس وعائشة وطائفة من التابعين وحجة من أباحها قوله تعالى « قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم » الآية وهى مكية وحديث النهى عن الحمر كان بخيبر فهو المبين للآية والناسخ للاباحة ومن حجتهم أيضا قوله صلى الله عليه وسلم لرجل استفتاه فى أكل الحمار الاهلى يقال فى اسمه غالب بن أبجر المزنى اطعم أهلك من سمين مالك وهو حديث ضعيف لا يعارض بمثله حديث النهى مع انه يحتمل التأويلين أحدهما أن يكون الرجل ممن أصابته مسغبة شديدة فارخص له فيه أو يكون ذلك منسوخا بالتحريم على أن بعض رواة الحديث زاد فيه بيانا وهو قوله عليه السلام للرجل انما نهيت عن حوالى القرية أو جوالى القرية على اختلاف فى الرواية وأما حديث جابر فى اباحة لحوم الخيل فصحيح ويعضده حديث أسماء انها قالت ضحينا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرس وقال باباحة لحوم الخيل الشافعى والليث وأبو يوسف وذهب مالك والاوزاعى الى كراهة ذلك وقد روى من طريق خالد بن الوليد انه عليه السلام نهى عن أكل لحوم الحمر الاهلية والبغال والخيل

يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنما حتى يقسم ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فىء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبا من فىء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط انه حدث عن عبادة بن الصامت قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن ان نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العين وتبر الفضة بالورق العين وقال ابتاعوا تبر الذهب بالورق العين وتبر الفضة بالذهب العين * قال ابن اسحق ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنى الحصون والاموال فحدثنى عبد الله بن أبى بكر انه حدثه بعض أسلم ان بنى سهم من أسلم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شىء فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ يعطيهم اياه فقال اللهم انك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة وان ليس بيدى شىء أعطيهم اياه فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء وأكثرها طعاما وودكا فغدا الناس ففتح الله عز وجل عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وودكا منه * قال ابن اسحق ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح وحاز من الاموال ما حاز انتهوا الى حصنيهم الوطيح والسلالم وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتاحا فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة « قال ابن هشام » وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر يا منصور أمت أمت

وقد خرجه أبو داود وحديث الاباحة أصح غير ان مالكا رحمه الله نزع بآية من كتاب الله وهى ان الله جل ذكره ذكر الانعام فقال « ومنها تأكلون » ثم ذكر الخيل والبغال والحمير فقال « لتركبوها وزينة » وهذا انتزاع حسن ووجه الدليل من الآية أنه قال « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع » فذكر الدفء والمنافع والاكل ثم أفرد الخيل والبغال والحمير بالذكر ثم جاء بلام العلة والنسب فقال لتركبوها أى لهذا سخرتها لكم فوجب أن لا يتعدى ما سخرت له وأما نهيه يوم خيبر عن لحوم الجلالة وعن ركوبها فهى التى تأكل الجلة وهو الروث والبعر وفى السنن للدارقطنى انه عليه السلام نهى عن أكل الجلالة حتى تعلف أربعين يوما وهذا نحو مما روى عنه عليه السلام انه كان لا يأكل الدجاج المخلاة حتى تقصر ثلاثة أيام ذكره الهروى * وذكر فى الحديث نهيه عليه الصلاة والسلام عن بيع الفضة بالفضة واباحة بيع الذهب بالورق فدل على ان الورق والفضة شىء واحد وقد فرق بينهما أبو عبيد فى كتاب الاموال فقال الرقة والورق ما كان سكة مضروبة فان كان حليا أو حلية أو نقرا لم يسم ورقا يريد بهذه التفرقة ان لا زكاة فى حلى الفضة والذهب لان النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكر الزكاة قال فى الرقة الخمس وحين ذكر الربا قال الفضة بالفضة (قال المؤلف) وفى هذا الحديث الذى ذكره ابن اسحاق وفى أحاديث سواه قد تتبعتها ما يدل على خلاف ما قال منها قوله عليه السلام فى صفة الحوض يصب فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ورق وفى حديث عرفجة حين أصيب أنفه يوم الكلاب قال فاتخذت أنفا من ورق الحديث فى شواهد كثيرة تدل على ان الفضة تسمى ورقا على أى حال كانت * وقوله بالذهب العين والورق العين يريد النقد لان الغائب تسمى ضمارا كما قال وعينه كالكالئ الضمار وسمى الحاضر عينا لموضع المعاينة فالعين فى الاصل مصدر عنته أعينه اذا أبصرته بعينك وسمى المفعول بالمصدر ونحو منه الصيد لانه مصدر صدت أصيد وقد جاء فى التنزيل « لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم » فسماه بالمصدر ولعلك أن تلحظ من هذا المطلع معنى العين من قوله تعالى « ولتصنع على عينى » فقد أمليناه فيها وفى مسئلة اليد مسئلتين لا يعدل بقيمتهما الدنيا بحذافيرها

(فصل) ومما يتصل بحديث النهى عن أكل الحمر تنبيه على اشكال فى رواية مالك عن ابن شهاب فانه قال فيها نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة يوم خيبر وعن لحوم الحمر الاهلية وهذا شىء لا يعرفه أحد من أهل السير ورواة الأثر ان المتعة حرمت يوم خيبر وقد رواه ابن عيينة عن ابن شهاب عن عبد الله

* قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل أخو بنى حارثة عن جابر بن عبد الله قال ابن
خرج مرحب اليهودى من حصنهم قد جمع سلاحه يرتجز وهو يقول

قد علمت خيبر أنى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب أطعن أحيانا وحينا أضرب * اذا الليوث أقبلت تحزب
* ان حماى للحمى لا يقرب * وهو يقول من يبارز فأجابه كعب بن مالك فقال

قد علمت خيبر أنى كعب * مفرج الغما جرىء صلب اذ شبت الحرب تلتها الحرب * معى حسام كالعقيق عضب
نطأكم حتى يذل الصعب * نعطى الجزاء أو يفىء النهب * بكف ماض ليس فيه عتب « قال ابن هشام » أنشدنى أبو زيد الانصارى
قد علمت خيبر أنى كعب * واننى متى تشب الحرب ماض على الهول جرىء صلب * معى حسام كالعقيق عضب
بكف ماض ليس فيه عتب * ندككم حتى يذل الصعب « قال ابن هشام » ومرحب من حمير * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله

ابن سهل عن جابر بن عبد الله الانصاري قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهذا فقال محمد بن مسلمة أنا له يا رسول الله انا والله الموتور الثائر قتل أخي بالامس فقال فقم اليه اللهم أعنه عليه قال فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عمرية من شجر العشر فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها فعضت به فامسكته وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله * قال ابن اسحق ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يقول من يبارز فزعم هشام بن عروة ان الزبير بن العوام خرج الى ياسر فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابني يا رسول الله قال بل ابنك يقتله ان شاء الله فخرج الزبير فالتقيا فقتله الزبير * قال ابن اسحق فحدثني هشام بن عروة أن الزبير كان اذا قيل له والله ان كان سيفك يومئذ لصارما عضبا قال والله ما كان صارما ولكني أكرهته * قال ابن اسحق وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمي عن أبيه سفيان عن سلمة بن عمرو بن

الاكوع قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه برايته وكانت بيضاء فيما قال ابن هشام الى بعض حصون خيبر فقاتل فرجع ولم يك فتح وقد جهد ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يك فتح وقد جهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار قال يقول سلمة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضوان الله عليه وهو أرمد فتفل في عينه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك قال يقول سلمة فخرج والله بها يانح يهرول هرولة وانا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع اليه يهودي من رأس الحصن فقال من أنت قال أنا علي بن أبي طالب قال يقول اليهودي علوتم وما أنزل على موسى أو كما قال قال فما رجع حتى فتح الله على يديه * قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن الحسن عن بعض أهله عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرجنا مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته فلما دنا من الحصن خرج اليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطاح ترسه من يده فتناول علي عليه السلام بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ فلقد رأيتني في نفر سبعة معي أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه * قال ابن اسحق وحدثني بريدة بن سفيان الاسلمي عن بعض رجال بني سلمة عن أبي اليسر كعب بن عمرو قال والله انا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات عشية اذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل يطعمنا من هذه الغنم قال أبو اليسر فقلت أنا يا رسول الله قال فافعل قال فخرجت أشتد مثل الظليم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا قال اللهم أمتعنا به قال فادركت الغنم وقد دخلت أولاها الحصن فاخذت شاتين من أخراها فاحتضنتهما تحت يدي ثم أقبلت بهما أشتد

ابن محمد فقال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الحمر الاهلية عام خيبر وعن المتعة فمعناه على هذا اللفظ ونهى عن المتعة بعد ذلك أو في غير ذلك اليوم فهو اذا تقديم وتاخير وقع في لفظ ابن شهاب لا في لفظ مالك لان مالكا قد وافقه على لفظه جماعة من رواة ابن شهاب وقد اختلف في تحريم نكاح المتعة فاغرب ما روي في ذلك رواية من قال ان ذلك كان في غزوة تبوك ثم رواية الحسن ان ذلك كان في عمرة القضاء والمشهور في تحريم نكاح المتعة رواية الربيع بن سبرة عن أبيه ان ذلك كان عام الفتح وقد خرج مسلم الحديث بطوله وفي هذا أيضا حديث آخر خرجه أبو داود ان تحريم نكاح المتعة كان في حجة الوداع ومن قال من الرواة كان في غزوة أوطاس فهو موافق لمن قال عام الفتح فتامله والله المستعان * وذكر قوله عليه السلام لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح على يديه وفي غير رواية ابن اسحق فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها ومعناه من الدوكة والدوكة وهو اختلاط الاصوات * وذكر ان عليا رضي الله عنه انطلق بالراية يانح وفي غير رواية ابن اسحق يؤج فمن رواه يانح فهو من الانيح وهو علو النفس يقال فرس أنوح من هذا ويروى عن عمر رضي الله عنه انه رأى رجلا يانح ببطنه فقال ما هذا فقال بركة من الله فقال بل هو عذاب عذبك به ومن رواه يؤج فمعناه يسرع يقال أجت الناقة تؤج اذا أسرعت في مشيها و زاد الشيباني عن ابن اسحق في هذا الحديث حين ذكر ان عليا كان أرمد وان النبي صلى الله عليه وسلم تفل في عينيه فبرأ قال فما وجعت عينه حتى مضى سبيله قال وكان علي يلبس القباء المحشو الثخين في شدة الحر فلا يبالي بالحر ويلبس الثوب الخفيف في شدة البرد فلا يبالي بالبرد وسئل عن ذلك فاخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له يوم خيبر حين رمدت عينه أن يشفيه الله وأن يجنبه الحر والبرد فكان ذلك

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث عبد الله بن مغفل حين احتمل جراب الشحم وأراد صاحب المغانم أخذه منه ولم يذكر اسم صاحب المغانم وروي عن ابن وهب انه قال كان على المغانم يوم خيبر أبو اليسر كعب بن عمرو ابن زيد الانصاري هكذا وجدته في بعض كتب الفقه مرويا عن ابن وهب ولم يتصل لي به اسناد

كأنه ليس معي شيء حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحوهما فأكلوهما فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاكا فكان اذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال امتعوا بي لعمري حتى كنت من آخرهم هلكا * قال ابن اسحق ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القموص حصن بني أبي الحقيق أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية ابنة حيي بن أخطب وباخرى معها فمر بهما بلال وهو الذي جاء بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال فيما بلغني حين رأى بتلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا انك تمنين ملك الحجاز محمدا فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها فأتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه فسألها ما هو فأخبرته هذا الخبر

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله عنه فجحد ان يكون يعرف مكانه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من يهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت ان وجدناه عندك أأقتلك قال نعم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله عما بقي فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ابن العوام فقال عذبه حتى تستأصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة * وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر في حصنيهم الوطيح والسلالم حتى اذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وان يحقن دماءهم ففعل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الاموال كلها الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم الا ما كان من ذينك الحصنين فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ويخلوا له الاموال ففعل وكان ممن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود أخو بني حارثة فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الاموال على النصف وقالوا نحن أعلم بها منكم وأعمر لها فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف على انا اذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر فيأ بين المسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب ابنة الحرث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية وقد سألت أي عضو من الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فأكثرت فيها من السم ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم

﴿ فصل ﴾ وذكر صفية بنت حيي وأمها بردة بنت سموال أخت رفاعة بن سموال المذكور في الموطأ وانه اصطفاها لنفسه وفي حديث آخر عن عائشة قالت كانت صفية من الصفي والصفي ما يصطفيه أمير الجيش لنفسه قال الشاعر * لك المرباع منها والصفايا * فالمرباع ربع الغنيمة والصفي ما يصطفي للرئيس وكان هذا في الجاهلية فنسخ المرباع بالخمس وبقي أمر الصفي وكانت أموال النبي صلى الله عليه وسلم من ثلاثة أوجه من الصفي والهدية تهدى اليه وهو في بيته لا في الغزو من بلاد الحرب ومن خمس الخمس وروى يونس عن ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع الانصاري قال حدثني عثمان بن كعب القرظي قال لي رجل من بني النضير كان في حجر صفية بنت حيي من رهطها يقال له ربيع عن صفية بنت حيي قالت ما رأيت أحدا قط أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيته ركب بي من خيبر حين أفاءه الله عليه على ناقته ليلا فجعلت أنعس فيضرب رأسي مؤخرة الرحل فيمسني بيده ويقول يا هذه مهلا يا ابنة حيي حتى اذا جاء الصهباء قال أما اني أعتذر اليك يا صفية مما صنعت بقومك انهم قالوا لي كذا وقالوا لي كذا وحديث اصطفائه صفية يعارضه في الظاهر الحديث الآخر عن أنس انها صارت لدحية فأخذها منه وأعطاه سبعة أرؤس ويروى انه أعطاه بنتي عمها عوضا منها ويروى أيضا انه قال له خذ رأسا آخر مكانها ولا معارضة بين الحديثين فانما أخذها من دحية قبل القسم وما عوضه منها ليس على جهة البيع ولكن على جهة النفل والهبة والله أعلم غير أن بعض رواة الحديث في المسند الصحيح يقولون فيه انه اشترى صفية من دحية وبعضهم يزيد فيه بعد القسم فالله أعلم أي ذلك كان وكان أمر الصفي انه كان عليه السلام اذا غزا في الجيش اختار من الغنيمة قبل القسم رأسا

يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور وقد اخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قال بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحت منه وان كان نبيا فسيخبر قال فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر من أكلته التي أكل * قال ابن اسحق وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال في مرضه الذي توفي فيه ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده يا أم بشر ان هذا الاوان وجدت فيه انقطاع أبهري من الاكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر قال فان كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة * قال ابن اسحق فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف الى وادي القرى فحاصر أهله ليالي ثم انصرف راجعا الى المدينة * قال ابن اسحق فحدثني ثور بن زيد عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة قال فلما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر الى وادي القرى نزلنا بها أصيلا مع مغرب الشمس ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام له أهداه له رفاعة بن زيد الجذامي ثم الضبي «قال ابن هشام» جذام أخو لخم قال فوالله انه ليضع رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه سهم غرب فاصابه فقتله فقلنا هنيا له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفس محمد بيده ان شملته الآن لتحترق عليه في النار وكان غلها من فيء المسلمين يوم خيبر قال فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه فقال يارسول الله أصبت شراكين لنعلين لي قال فقال يقد لك مثلهما من النار * قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن مغفل المزني قال أصبت من فيء خيبر جراب شحم فاحتملته على عاتقي الى رحلي وأصحابي قال فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها فاخذ بناحيته وقال هلم هذا حتى نقسمه بين المسلمين قال قلت لا والله لا أعطيكه قال فجعل يجاذبني الجراب قال فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ثم قال لصاحب المغانم لا أبا لك خل بينه وبينه قال فارسله فانطلقت به الى رحلي وأصحابي فاكلناه * قال ابن اسحق ولما أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بخيبر او ببعض الطريق وكانت التي جملتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك فبات بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة له وبات أبو أيوب خالد بن زيد أخو بني النجار متوشحا سيفه يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطيف بالقبة حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى مكانه قال مالك يا أبا أيوب قال يارسول الله خفت عليك من هذه المرأة وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني * قال ابن اسحق وحدثني الزهري عن سعيد بن المسيب قال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام قال بلال أنا يارسول الله أحفظه عليك فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل الناس فناموا وقام بلال يصلي فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلي ثم استند الى بعيره واستقبل الفجر يرمقه فغلبته عينه فنام فلم يوقظهم الا مس الشمس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه هب

وضرب له بسهم مع المسلمين فاذا قعد ولم يخرج مع الجيش ضرب له بسهم ولم يكن له صفي ذكره أبو داود وأمر الصفي بعد الرسول عليه السلام لامام المسلمين في قول أبي ثور وخالفه جمهور الفقهاء وقالوا كان خصوصا للنبي عليه السلام * وقوله أعتقها وجعل عتقها صداقها هو صحيح في النقل وقال به كثير من العلماء ومن لم يقل به من الفقهاء تأوله خصوصا بالنبي صلى الله عليه وسلم أو منسوخا وممن لم يقل به مالك بن أنس وجماعة سواه لا يرون مجرد العتق يغني عن صداق * وذكر حديث حنش الصنعاني عن رويفع بن ثابت هو حنش بن عبد الله السبائي جاز الى الاندلس مع موسى بن نصير وهو الذي ابتنى جامع سرقسطة وأسس جامع قرطبة أيضاً فيما ذكروا وتوهم البخاري انه حنش بن علي وان الاختلاف في اسم أبيه وقد فرق بينهما علي بن المديني فقال حنش بن علي السبائي من صنعاء الشام ومنها أبو الاشعث الصنعاني وحنش بن عبد الله السبائي من صنعاء اليمن وكلاهما يروي عن علي فمن ههنا دخل الوهم على البخاري هكذا ذكر أبو بكر الخطيب ويروي عن علي أيضاً حنش بن ربيعة وحنش بن المعتمر وهما غير هذين * وفيه ان لا توطأ حامل من السبايا حتى تضع وذكر باقي الحديث وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر انه نظر الى أمة مجح أي مقرب فسأل عن صاحبها فقيل انه يلم بها فقال لقد هممت أن ألعنه لعنة تدخل معه في قبره وذكر الحديث فهذا اوجه في معنى قوله لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماؤه زرع غيره يعني اتيان الحبالى من السبايا فان فعل فالولد مختلف في الحاقه به فقال مالك والشافعي لا يلحق به وقال الليث يلحق به لقول النبي صلى الله عليه وسلم كيف يستعبده وقد غذاه في سمعه وبصره

فقال ماذا صنعت بنا يا بلال قال يا رسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك قال صدقت ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيره غير كثير ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس ثم أمر بلالا فأقام الصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس فلما سلم أقبل على الناس فقال اذا نسيتم الصلاة فصلوها اذا ذكرتموها فان الله تبارك وتعالى يقول أقم الصلاة لذكرى * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى قد أعطى ابن لقيم العبسى حين افتتح خيبر ما بها من دجاجة أو داجن وكان فتح خيبر فى صفر فقال ابن لقيم العبسى فى خيبر

رميت نطاة من الرسول بفيلق ... شهباء ذات مناكب وفقار
واستيقنت بالذل لما شيعت ... ورجال أسلم وسطها وغفار
صبحت بنى عمرو بن زرعة غدوة ... والشق أظلم أهله بنهار
جرت بأبطحها الذيول فلم تدع ... الا الدجاج تصيح فى الاسحار
ولكل حصن شاغل من خيلهم ... من عبد الاشهل أو بنى النجار
ومهاجرين قد أعلموا سيماهم ... فوق المغافر لم ينوا لفرار
ولقد علمت ليغلبن محمد ... وليثوين بها الى أصفار
فرت يهود يوم ذلك فى الوغى * تحت العجاج غمائم الابصار

« قال ابن هشام » وقرنها فرت كشفت كما تفر الدابة بالكشف عن أسنانها يريد كشفت عن جفون العيون غمائم الابصار يريد الابصار * قال ابن اسحق وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من نساء المسلمين فرضخ لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفىء ولم يضرب لهن بسهم

﴿فصل﴾ ومما يتصل بقصة مرحب اليهودى مع على بن أبى طالب رضى الله عنه من غير رواية الكتاب قول على

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * أضرب بالسيف رؤس الكفره * أكيلهم بالصاع كيل السندره

أى أجزيهم بالوفاء والسندرة شجرة يصنع منها مكاييل عظام وفى قوله رضى الله عنه سمتنى أمى حيدره ثلاثة أقوال ذكرها قاسم بن ثابت أحدها ان اسمه فى الكتب المتقدمة أسد والاسد هو الحيدرة الثانى ان أمه فاطمة بنت أسد حين ولدته كان أبوه غائبا فسمته باسم أبيها أسد فقدم أبوه فسماه عليا الثالث انه لقب فى صغره بحيدرة لان الحيدرة الممتلئ لحما مع عظم بطن وكذلك كان على رضى الله عنه ولذلك قال بعض اللصوص حين فر من سجنه الذى كان يسمى نافعا وقيل فيه يافع أيضا بالياء

ولو انى مكثت لهم قليلا * لجرونى الى شيخ بطين

وذكر شقا والنطاة وشق بالفتح اعرف عند أهل اللغة كذلك قيده البكرى * وذكر وادى خاص من أرض خيبر وقال أبو الوليد انما هو وادى خلص باللام والاول تصحيف وقال البكرى هو خلص باللام وأنشد البكرى لخالد بن عامر

وان بخلص خلص ارة بدنا * نواعم كالغزلان مرضى عيونها

﴿فصل﴾ وذكر فى أشعار خيبر قول العبسى وفى آخره

فرت يهود يوم ذلك فى الوغا * تحت العجاج غمائم الابصار

وهو بيت مشكل غير ان فى بعض النسخ وهى قليلة عن ابن هشام انه قال فرت فتحت من قولك فرت الدابة اذا فتحت فاها وغمائم الابصار هى مفعول فرت وهى جفون أعينهم هذا قول وقد يصح ان يكون فرت من الفرار وغمائم الابصار من صفة العجاج وهو الغبار ونصبه على الحال من العجاج وان كان لفظه لفظ المعرفة عند من ليس بشاذ فى النحو ولا ماهر فى العربية وأما عند أهل التحقيق فهو نكرة لانه لم يرد الغمائم حقيقة وانما أراد مثل الغمائم فهو مثل قول امرئ القيس * بمنجرد قيد الاوابد هيكل * فقيدها هنا نكرة لانه أراد مثل القيد ولذلك نعت به منجردا أو جعله فى معنى مقيد وكذلك قول عبدة بن الطبيب * تحية من غادرته غرض الردى * فنصب غرضا على الحال وأصح الاقوال فى قوله سبحانه «زهرة الحياة الدنيا» انه حال من المضمر المخفوض لانه أراد التشبيه بالزهرة من النبات ومن هذا النحو قولهم جاء القوم الجماء الغفير انتصب على الحال وفيه الالف واللام وهو من باب ما قدمناه من التشبيه وذلك أن الجماء هى بيضة الحديد تعرف بالجماء والصلعاء فاذا جعل معها المغفر فهى غفير فاذا قلت جاؤا الجماء الغفير فانما أردت العموم والاحاطة بجميعهم أى جاؤا جيئة تشملهم وتستوعبهم كما تحيط البيضة الغفير بالرأس فلما قصدوا معنى التشبيه دخل الكلام التنكير كما تقدم وكذلك قولهم تفرقوا أيدى سبا وأيادى سبا أى مثل أيدى سبا فحسنت فيه الحال لذلك والذى قلناه فى معنى الجماء الغفير رواه أبو حاتم عن أبى عبيدة وكان علامة بكلام العرب ولم يقع سيبويه على هذا الغرض فى معنى الجماء فجعلها كلمة شاذة عن القياس واعتقد فيها التعريف

وقرنها بباب وحده وفي باب وحده أسرار قد أمليناها في غير هذا الكتاب ومسئلة وحده تختص بباب وحده وهذا الذي ذكرنا من التنكير بسبب التشبيه انما يكون اذا شبهت الاول باسم مضاف وكان التشبيه بصفة متعدية الى المضاف اليه كقوله قيد الاوابد أي مقيد الاوابد ولو قلت مررت بامرأة القمر على التشبيه لم يجز لان الصفة التي وقع بها التشبيه غير متعدية الى القمر فهذا شرط في هذه المسئلة ومما يحسن فيه التنكير وهو مضاف الى معرفة اتفاق اللفظين كقوله له صوت صوت الحمار وزئير زئير الاسد ﴿فان قلت﴾ فما بال الجماء الغفير جاز فيها الحال وليست بمضافة ﴿قلنا﴾ لم تقل العرب جاء القوم البيضة فيكون مثل ما قدمناه من قولك مررت بهذا القمر وانما قالوا الجماء الغفير بالصفة الجامعة بينها وبين ما هي حال منه وتلك الصفة الجم وهو الاستواء والغفر وهي التغطية فمعنى الكلام جاؤا جيئة مستوية لهم موعبة لجميعهم فقوى معنى التشبيه بهذا الوصف فدخل التنكير لذلك وحسن النصب على الحال وهي حال من المجيء

﴿فصل﴾ وذكر حديث الشاة المسمومة وأكل بشر بن البراء منها وفيه ان الذراع كانت تعجبه لانها هادي الشاة وأبعدها من الاذى فلذلك جاء مفسرا في هذا اللفظ * فأما المرأة التي سمته فقال ابن اسحق صفح عنها وقد روى أبو داود انه قتلها ووقع في كتاب شرف المصطفى انه قتلها وصلبها وهي زينب بنت الحارث بن سلام وقال أبو داود هي أخت مرحب اليهودي وروى أيضا مثل ذلك ابن اسحق ووجه الجمع بين الروايتين انه عليه السلام صفح عنها أولا لانه كان صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه فلما مات بشر بن البراء من تلك الاكلة قتلها وذلك ان بشرا لم يزل معتلا من تلك الاكلة حتى مات منها بعد حول وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند موته مازالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت ابهري وكان ينفث منها مثل عجم الزبيب وتعادني أي تعتادني المرة بعد المرة قال الشاعر

ألاقي من تذكر آل ليلى * كما يلقى السليم من العداد

والابهر عرق مستبطن القلب قال ابن مقبل

وللفؤاد وجيب تحت أبهره * لدم الوليد وراء الغيب بالحجر

وقد روى معمر بن راشد في جامعه عن الزهري انه قال أسلمت فتركها النبي صلى الله عليه وسلم قال معمر هكذا قال الزهري أسلمت والناس يقولون قتلها وانها لم تسلم وفي جامع معمر بن راشد أيضا ان أم بشر بن البراء قالت للنبي صلى الله عليه وسلم في المرض الذي مات منه ما تتهم يارسول الله فاني لا أتهم ببشر الا الاكلة التي أكلها معك بخيبر فقال وأنا لا أتهم بنفسي الا ذلك فهذا أوان قطعت أبهري

﴿فصل﴾ وذكر حديث الغفارية التي شهدت خيبر ولم يسمها وقد يقال اسمها ليلى ويقال هي امرأة أبي ذر الغفاري وقولها رضخ لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أصل الرضخ ان تكسر من الشيء الرطب كسرة فتعطيها * وأما الرضح بالحاء المهملة فكسر اليابس الصلب قال الشاعر

* كما تطاير عن مرضاحه العجم * وقولها أمرني أن اجعل في طهوري ملحا فيه رد على من زعم من الفقهاء ان الملح في الماء اذا غير طعمه صيره مضافا فطاهرا غير مطهر وفي هذا الحديث ما يدفع قوله ومن طريق النظر أن المخالط للماء اذا غلب على أحد أوصافه الثلاثة الطعم أو اللون أو الرائحة كان حكم الماء كحكم المخالط له فان كان طاهرا غير مطهر كان الماء به كذلك واذا كان لا طاهرا ولا مطهرا كالبول كان الماء لمخالطته كذلك وان كان المخالط له طاهرا مطهرا كالتراب كان الماء طاهرا مطهرا والملح ان كان

* قال ابن اسحق حدثني سليمان بن سحيم عن أمية بنت أبي الصلت عن امرأة من بني غفار قد سماها لي قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من بني غفار فقلنا يارسول الله قد أردنا أن نخرج معك الى وجهك هذا وهو يسير الى خيبر فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال على بركة الله قالت فخرجنا معه وكنت جارية حدثة فاردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله قالت فوالله لنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصبح وأناخ ونزلت عن حقيبة رحله واذا بها دم مني وكانت أول حيضة حضتها قالت فتقبضت الى الناقة واستحييت فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ورأى الدم قال مالك لعلك نفست قالت قلت نعم قال فاصلحي من نفسك ثم خذي اناء من ماء فاطرحي فيه ملحا ثم اغسلي به ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي لمركبك قالت فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر رضخ لنا من الفيء وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فاعطانيها وعلقها بيده في عنقي فوالله لا تفارقني أبدا قالت فكانت في عنقها حتى ماتت ثم أوصت ان تدفن معها قالت وكانت لا تطهر من حيضة الا جعلت في طهورها ملحا وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت

* قال ابن اسحق وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين * من قريش ثم من بنى أمية بن عبد شمس ثم من حلفائهم ربيعة بن أكثم بن صخيرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد * وثقف بن عمرو * ورفاعة بن مسروح * ومن بنى أسد بن عبد العزى عبد الله بن الهبيب ويقال الهبيب فيما قال ابن هشام بن أهيب بن سحيم بن غيرة من بنى سعد بن ليث حليف لبنى أسد وابن أختهم * ومن الانصار ثم من بنى سلمة بشر بن البراء بن معرور ومات من الشاة التى سم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفضيل بن النعمان رجلان * ومن بنى زريق مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة بن عامر بن زريق * ومن الاوس ثم من بنى عبد الاشهل محمود بن مسلمة بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحرث حليف لهم من بنى حارثة * ومن بنى عمرو بن عوف أبو ضياح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرى القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف * والحرث بن حاطب * وعروة بن مرة بن سراقة * وأوس بن القائد * وأنيف بن حبيب * وثابت ابن أثلة * وطلحة * ومن بنى غفار عمارة بن عقبة رمى بسهم * ومن أسلم عامر بن الاكوع * والاسود الراعى وكان اسمه أسلم «قال ابن هشام» الاسود الراعى من أهل خيبر * وممن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهرى من بنى زهرة مسعود بن ربيعة حليف لهم من القارة * ومن الانصار من بنى عمرو ابن عوف أوس بن قتادة

﴿ أمر الاسود الراعى فى حديث خيبر ﴾

* قال ابن اسحق وكان من حديث الاسود الراعى فيما بلغنى أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم له كان فيها أجيرا لرجل من يهود فقال يا رسول الله اعرض على الاسلام فعرضه عليه فأسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقر أحدا ان يدعوه الى الاسلام ويعرضه عليه الا

فلما أسلم قال يا رسول الله انى كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم وهى أمانة عندى فكيف أصنع بها قال اضرب فى وجوهها فانها سترجع الى ربها أو كما قال فقام الاسود فأخذ حفنة من الحصى فرمى بها فى وجوهها وقال ارجعى الى صاحبك فوالله لا أصحبك أبدا فخرجت مجتمعة كان سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم الى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله وما صلى لله صلاة قط فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع خلفه وسجى بشملة كانت عليه فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا يا رسول الله لم أعرضت عنه قال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين * قال ابن اسحق وأخبرنى عبد الله بن أبى نجيح انه ذكر له ان الشهيد اذا ما أصيب تدلت زوجتاه من الحور العين عليه تنفضان التراب عن وجهه وتقولان ترب الله وجه من تربك وقتل من قتلك

﴿ أمر الحجاج بن علاط ﴾ * قال ابن اسحاق ولما فتحت خيبر كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ماء جامدا فهو فى الاصل طاهر مطهر وان كان معدنيا ترابيا فهو كالتراب فى مخالطة الماء فلا معنى لقول من جعله ناقلا للماء عن حكم الطهارة والتطهير وقع فى رواية يونس فى السيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم اغتسل عام الفتح من جفنة فيها ماء وكافور ومحمل هذه الرواية عندى ان صحت على انه قصد بها التطيب وانه لم يكن محدثا ولابى حنيفة فى هذه الرواية متعلق لترخيصه * وذكر فيمن استشهد بخيبر أبا الضياح بن ثابت ولم يسمه وقال الطبرى اسمه النعمان بن ثابت بن النعمان وقال غيره اسمه عمير * وذكر فيمن استشهد عامر بن الاكوع وهو الذى رجع عليه سيفه فقتله فشك الناس فيه فقالوا اقتله سلاحه فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال انه جاهد مجاهد وقل عربى مشابهامثله وفى رواية مشى بهامثله ويروى أيضا نشأ بهامثله كل هذا يروى فى الجامع الصحيح وهذا اضطراب من رواة الكتاب فمن قال مشى بهامثله فالهاء عائدة على المدينة كما تقول ليس بين لابتيها مثل فلان يقال هذا فى المدينة وفى الكوفة ولا يقال فى بلد ليس حوله لابتان أى حرتان ويجوز ان تكون الهاء عائدة على الارض كما قال سبحانه «كل من عليها فان» ومن رواه مشابها مفاعلا من الشبه فهو حال من عربى والحال من النكرة لا باس به اذا دلت على تصحيح معنى كما جاء فى الحديث فصلى خلفه رجال قياما الحال ههنا مصححة لفقه الحديث أى صلوا فى هذه الحال ومن احتج فى الحال من النكرة بقولهم وقع أمر فجأة فلم يصنع شيأ لان فجأة ليس حالا من أمر انما هو حال من الوقوع كما تقول جاءنى رجل مشيا فليس مشيا حالا من رجل كما توهموا وانما هى حال من المجىء لان الحال هى صاحب الحال وتنقسم أقساما حال من فاعل كقولك جاء زيد ماشيا وحال من الفعل كقولك جاء زيد مشيا وركضا وحال من المفعول كقولك جاءنى القوم جالسا فهى صفة المفعول فى وقت وقوع الفعل عليه أو صفة الفاعل فى وقت وقوع الفعل منه أو صفة الفعل فى وقت وقوعه ونعنى بالفعل المصدر

﴿ فصل وذكر حديث الحجاج بن علاط السلمى ﴾ وقد ذكرنا فى حديث اسلامه خبرا عجيبا اتفق له مع الجن وهو والد نصر بن حجاج الذى حلق عمر رأسه ونفاه من المدينة لما سمع قول المرأة فيه

الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي فقال يارسول الله ان لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة بنت أبي طلحة وكانت عنده له منها معرض بن الحجاج ومال متفرق في تجار أهل مكة فاذن لي يارسول الله فاذن له قال انه لا بد لي يارسول الله من أن أقول قال قل قال الحجاج فخرجت حتى اذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يستمعون الاخبار و يسالون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغهم انه قد سار الى خيبر وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفا ومنعة ورجالا فهم يتجسسون الاخبار و يسالون الركبان فلما رأوني قالوا الحجاج بن علاط قال ولم يكونوا علموا باسلامي عنده والله الخبر أخبرنا يا أبا محمد فانه قد بلغنا ان القاطع قد سار الى خيبر وهي بلد يهود و ريف الحجاز قال قلت قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم قال فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون ايه ياحجاج قال قلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط وأسر محمد أسرا وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فقاموا وصاحوا بمكة وقالوا قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال قلت أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي فاني اريد ان اقدم خيبر فاصيب من فل محمد واصحابه قبل ان يسبقني التجار الى ما هنالك «قال ابن هشام» و يقال من فيء محمد * قال ابن اسحق قال فقاموا فجمعوا الى مالي كاحث جمع سمعت به قال وجئت صاحبتي فقلت مالي وقد كان لي عندها مال موضوع لعلي ألحق بخيبر فاصيب من فرص البيع قبل ان يسبقني التجار قال فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عني اقبل حتى وقف الى جنبي وانا في خيمة من خيام التجار فقال ياحجاج ماهذا الخبر الذي جئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما وضعت عندك قال نعم قال قلت فاستاخر عني حتى ألقاك على خلاء فاني في جمع مالي كما ترى فانصرف عني حتى افرغ قال حتى اذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة واجمعت الخروج لقيت العباس فقلت احفظ على حديثي يا ابا الفضل فاني اخشى الطلب ثلاثا ثم قل ماشئت قال افعل قال فاني والله لقد تركت ابن اخيك عروسا على بنت ملكهم يعني صفية بنت حيي ولقد افتتح خيبر وانتثل مافيها وصارت له ولاصحابه فقال ماتقول ياحجاج قال قلت اي والله فاكتم عني ولقد اسلمت وماجئت الا لآخذ مالي فرقا من ان اغلب عليه فاذا مضت ثلاث فاظهر أمرك فهو والله على ماتحب قال حتى اذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا ابا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة قال كلا والله الذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على بنت ملكهم وأحرز أموالهم ومافيها فاصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما فاخذ ماله فانطلق ليلحق بمحمد واصحابه فيكون معه قالوا يالعباد الله انفلت عدو الله اما والله لو علمنا لكان لنا وله شان قال ولم ينشبوا ان جاءهم الخبر بذلك * قال ابن اسحق وكان مما قيل من الشعر في يوم خيبر قول حسان بن ثابت

بئس ماقاتلت خيابر عما * جمعوا من مزارع ونخيل
كرهوا الموت فاستبيح حماهم * واقروا فعل اللئيم الذليل
امن الموت تهربون فان الـ * ـموت موت الهزال غير جميل

وقال حسان بن ثابت ايضا وهو يعذر ايمن بن ام ايمن بن عبيد وكان قد تخلف عن خيبر وهو من بني عوف بن الخزرج وكانت امه ام ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ام اسامة بن زيد فكان أخا اسامة لامه

ألا سبيل الى خمر فاشربها * أم لا سبيل الى نصر بن حجاج

وهذه المرأة هي الفريعة بنت همام و يقال انها أم الحجاج بن يوسف ولذلك قال له عروة بن الزبير يا ابن المتمنية وكان من أحسن الناس لمة ووجها فاتى الشام فنزل على أبي الاعور السلمي فهويته امرأته وهواها وفطن أبو الاعور لذلك بسبب يطول ذكره فابتنى له قبة في أقصى الحي فكان بها فاشتد ضناه بالمرأة حتى مات كلفا بها وسمي المضنى وضربت به الامثال وذكر الاصبهاني في كتاب الامثال له خبره بطوله وقوله الحجاج بن علاط والعلاط وسم في العنق و يقال له العلطة أيضا وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لا بد لي ان أقول فقال له قل يعني التكذب فاباحه له لانه من خدع الحرب وقال المبرد انما صوابه أتقول اذا أردت معنى التكذب وأخذ هذا المعنى حبيب فقال

بحسب امرئ أثنى عليك بانه * يقول وان أربى فلا يتقول

أي يقول الحق اذا مدحك وان أفرط فليس افراطه بتقول وذكر غير ابن اسحق في حديث حجاج ان قريشا قالت حين أفلتهم أولى له وهي كلمة معناها الوعيد وفي التنزيل «أولى لك فاولى» فهي على وزن أفعل من ولي أي قد وليه الشر وقال الفارسي هي اسم علم ولذلك لم ينصرف وجدت هذا في بعض مسائله ولا تتضح لي العلمية في هذه الكلمة وانما هو عندي كلام حذف منه والتقدير الذي تصير اليه من الشر أو العقوبة أولى لك أي أزم لك أي انه يليك وهو أولى لك مما فررت منه فهو في موضع رفع ولم ينصرف لانه وصف على وزن أفعل وقول الفارسي هو في موضع نصب جعله من باب تباله غير انه جعله علما لما رآه غير منون

﴿فصل﴾ وذكر شعر حسان في ابن أم أيمن واسم أبيه عبيد واسم أمه أم أيمن بركة وهي ام أسامة بن زيد

علي حين أن قالت لأيمن أمه * جبنت ولم تشهد فوارس خيبر وأيمن لم يجبن ولكن مهره * أضر به شرب المديد المخمر
ولولا الذي قد كان من شان مهره * لقاتل فيهم فارسا غير أعسر ولكنه قد صده فعل مهره * وما كان منه عنده غير أيسر
«قال ابن هشام» أنشدني أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك وأنشدني ولكنه قد صده شان مهره * وما كان لولا ذاكم بمقصر
* قال ابن اسحق وقال ناجية بن جندب الاسلمي يالعباد الله فيم يرغب * ماهو الا مأكل ومشرب * وجنة فيها نعيم معجب *
وقال ناجية بن جندب الاسلمي أيضا أنا لمن أنكرني ابن جندب * يارب قرن في مكري أنكب * طاح بمغدي أنسر وثعلب *
«قال ابن هشام» أنشدني بعض الرواة (٢٤٦) للشعر قوله في مكري وطاح بمغدى وقال كعب بن مالك في يوم خيبر فيما ذكر

ابن هشام عن أبي زيد الانصاري
ونحن وردنا خيبرا وفروضه
بكل فتى عاري الاشاجع مذود
جواد لدى الغايات لا واهن القوى
جرىء على الاعداء في كل مشهد
عظيم رماد القدر في كل شتوة
ضروب بنصل المشرفي المهند
يرى القتل مدحا ان أصاب شهادة
من الله يرجوها وفوزا باحمد
يذود ويحمي عن ذمار محمد
ويدفع عنه باللسان وباليد
وينصره من كل أمر يريبه
يجود بنفس دون نفس محمد
يصدق بالانباء بالغيب مخلصا
يريد بذاك الفوز والعز في غد

يقال لها أم الظباء قال الواقدي اسمها بركة بنت ثعلبة وكانت أمة لعبد الله بن عبد المطلب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول أم ايمن أمي بعد أمي ويقال كانت لآمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي هاجرت على قدميها من مكة الى المدينة وليس معها أحد وذلك في حر شديد فعطشت فسمعت حفيفا فوق رأسها فالتفتت فاذا دلو قد أدليت لها من السماء فشربت منها فلم تظمأ أبدا وكانت تتعمد الصوم في حارة القيظ لتعطش فلا تعطش وكان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها وكان الخليفتان يزورانها بعده وقد روى مثل قصتها عن أم شريك الدوسية انها عطشت في سفر فلم تجد ماء الا عند يهودي وأبى أن يسقيها الا أن تدين بدينه فابت الا أن تموت عطشا فدليت لها دلو من السماء فشربت ثم رفعت الدلو وهي تنظر ذكر خبرها ابن اسحاق في السيرة من غير رواية ابن هشام وهو أطول مما ذكرنا * وقول حسان

وأيمن لم يجبن ولكن مهره * أضر به شرب المديد المخمر

المديد وقع في الاصل وهو معروف ولكن الفيت في حاشية الشيخ عن ابن دريد المريد براء والمريس أيضا وهو تمر ينقع ثم يمرس وأنشد * مسنفات تسقى ضياح المريد * وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لابي أيوب حين بات يحرسه حرسك الله يا أبا أيوب كما بت تحرس نبيه ﴿قال المؤلف﴾ فحرس الله أبا أيوب بهذه الدعوة حتى ان الروم لتحرس قبره ويستسقون به ويستصحون وذلك انه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمسين فلما بلغوا القسطنطينية مات أبو أيوب هنالك وأوصى يزيد أن يدفنه في أقرب موضع من مدينة الروم فركب المسلمون ومشوا به حتى اذا لم يجدوا مساغا دفنوه فسألتهم الروم عن شأنهم فاخبروهم انه كبير من أكابر الصحابة فقالت الروم ليزيد ما أحمقك وأحمق من أرسلك أأمنت ان ننبشه بعدك فنحرق عظامه فاقسم لهم يزيد لئن فعلوا ذلك لنهدمن كل كنيسة بارض العرب ولننبشن قبورهم فحينئذ حلفوا لهم بدينهم ليكرمن قبره وليحرسنه ما استطاعوا فروى ابن القاسم عن ملك قال بلغني ان الروم يستسقون بقبر أبي أيوب رحمه الله فيسقون

﴿قسم أموال خيبر وأراضيها﴾

أما قسم غنائمها فلا خلاف فيه وفي كل مغنم بنص القرآن كما تقدم في غزاة بدر وأما أرضها فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين من حضرها من أهل الحديبية وأخرج الخمس لله ولرسوله ولذي القربى واليتامى والمساكين

﴿ذكر مقاسم خيبر وأموالها﴾ * قال ابن اسحق وكانت المقاسم على أموال خيبر على الشق ونطاة والكتيبة فكانت الشق ونطاة في سهمان المسلمين وكانت الكتيبة خمس الله وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وطعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وطعم رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل فدك بالصلح منهم محيصة بن مسعود وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين وسقا من شعير وثلاثين وسقا من تمر وقسمت خيبر على أهل الحديبية من شهد خيبر ومن غاب عنها ولم يغب عنها الا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضرها وكان واديها وادي السرير ووادي خاص وهما اللذان قسمت عليهما خيبر وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهما نطاة من ذلك خمسة أسهم

بالشق ثلاثة عشر سهما وقسمت الشق ونطاة على ألف سهم وثمانمائة سهم وكانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف سهم وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم الرجال أربع عشرة مائة والخيل مائتا فرس فكان لكل فرس سهمان ولفارسه سهم وكان لكل راجل سهم فكان لكل سهم رأس جمع اليه مائة رجل فكانت ثمانية عشر سهما جمع «قال ابن هشام» وفى يوم خيبر عرب رسول الله صلى الله عليه وسلم العربى من الخيل وهجن الهجين * قال ابن اسحق فكان على بن أبى طالب رأسا والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى أخو بنى العجلان وأسيد بن الحضير وسهم بن الحرث بن الخزرج وسهم ناعم وسهم بنى بياضة وسهم بنى عبيدة وسهم بنى حرام من بنى سلمة وعبيد السهام «قال ابن هشام» وانما قيل له عبيد السهام لما اشترى من السهام يوم خيبر وهو عبيد بن أوس أحد بنى حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس * قال ابن اسحق وسهم ساعدة وسهم غفار وأسلم وسهم النجار وسهم حارثة وسهم أوس فكان أول سهم خرج من خيبر بنطاة سهم الزبير بن العوام وهو الخوع وتابعه السرير ثم كان الثانى سهم بياضة ثم كان الثالث سهم أسيد ثم كان الرابع سهم بنى الحرث بن الخزرج ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف ابن الخزرج ومزينة وشركائهم وفيه قتل محمود بن مسلمة فهذه نطاة ثم هبطوا الى الشق فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدى أخى بنى العجلان ومعه كان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ثم سهم ساعدة ثم سهم النجار ثم سهم على بن

والمساكين وابن السبيل وقد تقدم الكلام فى معنى لله ولرسوله ومامعنى سهم الله وسهم الرسول ولولا الخروج عما صمدنا اليه لذكرنا سرا بديعا وفقها عجيبا فى قوله تعالى لله وللرسول ولذى القربى باللام ولم يقل ذلك فى اليتامى والمساكين وقال وللرسول وقال فى أول السورة «قل الانفال لله والرسول» وقال فى آية الفىء «ما أفاء الله على رسوله فلله وللرسول» ولم يقل ولرسوله وكل هذا لحكمة وحاشى لله ان يكون حرف من التنزيل خاليا من حكمة وقال أبو عبيد فى كتاب الاموال قسم النبى صلى الله عليه وسلم أرض خيبر أثلاثا اثلاثا السلالم والوطيح والكتيبة فانه تركها لنوائب المسلمين وما يعروهم وفى هذا ما يقوى ان الامام مخير فى أرض العنوة ان شاء قسمها أخذا بقول الله سبحانه واعلموا أنما غنمتم من شىء الآية فيجرى بها مجرى الغنيمة وان شاء وقفها كما فعل عمر رضى الله عنه أخذا بقول الله تعالى «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الى قوله والذين جاؤا من بعدهم» فاستوعبت آية الفىء جميع المسلمين ومن يأتى بعدهم فسمى آية القرى فيئا وسمى الاخرى غنيمة فدل على افتراقهما فى الحكم كما افترقا فى التسمية وكما اختلف الفقهاء فى هذه المسألة على أقوال منهم من يرى قسم الارض كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر وهو قول الشافعى ومنهم من يراها وقفا على المسلمين لبيت مالهم ومنهم من يقول بتخيير الامام فى ذلك فكذلك افترق رأى الصحابة عند افتتاح البلاد فكان رأى الزبير القسم فكلم عمرو بن العاصى حين افتتح مصر فى قسمها فكتب عمرو بذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر أن دعها ولا تقسمها حتى يجاهد منها حبل الحبلة وقد شرحنا هذه الكلمة فى المبعث قبل هذا بأجزاء وكذلك استأمر عمر رضى الله عنه الصحابة فى قسم أرض السواد حين افتتحت فكان رأى على مع رأى عمر رضى الله عنهما ان يقفها ولا يقسمها وأرض السواد أولها من تخوم الموصل مدامع الماء الى عبادان من الساحل عن يسار دجلة وفى العرض من جبال حلوان الى القادسية متصلا بالعذيب من أرض العرب كذا قال أبو عبيد وكانت العرب تقول دلع البرلس انه فى السواد لان أرض القادسية كلسان من البرية داخل فى سواد العراق حكاها الطبرى ولما سار عمر الى الشام وكان بالجابية شاور فيما افتتح من الشام أيقسمها فقال له معاذ ان قسمتها لم يكن لمن يأتى بعد من المسلمين شىء أو نحو هذا فاخذ بقول معاذ فألح عليه بلال فى جماعة من أصحابه وطلبوا القسم فلما أكثروا قال اللهم اكفنى بلالا وذويه فلم يأت الحول ومنهم على الارض عين تطرف وكانت أرض الشام كلها عنوة الا مدائنها فان أهلها صالحوا عليها وكذلك بيت المقدس فتحها عمر صلحا بعد ان وجه اليها خالد بن ثابت الفهمى فطلبوا منه الصلح فكتب بذلك الى عمر وهو بالجابية فقدمها وقبل صالح أهلها وأرض السواد كلها عنوة الا الحيرة فان خالد بن الوليد صالح أهلها وكذلك أرض بانقيا أيضا صلح وأخرى يقال لها الليس وأرض خراسان عنوة الا الترمذ فانها قلعة منيعة وقلاع سواها وأما أرض مصر فكان الليث بن سعد قد اقتنى بها مالا وعاب ذلك عليه جماعة منهم يحيى بن أيوب ومالك بن أنس لان أرض العنوة لا تشترى وكان الليث يروى عن يزيد بن أبى حبيب انها فتحت صلحا وكلا الخبرين حق لانها فتحت صلحا أولا ثم انتكثت بعد فاخذت عنوة فمن ههنا نشأ الخلاف فى أمرها قاله أبو عبيد وقد احتج من قال بالقسم فى أرض العنوة بان عمر لم يقف أرض السواد وغيرها حتى استطاب نفوس المفتتحين لها وأعطاهم حتى أرضاهم ورووا ان أم كرز البجلية سألت سهم أبيها فى أرض السواد وأبت ان تتركه فيئا حتى أعطاها

أبى طالب رضوان الله عليه ثم سهم طلحة بن عبيد الله ثم سهم غفار وأسلم ثم سهم عمر بن الخطاب ثم سهما سلمة بنى عبيد و بنى حرام ثم سهم حارثة ثم سهم عبيد السهام ثم سهم أوس ثم سهم اللفيف جمعت اليه جهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب وكان حذوه سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدى ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتيبة وهى وادى خاص بين قرابته و بين نسائه و بين رجال من المسلمين و نساء أعطاهم منها فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته مائتى وسق ولعلى بن أبى طالب مائة وسق ولاسامة بن زيد مائتى وسق وخمسين وسقا من نوى ولعائشة أم المؤمنين مائتى وسق ولابى بكر بن أبى قحافة مائة وسق ولعقيل بن أبى طالب مائة وسق وأربعين وسقا ولبنى جعفر خمسين وسقا ولربيعة بن الحرث مائة وسق وللصلت بن مخرمة وابنيه مائة وسق للصلت منها أربعين وسقا ولابى نبقة خمسين وسقا ولركانة بن عبد يزيد خمسين وسقا ولقيس بن مخرمة ثلاثين وسقا ولابى القاسم بن مخرمة أربعين وسقا ولبنات عبيدة بن الحرث وابنة الحصين بن الحرث مائة وسق ولبنى عبيدة بن عبد يزيد ستين وسقا ولابن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقا ولمسطح بن اثاثة وابن الياس خمسين وسقا ولام رميثة أربعين وسقا ولنعيم بن هند ثلاثين وسقا ولبحينة بنت الحرث ثلاثين وسقا ولعجير بن عبد يزيد ثلاثين وسقا ولام الحكم ثلاثين وسقا ولجمانة بنت أبى طالب ثلاثين وسقا ولابن الارقم خمسين وسقا ولعبد الرحمن بن أبى بكر أربعين وسقا ولحمنة بنت جحش ثلاثين وسقا ولام الزبير أربعين وسقا ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقا ولابن أبى خنيس ثلاثين وسقا ولام طالب أربعين وسقا ولابى نضرة عشرين

وسقا ولنميلة الكلبي خمسين وسقا ولعبد الله بن وهب وابنيه تسعين وسقا لابنيه منها أربعين وسقا ولام حبيب بنت جحش ثلاثين وسقا ولملكو بن عبدة ثلاثين وسقا ولنسائه صلى الله عليه وسلم سبعمائة وسق « قال ابن هشام » قمح وشعير وتمر ونوى وغير ذلك قسمه على قدر حاجتهم وكانت الحاجة فى بنى عبد المطلب أكثر ولهذا أعطاهم أكثر

عمر راحلة وقطيفة حمراء وثمانين دينارا وكذلك رووا عن جرير بن عبد الله البجلى فى سهمه بارض العراق نحوا من هذا وقال من يحتج للفريق الآخر انما ترضى عمر جريرا لانه كان نفله تلك الارض فكانت ملكا له حتى مات وكذلك أم كرز كان سهم أبيها نفلا أيضا جاءت بذلك كله الآثار الثابتة والله المستعان

﴿ فصل ﴾ وذكر فيمن قسم له يوم خيبر أبا نبقة قسم له خمسين وسقا واسمه علقمة بن المطلب و يقال عبد الله بن علقمة وقال أبو عمر هو مجهول وقال ابن الفرضى أبو نبقة بن المطلب بن عبد مناف واسم أبى نبقة عبد الله ومن ولده محمد بن العلاء بن الحسين بن عبد الله بن أبى نبقة ومن ولده أبو الحسين المطلبى امام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبى نبقة بن المطلب بن عبد مناف * وذكر فيهم أم الحكم وهى بنت الزبير بن عبد المطلب أخت ضباعة هكذا قال أم الحكم والمعروف فيها انها أم حكيم وكانت تحت ربيعة بن الحارث وأما أم حكم فهى بنت أبى سفيان وهى من مسلمة الفتح ولولا ذلك لقلت ان ابن اسحاق اياها أراد لكنها لم تشهد خيبر ولا كانت أسلمت بعد * وذكر فيمن قسم له أم رمثة ولا تعرف الا بهذا الخبر وشهودها فتح خيبر * وذكر بحينة بنت الحارث و بحينة

تصغير

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ذكر ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه من فتح خيبر ﴾

قسمه على قدر حاجتهم فكانت الحاجة فى بنى عبد المطلب خاصة فلذلك أعطاهم أكثر قسم لهن مائة وسق وثمانين وسقا ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وثمانين وسقا ولاسامة بن زيد أربعين وسقا وللمقداد بن الاسود خمسة عشر وسقا ولام رميثة خمسة أوسق شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب * قال ابن اسحق وحدثنى صالح بن كيسان عن ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال لم يوص رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته الا بست أوصى للرهاويين بجاد مائة وسق من خيبر وللداريين بجاد مائة وسق من خيبر وللسبائيين بجاد مائة وسق من خيبر وللاشعريين بجاد مائة وسق من خيبر وأوصى بتنفيذ بعث أسامة بن زيد بن حارثة وأن لا يترك بجزيرة العرب دينان

﴿ أمر فدك فى خبر خيبر ﴾

* قال ابن اسحق فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قذف الله الرعب فى قلوب أهل فدك حين بلغهم ما أوقع الله تعالى باهل خيبر فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحونه على النصف من فدك فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطريق أو بعد ما قدم المدينة فقبل ذلك منهم فكانت فدك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب

﴿ تسمية النفر الداريين ﴾

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وهم بنو الدار ابن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم الذين ساروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام * تميم بن أوس ونعيم بن أوس أخوه ويزيد بن قيس وعرفة بن مالك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن « قال

ابن هشام » ويقال عزة بن مالك وأخوه مروان بن مالك « قال ابن هشام » مروان بن مالك * قال ابن اسحق وفاكه بن نعمان وجبلة ابن مالك وأبو هند بن بر وأخوه الطيب بن بر فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني عبد الله ابن أبي بكر يبعث الى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خارصا بين المسلمين و يهود فيخرص عليهم فاذا قالوا تعديت علينا قال ان شئتم فلكم وان شئتم فلنا فتقول يهود بهذا قامت السموات والارض وانما خرص عليهم عبد الله بن رواحة عاما واحدا ثم أصيب بمؤتة يرحمه الله فكان جبار ابن صخر بن أمية بن خنساء أخو بني سلمة هو الذي يخرص عليهم بعد عبد الله بن رواحة فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون باسا في معاملتهم حتى عدوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل أخي بني حارثة فقتلوه فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه * قال ابن اسحق فحدثني الزهري عن سهل بن أبي حثمة وحدثني أيضا بشير بن يسار مولى بني حارثة عن سهل بن أبي حثمة قال أصيب عبد الله بن سهل بخيبر وكان خرج اليها في أصحاب له يمتار منها تمرا فوجد في عين قد كسرت عنقه ثم طرح فيها قال فاخذوه فغيبوه ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له شأنه فتقدم اليه أخوه عبد الرحمن بن سهل ومعه ابنا عمه حويصة ومحيصة ابنا مسعود وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنا وكان صاحب الدم وكان ذا قدم في القوم فلما تكلم قبل ابني عمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر الكبر « قال ابن هشام » ويقال كبر كبر فيما ذكر مالك بن أنس فسكت فتكلم حويصة ومحيصة ثم تكلم هو بعد فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل صاحبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتسمون قاتلكم ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنسلمه اليكم قالوا يا رسول الله ما كنا لنحلف على ما لا نعلم قال أفيحلفون بالله خمسين يمينا ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يبرؤن من دمه قالوا يا رسول الله ما كنا لنقبل أيمان يهود ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على اثم قال فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده مائة ناقة قال سهل فوالله ما أنسى بكرة منها حمرة ضربتني وأنا أحوزها * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن ابراهيم بن الحرث

التيمي عن عبد الرحمن بن بجيد بن قيظى أخي بني حارثة قال محمد بن ابراهيم وأيم الله ما كان سهل بأكثر علما منه ولكنه كان أسن منه انه قال له والله ما هكذا كان الشان ولكن سهلا أوهم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلفوا على ما لا علم لكم به ولكنه كتب الى يهود خيبر حين كلمته الانصار انه قد وجد قتيل بين أبياتكم فدوه فكتبوا اليه يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده * قال ابن اسحق وحدثني عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن بجيد الا انه قال في حديثه دوه أو ائذنوا بحرب من الله فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده * قال ابن اسحق وسألت ابن شهاب الزهري كيف كان اعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر نخلهم حين أعطاهم النخل على خرجها أبت ذلك لهم حتى قبض أم أعطاهم اياها لضرورة من غير ذلك فاخبرني ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال وكانت خيبر مما أفاء الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان شئتم دفعت اليكم هذه الاموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم وأقركم ما أقركم الله فقبلوا فكانوا على ذلك يعملونها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص فلما توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أقرها أبو بكر رضي الله تعالى عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بايديهم على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي ثم أقرها عمر رضي الله عنه صدرا من امارته ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي قبضه الله فيه لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت فارسل الى يهود فقال ان الله عز وجل قد أذن في جلائكم قد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتني به أنفذه له ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليتجهز للجلاء فاجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم * قال ابن اسحق وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر قال خرجت أنا والزبير والمقداد بن الاسود الى أموالنا بخيبر نتعاهدها فلما قدمناها تفرقنا في أموالنا قال فعدى على تحت الليل وأنا نائم على فراشي

تصغير بحنة وهي نخلة معروفة قاله أبو حنيفة ولفظها من البحونة وهي جلة التمر وهي أم عبد الله بن بحينة الفقيه وهو ابن مالك بن القشب الازدي وفي قسمه لهؤلاء النساء حجة للاوزاعي لقوله ان النساء يقسم لهن مع الرجال في المغازي وأكثر الفقهاء لا يرون للنساء مع الرجال قسما ولكن يرضخ لهن من المغنم أخذا بحديث أم عطية قالت كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فنداوي الجرحى ونمرض المرضى ويرضخ لنا من المغنم

فقدعت يداى من مرفقى فلما أصبحت استصرخ على صاحباى فاتيانى فسألانى من صنع هـذا بك فقلت لا أدرى قال فأصلحا من يدى ثم قدما بى على عمر رضى الله عنه فقال هذا عمل يهود ثم قام فى الناس خطيبا فقال أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم اذا شئنا وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما قد بلغكم مع عدوهم على الانصارى قبله لا نشك أنهم أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم فمن كان له مال بخيبر فليلحق به فانى مخرج يهود فاخرجهم * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر عن عبد الله بن مكنف أخى بنى حارثة قال لما أخرج عمر يهود من خيبر ركب فى المهاجرين والانصار وخرج معه بجبار بن صخر بن أمية بن خنساء أخى بنى سلمة وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم ويزيد بن ثابت فهما قسما خيبر على أهلها على اصل جماعة السهمان التى كانت عليها وكان ما قسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه من وادى القرى لعثمان بن عفان خطر ولعبد الرحمن بن عوف خطر ولعمر بن ابى سلمة خطر ولعامر بن ابى ربيعة خطر ولعمرو بن سراقة خطر ولاشيم خطر «قال ابن هشام» ويقال ولاسلم ولبنى جعفر خطر ولمعيقيب خطر ولعبد الله بن الارقم خطر ولعبد الله وعبيد الله خطران ولابن عبد الله بن جحش خطر ولابن البكير خطر ولمعتمر خطر ولزيد بن ثابت خطر ولابى بن كعب خطر ولمعاذ بن عفراء خطر ولابى طلحة وحسن خطر ولجبار بن صخر خطر ولجابر بن عبد الله بن رئاب خطر ولمالك بن صعصعة وجابر بن عبد الله بن عمرو خطر ولابن حضير خطر ولابن سعد بن معاذ خطر ولسلامة بن سلامة خطر ولعبد الرحمن بن ثابت وأبى شريك خطر ولابى عبس بن جبر خطر ولمحمد بن مسلمة خطر ولعبادة بن طارق خطر «قال ابن هشام» ويقال لقتادة * قال ابن اسحق ولجبر بن عتيك نصف خطر ولبنى الحرث ابن قيس نصف خطر ولابن خزمة والضحاك خطر فهذا ما بلغنا من أمر خيبر ووادى القرى ومقاسمها «قال ابن هشام» الخطر النصيب يقال أخطر لى فلان خطرا

﴿فصل﴾ وذكر قدوم أصحاب السفينة من أرض الحبشة وفيهم جعفر بن أبى طالب وأن النبى صلى الله عليه وسلم التزمه وقبل بين عينيه وقد احتج بهذا الحديث الثورى على مالك بن أنس فى جواز المعانقة وذهب مالك الى انه خصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم وما ذهب اليه سفيان من حمل الحديث على عمومه أظهر وقد التزم النبى صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة حين قدم عليه من مكة وأما المصافحة باليد عند السلام ففيها أحاديث منها قوله عليه السلام تمام تحيتكم المصافحة ومنها حديث آخر ان أهل اليمن حين قدموا المدينة صافحوا الناس بالسلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان أهل اليمن قد سنوا لكم المصافحة ثم ندب اليها بلفظ لا أذكره الآن غير ان معناه تنزل عليهما مائة رحمة تسعون منها للبادى وعن مالك فيها روايتان الاباحة والكراهة ولا أدرى ما وجه الكراهية فى ذلك وكان جعفر قد ولد له بأرض الحبشة محمد وعون وعبد الله وكان النجاشى قد ولد له مولود يوم ولد عبد الله فارسل الى جعفر يسئله كيف أسميت ابنك فقال أسميته عبد الله فسمى النجاشى ابنه عبد الله وأرضعته أسماء بنت عميس امرأة جعفر مع ابنها عبد الله فكانا يتواصلان بتلك الاخوة * وذكر عمرو بن سعيد وانه استشهد بأجنادين هكذا تقيد فى الاصل بكسر الدال وفتح أوله وكذا سمعت الشيخ الحافظ أبا بكر ينطق به وقيدناه عن أبى بكر بن طاهر عن أبى على الغسانى اجنادين بكسر أوله وفتح الدال وقال أبو عبيد البكرى فى كتاب معجم ما استعجم أجنادين بفتح أوله وفتح الدال وقال

كانه

﴿ذكر قدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة وحديث المهاجرين الى الحبشة﴾

«قال ابن هشام» وذكر سفيان بن عيينة عن الاجلح عن الشعبى أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر فقبل رسول الله عليه وسلم بين عينيه والتزمه وقال ما أدرى بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر * قال ابن اسحق وكان من أقام بارض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى عمرو بن أمية الضمرى فحملهم فى سفينتين فقدم بهم عليه صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بعد الحديبية * من بنى هاشم بن عبد مناف جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب معه امرأته أسماء ابنة عميس الخثعمية * وابنه عبد الله بن جعفر وكانت ولدته بارض الحبشة قتل جعفر بمؤتة من أرض الشام أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل * ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد «قال ابن هشام» ويقال همينة بنت خلف * وابناه سعيد بن خالد وأمة بنت خالد ولدتهما بارض الحبشة قتل خالد بمرج الصفر فى خلافة أبى بكر الصديق بارض الشام * وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانى هلكت بارض الحبشة قتل عمرو باجنادين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص بن أمية أبو احيحة

ألا ليت شعرى عنك يا عمرو سائلا * اذا شب واشتدت يداه وسلحا

أنترك أمر القوم فيه بلابل * تكشف غيظا كان في الصدر موجحا   وامرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص حين أسلما وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظريبة من ناحية الطائف هلك في مال له بها

ألا ليت ميتا بالظريبة شاهد * لما يفترى في الدين عمرو وخالد   أطاعا بنا أمر النساء فاصبحا * يعينان من أعدائنا من نكابد

فاجابه خالد بن سعيد فقال   أخي ما أخي لاشاتم أنا عرضه * ولا هو من سوء المقالة مقصر

يقول اذا اشتدت عليه أموره * ألا ليت ميتا بالظريبة ينشر   فدع عنك ميتا قد مضى لسبيله * وأقبل على الادنى الذي هو أفقر

* ومعيقيب بن أبي فاطمة خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان الى آل سعيد بن العاص * وأبو موسى الاشعري عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أربعة نفر * ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي الاسود بن نوفل بن خويلد رجل * ومن بني عبد الدار بن قصي جهم بن قيس بن عبد شرحبيل معه ابناه عمرو بن جهم وخزيمة بنت جهم وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبد الاسود هلكت بارض الحبشة وابناه لها رجل * ومن بني زهرة بن كلاب عامر بن أبي وقاص * وعتبة بن مسعود حليف لهم من هذيل رجلان * ومن بني تيم بن مرة بن كعب الحرث بن خالد بن صخر وقد كانت معه امرأته ريطة بنت الحرث بن جبيلة هلكت بارض الحبشة رجل * ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عثمان بن ربيعة بن أهبان رجل * ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب محمية بن الجزء حليف لهم من بني زبيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله على خمس المسلمين رجل * ومن بني عدي بن كعب بن لؤي معمر أبي عبد الله بن نضلة رجل * ومن بني عامر بن لؤي بن غالب أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس * ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس معه امرأته عمرة بنت السعدي بن وقدان بن عبد شمس رجلان * ومن بني الحرث بن فهر بن مالك الحرث بن عبد قيس بن لقيط رجل وقد كان حمل النجاشي معهم في السفينتين نساء من هلك هنالك من المسلمين فهؤلاء الذين حمل النجاشي مع عمرو

ابن أمية الضمري في السفينتين فجميع من قدم في السفينتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر رجلا وكان من هاجر الى أرض الحبشة ولم يقدم الا بعد بدر ولم يحمل النجاشي في السفينتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قدم بعد ذلك ومن هلك بارض الحبشة من مهاجرة الحبشة * من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف عبيد الله بن جحش بن رئاب الاسدي أسد خزيمة حليف بني أمية بن عبد شمس معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان وابنته حبيبة بنت عبد الله وبها كانت تكنى أم حبيبة بنت أبي سفيان وكان اسمها رملة وخرج مع المسلمين مهاجرا فلما قدم أرض الحبشة تنصر بها وفارق الاسلام ومات هنالك نصرانيا فخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب * قال ابن اسحق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة قالت خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسلما فلما قدم أرض الحبشة تنصر قال فكان اذا مر بالمسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقحنا وصأصأتم أي قد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد وذلك ان ولد الكلب اذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك فضرب ذلك له ولهم مثلا أي انا قد فتحنا أعيننا فابصرنا ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا وأنتم تلتمسون ذلك * قال ابن اسحق وقيس بن عبد الله رجل من بني أسد بن خزيمة وهو أبو أمية بنت قيس التي كانت مع أم حبيبة * وامرأته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب كانتا ظئري عبيد الله بن جحش * وام حبيبة بنت ابي سفيان فخرجا بهما معهما حين هاجرا الى ارض الحبشة رجل * ومن بني اسد بن عبد العزى بن قصي يزيد بن زمعة بن الاسود بن المطلب ابن اسد قتل يوم حنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا وعمرو بن امية بن الحرث بن اسد هلك بارض الحبشة رجلان * ومن بني عبد الدار بن قصي ابو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وفراس بن النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار رجلان * ومن بني زهرة بن كلاب بن مرة المطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة معه امرأته رملة بنت ابي عوف ابن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم هلك بارض الحبشة وولدت له هنالك عبد الله بن المطلب فكان يقال ان كان لاول رجل ورث اباه في الاسلام رجل * ومن بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤي عمرو بن عثمان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم قتل بالقادسية مع سعد بن ابي وقاص رجل * ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب هبار بن سفيان بن عبد الاسد قتل باجنادين من ارض الشام في خلافة ابي بكر رضي الله عنه

كانه تثنية أجناد * وذكر عمرو بن عثمان التيمي وانه قتل بالقادسية مع سعد بن أبي وقاص والقادسية آخر أرض العرب وأول أرض السواد وفي أيامها قتل رستم ملك الفرس في يوم من أيامها يسمى يوم الهرير وكان قد أقبل بالفيلة وجموع لم يسمع بمثلها والمسلمون في عدد دون العشر من عدد المجوس فكان الظفر للمسلمين وكان الامير عليهم سعد بن أبي وقاص وخبرها طويل يشتمل على أعاجيب من فتح الله تعالى على هذه الامة

* واخوه عبدالله بن سفيان قتل عام اليرموك بالشام فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشك فيه اقتل ثم ام لا * وهشام بن ابى حذيفة ابن المغيرة ثلاثة نفر * ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب حاطب بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح * وابناه محمد والحرث معه امرأته فاطمة بنت المجلل هلك حاطب هنالك مسلما فقدمت امرأته وابناه وهى امهما فى احدى السفينتين * واخوه خطاب بن الحرث معه امرأته فكيهة بنت يسار هلك هنالك مسلما فقدمت امرأته فكيهة فى احدى السفينتين * وسفيان بن معمر بن حبيب * وابناه جنادة وجابر وامهما معه حسنة واخوهما لامهما شرحبيل بن حسنة وهلك سفيان وهلك ابناه جنادة وجابر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ستة نفر * ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب عبدالله بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم الشاعر هلك بارض الحبشة * وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * وابوقيس بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم قتل يوم اليمامة فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه * وعبدالله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم وهو رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى * والحرث بن الحرث بن قيس بن عدى ومعمر بن الحرث بن قيس بن عدى * و بشر بن الحرث بن قيس بن عدى * واخ له من امه من بنى تميم يقال له سعيد بن عمرو قتل باجنادين فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه * وسعيد بن الحرث بن قيس قتل عام اليرموك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه * والسائب بن الحرث بن قيس جرح بالطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل يوم فحل فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه و يقال قتل يوم خيبر يشك فيه وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم قتل بعين التمر مع خالد بن الوليد منصرفه من اليمامة فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه أحد عشر رجلا * ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب هلك بأرض الحبشة * وعدى بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان هلك بارض الحبشة رجلان وقد كان مع عدى ابنه النعمان بن عدى فقدم النعمان مع من قدم من المسلمين من أرض الحبشة فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب فاستعمله على ميسان من أرض البصرة فقال أبياتا من شعر وهى ابو

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها * بميسان يسقى فى زجاج وحنتم
اذا شئت غنتنى دهاقين قرية * و رقاصة تجدو على كل منسم
فان كنت ندمانى فبالاكبر اسقنى * ولا تسقنى بالاصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه * تنادمنا فى الجوسق المتهدم

فلما بلغت أبياته عمر قال نعم والله ان ذلك ليسوءنى فمن لقيه فليخبره انى قد عزلته وعزله فلما قدم عليه اعتذر اليه وقال والله يا أمير المؤمنين ما صنعت شيئاً مما بلغك انى قلته قط ولكنى كنت امرأ شاعرا وجدت فضلا من قول فقلت فيما تقول الشعراء فقال له عمر وأيم الله لا تعمل لى على عمل ما بقيت وقد قلت ما قلت * ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر وهو كان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن على الحنفى باليمامة رجل * ومن بنى الحرث بن فهر بن مالك عثمان بن عبد غنم بن زهير بن أبى شداد * وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحرث بن فهر وعياض بن زهير بن أبى شداد ثلاثة نفر فجميع من تخلف عن بدر ولم يقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ومن قدم بعد ذلك ومن لم يحمل النجاشى فى السفينتين أربعة وثلاثون رجلا وهذه تسمية من هلك منهم ومن أبنائهم بارض الحبشة * من بنى عبد شمس بن عبد مناف عبيد الله بن جحش بن رئاب حليف بنى أمية مات بها نصرانيا * ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى عمرو بن أمية بن الحرث بن أسد * ومن بنى جمح حاطب بن الحرث * وأخوه حطاب بن الحرث * ومن بنى سهم عمرو بن هصيص بن كعب عبدالله بن الحرث بن قيس * ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى

استقصاها سيف بن عمر فى كتاب الفتوح ثم الطبرى بعده وسميت القادسية برجل من الهراة وكان كسرى قد أسكنه بها اسمه قادس وقيل سميت بقوم نزلوها من قادس وقادس بخراسان وأما القادس فى لغة العرب فمن أسماء السفينة

﴿ فصل ﴾ وذكر فيمن قدم من أرض الحبشة هشام بن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم واسم أبى حذيفة مهشم وذكر الواقدى هشاما هذا فيمن قدم من الحبشة غير انه قال فيه هاشم ولم يذكره موسى بن عقبة ولا أبو معشر فى القادمين من الحبشة * وذكر فيمن قدم من الحبشة عبدالله بن حذافة وانه الذى أرسله النبى صلى الله عليه وسلم الى كسرى * وذكر أيضاً سليط بن عمرو وانه كان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة فأما كسرى فهو ابرويز بن هرمز بن أنوشروان ومعنى ابرويز المظفر فيما ذكر المسعودى وهو الذى كان غلب الروم فانزل الله فى قصتهم الم غلبت الروم فى أدنى الارض وأدنى الارض هى بصرى وفلسطين وأذرعات من أرض الشام قاله الطبرى * وذكر

عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف * وعدي بن نضلة سبعة نفر * ومن أبنائهم * من بني تيم بن مرة موسى بن الحرث بن خالد بن صخر ابن عامر رجل و جميع من هاجر الى أرض الحبشة من النساء من قدم منهن ومن هلك هنالك ست عشرة امرأة سوى بناتهن اللاتي ولدن هنالك من قدم منهن ومن هلك هنالك ومن خرجن به معهن حين خرجن * من قريش من بني هاشم رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومن بني أمية أم حبيبة بنت أبي سفيان معها ابنتها حبيبة خرجت بها من مكة و رجعت بها معها * ومن بني مخزوم أم سلمة ابنة أبي أمية قدمت معها بزينب ابنتها من أبي سلمة ولدتها هنالك * ومن بني تيم بن مرة ريطة بنت الحرث بن جبيلة هلكت بالطريق * وابنتان لها كانت ولدتهما هنالك عائشة بنت الحرث و زينب بنت الحرث هلكن جميعا (٢٥٣) وأخوهن موسى بن الحرث من ماء شربوه في الطريق وقدمت بنت لها ولدتها هنالك فلم يبق من ولدها غيرها يقال لها فاطمة * ومن بني سهم بن عمرو رملة بنت أبي عوف بن صبيرة * ومن بني عدي ابن كعب ليلى بنت أبي حثمة بن غانم * ومن بني عامر بن لؤي سودة بنت زمعة بن قيس * وسهلة بنت سهيل بن عمرو وابنة المجلل وعمرة بنت السعدي بن وقدان وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ومن غرائب العرب أسماء بنت عميس بن النعمان الخثعمية وفاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانية وفكيهة بنت يسار و بركة بنت يسار وحسنة أم شرحبيل بن حسنة * وهذه تسمية من ولد من أبنائهم بأرض الحبشة من بني هاشم عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ومن بني عبد شمس محمد بن أبي حذيفة وسعيد بن خالد بن سعيد وأخته أمة بنت خالد ومن بني مخزوم زينب بنت ابي سلمة بن عبد الاسد ومن بني زهرة عبد الله بن عبد المطلب بن أزهر ومن بني تيم موسى بن الحرث بن خالد واخواته عائشة بنت الحرث وفاطمة بنت الحرث و زينب بنت الحرث الرجال منهم خمسة عبد الله بن جعفر ومحمد بن ابي حذيفة وسعيد بن خالد وعبد الله بن المطلب وموسى بن الحرث ومن النساء خمس امة بنت خالد و زينب بنت ابي سلمة وعائشة و زينب وفاطمة بنات الحرث ابن خالد بن صخر * قال ابن اسحق فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة من خيبر أقام بها شهري ربيع وجمادين و رجبا وشعبان و رمضان وشوالا يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه صلى الله عليه وسلم

أبو رفاعة وثيمة بن موسى بن الفرات قال لما قدم عبد الله بن حذافة على كسرى قال يا معشر الفرس انكم عشتم باحلامكم لعدة أيامكم بغير نبي ولا كتاب ولا تملك من الارض الا ما في يديك وما لا تملك منها أكثر وقد ملك قبلك ملوك أهل دنيا وأهل آخرة فاخذ أهل الآخرة بحظهم من الدنيا وضيع أهل الدنيا حظهم من الآخرة فاختلفوا في سعي الدنيا واستووا في عدل الآخرة وقد صغر هذا الامر عندك انا أتيناك به وقد والله جاءك من حيث خفت وما تصغيرك اياه بالذي يدفعه عنك ولا تكذيبك به بالذي يخرجك منه وفي وقعة ذي قار على ذلك دليل فاخذ الكتاب فمزقه ثم قال لي ملك هنيء لا أخشى ان أغلب عليه ولا أشارك فيه وقد ملك فرعون بني اسرائيل ولستم بخير منهم فما يمنعني ان أملككم وأنا خير منه فاما هذا الملك فقد علمنا انه يصير الى الكلاب وأنتم أولئك تشبع بطونكم وتأبى عيونكم فاما وقعة ذي قار فهي بوقعة الشام فانصرف عنه عبد الله وانما خص النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة بارساله الى كسرى لانه كان يتردد عليهم كثيرا ويختلف الى بلادهم وكذلك سليط بن عمرو كان يختلف الى اليمامة قال وثيمة لما قدم سليط بن عمرو العامري على هوذة وكان كسرى قد توجه قال يا هوذة انه سودت أعظم حائلة وأرواح في النار وانما السيد من منع بالايمان ثم زود التقوى ان قوما سعدوا برأيك فلا تشق به واني آمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شر منهي عنه آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فان في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار فان قبلت نلت ما رجوت وأمنت ما خفت وان أبيت فبيننا و بينك كشف الغطاء وهو المطلع فقال هوذة يا سليط سودني من لو سودك شرفت به وقد كان لي رأي أختبر به الامور ففقدته فموضعه من قلبي هواء فاجعل لي فسحة يرجع الي رأيي فاجيبك به ان شاء الله قال ومن شعر عبد الله بن حذافة في رسالته الى كسرى وقدومه عليه

أبى الله الا ان كسرى فريسة * لاول داع بالعراق محمدا
تقاذف في فحش الجواب مصغرا * لامر العريب الخائضين له الردى
فقلت له أرود فانك داخل * من اليوم في البلوى ومنتهب غدا
فاقبل وأدبر حيث شئت فاننا * لنا الملك فابسط للمسالمة اليدا
والا فامسك قارعا سن نادم * أقر بذل الخرج أو مت موحدا
سفهت بتمزيق الكتاب وهذه * بتمزيق ملك الفرس يكفي مبددا

* وقال هوذة بن علي في شان سليط *

أتانى سليط والحوادث جمة * فقلت لهم ماذا يقول سليط
فقال التى فيها على غضاضة * وفيها رجاء مطمع وقنوط
فقلت له غاب الذى كنت أجتلى * به الامر عنى فالصعود هبوط
وقد كان لى والله بالغ أمره * أباالنضر جاش فى الامور ربيط
فاذهبه خوف النبى محمد * فهوذة فه فى الرجال سقيط
فاجمع أمرى من يمين وشمال * كانى ردود للنبال لقيط
فاذهب ذاك الرأى اذ قال قائل * أتاك رسول للنبى خبيط
رسول رسول الله راكب ناضح * عليه من او بار الحجاز غبيط
سكرت ودبت فى المفارق وسنة * لها نفس عال الفؤاد غطيط
أحاذر منه سورة هاشمية * فوارسها وسط الرجال عبيط
فلا تعجلنى ياسليط فاننا * نبادر امرا والقضاء محيط

وسنذكر بقية ارسال النبى صلى الله عليه وسلم الى الملوك وماقالوا وماقيل لهم فيها بعد ان شاء الله * وذكر حديث نوم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة مقفله من خيبر وهذه الرواية أصح من قول من قال كان ذلك فى غزاة حنين ومن قال فى روايته للحديث كان ذلك عام الحديبية فليس ذلك بمخالف للرواية الاولى وأما رواية ابن اسحق للحديث عن الزهرى عن سعيد بن المسيب مرسلا فهكذا رواه مالك وأكثر أصحاب الزهرى ورواه عنه صالح بن أبى الاخضر وقال فيه عن أبى هريرة قاله الترمذى وقال أبو داود وقد رواه أيضاً عن الزهرى مسندا يونس بن يزيد ومعمر من طريق أبان العطار عن معمر عنه وكذلك رواه الاوزاعى مسنداً أيضاً وذكر فيه هو وأبان العطار انه اذن وأقام فى تلك الصلاة حين خرج من الوادى ولم يذكر الاذان من رواة الحديث الا قليل

﴿عمرة القضية﴾

ويروى أيضا عمرة القضاء ويقال لها عمرة القصاص وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص» وهذه الآية فيها نزلت فهذا الاسم أولى بها وسميت عمرة القضاء لان النبى صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا عليها لا لانه قضى العمرة التى صد عن البيت فيها فانها لم تك فسدت بصدهم عن البيت بل كانت عمرة تامة متقبلة حتى انهم حين حلقوا رؤسهم بالحل احتملتها الريح فالقتها فى الحرم فهى معدودة فى عمر النبى صلى الله عليه وسلم وهى أربع عمرة الحديبية وعمرة القضاء وعمرة الجعرانة والعمرة التى قرنها مع حجه فى حجة الوداع فهو أصح القولين انه كان قارنا فى تلك الحجة وكانت احدى عمره عليه السلام فى شوال كذلك روى عروة عن عائشة وأكثر الروايات انهن كن كلهن فى ذى القعدة الا التى قرن مع حجه كذلك روى الزهرى وانفرد معمر عن الزهرى بانه عليه السلام كان قارنا وان عمره كن أربعا بعمرة القران وأما حجاته عليه السلام فقد روى الترمذى انه حج ثلاث حجات ثنتين بمكة وواحدة بالمدينة وهى حجة الوداع ولا ينبغى ان يضاف اليه فى الحقيقة الا حجة الوداع وان كان حج مع الناس اذ كان بمكة كما روى الترمذى فلم يكن ذلك الحج على سنة الحج وكماله لانه كان مغلوبا على أمره وكان الحج منقولا عن وقته كما تقدم فى أول الكتاب فقد ذكر انهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية ويؤخرونه فى كل سنة

ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صده فيه المشركون معتمرا عمرة القضاء مكان عمرته التى صدوه عنها «قال ابن هشام» واستعمل على المدينة عويف بن الاضبط الديلى ويقال لها عمرة القصاص لانهم صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست صدوه فيه فاقتص رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فدخل مكة فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه من سنة سبع وبلغنا عن ابن عباس انه قال فانزل الله فى ذلك والحرمات قصاص قال ابن اسحق وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه فى عمرته تلك وهى سنة سبع فلما سمع به اهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمدا وأصحابه فى عسرة وجهد وشدة * قال ابن اسحق فحدثنى من لا أتهم عن ابن عباس قال صفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه والى أصحابه فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال رحم الله أمرأ اراهم اليوم من نفسه قوة ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى اذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليمانى مشى حتى يستلم الركن الاسود ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرها فكان ابن عباس يقول كان الناس يظنون أنها ليست عليهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما صنعها لهذا

الحي من قريش للذي بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنة بها * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن ابي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله * خلوا فكل الخير في رسوله
يارب اني مؤمن بقيله * أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

« قال ابن هشام » نحن قتلناكم على تأويله الى آخر الابيات لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم والدليل على ذلك ان ابن رواحة انما أراد المشركين والمشركون لم يقروا بالتنزيل وانما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل * قال ابن اسحق وحدثني أبان بن صالح وعبد الله بن ابي نجيح عن عطاء بن ابي رباح ومجاهد ابي الحجاج عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحرث في سفره ذلك وهو حرام وكان الذي زوجه اياها العباس بن عبد المطلب « قال ابن هشام » وكانت جعلت أمرها الى أختها ام الفضل وكانت أم الفضل تحت العباس فجعلت أم الفضل أمرها الى العباس فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم * قال ابن اسحق فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا فأتاه حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل في نفر من قريش في اليوم الثالث وكانت قريش قد وكلته باخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فقالوا له انه قد انقضى أجلك فاخرج عنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما عليكم لو تركتموني فاعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه قالوا لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة حتى أتاه بها بسرف فبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة في ذي الحجة « قال ابن هشام » فأنزل الله عز وجل عليه فيما حدثني ابو عبيدة لقد

سنة أحد عشر يوما وهذا هو الذي منع النبي صلى الله عليه وسلم ان يحج من المدينة حتى كانت مكة دار اسلام وقد كان أراد ان يحج مقفلة من تبوك وذلك باثر فتح مكة بيسير ثم ذكر ان بقايا المشركين يحجون ويطوفون عراة فاخر الحج حتى نبذ الى كل ذي عهد عهده وذلك في السنة التاسعة ثم حج في السنة العاشرة بعد امحاء رسوم الشرك وانحسام سير الجاهلية ولذلك قال في حجة الوداع ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والارض والعمرة واجبة في قول أكثر العلماء وهو قول ابن عمر وابن عباس وقال الشعبي ليست بواجبة وذكر عنه انه كان يقرؤها «وأتموا الحج والعمرة لله» بالرفع لا يعطفها على الحج وقال عطاء هي واجبة الا على أهل مكة ويكره مالك ان يعتمر الرجل في العام مرارا وهو قول الحسن وابن سيرين وجمهور العلماء على الاباحة في ذلك وهو قول علي وابن عباس وعائشة والقاسم بن محمد قالوا يعتمر الرجل في العام ما شاء * وذكر قول عبد الله بن رواحة وهو آخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

* خلوا بني الكفار عن سبيله * وفيه

نحن قتلناكم على تاويله * كما قتلناكم على تنزيله

ويروى اليوم نضربكم على تأويله بسكون الباء وهو جائز في الضرورة نحو قول امرئ القيس

* فاليوم أشرب غير مستحقب * ولا يبعد ان يكون جائزا في الكلام اذا اتصل بضمير الجمع فقد روى عن ابن عمرو انه كان يقرأ يأمركم وينصركم وهذان البيتان الآخيران هما لعمار بن ياسر كما قال ابن هشام قالهما يوم صفين وهو اليوم الذي قتل فيه عمار قتله أبو الغادية الفزاري وابن جزء اشتركا فيه

﴿ فصل ﴾ * وذكر تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم لميمونة بنت الحارث الهلالية وأمها هند بنت عوف الكنانية الى آخر قصتها وفيه ان حويطب بن عبد العزى قال للنبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الثالث أخرج عنا وقد كان أراد ان يبتني بميمونة في مكة ويصنع لهم طعاما فقال له حويطب لا حاجة لنا بطعامك فاخرج عنا فقال له سعد يا عاضا ببظر أمه أأرضك وأرض امك هي دونه فاسكته النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وفاء لهم بشرطهم وابتنى بها بسرف وبسرف كانت وفاتها رضي الله عنها حين ماتت وذلك سنة ثلاث وستين وقيل سنة ست وستين وصلى عليها ابن عباس ويزيد بن الاصم وكلاهما ابن أخت لها ويقال فيها نزلت وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي في أحد الاقوال وذلك ان الخاطب جاءها وهي على بعيرها فقالت البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف الناس في تزويجه اياها أكان محرما أم حلالا فروى ابن عباس انه تزوجها محرما واحتج به أهل العراق في تجويز نكاح المحرم وخالفهم أهل الحجاز واحتجوا بنهيه عليه السلام عن أن ينكح المحرم أو ينكح وزاد بعضهم فيه أو يخطب من رواية مالك وعارضوا حديث

صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا يعني خيبر

﴿ ذكر غزوة مؤتة ﴾ في جمادى الاولى سنة ثمان ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة

* قال ابن اسحق فاقام بها بقية ذي الحجة وولى تلك الحجة المشركون والمحرم وصفرا وشهري ربيع وبعث في جمادى الاولى بعثه الى الشام الذين اصيبوا بمؤتة * قال ابن اسحق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى مؤتة في جمادى الاولى سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال ان أصيب زيد فجعفر بن ابي طالب على الناس فان أصيب جعفر فعبد الله ابن رواحة على الناس فتجهز الناس ثم تهيؤا للخروج وهم ثلاثة آلاف فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة فقال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود فقال المسلمون صحبكم الله ودفع عنكم وردكم الينا صالحين فقال عبد الله بن رواحة

لكنني أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة * بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقال اذا مروا على جدثي * أرشده الله من غاز وقد رشدا

* قال ابن اسحق ثم ان القوم تهيؤا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه ثم قال

فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا
اني تفرست فيك الخير نافلة * الله يعلم أني ثابت البصر
أنت الرسول فمن يحرم نوافله * والوجه منه فقد أزرى به القدر

« قال ابن هشام » أنشدني بعض أهل العلم بالشعر هذه الابيات

أنت الرسول فمن يحرم نوافله * والوجه منه فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن * في المرسلين ونصرا كالذي نصروا
اني تفرست فيك الخير نافلة * فراسة خالفت فيك الذي نظروا

ابن عباس بحديث يزيد بن الاصم ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال وخرج الدارقطني والترمذي أيضا من طريق أبي رافع ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال وروى الدارقطني من طريق ضعيف عن أبي هريرة انه تزوجها وهو محرم كرواية ابن عباس [وفي مسند البزار من حديث مسروق وعائشة رضي الله عنها قالت تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم واحتجم وهو محرم وان لم تذكر في هذا الحديث ميمونة فنكاحها أرادت وهو حديث غريب] وخرج البخاري حديث ابن عباس ولم يعلله هو ولا غيره وروى عن سعيد بن المسيب انه يقال غلط ابن عباس أو قال وهم ما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم الا وهو حلال ولما أجمعوا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها محرما ولم ينقل عنه أحد من المحدثين غير ذلك استغربت استغرابا شديدا ما رواه الدارقطني في السنن من طريق أبي الاسود يتيم عروة ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال فهذه الرواية عنه موافقة لرواية غيره فقف عليها فانها غريبة عن ابن عباس وقد كان من شيوخنا رحمهم الله من يتأول قول ابن عباس تزوجها محرما أي في الشهر الحرام وفي البلد الحرام وذلك ان ابن عباس رجل عربي فصيح فتكلم بكلام العرب ولم يرد الاحرام بالحج وقد قال الشاعر

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما * ودعا فلم أر مثله مخذولا

وذلك ان قتله كان في أيام التشريق والله أعلم أأراد ذلك ابن عباس أولا

﴿ غزوة موتة ﴾

وهي مهموزة الواو وهي قرية من أرض البلقاء من الشام وأما الموتة بلا همز فضرب من الجنون وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وفسره راوي الحديث فقال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة * ذكر في هذه الغزوة قول عبد الله بن رواحة حين ذكر قول الله تعالى «وان منكم الا واردها» فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود وقد تكلم العلماء فيها بأقوال * منها ان الخطاب متوجه الى الكفار على الخصوص واحتج قائلوا هذه المقالة بقراءة ابن عباس وان منهم الا واردها وقالت طائفة الورود ههنا هو الاشراف عليها ومعاينتها وحكوا عن العرب وردت الماء فلم أشرب وقالت طائفة الورود ههنا هو المرور على الصراط لانه على متن جهنم أعاذنا الله منها وروى ان الله تبارك وتعالى يجمع الاولين والآخرين فيها ثم ينادي مناد خذي أصحابك ودعي أصحابي وقالت طائفة الورود ان يأخذ العبد بحظ منها وقد يكون ذلك في الدنيا بالحميات فان النبي

صلى

يعنى المشركين وهذه الابيات فى قصيدة له * قال ابن اسحق ثم خرج القوم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيعهم حتى اذا ودعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة

خلف السلام على امرئ ودعته * فى النخل خير مشيع وخليل

ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ الناس ان هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم وانضم اليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مائة ألف منهم عليهم رجل من بلى ثم أحد اراشة يقال له مالك بن رافلة فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون فى أمرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا فاما ان يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بامره فنمضى له قال فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال ياقوم والله ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون

الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ولا نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة قال فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس فقال عبد الله بن رواحة فى محبسهم ذلك

جلبنا الخيل من أجا وفرع * تغر من الحشيش لها العكوم
حذوناها من الصوان سبتا * أزل كأن صفحته أديم
أقامت ليلتين على معان * فاعقب بعد فترتها جموم
فرحنا والجياد مسومات * تنفس فى مناخرها السموم
فلا وأبى مآب لنأتينها * وان كانت بها عرب وروم
فعبأنا أعنتها فجاءت * عوابس والغبار لها بريم
بذى لجب كأن البيض فيه * اذا برزت قوانسها النجوم
فراضية المعيشة طلقتها * أسنتها فتنكح أو تئيم

«قال ابن هشام» ويروى جلبنا الخيل من آجام قرح وقوله فعبأنا أعنتها عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق ثم مضى الناس فحدثنى عبد الله بن ابى بكر انه حدث عن زيد بن أرقم قال كنت يتيما لعبد الله بن رواحة فى حجره فخرج بى فى سفره ذلك مردفى على حقيبة رحله فوالله انه ليسير ليلة اذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه

اذا ادنيتنى وحملت رحلى * مسيرة اربع بعد الحساء
فشانك انعم وخلاك ذم * ولا ارجع الى اهلى ورائى
وجاء المسلمون وغادرونى * بارض الشام مشتهى الثواء
وردك كل ذى نسب قريب * الى الرحمن منقطع الاخاء
هنالك لا ابالى طلع بعل * ولا نخل اسافلها رواء

فلما سمعتهن منه بكيت قال فخفقنى بالدرة وقال ما عليك يالكع ان يرزقنى

صلى الله عليه وسلم قال الحمى كير من جهنم وهو حظ كل مؤمن من النار * وذكر شعر عبد الله بن رواحة وفيه * تقر من الحشيش لها العكوم * تقر أى يجمع بعضها الى بعض والعكوم جمع عكم * وفيه * من الغبار لها بريم * البريم خيط تحتزم به المرأة والبريم أيضا لفيف الناس وأخلاطهم ويقال هم بريمان أى لونان مختلطان * وفيه * أقامت ليلتين على معان * قال الشيخ أبو بحر معان بضم الميم وجدته فى الاصلين وأصلحه علينا القاضى رحمه الله حين السماع معان بفتح الميم وهو اسم موضع وذكره البكرى بضم الميم وقال هو اسم جبل والمعان أيضا حيث تحبس الخيل والركاب ويجتمع الناس ويجوز أن يكون من أمعنت النظر أو من الماء المعين فيكون وزنه فعالا ويجوز أن يكون من العون فيكون وزنه مفعلا وقد جنس المعرى بهذه الكلمة فقال

معان من أحبتنا معان * تجيب الصاهلات بها القيان

وقوله * فراضية المعيشة طلقتها * أى المعيشة المرضية وبناها على فاعلة لان أهلها راضون لانها فى معنى صالحة وقد تقدم طرف من القول فى هذا المعنى * وقوله وخلاك ذم أى فارقك الذم فلست باهل له وقد أحسن فى قوله * فشانك أنعم وخلاك ذم * بعد قوله اذا بلغتنى وأحسن أيضا من اتبعه فى هذا المعنى كقول أبى نواس

واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام

وكقول الآخر

نجوت من حل ومن رحلة * ياناق ان قربتنى من قثم

وقد أساء الشماخ حيث يقول

اذا بلغتنى وحملت رحلى * عرابة فاشرقى بدم الوتين

ويذكر عن الحسن بن هانىء انه كان يشنؤه اذا ذكر هذا البيت وذكر مهلهل بن يموت بن المزرع عن أبى تمام انه قال كان الحسن يشنؤ الشماخ وأنا ألعنه من أجل قوله هذا * وقول النبى صلى الله عليه وسلم للغفارية بئس ما جزيتيها يشد الغرض المتقدم ويشهد لصحته * وقوله مستنهى الثوا مستفعل من النهاية والانتهاء أى حيث انتهى مثواه ومن رواه مشتهى الثواء أى لا أريد رجوعا * وقوله * حذوناها من الصوان سبتا * أى حذوناها نعالا من حديد جعله سبتا لها مجازا وصوان من الصون أى يصون حوافرها أو اخفافها ان أراد الابل فهو فعال من الصون فقد كانوا يحذونها السريح وهو جلد يصون أخفافها وأظهر من هذا ان يكون أراد

الله شهادة وترجع بين شعبتي الرحل قال ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز

يا زيد زيد اليعملات الذبل * تطاول الليل هديت فانزل * قال ابن اسحق فمضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها فتعبى لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عذرة يقال له قطبة بن قتادة وعلى ميسرتهم رجلا من الانصار يقال له عباية بن مالك « قال ابن هشام » ويقال عبادة بن مالك * قال ابن اسحق ثم التقى الناس واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم ثم اخذها جعفر فقاتل بها حتى اذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل فكان جعفر اول رجل من المسلمين عقر في الاسلام وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عباد قال حدثني أبي الذي ارضعني وكان أحد بني مرة بن عوف فكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال والله لكأني أنظر الى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول

يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة أنسابها
* علي اذ لاقيتها ضرابها *

(٢٥٨)

« قال ابن هشام » وحدثني من أثق به من اهل العلم ان جعفر بن ابي طالب اخذ اللواء بيمينه فقطعت فاخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فاثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء ويقال ان رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين * قال ابن اسحق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عباد قال حدثني ابي الذي أرضعني وكان احد بني مرة بن عوف قال فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال

أقسمت يا نفس لتنزلنه * رسول
لتنزلن او لتكرهنه
ان جلب الناس وشدوا الرنه * مالي أراك تكرهين الجنه
قد طالما قد كنت مطمئنه * هل أنت الا نطفة في شنه

وقال ايضا

يا نفس ان لا تقتلي تموتي * هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد اعطيت * ان تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفرا ثم نزل فلما نزل اتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فانك قد لقيت في ايامك هذه ما لقيت فاخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال وانت في الدنيا ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم اخو بني العجلان فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا انت قال ما انا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما اخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس * قال ابن اسحق ولما اصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني اخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم اخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا قال ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الانصار وظنوا انه قد كان عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ثم قال ثم اخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم قال لقد رفعوا الي في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في

بالصوان ييبس الارض أي لا سبت له الا ذلك ووزنه فعلان من قولهم نخلة خاوية أي يابسة وأنشد أبو علي

* قد أوبيت كل ماء فهي صاوية * ويشهد لمعنى الصوان هنا قول النابغة الذبياني

* ترى وقع الصوان حد نسورها * وعين الفعل في صوان ولامه واو وأدخل صاحب العين في باب الصاد والواو والياء هذا اللفظ فقال صوى يصوى اذا يبس ونخلة صاوية ولو كان مما لامه ياء لقيل في صوان صيان كما قيل طيان وريان ولكن لما انقلبت الواو ياء من أجل الكسرة توهم الحرف من ذوات الياء وقول عبد الله * هل أنت الا نطفة في شنة * النطفة القليل من الماء والشنة السقاء البالي فيوشك ان تهراق النطفة او ينخرق السقاء ضرب ذلك مثلا لنفسه في جسده وأما عقر جعفر فرسه ولم يعب ذلك عليه أحد فدل على جواز ذلك اذا خيف أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين فلم يدخل هذا في باب النهي عن تعذيب البهائم وقتلها عبثا غير ان أبا داود خرج هذا الحديث فقال حدثنا النفيلي قال نا محمد بن مسلمة عن محمد بن اسحق عن ابن عباد يعني يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير قال حدثني أبي الذي أرضعني وهو أحد بني مرة بن عوف وكان في تلك الغزاة غزاة مؤتة قال والله لكاني انظر الى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل * قال ابو داود وليس هذا الحديث بالقوي وقد جاء فيه نهي كثير عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم * وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم في جعفر فاثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء وروى عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت الجنة البارحة فرأيت جعفرا يطير مع الملائكة وجناحاه مضرجان بالدم وعن سعيد بن المسيب قال قال

سر بر عبد الله بن رواحة ازورارا عن سرير صاحبيه فقلت عم هذا فقيل لي مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى * قال ابن اسحق فحدثني عبد الله بن ابي بكر عن ام عيسى الخزاعية عن ام جعفر بنت محمد بن جعفر بن ابي طالب عن جدتها اسماء ابنة عميس قالت لما اصيب جعفر واصحابه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دبغت اربعين مناء « قال ابن هشام » ويروى اربعين منيئة قالت وعجنت عجيني وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم قالت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتني ببني جعفر قالت فاتيته بهم فتشممهم وذرفت عيناه فقلت يارسول الله بابي انت وامي ما يبكيك ابلغك عن جعفر واصحابه شيء قال اصيبوا هذا اليوم قالت فقمت اصيح واجتمع الى النساء وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فقال لا تغفلوا آل جعفر من ان تصنعوا لهم طعاما فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزن قالت فدخل عليه رجل فقال يارسول الله ان النساء عنيننا وفتننا قال فارجع اليهن فاسكتهن قالت فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك قالت يقول وربما ضر التكلف أهله قالت قال فاذهب فاسكتهن فان أبين فاحث في أفواههن التراب قالت وقلت في نفسي أبعدك الله والله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وعرفت انه لا يقدر على أن يحثي في أفواههن التراب * قال ابن اسحق وقد كان قطبة بن قتادة العذري الذي كان على ميمنة المسلمين قد حمل على مالك بن رافلة فقتله فقال قطبة بن قتادة

طعنت ابن رافلة بن الاراش * برمح مضى فيه ثم انحطم
ضربت على جيده ضربة * فمال كما مال غصن السلم
وسقنا نساء بني عمه * غداة رقوقين سوق النعم

« قال ابن هشام » قوله ابن الاراش عن غير ابن اسحق والبيت الثالث عن خلاد بن قرة ويقال مالك بن رافلة عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقد كانت كاهنة من حدس حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قد قالت لقومها من حدس وقومها بطن يقال لهم بنو غنم أنذركم قوما خزرا ينظرون شزرا ويقودون الخيل تترى ويهريقون

رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل لي جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة في خيمة من در على أسرة فرأيت زيدا وعبد الله وفي أعناقهما صدودا ورأيت جعفرا مستقيما فقيل لي انهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما ومضى جعفر فلم يعرض وسمع النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة حين جاء نعي جعفر تقول واعماه فقال على مثل جعفر فلتبك البواكي وكان أبو هريرة يقول ما احتذى النعال ولا ركب المطايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر وقال عبد الله بن جعفر كنت اذا سألت عليا حاجة فمنعني أقسم عليه بحق جعفر فيعطيني ومما ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين انهما ليسا كما يسبق الى الوهم على مثل جناحي الطائر وريشه لان الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها وفي قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته تشريف له عظيم وحاشى لله من التشبيه والتمثيل ولكنها عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر كما أعطيتها الملائكة وقد قال الله تعالى لموسى « اضمم يدك الى جناحك » فعبر عن العضد بالجناح توسعا وليس ثم طيران فكيف بمن أعطى القوة على الطيران مع الملائكة أخلق به اذا أن يوصف بالجناح مع كمال الصورة الآدمية وتمام الجوارح البشرية وقد قال أهل العلم في أجنحة الملائكة ليست كما يتوهم من أجنحة الطير ولكنها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة واحتجوا بقوله تعالى « أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع » فكيف تكون كأجنحة الطير على هذا ولم ير طائر له ثلاثة أجنحة ولا أربعة فكيف بستمائة جناح كما جاء في صفة جبريل عليه السلام فدل على انها صفات لا تنضبط كيفيتها للفكر ولا ورد أيضا في بيانها خبر فيجب علينا الايمان بها ولا يفيدنا علما اعمال الفكر في كيفيتها وكل امرىء قريب من معاينة ذلك * فاما ان يكون من الذين تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون واما أن يكون من الذين تقول لهم الملائكة وهم باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون * وأما عبد الله بن رواحة فقد ذكر ابن اسحق ما ذكر من فضائله * وذكر قوله للنبي صلى الله عليه وسلم

فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

وروى غيره أنه عليه السلام قال له قل شعرا تقتضبه اقتضابا وأنا انظر اليك فقال من غير روية

* اني تفرست فيك الخير * الابيات حتى انتهى الى قوله * فثبت الله ما آتاك من حسن * فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة وأما زيد فقد تقدم التعريف به وبجملة من فضائله في أحاديث المبعث وحسبك بذكر الله له باسمه في القرآن ولم يذكر أحدا من الصحابة باسمه سواه وقد بينا النكتة في ذلك في كتاب التعريف والاعلام فلينظر هنالك

﴿ فصل ﴾ وذكر رجوع أهل مؤتة وما لقوا من الناس اذ قالوا لهم يا فرار فررتم في سبيل الله ورواية غير ابن

دما عكرا فأخذوا بقولها واعتزلوا من بين لخم فلم تزل بعد اثرى حدس * وكان الذين صلوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة بطن من حدس فلم يزالوا قليلا بعد فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلا * قال ابن اسحق فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال لما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة فقال خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه قال وجعل الناس يحثون على الجيش التراب و يقولون يافرار فررتم فى سبيل الله قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله تعالى * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبى بكر عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض آل الحرث بن هشام وهم أخواله عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة مالى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين قالت والله ما يستطيع أن يخرج كلما خرج صاح به الناس يافرار فررتم فى سبيل الله حتى قعد فى بيته فما يخرج * قال ابن اسحق وقد كان فى أمر الناس وامر خالد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم وقال قيس بن المحسر اليعمرى يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس

فوالله لا تنفك نفسي تلومني * على موقفي والخيل قابعة قبل
وقفت بها لا مستحيزا فنافذا * ولا مانعا من كان حم له القتل
على أنني آسيت نفسي بخالد * ألا خالد فى القوم ليس له مثل
وجاشت الى النفس من نحو جعفر * بمؤتة اذ لا ينفع النابل النبل
وضم الينا حجزتيهم كليهما * مهاجرة لا مشركون ولا عزل

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره ان القوم حاجزوا وكرهوا الموت وحقق انحياز خالد بمن معه «قال ابن هشام» فاما الزهرى فقال فيما بلغنا عنه أمر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ففتح الله عليهم وكان عليهم حتى قفل الى النبي صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وكان مما بكى به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قول حسان بن ثابت

تأوبني ليل بيثرب أعسر * وهم اذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لى عبرة * سفوحا وأسباب البكاء التذكر
بلى ان فقدان الحبيب بلية * وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا * شعوبا وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا * بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

اسحاق انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نحن الفرارون يارسول الله فقال بل أنتم الكرارون وقال لهم انا فيئتكم يريد أن من فر متحيزا الى فئة المسلمين فلا حرج عليه وانما جاء الوعيد فيمن فر عن الامام ولم يتحيز اليه أى لم يلجأ الى حوزته فيكون معه فالمتحيز متفيعل من الحوز ولو كان وزنه متفعلا كما يظن بعض الناس لقيل فيه متحوز وروى ان عمر رضى الله عنه حين بلغه قتل أبى عبيد بن مسعود وأصحابه فى بعض أيام القادسية قال هلا تحيزوا الينا فانا فيئة لكل مسلم * وذكر ابن اسحاق مخاشاة خالد بن الوليد بالناس يوم مؤتة والمخاشاة المحاجزة وهى مفاعلة من الخشية لانه خشى على المسلمين لقلة عددهم فقد قيل كان العدو مائتى ألف من الروم وخمسين ألفا من العرب ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين وفى قول ابن اسحق كان العدو مائة ألف وخمسين ألفا وقد قيل ان المسلمين لم يبلغ عددهم فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف ومن رواه حاشى بالحاء المهملة فهو من الحشى وهى الناحية وفى رواية قاسم بن أصبغ عن ابن قتيبة فى المعارف انه سئل عن قوله حاشى بهم فقال معناه انحاز بهم وشعر قطبة بن قتادة يدل على أنه قد كان ثم ظفر ومغنم لقوله

وسقنا نساء بنى عمه * غداة رقوقين سوق النعم

وفى هذا الشعر انه قتل رئيسا منهم وهو مالك بن رافلة وقد اختلف فى ذلك كما ذكر ابن اسحق فقال ابن شهاب فاخذ خالد الراية حتى فتح الله على المسلمين فاخبر انه قد كان ثم فتح وفى الرواية الاخرى حين قيل لهم يافرار دليل على انه قد كان ثم محاجزة وترك للقتال حتى قالوا نحن الفرارون فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم فالله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ان يصنع لآل جعفر طعام فانهم قد شغلوا بامر صاحبهم وهذا أصل فى طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة كما تسمى طعام العرس الوليمة وطعام القادم من السفر النقيعة وطعام البناء الوكيرة وكان الطعام الذى صنع لآل جعفر فيما ذكر الزبير فى حديث طويل عن عبد الله بن جعفر قال فعمدت سلمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم الى شعير فطحنته ثم آدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا قال عبد الله فاكلت منه وحبسنى النبي صلى الله عليه وسلم مع اخوتى فى بيته ثلاثة أيام وذكر قول حسان يرثى جعفرا * تأوبني ليل بيثرب أعسر * أعسر بمعنى عسر وفى التنزيل «يوم عسر

وزيد وعبدالله حين تتابعوا * جميعا وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم * الى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم * أبى اذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتى مال غير مؤسد * بمعترك فيه قنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه * جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد * وفاء وأمرا

حازما حين يأمر
وما زال في الاسلام من آل هاشم
دعائم عز لا يزلن ومفخر
هم جبل الاسلام والناس حولهم
رضام الى طود يروق ويبهر
بها ليل منهم جعفر وابن أمه
علي ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم
عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللاواء في كل مازق
عماس اذا ما ضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه *
عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر
وقال كعب بن مالك
نام العيون ودمع عينك يهمل
سحا كما وكف الطباب المخضل
في ليلة وردت على همومها
طورا أخن وتارة أتململ

عسر وفيه أيضا عسير » والمعنى متقارب فمن قال عسر قال عسير بالياء ومن قال عسر بعسر قال في الاسم عسر وأعسر مثل حمق وأحمق * وفي هذا الشعر قوله

بهاليل منهم جعفر وابن أمه * علي ومنهم أحمد المتخير

البهاليل جمع بهلول وهو الوضيء الوجه مع طول * وقوله منهم أحمد المتخير فقد عابه بعض الناس لما أضاف احمد المتخير اليهم وليس بعيب لانها ليست باضافة تعريف وانما هو تشريف لهم حيث كان منهم وانما ظهر العيب في قول أبي نواس

كيف لا يدنيك من أمل * من رسول الله من نفره

لانه ذكر واحدا وأضاف اليه فصار بمنزلة ما عيب على الاعشى

شتان ما يومي على كورها * ويوم حيان أخي جابر

وكان حيان أسن من جابر وأشرف فغضب على الاعشى حيث عرفه بجابر واعتذر اليه من أجل الروي فلم يقبل عذره ووجدت في رسالة المهلهل بن يموت بن المزرع قال قال علي بن الاصفر وكان من رواة أبي نواس قال لما عمل أبو نواس * أيها المنتاب عن عفره * أنشدنيها فلما بلغ قوله

كيف لا يدنيك من أمل * من رسول الله من نفره

وقع لي انه كلام مستهجن في غير موضعه اذ كان حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضاف اليه ولا يضاف الى أحد فقلت له أعرفت عيب هذا البيت قال ما يعيبه الا جاهل بكلام العرب وانما أردت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذي هذا الممدوح منه أما سمعت قول حسان بن ثابت شاعر دين الاسلام

وما زال في الاسلام من آل هاشم * دعائم عز لا ترام ومفخر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه * علي ومنهم أحمد المتخير

وقوله * بهم تفرج اللأواء في كل مازق * عماس المازق المضيق من مضائق الحرب والخصومة وهو من أزقت الشيء اذا ضيقته وفي قصة ذي الرمة قال سمعت غلاما يقول لغلمة قد أرقم هذه الاوقة حتى جعلتموها كاللم ثم أدخل منجمة يعني عقبة فيها فنجنجه حتى أفهقها أي حركه حتى وسعها والعماس المظلم والاعمس الضعيف البصر وحفرة معمسة أي مغطاة قال الشاعر

فانك قد غطيت أرجاء هوة * معمسة لا يستبان ترابها
بثوبك في الظلماء ثم دعوتني * لجئت اليها سادرا لا أهابها

أنشده ابن الانباري في خبر زرارة بن عدس * وذكر شعر كعب وفيه * سحا كما وكف الطباب المخضل * الطباب جمع طبابة وهي سير بين خرزتين في المزادة فاذا كان غير محكم وكف منه الماء والطباب أيضا جمع طبة وهي شقة مستطيلة * وقوله طورا أخن الخنين بالخاء المنقوطة حنين ببكاء فاذا كان بالحاء المهملة فليس معه بكاء ولا دمع * وقوله . وسقى عظامهم الغمام المسبل . يرد قول من قال انما استسقت العرب لقبور أحبتها لتخصب أرضها فلا يحتاجوا الى الانتقال عنها لطلب النجعة في البلاد وقال قاسم بن ثابت في الدلائل فهذا

واعتادني حزن فبت كأنني * ببنات نعش والسماك موكل
وكأنما بين الجوانح والحشا * مما تأوبني شهاب مدخل
وجدا على النفر الذين تتابعوا * يوما بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
صلى الاله عليهم من فتية * وسقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للاله نفوسهم * حذر الردى ومخافة أن ينكلوا

فضوا أمام المسلمين كأنهم * فنق عليهن الحديد المرفل
اذ يهتدون بجعفر ولوائه * قدام أولهم فنعم الأول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر * حيث التقى وعث الصفوف مجدل
فتغير القمر المنير لفقده * والشمس قد كسفت وكادت تأفل
قرم علا بنيانه من هاشم * فرعا أشم وسوددا ما ينقل
قوم بهم عصم الاله عباده * وعليهم نزل الكتاب المنزل
فضلوا المعاشر عزة وتكرما * وتغمدت أحلامهم من يجهل
لا يطلقون الى السفاه حباهم * وترى خطيبهم بحق يفصل
بيض الوجوه ترى بطون أكفهم * تندى اذا اعتذر الزمان الممحل
وبهديهم رضى الاله لخلقه * وبجدهم نصر النبى المرسل

وقال حسان بن ثابت يبكى جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه

ولقد بكيت وعز مهلك جعفر * حب النبى على البرية كلها
ولقد جزعت وقلت حين نعيت لى * من للجلاد لدى العقاب وظلها
بالبيض حين تسل من أغمادها * ضربا وانهال الرماح وعلها
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر * خير البرية كلها وأجلها
رزأ وأكرمها جميعا محتدا * وأعزها متظلما وأذلها
للحق حين ينوب غير تنحل * كذبا وأنداها يدا وأقلها
فحشا وأكثرها اذا ما يجتدى * فضلا وأنداها يدا وأبلها
بالعرف غير محمد لا مثله * حى من احياء البرية كلها

وقال حسان بن ثابت فى يوم مؤتة يبكى زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة

عين جودى بدمعك المنزور * واذكرى فى الرخاء أهل القبور
واذكرى مؤتة وما كان فيها * يوم راحوا فى وقعة التغوير   الحجت
حين راحوا وغادروا ثم زيدا * نعم مأوى الضريك والمأسور
حب خير الانام طرا جميعا * سيد الناس حبه فى الصدور
ذاكم أحمد الذى لا سواه * ذاك حزنى له معا وسرورى
ان زيدا قد كان منا بأمر * ليس أمر المكذب المغرور
ثم جودى للخزرجى بدمع * سيدا كان ثم غير نزور
قد أتانا من قتلهم ما كفانا * فبحزن نبيت غير سرور

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مؤتة

كفى حزنا أنى رجعت وجعفر * وزيد وعبد الله فى رمس أقبر
قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم * وخلفت للبلوى مع المتغبر
ثلاثة رهط قدموا فتقدموا * الى ورد مكروه من الموت أحمر

كعب يستسقى لعظام الشهداء بمؤتة وليس معهم وكذلك قول الآخر

سقى مطفيات المحل جودا وديمة * عظام ابن ليلى حيث كان رميمها

فقوله حيث كان رميمها يدل على انه ليس مقيما معه وانما استسقاؤهم لاهل القبور استرحام لهم لان السقى رحمة وضدها عذاب * وقوله كأنهم فنق جمع فنيق وهو الفحل كما قال الآخر وهو طخيم

معى كل فضفاض الرداء كأنه * اذا ما سرت فيه المدام فنيق

وقوله فتغير القمر المنير لفقده * والشمس قد كسفت وكادت تأفل

قوله حق لانه ان كان عنى بالقمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعله قمرا ثم جعله شمسا فقد كان تغير بالحزن لفقد جعفر وان كان أراد القمر نفسه فمعنى الكلام ومغزاه حق أيضا لان المفهوم منه تعظيم الحزن والمصاب واذا فهم مغزى الشاعر فى كلامه والمبالغ فى الشيء فليس بكذب ألا ترى الى قوله عليه السلام أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه أراد به المبالغة فى شدة أدبه لاهله فكلامه كله حق صلى الله عليه وسلم وكذلك قالوا فى مثل قول الشاعر

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

قال انما أراد فعلنا فعلة شنيعة عظيمة فضرب المثل بهتك حجاب الشمس وفهم مقصده فلم يكن كذبا وانما الكذب ان يقول فعلناهم لم يفعلوا وقتلناهم لم يقتلوا * وذكر أبيات حسان وفى بعضها تضمين نحو قوله وأذلها ثم قال فى أول بيت آخر للحق وكذلك قال فى بيت آخر وأقلها وقال فى الذى بعده فحشا وهذا يسمى التضمين * وذكر قدامة فى كتاب نقد الشعر انه عيب عند الشعراء ولعمرى ان فيه مقالا لان آخر البيت يوقف عليه فيوهم الذم فى مثل قوله وأذلها وكذلك وأقلها وقد غلب الزبرقان على المخبل السعدى واسمه كعب بكلمة قالها المخبل أشعر منه ولكنه لما قال يهجوه

وأبوك بدر كان ينتهز الخصى * وأبى الجواد ربيعة بن قبال

وصل الكلام بقوله وأبى وادركه بهر وسعلة فقال له الزبرقان فلا بأس اذا فضحك من المخبل وغلب عليه الزبرقان واذا كان هذا معيبا فى وسط البيت فأحرى ان يعاب فى آخره اذا كان يوهم الذم ولا يندفع ذلك الوهم الا بالبيت الثانى فليس هذا من التحصين على المعانى والتوقى للاعتراض * وقول حسان * عين جودى بدمعك المنزور * النزر القليل ولا يحسن ههنا ذكر القليل ولكنه من نزرت الرجل اذا

وهذه تسمية من استشهد يوم مؤتة * من قريش ثم من بني هاشم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه * وزيد بن حارثة رضي الله عنه * ومن بني عدي بن كعب مسعود بن الاسود بن حارثة بن نضلة * ومن بني مالك بن حسل وهب بن سعد بن أبي سرح * ومن الانصار ثم من بني الحرث بن الخزرج عبد الله بن رواحة وعباد بن قيس * ومن بني غنم بن مالك بن النجار الحرث بن النعمان بن اساف بن نضلة بن عبد بن عوف بن غنم * ومن بني مازن بن النجار سراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء «قال ابن هشام» وممن استشهد يوم مؤتة فيما ذكر ابن شهاب من بني مازن بن النجار أبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول وهما لاب وأم * ومن بني مالك بن أفصى عمرو وعامر ابنا سعد بن الحرث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى «قال ابن هشام» ويقال أبو كلاب وجابر ابنا عمرو

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿ذكر الاسباب الموجبة المسير الى مكة وذكر فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان﴾ * قال ابن اسحق ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثه الى مؤتة جمادى الآخرة ورجبا ثم ان بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة وهم على ماء لهم باسفل مكة يقال له الوتير وكان الذي هاج ما بين بني بكر وخزاعة ان رجلا من بني الحضرمي واسمه مالك بن عباد وحلف الحضرمي يومئذ الى الاسود بن رزن خرج تاجرا فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه (٢٦٣) وأخذوا ماله فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه فعدت خزاعة قبيل الاسلام على بني الاسود بن رزن الديلي وهم منخر بني كنانة وأشرافهم سلمى وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم * قال ابن اسحق وحدثني رجل من الديل قال كان بنو الاسود بن رزن يودون في الجاهلية ديتين ديتين ونودى دية دية لفضلهم فينا * قال ابن اسحق فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الاسلام وتشاغل الناس به فلما كان صلح الحديبية

ألححت عليه ونزرت الشيء اذا استنفدته ومنه قول عمر رحمه الله نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الاصح فيه التخفيف وقال الشاعر

فخذ عفو من تهوى لا تنزرنه * فعند بلوغ الكدر رنق المشارب

وقوله يوم راحوا في وقعة التغوير هو مصدر غورت اذا توسط القائلة من النهار ويقال أيضا اغور فهو مغور وفي حديث الافك مغورين في نحر الظهيرة وانما صحت الواو في مغور وفي أغور من هذا لان الفعل بني فيه على الزوائد كما بني استحوذ وأغيلت المرأة وليس كذلك أغار على العدو ولا اغار الحبل * وذكر فيمن استشهد بمؤتة ابا كليب بن ابي صعصعة «وقال ابن هشام» فيه ابو كلاب وهو المعروف عندهم وقال ابو عمر لا يعرف في الصحابة احد يقال له ابو كليب

﴿بدء فتح مكة﴾

ذكر فيه الاسود بن رزن الكناني بفتح الراء وذكر الشيخ الحافظ ابو بحر ان ابا الوليد أصلحه رزنا بكسر الراء قال والرزن نقرة في حجر يمسك الماء وفي كتاب العين الرزن أكمة تمسك الماء والمعنى متقارب وذكر أن بني رزن من بني بكر وقد قيل فيه الدئل وقد أشبعنا القول فيه في اول الكتاب وما قاله اللغويون والنسابون وذكرنا هنالك كل ديل في العرب وكل دول والحمد لله * وذكر شعر تميم بن اسد وفيه * يزجون كل مقلص خناب * الخناب الطويل من الخيل وقع ذلك في الجمهرة ويقال الخناب الواسع

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش كان فيما شرطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط لهم كما حدثني الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم وغيرهم من علمائنا أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده * قال ابن اسحق فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بني بكر من خزاعة وأرادوا أن يصيبوا منهم ثارا باولئك النفر الذين أصابوا منهم ببني الاسود بن رزن فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الديل وهو يومئذ قائدهم وليس كل بني بكر بايعه حتى بيت خزاعة وهم على الوتير ماء لهم فاصابوا منهم رجلا وتحاوزوا واقتتلوا ورفدت بني بكر قريش بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حاوزوا خزاعة الى الحرم فلما انتهوا اليه قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الحرم الهك الهك فقال كلمة عظيمة لا اله له اليوم يا بني بكر أصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثاركم فيه وقد أصابوا منهم ليلة بيتوهم بالوتير رجلا يقال له منبه وكان منبه رجلا مفؤدا خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد فقال له منبه يا تميم انج بنفسك فأما أنا فوالله اني لميت قتلوني أو تركوني لقد أنبت فؤادي وانطلق تميم فأفلت وأدركوا منبها فقتلوه فلما دخلت خزاعة مكة لجؤا الى دار بديل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع فقال تميم بن أسد يعتذر من فراره عن منبه

لما رأيت بني نفاثة أقبلوا * يغشون كل وتيرة وحجاب
صخرا ورزنا لا عريب سواهم * يزجون كل مقلص خناب

وذكرت ذحلا عندنا متقادما * فيما مضى من سالف الاحقاب ونشيت ريح الموت من تلقائهم * ورهبت وقع مهند قضاب

وعرفت أن من يثقفوه يتركوا * لحما لمجرية وشلو لغراب قومت رجلا لا تخاف عثارها * وطرحت بالمتن العراء ثيابي

ونجوت لا ينجو نجائى أحقب * علج أقب مشمر الاقراب تلحى ولو شهدت لكان نكيرها * بولا يبل مشافر القبقاب

القوم أعلم ما تركت منهما * عن طيب نفس فاسألى أصحابى «قال ابن هشام» وتروى لحبيب بن عبد الله الهذلى و بيته وذكرت

ذحلا عندنا متقادما عن أبى عبيدة وقوله خناب وعلج أقب مشمر الاقراب عنه أيضا * قال ابن اسحق وقال الاخزر بن لعط الديلى فيما كان بين كنانة وخزاعة فى تلك الحرب

ألا هل أتى قصوى الاحابيش أننا ردرنا بنى كعب بأفوق ناصل

حبسناهم فى دارة العبد رافع وعند بديل محبسا غير طائل

بدار الذليل الآخذ الضيم بعد ما شفينا النفوس منهم بالمناصل

حبسناهم حتى اذا طال يومهم نفحنا لهم من كل شعب بوابل

نذبحهم ذبح التيوس كأننا * أسود تبارى فيهم بالقواصل

هم ظلمونا واعتدوا فى مسيرهم وكانوا لدى الانصاب أول قاتل

كأنهم بالجزع اذ يطردونهم * بفاثور حفان النعام الجوافل

فأجابه بديل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الاجب وكان يقال له بديل بن أم أصرم فقال وصفه

تفاقد قوم يفخرون ولم ندع * لهم سيدا يندوهم غير نافل أمن خيفة القوم الالى تزدريهم * تجيز الوتير خائفا غير آيل

وفى كل يوم نحن نحبو حباءنا * لعقل ولا يحبا لنا فى المعاقل ونحن صبحنا بالتلاعة داركم * باسيافنا يسبقن لوم العواذل

ونحن منعنا بين بيض وعتود * الى خيف رضوى من مجر القبائل و يوم الغميم قد تكفت ساعيا * عبيس فجعناه بجلد حلاحل

أأن أجرت فى بيتها أم بعضكم * بجعموسها تنزون ان لم نقاتل كذبتم و بيت الله ما ان قتلتم * ولكن تركنا أمركم فى بلابل

المنخرين والخنابة جانب الانف و فى العين الخناب الرجل الضخم وهو الاحمق أيضاً والمقلص من الخيل المنضم البطن والقوائم وان قلت المقلص بكسر اللام فهو من قلصت الابل اذا شمرت قاله صاحب العين وفيه ظل عقاب وهى الراية وكان اسم راية النبى صلى الله عليه وسلم العقاب والدليل على انه يقال لكل راية عقاب قول قطرى بن الفجاءة و يكنى ابا نعامة رئيس الخوارج

يارب ظل عقاب قد وقيت بها * مهرى من الشمس والابطال تجتلد

وفيه ببل مشافر القبقاب القبقاب أراد به الفرج والقبقب والقبقاب البطن أيضاً * وذكر قول الآخر وفيه * قفا ثور حفان النعام الجوافل * قفا ثور يعنى الجبل وقفا ظرف للفعل الذى قبله وقال قفا ثور ولم ينون لانه اسم علم مع ضرورة الشعر وقد تكلمنا على هذا فيما قبل ولو قال قفا ثور بنصب الراء وجعله غير منصرف لم يبعد لان ما لا تنوين فيه وهو غير معرب بالف ولام ولا اضافة فلا يدخله الخفض لئلا يشبه ما يضيفه المتكلم الى نفسه وقفا ثور بهذا اللفظ تقيد فى الاصل وظاهر كلام البرقى فى شرح هذا البيت انه بفاثور لانه قال الفاثور سبيكة الفضة وكأنه شبه المكان بالفضة لنقائه واستوائه فان كانت الرواية كما قال فهو اسم موضع والفاثور خوان من فضة و يقال ابريق من فضة قيل ذلك فى قول جميل * وصدر كفاثور اللجين وجيد * وفى قول لبيد حقائبهم راح عتيق ودرمك * ومسك وفاثورية وسلاسل

وكما قال البرقى ألفيته فى نسخ صحيحة سوى نسخة الشيخ وان صح ما فى نسخة الشيخ فهو كلام حذف منه ومعناه قفا فاثور وحسن حذف الفاء الثانية كما حسن حذف اللام الثانية فى قولهم علماء بنى فلان لاسيما ضرورة الشعر وترك الصرف لانه جعله اسم بقعة ومن الشاهد على أن فاثور اسم بقعة قول لبيد

و يوم طعنتم فاسمعدت وفودكم * باجماد فاثور كريم مصابر

أى أنا كريم مصابر ولذلك قال البكرى ولم يذكر فيه اختلافا وقال هو اسم جبل يعنى فاثور وقال ابن مقبل

حى محاضرهم شتى وجمعهم * دوم الاياد وفاثور اذا انتجعوا

وقال لبيد ولدى النعمان منى موطن * بين فاثور أفاق فالدخل

وحفان النعام صغارها وهو مرفوع لانه خبر كان * وذكر شعر بديل بن أم أصرم وفيه غير آيل هو فاعل من آل اذا رجع ولكنه قلب الهمزة التى هى بدل من الواو ياء لئلا تجتمع همزتان وكانت الياء أولى بها لانكسارها * وفيه ذكر عبيس و وقع فى بعض روايات الكتاب عبيس بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل وفيه * ان اجرت فى بيتها أم بعضكم بجعموسها * أى رمت به بسرعة وهو كناية عن ضرب من الحدث يسمج

«قال ابن هشام» قوله غير نافل وقوله الى خيف رضوى عن غير ابن اسحق «قال ابن هشام» وقال حسان بن ثابت في ذلك

لحا الله قوما لم ندع من سراتهم * لهم أحدا يندوهم غير ناقب
أخصي حمار مات بالامس نوفلا * متى كنت مفلاخا عدو الحقائب

* قال ابن اسحق فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده وعهده خرج عمرو بن سالم الخزاعي ثم أحد بني كعب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس فقال

يارب اني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا * ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا * ان قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا * وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا * وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

يقول قتلنا وقد أسلمنا «قال ابن هشام» ويروى أيضا * فانصر هداك الله نصرا أبدا * «قال ابن هشام» ويروى أيضا * نحن ولدناك فكنت ولدا * قال ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت ياعمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب ثم خرج بديل بن

ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بن حرب بعسفان قد بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا فلما لقي أبو سفيان بديل بن ورقاء قال من أين أقبلت يا بديل وظن أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال أو ما جئت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء بديل المدينة لقد علف بها النوى فأتى مبرك راحلته فأخذ من بعرها ففتته فرأى فيه النوى فقال أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب الى أبي بكر فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أأنا أشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وعندها حسن بن علي عليه رضوان الله غلام يدب بين يديها فقال يا علي انك أمس القوم بي رحما واني قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا فاشفع لي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة فقال يا ابنة محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر قالت والله ما بلغ بني ذاك ان يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا الحسن اني أرى الامور

وصفه * وذكر أبيات عمرو بن سالم وفيها * قد كنتم ولدا وكنا والدا * يريد أن بني عبد مناف أمهم من خزاعة وكذلك قصي أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية والولد بمعنى الولد * وقوله ثمت أسلمنا هو من السلم لانهم لم يكونوا آمنوا بعد غير انه قال ركعا وسجدا فدل على انه كان فيهم من صلى لله فقتل والله أعلم * وذكر فيه الوتير وهو اسم ماء معروف في بلاد خزاعة والوتير في اللغة الورد الابيض وقد يكون منه بري فيحتمل أن يكون هذا الماء سمي به وأما الورد الاحمر فهو الحوجم ويقال للورد كله جل قاله أبو حنيفة وكان لفظ الحوجم من الحجمة وهي حمرة في العينين يقال منه رجل أحجم * وذكر قول عمر رضي الله عنه فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به وهو كلام مفهوم المعنى وقد تقدم ان مثل هذا ليس بكذب وان كان الذر لا يقاتل به وكذلك قول عمر في حديث الموطأ والله ليمرن به ولو على بطنك يعني الجدول وهو من هذا القبيل لا يعد كذبا لانه جرى في كلامهم كالمثل * وذكر قول فاطمة والله ما بلغ بني أن يجير بين الناس وقد ذكر أبو عبيد هذا محتجا به على من أجاز أمان الصبي وجواره ومن أجاز جوار الصبي انما أجازه اذا عقل الصبي وكان كالمراهق * وقولها ولا يجير أحد على رسول الله وقد قال عليه السلام يجير على المسلمين أدناهم فمعنى هذا والله أعلم كالعبد ونحوه

قد اشتدت علي فانصحني قال والله ما أعرف لك شيئا يغني عنك شيئا ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال أو ترى ذلك مغنيا عني شيأ قال لا والله ما أظنه ولكني لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد فقال أيها الناس اني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد على شيأ ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو «قال ابن هشام» أعدى العدو * قال ابن اسحق ثم أتيت عليا فوجدته ألين القوم وقد أشار على بشيء صنعته فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيأ أم لا قالوا وبم أمرك قال أمرني أن أجير بين الناس ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله ان زاد الرجل على ان لعب بك فما يغني عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله ان يجهزوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي بنية أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه قالت نعم فتجهز قال فأين ترينه يريد قالت والله ما أدري ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس انه سائر الى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس فقال حسان ابن ثابت يحرض الناس ويذكر مصاب رجال خزاعة

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة * رجال بني كعب تحز رقابها
بايدي رجال لم يسلوا سيوفهم * وقتلى كثير لم تجن ثيابها
ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي * سهيل بن عمرو حرها وعقابها
وصفوان عودا حزمن شعر استه * فهذا أوان الحرب شد عصابها
فلا تأمننا يا ابن أم مجالد * اذا احتلبت صرفا وأعصل نابها
ولا تجزعوا منها فان سيوفنا * لها وقعة بالموت يفتح بابها

«قال ابن هشام» قول حسان بايدي رجال لم يسلوا سيوفهم يعني قريشا وابن أم مجالد يعني عكرمة ابن أبي جهل * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير الى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الامر في السير اليهم ثم اعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة وزعم لي غيره انها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب وجعل لها جعلا على ان تبلغه قريشا فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما فقال أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب الى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم فخرجا حتى أدركاها بالخليقة خليقة بني أبي أحمد فاستنزلاها فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيأ فقال لها على بن أبي طالب اني أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك فلما رأت الجد منه قالت أعرض فاعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته اليه فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال يا حاطب ما حملك على هذا فقال يا رسول الله اما والله اني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه فان الرجل قد نافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال

يجوز جواره فما قال مثل أن يجير واحدا من العدو أو نفرا يسيرا وأما ان يجير على الامام قوما يريد الامام غزوهم وحربهم فلا يجوز ذلك عليهم ولا على الامام وهذا هو الذي أرادت فاطمة رضي الله عنها والله أعلم وأما جوار المرأة وتأمينها فجائز عند جماعة الفقهاء الا سحنون وابن الماجشون فانهما قالا هو موقوف على اجازة الامام وقد قال عليه السلام لام هانئ قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ وروى معنى قولهما عن عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد وأما جوار العبد فجائز الا عند أبي حنيفة وقول النبي صلى الله عليه وسلم يجير على المسلمين أدناهم يدخل فيه العبد والمرأة

﴿فصل﴾ وذكر كتاب حاطب الى قريش وهو حاطب بن أبي بلتعة مولى عبد الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى والبلتعة في اللغة التظرف قاله أبو عبيد واسم أبي بلتعة عمرو وهو لخمي فيما ذكروا ومن ذريته زياد بن عبد الرحمن الاندلسي الذي روى الموطأ عن مالك وهو زياد شبطون وكان قاضي طليطلة وكان شبطون زوج الامه فعرف به رحمه الله وقد قيل انه كان في الكتاب ان النبي صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده وفي تفسير ابن سلام انه كان في الكتاب الذي كتبه حاطب ان النبي محمدا قد نفر اما اليكم واما الى غيركم فعليكم الحذر * وذكر ان على بن أبي طالب والزبير والمقداد أدركوها بروضة خاخ بخاء بن منقوطتين وكان هشيم يرويه

اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فانزل الله تعالى فى حاطب يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة الى قوله قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا و بينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الى آخر القصة * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس قال ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة ابارهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى وخرج لعشر مضين من شهر رمضان فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وامج افطر * قال ابن اسحق ثم مضى حتى نزل مر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين فسبعت سليم و بعضهم يقول ألفت سليم وألفت مزينة وفى كل القبائل عدد واسلام وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والانصار فلم يتخلف عنهم منهم أحد فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ماهو فاعل وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق «قال ابن هشام» لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فيما ذكر ابن شهاب الزهرى * قال ابن اسحق وقد كان أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بنيق العقاب فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه فكلمته أم سلمة فيهما فقالت يارسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال لا حاجة لى بهما أما ابن عمى فهتك عرضى وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال قال فلما خرج الخبر اليهما بذلك ومع أبى سفيان بنى له فقال والله ليأذنن لى أو لآخذن بيدى بنى هذا ثم لنذهبن فى الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما وأنشده أبو سفيان بن الحرث

يرويه حاج بالحاء والجيم وهو مما حفظ من تصحيف هشيم وكذلك كان يروى سدادا من عون بفتح السين والمغيرة بن أبى بردة يقول فيه برزة بالزاى وفتح الباء فى تصحيف كثير وهو مع ذلك ثبت متفق على عدالته على ان البخارى قد ذكر عن أبى عوانة أيضا انه قال فيه حاج كما قيل عن هشيم فالله أعلم وفى هذا الخبر من رواية الشيبانى ان عائشة قالت دخل على أبو بكر وأنا أغربل حنطة لنا فسألنى وذكر باقى الحديث وفيه من الفقه أكلهم للبر وان كان أغلب أحوالهم أكل الشعير ولا يقال حنطة الا للبر

﴿فصل﴾ وذكر قول الله عز وجل فى حاطب تلقون اليهم بالمودة أى تبذلونها لهم ودخول الباء وخروجها عند الفراء سواء والباء عند سيبويه لا تزاد فى الواجب ومعنى الكلام عند طائفة من البصريين تلقون اليهم النصيحة بالمودة قال النحاس معناه تخبرونهم بما يخبر به الرجل أهل مودته وهذا التقدير ان نفع فى هذا الموضع لم ينفع فى مثل قول العرب ألق اليه بوسادة أو بثوب ونحو ذلك فيقال اذا ان ألقيت تنقسم قسمين أحدهما ان تريد وضع الشىء فى الارض فتقول ألقيت السوط من يده ونحو ذلك والثانى أن تريد معنى الرمى بالشىء فتقول ألقيت الى زيد بكذا أرميته به وفى الآية انما هو القاء بكتاب وارسال به فعبر عن ذلك بالمودة لانه من افعال أهل المودة فمن ثم حسنت الباء لانه ارسال بشىء فتأمله وفى الحديث دليل على قتل الجاسوس فان عمر رضى الله عنه قال دعنى فلاضرب عنقه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ومايدريك ياعمر لعل الله اطلع الى أصحاب بدر الحديث فعلق حكم المنع من قتله بشهود بدر فدل على ان من فعل مثل فعله وليس ببدرى انه يقتل زاد البخارى فى بعض روايات الحديث قال فاغرورقت عينا عمر رضى الله عنه وقال الله ورسوله أعلم يعنى حين سمعه يقول فى أهل بدر ما قال وفى مسند الحارث ان حاطبا قال يارسول الله كنت عزيزا فى قريش وكانت أمى بين ظهرانيهم فاردت أن يحفظونى فيها أو نحو هذا ثم فسر العزير وقال هو الغريب * وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لام سلمة حين استأذنته فى أخيها عبد الله بن أمية وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال يعنى حين قال له والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا انظر ثم تأتى بصك وأربعة من الملائكة يشهدون لك ان الله قد ارسلك وقد تقدمت هذه القصة وعبد الله بن أبى أمية هو اخو ام سلمة لابيها وامه عاتكة بنت عبد المطلب وام سلمة امها عاتكة بنت جذل الطعان وهو عامر بن قيس الفراسى واسم أبى أمية حذيفة وكانت عنده أربع عواتك قد ذكرناهن ههنا ثنتين وقول أبى سفيان بن الحارث أو لآخذن بيد بنى هذا ثم لنذهبن فى الارض لم يذكر ابن اسحق اسم ابنه ذلك ولعله أن يكون جعفرا فقد كان اذ ذاك غلاما مدركا وشهد مع ابيه حنينا ومات فى خلافة معاوية ولا عقب له * وذكر الزبير لابى سفيان ولدا يكنى ابا الهياج فى حديث ذكره ولا ادرى اهو جعفر ام غيره ومات ابو سفيان فى خلافة عمر رضى

قوله فى اسلامه واعتذر اليه مما كان مضى منه فقال

لعمرك انى يوم أحمل راية * لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله * فهذا أوانى حين أهدى واهتدى
هدانى هاد غير نفسى ودلنى * على الله من طردت كل مطرد
أصد وأنأى جاهدا عن محمد * وادعى وان لم أنتسب من محمد
هم ماهم من لم يقل بهواهم * وان كان ذا رأى يلم ويفند
أريد لارضيهم ولست بلائط * مع القوم مالم أهد فى كل مقعد
فقل لثقيف لا أريد قتالها * وقل لثقيف تلك غيرى أوعدى
فما كنت فى الجيش الذى نال عامر * وما كان عن جرى لسانى ولا يدى
قبائل جاءت من بلاد بعيدة * نزائع جاءت من سهام وسردد

« قال ابن هشام » ويروى ودلنى على الحق من طردت كل مطرد * قال ابن اسحق فزعموا انه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ونالنى مع الله من طردت كل مطرد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدره وقال أنت طردتنى كل مطرد فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب فقلت واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة ان يأتوه فيستامنوه بانه لهلاك قريش الى آخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها قال حتى جئت الاراك فقلت لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستامنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة قال فوالله انى لاسير عليها وألتمس ما خرجت له اذ سمعت كلام أبى سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول مارأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا قال يقول بديل هذه والله خزاعة حمشتها الحرب قال يقول أبو سفيان خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها قال فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتى فقال أبو الفضل قال قلت نعم قال مالك فداك أبى وأمى قال قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس واصباح قريش والله قال فما الحيلة فداك أبى وأمى قال قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك قال فركب خلفى ورجع صاحباه قال فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا فاذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال من هذا وقام الى فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطىء قال فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعنى فلاضرب عنقه قال قلت يا رسول الله انى قد أجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة دونى رجل فلما أكثر عمر فى شانه قال قلت مهلا يا عمر فوالله ان لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلت هذا ولكنك قد عرفت انه من رجال بنى عبد مناف فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم ومابى الا انى قد عرفت أن اسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فاتنى به قال فذهبت به الى رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه

الله عنه وقال عند موته لا تبكن على فانى لم أنتطف بخطيئة منذ أسلمت ومات من ثؤلول حلقه الحلاق فى حج فقطعه مع الشعر فنزف منه وقيل فى اسم أبى سفيان المغيرة وقيل بل المغيرة أخوه قال القتبى اخوته المغيرة ونوفل وعبد شمس وربيعة بنو الحارث بن عبد المطلب * وقوله نزائع جاءت من سهام وسردد على وزن فعال بفتح الفاء وسردد بضم أوله واسكان ثانيه هكذا ذكره سيبويه ويعقوب وبفتح الدال ذكره غيرهما وهما موضعان من أرض عك وذلك ان سيبويه من أصله انه ليس فى الكلام فعلل بالفتح وحكاه الكوفيون فى جندب وسردد وغيرهما ولا ينبغى أيضا على أصل سيبويه أن يمتنع الفتح فى سردد لان احدى الدالين زائدة من أجل التضعيف وانما الذى يمتنع فى الابنية مثل جعفر بضم أوله وفتح ثانيه فمثل سردد السودد والحلل جمع حائل وما ذكره بعضهم من طحلب وبرقع وجؤذر فهو دخيل فى الكلام ولا يجعل أصلا ولا يمتنع أيضا جندب بفتح الدال لان النون زائدة وكان أبو سفيان رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضعتهما حليمة وكان آلف الناس له قبل النبوة لا يفارقه فلما نبئ كان أبعد الناس عنه وأهجاهم له الى أن أسلم فكان أصح الناس ايمانا وألزمهم له صلى الله عليه وسلم ولابى سفيان هذا قال النبى صلى الله عليه وسلم أنت يا أبا سفيان كما قيل كل الصيد فى جوف الفرا وقيل بل قالها لابى سفيان بن حرب والاول أصح * وقول بديل حمشتهم الحرب يقال حمشت الرجل اذا أغضبته وحمشت النار أيضا اذا أرقدتها ويقال حمست بالسين * وذكر عبد بن حميد فى اسلام أبى سفيان بن حرب ان العباس لما احتمله معه الى قبته فاصبح عنده رأى الناس وقد ثاروا

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك ان تعلم انه لا اله الا الله قال بابى أنت وامى ما احلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى عنى شيأ بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك ان تعلم انى رسول الله قال بابى أنت وامى ما احلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه والله فان فى النفس منها حتى الآن شيأ فقال له العباس ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك قال فشهد شهادة الحق فاسلم قال العباس قلت يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيأ قال نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها قال فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحبسه قال ومرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال يا عباس من هذه فاقول سليم فيقول مالى ولسليم ثم تمر القبيلة فيقول يا عباس من هؤلاء فاقول مزينة فيقول مالى ولمزينة حتى نفدت القبائل ما تمر به قبيلة الا يسألنى عنها فاذا أخبرته بهم قال مالى ولبنى فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء «قال ابن هشام» وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها قال الحرث بن حلزة اليشكرى

ثم حجرا أعنى ابن أم قطام * وله فارسية خضراء

يعنى الكتيبة وهذا البيت فى قصيدة له وقال حسان بن ثابت الانصارى

لما رأى بدرا تسيل جلاهه * بكتيبة خضرا من الخزرج

وهذا البيت فى أبيات له قد كتبناها فى أشعار يوم بدر * قال ابن اسحق فيها المهاجرون والانصار رضى الله عنهم لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله يا عباس من هؤلاء قال قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والانصار قال ما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما قال قلت يا أبا سفيان انها النبوة قال فنعم اذن قال قلت النجاء الى قومك حتى اذا جاءهم صرخ باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن فقامت اليه هند بنت عتبة فاخذت بشاربه فقالت اقتلوا الحميت الدسم الاحمس قبح من طليعة قوم قال ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فانه قد جاءكم ما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن قالوا قاتلك الله وما تغنى عنا دارك قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة حمراء وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى ان عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل * قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدته أسماء ابنة أبى بكر قالت لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده أى بنية اظهرى بى على

ثاروا الى ظهورهم فقال أبو سفيان يا أبا الفضل ما للناس أأمروا فى بشئ قال لا ولكنهم قاموا الى الصلاة فامره العباس فتوضأ ثم انطلق به الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه السلام فى الصلاة كبر فكبر الناس بتكبيره ثم ركع فركعوا ثم رفع فرفعوا فقال أبو سفيان ما رأيت كاليوم طاعة قوم جمعهم من ههنا وههنا ولا فارس الاكارم ولا الروم ذات القرون باطوع منهم له وفى حديث عبد بن حميد ان ابا سفيان قال للنبى صلى الله عليه وسلم حين عرض عليه الاسلام كيف أصنع بالعزى فسمعه عمر رضى الله عنه من وراء القبة فقال له تخرأ عليها فقال له ابو سفيان ويحك يا عمر انك رجل فاحش دعنى مع ابن عمى فاياه اكلم * وذكر قول ابى سفيان لقد اصبح ملك ابن اخيك الغداة عظيما وقول العباس له انها النبوة قال شيخنا ابو بكر رحمه الله انما انكر العباس عليه ان ذكر الملك مجردا من النبوة مع انه كان فى اول دخوله فى الاسلام والا فجائز ان يسمى مثل هذا ملكا وان كان لنبى فقد قال الله تعالى فى داود « وشددنا ملكه » وقال سليمان « وهب لى ملكا » غير ان الكراهية اظهر فى تسمية حال النبى صلى الله عليه وسلم ملكا لما جاء فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا عبدا او نبيا ملكا فالتفت الى جبريل فاشار اليه ان تواضع فقال بل نبيا عبدا اشبع يوما واجوع يوما وانكار العباس على ابى سفيان يقوى هذا المعنى وامر الخلفاء الاربعة بعده يكره ايضا ان يسمى ملكا لقوله عليه السلام فى حديث آخر يكون بعده خلفاء ثم يكون امراء ثم يكون ملوك ثم جبابرة ويروى ثم يعود الامر بزيزيا وهو تصحيف قال الخطابى انما هو بزيزى اى قتل وسلب وقول هند اقتلوا الحميت الدسم الاحمس الحميت الزق نسبته الى الضخم والسمن والاحمس ايضا الذى لا خير عنده من قولهم عام احمس اذا لم يكن فيه مطر وزاد عبد بن حميد فى حديثه انها قالت يا آل غالب اقتلوا الاحمق فقال لها ابو سفيان والله لتسلمن اولاضربن عنقك وفى اسلام ابى سفيان قبل هند واسلامها قبل انقضاء عدتها ثم استقرا على نكاحهما وكذلك حكيم بن حزام مع امرأته حجة للشافعى فانه لم يفرق بين ان تسلم قبله او يسلم قبلها ما دامت فى العدة وفرق مالك بين المسئلتين على ما فى الموطأ وغيره * وذكر اسلام ابى قحافة واسمه عثمان بن عامر واسم امه قيلة بنت اذاة * وقوله لبنت له وهى أصغر ولده يريد والله اعلم اصغر اولاده الذين لصلبه واولادهم لان ابا قحافة

أبي قبيس قالت وقد كف بصره (٢٧٠) قالت فاشرفت به عليه فقال أي بنية ماذا ترين قالت أرى سوادا مجتمعا قال تلك الخيل

قالت وأرى رجلا يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلا ومدبرا قال أي بنية ذلك الوازع يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم اليها قالت قد والله انتشر السواد قالت فقال قد والله اذن دفعت الخيل فاسرعي بي الى بيتي فانحطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل الى بيته قالت وفي عنق الجارية طوق من ورق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقها قالت فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بابيه يقوده فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه قال أبو بكر يا رسول الله هو أحق أن يمشي اليك من أن تمشي اليه أنت قال فاجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال له أسلم فأسلم قالت فدخل به أبو بكر وكان رأسه ثغامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غيروا هذا من شعره ثم قام أبو بكر فاخذ بيد أخته وقال أنشد الله والاسلام طوق أختي فلم يجبه أحد قالت فقال أي أخية احتسبي طوقك فوالله ان الامانة في الناس اليوم لقليل * قال ابن اسحق

وحدثني عبد الله بن أبي نجيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرق جيشه من ذي طوى أمر الزبير ابن العوام أن يدخل في بعض الناس من كداء وكان الزبير على المجنبة اليسرى وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدى

الناس

لم يعش له ولد ذكر الا ابو بكر ولا تعرف له بنت الا ام فروة التي انكحها ابو بكر رضي الله عنه من الاشعث بن قيس وكانت قبله تحت تميم الداري فهي هذه التي ذكر ابن اسحق والله أعلم وقد قيل كانت له بنت أخرى تسمى قريبة تزوجها قيس بن سعد بن عبادة فالمذكورة في حديث أبي قحافة هي احدى هاتين على هذا والله أعلم وفي الحديث وكان رأسه ثغامة والثغام من نبات الجبال وهو من الجنبة وأشد ما يكون بياضا اذا أمحل والحلي مثله يشبه به الشيب قال الراجز * ولمتي كأنها حليه * وقول النبي صلى الله عليه وسلم في شيب أبي قحافة غيروا هذا من شعره هو على الندب لا على الوجوب لما دل على ذلك من الاحاديث عنه عليه السلام انه لم يغير شيبه وقد روى من طريق أبي هريرة انه خضب وقال من جمع بين الحديثين انما كانت شيبات يسيرة يغيرها بالطيب وقال أنس لم يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم حد الخضاب وفي البخاري عن عثمان بن موهب قال أرتني أم سلمة شعرا من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه أيضا عن ابن موهب قال بعثني أهلي بقدح الى أم سلمة وذكر الحديث وفيه اطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمرا وهذا كلام مشكل وشرحه في مسند وكيع بن الجراح قال كان جلجلا من فضة صنع صونا لشعرات كانت عندهم من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان قيل) فهذا يدل على انه كان مخضوب الشيب وقد صح من حديث أنس وغيره انه عليه السلام لم يكن بلغ ان يخضب انما كانت شعرات تعد (فالجواب) انه لما توفي خضب من كان عنده شيء من شعره تلك الشعرات ليكون أبقى لها كذلك قال الدارقطني في أسماء رجال الموطأ له وكان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم وكان عمر يخضب بالصفرة وكذلك عثمان وعبد الله بن عمر وكان فيهم من يخضب بالخطر وهو الوسمة وأما الصفرة فكانت من الورس أو الكركم وهو الزعفران والورس ينبت باليمن يقال لجيده بادرة الورس ومن أنواعه المسف والحبشي وهو آخره ويقال من الحناء حنأ شيبه ورقنه وجمع الحناء حنان على غير قياس قال الشاعر

ولقد أروح بلمة فينانة * سوداء قد رويت من الحنان

من كتاب أبي حنيفة وبعض أهل الحديث يزيد على رواية ابن اسحق في شيب أبي قحافة وجنبوه السواد وأكثر العلماء على كراهة الخضاب بالسواد من أجل هذا الحديث ومن أجل حديث آخر جاء فيه الوعيد والنهي لمن خضب بالسواد وقيل أول من خضب بالسواد فرعون وقيل أول من خضب به من العرب عبد المطلب وترخص قوم في الخضاب بالسواد منهم محمد بن علي وروى عن عمر انه قال اخضبوا بالسواد فانه انكى للعدو وأحب للنساء وقال ابن بطال في الشرح اذا كان الرجل كهلا لم يبلغ الهرم جاز له الخضاب بالسواد لان في ذلك ما قال عمر رضي الله عنه من الارهاب على العدو والتحبب الى النساء وأما اذا قوس واحدودب فحينئذ يكره له السواد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبي قحافة غيروا شيبه وجنبوه السواد

(فصل) وذكر كداء بفتح الكاف والمد وهو باعلى مكة وكدى وهو من ناحية عرفة وبمكة موضع ثالث يقال كدا بضم الكاف والقصر وأنشدوا في كداء وكدى

أقفرت بعد عبد شمس كداء * فكدى فالركن فالبطحاء

والبيت لابن قيس الرقيات يذكر بني عبد شمس بن عبد ود العامريين رهط سهيل بن عمرو وبكداء وقف ابراهيم عليه السلام حين دعا لذريته بالحرم كذلك روى سعيد بن جبير عن ابن عباس فقال فاجعل أفئدة من

* قال ابن اسحق فزعم بعض أهل العلم ان سعدا حين وجه داخلا قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين « قال ابن هشام » هو عمر بن الخطاب فقال يارسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة ما نأمن أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب أدركه فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها * قال ابن اسحق وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح في حديثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد فدخل من الليط

أسفل مكة في بعض الناس وكان خالد على المجنبة اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذاخر حتى نزل بأعلى مكة وضربت له هنالك قبته * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله ابن أبي بكر ان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وكانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا وقد كان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعد سلاحا قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلح منه فقالت له امرأته لماذا تعد ما أرى قال لمحمد وأصحابه قالت والله ما أرى انه يقوم لمحمد وأصحابه شيء قال والله اني لأرجو أن أخدمك بعضهم ثم قال

ان يقبلوا اليوم فمالي عله * هذا سلاح كامل واله * وذو غرارين سريع السله *

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيأ من قتال فقتل كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بني منقذ وكانا في خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا قتل خنيس بن خالد قبل كرز بن جابر فجعله كرز بن جابر بين رجليه ثم قاتل عنه حتى قتل وهو يرتجز يقول

قد علمت صفراء من بني فهر * نقية الوجه نقية الصدر * لأضربن اليوم عن أبي صخر *

« قال ابن هشام » وكان خنيس يكنى أبا صخر «قال ابن هشام» خنيس بن خالد من خزاعة

الناس تهوي اليهم فاستجيبت دعوته وقيل له أذن في الناس بالحج يأتوك رجالا الآية اراه يقول يأتوك ولم يقل يأتوني لانها استجابة لدعوته فمن ثم والله اعلم استحب النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتى لمكة أن يدخلها من كداء لانه الموضع الذي دعا فيه ابراهيم بان يجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم

﴿ فصل ﴾ وذكر نزع الراية من سعد حين قال اليوم يوم الملحمة وزاد غير ابن اسحق في الخبر ان ضرار ابن الخطاب قال يومئذ شعرا حين سمع قول سعد استعطف فيه النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهو من أجود شعر له

يانبي الهدى اليك لجا حي قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأر * ض وعاداهم اله السماء
والتقت حلقتا البطان على القوم ونودوا بالصيلم الصلعاء
ان سعدا يريد قاصمة الظهر باهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيظ رمانا بالنسر والعواء
فلئن أقحم اللواء ونادى * ياحماة اللواء اهل اللواء
لتكونن بالبطاح قريش * بقعة القاع في أكف الاماء

فحينئذ انتزع النبي صلى الله عليه وسلم الراية من سعد بن عبادة فيما ذكروا والله اعلم ومد في هذا الشعر العواء وأنكر الفارسي في بعض كتبه مدها وقال لو مدت لقيل فيها العياء كما قيل في العلياء لانها ليست بصفة كالعشواء قال وانما هي مقصورة كالشروى والنجوى وغفل عن وجه ذكره أبو علي القالي فانه قال من مد العواء فهي عنده فعال من عويت الشيء اذا لويت طرفه وهذا احسن جدا لاسيما وقد صح مدها في الشعر الذي تقدم وغيره والاصح في معناها ان العواء من العوة والعوة هي الدبر فكأنهم سموها بذلك لانها دبر الاسد من البروج

﴿ فصل ﴾ وذكر خنيس بن خالد وقول ابن هشام خنيس من خزاعة لم يختلفوا عن ابن اسحق انه خنيس بالخاء المنقوطة والنون وأكثر من ألف في المؤتلف والمختلف يقول الصواب فيه حبيش بالحاء المهملة والباء والشين المنقوطة وكذلك في حاشية الشيخ عن أبي الوليد ان الصواب فيه حبيش وأبوه خالد هو الاشعر بن حنيف وقد رفعنا نسبه عند ذكر أم معبد لانها بنته وهو بالشين المنقوطة وأما الاسمر بالسين المهملة فهو الاسمر الجعفي واسمه مرثد بن عمران وسمي الاسمر لقوله

فلا يدعني قومي لسعد بن مالك * لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

يعني عالك مذحج * وذكر الرجز الذي لكرز * قد علمت صفراء من بني فهر * أشار بقوله صفراء

الى صفرة الخلوق وقيل بل أراد معنى قول امرئ القيس * كبكر مقاناة البياض بصفرة * وكقول الاعشى

حمراء غدوتها وصفر * اء العشية كالعرارة

وقوله من بني فهر بكسر الهاء وكذلك الصدر في البيت الثاني وأبو صخر هذا على مذهب العرب في الوقف على ما أوسطه ساكن فان منهم من ينقل حركة لام الفعل الى عين الفعل في الوقف وذلك اذا كان الاسم مرفوعا أو مخفوضا ولا يفعلون ذلك في النصب وعلله مستقصاة في النحو * وذكر خبر حماس وقول امرأته له لما اذا تعد السلاح باثبات الالف ولا يجوز حذفها من أجل تركيب ذا معها والمعروف في ماذا اذا كانت استفهاما مجرورة أن تحذف منها الالف فيقال لم وبم قال ابن السراج الدليل على ان ذا جعلت مع ما اسما واحدا انهم اتفقوا على اثبات الالف مع حرف الجر فيقولون لماذا فعلت وبماذا جئت وهو معنى قول سيبويه * وقوله وذو غرار سريع السله بكسر السين هو الرواية يريد الحالة من سل السيف ومن أراد المصدر فتح * وقوله وأبو يزيد قائم كالمؤتمة يريد المرأة لها أيتام والاعرف في مثل هذا مؤتم مثل مطفل وجمعها مياتم وقال ابن اسحق في غير هذه الرواية المؤتمة الاسطوانة وهو تفسير غريب وهو أصح من التفسير الاول لانه تفسير راوي الحديث فعلى قول ابن اسحق هذا يكون لفظ المؤتمة من قولهم وتم وأتم اذا ثبت لان الاسطوانة تثبت ما عليها ويقال فيها على هذا موتمة بلا همز وتجمع ماتم وموتمة بلا همز وتجمع مواتم * وقوله وأبو يزيد بقلب الهمزة من أبو الفا ساكنة فيه حجة لورش حيث ابدل الهمزة ألفا ساكنة وهي متحركة واعا قياسها عند النحو يين أن تكون بين بين * ومثل قوله وأبو يزيد قول الفرزدق * فارعى فزارة لا هناك المرتع * وانما هو هنأك بالهمز وتسهيلها بين بين فقلبها ألفا على غير القياس المعروف في النحو وكذلك قولهم في المنساة وهي العصا وأصلها الهمز لانها مفعلة من نسأت ولكنها في التنزيل كما ترى وأبو يزيد الذي عنى في هذا البيت هو سهيل بن عمرو خطيب قريش * وقوله لهم نهيت النهيت صوت الصدر وأكثر ما يوصف به الاسد قال ابن الاسلت

كأنهم أسد لدى أشبل * ينهتن في غيل واجزاع

والغمغمة أصوات غير مفهومة من اختلاطها

﴿فصل﴾ ونذكرها هنا طرفا من أحكام أرض مكة فقد اختلف هل افتتحها النبي صلى الله عليه وسلم عنوة أو صلحا ليبتني على ذلك الحكم هل ارضها ملك لاهلها أم لا وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يأمر بنزع أبواب دور مكة اذا قدم الحاج وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله بمكة ان ينهى أهلها عن كراء دورها اذا جاء الحاج فان ذلك لا يحل لهم وقال مالك رحمه الله ان كان الناس ليضربون فساطيطهم بدور مكة لا ينهاهم أحد وروى ان دور مكة كانت تدعى السوائب وهذا كله منتزع من أصلين أحدهما قوله تبارك وتعالى « والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادي » وقال ابن عمر وابن عباس الحرم كله مسجد والاصل الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم دخلها عنوة غير انه من على أهلها بانفسهم وأموالهم ولا يقاس عليها غيرها من البلاد كما ظن بعض الفقهاء فانها مخالفة لغيرها من وجهين أحدهما ما خص الله به نبيه فانه قال « قل الانفال لله والرسول » والثاني ما خص الله تعالى به مكة فانه جعلها لا تحل غنائمها ولا تلتقط لقطتها وهي حرم الله تعالى وأمنه فكيف تكون ارضها ارض خراج فليس لاحد افتتح بلدا أن يسلك به سبيل مكة فارضها اذا ودورها لاهلها ولكن أوجب الله عليهم التوسعة على الحجيج اذا قدموها ولا يأخذوا منهم كراء في مساكنها فهذا حكمها فلا عليك بعد هذا فتحت عنوة أو صلحا وان كانت ظواهر الحديث

* قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر قالا وأصيب من جهينة سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد وأصيب من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا ثم انهزموا فخرج حماس منهزما حتى دخل بيته ثم قال لامرأته اغلقي على بابي قالت فاين ما كنت تقول فقال

انك لو شهدت يوم الخندمه
اذ فر صفوان وفر عكرمه
وابو يزيد قائم كالمؤتمه *
واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه *
ضربا فلا يسمع الا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه *
لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

«قال ابن هشام» أنشدني بعض أهل العلم بالشعر قوله كالمؤتمه للرعاش

الهذلى وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحنين والطائف شعار المهاجرين يابنى عبد الرحمن وشعار الخزرج يابنى عبد الله وشعار الأوس يابنى عبيد الله * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى أمرائه من المسلمين حين أمرهم ان يدخلوا مكة ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا انه قد عهد فى نفر سماهم امر بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة * منهم عبد الله بن سعد اخو بنى عامر بن لؤى وانما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لانه قد كان اسلم وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى فارتد مشركا راجعا الى قريش ففر الى عثمان بن عفان وكان اخاه للرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمأن الناس وأهل مكة فاستأمن له فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ثم قال نعم فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه لقد صمت ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل من الانصار فهلا أومأت الى يارسول الله قال ان النبى لا يقتل بالاشارة « قال ابن هشام » ثم اسلم بعد فولاه عمر بن الخطاب بعض اعماله ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر * قال ابن اسحق وعبد الله بن خطل رجل من بنى تيم بن غالب وانما امر بقتله انه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وبعث معه رجلا من الانصار وكان معه مولى له يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح له تيسا فيصنع له طعاما فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكانت له قينتان فرتنى وصاحبتها وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه

وسلم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه * والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قصى وكان ممن يؤذيه بمكة « قال ابن هشام » وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وام كلثوم بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة فنخس بهما الحويرث بن نقيذ فرمى بهما الى الارض * قال ابن اسحق ومقيس بن صبابة وانما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لقتل الانصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ورجوعه الى قريش مشركا وسارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب وعكرمة بن أبى جهل وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة فاما عكرمة فهرب الى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحرث بن هشام فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه فخرجت فى طلبه الى اليمن حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وأما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حريث المخزومى وأبو برزة الاسلمى اشتركا فى دمه وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه فقالت أخت مقيس فى قتله

لعمرى لقد أخزى نميلة رهطه * وفجع أضياف الشتاء بمقيس
فلله عينا من رأى مثل مقيس * اذا النفساء أصبحت لم تخرس

وأما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فامنها وأما سارة فاستؤمن لها فامنها ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا فى زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على بن ابى طالب * قال ابن اسحق وحدثنى سعيد بن أبى هند عن ابى مرة مولى عقيل بن أبى طالب ان أم هانئ ابنة أبى طالب قالت لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فر الى رجلان من احمائى من بنى مخزوم وكانت عند هبيرة بن أبى وهب المخزومى قالت فدخل على على بن أبى طالب اخى فقال والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما باب بيتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة ان فيها لاثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف الى فقال مرحبا واهلا يا ام هانئ ما جاء

انها فتحت عنوة وذكر الهذلى الذى قتل وهو واقف فقال أقد فعلتموها يامعشر خزاعة وروى الدارقطنى فى السنن ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كنت قاتلا مسلما بكافر لقتلت خراشا بالهذلى يعنى بالهذلى قاتل ابن أثوع وخراش هو قاتله وهو من خزاعة

﴿فصل﴾ وذكر قصة ابن خطل واسمه عبد الله وقد قيل فى اسمه هلال وقد قيل هلال كان أخاه وكان يقال لهما الخطلان وهما من بنى تيم بن غالب بن فهر وان النبى صلى الله عليه وسلم أمر بقتله فقتل وهو متعلق باستار الكعبة ففى هذا ان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب وان معنى قوله تعالى «ومن دخله كان آمنا» انما معناه الخبر عن تعظيم حرمة الحرم فى الجاهلية نعمة منه على أهل مكة كما قال تعالى «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس» الى آخر الآية فكان فى ذلك قوام للناس ومصلحة لذرية اسماعيل صلى الله عليه وسلم وهم قطان الحرم واجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام حيث يقول اجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وعندما قتل النبى صلى الله عليه وسلم ابن خطل قال لا يقتل قرشى صبرا بعد هذا كذلك قال يونس فى روايته

﴿فصل﴾ وذكر صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت أم هانئ وهى صلاة الفتح تعرف بذلك عند أهل العلم وكان الامراء يصلونها اذا افتتحوا بلدا قال الطبرى صلى سعد بن أبى وقاص حين افتتح المدائن ودخل ايوان كسرى قال فصلى فيه صلاة الفتح قال وهى ثمانى ركعات لا يفصل بينها ولا تصلى بامام فبين

لك فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي فقال قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت فلا يقتلهما «قال ابن هشام» هما الحرث بن هشام وزهير بن أبي أمية بن المغيرة * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن صفية بنت شيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد * قال ابن اسحق فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ألا كل مأثرة أودم أومال يدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتيل الخطا شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل أربعون منها في بطونها أولادها يامعشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية كلها ثم قال يامعشر قريش ماترون اني فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقام اليه علي بن ابي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال يارسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين عثمان بن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك ياعثمان اليوم يوم بر ووفاء «قال ابن هشام» وذكر سفيان بن عيينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي انما اعطيكم ماترزؤن لا ماتزرؤن «قال ابن هشام» وحدثني بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم فرأى ابراهيم عليه السلام مصورا في يده الازلام يستقسم بها فقال قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالازلام ماشأن ابراهيم والازلام ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ثم امر بتلك

الطبري سنة هذه الصلاة وصفتها ومن سنتها أيضاً ان لا يجهر فيها بالقراءة والاصل ما تقدم من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أم هانىء وذلك ضحى وأم هانىء اسمها هند تكنى بابنها هانىء بن هبيرة ولها ابن من هبيرة اسمه يوسف وثالث وهو الاكبر اسمه جعدة وقيل اياه عنت في حديث مالك زعم ابن أمي علي انه قاتل رجلا أجرته فلان بن هبيرة وقد قيل في اسم أم هانىء فاختة

﴿ فصل ﴾ وذكر عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي يكنى أبا يحيي وكان كاتب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد ولحق بمكة ثم أسلم وحسن اسلامه وعرف فضله وجهاده وكان على ميمنة عمرو ابن العاصي حين افتتح مصر وهو الذي افتتح افريقية سنة سبع وعشرين وغزا الاساود من النوبة ثم هادنهم الهدنة الباقية الى اليوم فلما خالف محمد بن أبي حذيفة على عثمان رضي الله عنه اعتزل الفتنة ودعا الله عز وجل ان يقبضه و يجعل وفاته باثر صلاة الصبح فصلى بالناس الصبح وكان يسلم تسليمتين عن يمينه وعن شماله فلما سلم التسليمة الاولى عن يمينه وذهب ليسلم الاخرى قبضت نفسه وكانت وفاته بعسفان وهو الذي يقول في حصار عثمان

أرى الامر لا يزداد الا تفاقما * وأنصارنا بالمكتين قليل
وأسلمنا أهل المدينة والهوى * الى أهل مصر والذليل ذليل

وأما نميلة بن عبد الله الذي ذكره ابن اسحق فهو ليثي احد بني كعب بن عامر بن ليث صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد كثيرا من مشاهده وغزواته * وأما الحويرث بن نقيذ الذي أمر بقتله مع ابن خطل فهو الذي نخس بزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أدركها هو وهبار بن الاسود فسقطت عن دابتها وألقت جنينها * وأما القينتان اللتان أمر بقتلهما وهما سارة وفرتنى فاسلمت فرتنى وآمنت سارة وعاشت الى زمن عمر رحمه الله ثم وطئها فرس فقتلها

﴿ فصل ﴾ وذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها ذكر الديات وذكر قتيل الخطأ وذكر شبه العمد وتغليظ الدية فيه وهي أن يقتل القتيل بسوط أو عصا فيموت وهو مذهب أهل العراق ان لا قود في شبه العمد والمشهور عن الشافعي أن فيه الدية مغلظة اثلاثا وليس عند فقهاء الحجاز الا قود في عمد أودية في خطأ تؤخذ أخماساً على مافسر الفقهاء وهو قول الليث وكذلك قال أهل العراق ان القود لا يكون الا بالسيف واحتجوا بأثر يروى عن ابن مسعود مرفوعا أن لا قود الا بحديدة وعن علي مرفوعا أيضاً لا قود الا بالسيف ومن طريق أبي هريرة لا قود الا بحديدة وهو يدور على أبي معاذ سليمان بن أرقم وهو ضعيف باجماع وكذلك حديث ابن مسعود يدور على المعلى بن هلال وهو ضعيف متروك الحديث وكذلك

الصور كلها فطمست « قال ابن هشام » وحدثني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة ومعه بلال ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلف بلال فدخل عبد الله بن عمر على بلال فسأله اين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسأله كم صلى فكان ابن عمر اذا دخل البيت مشى قبل وجهه وجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار قدر ثلاث أذرع ثم يصلي يتوخى بذلك الموضع الذي قال له بلال « قال ابن هشام » وحدثني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحرث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه فقال الحرث بن هشام أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته فقال أبو سفيان لا أقول شيئاً لو تكلمت لاخبرت عني هذه الحصى فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد علمت الذي قلتم ثم ذكر ذلك لهم فقال الحرث وعتاب نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك * قال ابن اسحق حدثني سعيد بن أبي سندر الاسلمي عن رجل من قومه قال كان معنا رجل يقال له أحمر بأسا وكان رجلا شجاعا وكان اذا نام غط غطيطا منكرا لا يخفى مكانه فكان اذا بات في حيه بات معتنزا فاذا بيت الحي صرخوا يا أحمر فيثور مثل الاسد لا يقوم لسبيله شيء فأقبل غزي من هذيل يريدون حاضره حتى اذا دنوا من الحاضر قال ابن الاثوع الهذلي لا تعجلوا علي حتى أنظر فان كان في الحاضر أحمر فلا سبيل اليهم فان له غطيطا لا يخفى قال فاستمع فلما سمع غطيطه مشى اليه حتى وضع السيف في صدره ثم تحامل عليه حتى قتله ثم أغاروا على الحاضر فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم فلما كان عام الفتح وكان الغد من يوم الفتح أتى

ابن الاثوع الهذلي حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس وهو على شركه فرأته خزاعة فعرفوه فاحاطوا به وهو الى جنب جدار مكة يقولون أأنت قاتل أحمر قال نعم أنا قاتل أحمر فمه قال اذ أقبل خراش ابن أمية مشتملا على السيف فقال هكذا عن الرجل ووالله ما نظن الا انه يريد أن يفرج الناس عنه فلما تفرجنا عنه حمل عليه فطعنه بالسيف في بطنه فوالله لكأني أنظر اليه وحشوته تسيل من بطنه وان عينيه لترنقان في رأسه وهو يقول أقد فعلتموها يا معشر خزاعة حتى انجعف فوقع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل ان نفع لقد قتلتم قتيلا لادينه * قال ابن اسحق وحدثني عبد الرحمن بن حرملة الاسلمي عن سعيد بن المسيب قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خراش بن أمية قال ان خراشا لقتال يعيبه بذلك * قال ابن اسحق وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الخزاعي قال لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جئته فقلت له يا هذا انا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فقال يا أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام من حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجراً لم تحلل لاحد كان قبلي ولا تحل لاحد يكون بعدي ولم تحلل لي الا هذه الساعة غضبا على أهلها ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل فيها فقولوا ان الله قد أحلها لرسوله ولم يحللها لكم يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر القتل ان نفع لقد قتلتم قتيلا لادينه فمن قتل بعد مقامي هذا فاهله بخير النظرين ان شاؤا فدم قاتله وان شاؤا فعقله ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة فقال عمرو لابي شريح انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بحرمتها منك انها لا تمنع سافك دم ولا خالع طاعة ولا مانع خربة فقال أبو شريح اني كنت شاهدا وكنت غائبا وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ

حديث علي لا تقوم باسناده حجة وحجة الآخرين في ان القاتل يقتل بما قتل به قوله تعالى «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» وحديث اليهودي الذي رضخ رأس الجارية على أوضاح لها فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يرضخ رأسه بين حجرين *وأما دخوله عليه السلام الكعبة وصلاته فيها فحديث بلال أنه صلى فيها وحديث ابن عباس انه لم يصل فيها وأخذ الناس بحديث بلال لانه أثبت الصلاة وابن عباس نفى وانما يؤخذ بشهادة المثبت لا بشهادة النافي ومن تأول قول بلال انه صلى أي دعا فليس بشيء لان في حديث عمر انه صلى فيها ركعتين ولكن رواية ابن عباس ورواية بلال صحيحتان لانه عليه السلام دخلها يوم النحر فلم يصل ودخلها من الغد فصلى وذلك في حجة الوداع وهو حديث مروي عن ابن عمر باسناد حسن خرجه الدارقطني وهو من فوائده

﴿ فصل ﴾ وذكر كسر الاصنام وطمس التماثيل ومقالة الحارث بن هشام حين اجتمع هو وأبو سفيان وعتاب بن أسيد فتكلموا فاخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبره جبريل عليه السلام

شاهدنا غائبنا وقد أبلغتك فانت وشانك « قال ابن هشام » و بلغني ان أول قتيـل وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح جنيدب بن الاكوع قتلته بنو كعب فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة ناقة « قال ابن هشام » و بلغني عن يحيي بن سعيد أن النبي صـلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو الله وقد أحدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم أ ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه أرضه و بلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يارسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسـلم معاذ الله المحيا محيا كم والممات مماتكم « قال ابن هشام » وحدثني من أثق به من أهل الرواية فى اسـناد له عن ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب فى يده الى الاصنام و يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فما أشار الى صنم منها فى وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار الى قفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم الا وقع فقال تميم بن أسد الخزاعى فى ذلك

وفى الاصنام معتبر وعلم * لمن يرجو الثواب أو العقابا

« قال (٢٧٦) ابن هشام » وحدثني ان فضالة بن عمير بن الملوح الليثى أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم أفضالة قال نعم فضالة يارسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شيء كنت اذكر الله عز وجل قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده على صـدره فسكن قلبـه فكان فضالة يقـول والله ما رفع يده من صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب الى منه قال فضالة فرجعت الى أهـلى فمررت بامرأة كنت اتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعث فضالة يقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا * يابى عليك الله والاسلام
لو ما رأيت محمدا وقبيله * بالفتح يوم تكسر الاصـنام
لرأيت دين الله أضحى بينا * والشرك يغشى وجهه الاظلام

* قال ابن اسحق فحدثني محمد بن جعفر عن عروة بن الزبير قال خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب يا نبي الله ان صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه فى البحر فأمنه صلى الله عليك وسلم قال هو آمن قال يارسول الله فاعطنى آية يعرف بها أمانك فاعطاه رسول الله صـلى الله عليه وسلم عمامته التى دخل فيها مكة فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد ان يركب فى البحر فقال ياصفوان فداك ابى وأمى الله الله فى نفسك ان تهلكها فهذا امان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به قال ويحك اغرب عنى فلا تكلمنى قال أى صفوان فداك ابى وأمى أفضل الناس وأبر الناس واحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال انى أخافه على نفسى قال هو احلم من ذاك واكرم فرجع معه حتى وقف به على رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقال صـفوان ان هذا يزعم انك قد امنتنى قال صدق قال فاجعلنى فيه بالخيار شهرين قال انت بالخيار فيه أربعة اشهر « قال ابن هشام » وحدثنى رجل من قريش من اهل العلم ان صفوان قال لعمير ويحك اغرب عنى فلا تكلمنى فانك كذاب لما كان صنع به وقد ذكرناه فى آخر حـديث يوم بدر

بالذى قالوه فصح بذلك يقينهم وحسن اسلامهم وفى الترمذى عن عبد الله بن عمر قال لعن النبي صلى الله عليه وسلم الحارث وأباسفيان بن حرب وصفوان بن أمية فنزل الله تعالى « ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم » الآية قال فتابوا بعد وحسن اسلامهم ورويناباسناد متصل عن عبد الله بن أبى بكر قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم على أبى سفيان وهو فى المسـجد فلما نظر اليه أبو سفيان قال فى نفسه ليت شعرى باى شيء غلبتنى فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم حتى ضرب بيده بين كتفيه وقال بالله غلبتك يا أباسفيان فقال أبو سفيان أشهد انك رسول الله من مسـند الحارث بن أبى أسامة وروى الزبير باسناد يرفعه الى من سمع النبي صلى الله عليه وسـلم يمازح أباسفيان فى بيت أم حبيبة وأبو سفيان يقول له تركتك فتركتك العرب ولم تنتطح بعدها جماء ولا قرناء والنبي صلى الله عليه وسـلم يضحك و يقول أنت تقول هذا يا أبا حنظلة وقال مجاهد فى قوله جل وعز « عسى الله أن يجعـل بينكم و بين الذين عاديتم منهم مودة » قال هى مصاهرة النبي صـلى الله عليه وسـلم لابى سفيان وقال أهـل التفسير رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام أسـيد بن أبى العيص واليا على مكة مسـلما فمات على الـكفر فـكانت الرؤيا لولده عتاب حـين أسـلم فولاه رسول الله صـلى الله عليه وسلم مكة وهو ابن احـدى وعشرين سـنة ورزقه كل يوم درهمـا فقال أيها الناس أجاع الله كبد من جاع عـلى درهم الحـديث وقال عنـد موته والله ما اكتسبت فى ولايتى كلها الا قميصا معقدا كسوته غلامى كيسان وكان قد قال قبـل أن يسلم وسمع بلالا يؤذن على الـكعبة لقد أكرم الله أسيدا يعنى أباه أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه وكانت تحت عتاب جويرية بنت أبى جهل بن هشام وهى التى خطبها على على فاطمة فشق ذلك على فاطمة فقال النبي صـلى الله عليه وسـلم لا آذن ثم لا آذن ان فاطمة بضعة منى الحـديث فقال عتاب أنا أريحكم منها فتزوجها فولدت له عبد الرحمن المقتول

يوم الجمل يروي أن عتابا طارت بكفه يوم قتل وفي الكف خاتمه فطرحتها باليمامة في ذلك اليوم فعرفت بالخاتم وكانت لأبي جهل بنت أخرى يقال لها الحنفاء كانت تحت سهيل بن عمرو يقال انها ولدت له ابنه أنسا الذي كان يضعف وفيه جرى المثل أساء سمعا فأساء اجابة ويقال انه نظر يوما الى رجل على ناقة يتبعها خروف فقال يا أبة أذاك الخروف من تلك الناقة فقال أبوه صدقت هند بنت عتبة وكانت حين خطبها قالت ان جاءت منه حليلته بولد أحمقت وان أنجبت فمن خطأ ما أنجبت وقد قيل في بنت أبي جهل الحنفاء ان اسمها صفية فالله أعلم وقال الحارث بن هشام وقد قيل له ألا ترى ما يصنع محمد من كسر الآلهة ونداء هذا العبد الاسود على الكعبة فقال ان كان الله يكره هذا فسيغيره ثم حسن اسلامه رضي الله عنه بعد وهاجر الى الشام فلم يزل جاهد مجاهدا حتى استشهد هنالك رحمه الله وأما بنت أبي جهل فقالت حين سمعت الاذان على الكعبة فلما قال المؤذن أشهد أن محمدا رسول الله قالت عمري لقد أكرمك الله ورفع ذكرك فلما سمعت حي على الصلاة قالت أما الصلاة فسنؤديها ولكن والله ما نحب قلو بنا من قتل الاحبة ثم قالت ان هذا الامر لحق وقد كان الملك جاءبه أبي ولكن كره مخالفة قومه ودين آبائه * وأما أبو محذورة الجمحي واسمه سلمة بن معير وقيل سمرة فانه لما سمع الاذان وهو مع فتية من قريش خارج مكة أقبلوا يستهزؤن و يحكون صوت المؤذن غيظا فكان أبو محذورة من أحسنهم صوتا فرفع صوته مستهزئا بالاذان فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن انه مقتول فمسح النبي صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده قال فامتلأ قلبي والله إيمانا ويقينا وعلمت انه رسول الله فألقى عليه النبي صلى الله عليه وسلم الاذان وعلمه اياه وأمره ان يؤذن لاهل مكة وهو ابن ست عشرة سنة فكان مؤذنهم حتى مات ثم عقبه بعده يتوارثون الاذان كابرا عن كابر وفي أبي محذورة يقول الشاعر

أما ورب الكعبة المستوره * وما تلا محمد من سوره

والنغمات من أبي محذوره * لافعلن فعلة مذكوره

وأما هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان فان من حديثها يوم الفتح انها بايعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الصفا وعمر دونه بأعلى العقبة فجاءت في نسوة من قريش يبايعن على الاسلام وعمر يكلمهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أخذ عليهن أن لا يشركن بالله شيأ قالت هند قد علمت انه لو كان مع الله غيره لاغنى عنا فلما قال ولا يسرقن قالت وهل تسرق الحرة لكن يارسول الله أبو سفيان رجل مسيك ربما أخذت من ماله بغير علمه ما يصلح ولده فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف ثم قال انك لانت هند قالت نعم يارسول الله اعف عني عفا الله عنك وكان أبو سفيان حاضرا فقال أنت في حل مما أخذت فلما قال ولا يزنين قالت وهل تزني الحرة يارسول الله فلما قال ولا يعصينك في معروف قالت بابي أنت وأمي ما أكرمك وأحسن ما دعوت اليه فلما سمعت ولا يقتلن أولادهن قالت والله قد ربيناهم صغارا حتى قتلتهم أنت وأصحابك ببدر كبارا قال فضحك عمر من قولها حتى مال

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث أبي شريح الخزاعي واسمه خويلد بن عمرو وقيل عمرو بن خويلد وقيل كعب ابن عمرو وقيل هانيء بن عمرو قال لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير بمكة هذا وهم من ابن هشام وصوابه عمرو بن سعيد بن العاصي بن أمية وهو الاشدق ويكنى أبا أمية وهو الذي كان يسمى لطيم الشيطان وكان جبارا شديد البأس حتى خافه عبد الملك على مكة فقتله بحيلة في خبر طويل ورأى رجل عند موته في المنام قائلا يقول

ألا بالقومى للسفاهة والوهن * وللعاجز الموهون والرأى ذى الأفن
ولابن سعيد بيناهو قائم * على قدميه خر للوجه والبطن
رأى الحصن منجاة من الموت * فالتجا اليه فزارته المنية فى الحصن

فقص رؤياه على عبد الملك فامره أن يكتمها حتى كان من قتله ما كان وهو الذى خطب بالمدينة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرعف حتى سال الدم الى أسفله فعرف بذلك معنى حديثه عليه السلام الذى يروى عنه كانى بجبار من بنى أمية يرعف على منبرى هذا حتى يسيل الدم الى أسفله أو كما قال صلى الله عليه وسلم فعرف الحديث فيه فالصواب اذا عمرو بن سعيد لا عمرو بن الزبير وكذلك رواه يونس بن بكير عن ابن اسحق وهكذا وقع فى الصحيحين ذكر هذا التنبيه على ابن هشام أبو عمر رحمه الله فى كتاب الاجوبة عن المسائل المستغربة وهى مسائل من كتاب الجامع للبخارى تكلم عليها فى ذلك الكتاب وانما دخل الوهم على ابن هشام او على البكائى فى روايته من أجل ان عمرو بن الزبير كان معاديا لاخيه عبد الله ومعينا لبنى أمية عليه فى تلك الفتنة والله أعلم

﴿فصل﴾ وذكر أم حكيم بنت الحارث وكانت تحت عكرمة بن أبى جهل وانها اتبعته حين فر من الاسلام فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد عكرمة بالشام فخطبها يزيد بن ابى سفيان وخالد بن سعيد فخطت الى خالد فتزوجها فلما اراد البناء بها وجموع الروم قد احتشدت قالت له لو أمهلت حتى يفض الله جمعهم قال ان نفسى تحدثنى انى اصاب فى جموعهم فقالت دونك فابتنى بها فلما أصبح التقت الجموع وأخذت السيوف من كل فريق مأخذها فقتل خالد وقاتلت يومئذ ام حكيم وان عليها الردع الخلوق وقتلت سبعة من الروم بعمود الفسطاط بقنطرة تسمى الى اليوم بقنطرة أم حكيم وذلك فى غزوة أجنادين * وذكر فى خطبة النبى صلى الله عليه وسلم الا كل مأثرة او دم او مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين وفى بعض روايات الحديث وأول دم اضعه دم ربيعة بن الحارث كان لربيعة ابن قتل فى الجاهلية اسمه آدم وقيل تمام وهو ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب مات فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة ثلاث وعشرين

﴿فصل﴾ وذكر فى حديث ابن شريح قوله عليه السلام فمن قتل بعد مقامى هذا فاهله بخير النظرين ان شاءوا فدم قاتله وان شاؤا فعقله وهو حديث صحيح وان اختلفت فيه ألفاظ الرواة وظاهره على هذه الرواية ان ولى الدم هو المخير ان شاء اخذ الدية وهو العقل وان شاء قتل وقد اختلف الفقهاء فى فصل من هذه المسئلة وهو ان يختار ولى المقتول اخذ الدية ويابى القاتل الا ان يقتص منه فقالت طائفة بظاهر الحديث والاختيار للقاتل وقالت طائفة يقتل القاتل ولا يجبر على اعطاء المال وتأولوا الحديث وهى رواية ابن القاسم وقال بها طائفة من السلف وقال آخرون بظاهر الحديث وهو قول الشافعى واشهب ومنشأ الاختلاف من الاحتمال فى قوله تعالى «فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف» فاحتملت الآية عند قوم ان تكون من واقعة على ولى المقتول ومن أخيه أى من وليه المقتول أى من ديته وعفى له أى يسر له شئ من المال واحتمل أن تكون من واقعة على القاتل وعفى من العفو عن الدم ولا خلاف ان المتبع بالمعروف هو ولى الدم وان المامور باداء باحسان هو القاتل واذا تدبرت الآية عرفت منشأ الخلاف منها ولاح من سياقة الكلام أى القولين أولى بالصواب وأما ما ذكرت من اختلاف ألفاظ النقلة فى الحديث فيحصرها سبعة ألفاظ
* أحدها اما ان يقتل واما ان يفادى * والثانى اما أن يعقل أو يقاد * الثالث اما ان يفدى واما ان يقتل
* الرابع اما أن تعطى الدية أو يقاد أهل القتيل * الخامس اما ان يعفو أو يقتل * السادس يقتل أو يفادى

* قال ابن اسحق وحدثنى الزهرى ان أم حكيم بنت الحرث بن هشام وفاختة بنت الوليد وكانت فاختة عند صفوان بن امية وام حكيم عند عكرمة بن ابى جهل أسلمتا فاما ام حكيم فاستأمنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لعكرمة فامنه فلحقت به باليمن فجاءت به فلما اسلم عكرمة وصفوان أقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النكاح الاول

* قال ابن اسحق وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال رمى حسان ابن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد ما زاده عليه

لا تعدمن رجلا احلك بغضه * نجران في عيش أحد لئيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم فقال حين أسلم

يارسول المليك ان لساني * راتق ما فتقت اذ أنا بور
اذ أبارى الشيطان في سنن الـ * ـغي ومن مال ميله مثبور
آمن اللحم والعظام لربي * ثم قلبي الشهيد انت النذير
انني عنك زاجر ثم حيا * من لؤى وكلهم مغرور

• قال ابن اسحق وقال عبد الله بن الزبعرى أيضا حين أسلم رضي الله عنه

منع الرقاد بلابل وهموم * والليل معتلج الرواق بهيم
مما أتاني ان احمد لامني * فيه فبت كانني محموم
ياخير من حملت على أوصالها * عيرانة سرح اليدين غشوم
اني لمعتذر اليك من الذي * اسديت اذ أنا في الضلال اهيم
أيام تامرني باغوى خطة * سهم وتامرني بها مخزوم
وامد اسباب الردى ويعودني * أمر الغواة وامرهم مشؤم
فاليوم آمن بالنبي محمد * قلبي ومخطىء هذه محروم
مضت العداوة وانقضت اسبابها * ودعت أواصر بيننا وحلوم

فاغفر فدى لك والدي كلاهما * زللي فانك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة * نورا غر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه * شرفا وبرهان الاله عظيم
ولقد شهدت بان دينك صادق * حق وانك في العباد جسيم
والله يشهد ان أحمد مصطفى * مستقبل في الصالحين كريم
قرم علا بنيانه من هاشم * فرع تمكن في الذرا وأروم

« قال ابن هشام » وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له • قال ابن اسحق وأما هبيرة بن ابي وهب المخزومي فاقام بها حتى مات كافرا وكانت عنده أم هانىء ابنة ابي طالب واسمها هند وقد قال حين بلغه اسلام ام هانىء

أشاقتك هند ام أتاك سؤالها * كذاك النوى أسبابها وانفتالها
وقد أرقت في رأس حصن ممنع * بنجران يسرى بعد ليل خيالها
وعاذلة هبت بليل تلومني * وتعذلني بالليل ضل ضلالها
وتزعم اني ان اطعت عشيرتي * سأردى وهل يردين الا زيالها
فاني لمن قوم اذا جد جدهم * على أي حال أصبح اليوم حالها
واني لحام من وراء عشيرتي * اذا كان من تحت العوالي مجالها
وصارت بايديها السيوف كانها * مخاريق ولدن ومنها ظلالها
واني لاقلي الحاسدين وفعلهم * على الله رزقي نفسها وعيالها
وان كلام المرء في غير كنهه * لكا لنبل تهوى ليس فيها نصالها
فان كنت قد تابعت دين محمد * وعطفت الارحام منك حبالها
فكوني على اعلى سحيق بهضبة * ململمة غبراء يبس بلالها

قال ابن اسحق ويروى وقطعت الارحام منك حبالها * قال ابن اسحق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بني سليم سبعمائة ويقول بعضهم ألف ومن بني غفار أربعمائة ومن أسلم أربعمائة ومن مزينة ألف وثلاثة نفر وسائرهم من قريش والانصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد

* السابع من قتل متعمدا دفع الى أولياء المقتول فان شاؤا اقتلوا وان شاؤا أخذوا الدية خرجه الترمذي ورواية ابن اسحق في السيرة ثامنة وفي بعض هذه الروايات قوة لرواية ابن القاسم وفي بعضها قوة لرواية أشهب فتاملها وخطبته عليه السلام أطول مما ذكره ابن هشام وفيها من رواية الشيباني عن ابن اسحق نهيه عن صيام يومين وصلاة ساعتين يعني طلوع الشمس وغروبها وان لا يتوارث أهل ملتين وعن لبستين وطعمتين وفسرتا في الحديث فقال اللبستان اشتمال الصماء وان يحتبي الرجل وليس بين عورته والسماء حجاب والطعمتان الاكل بالشمال وان ياكل منبطحا على بطنه

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر ابن الزبعرى والزبعرى البعير الازب مع قصر وفيه * راتق ما فتقت اذ انا بور * قوله فتقت يعني في الدين فكل اثم فتق وتمزيق وكل توبة رتق ومن اجل ذلك قيل للتوبة نصوح من نصحت الثوب اذا خطته والنصاح الخيط ويشهد لصحة هذا المعنى قول ابراهيم بن أدهم

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وقوله اذ أنا بور أي هالك يقال رجل بور وبائر وقوم بور وهو جمع بائر كان الاصل فيه فعل بتحريك الواو وأما رجل بور فوزنه فعل بالسكون لانه وصف بالمصدر ومنه قيل أرض بور من البوار وهو هلاك المرعى ويبسه * وقول ابن الزبعرى * والليل معتلج الرواق بهيم * الاعتلاج شدة وقوة وقد تقدم شرحها والبهيم الذي ليس فيه لون يخالط لونه * وقوله سرح اليدين غشوم الغشوم التي لا ترد عن وجهها ويروى سعوم وهي القوية على السير

﴿فصل﴾ وذكر شعر حسان يوم الفتح وأوله * عفت ذات الاصابع فالجواء * ذات الاصابع موضع بالشام والجواء كذلك وبالجواء كان منزل الحارث بن أبي شمر وكان حسان كثيرا ما يرد على ملوك غسان بالشام يمدحهم فلذلك يذكر هذه المنازل * وقوله الى عذراء هي قرية عند دمشق فيها قتل حجر بن عدى وأصحابه * وقوله نعم وشاء النعم الابل فاذا قيل أنعام دخل فيها الغنم والبقر والابل والشاء والشوى اسم للجميع كالضان والضئين والابل والابيل والمعز والمعيز وأما الشاة فليست من لفظ الشاء لان لام الفعل منها هاء وبنو الحسحاس حي من بني أسد * وقوله الروامس والسماء يعني الرياح والمطر والسماء لفظ مشترك يقع على المطر وعلى السماء التي هي السقف ولم يعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله

اذا سقط السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

لانه يحتمل ان يريد مطر السماء فحذف المضاف ولكن انما عرفناه من قولهم في جمعه سمي وهم يقولون في جمع السماء سموات واسمية فعلمنا انه اسم مشترك بين شيئين * وقوله ولكن من لطيف الطيف مصدر طاف الخيال يطيف طيفا ولكن لا يقال للخيال هو طائف على وزن اسم الفاعل من طاف لانه لا حقيقة للخيال فيرجع الامر الى انه هو الطيف وهو توهم وتخيل فان كان شيء له حقيقة قلت فيه طائف وفي مصدره طيف كما في التنزيل «طائف من الشيطان» وقد قرئ أيضا طيف من الشيطان لان غرور الشيطان وأمانيه تشبه بالخيال وما لا حقيقة له وأما قوله «فطاف عليها طائف من ربك» فليس فيه الا اسم الفاعل دون المصدر لان الذي طاف عليها له حقيقة وهو فاعل معروف بالعمل يقال انه جبريل عليه السلام فتحصل من هذا ثلاث مراتب الخيال ولا حقيقة له فلا يعبر عنه الا بالطيف وحديث الشيطان ووسوسته يقال فيه طائف وطيف وكل طائف سوى هذين فهو اسم فاعل لا يعبر عنه بطيف ولا بطواف فقف على هذه النكتة فيه * وقوله يؤرقني اذا ذهب العشاء أي يسهرني فيقال كيف يسهره الطيف والطيف حلم في المنام (فالجواب) ان الذي يؤرقه لوعة يجدها عند زواله كما قال الطائي

ظبي تقنصته لما نصبت له * من آخر الليل أشراكا من الحلم
ثم انثنى وبنا من ذكره سقم * باق وان كان معسولا من السقم

وقد أحسن في قوله من آخر الليل تنبيها على انه سهر ليله كله الا ساعة جاء الخيال من آخره فكأنه مسترق من قول حسان * وخيال اذا تقوم النجوم * ونظير قوله يؤرقني أي يؤرقني بزواله على قول البحتري

ألمت بنا بعد الهدو فسامحت * بوصل متى تطلبه في الجد تمنع
وولت كأن البين يخلج شخصها * أوان تولت من حشاى وأضلع

وقوله لشعثاء التي قد تيمته شعثاء التي يشبب بها حسان هي بنت سلام بن مشكم اليهودي وروى انه قال يامعشر يهود قد علمتم أن محمدا نبي ولولا ان تعير بها شعثاء ابنتي لتبعته وقد كان تحت حسان أيضا امرأة اسمها شعثاء بنت كاهن الاسلمية ولدت له أم فراس * وقوله كأن خبيئة من بيت رأس الى آخره خبر كان في هذا البيت محذوف تقديره كان في فيها خبيئة ومثل هذا المحذوف في النكرات حسن كقوله * ان محلا وان مرتحلا * أي ان لنا محلا وكقول الآخر * ولكن زنجيا طويلا مشافره * وفي صحيح البخاري في صفة الدجال أعور كأن عنبة طافية أي كأن في عينه وزعم بعضهم ان بعد هذا البيت بيتا فيه الخبر وهو

على أنيابها أو طعم غض * من التفاح هصره اجتناء

وهذا البيت موضوع لا يشبه شعر حسان ولا لفظه * وقوله فوليها الملامة ان ألمنا أي ان أتينا ما نلام عليه

وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت الانصاري

عفت ذات الاصابع فالجواء
الى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر
تعفيها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس *
خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لطيف
يؤرقني اذا ذهب العشاء
لشعثاء التي قد تيمته *
فليس لقلبه منها شفاء
كأن خبيئة من بيت رأس *
يكون مزاجها عسل وماء
اذا ما الاشربات ذكرن يوما
فهن لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة ان ألمنا *
اذا ما كان مغث أو لحاء

صرفنا

ونشربها فتتركنا ملوكا * وأسدا ماينهنهنا اللقاء
عدمنا خيلنا ان لم تروها * تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الاعنة مصغيات * على أكتافها الاسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات * يلطمهن بالخمر النساء
فاما تعرضوا عنا اعتمرنا * وكان الفتح وانكشف الغطاء
والا فاصبروا لجلاد يوم * يعز الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق ان نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه * فقلتم لانقوم ولا نشاء
وقال الله قد سيرت جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء
لنا فى كل يوم من معد * سباب أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافى من هجانا * ونضرب حين تختلط الدماء
ألا أبلغ أباسفيان عنى * مغلغلة فقد برح الخفاء
بان سيوفنا تركتك عبدا * وعبدالدار سادتها الاماء
هجوت محمدا وأجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركا براحنيفا * أمين الله شيمته الوفاء
أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء
فان أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء
لسانى صارم لاعيب فيه * وبحرى لاتكدره الدلاء

«قال ابن هشام» قالها حسان يوم الفتح ويروى لسانى لاعتب فيه وبلغنى عن الزهرى أنه قال لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه * قال ابن اسحق وقال أنس بن زنيم الديلى يعتذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعى

أأنت الذى تهدى معد بامره * بل الله يهديهم وقال لك اشهد
وما حملت من ناقة فوق رحلها * أبر وأوفى ذمة من محمد
أحث على خير وأسبغ نائلا * اذا راح كالسيف الصقيل المهند
وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله * وأعطى لرأس السابق المتجرد
تعلم رسول الله أنك مدركى * وأن وعيدا منك كالاخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادر * على كل صرم متهمين ومنجد

صرفنا اللوم الى الخمر واعتذرنا بالسكر والمقت الضرب باليد واللحاء الملاحاة باللسان ويروى أن حسانا مر بفتية يشربون الخمر فى الاسلام فنهاهم فقالوا والله لقد أردنا تركها فيزينها لنا قولك * ونشربها فتتركنا ملوكا * فقال والله لقد قلتها فى الجاهلية وماشربتها منذ أسلمت وكذلك قيل ان بعض هذه القصيدة قالها فى الجاهلية وقال آخرها فى الاسلام * وفيها يقول لابى سفيان فشركما لخيركما الفداء وفى ظاهر اللفظ بشاعة لان المعروف ان لا يقال هو شرهما الا وفى كليهما شر وكذلك شرمنك ولكن سيبويه قال فى كتابه تقول مررت برجل شر منك اذا نقص عن ان يكون مثله وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الاول ونحو منه قوله عليه السلام شر صفوف الرجال آخرها يريد نقصان حظهم عن حظ الاول كما قال سيبويه ولا يجوز ان يريد التفضيل فى الشر والله أعلم * وفيها قوله فى صفة الخيل يلطمهن بالخمر النساء قال ابن دريد فى الجمهرة كان الخليل رحمه الله يروى بيت حسان يطلمهن بالخمر وينكر يلطمهن ويجعله بمعنى ينفض النساء بخمرهن ماعليهن من غبار أو نحو ذلك واتبع بذلك ابن دريد قوله الطلم ضربك خبزة الملة بيدك لتنفض ماعليها من الرماد والطلمة الخبزة ومنه حديث أبى هريرة مررنا بقوم بالجون طلمة لهم فنفرناهم عنها فاقتسمناها فاصابنى منها كسرة وكنت أسمع فى بلدى انه من أكل الخبز سمن فجعلت أنظر فى عطفى هل ظهر فى السمن بعد ومما جاء فى الحديث من هذا المعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم رؤى يمسح وجه فرسه بردائه فقال عوتبت الليلة فى الخيل * وفيها * ونحكم بالقوافى من هجانا * نحكم أى نردو نقرع وهو من حكمة الدابة وهو لجامها ويكون المعنى أيضا نحكمهم ونحرسهم فتكون قوافينا لهم كالحكمات للدواب قال زهير * قد أحكمت حكمات القد والابقا * وفى هذه القصيدة موعدها كداء وفى رواية الشيبانى يسيل بها كدى أو كداء * وقد ذكرنا كديا وكداء وذكرنا معهما كدى وزاد الشيبانى فى روايته أبياتا فى هذه القصيدة وهى

وهاجت دون قتل بنى لؤى * جذيمة ان قتلهم شفاء
وحلف الحارث بن أبى ضرار * وحلف قريظة فينا سواء
أولئك معشر ألبوا علينا * ففى أظفارنا منهم دماء
ستبصر كيف تفعل بابن حرب * بهؤلاك الذين هم الرداء

﴿فصل﴾ وذكر شعر أنس بن سليم الديلى وفيه * وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله * الخال من برود اليمن وهو من رفيع الثياب وأحسبه سمى بالخال الذى بمعنى الخيلاء كما قال زيد بن عمرو بن نفيل * البر أبغى لا الخال * وفيه تعلم رسول الله انك مدركى * وان وعيدا منك كالاخذ باليد

تعلم ان الركب ركب عويمر * هم الكاذبون المخلفو كل موعد
ونبوا رسول الله أني هجوته * فلا حملت سوطى الى اذن يدى
سوى أنى قد قلت ويل ام فتية * أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعد
أصابهم من لم يكن لدمائهم * كفاء فعزت عبرتى وتبلدى
فانك قد أخفرت ان كنت ساعيا * بعبد بن عبد الله وابنة مهود
ذؤيب وكلثوم وسلمى تتابعوا * جميعا فان لا تدمع العين أكمد
وسلمى وسلمى ليس حى كمثله * واخوته وهل ملوك كاعبد

فانى لا ذنبا فتقت ولا دما * هرقت تبين عالم الحق واقصد

فاجابه بديل بن عبد مناف ابن أم اصرم فقال

بكى أنس رزنا فأعول بالبكا * فالا عديا اذ تطل وتبعد
بكيت أبا عبس لقرب دمائها * فتعذر اذ لا يوقد الحرب موقد
أصابهم يوم الخنادم فتية * كرام فسل منهم نفيل ومعبد
هنالك ان تسفح دموعك لا تلم * عليهم وان لم تدمع العين فاكمدوا

«قال ابن هشام» وهذه الابيات فى قصيدة له * قال ابن اسحق وقال بجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح

نفى أهل الحبلق كل فج * مزينة غدوة وبنو خفاف
ضربناهم بمكة فى فتح النـ * ـبى الخير بالبيض الخفاف
صبحناهم بسبع من سليم * وألف من بنى عثمان واف
نطأ أكتافهم ضربا وطعنا * ورشقا بالمريشة اللطاف
ترى بين الصفوف لها حفيفا * كما انصاع الفواق من الرصاف

فقبه

فرحنا والجياد تجول فيهم * بأرماح مقومة الثقاف
فأبنا غانمين بما اشتهينا * وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منا * مواثقنا على حسن التصافى
وقد سمعوا مقالتنا فهموا * غداة الروع منا بانصراف

«قال ابن هشام» وقال عباس بن مرداس السلمى فى فتح مكة

منا بمكة يوم فتح محمد * ألف تسيل به البطاح مسوم
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه * وشعارهم يوم اللقاء مقدم
فى منزل ثبتت به أقدامهم * ضنك كأن الهام فيه الحنتم

وهذا البيت سقط من رواية أبى جعفر بن الورد كذا ألفيته فى حاشية كتاب الشيخ رحمه الله ومعناه من أحسن المعانى ينظر الى قول النابغة

فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت ان المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن فى حبال متينة * تمد بها أيد اليك نوازع

فالقسم الاول كالبيت الاول من قول النابغة والقسم الثانى كالبيت الثانى لكنه أطبع منه وأوجز وقول النابغة كالليل فيه من حسن التشبيه ما ليس فى قول الديلى الا انه يسمج مثل هذا التشبيه فى النبى صلى الله عليه وسلم لانه نور وهدى فلا يشبه بالليل وانما حسن فى قول النابغة ان يقول كالليل ولم يقل كالصبح لان الليل ترهب غوائله ويحذر من ادراكه ما لا يحذر من النهار وقد أخذ بعض الاندلسيين هذا المعنى فقال فى هربه من ابن عباد

كأن بلاد الله وهى عريضة * تشد بأقصاها على الانامل
فأين مفر المرء عنك بنفسه * اذا كان يطوى فى يديك المراحل

وهذا كله معنى منتزع من القدماء روى الطبرى ان منوشهر بن ايرج بن افريدون بن اثفيان وهو الذى بعث موسى عليه السلام فى زمانه أعنى زمان منوشهر قال حين عقد التاج على رأسه فى خطبة له طويلة أيها الناس ان الخلق للخالق وان الشكر للمنعم وان التسليم للقادر وانه لا أضعف من مخلوق طالبا أو مطلوبا ولا أقوى من طالب طلبته فى يده ولا أعجز من مطلوب هو فى يد طالبه * وأنشد لبجير بن زهير

نفى أهل الحبلق كل فج * مزينة غدوة وبنو خفاف

الحبلق أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس والحبلق الغنم الصغار ولعله أراد بقوله أهل الحبلق أصحاب الغنم وبنو عثمان هم مزينة وهم بنو عثمان بن لاطم بن اد بن طابخة ومزينة أمهم بنت كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة وأختها الحوأب التى عرف بها ماء الحوأب المذكور فى حديث عائشة وأصل الحوأب فى اللغة القدح الضخم الواسع وبنو خفاف بطن من سليم * وقوله

ضربناهم بمكة يوم فتح النـ * ـبى الخير بالبيض الخفاف

فى البيت مداخلة وهو انتهاء القسم الاول فى بعض كلمة من القسم الثانى وهو عيب عندهم الا فى الخفيف والهزج ومعنى الخير أى ذو الخير ويجوز ان يريد الخير مخفف كما يقال هين وهين وفى التنزيل «خيرات حسان» * وقوله كما انصاع الفواق من الرصاف أى ذهب والرصاف عصبة تلوى على فوق السهم واراد بالفواق الفوق وهو غريب * وذكر صاحب العين فى الفواق صوت الصدر وهو بالهمز فى قول ابن الاعرابى لانه من ذوات الواو

﴿فصل﴾ وذكر عباس بن مرداس ويكنى أبا الفضل وقيل أبا الهيثم ومن ذريته عبد الملك بن حبيب

جرت سنابكها بنجد قبلها * حتى استقادلها الحجاز الادهم الله مكنه له وأذله * حكم السيوف لنا وجد مزحم
عود الرياسة شامخ عرنينه * متطلع ثغر المكارم خضرم

﴿ اسلام عباس بن مرداس ﴾

« قال ابن هشام » وكان اسلام عباس بن مرداس فيما حدثني بعض أهل العلم بالشعر وحديثه أنه كان لابيه مرداس وثن يعبده وهو حجر كان يقال له ضمار فلما حضر مرداس قال لعباس أي بني أعبد ضمار فانه ينفعك و يضرك فبينا عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول
قل للقبائل من سليم كلها * أودى ضمار وعاش أهل المسجد ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدى
أودى ضمار وكان يعبد مدة قبل الكتاب الى النبي محمد
فحرق عباس ضمار ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فاسلم « قال ابن هشام » وقال جعدة بن عبد الله الخزاعي يوم فتح مكة
أكعب بن عمرو دعوة غير باطل لحين له يوم الحديد متاح
اتيحت له من أرضه وسمائه لتقتله ليلى بغير سلاح
ونحن الالى سدت غزال خيولنا ولفت سددناه وفج طلاح
خطرنا وراء المسلمين بجحفل ذوى عضد من خيلنا ورماح
وهذه الابيات في أبيات له وقال بجيد بن عمران الخزاعي
وقد أنشا الله السحاب بنصرنا ركام سحاب الهيدم المتراكب

فقيه الاندلس ونسبه عباس بن مرداس بن أبي عامر بن جارية بن عبد بن عباس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة ابن سليم السلمي كان أبوه حاجبا لحرب بن أمية وقتلتهما الجن في خبر مشهور وعباس ممن حرم على نفسه الخمر في الجاهلية وحرمها أيضا على نفسه قبل الاسلام أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وقيس بن عاصم وقبل هؤلاء حرمها على نفسه عبد المطلب بن هاشم وورقة بن نوفل وعبد الله بن جدعان وشيبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة ومن قدماء الجاهلية عامر بن الظرب العدواني * وذكر في سبب اسلام عباس ما سمع من جوف الصنم الذي كان يعبده وهو ضمار بكسر الراء وهو مثل حذام ورقاش ولا يكون مثل هذا البناء الا في أسماء المؤنث وكانوا يجعلون آلهتهم اناثا كاللات والعزى ومناة لاعتقادهم الخبيث في الملائكة انها بنات وفي ضمار لغة اهل الحجاز وبني تميم البناء على الكسر لا غير من أجل ان آخره راء ومالم يكن في آخره راء كحذام ورقاش فهو مبني في لغة أهل الحجاز ومعرب غير مجرى في لغة غيرهم كذلك قال سيبويه * وذكر ابن أبي الدنيا في سبب اسلام عباس حديثا أسنده عن رجاله عن الزهري عن عبد الرحمن بن أنس السلماني عن عباس بن مرداس انه كان في لقاح له نصف النهار فاطلعت عليه نعامة بيضاء عليها راكب عليه ثياب بياض فقال لي ياعباس ألم تران السماء كفت أحراسها وان الحرب جرعت أنفاسها وان الخيل وضعت أحلاسها وان الذي نزل عليه البر والتقى يوم الاثنين ليلة الثلاثاء صاحب الناقة القصواء قال فخرجت مرعوبا قد راعني ما رأيت وسعيت حتى جئت وثنا لي يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست ما حوله ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح من جوفه

قل للقبائل من قريش كلها * هلك الضمار وفاز أهل المسجد
هلك الضمار وكان يعبد مدة * قبل الصلاة على النبي محمد
ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدى

قال فخرجت مذعورا حتى جئت قومي فقصصت عليهم القصة وأخبرتهم الخبر فخرجت في ثلاثمائة من قومي من بني جارية الى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فدخلنا المسجد فلما رآني النبي صلى الله عليه وسلم تبسم وقال الي ياعباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة فقال صدقت فاسلمت أنا وقومي

﴿ فصل ﴾ وذكر في شعر جعدة الخزاعي غزال وهو اسم طريق غير مصروف وقال كثير في قصيدته المشهورة يذكر غزال

أناديك ما حج الحجيج وكبرت * بفيفا غزال رفقة وأهلت

وكذلك لفت اسم موضع وفي لفت يقول معقل بن خويلد

وهجر تنافي أرضنا عند نابها * كتاب أتى من خير مملى وكاتب ومن أجلنا حلت بمكة حرمة * لندرك ثارا بالسيوف القواضب
* قال ابن اسحق وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حول مكة السرايا يدعوالى الله عز وجل ولم يأمرهم بقتال وكان ممن بعث خالد بن الوليد وأمره أن يسير باسفل تهامة داعيا ولم يبعثه مقاتلا فوطىء بني جذيمة فاصاب منهم « قال ابن هشام » وقال عباس بن مرداس السلمي في ذلك قان تك قد أمرت في القوم خالدا * وقدمته فانه قد تقدما بجند هداه الله أنت أميره * يصيب به في الحق من كان أظلما
« قال ابن هشام » وهذان البيتان في قصيدة له في حديث يوم حنين ساذكرها ان شاء الله في موضعها

﴿ مسير خالد بن الوليد بعد الفتح الى بنى جذيمة من كنانة ومسير على رضوان الله عليه لتلافى خطأ خالد ﴾

* قال ابن اسحق فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبى جعفر محمد بن على قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ولم يبعثه مقاتلا ومعه قبائل من العرب سليم بن منصور ومدلج بن مرة فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة فلما رآه القوم أخذوا السلاح فقال خالد ضعوا السلاح فان الناس قد اسلموا * قال ابن اسحق فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة قال لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم ويلكم يابنى جذيمة انه خالد والله ما بعد وضع السلاح الا الاسار وما بعد الاسار الا ضرب الاعناق والله لا أضع سلاحى أبدا قال فاخذه رجال من قومه فقالوا ياجحدم أتريد أن تسفك دماءنا ان الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح ووضعت الحرب وامن الناس فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ووضع القوم السلاح لقول خالد * قال ابن اسحق فحدثنى حكيم بن حكيم عن أبى جعفر محمد بن على قال فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه الى السماء ثم قال اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد «قال ابن هشام» حدثنى بعض أهل العلم أنه حدث عن ابراهيم بن جعفر المحمودى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت انى لقمت لقمة من حيس فالتذذت طعمها فاعترض فى حلقى منها شىء حين ابتلعتها فادخل على يده فنزعه فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه يارسول الله هذه سرية من سراياك تبعثها فيأتيك منها بعض ماتحب ويكون فى بعضها اعتراض فتبعث عليا فيسهله «قال ابن هشام» وحدثنى انه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أنكر عليه أحد فقال نعم قد أنكر عليه رجل ابيض ربعة فنهمه خالد فسكت عنه وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فراجعه فاشتدت مراجعتهما فقال عمر بن الخطاب أما الاول يارسول الله فابنى عبد الله وأما الآخر فسالم مولى أبى حذيفة * قال ابن اسحق فحدثنى حكيم بن حكيم عن أبى جعفر محمد بن على قال ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه فقال ياعلى اخرج الى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الاموال حتى انه ليدى لهم ميلغة الكلب حتى اذا لم يبق شىء من دم ولا مال الا وداه بقيت معه بقية من المال فقال لهم على رضوان الله عليه حين فرغ منهم هل بقى لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم قالوا لا قال فانى أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يعلم ولا تعلمون ففعل ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فقال أصبت وأحسنت قال ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه حتى انه ليرى ماتحت منكبيه يقول اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات * قال ابن اسحق وقد قال بعض من يعذر خالدا انه قال ماقاتلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حذافة السهمى وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الاسلام «قال ابن هشام» قال أبو عمرو المدنى لما أتاهم خالد قالوا صبأنا صبأنا * قال ابن اسحق وقد كان جحدم قال لهم حين وضعوا سلاحه ورأى مايصنع خالد ببنى جذيمة يابنى جذيمة ضاع الضرب قد كنت حذرتكم ماوقعتم فيه وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف فيما بلغنى كلام فى ذلك فقال له عبد الرحمن بن عوف عملت بامر الجاهلية فى الاسلام فقال انما ثارت بابيك فقال عبد الرحمن كذبت قد قتلت قاتل أبى ولكنك ثارت بعمك الفاكه بن المغيرة حتى اذا كان بينهما شر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مهلا ياخالد دع عنك أصحابى فوالله لو كان لك أحد ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحته وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وعوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة وعفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا تجارا الى اليمن ومع عفان ابنه عثمان ومع عوف ابنه عبد الرحمن فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جذيمة بن عامر كان هلك باليمن الى ورثته فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ولقيهم بارض بنى جذيمة قبل ان يصلوا الى أهل الميت فابوا عليه فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه وقاتلوه فقتل عوف بن عبد عوف والفاكه بن المغيرة ونجا عفان بن أبى العاص وابنه عثمان وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة ومال عوف بن عبد عوف فانطلقوا به وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه فهمت قريش بغزو بنى جذيمة فقالت بنو جذيمة ما كان مصاب أصحابكم عن ملا منا انما عدا عليهم

لعمرك ما خشيت وقد بلغنا * جبال الجوز من بلد تهام
نزيعا محلبا من أهل لفت * لحى بين أثلة والنجام

وقد تقدم هذا البيت الاخير فى باب الهجرة * وذكر سرية خالد الى بنى جذيمة وتعرف بغزوة الغميط وهو اسم

قوم بجهالة فاصابوهم ولم نعلم فنحن نعقل لكم ما كان لكم قبلنا من دم أو مال فقبلت قريش ذلك ووضعوا الحرب • وقال قائل من بنى جذيمة و بعضهم يقول امرأة يقال لها سلمى

ولولا مقال القوم للقوم أسلموا * للاقت سليم يوم ذلك ناطحا
لماصعهم بسر وأصحاب جحدم * ومرة حتى يتركوا البرك ضابحا
فكائن نرى يوم الغميصاء من فتى * أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا
ألظت بخطاب الايامى وطلقت * غداتئذ منهن من كان ناكحا

«قال ابن هشام» قوله بسر وألظت بخطاب عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق فاجابه عباس بن مرداس ويقال بل الجحاف بن حكيم السلمى

دعى عنك تقوال الضلال كفى بنا * لكبش الوغى فى اليوم والامس ناطحا
فخالد اولى بالتعذر منكم * غداة علا نهجا من الامر واضحا
معانا بامر الله يزجى اليكم * سوانح لا تكبوا له وبوارحا
نعوا مالكا بالسهل لما هبطنه * عوابس فى كابى الغبار كوالحا
فان نك أثكلناك سلمى فمالك * تركتم عليه نائحات ونائحا

﴿وقال الجحاف بن حكيم السلمى﴾

شهدن مع النبي مسومات * حنينا وهى دامية الكلام
شهدت وجرت * سنابكهن بالبلد الحرام
نعرض للطعان اذا التقينا * وجوها لا تعرض للطام

* قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس عن الزهرى عن ابن أبى حدرد الاسلمى . قال كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد فقال لى فتى من بنى جذيمة وهو فى سنى وقد جمعت يداه الى عنقه برمة ونسوة مجتمعات غير بعيد منه يا فتى قلت ما تشاء قال هل أنت آخذ بهذه الرمة فقائدى الى هؤلاء النسوة حتى أقضى اليهن حاجة ثم تردنى بعد فتصنعوا بى ما بدا لكم قال قلت والله

ليسير ما طلبت فاخذت برمته فقدته بها حتى أوقفته عليهن فقال اسلمى حبيش على نفد العيش

أرأيتك اذ طالبتكم فوجدتكم * بحلية أو ألفيتكم بالخوانق
ألم يك أهلا ان ينول عاشق * تكلف ادلاج السرى والودائق
فلا ذنب لى قد قلت اذ أهلنا معا * اثيبى بود قبل احدى الصفائق
اثيبى بود قبل أن تشحط النوى * و ينأى الامير بالحبيب المفارق
فانى لا ضيعت سر أمانة * ولا راق عينى عنك بعدك رائق
سوى ان ما نال العشيرة شاغل * عن الود الا أن يكون التوامق

قال ابن هشام وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الآخرين منها له * قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس عن الزهرى عن ابن أبى حدرد الاسلمى قالت وأنت فحييت سبعا وعشرا وترا وثمانيا تترى قال ثم انصرفت به فضربت عنقه * قال ابن اسحق فحدثنى أبو فراس بن أبى سنبلة الاسلمى عن أشياخ منهم عمن كان حضرها منهم قالوا فقامت اليه حين ضربت عنقه فاكبت عليه فما زالت تقبله حتى ماتت عنده * قال ابن اسحق وقال رجل من بنى جذيمة

جزى الله عنا مدلجا حيث أصبحت * جزاءة بؤسى حيث سارت وحلت
أقاموا على اقضاضنا يقسمونها * وقد نهلت فينا الرماح وعلت
فوالله لولا دين آل محمد * لقد هربت منهم خيول فشلت
وما ضرهم أن لا يعينوا كتيبة * كرجل جراد أرسلت فاشمعلت
فاما يتيبوا أو يثوبوا لامرهم * فلا نحن نجزيهم بما قد أضلت

اسم ماء لبنى جذيمة * وذكر شعر امرأة اسمها سلمى وفيه * ومرة حتى يتركوا البرك ضابحا * البرك جماعة الابل وماصع جالد وقاتل وضابحا من الضبح وهو نفس الخيل والابل اذا عييت وفى التنزيل « والعاديات ضبحا » وفى الخبر من سمع ضبحة بليل فلا يخرج مخافة أن يصيبه شر قال الراجز

نحن نطحناهم غداة الجمعين * بالضابحات فى غبار النقعين * نطحا شديدا لا كنطح الطورين

والضبح والضبى مصدر ضبحت وضبيت أى شويت وقليت قاله أبو حنيفة قال والمضابى والمضابح هو المقالى * وذكر تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم مما فعل خالد وهذا نحو مما روى عن عمر حين قال لابى بكر الصديق رضى الله عنهما ان فى سيف خالد رهقا ان فى سيف خالد رهقا فاقتله وذلك حين قتل مالك بن نويرة وجعل رأسه تحت قدر حتى طبخ به وكان مالك ارتد ثم راجع الاسلام ولم يظهر ذلك لخالد وشهد عنده رجلان من الصحابة برجوعه الى الاسلام فلم يقبلهما وتزوج امرأته فلذلك قال عمر لابى بكر اقتله فقال لا أفعل لانه متاول فقال اعزله فقال لا أغمد سيفا سله الله على المشركين ولا أعزل واليا ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم * وذكر قول الرجل للمرأة اسلمى حبيش على نفد العيش النفد مصدر نفد اذا فنى وهو النفاد وحبيش مرخم من حبيشة وحلية والخوانق موضعان والودائق جمع وديقة وهو شدة الحر فى الظهيرة سميت بذلك من الودق لان فى ذلك الوقت يسيل لعاب الشمس وهو ما تراه العين كالسراب ونحوه وقال الراجز

وقام ميزان النهار فاعتدل * وسال للشمس لعاب فنزل

وقال الاحول يقال ودق اذا دنا من الارض ويقال هو وادق السرة اذا كانت مائلة الى جهة الارض وأنشد • وادقا سرانها • فعلى هذا تكون الوديقة من ودقت الشمس اذا دنت من الافق فاشتد

﴿ فاجابه وهب رجل من بني ليث فقال ﴾ دعونا الى الاسلام والحق عامر ا * فما ذنبنا في عامر اذ تولت
وما ذنبنا في عامر لا ابا لهم * لان سفهت أحلامهم ثم ضلت ﴿ وقال رجل من بني جذيمة ﴾
ليهنى بني كعب مقدم خالد * وأصحابه اذ صبحتنا الكتائب فلا ترة يسعى بها ابن خويلد * وقد كنت مكفيا لوانك غائب
فلا قومنا ينهون عنا غواتهم * ولا الداء من يوم الغميصاء ذاهب ﴿ وقال غلام من بني جذيمة وهو يسوق بامه وأختين له وهو هارب بهن من جيش خالد ﴾
رخين اذيال المروط وأربعن * مشى حييات كان لم يفزعن * ان تمنع اليوم نساء تمنعن *
(وقال) غلمة من بني جذيمة يقال لهم بنو مساحق يرتجزون حين سمعوا بخالد فقال أحدهم

قد علمت صفراء بيضاء الاطل
يحوزها ذوثلة وذوابل
لاغنين اليوم ما أغنى رجل
﴿ وقال الآخر ﴾
قد علمت صفراء تلهي العرسا
لا تملأ الحيزوم منها نهسا
لاضربن اليوم ضربا وعسا *
ضرب المحلين مخاضا قعسا
﴿ وقال الآخر ﴾
أقسمت ما ان خادر ذو لبده
شثن البنان في غداة برده
جهم المحيا ذو سبال ورده *
يرزم بين أيكة وجحده
ضار بتأكال الرجال وحده *
باصدق الغداة مني نجده
﴿ مسير خالد بن الوليد ليهدم العزى ﴾
ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى العزى وكانت بنخلة وكانت بيتا يعظمه هذا

حرها والله أعلم * وقوله فهمه خالد أي زجره ونجهه وروى النسائي في قصة المرأة التي ماتت مكبة على الرجل المقتول قال حدثنا محمد بن علي بن حرب عن علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية قال فغنموا وفيهم رجل فقال لهم اني لست منهم عشقت امرأة فلحقتها فدعوني أنظر اليها نظرة ثم اصنعوا بي ما بدا لكم قال فاذا امرأة طويلة ادماء فقال لها اسلمي حبيش قبل نفد العيش وذكر البيتين الاولين من القطعة القافية أول هذا الخبر ناقصي الوزن وبعدهما قالت نعم فديتك فقدموه فضربوا عنقه فجاءت المرأة فوقعت عليه فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما كان فيكم رجل رحيم خرجه النسوي في باب قتل الاسارى من مصنفه

﴿ ذكر غزوة حنين ﴾

وحنين الذي عرف به الموضع هو حنين بن قانية بن مهلايل كذا قال البكري وقد قدمنا انه قال في خيبر مثل هذا انه ابن قانية فالله أعلم ويقال لها أيضا غزوة أوطاس سميت بالموضع الذي كانت فيه الوقعة وهو من وطست الشيء وطسا اذا كدرته وأثرت فيه والوطيس نقرة في حجر توقد حوله النار فيطبخ به اللحم والوطيس التنور وفي غزوة أوطاس قال النبي صلى الله عليه وسلم الآن حمي الوطيس وذلك حين استعرت الحرب وهي من الكلم التي لم يسبق اليها صلى الله عليه وسلم فمنها هذه ومنها مات حتف أنفه قالها في فضل من مات في سبيل الله في حديث رواه عنه عبد الله بن عتيك قال ابن عتيك وما سمعت هذه الكلمة يعني حتف أنفه من أحد العرب قبله صلى الله عليه وسلم ومنها لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين قالها لابي عزة الجمحي يوم أحد وقد مضى حديثه ومنها لا ينتطح فيها عنزان وسيأتي سببهما ومنها قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي قالها يوم حنين أيضا في حديث خرجه مسلم وقال الجاحظ في كتاب البيان عن يونس بن حبيب لم يبلغنا من روائع الكلام ما بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم وغلط في هذا الحديث ونسب الى التصحيف وانما قال القائل ما بلغنا عن البتي يريد عثمان البتي فصحفه الجاحظ قالوا والنبي صلى الله عليه وسلم أجل من أن يخلط مع غيره من الفصحاء حتى يقال ما بلغنا عنه من الفصاحة أكثر من الذي بلغنا عن غيره كلامه أجل من ذلك وأعلى صلوات الله عليه وسلامه

الحي من قريش وكنانة ومضر كلها وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم فلما سمع صاحبها السلمي بمسير خالد اليها علق عليها سيفه وأسند في الجبل الذي هي فيه وهو يقول

أياعزى شدي شدة لا شوى لها * على خالد ألقي القناع وشمري
ياعز ان لم تقتلي المرء خالدا * فبوئي باثم عاجل أو تنصري

(فصل)

فلما انتهى اليها خالد هدمها ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وحدثني ابن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة * قال ابن اسحق وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان

﴿ غزوة حنين في سنة ثمان بعد الفتح ﴾

قال ابن اسحق ولما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك بن عوف النصرى فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بنى هلال وهم قليل ولم يشهدها من قيس عيلان الا هؤلاء وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ولم يشهدها منهم أحد له اسم وفى بنى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شئ الا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخا مجربا وفى ثقيف سيدان لهم فى الاحلاف قارب بن الاسود بن مسعود بن معتب وفى بنى مالك ذو الخمار سبيع بن الحرث بن مالك وأخوه احمر بن الحرث وجماع أمر الناس الى مالك بن عوف النصرى فلما أجمع السير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم فلما نزل باوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة فى شجار له يقاد به فلما نزل قال باى واد أنتم قالوا باوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس مالى اسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال أين مالك قيل هذا مالك ودعى له فقال يا مالك انك قد أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كائن له ما بعده من الايام مالى اسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء قال سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم قال ولم ذاك قال أردت ان أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم قال فانقض به ثم قال راعى ضان والله وهل يرد المنهزم شئ انها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك ثم قال ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم أحد قال غاب الحد والجد ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب ولوددت انكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب فمن شهدها منكم قالوا عمرو ابن عامر وعوف ابن عامر قال ذانك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران يا مالك انك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحور الخيل شيأ ارفعهم الى ممتنع بلادهم وعليا قومهم ثم الق الصبا على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من وراءك وان كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك قال لا والله لا أفعل ذلك انك قد كبرت وكبر عقلك والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لاتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى وكره ان يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأى قالوا أطعناك فقال دريد بن الصمة هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى

يا ليتنى فيها جذع * أخب فيها واضع

اقود وطفاء الزمع * كانها شاة صدع

«قال ابن هشام» انشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله * يا ليتنى فيها جذع * قال ابن اسحق ثم قال مالك للناس اذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد قال وحدثنى امية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان انه حدث ان مالك بن عوف بعث عيونا من رجاله فأتوه وقد تفرقت اوصالهم فقال ويلكم ما شأنكم فقالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق فوالله ما تماسكنا ان اصابنا ما ترى فوالله ما رده ذلك عن وجهه ان مضى على ما يريد * قال ابن اسحق ولما سمع بهم نبى الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم عبد الله بن أبى حدرد الاسلمى وأمره أن يدخل فى الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم فانطلق ابن أبى حدرد فدخل فيهم فاقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فاخبره الخبر فقال عمر كذب ابن أبى حدرد فقال ابن أبى حدرد ان كذبتنى فربما كذبت بالحق يا عمر فقد كذبت من هو خير منى فقال عمر يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن ابى حدرد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر

﴿ فصل ﴾ وذكر دريد بن الصمة الجشمى أحد بنى جشم بن بكر بن هوازن وفيه تقول الخنساء حين خطبها ما كنت تاركة بنى عمى كانهم صدور الرماح ومرتثة شيخا من بنى جشم وهو دريد بن الصمة بن بكر ابن علقمة بن خزاعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن يكنى أبا قرة ويروى عن ابن اسحاق من غير رواية زياد يقال كان يومئذ ابن ستين ومائة وروى أبو صالح كاتب الليث عن الليث قال كان دريد يومئذ ابن عشرين ومائة * وقوله فى شجار له الشجار مثل الهودج وفى العين الشجار خشب الهودج * وقوله فانقض به أى صوت بلسانه فى فمه من النقيض وهو الصوت وقيل الانقاض بالاصبع الوسطى والابهام كانه يدفع بهما شيئا وهو معنى قول البرقى * وقوله راعى ضأن يجهله بذلك كما قال الشاعر

أصبحت هزءا لراعى الضان أعجبه * ماذا يريبك منى راعى الضان

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل قم فما نفعك صواع ولا راعى ضان والدريد فى اللغة تصغير أدرد وهو تصغير الترخيم والصمة الشجاع وجمعه صمم * وذكر مالك بن عوف النصرى رئيس المشركين يوم حنين وهو مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن النصرى * وذكر بعث النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى حدرد عينا الى هوازن وهو عبد الله بن

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير الى هوازن ليلقاهم ذكر له ان عند صفوان بن أمية أدراعا له وسلاحا فارسل اليه وهو يومئذ مشرك فقال يا ابا أمية أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يا محمد قال بل عارية مضمونة حتى نؤديها اليك قال ليس بهذا باس فاعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح فزعموا

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب منه أن يكفيهم حملها ففعل ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة فكانوا اثني عشر ألفا واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميرا على من تخلف عنه من الناس ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هوازن فقال عباس بن مرداس السلمى

اصابت العام رعلا غول قومهم وسط البيوت ولون الغول ألوان
يالهف أم كلاب اذ تبيتها * خيل ابن هوذة لا تنهى وانسان
لا تلفظوها وشدوا عقد ذمتكم * ان ابن عمكم سعد ودهمان
لا ترجعوها وان كانت مجللة * مادام في النعم المأخوذ اليان
شنعاء جلل من سوآتها حضن وسال ذو شوغر منها وسلوان
ليست باطيب مما يشتوى حذف اذ قال كل شواء العير جوفان
وفي هوازن قوم غير ان بهم * داء اليماني فان لم يغدروا خانوا
فيهم أخ لو وفوا أو بر عهدهم * ولو نهكناهم بالطعن قد لانوا
أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها * منى رسالة نصح فيه تبيان
انى أظن رسول الله صابحكم * جيشا له في فضاء الارض أركان
فيهم سليم أخوكم غير تارككم * والمسلمون عباد الله غسان
وفي عضادته اليمنى بنو أسد * والاجربان بنو عبس وذبيان
تكاد ترجف منه الارض رهبته * وفي مقدمه أوس وعثمان

سلامة بن سعد وسلامة هو أبو حدرد وهو من بني هوازن بن أسلم بن افصى بن حارثة وهم اخوة الاوس والخزرج أعني بني أسلم بن أفصى مات عبد الله سنة احدى وسبعين وهو العام التي قتل فيه مصعب بن الزبير شهد ابن أبي حدرد مع النبي صلى الله عليه وسلم الحديبية وما بعدها وفاته ما كان قبل ذلك * وذكر شعر عباس وفيه . أصابت العام رعلا . وهي قبيلة من سليم وفي الحديث قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا يدعو على رعل وذكوان وعصية وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة * وقوله . خيل ابن هوذة لا تنهى وانسان . انسان قبيلة من قيس ثم من بني نصر قاله البرقي وقبلهم من بني جشم ابن بكر ومن بني انسان شيطان بن مدلج صاحب حميدة وهي فرس له تضرب بها العرب المثل في الشؤم فيقال أشأم من حميدة وسبب ذلك خبر يطول ذكره الاصبهاني في الامثال وسعد ودهمان ابنا نصر بن معاوية ابن بكر كذا وجدته في بعض المعلقات والمعروف في قيس دهمان بن أشجع بن ريث بن غطفان والدنصر ابن دهمان الذي عاش مائة وتسعين سنة حتى تقوم ظهره بعد انحناء واسود شعره بعد ابيضاض فكان أعجوبة في العالم وقال الشاعر

لنصر بن دهمان الهنيدة عاشها * وتسعين حولا ثم قوم فانصاتا
وعاد سواد الرأس بعد ابيضاضه * ولكنه من بعد ذلك قد ماتا

وممن ذكر هذا الخبر أبو الحسن الدارقطني رحمه الله وحنين اسم جبل ومنه المثل أمجد من رأي حنينا * وقوله مما يشتوى حذف . الحذف غنم سود صغار تكون باليمن وفي الحديث سووا صفوفكم لا تخللكم الشياطين كانها بنات حذف يعني في الصف في الصلاة هكذا قال البرقي في تفسير هذا البيت والذي أراد الشاعر انما هو رجل فلعله كان يسمى بحذف والحذف هي الغنم السود التي ذكرنا * وقوله . كل شواء العير جوفان . يقال انه شوى له غرمول حمار فاكله في الشواء فوجده أجوف وقيل له انه القنب أي وعاء القضيب فقال كل شواء العير جوفان فضرب هذا الكلام مثلا وقيل كان فزارى وتغلبي وكلبي اجتمعوا في سفر وقد اشتووا حمار وحش فغاب الفزارى في بعض حاجاته فأكل صاحباه العير واختبآ له غرموله فلما جاء قالا له هذا خبأنا لك فجعل يأكله ولا يسيغه فضحكا منه فاخترط سيفه وقال لا قتلنكما ان لم تأكلاه فأبى أحدهما فضربه بالسيف فابان رأسه وكان اسمه مرقمه فقال صاحبه طاح مرقمه فقال الفزاري وأنت ان لم تلقمه أراد تلقمها فطرح حركة الهاء على الميم وحذف الالف كما قد قيل في الحيرة أي رجال به أي بها وقد عيرت فزارة بهذا الخبر حتى قال سالم بن دارة

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها باسيار
لا تأمننه ولا تامن بوائقه * بعد الذي امتل أير العير في النار
أطعمتم الضيف غرمولا مخاتلة * فلا سقاكم الاهي الخالق البارى

من كتاب الامثال للاصبهاني فهذا الفزارى هو حذف المذكور في البيت والله أعلم * وقوله والاجربان بنو عبس وذبيان سماهما بالاجربين تشبيها بالاجرب الذي لا يقرب وقال مجذوم من العرب

* قال ابن اسحق أوس وعثمان قبيلا مزينة «قال ابن هشام» من أبلغ قوله هولزن أعلاها وأسفلها الى آخرها فى هذا اليوم وما قبل ذلك فى غير هذا اليوم وهما مفصولتان ولكن ابن اسحق جعلهما واحدة * قال ابن اسحق وحدثنى ابن شهاب الزهرى عن سنان ابن أبى سنان الدؤلى عن أبى واقد الليثى أن الحرث بن مالك قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية قال فسرنا معه الى حنين قال وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات انواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوما قال فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سدرة خضراء عظيمة قال فتنادينا من جنبات الطريق يارسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر قلتم والذى نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون انها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى واد من أودية تهامة أجوف ذى خطوط انما ننحدر فيه انحدارا قال وكان فى عماية الصبح وكان القوم قد سبقونا الى الوادى فكمنوا لنا فى شعابه وأحنائه ومضايقه وقد أجمعوا وتهيؤا وأعدوا فوالله ماراعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد وانشمر الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ثم قال أين أيها الناس هلموا الى أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله قال فلا شئ حملت الابل بعضها على بعض فانطلق الناس الا أنه قد بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والانصار وأهل بيته وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ومن أهل بيته على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحرث وابنه والفضل بن العباس وربيعة بن الحرث وأسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد قتل يومئذ «قال ابن هشام» اسم ابن أبى سفيان بن الحرث جعفر واسم أبى سفيان المغيرة وبعض الناس يعد فيهم قثم بن العباس ولا يعد ابن أبى سفيان * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء فى رأس رمح له طويل امام هوازن وهوازن خلفه اذا أدرك طعن برمحه واذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه * قال ابن اسحق فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاة أهل مكة الهزيمة تكلم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان بن حرب لا تنتهى هزيمتهم دون البحر وان الازلام لمعه فى كنانته وصرخ جبلة بن الحنبل * قال ابن هشام كلدة بن الحنبل وهو مع اخيه صفوان بن أمية مشرك فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا بطل السحر اليوم فقال له صفوان اسكت فض الله فاك فوالله لان يربنى رجل من قريش أحب الى من أن يربنى رجل من هوازن «قال ابن هشام» وقال حسان بن ثابت يهجو كلدة

رأيت سوادا من بعيد فراعنى * أبو حنبل ينزو على أم حنبل
كان الذى ينزو به فوق بطنها * ذراع قلوص من نتاج ابن عزهل

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين وذكر لنا انه هجا بهما صفوان بن أمية وكان أخا كلدة لامه * قال ابن اسحق وقال شيبة بن عثمان بن أبى طلحة أخو بنى عبد الدار قلت اليوم أدرك ثأرى وكان أبوه قتل يوم أحد اليوم أقتل محمدا قال فأردت برسول الله صلى الله عليه وسلم لاقتله فاقبل شئ حتى تغشى فؤادى فلم أطق ذلك فعلمت أنه ممنوع منى * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أهل مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين فصل من مكة الى حنين ورأى كثرة من معه من جنود الله لن نغلب اليوم من قلة * قال ابن اسحق وزعم بعض الناس أن رجلا من بنى بكر

باى فعال رب أوتيت ما أرى * أظل كانى كلما قمت أجرب

أى يفرمنى وفى الخبر ان عمر لما نهى الناس عن مجالسة صبيغ بن عسل كان كلما حل موضعا تفرق الناس عنه كانه بعير أجرب ومن رواه الاجربان بضم النون فهو جائز فى كل اثنين متلازمين كالجلمين يقال فيهما الجلمان بضم النون وكذلك القمران وروى ان فاطمة رضى الله عنها نادت ابنيها فى ليلة ظلمة ياحسنان ياحسينان نصم النون قاله الهروى فى الغريبين

﴿ فصل ﴾ وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم أين أيها الناس أنا محمد أنا رسول الله وفى غير هذه الرواية أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب وهو كلام موزون وقد تقدم الكلام فى مثل هذا وانه ليس بشعر حتى يقصد به الشعر وللخطابى فى كتاب الاعلام تنبيه على قوله أنا ابن عبد المطلب قال انما خص عبد المطلب بالذكر فى هذا المقام وقد انهزم الناس تشبيها لنبوته وازالة للشك لما اشتهر وعرف من رؤيا عبد المطلب المبشرة بالنبى صلى الله عليه وسلم وقد تقدم ذكرها ولما أنبأت به الاحبار والرهبان فكانه يقول أنا ذاك فلابد مما وعدت به لئلا ينهزموا عنه ويظنوا انه مقتول ومغلوب فالله أعلم أأراد ذلك رسوله أم لا * وذكر قصة شيبة بن عثمان حين أراد قتل النبى صلى الله عليه وسلم قال فجاء شىء حتى تغشى فؤادى وقد ذكر هذا

قالها * قال ابن اسحق فحدثني الزهري عن كثير بن العباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال اني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها قال وكنت امرأ جسيما شديد الصوت قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس أين أيها الناس فلم أر الناس يلوون على شيء فقال يا عباس اصرخ يا معشر الانصار يا معشر أصحاب السمرة قال فأجابوا لبيك لبيك قال فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله فيؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا اجتمع اليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا وكانت الدعوى أول ما كانت يا للانصار ثم خلصت أخيرا يا للخزرج وكانوا صبراء عند الحرب فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه فنظر الى مجتلد القوم وهم يجتلدون فقال الآن حمي الوطيس * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع اذ هوى له علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الانصار يريدانه قال فيأتيه علي ابن أبي طالب من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ووثب الانصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه فانجعف عن رحله قال واجتلد الناس فوالله مارجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حسن الاسلام حين أسلم وهو آخذ بثفر بغلته فقال من هذا قال أنا ابن أمك يا رسول الله * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت فرأى أم سليم ابنة ملحان وكانت مع زوجها أبي طلحة وهي حازمة وسطها ببرد لها وانها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ومعها جمل أبي طلحة

الخبر أبو بكر بن أبي خيثمة في تاريخه قال شيبة اليوم آخذ بثاري فجئت النبي صلى الله عليه وسلم من خلفه فلما هممت به حال بيني وبينه خندق من نار وسور من حديد قال فالتفت الي النبي صلى الله عليه وسلم وتبسم وعرف الذي أردت فمسح صدري وذهب عني الشك أو كما قال ذهب عني بعض ألفاظ الحديث * وذكر أم سليم وهي مليكة بنت ملحان وقال في اسمها رميلة ويقال سهيلة وتعرف بالغميصاء والرميصاء لرمص كان في عينها وأبو طلحة بعلها هو زيد بن سهل بن الاسود بن حرام وهو القائل

أنا أبو طلحة واسمي زيد * وكل يوم في سلاحي صيد

وقول أم سليم يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك (ان قيل) كيف فر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه حتى لم يبق معه منهم الا ثمانية والفرار من الزحف من الكبائر وقد أنزل الله تعالى فيه من الوعيد ما أنزل (قلنا) لم يجمع العلماء على انه من الكبائر الا في يوم بدر وكذلك قال الحسن ونافع مولى عبد الله بن عمر وظاهر القرآن يدل على هذا فانه قال ومن يولهم يومئذ دبره فيومئذ اشارة الى يوم بدر ثم نزل التحقيق من بعد ذلك في الفار يوم احد وهو قوله « ولقد عفا الله عنهم » وكذلك انزل في يوم حنين « ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم الى قوله غفور رحيم » وفي تفسير ابن سلام كان الفرار من الزحف يوم بدر من الكبائر وكذلك يكون من الكبائر في ملحمة الروم الكبرى وعند الدجال وايضا فان المنهزمين عنه عليه السلام رجعوا لحينهم وقاتلوا معه حتى فتح الله عليهم * وقول مالك في رجزه . قد اطعن الطعنة تقدي بالسبر . السبر جمع سابر وهو الفتيل الذي يسبر به الجرح اي يختبر * وقوله في الزجر الآخر . اقدم محاج انها الاساوره .

وقد خشيت أن يعزها الجمل فادنت رأسه منها فادخلت يدها في خزامته مع الخطام فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سليم قالت نعم بابي أنت وأمي يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فانهم لذلك أهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او يكفي الله يا أم سليم قال ومعها خنجر فقال لها أبو طلحة ما هذا الخنجر معك يا أم سليم قالت خنجر أخذته ان دنا مني أحد من المشركين بعجته به قال يقول ابو طلحة ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرميصاء * قال ابن اسحق وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجه الى حنين قد ضم بني سليم الى الضحاك بن سفيان الكلابي فكانوا اليه ومعه ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه

أقدم محاج انه يوم نكر * مثلي على مثلك يحمي ويكر
اذا أضيع الصف يوما والدبر * ثم احزألت زمر بعد زمر
كتائب يكل فيهن البصر * قد أطعن الطعنة تقدي بالسبر
حين يذم المستكن المنجحر * وأطعن النجلاء تعوي وتهر
لها من الجوف رشاش منهمر * تفهق تارات وحينا تنفجر
وثعلب العامل فيها منكسر * يا زين يا ابن همهم أين تفر
قد انقد الضرس وقد طال العمر * قد علم البيض الطويلات الخمر
أني في أمثالها غير غمر * اذ تخرج الحاضن من تحت الستر

﴿ وقال مالك بن عوف أيضا ﴾

أقدم محاج انها لاساوره * ولا تغرنك رجل نادره

« قال ابن هشام » وهذان البيتان لغير مالك بن عوف في غير هذا اليوم * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن أبي قتادة الانصاري قال وحدثني من لا أتهم من أصحابنا عن نافع مولى بني غفار أبي محمد عن أبي قتادة قال قال أبو قتادة رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان مسلما ومشركا قال واذا رجل من المشركين يريد ان يعين صاحبه المشرك على المسلم قال فاتيته فضربت يده فقطعتها واعتنقني بيده الأخرى فوالله ما أرسلني حتى وجدت ريح الدم ويروى ريح الموت فيما قال ابن هشام وكاد يقتلني فلولا ان الدم نزفه لقتلني فسقط فضربته فقتلته وأجهضني عنه القتال ومر به رجل من أهل مكة فسلبه فلما وضعت الحرب اوزارها وفرغنا من القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه فقلت يارسول الله والله لقد قتلت قتيلا ذا سلب فاجهضني عنه القتال فما أدري من استلبه فقال رجل من أهل مكة صدق يارسول الله وسلب ذلك القتيل عندي فارضه عني من سلبه فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا والله لا يرضيه منه تعمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلبه اردد عليه سلب قتيله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق اردد عليه سلبه فقال أبو قتادة فاخذته منه فبعته فاشتريت بثمنه مخرفا فانه لاول مال اعتقدته * قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم عن أبي سلمة عن اسحق ابن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلا * قال ابن اسحق وحدثني أبي اسحق بن يسار عن جبير بن مطعم قال لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الاسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فاذا نمل أسود مبثوث قد ملا الوادي لم أشك أنها الملائكة ثم لم يكن الا هزيمة القوم * قال ابن اسحق ولما هزم الله المشركين من أهل حنين وأمكن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم قالت امرأة من المسلمين

قد غلبت خيل الله خيل اللات * والله أحق بالثبات

« قال ابن هشام » أنشدني بعض أهل العلم بالرواية للشعر

غلبت خيل الله خيل اللات * وخيله أحق بالثبات

* قال ابن اسحق فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف في بني مالك فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحرث بن حبيب وكانت رايتهم مع ذي الخمار فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قتل * قال ابن اسحق وأخبرني عامر بن وهب بن الاسود قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله قال أبعده الله فانه كان يبغض قريشا * قال ابن اسحق وحدثني يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أنه قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصراني اغرل قال فبينا رجل من الانصار يسلب قتلى ثقيف اذ كشف العبد يسلبه فوجده اغرل قال فصاح باعلى صوته يامعشر العرب يعلم الله ان ثقيفا غرل قال المغيرة بن شعبة فأخذت بيده وخشيت ان تذهب عنا في العرب فقلت لا تقل ذاك فداك أبي وأمي انما هو غلام لنا نصراني قال ثم جعلت اكشف له عن القتلى وأقول له ألا تراهم مختتنين كما ترى * قال ابن اسحق وكانت راية الاحلاف مع قارب بن الاسود فلما انهزم الناس أسند رايته الى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه من

*وقول ابن هشام هما لغير مالك في غير هذا اليوم يعني يوم القادسية وكانت الدولة فيه للمسلمين على الفرس والاساورة ملوك الفرس وقتل في ذلك اليوم رستم ملكهم دون الملك الاكبر وكان على المسلمين يومئذ سعد بن ابي وقاص وقد ذكرنا قبل لم سميت القادسية *وذكر حديث ابي قتادة في سلب القتيل قال فاشتريت بثمنه مخرفا فانه لاول مال اعتقدته يقال اعتقدت مالا اي اتخذت منه عقدة كما تقول نبذة او قطعة والاصل فيه من العقد وان من ملك شيئا عقد عليه وانشد أبو علي

ولما رأيت الدهر أنحت صروفه * على واودت بالذخائر والعقد

حذفت فضول العيش حتى رددتها * الى القوت خوفا ان اجاء الى احد

ويروى تالثه وهي رواية الموطا ويقال مخرف بفتح الراء وكسرها وأما كسر الميم فانما هو للمخرف وهي الآلة التي تخترف بها الثمرة أي تجتنى بفتح الميم معناه البستان من النخل هكذا فسروه وفسره الحربي وأجاد في تفسيره فقال المخرف نخلة واحدة أو نخلات يسيرة الى عشر فما فوق ذلك فهو بستان أو حديقة ويقوي ما قاله الحربي ماقاله أبو حنيفة قال المخرف مثل الخروفة والخروفة هي النخلة يخترفها الرجل لنفسه ولعياله وأنشد * مثل المخارف من خيلان أوهجرا * قال ويقال للخروفة خريفة أيضا وفي هذا الحديث من الفقه ان السلب للقاتل حكما شرعيا جعل ذلك الامام له أو لم يجعله وهو قول الشافعي وقال مالك انما ذلك الى الامام له أن يقول بعد معمعة الحرب من قتل قتيلا فله سلبه ويكره مالك رحمه الله أن يقول ذلك قبل القتال لئلا يخالط النية غرض آخر غير احتساب نفسه لله تعالى وقد ذكرنا في غزوة بدر في هذه المسئلة ما هو أكثر من هذا *وقول جبير بن مطعم لقد رأيت مثل البجاد يعني الكساء من النمل مبثوثا يعني رآه ينزل من السماء قال لم أشك انها الملائكة وقد قدم ابن اسحاق قول الآخر رأيت رجالا بيضا على خيل بلق وكانت

الاحلاف فلم يقتل من الاحلاف غير رجلين رجل من بنى غيرة يقال لهوهب وآخر من بنى كبة يقال لهاالجلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجلاح قتل اليوم سيد شباب ثقيف الا ما كان من ابن هنيدة يعنى بابن هنيدة الحرث بن أو يس فقال عباس بن مرداس السلمى يذكر قارب بن الاسود وفراره من بنى أبيه وذا الخمار وحبسه قومه للموت

ألا من مبلغ غيلان عنى * وسوف اخال يأتيه الخبير
وعروة انما اهدى جوابا * وقولا غير قولكما يسير
بان محمدا عبد رسول * لرب لا يضل ولا يجور
وجدناه نبيا مثل موسى * فكل فتى يخايره مخير
وبئس الامر أمر بنى قسى * بوج اذا تقسمت الامور
أضاعوا أمرهم ولكل قوم * أمير والدوائر قد تدور
فجئنا اسد غابات اليهم * جنود الله ضاحية تسير
نؤم الجمع جمع بنى قسى * على حنق نكاد له نطير
واقسم لو هموا مكثوا السرنا * اليهم بالجنود ولم يغوروا
فكنا أسدلية ثم حتى * أبحناها وأسلمت النصور
ويوم كان قبل لدى حنين * فاقلع والدماء به تمور
من الايام لم تسمع كيوم * ولم يسمع به قوم ذكور
قتلنا فى الغبار بنى حطيط * على راياتها والخيل زور
ولم يك ذو الخمار رئيس قوم * لهم عقل يعاقب أو نكير
أقام بهم على سنن المنايا * وقد بانت لمبصرها الامور
فافلت من نجا منهم حريضا * وقتل منهم بشر كثير
ولا يغنى الامور أخو التوانى * ولا الغلق الصريرة الحصور
احانهم وحان وملكوه * أمورهم وافلتت الصقور
بنو عوف تميح بهم جياد * أهين لها الفصافص والشعير
فلولا قارب وبنو أبيه * تقسمت المزارع والقصور
ولكن الرياسة عمموها * على يمن أشار به المشير
أطاعوا قاربا ولهم جدود * وأحلام الى عز تصير
فان يهدوا الى الاسلام يلفوا * أنوف الناس ماسمر السمير
وان لم يسلموا فهم أذان * بحرب الله ليس لهم نصير
كما حكمت بنى سعد وجرت * برهط بنى غزية عنقفير
كان بنى معاوية بن بكر * الى الاسلام ضائنة تخور
فقلنا أسلموا انا أخوكم * وقد برأت من الاحن الصدور
كان القوم اذ جاؤا الينا * من البغضاء بعد السلم عور

الملائكة فاراهم الله لذلك الهوازنى على صور الخيل والرجال ترهيبا للعدو وراآهم جبير على صورة النمل المبثوث اشعارا بكثرة عددها اذ النمل لا يستطاع عدها مع ان النملة يضرب بها المثل فى القوة فيقال أقوى من النملة لانها تحمل ماهو أكبر من جرمها باضعاف وقد قال رجل لبعض الملوك جعل الله قوتك قوة النملة فانكر عليه فقال ليس فى الحيوان ما يحمل ماهو أكبر منه الا النملة وهذا المثل قد ذكره الاصبهانى فى كتاب الامثال مقرونا بهذا الخبر وقد أهلك بالنمل أمة من الامم وهم جرهم

﴿ فصل ﴾ وذكر قول عباس * وسوف اخال يأتيك الخبير * الفعل المستقبل هو يأتيك وان كان حرف سوف داخلا على اخال فى اللفظ فان مايدل عليه من الاستقبال انما هو الفعل الثانى كما قال * وما أدرى وسوف اخال أدرى * وذلك ان اخال فى معنى أظن وليس يريد انه يظن فيما يستقتل وانما يريد أن يخال الآن ان سيكون ذلك * وقوله

فان يهدوا الى الاسلام يلقوا * أنوف الناس ماسمر السمير

أنوف الناس انتصب على الحال لانه نكرة لم يتعرف بالاضافة لانه لم يرد الانوف باعيانها ولكن اشرافا وهذا كقوله * بمنجرد قيد الاوابد * لانه جعله كالقيد ومثله ماذكرناه قبل فى نصب غمائم الابصار على الحال وليس هذا من باب مامنعه سيبويه حين قال معترضا على الخليل لوقات مررت بقصير الطويل تريد مثل الطويل لم يجز والذى أراده الخليل هو ماذكرناه فى غير موضع من استعارة الكلمة على جهة التشبيه نحو قيد الاوابد وأنوف الناس تريد أشرافهم فمثل هذا يكون وصفا للنكرة وحالا من المعرفة وقد ألحق بهذا الباب له صوت صوت الحمار على الصفة وضعفه سيبويه فى الحال قال وهو فى الصفة اقبح وانما ألحقه الخليل بما تنكر هو مضاف الى معرفة من اجل تكرر اللفظ فيه فحسن لذلك * وقوله واسلمت النصور ذكر البرقى ان النصور ههنا جمع ناصر وليس هو عندى كذلك فان فاعلا قل ما يجمع على فعول وان جمع فليس هو بالقياس المطرد وانما هم بنو نصر من هوازن رهط مالك بن عوف النصرى يقال لهم النصور كما يقال لبنى المهلب المهالبة ولبنى المنذر المناذرة وكما يقال الاشعرون وهم بنو اشعر ابن اددو التوتيات لبنى تويت بن اسد وقوله انا اخوكم جمع اخا جمعا مسلما بالواو والنون ثم حذفت النون للاضافة كما أنشدوا

ولما تبين أصواتنا * بكين وفديننا بالابينا

ويجوز

« قال ابن هشام » غيلان غيلان بن سلمة الثقفي وعروة عروة بن مسعود الثقفي * قال ابن اسحق ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم باوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة الا بنو غيرة من ثقيف وتبعت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك في نخلة من الناس ولم تتبع من سلك الثنايا فادرك ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمال بن عوف بن امرئ القيس وكان يقال له ابن الدغنة وهي أمه فغلبت على اسمه ويقال ابن لذعة فيما قال ابن هشام دريد بن الصمة فاخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة وذلك انه في شجار له فاذا برجل فاناخ به فاذا شيخ كبير واذا دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد بي قال أقتلك قال ومن أنت قال أنا ربيعة بن رفيع السلمي ثم ضربه بسيفه فلم يغن فيه شيئاً فقال بئس ما سلحتك أمك خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل وكان الرحل في الشجار ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فاني كذلك كنت أضرب الرجال ثم اذا أتيت أمك فاخبرها انك قتلت دريد بن الصمة فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك فزعم بنو سليم أن ربيعة قال لما ضربته فوقع تكشف فاذا عجانه وبطون فخذيه مثل القرطاس من ركوب الخيل أعراء فلما رجع ربيعة الى أمه أخبرها بقتله اياه فقالت أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا فقالت عمرة بنت دريد في قتل ربيعة دريدا

لعمرك ماخشيت على دريد ببطن سميرة جيش العناق
جزى عنا الاله بني سليم وعقتهم بما فعلوا عقاق
وأسقانا اذا قدنا اليهم دماء خيارهم عند التلاقي
فرب عظيمة دافعت عنهم وقد بلغت نفوسهم التراقي
ورب كريمة أعتقت منهم وأخرى قد فككت من الوثاق
ورب منوه بك من سليم أجبت وقد دعاك بلا رماق
فكان جزاؤنا منهم عقوقا وهما ماع منه مخ ساقي
عفت آثار خيلك بعد أين بذي بقر الى فيف النهاق

﴿ وقالت عمرة بنت دريد أيضا ﴾

قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوا فظل دمعي على السربال ينحدر
لولا الذي قهر الاقوام كلهم رأت سليم وكعب كيف تأتمر

اذن لصبحهم غبا وظاهرة حيث استقرت نواهم جحفل ذفر

« قال ابن هشام » ويقال اسم الذي قتل دريدا عبد الله بن قنيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة * قال ابن اسحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الاشعري فادرك من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال فرمى أبو عامر بسهم فقتل فاخذ الراية أبو موسى الاشعري وهو ابن عمه فقاتلهم ففتح الله على يديه وهزمهم فيزعمون أن سلمة بن دريد هو الذي رمى أبا عامر الاشعري بسهم فاصاب ركبته فقتله فقال

ان تسئلوا عني فاني سلمه * ابن سمادير لمن توسمه * أضرب بالسيف رؤس المسلمه

وسمادير أمه واستحر القتل من بني نصر في بني رئاب فزعموا أن عبد الله بن قيس وهو الذي يقال له ابن العوراء وهو أحد بني وهب بن رئاب قال يارسول الله هلكت بنو رئاب فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجبر مصيبتهم وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف في فوارس من قومه على ثنية من الطريق وقال لاصحابه قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم ويلحق أخراكم فوقف هنالك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس فقال مالك بن عوف في ذلك

لولا كرتان على محاج لضاق على العضاريط الطريق
ولولا كرّ دهمان بن نصر لدى النخلات مندفع الشديق
لآبت جعفر وبنو هلال خزايا محقبين على شقوق

« قال ابن هشام » هذه الابيات لمالك بن عوف في غير هذا اليوم ومما يدلك على ذلك قول دريد بن الصمه في صدر هذا الحديث ما فعلت كعب وكلاب فقالوا له لم يشهدها منهم أحد وجعفر بن كلاب وقال مالك بن عوف في هذه الابيات لآبت جعفر وبنو هلال « قال ابن هشام » وبلغني أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية فقال لاصحابه ماذا ترون فقالوا نرى قوما واضعي رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بوادهم فقال هؤلاء بنو سليم ولا باس عليكم منهم فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي ثم طلعت خيل أخرى تتبعها فقال لاصحابه ماذا ترون قالوا نرى قوما عارضي رماحهم أغفالا على خيلهم فقال هؤلاء الاوس والخزرج ولا باس عليكم منهم فلما انتهوا الى أصل الثنية سلكوا طريق بني سليم ثم طلع فارس فقال لاصحابه ماذا ترون قالوا نرى فارسا طويل الباد واضعا رمحه على عاتقه عاصبا رأسه بملاءة حمراء فقال هذا الزبير بن العوام وأحلف باللات ليخالطنكم فاثبتوا له فلما انتهى الزبير الى أصل الثنية أبصر القوم فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها * قال ابن اسحق وقال سلمة بن دريد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم

نسيتني ما كنت غير مصابة ولقد عرفت غداة نعف الاظرب

ويجوز أن يكون وضع الواحد موضع الجميع كما تقدم في قوله أنتم الوالد ونحن الولد * وقوله في صفة الزبير طويل الباد أي الفخر والبدد تباعد ما بين الفخذين

أنى منعتك والركوب محبب ... ومشيت خلفك مثل مشى الأنكب
اذ فر كل مهذب ذى لمة ... عن أمه وحليله لم يعقب

« قال ابن هشام » وحدثنى من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر لقى يوم أوطاس عشرة اخوة من المشركين فحمل عليه أحدهم فحمل عليه ابو عامر وهو يدعوه الى الاسلام و يقول اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام و يقول اللهم اشهد عليه فقتله أبو عامر ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا و يحمل أبو عامر وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة و بقى العاشر فحمل على أبى عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه الى الاسلام و يقول اللهم اشهد عليه فقال الرجل اللهم لا تشهد علىّ فكف عنه أبو عامر فأفلت ثم أسلم بعد فحسن اسلامه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رآه قال هذا شريد أبى عامر و رمى أبا عامر أخوان العلاء وأوفى ابنا الحرث من بنى جشم بن معاوية فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه و ولى الناس أبو موسى الاشعرى فحمل عليهما فقتلهما فقال رجل من بنى جشم بن معاوية يرثيهما

ان الرزية قتل العلاء ... وأوفى جميعا ولم يسندا
هما القاتلان أبا عامر ... وقد كان داهية أربدا
هما تركاه لدى معرك ... كان على عطفه مجسدا
فلم ترى الناس مثلهما ... أقل عثارا وأرمى يدا

* قال ابن اسحق وحدثنى بعض أصحابنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد والناس متقصفون عليها فقال ماهذا فقالوا امرأة قتلها خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه أدرك خالدا فقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاك أن تقتل وليدا أو امرأة او عسيفا * قال ابن اسحق وحدثنى بعض بنى سعد بن بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ ان قدرتم على بجاد رجل من بنى سعد بن بكر فلا يفلتنكم وكان قد احدث حدثا فلما وسلم ظفر به المسلمون ساقوه واهله وساقوا معه الشيماء بنت الحرث بن عبد العزى اخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فعنفوا عليها فى السياق فقالت للمسلمين تعلموا والله انى لاخت صاحبكم من الرضاعة فلم يصدقوها حتى أتوا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق فحدثنى يزيد بن عبيد السعدى قال فلما انتهى بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يارسول الله انى اختك من الرضاعة قال وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى وانا متوركتك قال فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فبسط لها رداءه فاجلسها عليه وخيرها وقال ان أحببت فعندى محببة مكرمة وان احببت ان أمتعك وترجعى الى قومك فعلت فقالت بل تمتعنى وتردنى الى قومى فمتعها رسول الله صلى الله عليه وسلم و ردها الى قومها فزعمت بنو سعد انه اعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية فزوجت احدهما الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية « قال ابن هشام » وأنزل الله عز و جل فى يوم حنين لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة و يوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم الى قوله وذلك جزاء الكافرين * قال ابن اسحق وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين من قريش ثم من بنى هاشم ايمن بن عبيد ومن بنى اسد بن عبد العزى يزيد بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن اسد جمح به فرس له يقال له الجناح فقتل * ومن الانصار

---

* وقوله فى المرأة المقتولة أدرك خالدا فقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاك أن تقتل وليدا أو امرأة أو عسيفا العسيف الاجير وهذا منتزع من كتاب الله تعالى لانه يقول « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » فاقتضى دليل الخطاب الا تقتل المرأة الا أن تقاتل وقد أخطأ من قاس مسئلة المرتدة على هذه المسئلة فان المرتدة لا تسترق ولا تسبى كما تسبى نساء الحرب وذراريهم فتكون مالا للمسلمين فنهى عن قتلهن لذلك * وذكر فيمن استشهد أبا عامر واسمه عبيد بن سليم بن حضار وهو عم أبى موسى عبد الله بن قيس الاشعرى وهو الذى استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتل رافعا يديه جدا يقول اللهم اغفر لعبيد أبى عامر ثلاثا وفيه من الفقه رفع اليدين فى الدعاء وقد كرهه قوم روى عبد الله بن عمر أنه رأى قوما يرفعون أيديهم فى الدعاء فقال أوقد رفعوها قطعها الله والله لو كانوا على شاهق ما ازدادوا من الله بذلك قربا وذكر لمالك ان عامر بن عبد الله بن الزبير كان يدعو بأثر كل صلاة و يرفع يديه فقال ذلك حسن ولا أدرى أن يرفعهما جدا وحجة من رأى الرفع أحاديث منها ما ذكرناه آنفا ومنها حديث تقدم فى سرية الغميصاء حين رفع النبى صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات ولكل شىء وجه فمن كره فانما كره الافراط فى الرفع كما كره رفع الصوت بالدعاء جدا قال صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا وهو معنى قول مالك الذى قدمناه فى رفع اليدين

﴿ فصل ﴾ ومما ذكر فى غزوة حنين من غير رواية ابن اسحاق الحفنة التى أخذها النبى صلى الله عليه

سراقة بن الحرث بن عدى من بنى العجلان * ومن الاشعريين ابو عامر الاشعرى • ثم جمعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حنين واموالها وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفارى وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والاموال الى الجعرانة فحبست بها

﴿ وقال بجير بن زهير بن ابى سلمى فى يوم حنين ﴾

لولا الاله وعبده وليتم * حين استخف الرعب كل جبان
بالجزع يوم حبالنا اقراننا * وسوابح يكبون للاذقان
من بين ساع ثوبه فى كفه * ومقطر بسنابك ولبان
فالله اكرمنا واظهر ديننا * واعزنا بعبادة الرحمن
والله اهلكهم وفرق جمعهم * وأذلهم بعبادة الشيطان

« قال ابن هشام » ويروى فيها بعض الرواة

اذ قام عم نبيكم ووليه * يدعون بالكتيبة الايمان
أين الذين هم اجابوا ربهم * يوم العريض وبيعة الرضوان

* قال ابن اسحق وقال عباس بن مرداس فى يوم حنين

انى والسوابح يوم جمع * وما يتلو الرسول من الكتاب
لقد أحببت ما لقيت ثقيف * بجنب الشعب امس من العذاب
هم رأس العدو من اهل نجد * فقتلهم ألذ من الشراب
هزمنا الجمع جمع بنى قسى * وحكت بركها ببنى رئاب
وصرما من هلال غادرتهم * باوطاس تعفر بالتراب
ولولا قين جمع بنى كلاب * لقام نساؤهم والنقع كابى
ركضنا الخيل فيهم بين بس * الى الاورادتنحط بالنهاب
بذى لجب رسول الله فيهم * كتيبته تعرض للضراب

« قال ابن هشام » قوله تعفر بالتراب عن غير ابن اسحق • فاجابه عطية بن عفيف النصرى فيما قال ابن هشام فقال

أفاخرة رفاعة فى حنين * وعباس بن راضعة اللجاب
فانك والفخار كذات مرط * لربها وترفل فى الاهاب

* قال ابن اسحق وقال عطية بن عفيف هذين البيتين لما أكثر عباس على هوازن فى يوم حنين ورفاعة من جهينة * قال ابن اسحق وقال عباس بن مرداس ايضا

ياخاتم النبآء انك مرسل * بالحق كل هدى السبيل هداكا
ان الاله بنى عليك محبة * فى خلقه ومحمدا سماكا
ثم الذين وفوا بما عاهدتهم * جند بعثت عليهم الضحاكا
رجلا به ذرب السلاح كانه * لما تكنفه العدو يراكا
يغشى ذوى النسب القريب وانما * يبغى رضا الرحمن ثم رضاكا
أنبيك انى قد رأيت مكره * تحت العجاجة يدمغ الاشراكا
طورا يعانق باليدين وتارة * يفرى الجماجم صارما بتاكا
يغشى به هام الكماة ولو ترى * منه الذى عاينت كان شفاكا
وبنو سليم معنقون امامه * ضربا وطعنا فى العدو دراكا
يمشون تحت لوائه وكانهم * أسد العرين أردن ثم عراكا
ما يرتجون من القريب قرابة * الا لطاعة ربهم وهواكا
هذى مشاهدنا التى كانت لنا * معروفة ووليناه مولاكا

وقال عباس بن مرداس أيضا

أماترى ياأم فروة خيلنا * منها معطلة تقاد وظلع
أوهى مقارعة الاعادى دمها * فيها نوافذ من جراح تنبع
فلرب قائلة كفاها وقعنا * أزم الحروب فسربها لا يفزع
لا وفد كالوفد الالى عقدوا لنا * سببا بحبل محمد لا يقطع
وفد أبو قطن حزابة منهم * وأبو الغيوث وواسع والمقنع
والقائد المائة التى وفى بها * تسع المئين فتم ألف أقرع
جمعت بنو عوف ورهط مخاشن * ستا وأجلب من خفاف أربع
فهناك اذ نصر النبى بالفنا * عقد النبى لنا لواء يلمع

وسلم من البطحاء وهو على بغلته فرمى بها أوجه الكفار وقال شاهت الوجوه فانهزموا والمستقبل من شاهت تشاه لان وزنه فعل وفيه ان البغلة حضجت به الى الارض حين أخذ الحفنة ثم قامت به وفسروا حضجت أى ضربت بنفسها الى الارض وألصقت بطنها بالتراب ومنه الحضاج وهو زق مملوء قد أسند الى شىء وأميل اليه والبغلة التى كان عليها يومئذ هى التى تسمى البيضاء وهى التى أهداها اليه فروة بن نفاثة وقد تقدم ذكر الاخرى واسمها دلدل وذكر من أهداها اليه وذكر نداء العباس يامعشر أصحاب السمرة وكان العباس صيتا جهيرا وأصحاب السمرة هم أصحاب بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة وكانت الشجرة سمرة

﴿ فصل ﴾ وذكر الضحاك بن سفيان الكلابى وهو الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن ابى بكر بن كلاب الكلابى يكنى اباسعيد وكان يقوم على رأس النبى صلى الله عليه وسلم متوشحا بالسيف وكان يعد وحده بمائة فارس وكانت بنو سليم يوم حنين تسع مائة فامره عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره انه قد تمهم به الفا واياه اراد عباس بن مرداس بقوله * جند بعثت عليهم الضحاكا * وقال البرقى ليس الضحاك بن سفيان هذا الكلابى انما هو الضحاك بن سفيان السامى وذكر من غير رواية البكائى عن ابن اسحاق نسبه مرفوعا الى بهثة بن سليم ولم يذكر ابو عمر فى الصحابة الا الاول وهو الكلابى فالله اعلم * وذكر شعر عباس بن مرداس الذى اوله

فزنا برايته وأورث عقـده * مجد الحياة وسوددلا ينزع
وغداة نحن مع النبي جناحه * ببطاح مكة والقنا يتهـزع
كانت اجابتنا لداعى ربنا * بالحـق مناحاسر ومقنع
فى كل سابغـة تخير سردها * داوداذ نسج الحديدوتبع
ولنا على بئرى حنين موكب * دمغ النفاق وهضبة ماتقلع
نصر النـبي بناوكنا معشرا * فى كل نائبة نضر وننفع
زرنا غداتئذ هوازن بالقنا * والخيل يغمرها عجاج يسطع
اذخاف حدهم النبي وأسندوا * جمعاتكادالشمس منه تخشع
يدعى بنوجشم ويدعى وسطه * افناء نصروالاسنة شرع (٢٩٦) حـتى اذاقال الرسول محمـد * أبنى سليم

قد وفيتم فارفعوا
رحنا ولولا نحن أجحف باسهم
بالمؤمنين وأحرزواماجمعوا

﴿وقال عباس بن مرداس أيضا فى يوم حنين﴾

عفامجدل من أهله فتالع * فمطلا أريك قدخلا فالمصانع
ديار لنـا ياجمل اذجـل عيشـنا
رخى وصرف الدار للحى جامع
حبيبة ألوت بهـا غربة النوى
لبين فهل ماض من العيش راجع
فان تبتغى الـكفار غـير ملومة
فانى وزير للنبى وتابع
دعانا اليهم خـير وفد علمتهم
خزيمة والمدارمنهم وواسع
فجئنابالف من سليم عليهم * لبوس لهم من نسـج داود رائع
نبايعه بالاخشبين وانما * يدالله بين الاخشبين نبايع
فجسنامع المهدى مكة عنـوة * باسـيافنا والنقع كاب وساطع
علانية والخيل يغشى متونها * حميم وآن من دم الجـوف ناقع
صبرنامع الضحاك لا يستفزنا * قـراع الاعادى منهم والوقائع
عشية ضحاك بن سفيان معتص * بسيف رسول الله والموت كانع
ولـكن دين الله دين محمـد * رضينابه فيـه الهدى والشرائع
اسمه
ويوم حنين حين سارت هوازن * الينا وضاقت بالنفوس الاضالع
أمام رسول الله يخفـق فوقنا * لواء كخذروف السـحابة لامع
نذودأخانا عن أخينا ولونرى * مصالا لـكنا الاقر بين نتابع
أقام به بعـد الضـلالة أمرنا * وليس لامر حمـه الله دافع

* عفامجدل من اهله فتالع * المجدل القصر وهوفى هـذا البيت اسم عـلم لمكان وفيه * فمطلا اريك * المطل يمدو يقصر وهى ارض تعقل الرجـل عن المشى فقيـل انهامفـعال من الطلى وهوالجرى يطلى اى تعقل رجله وقيل ان المطلاء فعلاء من مطلت اذامددت وجمعه مطال فى الامالى

اماتسألان الله ان يسقى الحما * الا فسـقى الله الحمـا فالمطاليا

وفيه نذودأخانا عن اخينا ولونرى * مطالا لـكنا الاقر بين نتابع

يريدانه من بنى سليم وسليم من قيس كما ان هوازن من قيس كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن خصـفة بن قيس فمعنى البيت نقاتل اخوتنا ونذودهم عن اخوتنا من سليم ولونرى فى حكم الدين مطالا مفعلا من الصولة لـكنامع الاقر بين هوازن

ولـكن دين الله دين محمد * رضينابه فيه الهدى والشرائع

وفيه قوله دعانا اليه خير وفد علمتهم * خزيمة والمدارمنهم وواسـع

هؤلاء وفد بنى سليم وفدوا على النبى صـلى الله عليه وسلم فاسلموا ثم دعواقومهم الى الاسلام فذكرفيهم المدار السلمى وواسعا السلمى وخزيمة وهو خزيمة بن جزى اخوحبان بن جزى وكان الدارقطنى يقول فيه جزى بكسر الجيم والزاى * وفيها * يدالله بين الاخشبين نبايع * من قول الله تعالى « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يدالله فوق ايديهم » اقام يد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام يده كما قال صـلى الله عليه وسلم فى الحجر الاسود هو يمين الله فى الارض أقامه فى المصافحة والتقبيل مقام يمـين الملك الذى يصافح بها لان الحاج وافد على الملك الاعلى وزائر بيته فجعـل تقبيله الحجر مصافحة له وكما جعلت يمـين السائل الآخذ للصدقة المتقبلة يمين الرحمن سبحانه ترغيبا فى الصدقة وتبشيرا بقبولها وتعظيما لحرمة من اعطيت له فانما أعطاها المتصدق لله سبحانه واياه سبحانه أقرض فقال سبحانه وتعالى « ويأخـذ الصدقات » وقال صلى الله عليه وسلم انما يضعها فى كف الرحمن يربيها له الحديث * وقول عباس فى الشعر الكافى

ان الاله بنى عليك محبة * فى خلقه ومحمدا سما كا

معنى دقيق وغرض نبيل وتفطن لحكمة نبوية قد بيناها فى غير موضع من هذا الكتاب وغيره فى تسمية الله تعالى لنبيه محمدا وأحمد وانه اسم لم يكن لاحـد من قومه قبله وان أمه أمرت فى المنام أن تسميه محمـدا فوافق معنى الاسم صفة المسمى به موافقة تامة قد بينا شرحها هنالك ولذلك قال بنى عليك محبة لان البناء تركيب على أس فاسس له سـبحانه مقدمات لنبوته منها تسميته بمحمد قبل أن يولد ثم لم يزل يدرجـه فى محامد الاخلاق وماتحبه القلوب من الشيم حتى بلغ الى أعلا المحامد مرتبة وتكاملت له المحبة من الخالق والخليقة وظهر معـنى

﴿وقال عباس بن مرداس أيضا﴾

نقطع باقي وصل أم مؤمل * بعاقبة واستبدلت نية خلفا

وقد حلفت بالله لا تقطع القوى * فما صدقت فيه ولا برت الحلفا

خفاوية بطن العقيق مصيفها * وتحتل في البادين وجرة فالعرفا

فان تتبع الكفار أم مؤمل * فقد زودت قلبي على نأيها شغفا

وسوف ينبيها الخبير بأننا * أبينا ولم نطلب سوى ربنا حلفا

وأنا مع الهادي النبي محمد * وفينا ولم يستوفها معشر ألفا

بفتيان صدق من سليم اعزة * اطاعوا فما يعصون من أمره حرفا

خفاف وذكوان وعوف تخالهم * مصاعب زافت في طروقتها كلفا

كان نسيج الشهب والبيض ملبس * أسودا تلاقت في مراصدها غضفا

بنا عز دين الله غير تنحل * وزدنا على الحي الذي معه ضعفا

بمكة اذ جئنا كان لواءنا * عقاب أرادت بعد تحليقها خطفا

على شخص الابصار تحسب بينها * اذا هي جالت في مراودها عزفا

غداة وطئنا المشركين ولم نجد * لامر رسول الله عدلا ولا صرفا

بمعترك لا يسمع القوم وسطه * لنا زجمة الا التذامر والنقفا

ببيض تطير الهام عن مستقرها * ونقطف أعناق الكماة بها قطفا

فكائن تركنا من قتيل ملحب * وأرملة تدعو على بعلها لهفا

رضا الله ننوي لا رضا الناس نبتغي * ولله ما يبدو جميعا وما يخفى

اسمه فيه على الحقيقة فهو اللبنة التي استتم بها البناء كما أخبر عليه السلام وهذا كله معنى بيت عباس حيث قال ان الاله بنى عليك البيت * وقوله في العينية الاخرى يصف الخيل * أو هي مقارعة الاعادي دمها * يريد شحمها يقال أدم قدرك بودك ودممت الشئ طليته ومنه الدأماء أحد جحرة اليربوع لانه يدمم بابه بقشر رقيق من الارض فلا يراه الصائد فاذا طلب من القاصعاء أو الراهطاء أو النافقاء أو العانقاء وهي الابواب الاخر نطح برأسه باب الداماء فخرقه وأما الدأماء بالتخفيف فهو البحر وهو فعلاء لانه يهمز فيقال دأماء قاله أبو عبيد * وذكر شعر عباس القاوي وفيه * بعاقبة واستبدلت نية خلفا * النية من النوى وهو البعد وخلفا يجوز أن يكون مفعولا من أجله أي فعلت ذلك من أجل الخلف ويجوز أن يكون مصدرا مؤكدا للاستبدال لان استبدالها به خلف منها لما وعدته به ويقوي هذا البيت البيت الذي بعده * وقد حلفت بالله لا تقطع القوى * يعني قوى الحبل والحبل هنا هو العهد ثم قال * فما صدقت فيه ولا برت الحلفا * وهذا هو الخلف المتقدم ذكره * وقوله * وفينا ولم يستوفها معشر ألفا * أي وفينا ألفا ولم يستوفها غيرنا اي لم يستوف هذه العدة غيرنا من القبائل * وقوله * اذا هي جالت في مراودها عزفا يجوز أن يكون جمع مردود وهو الوتد كما قال الآخر يصف طعنة

ومستنة كاستنان الخروف * قد قطع الحبل بالمرود

والخروف هاهنا في قول بعضهم المهر وقال آخرون الفرس يسمى خروفا ومعناه عندي في هذا البيت انها صفة من خرفت الثمرة اذا جنيتها فالفرس خروف للشجر والنبات لا نقول ان الفرس يسمى خروفا في عرف اللغة ولكن خروف في معنى أكول لانه يخرف اي يأكل فهو صفة لكل من فعل ذلك الفعل من الدواب ويجوز ان يكون في مراودها جمع مراد وهو حيث ترود الخيل تذهب وتجيء فرادوم راودمثل مقام ومقاوم ومنار ومناور * وقوله لنا زجمة الا التذامر والنقفا يقال ما زجم رجمة اي ما نبس بكلمة وقوس زجوم أي ضعيفة الارنان وقوله الا التذامر أي يذمر بعضنا بعضا ويحرضه على القتل والنقف كسر الرؤس وناقف الحنظلة كاسرها ومستخرج ما فيها (قال المؤلف) وانما قلنا في هذه القصيدة وفي التي بعدها القاوية والراوية لان النسب الى حروف المعجم التي أواخرها ألف هكذا هو بالواو قاله أبو عبيد وغيره وفي التصغير تقلب ألفها ياء تقول في تصغير باء بيية وخاء خيية وما كان آخره حرفا سالما من هذه الحروف قلبت ألفه واوا في التصغير فتقول في الذال ذويلة وفي الضاد ضويدة وكذلك قال صاحب العين وقياس الواو في النحو ان تصغر اوية بهمزة أولها * وقول عباس في القصيدة الراوية * مثل الحماطة أغضى فوقها الشفر * الحماطة من ورق الشجر ما فيه خشونة وحروشة وقال أبو حنيفة الحماط ورق التين الجبلي وقال أيضا في باب القطاني الحماط تبن الذرة اذا ذريت وله أكال في الجلد والعائر كالشيء يتنخس في العين كانه يعورها وجعله سهرا وانما السهر الرجل لانه لم يفتر عنه فكانه قد سهر ولم ينم كما قال آخر في وصف برق

حتى شئاها كليل موهنا عمل * باتت طرابا وبات الليل لم ينم

شئاها شاقها يقال شاءه وشاقه بمعنى واحد أي شاقه وأنشد * ولقد عهدت تشاء بالاظعان * فتأمله فانه

﴿وقال عباس بن مرداس أيضا﴾

ما بال عينك فيها عائر سهر * مثل الحماطة أغضى فوقها الشفر

عين تأو بهامن شجوها أرق * فالماء يغمرها طوراو ينحدر
كانه نظم در عند ناظمة * تقطع السلك منه فهو منتثر
يابعد منزل من ترجو مودته * ومن أتى دونه الصمان فالحفر
دع ما تقدم من عهد الشباب فقد * ولى الشباب وزار الشيب والزعر
واذكر بلاء سليم فى مواطنها * وفى سليم لاهل الفخر مفتخر
قوم هم نصروا الرحمن واتبعوا * دين الرسول وأمر الناس مشتجر
لا يغرسون فسيل النخل وسطهم * ولا تخاور فى مشتاهم البقر
الا سوابح كالعقبان مقربة * فى دارة حولها الاخطار والعكر
تدعى خفاف وعوف فى جوانبها * وحى ذكوان لا ميل ولا ضجر
الضاربون جنود الشرك ضاحية * ببطن مكة والارواح تبتدر
حتى رفعنا وقتلاهم كانهم * نخل بظاهرة البطحاء منقعر
ونحن يوم حنين كان مشهدنا * للدين عزا وعند الله مدخر
اذ نركب الموت مخضرا بطائنه * والخيل ينجاب عنها ساطع كدر
تحت اللواء مع الضحاك يقدمنا * كما مشى الليث فى غاباته الخدر
فى مأزق من مجر الحرب كلكلها * تكاد تافل منه الشمس والقمر
وقد صبرنا باوطاس أسنتنا * لله ننصر من شئنا وننتصر
حتى تاوب أقوام منازلهم * لولا المليك ولولا نحن ما صدروا
فما ترى معشرا قلوا ولا كثروا * الا قد اصبح منا فيهم أثر

﴿وقال عباس بن مرداس أيضا﴾

يا أيها الرجل الذى تهوى به * وجناء مجمرة المناسم عرمس
اما أتيت على النبى فقل له * حقا عليك اذا اطمان المجلس
ياخير من ركب المطى ومن مشى * فوق التراب اذا تعد الانفس
انا وفينا بالذى عاهدتنا * والخيل تقدع بالكماة وتضرس
اذ سال من أفناء بهثة كلها * جمع تظل به المخارم ترجس
حتى صبحنا أهل مكة فيلقا * شهباء يقدمها الهمام الاشوس
من كل أغلب من سليم فوقه * بيضاء محكمة الدخال وقونس
يروى القناة اذا تجاسر فى الوغى * وتخاله أسدا اذا ما يعبس
يغشى الكتيبة معلما وبكفه * عضب يقد به ولدن مدعس
وعلى حنين قد وفى من جمعنا * ألف أمد به الرسول عرندس
كانوا أمام المؤمنين دريئة * والشمس يومئذ عليهم أشمس
نمضى ويحرسنا الاله بحفظه * والله ليس بضائع من يحرس
ولقد حبسنا بالمناقب محبسا * رضى الاله به فنعم المحبس
وغداة أوطاس شددنا شدة * كفت العدو وقيل منها يا احبسوا
تدعو هوازن بالاخاوة بيننا * ثدى تمد به هوازن أيبس
حتى تركنا جمعهم وكانه * عير تعاقبه السباع مفرس

«قال ابن هشام» أنشدنى خلف الاحمر قوله وقيل منها يحبسوا * قال ابن اسحق وقال عباس بن مرداس أيضا

نصرنا رسول الله من غضب له * بالف كمى لا تعد حواسره
حملنا له فى عامل الرمح راية * يذود بها فى حومة الموت ناصره
ونحن خضبناها دما فهو لونها * غداة حنين يوم صفوان شاجره
وكنا على الاسلام ميمنة له * وكان لنا عقد اللواء وشاهره
وكنا له دون الجنود بطانة * يشاورنا فى أمره ونشاوره
دعانا فسمانا الشعار مقدما * وكنا له عونا على من يناكره
جزى الله خيرا من نبى محمدا * وأيده بالنصر والله ناصره

«قال ابن هشام» أنشدنى من قوله وكنا على الاسلام الى آخرها بعض أهل العلم بالشعر ولم يعرف البيت الذى أوله

* حملنا له فى عامل الرمح راية * وأنشدنى بعض قوله * وكان لنا عقد اللواء وشاهره *
ونحن خضبناه دما فهو لونه * قال ابن اسحق وقال عباس بن مرداس أيضا

من مبلغ الاقوام أن محمدا * رسول الاله راشد حيث يمما
دعا ربه واستنصر الله وحده * فاصبح قد وفى اليه وأنعما
سرينا وواعدنا قديدا محمدا * يؤم بنا أمرا من الله محكما

بديع من المعانى * وقوله الصمان والحفر هما موضعان واليه ينسب أبو داود الحفرى من أهل الحديث والعكر جمع عكرة وهى القطعة الضخمة من المال وعكرة اللسان أيضاً أصله وما غلظ منه وعكدته أيضاً بالدال * وقوله فى السينية وجناء مجمرة المناسم عرمس وجناء غليظة الوجنات بارزتها وذلك يدل على غؤور عينيها وهم يصفون الابل بغؤور العينين عند طول السفار ويقال هى الوجنة فى الآدميين رجل موجن وامرأة موجنة ولا يقال وجناء قاله يعقوب ومجمرة المناسم أى نكبت مناسمها الجمار وهى الحجارة والعرمس الصخرة الصلبة وتشبه بها الناقة الجلدة وقد يريد بمجمرة أيضاً أن مناسمها مجتمعة منضمة فلذلك أقوى لها وقد حكى أجمرت المرأة شعرها اذا ظفرته وأجمر الامير الجيش أى حبسه عن القفول قال الشاعر

معاوى اما أن يجهز أهلنا * الينا واما أن نؤوب معاويا
أأجمرتنا اجمار كسرى جنوده * ومنيتنا حتى نسينا الامانيا

وقوله كانوا أمام المؤمنين دريئة الدريئة الحلقة التى يتعلم عليها الرمى أى كانوا كالدريئة للرماح * وقوله * والشمس يومئذ عليهم أشمس * يريد لمعان الشمس فى كل بيضة من بيضات الحديد والسيوف كانها شمس

تماروا بنا فى الفجر حتى تبينوا * مع الفجر فتيانا وغابا مقوما   على الخيل مشدودا علينا دروعنا * ورجلا كدفاع الأتى عرمرما
فان سراة الحى ان كنت سائلا * سليم وفيهم منهم من تسلما   وجند من الانصار لا يخذلونه * أطاعوا فما يعصونه ما تكلما
فان تك قد أمرت فى القوم خالدا * وقدمته فانه قد تقدما   بجند هداه الله أنت أميره * تصيب به فى الحق من كان أظلما
حلفت يمينا برة لمحمد * فأكملتها ألفا من الخيل ملجما   وقال نبى المؤمنين تقدموا * وحب الينا أن نكون المقدما
وبتنا بنهى المستدير ولم يكن * بنا الخوف الا رغبة وتحزما   أطعناك حتى أسلم الناس كلهم * وحتى صبحنا الجمع أهل يلملما
يضل الحصان الابلق الورد وسطه * ولا يطمئن الشيخ حتى يسوما   سمونا لهم ورد القطا زفه ضحا * وكل تراه عن أخيه قد احجما
لدن غدوة حتى تركنا عشية * حنينا وقد سالت دوامعه دما   اذا شئت من كل رأيت طمرة * وفارسها يهوى ورمحا محطما
وقد أحرزت منا هوازن سربها * وحب اليها أن نخيب ونحرما   * قال ابن اسحق وقال ضمضم بن الحرث بن جشم بن عبد بن
حبيب بن مالك بن عوف بن يقظة بن عصية السلمى فى يوم حنين وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحكم بن خالد بن الشريد فقتل به محجنا
وابن عم له وهما من ثقيف   نحن جلبنا الخيل من غير مجلب * الى جرش من أهل ريان والفم   نقتل اشبال الاسود ونبتغى * طواغى كانت قبلنا لم تهدم
فان تفخروا بابن الشريد فاننى * تركت بوج مأتما بعد مأتم
أباتهما بابن الشريد وغره * جواركم وكان غير مذمم
تصيب رجالا من ثقيف رماحنا * وأسيافنا يكلمنهم كل مكلم

﴿وقال ضمضم بن الحرث أيضا﴾

ابلغ لديك ذوى الحلائل آية * لا تأمنن الدهر ذات خمار
بعد التى قالت لجارة بيتها * قد كنت لولبث الغزى بدار
لما رأت رجلا تسفع لونه * وغر المصيفة والعظام عوارى   مشط العظام تراه آخر ليله * متسربلا فى درعه لغوار
اذلا أزال على رحالة نهدة * جرداء تلحق بالنجاد ازارى   يوما على أثر النهاب وتارة * كتبت مجاهدة مع الانصار
وزهاء كل خميلة أزهقتها * مهلا تمهله وكل خبار   كيما أغير ما بها من حاجة * وتود أنى لا اؤوب فجار
« قال ابن هشام » حدثنى أبو عبيدة قال اسر زهير بن العجوة الهذلى يوم حنين فكتف فرآه جميل بن معمر الجمحى فقال له أنت الماشى لنا
بالمغايظ فضرب عنقه فقال أبو خراش الهذلى يرثيه وكان ابن عمه   عجف اضيافى جميل بن معمر * بذى فجر تأوى اليه الارامل
طويل نجاد السيف ليس بجيدر * اذا اهتز واسترخت عليه الحمائل   تكاد يداه تسلمان ازاره * من الجود لما أذلقته الشمائل
الى بيته ياوى الضريك اذا شتى * ومستنج بالى الدريسين عائل   تروح مقرورا وهبت عشية * لها حدب تحتثه فيوائل
فما بال أهل الدار لم يتصدعوا * وقد بان منها اللوذعى الحلاحل   فاقسم لو لاقيته غير موثق * لآبك بالنعف الضباع الجبائل
وانك لو واجهته أو لقيته * فنازلته أو كنت ممن ينازل   لظل جميل أفحش القوم صرعة * ولكن قرن الظهر للمرء شاغل
فليس كعهد الدار يا أم ثابت * ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل   وعاد الفتى كالشيخ ليس بفاعل * سوى الحق شيأ واستراح العواذل

وهو معنى صحيح وتشبيه مليح * وفيها قوله والخيل تقرع بالكماة وتضرس أى تضرب اضراسها باللجم تقول ضرسته أى ضربت أضراسه كما تقول رأسته أى أصبت رأسه * وقوله فى كلمته الميمية وفيهم منهم من تسلما يريد وفى سليم من اعتزى اليهم من حلفائهم فتسلم بذلك كما تقول تقيس الرجل اذا اعتزى الى قيس أنشد سيبويه * وقيس عيلان ومن تقيسا * وأنشد لضمضم بن الحارث وهو ممن شهد حنينا مع المسلمين وكان ينبغى لابى عمر رحمه الله أن يذكره فى الصحابة لانه من شرطه فلم يفعل وقد أنشد له ابن اسحق مايدل على انه منهم لقوله

يوما على أثر النهاب وتارة * كتبت مجاهدة مع الانصار

يعنى فرسه وكذلك لم يذكر أبو عمر ضمضم بن قتادة العجلى وله حديث مشهور فى قدومه على النبى صلى الله عليه وسلم وذلك انه قال له يارسول الله انى قد تزوجت امرأة فولدت لى غلاما أسود فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هل لك من ابل فقال نعم والحديث مشهور غير انه لم يسم باسمه فى الصحيحين وسمى فى بعض المسندات وذكره عبد الغنى فى المبهمات وذكر عبد الغنى فى الحديث زيادة حسنة قال كانت المرأة من بنى عجل فقدم المدينة عجائز من عجل فسئلن عن المرأة التى ولدت الغلام الاسود فقلن كان فى آبائها رجل اسود * وذكر شعر أبى خراش واسمه خويلد بن مرة شاعر اسلامى مات فى خلافة عمر رحمه الله من نهش حية نهشته كان سببها أضياف نزلوا به وخبره بذلك عجيب وله فيه شعر والخراش وسم الابل يكون من الصدغ الى الذقن فقوله

تكاد يداه تسلمان ازاره * من الجود لما أذلقته الشمائل

وأصبح اخوان الصفاء كأنما * أهال عليهم جانب الترب هائل
فلا تحسبي أنى نسيت لياليا * بمكة اذ لم نعد عما نحاول
اذا الناس ناس والبلاد بعزة * واذ نحن لا تثنى علينا المداخل

* قال ابن اسحق وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره

منع الرقاد فما أغمض ساعة * نعم باجزاع الطريق مخضرم
سائل هوازن هل أضر عدوها * واعين غارمها اذا ما يغرم
وكتيبة لبستها بكتيبة * فئتين منها حاسر وملأم
ومقدم تعيا النفوس لضيقه * قدمته وشهود قومى أعلم
فوردته وتركت اخوانا له * يردون غمرته وغمرته الدم
فاذا انجلت غمراته أورثنني * مجد الحياة ومجد غنم يقسم
كلفتموني ذنب آل محمد * والله أعلم من أعق وأظلم
وخذلتموني اذ أقاتل واحدا * وخذلتموني اذ تقاتل خثعم
واذا بنيت المجد يهدم بعضكم * لا يستوي بان وآخر يهدم
وأقب مخماص الشتاء مسارع * في المجد ينمى للعلا متكرم
أكرهت فيه آلة يزنية * سحجاء يقدمها سنان سلجم
وتركت حنته ترد وليه * وتقول ليس على فلانة مقدم
ونصبت نفسي للرماح مدججا * مثل الدريئة تستحل وتشرم

* قال ابن اسحق وقال قائل في هوازن أيضا يذكر مسيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف بعد اسلامه

اذكر مسيرهم للناس اذ جمعوا * ومالك فوقه الرايات تخفق
ومالك مالك ما فوقه أحد * يوم حنين عليه التاج يأتلق
حتى لقوا الباس حين الباس يقدمهم * عليهم البيض والابدان والدرق
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحدا * حول النبي وحتى جنه الغسق
ثمت نزل جبريل بنصرهم * من السماء فمهزوم ومعتنق
منا ولو غير جبريل يقاتلنا * لمنعتنا اذا أسيافنا العتق

وفاتنا عمر الفاروق اذ هزموا * بطعنة بل منها سرجه العلق

﴿ وقالت امرأة من بني جشم ترثي أخوين لها أصيبا يوم حنين ﴾

أعيني جودا على مالك * معا والعلاء ولا تجمدا
هما القاتلان أبا عامر * وقد كان ذاهبة أربدا
هما تركاه لدى مجسد * ينوء نزيفا وما وسدا

﴿ وقال أبو ثواب زيد بن صحار أحد بني سعد بن بكر ﴾

ألا هل أتاك أن غلبت قريش * هوازن والخطوب لها شروط

غزوة

وكنا يا قريش اذا غضبنا * يجيء من الغضاب دم عبيط
وكنا يا قريش اذا غضبنا * كأن أنوفنا فيها سعوط
فأصبحنا تسوقنا قريش * سياق العير يحدوها النبيط
فلا أنا ان سئلت الخسف آب * ولا أنا ان ألين لهم نشيط
سينقل لحمها في كل فج * وتكتب في مسامعها القطوط

ويروى الخطوط وهذا البيت في رواية ابن سعد « قال ابن هشام » ويقال أبو ثواب زياد بن ثواب وأنشدني خلف الاحمر قوله * يجيء من الغضاب دم عبيط * وآخرها بيتا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بني تميم ثم من بني أسيد فقال

بشرط الله نضرب من لقينا * كأفضل ما رأيت من الشروط
وكنا يا هوازن حين نلقى * نبل الهام من علق عبيط
بجمعكم وجمع بني قصي * نحك البرك كالورق الخبيط
أصبنا من سراتكم وملنا * نقتل في المباين والخليط
به الملتات مفترش يديه * يمج الموت كالبكر النحيط
فان تك قيس عيلان غضابا * فلا ينفك يرغمهم سعوطي

﴿ وقال خديج بن العوجاء النصري ﴾

لما دنونا من حنين ومائه * رأينا سوادا منكر اللون أخصفا
بملمومة شهباء لو قذفوا بها * شماريخ من عزوى اذن عاد صفصفا
ولو أن قومي طاوعتني سراتهم * اذن ما لقينا العارض المتكشفا
اذن ما لقينا جند آل محمد * ثمانين ألفا واستمدوا بخندفا

يريدانه من سخائه يريد أن يتجرد من ازاره لسائله فيسلمه اليه وألفيت بخط أبي الوليد الوقشي الجود ههنا وعلى هذه الرواية وبهذه الرتبة السخاء وكذلك فسره الاصمعي والطوسي واما على ما وقع في شعر الهذلي وفسر في الغريب المصنف فهو الجوع وموضعه في الشعر المذكور يتلو قوله تروح مقرورا وفي الغريب رداءه بدل ازاره * وقوله * ولكن قرن الظهر للمرء شاغل * قرن بالقاف جمعه اقران ويروى ولكن اقران الظهور مقاتل مقاتل جمع مقتل بكسر الميم مثل محرب من الحرب أي من كان قرن ظهر فانه قاتل وغالب * وقوله يصف الريح لها حرب تحته فيوائل بالحاء المهملة وقع في الاصل وقد يسمى انحدار الماء ونحوه حدبا فيكون هذا منه والا فالخدب بالخاء المنقوطة أشبه بمعنى البيت لانهم يقولون ريح خدباء كان بها خدبا وهو الهوج * وذكر في آخر بيت من شعر مالك بن عوف * مثل الدريئة تستحل وتشرم * الدريئة الحلقة التي يتعلم عليها الطعن وهو مهموز وتستحل بالحاء المهملة وقع في الاصل وفي غيره تستخل بالخاء معجمة وهو أظهر في المعنى من الخلال وقد يكون لتستحل وجه من الحل اذ بعده تشرم وكلاهما قريب في المعنى

﴿ غزوة الطائف ﴾

﴿ ذكر غزوة الطائف بعد حنين في سنة ثمان ﴾
ولما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال ولم يشهد حنينا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور . ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف حين فرغ من حنين

ذكر بعض اهل النسب ان الدمون بن الصدف واسم الصدف ملك بن مالك بن مرتع بن كندة من حضرموت أصاب دما من قومه فلحق بثقيف فاقام فيهم وقال لهم ألا أبني لكم حائطا يطيف ببلدكم فبناه فسمي به الطائف ذكره البكرى هكذا قال وانما هو الدمون بن عبيد بن مالك بن دهقل وهو من الصدف وله ابنان أدركا النبي صلى الله عليه وسلم وبايعاه اسم أحدهما الهميل والآخر قبيصة ولم يذكرهما أبو عمر في الصحابة وذكرهما غيره * وذكر ان أصل أعنابها ان قيس بن منبه وهو ثقيف أصاب دما في قومه أيضا وهم اياد ففر الى الحجاز فر بامرأة يهودية فآوته وأقام عندها زمانا ثم انتقل عنها فاعطته قضبانا من الحبلة وامرأته أن يغرسها في أرض وصفتها له فاتى بلاد عدوان وهم سكان الطائف في ذلك الزمان فر بسخيلة جارية عامر بن الظرب العدواني وهي ترعى غنما فاراد سباءها وأخذ الغنم فقالت له الا أدلك على خير مما هممت به اقصد الى سيدي وجاوره فهو أكرم الناس فاتاه فزوجه من بنته زينب بنت عامر فلما جلت عدوان عن الطائف بالحروب التي وقعت بينها أقام قسي وهو ثقيف فمنه تناسل أهل الطائف وسمي قسيا بقسوة قلبه حين قتل أخاه أو ابن عمه وقيل سمي ثقيفا لقولهم فيه ما أثقفه حين ثقف عامرا حتى أمنه وزوجه بنته * وذكر بعض المفسرين وجها آخر في تسميتها بالطائف فقال في الجنة التي ذكرها الله سبحانه في سورة ن حيث يقول « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون » قال كان الطائف جبريل عليه السلام اقتلعها من موضعها فاصبحت كالصريم وهو الليل أصبح موضعها كذلك ثم سار بها الى مكة فطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث الطائف اليوم فسميت باسم الطائف الذي طاف عليها وطاف بها وكانت تلك الجنة بضوارن على فراسخ من صنعاء ومن ثم كان الماء والشجر بالطائف دون ما حولها من الارضين وكانت قصة أصحاب الجنة بعد عيسى بن مريم صلى الله على نبينا وعليه وسلم بيسير ذكر هذا الخبر النقاش وغيره (فان قيل) فاذا كان ثقيف هو قسي بن منبه كما قال ابن اسحق وغيره فكيف قال سيبويه حاكيا عن العرب ثقيف بن قسي فجعله ابنا لقسي (قيل) انما أراد سيبويه ان الحي سمي ثقيفا وهم بنو قسي كما قالوا باهلة بن أعصر وانما هي أمهم ولكن سمي الحي بها ثم قيل فيه ابن اعصر كذلك قالوا ثقيف بن قسي على هذا ويقوي هذا ان سيبويه انما قال حاكيا هؤلاء ثقيف بن قيس

﴿ فصل ﴾ وذكر تعلم أهل الطائف صنعة الدبابات والمجانيق والضبور الدبابة آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون بها الى الاسوار لينقبوها والضبور مثل رؤس الاسفاط يتقي بها في الحرب عند الانصراف وفي العين الضبر جلود يغشى بها خشب يتقي بها في الحرب وفي الحديث عن الزهرى ان الله تبارك وتعالى حين مسخ بني اسرائيل قردة مسخ رمانهم المظ وبرهم الذرة وعنبهم الاراك وجوزهم الضبر وهو من شجر البرية وله ثمر كالجوز لا نفع فيه فهذا معنى آخر غير الاول وقال أبو حنيفة في الضبر انه كالجوز ينور ولا يطعم قال ويقال أظل الظلال ظل الضبرة وظل التنعمة وظل الحجر قال وورقها كبار كثيفة فكان ظلها لذلك الملي وأما المظ الذي تقدم ذكره في الحديث فهو رمان البر ينور ولا يثمر وله جلنار كالزمان يمتص منه المذح وهو عسل كثير يشبع من امتصه حتى يملأ بطنه ذكره أبو حنيفة في النبات وأما المجانيق فمعروفة وهي أعجمية عربتها العرب قال كراع كل كلمة فيها جيم وقاف أو جيم وكاف فهي أعجمية وذلك كالجوالق والجولق وجلق والكيلجة وهي مكيال صغير والكنفجلار وهي المغرفة والقبج وهو الحجل وما كان نحو ذلك والميم في منجنيق أصلية عند سيبويه والنون زائدة ولذلك سقطت في الجمع

فقال كعب بن مالك حين أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير الى الطائف قضينا من تهامة كل ريب * وخيبر ثم أجممنا السيوفا

نخبرها ولو نطقت لقالت * قواطعهن دوسا أو ثقيفا فلست لحاضن ان لم تروها * بساحة داركم منا ألوفا

وتنتزع العروش ببطن وج * وتصبح دوركم منكم خلوفا ويأتيكم لنا سرعان خيل * يغادر خلفه جمعا كثيفا

اذا نزلوا بساحتكم سمعتم * لها مما أناخ بها رجيفا بأيديهم قواضب مرهفات * يزرن المصطلين بها الحتوفا

كأمثال العقائق أخلصتها * قيون الهند لم تضرب كتيفا تخال جدية الابطال فيها * غداة الزحف جاديا مدوفا

أجدهم أليس لهم نصيح * من الاقوام كان بنا عريفا يخبرهم بانا قد جمعنا * عتاق الخيل والنجب الطروفا

وانا قد أتيناهم بزحف * يحيط بسور حصنهم صفوفا رئيسهم النبي وكان صلبا * نقي القلب مصطبرا عزوفا

رشيد الامر ذا حكم وعلم * وحلم لم يكن نزقا خفيفا نطيع نبينا ونطيع ربا * هو الرحمن كان بنا رؤفا

فان تلقوا الينا السلم نقبل * ونجعلكم لنا عضدا وريفا وان تأبوا نجاهدكم ونصبر * ولا يك أمرنا رعشا ضعيفا

نجالد مابقينا أو تنيبوا * الى الاسلام اذعانا مضيفا (٣٠٢) نجاهد لا نبالى من لقينا * أأهلكنا التلاد أم الطريفا

وكم من معشر ألبوا علينا * صميم الجذم منهم والحليفا

أتونا لا يرون لهم كفاء * فجدعنا المسامع والانوفا

بكل مهند لين صقيل * نسوقهم بها سوقا عنيفا

لامر الله والاسلام حتى * يقوم الدين معتدلا حنيفا

وننسى اللات والعزى وودا * ونسلبها القلائد والشنوفا

فامسوا قد أقروا واطمأنوا * ومن لا يمتنع يقبل خسوفا

﴿ فاجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير فقال ﴾

من كان يبغينا يريد قتالنا * فانا بدار معلم لا نريمها وجدنا بها الآباء من قبل ما ترى * وكانت لنا أطواؤها وكرومها

(فصل)

وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر * فأخبرها ذو رأيها وحليمها وقد علمت ان قالت الحق اننا * اذا ما أبت صعر الخدود نقيمها

نقومها حتى يلين شريسها * ويعرف للحق المبين ظلومها علينا دلاص من تراث محرق * كلون السماء زينتها نجومها

نرفعها عنا ببيض صوارم * اذا جردت فى غمرة لا نشيمها قال ابن اسحق وقال شداد بن عارض الجشمى فى مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها * وكيف ينصر من هو ليس ينتصر ان التى حرقت بالسد فاشتعلت *

ولم تقاتل لدى أحجارها هدر * ان الرسول متى ينزل بلادكم يظعن وليس بها من أهلها بشر

قال ابن اسحق فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخلة اليمانية ثم على قرن ثم على المليح ثم على بحرة الرغاء من لية فابتنى بها مسجدا فصلى فيه * قال ابن اسحق فحدثنى عمرو بن شعيب انه أقاد يومئذ ببحرة الرغاء حين نزلها بدم وهو أول دم اقيد به فى الاسلام رجل من بنى ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بلية بحصن مالك بن عوف فهدم ثم سلك فى طريق يقال لها الضيقة

وذكر شعر كعب وفيه * وكم من معشر ألبوا علينا * أى جمعوا وصميم الجذم مفعول بألبوا وفيه يصف السيوف

كأمثال العقائق أخلصتها * قيون الهند لم تضرب كتيفا

العقائق جمع عقيقة وهو البرق تنعق عنه السحاب * وقوله لم تضرب كتيفا جمع كتيفة وهى صحيفة من حديد صغيرة وأصل الكتيف الضيق من كل شىء * وذكر شعر كنانة بن عبد ياليل الثقفى وفيه * وكانت لنا أطواؤها وكرومها * الاطواء جمع طوى وهى البئر جمعت على غير قياس توهموا اسقوط ياء فعيل منها اذ كانت زائدة * وفيها * وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر * انما قال هذا اجوابا للانصار لانهم بنو حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر وعمرو هو مزيقياء وعامر هو ماء السماء ولم يرد ان الانصار جربتهم قبل ذلك وانما أراد اخوتهم وهم خزاعة لانهم بنو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر فى أحد القولين وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة وقال البكرى فى معنى هذا البيت انما أراد بنى عمرو بن عامر بن صعصعة وكانوا مجاورين لثقيف وامهم عمرة بنت عامر بن الظرب العدوانى واختها زينب كانت تحت ثقيف وأكثر قبائل ثقيف منها وكانت ثقيف قد أنزلت بنى عمرو بن عامر فى أرضهم ليعملوا فيها ويكون لهم النصف فى الزرع والثمر ثم ان ثقيفا منعتهم ذلك وتحصنوا منهم بالحائط الذى بنوه حول حاضرهم فحاربتهم بنو عمرو بن عامر فلم يظفروا منهم بشىء وجلوا عن تلك البلاد ولذلك يقول كنانة * وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر * البيت ذكره البكرى فى خبر طويل لخصته

فلما توجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سال عن اسمها فقال ما اسم هذه الطريق فقيل له الضيقة فقال بل هي اليسرى ثم خرج منها على نخب حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة قريبا من مال رجل من ثقيف فأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أن تخرج واما أن نخرب عليك حائطك فأبى أن يخرج فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باخرابه ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريبا من الطائف فضرب به عسكره فقتل ناس من أصحابه بالنبل وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فكانت النبل تنالهم ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم أغلقوه دونهم فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة «قال ابن هشام» ويقال سبع عشرة ليلة * قال ابن اسحق ومعه امراتان من نسائه احداهما أم سلمة ابنة أبي أمية فضرب لهما قبتين ثم صلى بين القبتين ثم أقام فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك مسجدا وكانت في ذلك المسجد سارية فيما يزعمون لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر الا سمع لها نقيض فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلهم قتالا شديدا وتراموا بالنبل «قال ابن هشام» ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق حدثني من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى في الاسلام بالمنجنيق رمى أهل الطائف * قال ابن اسحق حتى اذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابة ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليخرقوه فارسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة الى الطائف فناديا ثقيفا ان أمنونا حتى نكلمكم فامنوهما فدعوا نساء من نساء قريش وبني كنانة ليخرجن اليهما وهما يخافان عليهن السباء فابين منهن آمنة بنت أبي سفيان كانت عند عروة بن مسعود له منها داود بن عروة «قال ابن هشام» ويقال ان أم داود ميمونة بنت أبي سفيان وكانت عند أبي مرة بن عروة بن مسعود فولدت له داود بن أبي مرة * قال ابن اسحق والفراسية بنت سويد بن عمرو بن ثعلبة لها عبد الرحمن بن قارب والفقيمة أميمة بنت الناسي أمية بن قلع فلما أبين عليهما قال لهما ابن الاسود بن مسعود يا أبا سفيان ويا مغيرة ألا أدلكما على خير مما جئتما له ان مال بني الاسود بن مسعود حيث قد علمتما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الطائف نازلا بواد يقال له العقيق انه ليس بالطائف مال أبعد رشاء ولا أشد مؤنة ولا أبعد عمارة من مال بني الاسود وان محمدا ان قطعه لم يعمر أبدا فكلماه فليأخذه لنفسه أوليدعه لله والرحم فان بيننا وبينه من القرابة ما لا يجهل فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم وقد بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا يا أبا بكر اني رأيت اني أهديت لي قعبة مملوءة زبدا فنقرها ديك فهراق ما فيها فقال أبو بكر ما اظن ان تدرك منهم يومك هذا ما تريد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا لا أرى ذلك ثم ان خويلة ابنة حكيم بن أمية ابن حارثة بن الاوقص السلمية وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت يا رسول الله اعطني ان فتح الله عليك الطائف حلي بادية ابنة غيلان ابن سلمة أو حلي الفارعة بنت عقيل وكانتا من أحلى نساء ثقيف فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها وان كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة فخرجت خويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث حدثتنيه خويلة زعمت

﴿فصل﴾ وذكر حصار الطائف وان أول من رمى بالمنجنيق في الاسلام النبي صلى الله عليه وسلم (قال المؤلف) وأما في الجاهلية فيذكر أن جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس وهو المعروف بالابرش أول من رمى بالمنجنيق وكان من ملوك الطوائف وكان يعرف بالوضاح ويقال له أيضا منادم الفرقدين لانه ربأ بنفسه عن منادمة الناس فكان اذا شرب نادم الفرقدين عجبا بنفسه ثم نادم بعد ذلك مالكا وعقيلا اللذين يقول فيهما متمم

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

ويذكر أيضا انه أول من أوقد الشمع * وذكر حلي بادية بنت غيلان وهو غيلان بن سلمة الثقفي وهو الذي أسلم وعنده عشر نسوة فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يمسك أربعا ويفارق سائرهن فقال فقهاء الحجاز يختار أربعا وقال فقهاء العراق بل يمسك التي تزوج أولا ثم التي تليها الى الرابعة واحتج فقهاء الحجاز بان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستفصله أيتهن تزوج أول وتركه للاستفصال دليل على انه مخير حتى جعل الاصوليون منهم هذا أصلا من أصول العموم فقال أبو المعالي في كتاب البرهان ترك الاستفصال في حكايات الاحوال مع الاحتمال يتنزل منزلة العموم في المقال كحديث غيلان وغيلان هذا هو الذي قدم على كسرى فسأله أي ولده أحب اليه فقال غيلان الغائب حتى يقدم والمريض حتى يفيق والصغير حتى يكبر فقال له كسرى ما غذاءك

انك قلته قال قد قلته قال أوما أذن لك فيهم يارسول الله قال لا قال أفلا أؤذن بالرحيل قال بلى قال فاذن عمر بالرحيل فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج الا ان الحى مقيم قال يقول عيينة بن حصن أجل والله مجدة كراما فقال له رجل من المسلمين قاتلك الله ياعيينة أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئت تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى والله ماجئت لاقاتل ثقيفا معكم ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف فاصيب من ثقيف جارية أتطئها لعلها تلد لى رجلا فان ثقيفا قوم مناكير ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقامته ممن كان محاصرا بالطائف عبيد فاسلموا فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن مكدم عن رجال من ثقيف قالوا لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم فى أولئك العبيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أولئك عتقاء الله وكان ممن تكلم فيهم الحرث بن كلدة «قال ابن هشام» وقد سمى ابن اسحق من نزل من أولئك العبيد *قال ابن اسحق وقد كانت ثقيف أصابت أهلا لمروان بن قيس الدوسى وكان قد أسلم وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف فزعمت ثقيف وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمروان بن قيس خذ يامروان باهلك أول رجل تلقاه من قيس فلقى أبى بن مالك القشيرى فأخذه حتى يؤدوا اليه أهله فقام فى ذلك الضحاك بن سفيان الكلابى فكلم ثقيفا حتى أرسلوا أهل مروان وأطلق لهم أبى بن مالك فقال الضحاك بن سفيان فى شىء كان بينه و بين أبى بن مالك

أتنسى بلائى يا أبى بن مالك * غداة الرسول معرض عنك أشوس
يقودك مروان بن قيس بحبله * ذليلا كما قيد الذليل المخيس
فعادت عليك من ثقيف عصابة * متى يأتهم مستقبس الشر يقبسوا
فكانوا هم المولى فعادت حلومهم * عليك وقد كادت بك النفس تياس

«قال ابن هشام» يقبسوا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وهذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف من قريش ثم من بنى أمية بن عبد شمس سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية وعرفطة بن جناب حليف لهم من الاسد بن الغوث «قال ابن هشام» و يقال ابن حباب *قال ابن اسحق *ومن بنى تيم بن مرة عبد الله بن أبى بكر الصديق رمى بسهم فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومن بنى مخزوم عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة من رمية رميها يومئذ ومن بنى عدى بن كعب عبد الله بن عامر بن ربيعة حليف لهم * ومن بنى سهم بن عمرو السائب بن الحرث بن قيس بن عدى وأخوه عبد الله بن الحرث * ومن بنى سعد بن ليث

فى بلدك قال الخبر قال هذا عقل الخبر تفضيلا لعقله على عقول أهل الوبر ونسب المبرد هذه الحكاية مع كسرى الى هوذة بن على الحنفى والصحيح عند الاخباريين ماقدمناه وكذلك قال أبو الفرج وأما بادية ابنته فقد قيل فيها بادنة بالنون والصحيح بالياء وكذلك روى عن مالك وهى التى قال فيها هيت المخنث لعبد الله بن أبى أمية ان فتح الله عليكم الطائف فانى أدلك على بادية بنت غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان فسمعه النبى صلى الله عليه وسلم فقال قاتلك الله لقد أمعنت النظر وقال لا يدخلن هؤلاء عليكن ثم نفاه الى روضة خاخ فقيل انه يموت بها جوعا فاذن له أن يدخل المدينة كل جمعة يسئل الناس وروى فى الحديث زيادة لم تقع فى الصحيح بعد قوله وتدبر بثمان مع ثغر كالاقحوان ان قامت تثنت وان قعدت تبنت وان تكلمت تغنت يعنى من الغنة والاصل تغننت فقلبت احدى النونين ياء وهى هيفاء شموع نجلاء كما قال قيس بن الخطيم

بيضاء فرعاء يستضاء بها * كأنها خوط بانة قصف
تغترق الطرف وهى لاهية * كأنما شف وجهها نزف
تنام عن كبر شأنها فاذا قا * مت رويدا تكاد تنغرف

وفى هذا البيت صحف ابن دريد أعنى قوله تغترق فقال هو بالعين المهملة حتى هجى بذلك فقيل

ألست قدما جعلت تعترق الـ * ـطرف بجهل مكان تغترق
وقلت كان الخباء من أدم * وهو حباء يهدى ويصطدق

وكان صحف أيضا قول مهلهل فقال فيه الخباء وبادية هذه كانت تحت عبد الرحمن بن عوف فولدت له جويرية وهى امرأة المسور بن مخرمة وكان المخنثون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة هيت هذا وهرم وماتع وانه ولم يكونوا يزنون بالفاحشة الكبرى وانما كان تأنيثهم لينا فى القول وخضابا فى الايدى والارجل كخضاب النساء ولعبا كلعبهن وربما لعب بعضهم بالكرج وفى مراسيل أبى داود أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى لاعبا يلعب بالكرج فقال لولا انى رأيت هذا يلعب به على عهد النبى صلى الله عليه وسلم لنفيته من المدينة * وذكر عيينة بن حصن واسمه حذيفة وانما قيل له عيينة لشتر كان بعينه * وذكر العبيد الذين نزلوا من الطائف ولم يسمهم ومنهم أبو بكرة نفيع بن مسروح تدلى من سور الطائف على بكرة فكنى أبا بكرة

جليحة بن عبد الله * واستشهد من الانصار من بني سلمة ثابت بن الجذع * ومن بني مازن بن النجار الحرث بن سهل بن أبي صعصعة * ومن بني ساعدة المنذر بن عبد الله * ومن الاوس رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا سبعة من قريش وأربعة من الانصار ورجل من بني ليث فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف بعد القتال والحصار قال بجير بن زهير ابن أبي سلمى يذكر حنيننا والطائف

كانت علالة يوم بطن حنين وغداة أوطاس ويوم الابرق
جمعت باغواء هوازن جمعها * فتبددوا كالطائر المتمزق
لم يمنعوا منا مقاما واحدا * الا جدارهم وبطن الخندق
ولقد تعرضنا لكيما يخرجوا * فتحصنوا منا بباب مغلق
ترتد حسرانا الى رجراجة * شهباء تلمع بالمنايا فيلق
ملمومة خضراء لو قذفوا بها حصنا لظل كأنه لم يخلق
مشى الضراء على الهراس كأننا قدر تفرق في القياد وتلتقي
في كل سابغة اذا ما استحصنت كالنهي هبت ريحه المترقرق
جدل تمس فضولهن نعالنا من نسج داود وآل محرق

﴿ أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها وانعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ﴾ ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن

بكرة وهو من أفاضل الصحابة ومات بالبصرة ومنهم الازرق وكان عبدا للحارث بن كلدة المتطبب وهو زوج سمية مولاة الحارث أم زياد بن أبي سفيان وأم سلمة بن الازرق وبنو سلمة بن الازرق ولهم صيت وذكر بالمدينة وقد انتسبوا الى غسان وغلط ابن قتيبة في المعارف فجعل سمية هذه المذكورة أم عمار بن ياسر وجعل سلمة بن الازرق أخا عمار بن ياسر لامه وقد ذكر ان الازرق خرج من الطائف فاسلم وسمية قد كانت قبل ذلك بزمان قتلها أبو جهل وهي اذ ذاك تحت ياسر أبي عمار كما تقدم في باب المبعث فتبين غلط ابن قتيبة ووهمه وكذلك قال أبو عمر النمري كما قلت ومن أولئك العبيد المنبعث وكان اسمه المضطجع فبدل النبي صلى الله عليه وسلم اسمه وكان عبدا لعثمان بن عامر بن معتب * ومنهم يحنس النبال وكان عبدا لبعض آل يسار * ومنهم وردان جد الفرات بن زيد بن وردان وكان لعبد الله بن ربيعة بن خرشة وابراهيم ابن جابر وكان أيضا لخرشة وجعل النبي صلى الله عليه وسلم ولاء هؤلاء العبيد لسادتهم حين أسلموا كل هذا ذكره ابن اسحق في غير رواية ابن هشام * وذكر أبو عمر فيهم نافع بن مسروح وهو أخو نفيع أبي بكرة ويقال فيه وفي أخيه ابن الحارث بن كلدة * وذكر ابن سلام فيهم نافعا مولى غيلان بن سلمة الثقفي وذكر أن ولاءه رجع الى غيلان حين أسلم وأحسبه وهما من ابن سلام أو ممن رواه عنه وانما المعروف نافع ابن غيلان والله أعلم * وذكر شعر بجير بن زهير بن أبي سلمى واسم أبي سلمى ربيعة وهو من بني لاطم بن عثمان وهم مزينة عرفوا بامهم وقد قدمنا انها بنت كلب بن وبرة وان أختها الحوأب وبها سمي ماء الحوأب وعثمان هو ابن ادبن طابخة * وقوله كانت علالة يوم بطن حنين هذا من الاقواء الذي تقدم ذكره وهو ان ينقص حرفا من آخر القسيم الاول من الكامل وهو الذي كان الاصمعي يسميه المقعد * وقوله كانت علالة العلالة جري بعد جري أو قتال بعد قتال يريد ان هوازن جمعت جمعها علالة في ذلك اليوم وحذف التنوين من علالة ضرورة وأضمر في كانت اسمها وهو القصة وان كانت الرواية بخفض يوم فهو أولى من التزام الضرورة القبيحة بالنصب ولكن ألفيته في النسخة المقيدة واذا كان اليوم مخفوضا بالاضافة جاز في علالة ان يكون منصوبا على خبر كان فيكون اسمها عائدا على شيء تقدم ذكره ويجوز الرفع في علالة مع اضافتها الى يوم على ان تكون كان تامة مكتفية باسم واحد ويجوز ان تجعلها اسما علما للمصدر مثل برة وفجار وينصب يوم على الظرف كما تقيد في النسخة * وقوله ترتد حسرانا جمع حسير وهو الكليل والرجراجة الكتيبة الضخمة من الرجرجة وهي شدة الحركة والاضطراب وفيلق من الفلق وهي الداهية والهراس شوك معروف والضراء الكلاب وهي اذا مشت في الهراس ابتغت لايديها موضعا ثم تضع أرجلها في موضع أيديها شبه الخيل بها والقدر الوعول المسنة والنهي والنهي الغدير سمي بذلك لانه ماء نهاه ما ارتفع من الارض عن السيلان فوقف * وقوله جدل جمع جدلاء وهي الشديدة الفتل ومن رواه جدل فمعناه ذات جدل * وقوله وآل محرق يعني عمرو بن هند ملك الحيرة وقد تقدم في أول الكتاب سبب تسميته بمحرق وفي زمانه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهذا ذكروا والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر انصراف النبي صلى الله عليه وسلم عن الطائف على دحنا ودحنا هذه هي التي خلق من تربها آدم صلى الله على نبينا وعليه وفي الحديث ان الله خلق آدم من دحنا ومسح ظهره بنعمان الاراك رواه ابن عباس وكان مسح ظهر آدم بعد خروجه من الجنة باتفاق من الروايات واختلفت الرواية في مسح ظهره فروي ما تقدم وهو أصح وروي ان ذلك كان في سماء الدنيا قبل هبوطه الى الارض وهو قول السدي وكلتا الروايتين ذكرهما الطبري * وقوله حتى نزل الجعرانة بسكون العين فيها هو أصح الروايتين وقد ذكر

معه من الناس ومعه من هوازن سبي كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف يارسول ادع عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد ثقيفا وائت بهم ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبي هوازن ستة آلاف من الذرارى والنساء ومن الابل والشاء مالا يدرى ماعدته * قال ابن اسحق فحدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو أن وفد هوازن أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا فقالوا يارسول الله انا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك قال وقام رجل من هوازن (٣٠٦) ثم أحد بنى سعد بن بكر يقال له زهير يكنى أبا صرد فقال يارسول الله انما فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك ولو أنا ملحنا للحرث بن أبى شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين «قال ابن هشام» ويروى ولو أنا مالحنا الحرث بن أبى شمر أو النعمان بن المنذر قال ابن اسحق فحدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم ام اموالكم فقالوا يارسول الله خيرتنا بين اموالنا واحسابنا بل تردالينا نساءنا وابناءنا فهو أحب الينا فقال لهم اماما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم واذا ما انا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين و بالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك واسأل لكم

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن أما أنا وبنو فزارة فلا وقال عباس بن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول عباس بن مرداس لبنى سليم وهنتمونى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ست فرائض من أول سبي أصيبه فردوا الى الناس ابناءهم ونساءهم

الخطابى ان كثيرا من أهل الحديث يشددون الراء وقد ذكر ان المرأة التى نقضت غزلها من بعد قوة كانت تلقب بالجعرانة واسمها ريطة بنت سعد وان الموضع يسمى بها والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر زهيرا أبا صرد وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم ولو انا ملحنا للحارث بن أبى شمر أو للنعمان ابن المنذر وقد تقدم فى أول الكتاب التعريف بالحارث وبالنعمان وملحنا أرضعنا والملح الرضاع قال الشاعر

فلا يبعد الله رب العبا * د والملح ماولدت خالده
هم المطعمو الضيف شحم السنا * م والكاسرو الليلة البارده
وهم يكسرون صدور القنا * بالخيل تطرد أو طارده
فان يكن الموت أفناهم * فللموت ما تلد الوالده

وأما زهير الذى ذكره فهو ابن صرد يكنى أبا صرد وقيل أبا جرول وكان من رؤساء بنى جشم ولم يذكر ابن اسحق شعره فى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم فى رواية البكائى وذكره فى رواية ابراهيم بن سعد عنه وهو

أمنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر * ممزق شملها فى دهرها غير
ياخير طفل ومولود ومنتخب * فى العالمين اذا ماحصل البشر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها * ياأرجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذ فوك تملأه من محضها الدرر
اذ كنت طفلا صغيرا كنت ترضعها * واذ يزينك ماتأتى وماتذر
لاتجعلنا كمن شالت نعامته * واستبق منا فانا معشر زهر
ياخير من مرحت كمت الجياد به * عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
انا لنشكر آلاء وان كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
انا نؤمل منك عفوا تلبسه * هذى البرية اذ تعفو وتنتصر
فاغفر عفا الله عما أنت راهبه * يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

﴿ فصل ﴾ وذكر رد السبايا الى هوازن وانه من لم تطب نفسه بالرد عوضه مما كان بيده واستطاب نفوس الباقين وذلك ان المقاسم كانت قد وقعت فيهم ولا يجوز للامام أن يمن على الاسرى بعد القسم ويجوز له ذلك قبل المقاسم كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم باهل خيبر حين من عليهم وتركهم عمالا للمسلمين فى أرضهم

التى

* قال ابن اسحق وحدثنى أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى على بن أبى طالب رضى الله عنه جارية يقال لها ريطة بنت هلال بن حيان بن عميرة بن هلال بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان واعطى عمر بن الخطاب جارية فوهبها لعبد الله بن عمر ابنه * قال ابن اسحق فحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر قال بعثت بها الى اخوالى من بنى جمح ليصلحوا لى منها ويهيؤها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم وأنا أريد أن أصيبها اذا رجعت اليها قال فخرجت من المسجد حين فرغت فاذا الناس يشتدون فقلت ماشأنكم قالوا رد علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وابناءنا فقلت تلكم صاحبتكم فى بنى جمح فاذهبوا فخذوها فذهبوا اليها فأخذوها * قال ابن اسحق وأما عيينة بن حصن فاخذ عجوزا من عجائز هوازن وقال حين أخذها أرى عجوزا انى احسب لها فى الحى نسبا وعسى ان يعظم فداؤها فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض أبى أن يردها فقال له زهير أبو صرد خذها عنك فوالله مافوها ببارد ولا ثديها بناهد ولا بطنها بوالد ولا زوجها بواجد ولا درها بماكد فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال فزعموا ان عيينة لقى الاقرع بن حابس فشكا اليه ذلك فقال انك والله ما أخذتها بيضاء غريرة ولا نصفا وثيرة * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل فقالوا هو بالطائف مع ثقيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروا مالكا انه ان أتانى مسلما رددت اليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فاتى مالك بذلك فخرج اليه من الطائف وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه ان يعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال فيحبسوه فامر براحلته فهيئت له وأمر بفرس له فاتى به الى الطائف فخرج ليلا فجلس على فرسه فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فادركه بالجعرانة أو بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الابل وأسلم فحسن اسلامه فقال مالك بن عوف حين أسلم

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * فى الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل اذا اجتدى * ومتى تشأ يخبرك عما فى غد
واذا الكتيبة عردت أنيابها * بالسمهرى وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشباله * وسط الهباءة خادر فى مرصد

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وتلك القبائل ثمالة وسلمة وفهم فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح الا أغار عليه حتى ضيق عليهم فقال أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى

هابت الاعداء جانبنا * ثم تغزونا بنو سلمة
وأتانا مالك بهم * ناقضا للعهد والحرمه
وأتونا فى منازلنا * ولقد كنا أولى نقمه

قال ابن اسحق ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبايا حنين الى أهلها ركب واتبعه الناس يقولون يارسول الله اقسم علينا فيئنا من الابل والغنم حتى الجؤه الى شجرة فاختطفت عنه رداءه فقال ردوا على ردائى أيها الناس فوالله ان لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جبانا ولا كذوبا ثم قام الى جنب بعير فاخذ وبرة من سنامه فجعلها بين أصبعيه ثم رفعها ثم قال أيها الناس والله مالى من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم

التى افتتحوها عنوة كذلك قال أبو عبيد قال ولا يجوز للامام ان يمن عليهم فيردهم الى دار الحرب ولكن على ان يؤدوا الجزية ويكونوا تحت حكم المسلمين قال والامام مخير فى الاسرى بين القتل والفداء والمن والاسترقاق والفداء بالنفوس لا بالمال كذلك قال أكثر الفقهاء هذا فى الرجال وأما الذرارى والنساء فليس الا الاسترقاق أو المفاداة بالنفوس دون المال كما تقدم * وذكر الجارية التى أعطيها عبد الله بن عمر وانه بعث بها الى اخواله من بنى جمح ليصلحوا له منها كى يصيبها وهذا لانها كانت قد أسلمت لانه لا يجوز وطء وثنية ولا مجوسية بملك يمين ولا بنكاح حتى تسلم وان كانت ذات زوج فلابد أيضا من استبرائها وأما الكتابيات فلا خلاف فى جواز وطئهن بملك اليمين وقد روى عن طائفة من التابعين منهم عمرو بن دينار اباحة وطء المجوسية والوثنية بملك اليمين وقول الله تعالى «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن» تحريم عام الا ما خصصته آية المائدة من الكتابيات والنكاح يقع على الوطء بالعقد والملك وكان سبى حنين ستة آلاف رأس وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد ولى أبا سفيان بن حرب أمرهم وجعله أمينا عليهم قاله الزبير وفى حديث آخر ذكره الزبير باسناد حسن ان أبا جهم بن حذيفة العدوى كان على الانفال يوم حنين فجاءه خالد بن البرصاء فاخذ من الانفال زمام شعر فمانعه أبو جهم فلما تمانعا ضربه أبو جهم بالقوس فشجه منقلة فاستعدى عليه خالد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له خذ خمسين شاة ودعه فقال أقدنى منه فقال خذ مائة ودعه فقال أقدنى منه فقال خذ خمسين ومائة ودعه وليس لك الا ذلك ولا أقصك من وال عليك فقومت الخمسون والمائة بخمس عشرة فريضة من الابل فمن هنالك جعلت دية المنقلة خمس عشرة فريضة

فادوا الخياط والمخيط فان الغلول يكون على أهله عارا ونارا وشنارا يوم القيامة قال فجاء رجل من الانصار بكبة من خيوط شعر فقال يارسول الله أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لى دبر فقال أما نصيبى منها فلك قال أما اذا بلغت هذا فلا حاجة لى بها ثم طرحها من يده « قال ابن هشام » وذكر زيد بن أسلم عن أبيه أن عقيل بن أبى طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة ابنة شيبة بن ربيعة وسيفه متلطخ دما فقالت انى قد عرفت أنك قد قاتلت فماذا أصبت من غنائم المشركين فقال دونك هذه الابرة تخيطين بها ثيابك فدفعها اليها فسمع منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شيأ فليرده حتى الخياط والمخيط فرجع عقيل فقال ما أرى ابرتك الا قد ذهبت فأخذها فألقاها فى الغنائم * قال ابن اسحق وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم وكانوا أشرافا من أشراف الناس يتألفهم ويتألف بهم قومهم فأعطى أباسفيان بن حرب مائة بعير وأعطى ابنه معاوية مائة بعير وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير وأعطى الحرث بن الحرث بن كلدة أخا بنى عبد الدار مائة بعير « قال ابن هشام » نضير بن الحرث بن كلدة ويجوز أن يكون اسمه الحرث أيضا * قال ابن اسحق وأعطى الحرث بن هشام مائة بعير واعطى سهيل بن عمرو مائة بعير واعطى حويطب بن عبد العزى بن ابى قيس مائة بعير واعطى العلاء بن جارية الثقفى حليف بنى زهرة مائة بعير واعطى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر مائة بعير واعطى الاقرع بن حابس التميمى مائة بعير واعطى مالك بن ها بت
عوف النصرى مائة بعير واعطى صفوان بن أمية مائة بعير فهؤلاء أصحاب المئين واعطى دون المائة رجالا من قريش منهم مخرمة بن نوفل الزهرى وعمير بن وهب الجمحى وهشام بن عمرو اخو بنى عامر بن لؤى لا احفظ ما اعطاهم وقد عرفت انها دون المائة واعطى سعيد بن يربوع ابن عنكثة بن عامر بن مخزوم خمسين من الابل واعطى السهمى خمسين من الابل « قال ابن هشام » واسمه عدى بن قيس * قال ابن اسحق

﴿ فصل ﴾ وأما اعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين حتى تكلمت الانصار فى ذلك وكثرت منهم القالة وقالت يعطى صناديد العرب ولا يعطينا وأسيافنا تقطر من دمائهم فللعلماء فى هذه المسئلة ثلاثة أقوال احدها أنه أعطاهم من خمس الخمس وهذا القول مردود لان خمس الخمس ملك له ولا كلام لاحد فيه (القول الثانى) أنه أعطاهم من رأس الغنيمة وان ذلك خصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى قل الانفال لله والرسول وهذا القول أيضا يرده ما تقدم من نسخ هذه الآية وقد تقدم الكلام عليها فى غزوة بدر غير ان بعض العلماء احتج لهذا القول بان الانصار لما انهزموا يوم حنين فأيد الله رسوله وأمده بملائكته فلم يرجعوا حتى كان الفتح رد الله تعالى أمر المغانم الى رسوله من أجل ذلك فلم يعطهم منها شيأ وقال لهم ألا ترضون يامعشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم فطيب نفوسهم بذلك بعد ما فعل ما أمر به (والقول الثالث) وهو الذى اختاره أبو عبيد ان اعطاءهم كان من الخمس حيث يرى أن فيه مصلحة للمسلمين

﴿ فصل ﴾ ومما لم يذكر ابن اسحق يوم حنين أن خالد بن الوليد أثقل بالجراحة يومئذ فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم يقول من يدلنى على رحل خالد حتى دل عليه فوجده قد أسند الى مؤخرة رحله فنفث على جرحه فبرئ ذكره الكشى

﴿ فصل ﴾ وذكر عيينة بن حصن وقول زهير بن صرد له فى العجوز التى أخذها ما فوها ببارد ولا ثديها بناهد ولا درها بماكد ويقال أيضا بناكد يريد ليست بغزيرة الدر والنوق النكد الغزيرات اللبن وأحسبه من الاضداد لانه قد يقال أيضا نكد لبنها اذا نقص قاله صاحب العين والصحيح عند أكثرهم أن النكد هى القليلات اللبن من قوله عز وجل « لا يخرج الا نكدا » وان المكد بالميم هى الغزيرات اللبن قال ابن سراج لانه من مكد فى المكان اذا أقام فيه وقد يقال أيضا نكد فى معنى مكد أى ثبت * وذكر الاقرع بن حابس وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه بعد وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت « ولله على الناس حج البيت » أفى كل عام يارسول الله قال لو قلتها لوجبت وهو الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم حين أقطع أبيض بن حمال الماء الذى بمأرب أتدرى ما أقطعته يارسول الله انما أقطعته الماء العد فاسترجعه النبى صلى الله عليه وسلم وهو حديث مشهور غير أنه لم يسم قائل هذا الكلام فيه الا الدارقطنى فى روايته وزاد فيه أيضا قال أبيض على أن يكون صدقة منى يارسول الله على المسلمين فقال نعم وأما نسب الاقرع بن حابس فهو ابن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمى المجاشعى الدارمى وأما عيينة فاسمه حذيفة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى وقد تقدم ذكره

﴿ فصل ﴾ وذكر تولية النبى صلى الله عليه وسلم مالك بن عوف على ثمالة وبنى سلمة وفهم وثمالة هم بنو اسلم بن أحجن أمهم ثمالة وقول أبى محجن فيه

واعطى عباس بن مرداس اباعر فسخطها فعاتب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم

كانت نهابا تلافيتها * بكرى على المهر فى الاجرع
وايقاظى القوم ان يرقدوا * اذا هجع الناس لم اهجع
فأصبح نهبى ونهب العبيـ * ـد بين عيينة والاقرع
وقد كنت فى الحرب ذا تدرى * فلم اعطا شيأ ولم امنع
الا افايل اعطيتها * عديد قوائمها الاربع
وما كان حصن ولا حابس * يفوقان شيخى فى المجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

«قال ابن هشام» انشدنى يونس النحوى

فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس فى المجمع

* قال ابن اسحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهبوا به فاقطعوا عنى لسانه فاعطوه حتى رضى فكان ذلك قطع لسانه الذى امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» وحدثنى بعض اهل العلم ان عباس بن مرداس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت القائل فاصبح نهبى ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة فقال ابو بكر الصديق بين عيينة والاقرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما واحد فقال ابو بكر اشهد انك كما قال الله وما علمناه الشعر وما ينبغى له «قال ابن هشام» وحدثنى من اثق به من اهل العلم (٣٠٩) فى اسناد له عن ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم فاعطاهم يوم الجعرانة من غنائم حنين * من بنى امية بن عبد شمس أبو سفيان بن حرب بن أمية وطليق ابن سفيان بن أمية وخالد بن أسيد بن ابى العيص بن أمية * ومن بنى عبد الدار بن قصى شيبة بن عثمان بن ابى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وابو السنابل بن بعكك بن الحرث بن عميلة بن السباق بن عبد الدار وعكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار * ومن بنى مخزوم ابن يقظة زهير بن ابى أمية بن المغيرة والحرث بن هشام بن المغيرة وخالد بن هشام بن المغيرة وهشام بن الوليد بن المغيرة وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم والسائب بن ابى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * ومن بنى عدى بن كعب مطيع بن الاسود بن حارثة بن نضلة وأبو جهم بن حذيفة بن غانم * ومن بنى جمح بن عمرو صفوان بن أمية بن خلف وأحيحة بن أمية بن خلف وعمير بن وهب بن خلف * ومن بنى سهم عدى بن قيس بن حذافة * ومن بنى عامر بن لؤى حويطب بن عبد العزى بن ابى قيس بن عبد ود وهشام بن عمرو بن ربيعة بن الحرث بن حبيب * ومن افناء القبائل من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة نوفل بن معاوية ابن عروة بن صخر بن رزن بن يعمر بن نفاثة بن عدى بن الديل * ومن قيس ثم من بنى عامر بن صعصعة ثم من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة علقمة بن علاثة بن عوف بن الاحوص بن جعفر بن كلاب ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب * ومن بنى عامر بن ربيعة خالد بن هوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وحرملة بن هوذة بن ربيعة بن عمرو * ومن بنى نصر ابن معاوية مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع * ومن سليم بن منصور عباس بن مرداس بن ابى عامر اخو بنى الحرث بن بهثة بن سليم * ومن غطفان ثم من بنى فزارة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر * ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة الاقرع بن حابس بن عقال من بنى مجاشع بن دارم

هابت الاعداء جانبنا * ثم تغزنا بنو سلمه

هكذا تقيد فى النسخة بكسر اللام والمعروف فى قبائل قيس سلمة بالفتح الا أن يكونوا من الازد فان ثمالة المذكورين معهم حى من الازد وفيهم من دوس وهم من الازد أيضا وأمهم جديلة وهى من غطفان بن قيس ابن غيلان على انه لا يعرف فى الازد سلمة الا فى الانصار وهم من الازد وسلمة أيضا فى جعفى هم وسلمة ابن عمرو بن ذهل بن مران بن جعفى وسلمة فى جهينة أيضا سلمة بن نصر بن غطفان بن قيس بن جهينة وجعفى من مذحج وجهينة من قضاعة وأما محجن فاسمه مالك بن حبيب وقيل عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن قيس الثقفى وقد تقدم نسب أحجن عند ذكرنا لهب بن أحجن قبل باب المبعث * وذكر أبا السنابل بن بعكك واسمه حبة أحد بنى عبد الدار وكان شاعرا وحديثه مع سبيعة الاسلامية حين آمت من زوجها مذكور فى الصحاح .

﴿ فصل ﴾ وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لعباس بن مرداس أنت القائل

فاصبح نهبى ونهب العبيـ * ـد بين الاقرع وعيينة

فقال أبو بكر الصديق بين عيينة والاقرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما واحد يعنى فى المعنى وأما فى الفصاحة فالذى أجرى على لسانه صلى الله عليه وسلم هو الافصح فى تنزيل الكلام وترتيبه وذلك أن القبلية تكون بالفضل نحو قوله تعالى « من النبيين والصديقين » وتكون بالرتبة نحو قوله تعالى حين ذكر اليهود والنصارى فقدم اليهود لمجاورتهم المدينة فهم فى الرتبة قبل النصارى وقبلية بالزمان نحو ذكر التوراة

* قال ابن اسحق وحدثني محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي أن قائلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه يارسول الله أعطيت عيينة ابن حصن والاقرع بن حابس مائة مائة وتركت جعيل بن سراقة الضمري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والذي نفس محمد بيده لجعيل ابن سراقة خير من طلاع الارض كلهم مثل عيينة بن حصن والاقرع بن حابس ولكني تألفتهما ليسلما ووكلت جعيل بن سراقة الى اسلامه * قال ابن اسحق وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمارة بن ياسر عن مقسم ابي القاسم مولى عبد الله بن الحرث بن نوفل قال خرجت انا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلقا نعله بيده فقلنا له هل حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمي يوم حنين قال نعم جاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف عليه وهو يعطي الناس فقال يامحمد قد رأيت ماصنعت في هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل فكيف رأيت فقال لم أرك عدلت قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ويحك اذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون (٣١٠) فقال عمر بن الخطاب يارسول الله ألا أقتله فقال لا دعه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يوجد شيء ثم في القدح فلا يوجد شيء ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبي عبيدة وسماه ذا الخويصرة * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي نجيح عن أبيه بمثل ذلك « قال ابن هشام » ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى في قريش وقبائل العرب ولم يعط الانصار شيأ قال حسان بن ثابت يعاتبه في ذلك

ذر الهموم فماء العين منحدر ... سحا اذا حفلته عبرة درر
وجدا بشماء اذ شماء بهكنة ... هيفاء لا ذنن فيها ولا خور
وائت الرسول فقل ياخير مؤتمن ... للمؤمنين اذا ماعدد البشر
سماهم الله أنصارا بنصرهم ... دين الهدى وعوان الحرب تستعر
والناس ألب علينا فيك ليس لنا ... الا السيوف وأطراف القنا وزر
ولا تهر جناة الحرب نادينا ... ونحن حين تلظى نارها سعر
ونحن جندك يوم النعف من أحد ... اذ حزبت بطرا أحزابها مضر
دع عنك شماء اذ كانت مودتها ... نزارا وشر وصال الواصل النزر
علام تدعى سليم وهي نازحة ... قدام قومهم آووا وهم نصروا
وسارعوا في سبيل الله واعترفوا ... للنائبات وماخانوا وماضجروا
نجالد الناس لانبقي على أحد ... ولا نضيع ماتوحي به السور
كما رددنا ببدر دون ماطلبوا ... أهل النفاق وفينا ينزل الظفر
فما ونينا وماخمنا وماخبروا ... منا عثارا وكل الناس قد عثروا

« قال ابن هشام » حدثني زياد بن عبد الله قال حدثنا ابن اسحق وقال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري قال لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الانصار منها شيء وجد هذا الحي

والانجيل بعده ونوحا وابراهيم وقبلية بالسبب وهو أن يذكر ماهو علة الشيء وسبب وجوده ثم يذكر المسبب بعده وهو كثير في الكلام مثل أن يذكر معصية وعقابا أو طاعة وثوابا فالاجود في حكم الفصاحة تقديم السبب والاقرع وعيينة من باب قبلية المرتبة وقبلية الفضل أما قبلية الرتبة فانه من خندف ثم من بني تميم فهو أقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من عيينة فترتب في الذكر قبله وأما قبلية الفضل فان الاقرع حسن اسلامه وعيينة لم يزل معدودا في أهل الجفاء حتى ارتد وآمن بطليحة وأخذ أسيرا فجعل الصبيان يقولون له وهو يساق الى أبي بكر ويحك ياعدو الله ارتددت بعد إيمانك فيقول والله ما كنت آمنت ثم أسلم في الظاهر ولم يزل جافيا أحمق حتى مات وبحسبك تسمية النبي صلى الله عليه وسلم له الاحمق المطاع ومما يذكر من جفائه أن عمرو بن معدي كرب نزل به ضيفا فقال له عيينة هل لك في الخمر نتنادم عليها فقال عمرو أليست محرمة في القرآن فقال عيينة انما قال فهل أنتم منتهون فقلنا نحن لا فشربا * وذكر حديث ذي الخويصرة التميمي وما قال فيه النبي عليه السلام وفي شيعته وقال في حديث آخر يخرج من ضئضئه قوم تحقرون صلاتكم الى صلاتهم وصيامكم الى صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وظهر صدق الحديث في الخوارج وكان أولهم من ضئضئي ذلك الرجل أي من أصله وكانوا من أهل نجد التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم منها يطلع قرن الشيطان فكان بدؤهم من ذي الخويصرة وكان آيتهم ذو الثدية الذي قتله علي رضي الله عنه وكانت احدى يديه كثدي المرأة واسم ذي الثدية نافع ذكره أبو داود وغيره يقول اسمه حرقوص وقول أبي داود أصح والله أعلم وذكر شعر حسان وفيه * هيفاء لا ذنن فيها ولا خور * الذنن الغدر والتفل والذنين المخاط والذنن أيضا الا ينقطع حيض المرأة يقال امرأة ذناء ولو روى بالدال المهملة لكان جيدا أيضا فان الدنن بالدال هو قصر العنق وتطامنها وهو عيب والبهكنة الضخمة

(فصل)

من الانصار فى أنفسهم حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم لقى والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال يارسول الله ان هذا الحى من الانصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبت قسمت فى قومك وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب ولم يك فى هذا الحى من الانصار منها شىء قال فاين أنت من ذلك ياسعد قال يارسول الله ما أنا الا من قومى قال فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة قال فخرج سعد فجمع الانصار فى تلك الحظيرة قال فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال قد اجتمع لك هذا الحى من الانصار فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال يامعشر الانصار ماقالة بلغتنى عنكم وجدة وجدتموها على فى أنفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم قالوا بل الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال ألا تجيبوننى يامعشر الانصار قالوا بماذا نجيبك يارسول الله ولله ولرسوله المن والفضل قال صلى الله عليه وسلم أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فآسيناك أوجدتم يامعشر الانصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم ألا ترضون يامعشر الانصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو

سلك الناس شعبا وسلكت الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وأبناء أبناء الانصار قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا

﴿ عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان ﴾

قال ابن اسحق ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمرا وأمر ببقايا الفىء فحبس بمجنة بناحية مر الظهران فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف راجعا الى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ ابن جبل يفقه الناس فى الدين ويعلمهم القرآن واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا الفىء « قال ابن هشام » وبلغنى عن زيد بن أسلم أنه قال لما استعمل النبى صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما فقام فخطب الناس فقال أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم فليست بى حاجة الى أحد * قال ابن اسحق وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى بقية ذى القعدة أو فى أول ذى الحجة « قال ابن هشام » وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لست ليال بقين من ذى القعدة فيما قال أبو عمرو المدنى * قال ابن اسحق وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد وهى سنة ثمان وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ما بين ذى القعدة اذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شهر رمضان من سنة تسع

﴿ أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف ﴾

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبى سلمى الى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه وأن من بقى من شعراء قريش ابن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب قد هربوا فى كل وجه

﴿ فصل ﴾ وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم للانصار ماقالة بلغتنى عنكم وجدة وجدتموها فى أنفسكم هكذا الرواية جدة والمعروف عند أهل اللغة موجدة اذا أردت الغضب وانما الجدة فى المال * وقوله عليه السلام فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا اللعاعة بقلة ناعمة وهذا نحو من قوله عليه السلام المال حلوة خضرة واللعة من هذا المعنى وهى المرأة المليحة العفيفة واللعلع السراب ولعاعه بصيصه * وذكر جعيل ابن سراقة وقول النبى صلى الله عليه وسلم فيه ووكلت جعيل بن سراقة الى اسلامه نسب ابن اسحق جعيلا الى ضمرة وهو معدود فى غفار لان غفارا هم بنو مليل بن ضمرة من بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وأما حديث التميمى الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم حين أعطى المؤلفة قلوبهم أراك عدلت فغضب النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال اذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون وقال أيضا انى أرى قسمة ما أريد بها وجه الله فقال صلى الله عليه وسلم أيامننى الله فى السماء ولا تامنونى أو كما قال صلى الله عليه وسلم فالرجل هو ذو الخويصرة كذلك جاء ذكره فى الحديث ويذكر عن الواقدى انه قال هو حرقوص بن زهير السعدى من سعد تميم وقد كان لحرقوص هذا مشاهد محمودة فى حرب العراق مع الفرس أيام عمر ثم كان خارجيا وفيه يقول نجيبة الخارجى * حتى الاقى فى الفردوس حرقوصا * ولذلك قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم انه سيكون من ضئضئه قوم تحقرون صلاتكم الى صلاتهم وذكر صفة الخوارج وليس ذو الخويصرة هذا ذا الثدية الذى قتله على بالنهر وان ذلك اسمه نافع ذكره ابو داوود وكلام الواقدى حكاه ابن الطلاع فى الاحكام له

﴿ فصل ﴾ وذكر قصة بجير بن زهير بن ابى سلمى واسم ابى سلمى ربيعة بن رياح احد بنى مزينة * وفى

فان كانت لك فى نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل أحدا جاءه تائبا وان أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض

وكان كعب بن زهير قد قال
ألا أبلغا عني بجيرا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا ان كنت لست بفاعل ... على أي شيء غير ذلك دلكا
على خلق لم ألف يوما أباله ... عليه وما تلفي عليه أبالكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف ... ولا قائل اما عثرت لعالكا
سقاك بها المأمون كاسا روية ... فانهلك المأمون منها وعلكا

« قال ابن هشام » ويروى المأمور وقوله فبين لنا عن غير ابن اسحق وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر وحدثنيه

من مبلغ عني بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا
شربت مع المأمون كاسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا
وخالفت أسباب الهدى واتبعته * على أي شيء ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا * عليه ولم تدرك عليه أخالكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف
ولا قائل اما عثرت لعالكا

قال وبعث بها الى بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده اياها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع سقاك بها المأمون صدق وانه لكذوب أنا المأمون ولما سمع على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه قال أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه ثم قال بجير لكعب

من مبلغ كعبا فهل لك في التي ... تلوم عليها باطلا وهي أحزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده ... فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ... من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه ... ودين أبي سلمى علي محرم

شعر كعب الى اخيه بجير * سقاك بها المأمون كاسا روية * ويروى المحمود في غير رواية ابن اسحاق اراد بالمحمود محمدا صلى الله عليه وسلم وكذلك المأمون والامين كانت قريش تسمى بهما النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة * وقوله لاخيه بجير

على خلق لم تلف اما ولا ابا * عليه ولم تدرك عليه اخالكا

انما قال ذلك لان امهما واحدة وهي كبشة بنت عمار السحيمية فيما ذكر ابن الاعرابي عن ابن الكلبي وقوله اما عثرت لعا لكا كلمة تقال للعاثر دعاء له بالاقالة قال الاعشى

فالتعس أدنى لها * من ان يقال لعا لها

وانشد ابو عبيد * فلا لعا لبني فعلان اذ عثروا * وقول بجير * ودين زهير وهو لا شيء دينه * رواية مستقيمة وقد رواه القالي فقال وهو لا شيء غيره وفسره على التقديم والتاخير اراد ودين زهير غيره وهو لا شيء ورواية ابن اسحاق أبعد من الاشكال واصح والله اعلم وكعب هذا من فحول الشعراء هو وابوه زهير وكذلك ابنه عقبة بن كعب بن زهير يعرف عقبة بالمضرب وابن عقبة العوام شاعر ايضا وهو الذي يقول

الا ليت شعري هل تغير بعدنا * ملاحة عيني أم عمرو وجيدها
وهل بليت أثوابها بعد جدة * الا حبذا اخلاقها وجديدها

ومما يستحسن ويستجاد من قول كعب

لو كنت أعجب من شيء لاعجبني * سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها * فالنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل * لا تنتهي العين حتى ينتهي الاثر

وقوله

ان كنت لا ترهب ذمي * لما تعرف من صفحي عن الجاهل
فاخش سكوتي اذ أنا منصت * فيك لمسموع خنا القائل
فالسامع الذم شريك له * ومطعم المأكول كالآكل

مقالة

قال ابن اسحق وانما يقول كعب المأمون ويقال المأمور في قول ابن هشام لقول قريش الذي كانت تقوله في رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض وأشفق على نفسه وأرجف به من كان في حاضره من عدوه فقالوا هو مقتول فلما لم يجد من شيء بدا قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فيها خوفه وأرجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة كما ذكر لي فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أشار له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله فقم اليه فاستأمنه فذكر لي أنه قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس اليه فوضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

نعم قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير * قال ابن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة انه وثب عليه رجل من الانصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه قد جاء تائبا نازعا عما كان عليه قال فغضب كعب على هذا الحي من الانصار لما صنع به صاحبهم وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين الا بخير فقال في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا * الا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة * لا يشتكى قصر منها ولا طول
تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت * كانه منهل بالراح معلول
شجت بذي شبم من ماء محنية * صاف بأبطح أضحى وهو مشمول
تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه * من صوب غادية بيض يعاليل
فيالها خلة لو انها صدقت * بوعدها أو لوان النصح مقبول
لكنها خلة قد سيط من دمها * فجع وولع واخلاف وتبديل
فما تدوم على حال تكون بها * كما تلون في أثوابها الغول
وما تمسك بالعهد الذي زعمت * الا كما يمسك الماء الغرابيل
فلا يغرنك ما منت وما وعدت * ان الاماني والاحلام تضليل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها الا الاباطيل
أرجو وآمل أن تدنو مودتها * وما اخال لدينا منك تنويل
أمست سعاد بأرض لا يبلغها * الا العتاق النجيبات المراسيل
ولن يبلغها الا عذافرة * لها على الاين ارقال وتبغيل
من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت * عرضتها طامس الاعلام مجهول
ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق * اذا توقدت الحزان والميل
ضخم مقلدها فعم مقيدها * في خلقها عن بنات الفحل تفضيل
غلباء وجناء علكوم مذكرة * في دفعها سعة قدامها ميل
وجلدها من أطوم ما يؤيسه * طلح بضاحية المتنين مهزول
حرف أخوها أبوها من مهجنة * وعمها خالها قوداء شمليل
يمشي القراد عليها ثم يزلقه * منها لبان وأقراب زهاليل
عيرانة قذفت بالنحض عن عرض * مرفقها عن بنات الزور مفتول
كأنما فات عينيها ومذبحها * من خطمها ومن اللحيين برطيل
تمر مثل عسيب النخل ذا خصل * في غارز لم تخونه الاحاليل
قنواء في حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفي الخدين تسهيل

مقالة السوء الى أهلها * أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل

وذكر قصيدته * بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * وفيها قوله * شجت بذي شبم * يعني الخمر وشجت كسرت من أعلاها لان الشجة لا تكون الا في الرأس والشبم البرد وأفرطه أي ملأه والبيض اليعاليل السحاب وقيل جبال ينحدر الماء من أعلاها واليعاليل أيضا الغدران واحدها يعلول لانه يعل الارض بمائه * وقوله يا ويحها خلة قد سيط من دمها * أي خلط بلحمها ودمها هذه الاخلاق التي وصفها بها من الولع وهو الخلف والكذب والمطل يقال ساط الدم والشراب اذا ضرب بعضه ببعض وقال الشاعر يصف عبد الله بن عباس

صموت اذا ماز بن الصمت أهله * وفتاق أبكار الكلام المختم
وعى ما حوى القرآن من كل حكمة * وسيطت له الآداب باللحم والدم

والغول التي تتراآى بالليل والسعلاة ما تراآى بالنهار من الجن وقد أبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم الغول حيث قال لا عدوى ولا غول وليس يعارض هذا ما روى من قوله عليه السلام اذا تغولت الغيلان فارفعوا أصواتكم بالاذان وكذلك حديث أبي أيوب مع الغول حين أخذها لان قوله عليه السلام لا غول انما أبطل به ما كانت الجاهلية تتقوله من أخبارها وخرافاتها معها * وقوله كانت مواعيد عرقوب لها مثلا هو عرقوب بن صخر من العماليق الذين سكنوا يثرب وقيل بل هو من الاوس والخزرج وقصته في اخلاف الوعد مشهورة حين وعد أخاه بجنا نخلة له وعدا من بعد وعد ثم جدها ليلا ولم يعطه شيئا والتبغيل ضرب من السير سريع والحزان جمع حزين وهو ما غلظ من الارض والميل ما اتسع منها * وقوله ترمي النجاد وأنشده أبو علي ترمي الغيوب وهو جمع غيب وهو ما غار من الارض كما قال ابن مقبل * لزم الغلام وراء الغيب بالحجر * وقوله

حرف أبوها أخوها من مهجنة * وعمها خالها قوداء شمليل

القوداء الطويلة العنق والشمليل السريعة والحرف الناقة الضامر * وقوله من مهجنة أي من ابل مهجنة مستكرمة هجان * وقوله أبوها أخوها أي انهما من جنس واحد في الكرم وقيل انها من فحل حمل على أمه فجاءت بهذه الناقة فهو أبوها وأخوها وكانت للناقة التي هي أم هذه بنت اخرى من الفحل الاكبر فعمها خالها على

تخدى على يسرات وهى لاحقة * ذوابل مسهن الارض تحليل   سمر العجايات يتركن الحصا زيما * لم يقهن رؤس الاكم تنعيل
كان أوب ذراعيها اذا عرقت * وقد تلفع بالقور العساقيل   يوما يظل به الحرباء مصطخدا * كان ضاحيه بالشمس مملول
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت * ورق الجنادب يركضن الحصا قيلوا   شد النهار ذراعا عيطل نصف * قامت

هـذا وهو عندهم من أكرم النتاج والقول الاول ذكره أبو على القالى عن أبى سـعيد فالله أعلم *وقوله أقراب زهاليل أى خواصر ملس واحـدها زهلول والبرطيل حجر طويل و يقال للمعول أيضا برطيـل *وقوله ذوابل وقعهن الارض تحليل تحليل أى قليل يقال ما أقام عندنا الا كتحليل الالية وكتحلة المقسم وعليه حمل ابن قتيبة قوله عليه السـلام لن تمسه النار الا تحلة القسم وغلط أبا عبيد حيث فسره على القسم حقيقة قال القتبي ليس فى الآية قسم لانه قال «وان منكم الا وارها» ولم يقسم قال الخطابى هـذه غفـلة من ابن قتيبة فان فى أول الآية «فوربك لنحشرنهم والشـياطين» وقوله «وان منكم الا واردها» داخـل تحت القسم المتقدم *وقوله بالقور العساقيل القور جمع قارة وهى الحجارة السود والعساقيل هنا السراب وهذا من المقلوب أراد وقد تلفعت القود بالعساقيـل *وفيها قوله تمشى الغواة بجنبيها أى بجنبى ناقته *وقوله انك يا ابن ابى سلمى لمقتول ويروى وقيلهم وهو احسن فى المعنى واولى بالصواب لان القيـل هو الكلام المقول فهو مبتد وقوله انك يا ابن ابى سلمى لمقتول خبر تقول اذا سئلت ما قيلك قيلى ان الله واحد وقولك ان الله واحد هو القيـل والقول مصدر كالطحن والذبح والقيـل اسم للمقول كالطحن والذبح بكسر أوله وانما حسنت هـذه الرواية لان القول مصـدر فيصير انك يا ابن أبى سلمى فى موضع المفعول فيه فيبقى المبتدا بلا خبر الا أن تجعـل المقول هو القول على المجاز كما يسمى المخلوق خلقا وعلى هـذا يكون قوله عز وجل «وقيله يارب» فى موضع البدل من القيـل وكذلك قوله «الا قيلا سلاما سلاما» منتصب بفعل مضمر فهو فى موضع البـدل من قيـلا وكذلك قوله «ومن أصدق من الله قيلا» أى حـديثا مقولا ومن هـذا الباب مسئلة من النحو ذكرها سيبويه وابن السراج فى كتابه وأخذ الفارسى منهما أو من ابن السراج فكثيرا ما ينقل من كتابه بلفظه غـير انه أفسـد هـذه المسئله ولم يفهم ما أراد بها وذلك انهما قالا اذا قلت اول ما أقول انى أحمد الله بكسر الهمزة فهو على الحكاية فظن الفارسى انه يريد على الحكاية بالقول فجعـل انى احمد الله فى موضع المفعول بأقول فلما بقى له المبتدا بلا خبر تكلف له تقديرا لا يعقل فقال تقديره أول ما أقول انى أحمد الله موجود أو ثابت فصار معنى كلامه الى ان أول هذه الكلمة التى هى انى أحمد الله موجود أى أول هذه الكلمة موجود فآخرها اذا معـدوم وهـذا خلف من القول كما ترى وقد وافقه ابن جنى عليه رأيته فى بعض مسائله قال قلت لابى على لم لا يكون انى أحمد الله فى موضع الخبر كما تقول أول سورة اقرأها «انا أعطيناك الكوثر» أو نحو هـذا ولا يحتاج الى حذف خبر قال فسكت ولم يجد جوابا وانما معنى هذه المسئلة أول ما أقول أى أول القيل الذى أقوله انى أحمد الله على حكاية الكلام المقول وهذا الذى أراد سيبويه وأبو بكر بن السراج فان فتحت الهمزة من أن صار معنى الكلام أول القول لا اول القيل وكانت ما واقعة على المصـدر وصار معناه اول قولى الحمد اذ الحمد قول ولم يبين مع فتح الهمزة كيف حمـد الله هل قال الحمد لله بهذا اللفظ أو غيره وعلى كسر الهمزة قد بين كيف حمد حين افتتح كلامه بانه قال انى أحمد الله بهذا اللفظ لا بلفظ آخر فقف على هذه المسئلة وتدبرها اعرابا ومعـنى فقل من أحكمها وحسـبك ان الفارسى لم يفهم عمن قبـله وجاء بالتخليط المتقـدم والله المسـتعان والخراديل القطع من اللحم وفى الحديث فى صفة الصراط فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل أى تخردل

فجاوبها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس لها
لما نعى بكرها الناعون معقول
تفرى اللبان بكفيها ومدرعها
مشقق عن تراقيها رعابيل
تسعى الغواة جنابيها وقولهم *
انك يا ابن أبى سلمى لمقتول
وقال كل صـديق كنت آمـله
لا الهينك انى عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلى لا أبا لكم *
فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وان طالت سلامته
يوما على آلة حـدباء محمول
نبئت ان رسول الله أوعدنى
والعفو عند رسول الله مامول
مهـلا هداك الذى أعطاك نافلة القـ
رآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تاخذنى باقوال الوشاة ولم
أذنب ولو كثرت فى الاقاويل
لقد أقوم مقاما لو يقوم به *
أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
لظل يرعد الا أن يكون له *

مـن الرسول باذن الله تنـويل   حتى وضـعت يمينى ما أنازعه * فى كف ذى نقمات قيله القيل   لحمه
فلهو أخوف عندى اذ أكلمه * وقيـل انك منسوب ومسؤل   من ضيغم بضراء الارض مخدره * فى بطن عـثر غيـل دونه غيـل
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما * لحم مـن الناس معفور خراديل   اذا يساور قرنا لا يحـل له * أن يترك القرن الا وهو مغلول

منه تظل سباع الجو نافرة * ولا تمشى بواديه الاراجيل
ولا يزال بواديه أخو ثقة * مضرج البز والدرسان مأكول
ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول
فى عصبة من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشف * عند اللقاء ولا ميل معازيل
شم العرانين أبطال لبوسهم * من نسج داود فى الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكت لها حلق * كانها حلق القفعاء مجدول
ليسوا مفاريح ان نالت رماحهم * قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم * ضرب اذا عرد السود التنابيل
لا يقع الطعن الا فى نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل

« قال ابن هشام » قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة و بيته حرف أخوها أبوها و بيته يمشي القراد و بيته عيرانة قذفت و بيته ترمي مثل عسيب النخل و بيته تفري اللبان و بيته اذا يساور قرنا و بيته ولا يزال بواديه عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب اذا عرد السود التنابيل وانما يريدنا معشر الانصار لما كان صاحبنا صنع به ما صنع وخص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدحته غضبت عليه الانصار فقال بعد أن أسلم يمدح الانصار و يذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعهم من اليمن

من سره كرم الحياة فلا يزل * فى مقنب من صالحى الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيار هم بنو الاخيار
المكرهين السمهرى بأذرع * كسوالف الهندى غير قصار
والناظرين بأعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم * للموت يوم تعانق وكرار
والقائدين الناس عن أديانهم * بالمشرفى و بالقنا الخطار
يتطهرون يرونه نسكا لهم * بدماء من علقوا من الكفار
دربوا كما دربت ببطن خفية * غلب الرقاب من الاسود ضوارى
واذا حللت ليمنعوك اليهم * أصبحت عند معاقل الاعفار
ضربوا عليا يوم بدر ضربة * دانت لوقعتها جميع نزار
لو يعلم الاقوام علمى كله * فيهم لصدقنى الذين أمارى
قوم اذا خوت النجوم فانهم * للطارقين النازلين مقارى
فى الغر من غسان من جرثومة * أعيت محافرها على المنقار

« قال ابن هشام » و يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده * بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * لولا ذكرت الانصار بخير فانهم لذلك أهل فقال كعب هذه الابيات وهى فى قصيدة له « قال ابن هشام » وذكر لى عن على بن زيد بن جدعان أنه قال أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد * بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *

لحمه الكلاليب التى حول الصراط سمعت شيخنا الحافظ أبا بكر رحمه الله يقول تلك الكلاليب هى الشهوات لانها تجذب العبد فى الدنيا عن الاستقامة على سواء الصراط فتمثل له فى الآخرة على نحو ذلك وقوله بضراء الارض الضراء ما واراك من شجر والخمر ما واراك من شجر وغيره * وقوله بواديه الاراجيل أى الرجالة قيل انه جمع الجمع كانه جمع الرجل وهم الرجالة على أرجل ثم جمع أرجلا على أراجل وزاد الياء ضرورة والدرس الثوب الخلق والقفعاء شجرة لها ثمر كانه حلق ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم حين أنشده كعب

ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

نظر الى أصحابه كالمعجب لهم من حسن القول وجودة الشعر * وقوله ليس لهم عن حياض الموت تهليل التهليل ان ينكص الرجل عن الامر جبنا * وقوله فى الانصار * ضربوا عليا يوم بدر ضربة * بنو على هم بنو كنانة يقال لهم بنو على لما تقدم ذكره فى هذا الكتاب وأراد ضربوا قريشا لانهم من بنى كنانة * وقوله اذا عرد السود التنابيل جمع تنبال وهو القصير * وقوله عرد أى هرب قال الشاعر

يعرد عنه صحبه وصديقه * و ينبش عنه كلبه وهو ضاربه

وجعلهم سودا لما خالط أهل اليمن من السودان عند غلبة الحبشة على بلادهم ولذلك قال حسان فى آل جفنة

أولاد جفنة حول قبر أبيهم * بيض الوجوه من الطراز الاول

يعني بقوله من الطراز الاول ان آل جفنة كانوا من اليمن ثم استوطنوا الشام بعد سيل العرم فلم يخالطهم السودان كما خالطوا من كان من اليمن فهم من الطراز الاول الذى كانوا عليه فى ألوانهم وأخلاقهم * وقوله حول قبر أبيهم أى انهم لعزهم لم يحلوا عن منازلهم قط ولا فارقوا قبر أبيهم ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

تخدى به الناقة الادماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم
ففى عطافيه أو أثناء برده * ما يعلم الله من دين ومن كرم

﴿ غزوة تبوك فى رجب سنة تسع ﴾

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذى الحجة الى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم وقد ذكر لنا الزهرى ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم من علمائنا كل حدث فى غزوة تبوك ما بلغه عنها و بعض القوم يحدث ما لا يحدث بعض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك فى زمن عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة الا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يصمد له الا ما كان من غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذى يصمد له ليتأهب الناس لذلك أهبته فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجد بن قيس أحد بنى سلمة يا جد هل لك العام فى جلاد بنى الاصفر فقال يا رسول الله أو تأذن لى ولا تفتنى فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل بأشد عجبا بالنساء منى وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر أن لا أصبر فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك ففى الجد بن قيس نزلت هذه الآية ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين أى ان كان انما خشى الفتنة من نساء بنى الاصفر وليس ذلك به فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه يقول تعالى وان جهنم لمن ورائه وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض لا تنفروا فى الحر زهادة فى الجهاد وشكا فى الحق وارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون « قال ابن هشام » وحدثنى الثقة عمن حدثه عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن اسحق بن ابراهيم بن عبد الله بن حارثة عن أبيه عن جده قال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى وكان بيته عند جاسوم يثبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فبعث اليهم النبى صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله فى نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ففعل طلحة فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله واقتحم أصحابه فأفلتوا فقال الضحاك فى ذلك

كادت وبيت الله نار محمد * يشيط بها الضحاك وابن أبيرق
وظلت وقد طبقت كبس سويلم * أنوء على رجلى كسيرا ومرفقى
سلام عليكم لا أعود لمثلها * أخاف ومن تشمل به النار يحرق

* قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جد فى سفره وأمر الناس بالجهاز والانكماش وحض أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها « قال ابن هشام » حدثنى من أثق به أن عثمان بن عفان أنفق فى جيش العسرة فى غزوة تبوك ألف دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض

* قال ابن اسحق ثم ان رجالا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم البكاؤن وهم سبعة نفر من الانصار وغيرهم * من بنى عمرو بن عوف سالم بن عمير وعلبة بن زيد أخو بنى حارثة وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أخو بنى مازن بن النجار وعمرو بن حمام بن الجموح أخو بنى

﴿ غزوة تبوك ﴾

سميت بعين تبوك وهى العين التى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا يمسوا من مائها شيأ فسبق اليها رجلان وهى تبض بشىء من ماء فجعلا يدخلان فيها سهمين ليكثر ماؤها فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما ما زلتما تبوكانها منذ اليوم فيما ذكر القتبى قال وبذلك سميت العين تبوك والبوك كالنقش والحفر فى الشىء ويقال منه باك الحمار الاتان يبوكها اذا نزا عليها ووقع فى السيرة فقال من سبقنا الى هذا فقيل له يا رسول الله فلان وفلان وفلان وقال الواقدى فيما ذكر لى سبقه اليها أربعة من المنافقين معتب بن قشير والحارث بن يزيد الطائى ووديعة بن ثابت وزيد بن لصيت * وذكر الجد بن قيس وقول النبى صلى الله عليه وسلم له يا جد هل لك العام فى جلاد بنى الاصفر يقال ان الروم قيل لهم بنو الاصفر لان عيصوا ابن اسحق كان به صفرة وهو جدهم وقيل ان الروم بن عيصوا هو الاصفر وهو أبوهم وأمه نسمة بنت اسماعيل وقد ذكرنا فى أول الكتاب من ولدت من الامم وليس كل الروم من ولد بنى الاصفر فان الروم الاول هم فيما زعموا من ولد يونان بن يافث بن نوح والله أعلم بحقائق هذه الاشياء وصحتها * وذكر يونس بأثر حديث الجد بن قيس عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم ان اليهود أتوا النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقالوا يا أبا القاسم ان كنت صادقا انك نبى فالحق بالشام فان الشام أرض المحشر وارض

سلمة وعبد الله بن المغفل المزني و بعض الناس يقول بل هو عبد الله بن عمرو المزني وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف وعرباض بن سارية الفزاري فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل حاجة فقال لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون * قال ابن اسحق فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضري لقي أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان فقال ما يبكيكما قالا جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه فاعطاهما ناضحاً له فارتحلاه وزودهما شيئاً من تمر فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وجاءه المعذرون من الاعراب فاعتذروا اليه فلم يعذرهم الله تعالى وقد ذكر لي أنهم نفر من بني غفار ثم استتب برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره وأجمع السير وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تخلفوا عنه عن غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك بن أبي كعب أخو بني سلمة ومرارة بن ربيع أخو بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية أخو بني واقف وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف وكانوا نفر صدق لا يتهمون في اسلامهم فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع «قال ابن هشام» واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الانصاري وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة مخرجه الى تبوك سباع بن عرفطة * قال ابن اسحق وضرب عبد الله بن أبي معه على حدة عسكره أسفل منه نحو ذباب وكان فيما يزعمون ليس باقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على أهله وأمره بالاقامة فيهم فارجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالاً له وتخففاً منه فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا نبي الله زعم المنافقون انك انما خلفتني انك استثقلتني وتخففت مني فقال كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي فرجع علي الى المدينة ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة عن ابراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه سعد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي هذه المقالة * قال ابن اسحق ثم رجع علي الى المدينة ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره ثم ان أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً الى أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء وهيأت له فيه طعاماً فلما دخل قام على باب العريش فنظر الى امرأتيه وما صنعتا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح والحر وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيئا لي زاداً ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى اذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب ان لي ذنباً فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل حتى اذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك قال الناس هذا راكب على الطريق مقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى لك يا أبا خيثمة ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير «قال ابن هشام» وقال أبو خيثمة في ذلك

وأرض الانبياء فصدق النبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا فغزا غزوة تبوك لا يريد الا الشام فلما بلغ أنزل الله تعالى عليه آيات من سورة بني اسرائيل بعد ما ختمت السورة «وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الى قوله تحويلا» فامره بالرجوع الى المدينة وقال فيها محياك وفيها مماتك ومنها تبعث ثم قال «أقم الصلاة لدلوك الشمس الى قوله محمودا» فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فامره جبريل فقال سل ربك فان لكل نبي مسئلة وكان جبريل عليه السلام له ناصحا وكان محمد صلى الله عليه وسلم له مطيعا فقال ما تأمرني أن أسأل قال «قل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً» وهؤلاء نزلن عليه في رجعته من تبوك

﴿فصل﴾ وذكر أبا ذر الغفاري وابطاءه واسمه جندب بن جنادة هذا أصح ما قيل فيه وقد قيل فيه برير بن عشرقة وجندب بن عبد الله وابن السكن أيضاً وقول النبي صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر وفي أبي خيثمة كن أبا خيثمة لفظه لفظ الامر ومعناه الدعاء كما تقول أسلم سلمك الله

شعر او اسمه مالك بن قيس   لما رأيت الناس فى الدين نافقوا * أتيت التى كانت أعف وأكرما

وبايعت باليمنى يدى لمحمد * فلم أكتسب اثما ولم أغش محرما   تركت خضيبا فى العريش وصرمة * صفايا كراما بسرها قد تحمما

وكنت اذا شك المنافق اسمحت * الى الدين نفسى شطره حيث يمما * قال ابن اسحق وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر نزلها واستقى الناس من بئرها فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشربوا من مائها شيأ ولا تتوضؤا منه للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الابل ولا تأكلوا منه شيأ ولا يخرجن أحد منكم الليلة الا ومعه صاحب له ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر فى طلب بعير له فاما الذى ذهب لحاجته فانه خنق على مذهبه وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلى طىء فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألم انهكم ان يخرج منكم أحد الا ومعه صاحبه ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذى أصيب على مذهبه فشفى وأما الآخر الذى وقع بجبلى طىء فان طيئا اهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة والحديث على الرجلين عن عبد الله بن أبى بكر عن عباس بن سهل بن سعد الساعدى وقد حدثنى عبد الله بن أبى بكر ان قد سمى له العباس الرجلين ولكنه استودعه اياهما فأبى عبد الله ان يسميهما لى « قال ابن هشام » بلغنى عن الزهرى انه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجى ثوبه على وجهه واستحث راحلته ثم قال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا الا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم * قال ابن اسحق فلما اصبح الناس ولا ماء

معهم شكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الله سبحانه سحابة فامطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم ابن عمر بن قتادة عن محمود ابن لبيد عن رجال من بنى عبد الاشهل قال قلت لمحمود هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم قال نعم والله ان كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفى عشيرته ثم يلبس بعضهم بعضا على ذلك ثم قال محمود لقد أخبرنى رجال من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا فارسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا أقبلنا عليه نقول ويحك هل بعد هذا شىء قال سحابة مارة * قال ابن اسحق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى اذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته فخرج أصحابه فى طلبها وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه يقال له عمارة بن حزم وكان عقبيا بدريا وهو عم بنى عمرو بن حزم وكان فى رحله زيد بن اللصيت القينقاعى وكان منافقا « قال ابن هشام » ويقال ابن لصيب بالباء * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن رجال من بنى عبد الاشهل قالوا فقال زيد بن اللصيت وهو فى رحل عمارة وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس محمد يزعم انه نبى ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده ان رجلا قال هذا محمد يخبركم انه نبى ويزعم انه يخبركم بامر السماء وهو لا يدرى أين ناقته وانى والله ما أعلم الا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها وهى فى هذا الوادى فى شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتونى بها فذهبوا فجاؤا بها فرجع عمارة بن حزم الى رحله فقال والله لعجب من شىء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا للذى قال زيد بن لصيت فقال رجل ممن كان فى رحل عمارة ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى فاقبل عمارة على زيد يجأ فى عنقه ويقول الى

* وقوله فى أبى ذر رحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده أى يموت منفردا وأكثر ما تستعمل هذا الحال لنفى الاشتراك فى الفعل نحو كلمنى زيد وحده أى منفردا بهذا الفعل وان كان حاضرا معه غيره أى كلمنى خصوصا وكذلك لو قلت كلمته من بينهم وحده كان معناه خصوصا كما قرره سيبويه وأما الذى فى الحديث فلا يتقدر هذا التقدير لانه من المحال ان يموت خصوصا وانما معناه منفردا بذاته أى على حدته كما قال يونس فقول يونس صالح فى هذا الموطن وتقدير سيبويه يدله بالخصوص يصلح ان يحمل عليه فى أكثر المواطن وانما لم يتعرف وحده بالاضافة لان معناه كمعنى لا غير ولانها كلمة تنبئ عن نفى وعدم والعدم ليس بشىء فضلا عن أن يكون متعرفا فامتنعا بالاضافة وانما لم يشتق منه فعل وان كان مصدرا فى الظاهر لما قدمناه من انه لفظ ينبئ عن عدم ونفى والفعل يدل على حدث وزمان فكيف يشتق من شىء ليس بحدث انما هو عبارة عن انتفاء الحدث عن كل أحد الا عن زيد مثلا اذا قلت جاءنى زيد وحده أى لم يجىء غيره وانما يقال انعدم وانتفى بعد الوجود لا قبله لانه أمر متجدد كالحدث وقد أطنبنا فى هذا الغرض وزدناه بيانا فى مسألة سبحان الله وبحمده وشرحها

﴿ فصل ﴾ وذكر الرجل الذى طرحته الريح بجبلى طىء وهما اجا وسلمى عرف اجا باجا بن عبد الحى

كان

عباد الله ان فى رحلى لداهية وما أشعر أخرج أى عدو الله من رحلى فلا تصحبنى * قال ابن اسحق فزعم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك وقال بعض الناس لم يزل متهما بشر حتى هلك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرا فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون يارسول الله تخلف فلان فيقول دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه حتى قيل يارسول الله قد تخلف أبوذر وأبطأ به بعيره فقال دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه وتلوم أبوذر على بعيره فلما ابطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا ونزل رسول الله فى بعض منازله فنظر ناظر من المسلمين فقال يارسول الله ان هذا الرجل يمشى على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أباذر فلما تامله القوم قالوا يارسول الله هو والله أبوذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أباذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده * قال ابن اسحق فحدثنى بريدة بن سفيان الاسلمى عن محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن مسعود قال لما نفى عثمان أباذر الى الربذة وأصابه بها قدره لم يكن معه أحد الا امرأته وغلامه فاوصاهما أن اغسلانى وكفنانى ثم ضعانى على قارعة الطريق فاول ركب يمر بكم فقولوا هذا أبوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فلما مات فعلا ذلك به ثم وضعاه على قارعة الطريق وأقبل عبد الله بن مسعود فى رهط من أهل العراق عمار فلم يرعهم الا بالجنازة على ظهر الطريق قد كادت الابل تطؤها وقام اليهم الغلام فقال هذا أبوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه قال فاستهل عبد الله ابن مسعود يبكى ويقول صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم تمشى وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو وأصحابه فواروه ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيره الى تبوك * قال ابن اسحق وقد كان رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بنى عمرو بن عوف ومنهم رجل من أشجع حليف لبنى سلمة يقال له مخشن بن حمير «قال ابن هشام» ويقال مخشى يشيرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق الى تبوك فقال بعضهم لبعض أتحسبون جلاد بنى الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكانا بكم غدا مقرنين فى الحبال ارجافا وترهيبا للمؤمنين فقال مخشن بن حمير والله لوددت أنى أقاضى على أن يضرب كل منا مائة جلدة وانا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى لعمار بن ياسر أدرك القوم فانهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فان أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه فقال وديعة ابن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته فجعل يقول وهو آخذ بحقبها يارسول الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله عز وجل ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وقال مخشن بن حمير يارسول الله قعد بى اسمى واسم أبى وكان الذى عفى عنه فى هذه الآية مخشن بن حمير فتسمى عبد الرحمن وسأل الله تعالى أن يقتله شهيدا لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر * ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك أتاه يحنة بن رؤبة صاحب ايلة فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرباء وأذرح فاعطوه الجزية فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتابا فهو عندهم فكتب ليحنة بن رؤبة بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يردونه من بر أو بحر

﴿ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى أكيدر دومة ﴾

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد فبعثه الى أكيدر دومة وهو أكيدر بن عبد الملك رجل من كندة كان ملكا عليها وكان نصرانيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد انك ستجده يصيد البقر فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين وفى ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له ومعه امرأته فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط قال لا والله قالت فمن يترك هذه قال لا أحد فنزل فامر بفرسه فأسرج له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان فركب وخرجوا معه بمطاردهم فلما خرجوا تلقتهم خيل

كان صلب فى ذلك الجبل وسلمى صلبت فى الجبل الآخر فعرف بها وهى سلمى بنت حام فيما ذكر والله أعلم
﴿ فصل ﴾ وذكر كتابه لاكيدر دومة ودومة بضم الدال هى هذه وعرفت بدومى بن اسماعيل فيما ذكروا وهى دومة الجندل ودومة بالضم أخرى وهى عند الحيرة ويقال لما حولها النجف وأما دومة بالفتح فاخرى مذكورة فى أخبار الردة * وذكر أنه كتب لاكيدر دومة كتابا فيه عهد وأمان قال أبو عبيد أنا قرأته أتانى به شيخ هنالك فى قضيم والقضيم الصحيفة واذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لاكيدر حين أجاب الى الاسلام وخلع الانداد والاصنام مع خالد بن الوليد سيف الله فى دومة الجندل

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذنه وقتلوا أخاه وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد فبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه * قال ابن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أنس بن مالك قال رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل المسلمون يلمسونه بايديهم و يتعجبون منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا * قال ابن اسحق ثم ان خالدا قدم باكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقن له دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله فرجع الى قريته فقال رجل من طيء يقال له بجير بن بجرة يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد انك ستجده يصيد البقر وماصنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته لتصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

تبارك سائق البقرات اني * رأيت الله يهدي كل هاد
فمن يك حائدا عن ذي تبوك * فانا قد أمرنا بالجهاد

فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ثم انصرف قافلا الى المدينة وكان في الطريق ماء يخرج من وشل مايروي الراكب والراكبين والثلاثة بواد

يقال له وادي المشقق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا الى ذلك الوادي فلا يستقين منه شيا حتى ناتيه قال فسبقه اليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم ير فيه شيا فقال من سبقنا الى هذا الماء فقيل له يارسول الله فلان وفلان فقال أولم أنههم أن يستقوا منه شيا حتى آتيه ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا عليهم ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ماشاء الله أن يصب ثم نضحه به ومسحه بيده ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو به فانخرق من الماء كما يقول من سمعه ما ان له حسا كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعن بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه قال وحدثني محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي أن عبد الله بن مسعود كان يحدث قال قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر قال فاتبعتها أنظر اليها فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر واذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات واذاهم قد حفروا له ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته وأبو بكر وعمر يدليانه اليه وهو يقول أدنيا الى أخاكما فدلياه اليه فلما هيأه لشقه قال اللهم اني قد أمسيت راضيا عنه فارض عنه قال يقول عبد الله بن مسعود ياليتني كنت صاحب الحفرة «قال ابن هشام» وانما سمي ذا البجادين لانه كان ينازع الى الاسلام فيمنعه قومه من ذلك و يضيقون عليه حتى تركوه في بجاد ليس عليه غيره والبجاد الكساء الغليظ الجافي فهرب منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان قريبا منه شق بجاده باثنين فاتزر بواحد واشتمل بالآخر ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ذو البجادين لذلك والبجاد أيضا المسح «قال ابن هشام» قال امرؤ القيس

كأن أبانا عرانين ودقه * كبير أناس في بجاد مزمل

وأكنافها ان لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامي واغفال الارض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور لا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلك عهد الله والميثاق ولكم بذلك الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين الضاحية أطراف الارض والمعامي مجهولها واغفال الارض مالا أثر لهم فيه من عمارة أونحوها والضامنة من النخل ماداخل بلدهم ولا يحظر عليكم النبات أي لا تمنعون من الرعي حيث شئتم ولا تعدل سارحتكم أي لا تحشر الى المصدق وانما أخذ منهم بعض هذه الارضين مع الحلقة وهي السلاح ولم يفعل ذلك مع أهل الطائف حين جاؤا تائبين لان هؤلاء ظهر عليهم واخذ ملكهم أسيرا ولكنه أبقى لهم من أموالهم ماتضمنه الكتاب لانه لم يقاتلهم حتى يأخذهم عنوة كما أخذ خيبر فلو كان الامر كذلك لكانت أموالهم كلها للمسلمين وكان له الخيار في رقابهم كما تقدم ولو جاؤا اليه تائبين ايضا قبل الخروج اليهم كما فعلت ثقيف ما أخذ من أموالهم شيئا ولم يذكر ابن اسحق في غزوة تبوك ما كان من أمر هرقل فان النبي صلى الله عليه وسلم كتب اليه من تبوك مع دحية بن خليفة ونصه مذكور في الصحاح مشهور فامر هرقل مناديا ينادي ألا ان هرقل قد آمن بمحمد واتبعه فدخلت الاجناد في سلاحها وأطافت بقصره تريد قتله فارسل اليهم اني أردت أن أختبر صلابتكم في دينكم فقد رضيت عنكم فرضوا عنه ثم كتب كتابا وأرسله مع دحية يقول فيه للنبي صلى الله عليه وسلم اني مسلم ولكني مغلوب على أمري وأرسل اليه بهدية فلما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم كتابه قال كذب عدو الله ليس بمسلم بل هو على نصرانيته وقبل هديته وقسمها بين المسلمين وكان لا يقبل هدية مشرك محارب وانما قبل هذه لانها فيء للمسلمين ولذلك قسمها عليهم ولو أتته في بيته كانت له خالصة كما كانت هدية المقوقس خالصة

* قال ابن اسحق وذكر ابن شهاب الزهرى عن ابن أكيمة الليثى عن ابن أخى أبى رهم الغفارى أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة يقول غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فسرت ذات ليلة معه ونحن بالاخضر قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقى الله علينا النعاس فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفزعنى دنوها منه مخافة أن أصيب رجله فى الغرز فطفقت أحوز راحلتى عنه حتى غلبتنى عينى فى بعض الطريق ونحن فى بعض الليل فزاحمت راحلتى راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجله فى الغرز فما استيقظت الا بقوله حس فقلت يارسول الله استغفر لى فقال سر فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألنى عمن تخلف من بنى غفار فاخبره به فقال وهو يسألنى مافعل النفر الحمر الطوال الثطاط فحدثته بتخلفهم قال فما فعل النفر السود الجعاد القصار قال قلت والله ما أعرف هؤلاء منا قال بلى الذين لهم نعم بشبكة شدخ فتذكرتهم فى بنى غفار ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا فقلت يارسول الله أولئك رهط من أسلم حلفاء فينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من ابله امرأ نشيطا فى سبيل الله ان أعز أهلى على أن يتخلف عنى المهاجرون من قريش والانصار وغفار وأسلم

خالصة له وقبلها من المقوقس لانه لم يكن محاربا بالاسلام بل كان قد أظهر الميل الى الدخول فى الدين وقد رد هدية أبى براء ملاعب الاسنة وكان أهدى اليه فرسا وأرسل اليه انى قد أصابنى وجع أحسبه قال يقال له الدبيلة فابعث الى بشىء أتداوى به فارسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم بعكة عسل وامره أن يستشفى به ورد عليه هديته وقال انى نهيت عن زبد المشركين وبعض أهل الحديث ينسب هذا الخبر لعامر بن الطفيل عدو الله وانما هو عمه عامر بن مالك وقوله عليه السلام عن زبد المشركين ولم يقل عن هديتهم يدل على انه انما كره ملاينتهم ومداهنتهم اذا كانوا حربا لان الزبد مشتق من الزبد كما أن المداهنة مشتقة من الدهن فعاد المعنى الى معنى اللين والملاينة ووجود الجد فى حربهم والمخاشنة وقد رد هدية عياض بن حماد المجاشعى قبل أن يسلم وفيها قال انى نهيت عن زبد المشركين وأهدى الى أبى سفيان عجوة واستهداه أدما فاهداه أبو سفيان وهو على شركه الادم وذلك فى زمن الهدنة التى كانت بينه وبين المسلمين فى صلح الحديبية وقد روى ان هرقل وضع كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب اليه فى قصبة من ذهب تعظيما له وانهم لم يزالوا يتوارثونه كابرا عن كابر فى أرفع صوان وأعز مكان حتى كان عند اذفونش الذى تغلب على طليطلة وما أخذ أخذها من بلاد الاندلس ثم كان عند ابن بنته المعروف بالسليطين حدثنى بعض أصحابنا انه حدثه من سأله رؤيته من قواد أجناد المسلمين كان يعرف بعبد الملك بن سعيد قال فاخرجه الى فاستعبرته واردت تقبيله وأخذه بيدى فمنعنى من ذلك صيانة له وضنا به على ويقال هرقل وهرقل

«فصل» وذكر البكائين وذكر فيهم علبة بن زيد وفى رواية يونس ان علبة خرج من الليل فصلى ماشاء الله ثم بكى وقال اللهم انك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ثم لم تجعل عندى ما أتقوى به مع رسولك ولم تجعل فى يد رسولك ما يحملنى عليه وانى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابنى بها فى مال أو جسد أو عرض ثم أصبح مع الناس وقال النبى صلى الله عليه وسلم أين المتصدق فى هذه الليلة فلم يقم أحد ثم قال أين المتصدق فى هذه الليلة فليقم ولا يتزاهد ما صنع هذه الليلة فقام اليه فاخبره فقال النبى صلى الله عليه وسلم أبشر فوالذى نفس محمد بيده لقد كتب فى الزكاة المتقبلة وأما سالم بن عمير وعبد الله بن المغفل فرآهما يامين بن كعب يبكيان فزودهما وحملهما فلحقا بالنبى صلى الله عليه وسلم

«فصل» وقوله خبرا عن أبى رهم أصابت رجلى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجله فى الغرز فما استيقظت الا بقوله حس الغرز للرحل كالركاب للسرج وحس كلمة تقولها العرب عند وجود الالم وفى الحديث ان طلحة لما أصيبت يده يوم أحد قال حس فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو أنه قال بسم الله يعنى مكان حس لدخل الجنة والناس ينظرون أو كلاما هذا معناه وليست حس باسم ولا بفعل انها لا موضع لها من الاعراب وليست بمنزلة صه ومه ورويد لان تلك أسماء سمى الفعل بها وانما حس صوت كالانين الذى يخرجه المتألم نحو آه ونحو قول الغراب غاق وقد ذكرنا قبل فى أف وجهين أحدهما ان تكون من باب الاصوات مبنية كانه يحكى بها صوت النفخ والثانى ان يكون معرفة مثل تبار ادها الوسخ

* وقوله السود الثطاط جمع ثط وهو الذى لا لحية له قال الشاعر * كهامة الشيخ اليمانى الثط * ونحو منه السناط ومن المحدثين من يرويه الشطاط وأحسبه تصحيفا * وقوله بشبكة شرخ موضع من بلاد غفار

﴿ أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك ﴾

* قال ابن اسحق ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي أوان بلد بينه و بين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال انى على جناح سفر وحال شغل أو كما قال صلى الله عليه وسلم ولو قد قدمنا ان شاء الله لاتيناكم فصلينا لكم فيه فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي أخا بني العجلان فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك لمعن أنظرني حتى أخرج اليك بنار من أهلي فدخل الى أهله فأخذ سعفا من النخل فاشعل فيه نارا ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن ما نزل الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين الى آخر القصة وكان الذين بنوه اثنا عشر رجلا خذام بن خالد من بني عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ومن داره أخرج مسجد الشقاق وثعلبة بن حاطب من بني أمية بن زيد ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد وأبو حبيبة بن الازعر من بني ضبيعة بن زيد وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف وجارية بن عامر وابناه مجمع بن جارية وزيد بن جارية ونبتل بن الحرث من بني ضبيعة و بحزج من بني ضبيعة و بجاد بن عثمان من بني ضبيعة ووديعة بن ثابت وهو من بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر وكانت مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة الى تبوك معلومة مسماة مسجد بتبوك ومسجد بثنية مداران ومسجد بذات الزراب ومسجد بالاخضر ومسجد بذات الخطمى ومسجد بالا ومسجد بطرف البتراء من ذنب كواكب ومسجد بالشق شق تارا ومسجد بذي الجيفة ومسجد بصدر حوضى ومسجد بالحجر ومسجد بالصعيد ومسجد بالوادي اليوم وادي القرى ومسجد بالرقعة من الشقة شقة بني عذرة ومسجد بذي المروة ومسجد بالفيفاء ومسجد بذي خشب

﴿ أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين في غزوة تبوك ﴾

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تكلمن أحدا من هؤلاء الثلاثة وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له و يعتذرون فصفح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعذرهم الله ولا رسوله واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة * قال ابن اسحق فذكر الزهري محمد بن مسلم بن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان أباه عبد الله وكان قائد أبيه حين أصيب بصره قال سمعت أبي كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وحديث صاحبيه قال ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة غزاها قط غير اني كنت قد تخلفت عنه في غزوة بدر وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحدا تخلف عنها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خرج يريد عير قريش حتى جمع الله بينه و بين عدوه

﴿ فصل ﴾ وذكر المنافقين الذين اتخذوا مسجدا ضرارا * وذكر فيهم جارية بن عامر وكان يعرف بحمار الدار وهو جارية بن عامر بن مجمع بن العطاف * وذكر فيهم ابنه مجمعا وكان اذ ذاك غلاما حدثا قد جمع القرآن فقدموه اماما لهم وهو لا يعلم بشيء من شأنهم وقد ذكر ان عمر بن الخطاب في أيامه أراد عزله عن الامامة وقال أليس بامام مسجد الضرار فاقسم له مجمع انه ما علم شيئا من أمرهم وما ظن الا الخير فصدقه عمر وأقره وكانت مساجد المدينة تسعة سوى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يصلون باذان بلال كذلك قال بكير بن عبد الله الاشج فيما روى عنه أبو داود في مراسيله والدارقطني في سننه فمنها مسجد راتج ومسجد بني عبد الاشهل ومسجد بني عمرو بن مبذول ومسجد جهينة وأسلم وأحسبه قال مسجد بني سلمة وسائرها مذكور في السنن وذكر ابن اسحق في المساجد التي في الطريق مسجدا بذي الخيفة كذا وقع في كتاب أبي بحر بالخاء معجمة ووقع الجيفة بالجيم في كتاب قرئ على ابن ابي سراج وابن الافليلي وأحمد بن خالد

﴿ فصل ﴾ وذكر الثلاثة الذين خلفوا ونهي الناس عن كلامهم وانما اشتد غضبه على من تخلف عنه ونزل فيهم من الوعيد ما نزل حتى تاب الله على الثلاثة منهم وان كان الجهاد من فروض الكفاية لا من فروض الاعيان لكنه في حق الانصار خاصة كان فرض عين وعليه بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم ألا تراهم يقولون يوم الخندق وهم يرتجزون

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

نحن

على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب ان لى بها مشهد بدر وان كانت غزوة بدر هى أذكر فى الناس منها قال كان من خبرى حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك انى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ووالله ما اجتمعت لى راحلتان قط حتى اجتمعتا فى تلك الغزوة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوة يغزوها الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا واستقبل غزو عدو كثير فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبته واخبرهم خبره بوجهه الذى يريد والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يعنى بذلك الديوان يقول لا يجمعهم ديوان مكتوب قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الا ظن أنه سيخفى له ذلك مالم ينزل فيه وحى من الله وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار وأحبت الظلال فالناس اليها صعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهز المسلمون معه وجعلت أغدو لا تجهز معهم فارجع ولم أقض حاجة فاقول فى نفسى أنا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شمر بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيأ فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم الحق بهم فغدوت بعد أن فصلوا لا تجهز فرجعت ولم أقض شيأ ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيأ فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا وتفرط الغزو فهممت أن أرتحل فادركهم وليتنى فعلت فلم أفعل وجعلت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم يحزننى أنى لا أرى الا رجلا مغموصا عليه فى النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يارسول الله حبسه برداه والنظر فى عطفيه فقال له معاذ بن جبل بئس ماقلت والله يارسول الله ماعلمنا منه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرنى بثى فجعلت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطة رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا وأستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلى فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عنى الباطل وعرفت أن لا أنجو منه الا بالصدق فأجمعت أن أصدقه وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فجعلوا يحلفون له و يعتذرون وكانوا بضعة وثمانين رجلا فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وأيمانهم و يستغفر لهم و يكل سرائرهم الى الله تعالى حتى جئت فسلمت عليه فتبسم تبسم المغضب ثم قال لى تعاله فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال لى ما خلفك ألم تكن ابتعت ظهرك قال قلت يارسول الله والله انى لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت انى سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كذبا لترضين عنى وليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديثا صدقا تجد على فيه انى لا رجو عقباى من الله فيه ولا والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدقت فيه فقم حتى يقضى الله فيك فقمت وثار معى رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى والله ماعلمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به اليه المخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فوالله مازالوا بى حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسى ثم قلت لهم هل لقى هذا أحد غيرى قالوا نعم رجلان قالا مثل مقالتك وقيل لهما مثل ما قيل لك قال قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العمرى من بنى عمرو بن عوف وهلال بن أمية الواقفى فذكروا لى رجلين صالحين فيهما اسوة فصمت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لى نفسى والارض فما هى

ومن تخلف منهم يوم بدر انما تخلف لانهم خرجوا لاخذ عير ولم يظنوا أن سيكون قتال فكذلك كان تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزاة كبيرة لانها كالنكث لبيعتهم كذلك قال ابن بطال رحمه الله فى هذه المسئلة ولا أعرف لها وجها غير الذى قال وأما الثلاثة فهم كعب بن مالك بن أبى كعب واسم أبى كعب عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الانصارى السلمى يكنى أبا عبد الله وقيل أبا عبد الرحمن أمه ليلى بنت زيد بن ثعلبة من بنى سلمة أيضا وهلال بن أمية وهو من بنى واقف ومرارة بن ربيعة ويقال ابن الربيع العمرى الانصارى من بنى عمر بن عوف

﴿ فصل ﴾ وذكر قول كعب زاح عنى الباطل يقال زاح وانزاح اذا ذهب والمصدر زيوحا وزيحانا

بالارض التى كنت أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج وأشهد الصلوات مع المسلمين وأطوف بالاسواق ولا يكلمنى أحد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فاقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ثم أصلى قريبا منه فاسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتى نظر الى واذا التفت نحوه أعرض عنى حتى اذا طال ذلك على من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلم انى أحب الله ورسوله فسكت فعدت فناشدته فسكت عنى فعدت فناشدته فسكت عنى فعدت فناشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناى وثبت فتسورت الحائط ثم غدوت الى السوق فبينا انا امشى بالسوق واذا نبطى يسال عنى من نبط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فجعل الناس يشيرون له حتى جاءنى فدفع الى كتابا من ملك غسان وكتب كتابا فى سرقة من حرير فاذا فيه اما بعد فانه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال قلت حين قرأتها وهذا من البلاء أيضا قد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فى رجل من أهل الشرك قال فعمدت بها الى تنور فسجرته بها فاقمنا على ذلك حتى اذا مضت أربعون ليلة من الخمسين اذا رسول رسول الله يأتينى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك أن تعتزل امرأتك قال فقلت أطلقها أم ماذا قال لا بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل الى صاحبى بمثل ذلك فقلت لامرأتى الحقى باهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر ما هو قاض قال وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له أفتكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربنك قالت والله يارسول الله ما به من حركة الى والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا ولقد تخوفت على بصره قال فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله لامرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال قلت والله لا أستاذنه فيها ما أدرى ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لى فى ذلك اذا استاذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثنا بعد ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ثم صليت الصبح صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا على الحال التى ذكر الله منا قد ضاقت علينا الارض بما رحبت وضاقت على نفسى وقد كنت ابتنيت خيمة فى ظهر سلع فكنت أكون فيها اذ سمعت صوت صارخ أوفى على ظهر سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء الفرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب نحو صاحبى مبشرون وركض رجل الى فرسا وسعى ساع من أسلم حتى أوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت ثوبى فكسوتهما اياه ببشارة ووالله ما أملك يومئذ غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما ثم انطلقت أتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقانى الناس يبشروننى بالتوبة ويقولون لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام ابو طلحة بن عبيد الله فحيانى وهنانى ووالله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى وجهه يبرق من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يارسول الله ام من عند الله قال بل من عند الله قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استبشر كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله ان من توبتى الى الله عز وجل أن أنخلع من مالى صدقة الى الله والى رسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال قلت انى ممسك سهمى الذى بخيبر وقلت يارسول الله ان الله قد نجانى بالصدق وان من توبتى الى الله أن لا أحدث الا صدقا ما حييت والله ما أعلم أحدا من الناس أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضل مما أبلانى والله ما تعمدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجوا أن يحفظنى الله فيما بقى وأنزل الله تعالى لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين

احداهما عن الاصمعى والاخرى عن الكسائى * وقوله فقام الى طلحة بن عبيد الله يهنئنى فكان كعب يراها له فيه جواز السرور بالقيام الى الرجل كما سر كعب بقيام طلحة اليه وقد قال عليه السلام فى خبر سعد بن معاذ قوموا الى سيدكم وقام هو صلى الله عليه وسلم الى قوم منهم صفوان بن أمية حين قدم عليه والى عدى ابن حاتم والى زيد بن حارثة حين قدم عليه من مكة وغيرهم وليس هذا بمعارض لحديث معاوية عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من سره أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار ويروى يستجم له الرجال لان هذا الوعيد

خلفوا الى قوله وكونوا مع الصادقين قال كعب فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هدانى للاسلام كانت أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أن لا أكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا فان الله تبارك وتعالى قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحى شر ما قال لاحد قال سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فعذرهم واستغفر لهم وارجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه ما قضى فبذلك قال الله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذى ذكر الله من تخليفنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه ايانا وارجائه أمرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه

﴿ أمر وفد ثقيف واسلامها فى شهر رمضان سنة تسع ﴾ * قال ابن اسحق وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك فى رمضان وقدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل الى المدينة فاسلم وسأله أن يرجع الى قومه بالاسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتحدث قومه انهم قاتلوك وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نخوة الامتناع الذى كان منهم فقال عروة يارسول الله أنا أحب اليهم من أبكارهم « قال ابن هشام » ويقال من أبصارهم * قال ابن اسحق وكان فيهم كذلك محببا مطاعا فخرج يدعو قومه الى الاسلام رجاء ان لا يخالفوه لمنزلته فيهم فلما أشرف لهم على علية له وقد دعاهم الى الاسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه فاصابه سهم فقتله فتزعم بنو مالك انه قتله رجل منهم يقال له أوس بن عوف أخو بنى سالم بن مالك وتزعم الاحلاف أنه قتله رجل منهم من بنى عتاب بن مالك يقال له وهب بن جابر فقيل لعروة ماترى فى دمك قال كرامة أكرمنى الله بها وشهادة ساقها الله الى فليس فى الا مافى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم فادفنونى معهم فدفنوه معهم فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه ان مثله فى قومه لكمثل صاحب يس فى قومه ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة اشهرا ثم انهم ائتمروا بينهم ورأوا انه لاطاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا حدثنى يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أن عمرو بن أمية أخا بنى علاج كان مهاجرا لعبد ياليل بن عمرو والذى بينهما سيئ وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب فمشى الى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل داره ثم أرسل اليه ان عمرو بن أمية يقول لك اخرج الى قال فقال عبد ياليل للرسول ويلك أعمرو أرسلك الى قال نعم وهاهو ذا واقفا فى دارك فقال ان هذا الشىء ما كنت اظنه بعمرو ولعمرو كان أمنع فى نفسه من ذلك فخرج اليه فلما رآه رحب به فقال له عمرو انه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة انه قد كان من أمر هذا الرجل ماقد رأيت وقد أسلمت العرب كلها وليست لكم بحربهم طاقة فانظروا فى أمركم فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها وقال بعضهم لبعض أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ولا يخرج منكم أحد الا اقتطع فائتمروا بينهم وأجمعوا أن يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كما أرسلوا عروة فكلموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير وكان سن عروة بن مسعود وعرض ذلك فأبى أن يفعل وخشى أن يصنع به اذا رجع كما صنع بعروة فقال لست فاعلا حتى ترسلوا معى رجالا فاجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الاحلاف وثلاثة من بنى مالك فيكونوا ستة فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ومن بنى مالك عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد دهمان أخا بنى يسار وأوس بن عوف أخا بنى سالم ونمير بن خرشة بن ربيعة أخا بنى الحرث فخرج بهم عبد ياليل وهو ناب القوم وصاحب أمرهم ولم يخرج بهم الا خشية من مثل ماصنع بعروة بن مسعود لكى يشغل كل رجل منهم اذ رجعوا الى الطائف رهطه فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة ألفوا بها المغيرة بن شعبة يرعى فى نوبته ركاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت رعيتها نوبا على أصحابه صلى الله عليه وسلم فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين وضبر يشتد

الوعيد انما توجه للمتكبرين والى من يغضب أو يسخط الا يقام له وقد قال بعض السلف يقام الى الوالد برا به والى الولد سرورا به وصدق هذا القائل فان فاطمة رضى الله عنها كانت تقوم الى أبيها صلى الله عليه وسلم برا به وكان هو صلى الله عليه وسلم يقوم اليها سرورا بها رضى الله عنها وكذلك كل قيام أثمره الحب فى الله والسرور بأخيك بنعمة الله والبر بمن يحب بره فى الله تبارك وتعالى فانه خارج عن حديث النهى والله أعلم

﴿ اسلام ثقيف ﴾

فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عروة بن مسعود حين قتل مثله كمثل صاحب ياسين فى قومه يحتمل قوله

ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والاسلام بان يشرط لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شروطا ويكتتبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فى قومهم و بلادهم وأموالهم فقال أبو بكر للمغيرة أقسمت عليك بالله لا تسبقنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه ففعل المغيرة فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بقدومهم عليه ثم خرج المغيرة الى أصحابه فروح الظهر معهم وعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفعلوا الا بتحية الجاهلية ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده كما يزعمون فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكتتبوا كتابهم وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم وقد كان فيما سألوه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوا شهرا واحدا بعد مقدمهم فابى عليهم أن يدعها شيئا مسمى وانما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يتسلموا بتركها من سفائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الاسلام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم الا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة وان لا يكسروا أوثانهم بايديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما كسر أوثانكم بايديكم فسنعفيكم منه وأما الصلاة فانه لا خير فى دين لا صلاة فيه فقالوا يا محمد فسنؤتيكها وان كانت دناءة فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم أمر عليهم عثمان بن أبى العاص وكان شهادة

من أحدثهم سنا وذلك انه كان أحرصهم على التفقه فى الاسلام وتعلم القرآن فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انى قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الاسلام وتعلم القرآن * قال ابن اسحق وحدثنى عيسى بن عبد الله عن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفى عن بعض وفدهم قال كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقى من رمضان بفطرنا وسحورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتينا بالسحور وانا لنقول انا لنرى الفجر قد طلع فيقول قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحر لتاخير السحور ويأتينا بفطرنا وانا لنقول ما نرى الشمس ذهبت كلها بعد فيقول ما جئتكم حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضع يده فى الجفنة فيلتقم منها « قال ابن هشام » بفطورنا وسحورنا * قال ابن اسحق وحدثنى سعيد بن أبى هند عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عثمان بن أبى العاص قال كان من آخر ما عهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثنى على ثقيف أن قال يا عثمان تجاوز فى الصلاة واقدر الناس باضعفهم فان فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة * قال ابن اسحق فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا الى بلادهم راجعين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فى هدم الطاغية فخرجا مع القوم حتى اذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن

صلى الله عليه وسلم كمثل صاحب ياسين ان يريد به المذكور فى سورة ياسين الذى قال لقومه اتبعوا المرسلين فقتله قومه واسمه حبيب بن مرى ويحتمل أن يريد صاحب الياس وهو اليسع فان الياس يقال فى اسمه ياسين أيضا وقال الطبرى هو الياس بن ياسين وفيه قال الله تبارك وتعالى « سلام على آل ياسين » فالله أعلم وقد بينا فى التعريف والاعلام معنى الياس والياسين وآل ياسين بيانا شافيا وأوضحنا خطأ قول من قال ان الياسين جمع كالاشعرين وضعف قول من قال ان ياسين هو محمد صلى الله عليه وسلم فلينظر هنالك وكانت تحت عروة ميمونة بنت أبى سفيان فولدت له أبا مرة بن عروة و بنت أبى مرة هى ليلى امرأة الحسين ابن على عليهما السلام ولدت للحسين عليا الاكبر قتل معه بالطف وأما على الاصغر فلم يقتل معه وأمه أم ولد واسمها سلافة وهى بنت كسرى ابن يزدجرد واختها الغزال هى أم أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام

﴿ فصل ﴾ وذكر اسلام ثقيف وهدم طاغيتهم وهى اللات وان المغيرة وأبا سفيان هما اللذان هدماها وذكر بعض من ألف فى السير ان المغيرة قال لابى سفيان حين هدمها الا اضحكك من ثقيف فقال بلى فاخذ المعول وضرب به اللات ضربة ثم صاح وخر على وجهه فارتجت الطائف بالصياح سرورا بان اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يا مغيرة دونكها ان استطعت ألم تعلم انها تهلك من عاداها و يحكم الاترون ما تصنع فقام المغيرة يضحك منهم و يقول لهم يا خبثاء والله ما قصدت الا الهزأ بكم ثم اقبل على هدمها حتى استاصلها واقبلت عجائز ثقيف تبكى حولها وتقول اسلمها الرضاع اذ كرهوا المصاع اى أسلمها اللئام حين كرهوا القتال

يقدم أباسفيان فابى ذلك أبو سفيان عليه وقال ادخل أنت على قومك وأقام أبو سفيان بماله بذى الهرم فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضر بها بالمعول وقام قومه دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ويقلن

لتبكين دفاع * أسلمها الرضاع * لم يحسنوا المصاع «قال ابن هشام» لتبكين عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق ويقول أبو سفيان والمغيرة يضر بها بالفاس واهالك آهالك فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها أرسل الى أبى سفيان وحليها مجموع وما لها من الذهب والجزع وقد كان أبو مليح بن عروة وقارب بن الاسود قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف حين قتل عروة يريدان فراق ثقيف وأن لا يجامعاهم على شئ أبدا فاسلما فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم توليا من شئتما فقالا نتولى الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالكما أباسفيان بن حرب فقالا وخالنا أباسفيان فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفيان والمغيرة الى هدم الطاغية سال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو مليح بن عروة أن يقضى عن أبيه عروة دينا كان عليه من مال الطاغية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال له قارب بن الاسود وعن الاسود يارسول الله فاقضه وعروة والاسود

اخوان لاب وأم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسود مات مشركا فقال قارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله لكن تصل مسلما ذا قرابة يعنى نفسه انما الدين على وانما أنا الذى أطلب به فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والاسود من مال الطاغية فلما جمع المغيرة مالها قال لابى سفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقضى عن عروة والاسود دينهما فقضى عنهما * وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده لا يعضد من وجد يفعل شيأ من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه فان تعدى ذلك فانه يؤخذ فيبلغ به النبي محمدا وان هذا أمر النبي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب خالد بن سعيد بامر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعده أحد يظلم نفسه فيما أمره به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ حج أبى بكر رضى الله عنه بالناس سنة تسع واختصاص النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه بتادية أول براءة عنه وذكر براءة والقصص فى تفسيرها ﴾

* قال ابن اسحق ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميرا على الحج من سنة تسع ليقيم للمسلمين حجهم والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم فخرج أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين ونزلت براءة فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم أن لا يصد عن البيت أحد جاءه ولا يخاف أحد فى الشهر الحرام وكان ذلك عهدا عاما بينه وبين الناس من أهل الشرك وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص الى آجال مسماة فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه فى تبوك وفى قول من قال منهم فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا

﴿ فصل ﴾ وذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لثقيف وذكره ابو عبيد كما ذكره ابن اسحاق وذكر فيه شهادة على وابنيه الحسن والحسين قال وفيه من الفقه شهادة الصبيان وكتابة اسمائهم قبل البلوغ وانما تقبل شهادتهم اذا أدوها بعد البلوغ وفيه من الفقه ايضا شهادة الابن مع شهادة ابيه فى عقد واحد *وذكر فى الكتاب وجا وانه حرام عضاهه وشجره يعنى حراما على غير أهله كتحريم المدينة ومكة ووج هى ارض الطائف وهى التى جاء فيها الحديث ان آخر وطأة وطئها الرب بوج ومعناها عند بعضهم آخر غزوة ووقعة كانت بارض العرب بوج لانها آخر غزواته صلى الله عليه وسلم الى العرب وقد قيل فى معنى الحديث غير هذا مما ذكره القتبى ونحن نضرب عن ذكره لما فيه من ايهام التشبيه والله المستعان وقد قيل فى وج هى الطائف نفسها وقيل هو اسم لواد بها ويشهد لهذا القول قول اميه بن الاسكر

اذا يبكى الحمام ببطن وج * على بيضاته بكيا كلابا

وقال آخر

انهدى لى الوعيد ببطن وج * كانى لا اراك ولا ترانى

وقد الفيت فى نسخة الشيخ وجا بتخفيف الجيم والصواب تشديدها كما تقدم وقال امية بن ابى الصلت

ان وجا وما يلى بطن وج * دار قومى ربوة ورثوق

وسميت وجا فيما ذكروا بوج بن عبد الحى من العمالقة ويقال وج واج بالهمزة قاله يعقوب فى كتاب الابدال وكتابه صلى الله عليه وسلم لاهل الطائف اطول مما ذكره ابن اسحاق بكثير وقد أورده ابو عبيد بكماله فى كتاب الاموال

﴿ انزال سورة براءة ﴾

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم من تبوك فذكر مخالطة المشركين للناس فى حجهم

يستخفون بغير ما يظهرون منهم من سمى لنا ومنهم من لم يسم لنا فقال عز وجل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين أى لاهل العهد العام من أهل الشرك فسيحوا فى الارض أربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزى الله وان الله مخزى الكافرين وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله أى بعد هذه الحجة فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم الا الذين عاهدتم من المشركين أى العهد الخاص الى الاجل المسمى ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم يعنى الاربعة التى ضرب لهم أجلا فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان أحد من المشركين أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ثم قال كيف يكون للمشركين الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا تخيفوهم فى الحرمة ولا فى الشهر الحرام عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهى قبائل بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية الى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فلم يكن نقضها الا هذا الحى من قريش وبنو الديل من بنى بكر بن وائل الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم فامر باتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر الى مدته فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين ثم قال تعالى كيف وان يظهروا عليكم أى المشركون الذين لا عهد لهم الى مدة من أهل الشرك العام لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة «قال ابن هشام» الال الحلف قال أوس بن حجر أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم آخرها

لولا بنو مالك والال مرقبة * ومالك فيهم الآلاء والشرف

وهذا البيت فى قصيدة له وجمعه آلال قال الشاعر

فلا آل من الآلال بينى * وبينكم فلا تألن جهدا

والذمة العهد قال الاجدع بن مالك الهمدانى وهو أبو مسروق بن الاجدع الفقيه

وكان علينا ذمة ان تجاوزوا * من الارض معروفا الينا ومنكرا

وهذا البيت فى ثلاثة أبيات له وجمعها ذمم يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون أى قد اعتدوا عليكم فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون * قال ابن اسحق وحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبى جعفر محمد بن على رضوان الله عليه انه قال لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضى الله عنه ليقيم للناس الحج قيل له يا رسول الله لو بعثت بها الى أبى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل من أهل بيتى ثم دعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه فقال له اخرج بهذه القصة

وتلبيتهم بالشرك وطوافهم عراة بالبيت وكانوا يقصدون بذلك ان يطوفوا كما ولدوا بغير الثياب التى أذنبوا فيها وظلموا فامسك صلى الله عليه وسلم عن الحج فى ذلك العام وبعث أبا بكر رضى الله عنه بسورة براءة لينبذ الى كل ذى عهد عهده من المشركين الا بعض بنى بكر الذين كان لهم عهد الى أجل خاص ثم أردف بعلى رضى الله عنه فرجع أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله هل أنزل فى قرآن قال لا ولكن أردت ان يبلغ عنى من هو من أهل بيتى قال أبو هريرة فامرنى على رضى الله عنه ان أطوف فى المنازل من منى ببراءة فكنت أصيح حتى صحل حلقى فقيل له بم كنت تنادى فقال باربع الا يدخل الجنة الا مؤمن والا يحج بعد هذا العام مشرك والا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد فله أجل أربعة أشهر ثم لا عهد له وكان المشركون اذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلى سترون بعد الاربعة أشهر بانه لا عهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن والضرب ثم ان الناس فى ذلك المدة رغبوا فى الاسلام حتى دخلوا فيه طوعا وكرها وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام القابل وحج المسلمون وقد عاد الدين كله واحدا لله رب العالمين * وأما النداء فى أيام التشريق بانها أيام أكل وشرب وفى بعض الروايات أكل وشرب وبعال فان الذى أمر أن ينادى بذلك فى أيام التشريق هو كعب بن مالك وأوس بن الحدثان وفى الصحيح ان زيد بن مربع [ويقال فيه أيضا عبد الله بن مربع] كان ممن أمر ان ينادى بذلك وروى مثل ذلك عن بشر بن سحيم الغفارى وقد روى أن حذيفة كان المنادى بذلك وعن سعد بن أبى وقاص أيضا وبلال ذكر بعض ذلك البزار فى مسنده وقد قيل فى قوله تعالى «فاذا انسلخ الاشهر الحرم» انه أراد ذا الحجة والمحرم من ذلك العام وانه جعل ذلك أجلا لمن لا عهد له من المشركين ومن كان له عهد جعل له أربعة أشهر أولها يوم النحر من ذلك العام وقوله تعالى «يوم الحج الاكبر» قيل أراد حين الحج أى أيام الموسم كلها لان نداء على بن أبى طالب ببراءة كان فى تلك الايام

﴿فصل﴾ وذكر ابن اسحاق ما أنزل الله فى سورة براءة فى غزوة تبوك وأهل التفسير يقولون ان

من صدر براءة وأذن فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى انه لايدخل الجنة كافر ولايحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهوله الى مدته نخرج على بن أبى طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء حتى أدرك أبا بكر بالطريق فلما رآه أبو بكر بالطريق قال أمير أومامور فقال بل مامور ثم مضيا فاقام أبو بكر للناس الحج والعرب اذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج التى كانوا عليها فى الجاهلية حتى اذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فاذن فى الناس بالذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس انه لايدخل الجنة كافر ولايحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهوله الى مدته وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم الى مامنهم أو بلادهم ثم لاعهد لمشرك ولاذمة الا احد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فهوله الى مدته فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق فكان هذا من امر براءة فيمن كان من أهل الشرك من اهل العهد العام واهل المدة الى الاجل المسمى * قال ابن اسحق ثم امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد اهل الشرك ممن نقض من اهل العهد الخاص ومن كان من اهل العهد العام بعد الاربعة الاشهر التى ضرب لهم اجلا الا ان يعدو فيها عاد منهم فيقتل بعدائه فقال ألا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة أتخشونهم فالله أحق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم و يخزهم و ينصركم عليهم و يشف صدور قوم مؤمنين و يذهب غيظ قلوبهم و يتوب الله اى من بعد ذلك على من يشاء والله عليم حكيم أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون « قال ابن هشام » وليجة دخيل و جمعها ولائج وهو من ولج يلج أى دخل يدخل وفى كتاب الله عز وجل حتى يلج الجمل فى سم الخياط أى يدخل يقول لم يتخذوا دخيلا من دونه يسرون اليه غير ما يظهرون نحو ما يصنع المنافقون يظهرون الايمان للذين آمنوا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم قال الشاعر

واعلم بانك قد جعلت وليجة * ساقوا اليك الحتف غير مشوب

قال ابن اسحق ثم ذكر قول قريش انا أهل الحرم وسقاة الحاج وعمار هذا البيت فلا أحد أفضل منا فقال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أى ان عمارتكم ليست على ذلك وانما يعمر مساجد الله أى من عمرها بحقها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله أى فاولئك عمارها فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وعسى من الله حق ثم قال تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله ثم القصة عن عدوهم حتى انتهى الى ذكر حنين وما كان فيه وتوليهم عن عدوهم وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم ثم قال تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة وذلك ان الناس قالوا لتنقطعن عنا الاسواق فلتهلكن التجارة وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق فقال الله عز وجل وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله أى من وجه غير ذلك ان شاء ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله و رسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون أى ففى هذا عوض مما تخوفتم من قطع الاسواق فعوضهم الله مما اقطع عنهم بامر الشرك ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه حتى انتهى الى قوله تعالى ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل و يصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم * ثم ذكر النسيء وما كانت العرب أحدثت فيه والنسيء ما كان يحل مما حرم الله تعالى من الشهور ويحرم مما احل الله منها فقال ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم أى لاتجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما أى كما فعل أهل الشرك فانما النسيء الذى كانوا يصنعون زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما و يحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين * ثم ذكر تبوك وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها وما أعظموا من غزو الروم حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جهادهم ونفاق من نافق من المنافقين حين دعوا الى ما دعوا اليه من الجهاد ثم ما نعى عليهم من احداثهم فى الاسلام فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ثم القصة الى قوله تعالى يعذبكم عذابا أليما و يستبدل قوما غيركم الى قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى

آخرها نزل قبل أولها فان أول ما نزل منها «انفروا خفافا وثقالا» ثم نزل أولها فى نبذ كل عهد الى صاحبه كما تقدم * وقوله انفروا خفافا وثقالا فيه أقوال قيل معناه شبانا وشيوخا وقيل أغنياء وفقراء وقيل أصحاب

اثنين اذهما فى الغار * ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر أهل النفاق لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا الاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون أى انهم يستطيعون عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين الى قوله لو خرجوا فيكم مازادوكم الاخبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم « قال ابن هشام » أوضعوا خلالكم ساروا بين أضعافكم الايضاع ضرب من السير أسرع من المشى قال الاجدع بن مالك الهمدانى

يصطادك الواحد المدل بشأوه * بشريج بين الشد والايضاع

وهذا البيت فى قصيدة له * قال ابن اسحق وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف فيما بلغنى منهم عبد الله بن أبى ابن سلول والجد بن قيس وكانوا أشرافا فى قومهم فثبطهم الله لعلمه ان يخرجوا معه فيفسدوا عليه جنده وكان فى جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم اليه لشرفهم فيهم فقال تعالى وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل أى من قبل أن يستأذنوك وقلبوا لك الامور أى ليخذلوا عنك أصحابك و يردوا عليك أمرك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا وكان الذى قال ذلك فيما سمى لنا الجد بن قيس أخو بنى سلمة حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جهاد الروم ثم كانت القصة الى قوله تعالى لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون أى انما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم * ثم بين الصدقات لمن هى وسمى أهلها فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم * ثم ذكر غشهم وأذاهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال ومنهم الذين يؤذون النبى و يقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله (٣٣٠) و يؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وكان الذى يقول تلك المقالة فيما بلغنى نبتل بن الحرث أخو بنى عمرو بن عوف وفيه نزلت هذه الآية وذلك انه كان يقول انما محمد أذن من حدثه شيأ صدقه يقول الله تعالى قل أذن خير لكم أى يسمع الخير و يصدق به ثم قال تعالى يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ثم قال ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن الى قوله تعالى ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة وكان الذى قال هذه المقالة وديعة بن ثابت أخو بنى أمية بن زيد من بنى عمرو بن عوف وكان الذى عفى عنه فيما بلغنى مخشن بن حمير الاشجعى حليف بنى سلمة وذلك أنه أنكر منهم بعض ماسمع منهم ثم القصة من صفتهم حتى انتهى الى قوله تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم و بئس المصير الى قوله من ولى ولا نصير وكان الذى قال تلك المقالة الجلاس بن سويد بن صامت فرفعها عليه رجل كان فى حجره يقال له عمير بن سعد فانكرها وحلف بالله ماقالها فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع وحسنت حاله وتوبته فيما بلغنى ثم قال تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بنى عمرو بن عوف ثم قال الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم وكان المطوعون من المؤمنين فى الصدقات عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى أخا بنى العجلان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب فى الصدقة وحض عليها فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق باربعة آلاف درهم وقام عاصم بن عدى فتصدق بمائة وسق من تمر فلمزوهما وقالوا ماهذا الارياء وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أنيف أتى بصاع من تمر فافرغها فى الصدقة فتضاحكوا به وقالوا ان الله لغنى عن صاع أبى عقيل ثم ذكر قول بعضهم لبعض حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأمر بالسير الى تبوك على شدة الحر وجدب البلاد فقال تعالى وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون الى قوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك أموالهم وأولادهم * قال ابن اسحق حدثنى الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال سمعت عمر بن

شغل وغير ذى شغل * وقيل ركبانا ورجالة * وأنشد شاهدا على أوضعوا خلالكم للاجدع بن مالك والد مسروق بن الاجدع وقد غير عمر رضى الله عنه اسم الاجدع وقال الاجدع اسم شيطان فسماه عبد الرحمن و يكنى مسروق أبا عائشة * وقوله فى البيت يصطادك الواحد أى يصطاد بك وأراد بالواحد الثور الوحشى * وقوله بشريج بين الشد والايضاع يقال هما شريجان أى مختلفان وقبل هذا البيت ابيات فى شعر الاجدع

أسألتنى بركائبى ورحالها * ونسيت قتلى فوارس الارباع

وذكره أبو على فى الامالى فقال وسألتنى بالواو وقد خطؤه وقالوا انما هو أسألتنى وفوارس الارباع قد سماهم أبو على فى الامالى وذكر لهم خبرا * وذكر قوله تعالى «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» وقيل فيه

الخطاب يقول لما توفى عبد الله بن أبى دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت فى صدره فقلت يارسول الله أتصلى على عدو الله عبد الله بن أبى ابن سلول القائل كذا يوم كذا والقائل كذا يوم كذا أعدد أيامه له ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى اذا أكثرت قال ياعمر أخر عنى انى قد خيرت فاخترت قد قيل لى استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر لهم فلو أعلم انى ان زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه قال فعجبت لى ولجراءتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله * قال ابن اسحق ثم قال تعالى واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وكان ابن ابى من أولئك فنعى الله ذلك عليه وذكره منه ثم قال تعالى لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله الى آخر القصة وكان المعذرون فيما بلغنى نفرا من بنى غفار منهم خفاف بن ايماء بن رحضة ثم كانت القصة لاهل العذر حتى انتهى الى قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما احملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون وهم البكاؤن ثم قال تعالى انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون والخوالف النساء ثم ذكر حلفهم للمسلمين واعتذارهم فقال فاعرضوا عنهم الى قوله تعالى فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ثم ذكر الاعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين فقال ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق أى من صدقة أو نفقة فى سبيل الله مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ثم ذكر الاعراب أهل الاخلاص والايمان منهم فقال ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا انها قربة لهم ثم ذكر السابقين الاولين من المهاجرين والانصار وفضلهم وما وعدهم الله من حسن ثوابه اياهم ثم ألحق بهم التابعين لهم باحسان فقال رضى الله عنهم ورضوا عنه ثم قال تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق أى لجوا فيه وأبوا غيره سنعذبهم مرتين والعذاب الذى أوعدهم الله تعالى مرتين فيما بلغنى غمهم بما هم فيه من أمر الاسلام وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ثم عذابهم فى القبور اذا صاروا اليها ثم العذاب العظيم الذى يردون اليه عذاب النار والخلد فيه ثم قال تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ثم قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها الى آخر القصة ثم قال تعالى وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وهم الثلاثة الذين خلفوا وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتت من الله توبتهم ثم قال تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الى آخر القصة ثم قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ثم كان قصة الخبر عن تبوك وما كان فيها الى آخر السورة وكانت براءة تسمى فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وبعده المبعثرة لما كشفت من سرائر الناس وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال حسان بن ثابت يعدد أيام الانصار مع النبى صلى الله عليه وسلم ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه «قال ابن هشام» وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان

ألست خير معد كلها نفرا * ومعشرا ان هم عموا وان حصلوا
قوم هموشهدوا بدرا باجمعهم * مع الرسول فما ألوا وما خذلوا

فيه أربعة أقوال أيضاً * أحدها ان يؤديها الذمى بنفسه ولا يرسلها مع غيره * الثانى ان يؤديها قائما والذى يأخذها قاعدا * الثالث ان معناه عن قهر واذلال * الرابع ان معناه عن يد منكم أى انعام عليهم بحقن دمائهم وأخذ الجزية منهم بدلا من القتل كل هذه الاقوال مذكورة فى كتب المفسرين ولفظ الآية يتناول جميع هذه المعانى والله أعلم ومعنى قوله تعالى فى هذه الآية قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وان كان أهل الكتاب يصدقون بالآخرة فمعناه فيما ذكر ابن سلام ان أهل الكتاب لا يقولون باعادة الاجساد ويقولون ان الارواح هى التى تبعث دون الاجساد

﴿ فصل ﴾ وذكر فى المعذرين خفاف بن ايماء بن رحضة ويقال فيه رحضة بالضم ابن خربة وكان له ولابيه ايماء ولجده رحضة صحبة مات خفاف فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان اماما لبنى غفار وذكر أبا عقيل صاحب الصاع الذى لمزه المنافقون واسمه جثجاث * وقد قيل فى صاحب الصاع انه رفاعة بن سهل

﴿ فصل ﴾ وذكر كلمة حسان الميمية وفيها * ألست خير معد كلها نفرا * وحسان ليس من معد

وبايعوه فلم ينكث به أحد * منهم ولم يك في ايمانهم دخل
ويوم صبحهم في الشعب من أحد * ضرب رصين كحر النار مشتعل
ويوم ذي قرد يوم استثار بهم * على الجياد فما خاموا وما نكلوا
وذا العشيرة جاسوها بخيلهم * مع الرسول عليها البيض والاسل
ويوم ودان أجلوا أهله رقصا * بالخيل حتى نهانا الحزن والجبل
وليلة طلبوا فيها عدوهم * لله والله يجزيهم بما عملوا
وغزوة يوم نجد ثم كان لهم * مع الرسول بها الاسلاب والنفل
وليلة بحنين جالدوا معه * فيها يعلهم بالحرب اذ نهلوا
وغزوة القاع فرقنا العدو به * كما تفرق دون المشرب الرسل
ويوم بويع كانوا أهل بيعته * على الجلاد فآسوه وما عدلوا
وغزوة الفتح كانوا في سريته * مرابطين فما طاشوا وما عجلوا
ويوم خيبر كانوا في كتيبته * يمشون كلهم مستبسل بطل
بالبيض ترعش في الايمان عارية * تعوج في الضرب أحيانا وتعتدل
ويوم سار رسول الله محتسبا * الى تبوك وهم راياته الاول
وساسة الحرب ان حرب بدت لهم * حتى بدا لهم الاقبال والقفل
أولئك القوم أنصار النبي وهم * قومي أصير اليهم حين أتصل
ماتوا كراما ولم تنكث عهودهم * وقتلهم في سبيل الله اذ قتلوا

«قال ابن هشام» عجز آخرها بيتا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضاً

كنا ملوك الناس قبل محمد * فلما أتى الاسلام كان لنا الفضل
وأكرمنا الله الذي ليس غيره * اله بأيام مضت ما لها شكل
بنصر الاله والرسول ودينه * وألبسناه اسما مضى ما له مثل
أولئك قومي خير قوم بأسرهم * فما عد من خير فقومي له أهل
يربون بالمعروف معروف من مضى * وليس عليهم دون معروفهم قفل
اذا اختبطوا لم يفحشوا في نديهم * وليس على سؤالهم عندهم بخل
وان حاربوا أو سالموا لم يشبهوا * فحربهم حتف وسلمهم سهل
وجارهم موف بعلياء بيته * له ما ثوى فينا الكرامة والبذل
وحاملهم موف بكل حمالة * تحمل لا غرم عليها ولا خذل
وقائلهم بالحق ان قال قائل * وحلمهم عود وحكمهم عدل
اذا
ومنا أمين المسلمين حياته * ومن غسلته من جنابته الرسل

«قال ابن هشام» وقوله وألبسناه اسما عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضاً

قومي أولئك ان تسألي * كرام اذا الضيف يوماً ألم
عظام القدور لايسارهم * يكبون فيها المسن السنم
يواسون جارهم في الغنى * ويحمون مولاهم ان ظلم
فكانوا ملوكا بارضيهم * ينادون عضبا بامر غشم
ملوكا على الناس لم يملكوا * من الدهر يوما كحل القسم
فانبوا بعاد وأشياعها * ثمود وبعض بقايا ارم
بيثرب قد شيدوا في النخيـ * ـل حصونا ودجن فيها النعم
نواضح قد علمتها اليهو * د عل اليك وقولا هلم
وفيما اشتهوا من عصير القطا * ف والعيش رخوا على غيرهم
فسرنا اليهم بأثقالنا * على كل فحل هجان قطم
جنبنا بهن جياد الخيو * ل قد جللوها جلال الادم
فلما أناخوا بجنبي صرار * وشدوا السروج بلي الحزم
فما راعهم غير معج الخيو * ل والزحف من خلفهم قد دهم
فطاروا سراعا وقد أفزعوا * وجئنا اليهم كاسد الاجم
على كل سلهبة في الصيان * لا يشتكين نحول السأم
وكل كميت مطار الفؤاد * أمين الفصوص كمثل الزلم
عليها فوارس قد عودوا * قراع الكماة وضرب البهم
ملوك اذا غشموا في البلا * د لا ينكلون ولكن قدم
فابنا بساداتهم والنساء * واولادهم فيهم تقتسم
ورثنا مساكنهم بعدهم * وكنا ملوكا بها لم نرم

ولكن أراد ألست خير الناس فاقام معد الكثرتها مقام الناس * وفيها وناد جهارا ولا تحتشم وفيها رد على من زعم ان الحشمة لا تكون الا بمعنى الغضب وانها مما يضعها الناس غير موضعها وقد جاء عن ابن عباس لكل طعام حشمة فابدؤه بالملح وفي الحديث المرفوع لا يرفعن أحدكم يده عن الطعام قبل أكيله فان ذلك مما يحشمه وأنشد ابو الفرج لمحمد بن يسير وان كان ليس مثل حسان في الحجة

في انقباض وحشمة فاذا * جالست اهل الوفاء والكرم
ارسلت نفسي على سجيتها * وقلت ما شئت غير محتشم

وفيها قوله

وكانوا ملوكا ولم يملكوا * من الدهر يوما كحل القسم

فيه شاهد لما قاله ابن قتيبة في تفسير كحلة القسم وخلافه لابي عبيد وقد قدمنا قولهما فيما تقدم من شرح قصيدة كعب بن زهير * وأنشد ابن قتيبة

فلما أتانا الرسول الرشيـــد بالحق والنور بعـد الظلم
فنشـهد انك عبـد الالـــه أرسلت نورا بدين قـيم
فنحن أولئك ان كذبوك فنـاد نداء ولا تحتشم
فسار الغواة باسيافهم اليـه يظنـون ان يخـترم
بكل صـقيل له ميعـة رقيق الذباب عضوض خذم
فذلك ماورثتنا القـرو م مجـدا تليدا وعـزا أشم
فقلنا صدقت رسول المليك هـلم الينا وفينا أقم
فانا وأولادنا جنـــة نقيك وفى مالنا فاحتكم
وناد بما كنت أخفيته نداء جهارا ولا تكتتم
فقمنا اليهـم باسيافنا نجالد عنـه بغاة الامم
اذا ما يصادف صم العظا م لم ينب عنها ولم ينثلم
اذا مر نسل كفى نسـله وغادر نسلا اذا ما انفصم
فان من الناس الا لنا * عليه وان خاس فضل النعم

«قال ابن هشام» أنشدنى أبو زيد الانصارى بيته

فكانوا ملوكا بارضهم * ينادون عضبا بامر غشم

وأنشدنى

بيثرب قد شيدوا فى النخيل * حصونا ودجن فيها النعم

و بيته وكل كميت مطارد الفؤاد عنه

﴿ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح﴾

* قال ابن اسحق لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف و بايعت ضربت اليه وفود العرب من كل وجه «قال ابن هشام» حدثنى أبو عبيدة ان ذلك فى سنة تسع وانها كانت تسمى سنة الوفود

*قال ابن اسحق وانما كانت العرب تربص بالاسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن قريشا كانوا امام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم وصريح ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقادة العرب لا ينكرون ذلك وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه فلما افتتحت مكة ودانت له قريش ودوخها الاسلام عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته فدخلوا فى دين الله كما قال الله عز وجل أفواجا يضربون اليه من كل وجه يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اذا جاء نصر الله والفتح و رأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك واستغفره انه كان توابا

﴿قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات﴾

فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب فقدم عليه عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمى فى أشراف

اذا عصفت ريح فليس بقائم * بها وتد الا تحلة مقسم

وأنشد أيضا * قليلا كتحليل الالى ثم أصبحت * البيت * وقوله وعزا أشم هو كقول العرب عزة قعساء يريد شماء لان الاقعس الذى يخرج صدره ويدخل ظهره وقد فسره المبرد بغير هذا التفسير و بيت حسان يشهد لما قلناه انما هو الشمم الذى يوصف به ذو العزة فوصفت العزة به مجازا

﴿فصل﴾ وذكر سورة اذا جاء نصر الله وتفسيره لها فى الظاهر خلاف ما ذكره ابن عباس حين سأله عمر عن تأويلها فاخبره ان الله تعالى أعلم فيها نبيه عليه السلام بانقضاء أجله فقال له عمر ما أعلم منها الا ما قلت وظاهر هذا الكلام يدل على ما قاله ابن عباس وعمر لان الله تعالى لم يقل فاشكر ربك واحمده كما قال ابن اسحق انما قال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فهذا أمر لنبيه عليه السلام بالاستعداد للقاء ربه تعالى والتوبة اليه ومعناها الرجوع عما كان بسبيله مما أرسل به من اظهار الدين اذ قد فرغ من ذلك وتم مراده فيه فصار جواب اذا من قوله تعالى «اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا» محذوفا وكثيرا ما يجىء فى القرآن الجواب محذوفا والتقدير اذا جاء نصر الله والفتح فقد انقضى الامر ودنا الاجل وحان اللقاء فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا و وقع فى مسند البزار مبينا من قول ابن عباس فقال فيه فقد دنا أجلك فسبح هذا المعنى هو الذى فهمه ابن عباس وهو حذف جواب اذا ولما لم يتنبه لهذه النكتة حسب ان جواب اذا فى قوله سبحانه فسبح كما تقول اذا جاء رمضان فصم وليس فى هذا التأويل من المشاكلة لما قبله ما فى تأويل ابن عباس فتدبره فقد وافقه عليه عمر رضى الله عنه وحسبك بهما فهما لكتاب الله تبارك وتعالى فالفاء على قول ابن عباس رابطة للامر بالعمل المحذوف وعلى ما ظهر لغيره رابطة لجواب الشرط الذى فى اذا

﴿قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

من أصح ما جاء فى هذا الباب حديث وفد عبد القيس وهم الذين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى وقد تكرر حديثهم فى الصحيحين دون تسمية أحد منهم فمنهم أشج عبد القيس وهو المنذر بن عائذ قال له النبى صلى الله عليه وسلم ان فيك خلتين يحبهما الله و رسوله الحلم والاناة ومنهم أبو الوازع الزارع بن عامر وابن أخته مطر بن هلال العنزى ولما ذكروا للنبى صلى الله عليه وسلم انه ابن

بنى تميم منهم الاقرع بن حابس التميمى والزبرقان بن بدر التميمى أحد بنى سعد وعمرو بن الاهتم والحتات بن يزيد «قال ابن هشام» الحتات
وهو الذى آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية بن أبى سفيان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بين نفر من أصحابه
من المهاجرين بين أبى بكر وعمر وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وبين أبى ذر الغفارى
والمقداد بن عمرو البهرانى وبين معاوية بن أبى سفيان والحتات بن يزيد المجاشعى فمات الحتات عند معاوية فى خلافته فأخذ معاوية ما ترك
وراثة بهذه الاخوة فقال الفرزدق لمعاوية

أبوك وعمى يامعاوى أورثا * تراثا فيحتاز التراث أقاربه

فما بال ميراث الحتات أكلته * وميراث حرب جامد لك ذائبه

وهذان البيتان فى أبيات له * قال ابن اسحق وفى وفد بنى تميم نعيم بن يزيد وقيس بن الحرث وقيس ابن عاصم أخو بنى سعد فى وفد عظيم من بنى تميم «قال ابن هشام» وعطارد بن حاجب أحد بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم والاقرع ابن حابس أحد بنى مالك ابن دارم بن مالك والحتات ابن يزيد أحد بنى دارم بن مالك والزبرقان بن بدر أحد بنى بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم وعمرو بن الاهتم أحد بنى منقر بن عبيد بن الحرث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم وقيس بن عاصم أحد بنى منقر بن عبيد بن الحرث * قال ابن اسحق ومعهم عيينة بن حصن بن حذيفة

ابن

ابن بدر الفزارى وقد كان الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنينا والطائف فلما
قدم وفد بنى تميم كان معهم فلما دخل وفد بنى تميم المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته أن اخرج الينا يا محمد
فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم فخرج اليهم فقالوا يا محمد جئناك نفاخرك فاذن لشاعرنا وخطيبنا قال قد أذنت
لخطيبكم فليقل فقام عطارد بن حاجب فقال

﴿ خطبة تميم ﴾

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن
وهو أهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وأيسره عدة فمن مثلنا فى الناس

أختهم قال ابن أخت القوم منهم ومنهم ابن أخى الزارع وكان مجنونا فجاء به معه ليدعو له النبى صلى الله
عليه وسلم فمسح ظهره ودعا له فبرئ لحينه وكان شيخا كبيرا فكسى جمالا وشبابا حتى كان وجهه وجه
العذراء ومنهم الجهم بن قثم لما نهاهم النبى عليه السلام عن الشرب فى الاوعية وحذرهم ما يقع فى ذلك من
الجراح وأخبرهم انهم اذا شربوا المسكر عمد أحدهم الى ابن عمه فجرحه وكان فيهم رجل قد جرح فى ذلك
وكان يخفى جرحه ويكتمه وذلك الرجل هو جهم بن قثم عجبوا من علم النبى عليه السلام بذلك واشارته الى
ذلك الرجل ومنهم أبو خيرة الصباحى من بنى صباح بن لكيز من حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال اللهم اغفر لعبد القيس وانه زودهم الاراك يستاكون به ومنهم مزيدة العصرى جد هود بن عبد
الله بن سعد بن مزيدة وعلى هود يدور حديثه فى التمر البرنى وانه دواء وليس فيه داء ومنهم قيس بن النعمان
ذكره أبو داود فى كتاب الاشربة فهذا ما بلغنى من تسمية من وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد عبد
القيس * وذكر فى الوفود الحتات بن يزيد وقول الفرزدق لمعاوية فيه * فما بال ميراث الحتات أكلته *
البيت وبعده فى غير سيرة ابن اسحق فلو أن هذا كان فى غير ملككم * لبؤت بها أو غص بالماء شاربه
وذكر فيهم عطارد بن حاجب بن زرارة وهو صاحب الحلة التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم
انما يلبس هذه الحلة من لا خلاق له وقول عمر رضى الله عنه اتكسونى هذه وقد قلت فى حلة عطارد ما قلت
وكان سبب تلك الحلة ان حاجب بن زرارة أبا عطارد كان وفد على كسرى ليأخذ منه أمانا لقومه ليقربوا
من ريف العراق لجدب أصاب بلادهم فسأله كسرى رهنا ليستوثق بها منهم فدفع اليه قوسه رهينة
فاستحمقه الملك وضحك منه فقيل له أيها الملك انهم العرب لو رهنك أحدهم تبنة ما أسلمها غدرا فقبلها منه
كسرى فلما أخصبت بلادهم انتشروا راجعين اليها وجاء حاجب يطلب قوسه فعند ذلك كساه كسرى تلك
الحلة التى كانت عند عطارد المذكورة فى جامع الموطا ذكره ابن قتيبة فى المعارف أو معناه وفى الموطا ان
عمر رضى الله عنه كسا الحلة أخا له مشركا بمكة قال ابن الحذاء كان أخاه لامه واسمه عثمان بن حكيم الثقفى
وهو جد سعيد بن المسيب لامه هكذا ذكر فى تسمية رجال الموطا وغلط من وجهين أحدهما أنه قال كان
أخا عمر لامه وانما هو أخو زيد بن الخطاب لامه أسماء بنت وهب بن أسد بن خزيمة وأما أم
عمر فهى حنتمة بنت هاشم بن المغيرة والغلط الثانى انه جعله ثقفيا وانما هو سلمى وهو عثمان بن حكيم بن أمية
ابن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم هكذا نسبه الزبير وبنته أم سعيد ولدت سعيد
ابن المسيب * وذكر فيهم عمرو بن الاهتم ونسبه واسم الاهتم سمى بن سنان وهو جد شبيب بن شبة وخالد

ألسنا برؤس الناس وأولى فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا وانا لو نشاء لاكثرنا الكلام ولكنا نحياء من الاكثار فيما أعطانا وانا نعرف بذلك
أقول هذه لان تأتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس اخى بنى الحرث بن
الخزرج قم فاجب الرجل فى خطبته فقام ثابت فقال ﴿ خطبة ثابت بن قيس ﴾ الحمد لله الذى السموات والارض خلقه قضى فيهن
أمره ووسع كرسيه علمه ولم يك شيا قط الا من فضله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه
حديثا وأفضله حسبا فانزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان به فآمن
برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه أكرم الناس حسبا وأحسن الناس وجوها وخير الناس فعالا ثم كان أول الخلق اجابة واستجاب لله حين دعاه رسول الله نحن فنحن أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ومن كفر جاهدناه فى الله أبدا وكان قتله علينا يسيرا أقول هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم فقام الزبرقان بن بدر فقال

نحن الكرام فلا حى يعادلنا * منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الاحياء كلهم * عند النهاب وفضل العز يتبع
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا * من الشواء اذا لم يؤنس القزع
بما ترى الناس تأتينا سراتهم * من كل أرض هويا ثم نصطنع
فننحر الكوم عبطا فى أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا الى حى نفاخرهم * الا استقادوا فكانوا الرأس يقتطع
فمن يفاخرنا فى ذاك نعرفه * فيرجع القوم والاخبار تستمع
انا أبينا ولم يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

« قال ابن هشام » يروى منا الملوك وفينا تقسم الربع ويروى من كل أرض هوانا ثم نتبع ورواه لى بعض بنى تميم وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها للزبرقان * قال ابن اسحق وكان حسان غائبا فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حسان جاءنى رسوله فاخبرنى انه انما دعانى لاجيب شاعر بنى تميم فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول

ابن صفوان الخطيبين البليغين وسمى سمى بالاهتم لان قيس بن عاصم ضربه فهتم فاه * وذكر خطبة ثابت ابن قيس وفيها وسع كرسيه علمه وفيه رد على من قال الكرسى هو العلم وكذلك من قال هو القدرة لانه لا توصف القدرة والعلم بان العلم وسعها وانما كرسيه ما احاط بالسموات والارضين وهو دون العرش كما جاءت به الآثار فعلمه سبحانه قد وسع الكرسى بما حواه من دقائق الاشياء وجلائلها وجملها وتفاصيلها وقد قيل ان الكرسى فى القرآن هو العرش وهو قول الحسن وفى هذا الحديث ما يكاد أن يكون حجة لهذا القول لانه لم يرد ان العلم وسع الكرسى فما دونه على الخصوص دون ما فوقه فجائز ان يريد به العرش وما تحته والله أعلم فان صحت الرواية عن ابن عباس ان الكرسى هو العلم فمؤولة كانه لم يقصد تفسير لفظ الكرسى ولكن أشار الى ان معنى العلم والاحاطة يفهم من الآية لان الكرسى الذى هو عند العرب موضع القدمين من سرير الملك اذا وسع ما وسع فقد وسعه علم الملك وملكه وقدرته ونحو هذا فليس فى ان يسع الكرسى ما وسعه مدح وثناء على الملك سبحانه الا من حيث تضمن سعة العلم والملك والا فلا مدح فى وصف الكرسى بالسعة والآية لا محالة واردة فى معرض المدح والتعظيم للعلى العظيم الذى لا يؤده حفظ مخلوقاته كلها وهو الحى القيوم وقوى الطبرى قول ابن عباس واحتج له بقوله عز وجل ولا يؤده حفظهما وبان العرب تسمى العلماء كراسى قال ومنه سميت الكراسى لما تضمنه وتجمعه من العلم وأنشد

تحفهم بيض الوجوه وعصبة * كراسى بالاحداث حين تنوب

أى عالمون بالاحداث * وذكر شعر الزبرقان وان بعض الناس ينكر الشعر له وذكر البرقى ان الشعر لقيس ابن عاصم المنقرى وكان الزبرقان يرفع له بيت من عمائم وثياب وينضح بالزعفران والطيب وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت قال الشاعر وهو المخبل السعدى واسمه كعب بن ربيعة بن قتال

وأشهد من عوف حلولا كثيرة * يحجون سب الزبرقان المزعفرا

والسب العمامة وأحسبه أشار الى هذا المعنى بقوله * بما ترى الناس تأتينا سراتهم * البيت وليس السراة جمع سرى كما ظنوا وانما هو كما تقول ذروتهم وسنامهم وسراة كل شىء أعلاه وقد أوضحناه فيما مضى من هذا الكتاب والزبرقان من أسماء القمر قال الشاعر

تضىء به المنابر حين يرقى * عليها مثل ضوء الزبرقان

والزبرقان أيضا الخفيف العارضين وكانت له ثلاثة أسماء الزبرقان والقمر والحصين وثلاث كنى أبو العباس وأبو شذرة وأبو عياش وهو الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب

منعنا رسول الله اذ حل وسطنا * على انف راض من معد وراغم
منعناه لما حل بين بيوتنا * باسيافنا من كل باغ وظالم
ببيت حريد عزه وثراؤه * بجابية الجولان وسط الاعاجم
هل المجد الا السودد العود والندى * وجاه الملوك واحتمال العظائم

قال فلما انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام شاعر القوم فقال ما قال عرضت في قوله وقلت على نحو ما قال فلما فرغ الزبرقان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت قم يا حسان فاجب الرجل فيما قال قال فقام حسان فقال

ان الزوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بهم كل من كانت سريرته * تقوى الاله وكل الخير يصطنع
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أوحاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع
ان كان في الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لادنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ان سابقوا الناس يوما فاز سبقهم * أووازنوا أهل مجد بالندى متعوا
أعفة ذكرت في الوحى عفتهم * لا يطبعون ولا يرديهم طمع
لا يبخلون على جار بفضلهم * ولا يمسهم من مطمع طبع
اذا نصبنا لحى لم ندب لهم * كما يدب الى الوحشية الذرع
نسمو اذا الحرب نالتنا مخالبها * اذا الزعانف من أظفارها خشعوا
لا يفخرون اذا نالوا عدوهم * وان أصيبوا فلا خور ولا هلع
كأنهم في الوغى والموت مكتنع * (٢٣٦) أسد بحلية في ارساغها فدع
خذ منهم ما أتى عفوا اذا غضبوا * ولا يكن همك الامر الذى منعوا
فان في حربهم فاترك عداوتهم * شرا يخاض عليه السم والسلع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفاوتت الاهواء والشيع
أهدى لهم مدحتى قلب يوازره * فيما أحب لسان حائك صنع
فانهم أفضل الاحياء كلهم * ان جد بالناس جد القول أوشمعوا

«قال ابن هشام» أنشدني أبو زيد
يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وبالامر الذى شرعوا

«قال ابن هشام» حدثني بعض أهل الشعر من بني تميم أن الزبرقان بن بدر لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم قام فقال

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا * اذا احتفلوا عند احتضار المواسم
بأنا فروع الناس في كل موطن * وأن ليس في أرض الحجاز كدارم
وأنا نذود المعلمين اذا انتخوا * ونضرب رأس الاصيد المتفاقم
وأن لنا المرباع في كل غارة * تغير بنجد أو بأرض الاعاجم

فقام حسان بن ثابت فأجابه فقال

هل المجد الا السودد العود والندى * وجاه الملوك واحتمال العظائم
نصرنا وآوينا النبي محمدا * على أنف راض من معد وراغم
بحي حريد أصله وثراؤه * بجابية الجولان وسط الاعاجم
نصرناه لما حل وسط ديارنا * بأسيافنا من كل باغ وظالم
جعلنا بنينا دونه وبناتنا * وطبنا له نفسا بفيء المغانم
ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا * على دينه بالمرهفات الصوارم
ونحن ولدنا من قريش عظيمها * ولدنا نبي الخير من آل هاشم
بني دارم لا تفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول ما بين ظئر وخادم
فان كنتم جئتم لحقن دمائكم * وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا * ولا تلبسوا زيا كزي الاعاجم

* قال ابن اسحق فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله قال الاقرع بن حابس وأبي ان هذا الرجل لمؤتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولاصواتهم أحلى من أصواتنا فلما فرغ القوم أسلموا وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم

ابن سعد بن زيد مناة بن تميم * وقول حسان * ببيت حريد عزه وثراؤه * يريد بيت شرفهم من غسان وهم ملوك الشام وهم وسط الاعاجم والبيت الحريد المنفرد عن البيوت كما انفردت غسان وانقطعت عن أرض العرب وكان حسان يضرب بلسانه ارنبة انفه هو وابنه وأبوه وجده وكان يقول لو وضعته يعني لسانه على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه وما يسرني به مقول من معد * وقول حسان * يخاض اليه السم والسلع * السلع شجر مر قال أمية

عشر ما وفوقه سلع ما * عائل ما وعالت البيقورا

يريد انهم كانوا اذا استسقوا في الجاهلية ربطوا السلع والعشر في أذناب البقر * وقوله شمعوا أي ضحكوا ومزحوا قال الشاعر يصف الاضياف

وأبدؤهم بمشمعة وأثنى * بجهدي من طعام أو بساط

وفي الحديث من تتبع المشمعة شمع الله به يريد من ضحك من الناس وأفرط في المزح * وقوله * أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا * أي ارتفعوا يقال متع النهار اذا ارتفع * وقول حسان * وطبنا له أنفسا بفيء المغانم * يريد طيب نفوسهم يوم حنين حين أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيأ

(فصل)

وكان عمرو بن الاهتم قد خلفه القوم في ظهرهم وكان أصغرهم سنا فقال قيس بن عاصم وكان يبغض عمرو بن الاهتم يارسول الله انه قد كان رجل منا في رحالنا وهو غلام حدث وأزرى به فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مااعطى القوم فقال عمرو بن الاهتم حين بلغه ان قيسا قال ذلك يهجوه

ظللت مفترش الهلباء تشتمني * عند الرسول فلم تصدق ولم تصب
سدناكم سوددا راهوا وسوددكم * بادنواجذه مقع على الذنب

«قال ابن هشام» بقي بيت واحد تركناه لانه اقذع فيه * قال ابن اسحق وفيهم نزل من القرآن ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم (٣٣٧) لا يعقلون

﴿ قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس في الوفادة عن بني عامر ﴾

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم فتقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد الغدر به وقد قال له قومه ياعامر ان الناس قد أسلموا فاسلم قال والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ثم قال لاربد اذا قدمنا على الرجل فاني ساشغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل يامحمد خالني قال لا والله حتى تؤمن بالله وحده قال يامحمد خالني وجعل يكلمه وينظر من اربد ما كان أمره به فجعل اربد لا يحير شيئا فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال يامحمد خالني قال لا حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما والله لاملانها عليك خيلا ورجالا فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني عامر بن الطفيل فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لاربد ويلك ياأربد أين ما كنت أمرتك به والله ما كان على ظهر الارض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا قال لا أبالك لا تعجل علي والله ماهممت بالذي أمرتني به من أمره الا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف وخرجوا راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول فجعل يقول يابني عامر أغدة

﴿ فصل ﴾ وذكر قول عمرو بن الاهتم لقيس بن عاصم

ظللت مفترش الهلباء تشتمني * عند النبي فلم تصدق ولم تصب

الهلباء فعلاء من الهلب وهو الخشن من الشعر يقال منه رجل أهلب ومنه قول الشعبي في مشكلة نزلت هلباء ازباء ذات وبر وكانه أراد بمفترش الهلباء أي مفترشا لحيته ويجوز أن يريد بمفترش الهلباء يعني امرأة وقيل الهلباء يريد بها هنا دبره فان كان عني امرأة فهو نصب على النداء * وذكر ما أنزل الله تبارك وتعالى فيهم في سورة الحجرات وقد كان عمر وأبو بكر اختلفا في أمر الزبرقان وعمرو بن الاهتم فاشار أحدهما بتقديم الزبرقان وأشار الآخر بتقديم عمرو بن الاهتم حتى ارتفعت أصواتهما فانزل الله عز وجل ياأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله الى قوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي فكان عمر بعد ذلك اذا كلم النبي عليه السلام لا يكلمه الا كاخي السرار وفي هذا الوفد جاء الحديث ان رجلين قدما من نجد خطيبا فعجب الناس لبيانهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وأدخله مالك في باب ما يذم من القول من أجل ان السحر مذموم شرعا وغيره يذهب الى انه مدح لهما بالبيان واستمالة القلوب كالسحر وكان من قولهما ان عمرا قال للنبي صلى الله عليه وسلم في الزبرقان انه مطاع في أدنيه سيد في عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدني يارسول الله لشرفي ولقد علم أفضل مما قال قال فقال عمرو انه لزمر المروءة ضيق العطن لئيم الخال فعرف الانكار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما علمت ولقد صدقت في الاولى وما كذبت في الثانية فحينئذ قال النبي صلى الله عليه وسلم «ان من البيان لسحرا» وقوله لئيم الخال قيل ان أمه كانت من باهلة قاله ابن ثابت في الدلائل وقد أنكر هذا عليه وممن أنكره عليه أبو مروان بن سراج فالله أعلم لان أهل النسب ذكروا ان أم الزبرقان عكلية من بني أقيش وعكل وان كانت تجتمع مع تيم في ادبن طابخة لكن تيما أشرف منهم ولا سيما بني سعد رهط الزبرقان فلذلك جعله عمرو لئيم الخال

﴿ فصل ﴾ وذكر خبر عامر بن الطفيل وأربد وأن أربد قال لعامر ما هممت بقتل محمد الا رأيتك بيني وبينه أفأقتلك وفي غير رواية ابن اسحق ألا رأيت بيني وبينه سورا من حديد وكذلك في رواية غيره قال عامر لاملانها عليك خيلا جردا ورجالا مردا ولاربطن بكل نخلة فرسا فجعل أسيد بن حضير يضرب في رؤسهما ويقول اخرجا أيها الهجرسان فقال له عامر ومن أنت فقال أسيد بن حضير فقال أحضير بن سماك قال نعم قال أبوك كان خيرا منك فقال بل أنا خير منك ومن أبي لان أبي كان مشركا وأنت مشرك وذكر

كغدة البكر في بيت امرأة من بني سلول «قال ابن هشام» ويقال أغدة كغدة الابل وموتا في بيت سلولية * قال ابن اسحق ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بني عامر شاتين فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا ما وراءك يا أربد قال لا شيء والله لقد دعانا الى عبادة شيء لوددت انه عندي الآن فارميه بالنبل حتى أقتله فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه فارسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة فاحرقتهما وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لامه «قال ابن هشام» وذكر زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال وأنزل الله عز وجل في عامر وأربد الله يعلم ما تحمل كل انثى الى قوله وما لهم من دونه من وال قال والمعقبات هي من أمر الله يحفظون محمدا ثم ذكر أربد وما قتله الله به فقال ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء الى قوله شديد المحال * قال ابن اسحق فقال لبيد يبكي أربد

ما ان تعرى المنون من أحد * لا والد مشفق ولا ولد
أخشى على أربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والاسد
فعين هلا بكيت أربد اذ * قمنا وقام النساء في كبد
ان يشغبوا لا يبال شغبهم * أو يقصدوا في الحكوم يقتصد
حلو أريب وفي حلاوته * مر لطيف الاحشاء والكبد
وعين هل بكيت أربد اذ * ألوت رياح الشتاء بالعضد
وأصبحت لاقحا مصرمة * حين تجلت غوابر المدد
أشجع من ليث غابة لحم * ذو نهمة في العلا ومنتقد
لا تبلغ العين كل نهمتها * ليلة تمسي الجياد كالقدد
الباعث النوح في مآتمه * مثل الظباء الابكار بالجرد
فجعني البرق والصواعق بالـ * فارس يوم الكريهة النجد
والحارب الجابر الحريب اذا * جاء نكيبا وان يعد يعد
يعفو على الجهد والسؤال كما * ينبت غيث الربيع ذو الرصد
كل بني حرة مصيرهم * قل وان أكثرت من العدد
ان يغبطوا يهبطوا وان أمروا * يوما فهم للهلاك والنقد

سيبويه قول عامر أغدة كغدة البعير وموتا في بيت سلولية في باب ما ينتصب على اضمار الفعل المتروك اظهاره كانه قال أغدغدة والسلولية امرأة منسوبة الى سلول بن صعصعة وهم بنو مرة بن صعصعة وسلول أمهم وهي بنت ذهل بن شيبان وكان عامر بن الطفيل من بني عامر بن صعصعة فلذلك اختصها لقرب النسب بينهما حتى مات في بيتها وأما أشعار لبيد في أربد فقها قوله

تطير عدائد الاشراك شفعا * ووترا والزعامة للغلام

الزعامة الرياسة وقيل أراد بالزعامة هنا بيضة السلاح والاشراك الشركاء والعدائد الانصباء ماخوذ من العدد ويقال ان أربد حين أصابته الصاعقة أنزل الله تبارك وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم «ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء» يعني أربد والله أعلم وعامر وأربد يجتمعان في جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر وأمهما واحدة وسائر شعر لبيد في اربد مرغوب عن الاشتغال بشرحه بناء على أصلنا المتقدم والله ولي التوفيق على ان لبيدا رحمه الله قد أسلم وحسن اسلامه وعاش في الاسلام ستين سنة لم يقل فيها بيت شعر فساله عمر عن تركه الشعر فقال ما كنت لاقول شعرا بعد ان علمني الله البقرة وآل عمران فزاده عمر في عطائه خمس مائة درهم من اجل هذا القول فكان عطاؤه الفين وخمسمائة فلما كان معاوية اراد ان ينتقصه من عطائه الخمسمائة وقال له ما بال العلاوة فوق الفودين فقال له لبيد الآن اموت وتصير لك العلاوة والفودان فرق له معاوية وتركها له فمات لبيد اثر ذلك بايام قليلة وقد قيل انه قال بيتا واحدا في الاسلام

الحمد لله اذ لم ياتني اجلي * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

«قال ابن هشام» بيته والحارب الجابر الحريب عن أبي عبيدة وبيته يعفو على الجهد عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال لبيد أيضا يبكي أربد

(فصل)

ألا ذهب المحافظ والمحامي * ومانع ضيمها يوم الخصام
وأيقنت التفرق يوم قالوا * تقسم مال اربد بالسهام
تطير عدائد الاشراك شفعا * ووترا والزعامة للغلام
فودع بالسلام ابا حريز * وقل وداع اربد بالسلام
وكنت امامنا ولنا نظاما * وكان الجزع يحفظ بالنظام
وار بد فارس الهيجا اذا ما * تقعرت المشاجر بالفئام
اذا بكر النساء مردفات * حواسر لا يجئن على الخدام
فوال يوم ذلك من أتاه * كما وأل المحل الى الحرام
ويحمد قدر اربد من عراها * اذا ما ذم ارباب اللحام
وجارته اذا حلت لديه * لها نفل وحظ من سنام
فان تقعد فمكرمة حصان * وان تظعن فمحسنة الكلام
وهل حدثت عن اخوين داما * على الايام الا ابني اشمام
والا الفرقدين وآل نعش * خوالد ما تحدث بانهدام

«قال ابن هشام» وهي في قصيدة له * قال ابن اسحق وقال لبيد ايضا يبكي اربد

انعى الكريم للكريم اربدا * انعى الرئيس واللطيف كبدا
يحذي ويعطي ماله ليحمدا * أدما يشبهن صوارا ابدا

السائل الفضل اذا ما عددا * و يملأ الجفنة ملا مددا رفعها اذا يأتى ضريك وردا * مثل الذى فى الغيل يقرو جمدا
يزداد قربا منهم أن يوعدا * أو رثتنا تراث غير أنكدا غنا ومالا طارفا وولدا * شرخا صقورا يافعا وأمردا

﴿ وقال لبيد أيضاً ﴾

لم تفنينا خيرات أر * بد فابكيا حتى يعودا قولا هو البطل المحا * مى حين يكسون الحديدا
ويصدعنا الظالمين اذا لقينا القوم صيدا فاعتاقه رب البرية اذ رأى ان لا خلودا
فثوى ولم يوجع ولم * يوصب وكان هو الفقيدا

﴿ وقال لبيد أيضا ﴾

يذكرنى بار بدكل خصم * ألد تخال خطته ضرارا اذا اقتصدوا فمقتصد كريم * وان جاروا سواء الحق جارا
ويهدى القوم مطلعا اذا ما * دليل القوم بالموماة حارا «قال ابن هشام» وآخرها بيتا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق
وقال لبيد أيضا أصبحت أمشى بعد سلمى بن مالك * وبعد أبى قيس وعروة كالاجب
اذا ما رأى ظل الغراب أضجه * حذارا على باقى السناسن والعصب «قال ابن هشام» وهذان البيتان فى أبيات له

﴿ قدوم ضمام بن ثعلبة وافدا عن بنى سعد بن بكر ﴾ (٣٣٩)

* قال ابن اسحق وبعث بنو سعد بن بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم يقال له ضمام بن ثعلبة * قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن الوليد بن نويفع عن كريب مولى عبد الله بن عباس عن ابن عباس قال بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه وكان ضمام رجلا جلدا اشعر ذا غديرتين فاقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فقال أيكم ابن عبد المطلب قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ابن عبد المطلب قال أمحمد قال نعم قال يا ابن عبد المطلب انى سائلك ومغلظ عليك فى المسئلة فلا تجدن بها على فى نفسك قال لا أجد فى نفسى فسل عما بدا لك قال انشدك الله الهك واله من كان قبلك واله من هو كائن بعدك آلله بعثك الينا رسولا قال اللهم نعم قال فانشدك الله الهك واله من كان قبلك واله من هو كائن بعدك آلله أمرك ان تامرنا ان نعبده وحده ولا نشرك به شيا وان نخلع هذه الانداد التى كان آباؤنا يعبدون معه قال اللهم نعم قال فانشدك الله الهك واله من كان قبلك واله من هو كائن بعدك آلله أمرك ان نصلى هذه الصلاة الخمس قال اللهم نعم قال ثم جعل يذكر فرائض الاسلام فريضة فريضة الزكاة والصيام والحج وشرائع الاسلام كلها ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده فى التى قبلها حتى اذا فرغ قال فانى أشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وساؤدى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتنى عنه ثم لا ازيد ولا انقص ثم انصرف الى بعيره راجعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صدق ذو العقيصتين دخل الجنة قال فاتى بعيره فاطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا اليه فكان اول ما تكلم به ان قال باست اللات والعزى قالوا مه يا ضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون قال ويلكم انهما والله لا يضران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه وانى اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده

﴿ فصل ﴾ وذكر وفد جرش وان خثعم ضوت اليها حين حاصرهم صرد بن عبد الله وانشد

حتى أتينا حميرا فى مصانعها * وجمع خثعم قد صاغت لها النذر

ويروى خميرا بالخاء المعجمة وفى حمير حمير الادنى وهو حمير بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن شدد بن زرعة وهو حمير الاصغر بن سبا الاصغر بن كعب كهف الظلم بن زيد الجمهور ابن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن الهميسع بن حمير الاكبر وهو العرنجج وقال الابرهى وهو من علماء حمير بالنسب وهو منسوب الى ابرهة بن الصباح الحميرى فى حمير الادنى المبدؤ بذكره حمير وعلى هذا القول تصح رواية الخاء المنقوطة ومن رواه بالحاء المهملة فهو تصغير حمير تصغير الترخيم والعرنجج فى لغة حمير العتيق

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث ضمام بن ثعلبة وهو الذى قال فيه طلحة بن عبيد الله جاءنا اعرابى من أهل نجد ثائر الراس يسمع دوى صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا فاذا هو يسئل عن الاسلام الحديث رواه مالك فى الموطا عن عمه عن جده عن طلحة وقد ترجم عليه ابو داود لما فيه من دخول المشرك المسجد * وذكر معه حديث اليهود حين دخلوا المسجد وذكروا ان رجلا منهم وامراة زنيا وقال به الشافعى وكره مالك دخول

بما امركم به وما نهاكم عنه قال فوالله ما امسى من ذلك اليوم وفى حاضره رجل ولا امراة الا مسلما قال يقول عبد الله بن عباس فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة

﴿ قدوم الجارود فى وفد عبد القيس ﴾

* قال ابن اسحق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن خنش أخو عبد القيس «قال ابن هشام» الجارود بن بشر بن المعلى فى وفد عبد القيس وكان نصرانيا * قال ابن اسحق حدثنى من لا أتهم عن الحسين قال لما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ودعاه اليه ورغبه فيه فقال يا محمد انى قد كنت على دين وانى تارك دينى لدينك أفتضمن لى دينى قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا ضامن لك ان قد هداك الله الى ما هو خير منه قال فاسلم وأسلم أصحابه ثم سال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحملان فقال والله ما عندى ما أحملكم عليه قال يا رسول الله فان بيننا و بين بلادنا ضوال من ضوال الناس أفنتبلغ عليها الى بلادنا قال لا اياك واياها فانما تلك حرق النار فخرج من عنده الجارود راجعا الى قومه وكان حسن الاسلام صلبا على دينه حتى هلك وقد أدرك الردة فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم الى دينهم الاول مع الغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر قام الجارود فتشهد شهادة الحق ودعا الى الاسلام فقال أيها الناس انى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأكفر من لم يشهد «قال ابن هشام» ويروى وأكفى من لم يشهد * قال ابن اسحق وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى قبل فتح مكة الى المنذر بن ساوى العبدى فاسلم فحسن اسلامه ثم هلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ردة أهل البحرين والعلاء عنده أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين

﴿ قدوم بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب ﴾

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى حنيفة فيهم مسيلمة بن حبيب الحنفى الكذاب «قال ابن هشام» مسيلمة بن ثمامة و يكنى أبا ثمامة

الذمى المسجد وخصص ابو حنيفة المسجد الحرام لقول الله تبارك وتعالى «انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام» الآية وتعلق مالك بالعلة التى نبهت عليها الآية وهى التنجيس فعم المساجد كلها

﴿ فصل ﴾ وذكر الجارود العبدى وهو بشر بن عمرو بن المعلى يكنى أبا المنذر وقال الحاكم يكنى أبا غياث وأبا عتاب وسمى الجارود لانه أغار على قوم من بكر فجردهم قال الشاعر

ودسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وائل

وذكر فى آخر حديث الجارود الغرور بن النعمان بن المنذر وكان كسرى حين قتل النعمان صير أمر الحيرة الى هانئ بن قبيصة الشيبانى ولم يبق لآل المنذر رسم ولا أمر يذكر حتى كانت الردة ومات هانئ بن قبيصة فظهر أهل الردة أمر الغرور بن النعمان واسمه المنذر وانما سمى الغرور لانه غر قومه فى تلك الردة أو غروه واستعانوا به على حربهم فقتل هنالك وزعم وثيمة بن موسى انه أسلم بعد ارتداده والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر وفد بنى حنيفة واسم حنيفة أثال بن لجيم بن سعد بن على بن بكر بن وائل مع مسيلمة على النبى صلى الله عليه وسلم وهو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن هفان بن ذهل بن الدول بن حنيفة يكنى أبا ثمامة وقيل أبا هارون وكان يسمى بالرحمن فيما روى عن الزهرى قبل مولد عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل وهو ابن مائة وخمسين سنة وكانت قريش حين سمعت بسم الله الرحمن الرحيم قال قائلهم دق فوك انما تذكر مسيلمة رحمان اليمامة وكان الرحال الحنفى واسمه نهار ابن عنفوة والعنفوة يابس الحلى وهو نبات وذكر أبو حنيفة فقال فيه عنفوة بالثاء المثلثة وقال هو يابس الحلى والحلى النصى وهو نبت قدم فى وفد اليمامة على النبى صلى الله عليه وسلم فآمن وتعلم سورا من القرآن فرآه النبى صلى الله عليه وسلم يوما جالسا مع رجلين من أصحابه أحدهما فرات بن حيان والآخر أبو هريرة فقال ضرس أحدكم فى النار مثل أحد فما زالا خائفين منها حتى ارتد الرحال وآمن بمسيلمة وشهد زورا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد شركه معه فى النبوة ونسب اليه بعض ما تعلم من القرآن فكان من أقوى أسباب الفتنة على بنى حنيفة وقتله زيد بن الخطاب يوم اليمامة ثم قتل زيد بن الخطاب سلمة بن صبيح الحنفى وكان مسيلمة صاحب نيرجات يقال انه أول من أدخل البيضة فى القارورة وأول من وصل جناح الطائر المقصوص وكان يدعى ان ظبية تأتيه من الجبل فيحلب لبنها وقال رجل من بنى حنيفة يرثيه

لهفى عليك أبا ثمامه * لهفى على ركنى شمامه

كم آية لك فيهم * كالشمس تطلع من غمامه

وكذب بل كانت آياته منكوسة تفل فى بئر قوم سألوه ذلك تبركا فملح ماؤها ومسح رأس صبى فقرع قرعا فاحشا ودعا لرجل فى ابنين له بالبركة فرجع الى منزله فوجد أحدهما قد سقط فى البئر والآخر قد أكله الذئب ومسح على عينى رجل استشفى بمسحه فابيضت عيناه واسم مؤذنه حجير وكان أول ما أمر أن يذكر

* قال ابن اسحق فكان منزلهم فى دار بنت الحرث امرأة من الانصار ثم من بنى النجار فحدثنى بعض علمائنا من أهل المدينة أن بنى حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه معه عسيب من سعف النخل فى رأسه خوصات فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلمه وسأله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه * قال ابن اسحق وحدثنى شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة ان حديثه كان على غير هذا زعم ان وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة فى رحالهم فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا يا رسول الله انا قد خلفنا صاحبا لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا قال فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم وقال أما انه ليس بشركم مكانا أى لحفظه ضيعة أصحابه ذلك الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاؤه بما أعطاه فلما انتهوا الى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم وقال انى قد أشركت فى الامر معه وقال لوفده الذين كانوا معه ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له اما انه ليس بشركم مكانا ما ذاك الا لما كان يعلم انه قد أشركت فى الامر معه ثم جعل يسجع لهم الاساجيع ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا وأحل لهم الخمر والزنا ووضع عنهم الصلاة وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبى فاصفقت معه حنيفة على ذلك فالله أعلم أى ذلك كان

مسيلمة فى الاذان توقف فقال له محكم بن الطفيل صرح حبير فذهبت مثلا وأما سجاح التى تنبأت فى زمانه وتزوجها فكان مؤذنها جنبة بن طارق وقال القتبى اسمه زهير بن عمرو وقيل ان شبث بن ربعى أذن لها أيضا وتكنى أم صادر وكان آخر أمرها ان أسلمت فى زمان عمر كل هذا من كتاب الواقدى وغيره وكان محكم بن طفيل الحنفى صاحب حربه ومدبر أمره وكان أشرف منه فى حنيفة ويقال فيه محكم ومحكم وفيه يقول حسان بن ثابت

يا محكم بن طفيل قد أتيح لكم * لله در أبيكم حية الوادى

وقال أيضا * يخبطن بالايدى حياض محكم * وقول ابن اسحق انزلوا يعنى وفد بنى حنيفة بدار الحارث الصواب بنت الحرث واسمها كيسة بنت الحرث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس وقد تقدم فى غزوة قريظة الكلام على كيسة وكيسة بالتخفيف وانها كانت امرأة لمسيلمة قبل ذلك فلذلك أنزلهم بدارها وكانت تحت مسيلمة ثم خلف عليها عبد الله بن عامر وذكرنا هنالك أن الصواب ما قاله ابن اسحاق ان اسم تلك المرأة زينب بنت الحرث كذا وقع فى رواية يونس عن ابن اسحاق والمذكورة ههنا كيسة بنت الحرث واياه عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خطب فقال اريت فى يدى سوارين من ذهب فكرهتهما فنفخت فيهما فطارا فأولتهما كذاب اليمامة والعنسى صاحب صنعاء فأما مسيلمة فقتله خالد بن الوليد وأفنى قومه قتلا وسبيا وأما مسعود بن كعب العنسى وعنس من مذحج فاتبعته قبائل من مذحج واليمن على أمره وغلب على صنعاء وكان يقال له ذو الحمار ويلقب عبهلة وكان يدعى ان سحيقا وشريقا يأتيانه بالوحى ويقول هما ملكان يتكلمان على لسانى فى خدع كثيرة يزخرف بها وهو من ولد مالك بن عنس وبنو عنس جشم وجشيم ومالك وعامر وعمر وعزيز وعزيز وما وبة وعتيك وشهاب والقرية ويام ومن ولد يام بن عنس عمار بن ياسر وأخواه عبد الله وحويرث ابنا ياسر بن عمر بن مالك قتله فيروز الديلمى وقيس ابن مكشوح وداذويه رجل من الابناء دخلوا عليه من سرب صنعته لهم امرأة كان قد غلب عليها من الابناء فوجدوه سكران لا يعقل من الخمر فخبطوه باسيافهم وهم يقولون

ضل نبى مات وهو سكران * والناس تلقى جلهم كالذبان

النور والنار لديهم سيان

ذكره الدولابى وزاد ابن اسحاق فى رواية يونس عنه ان امرأته سقته البنج فى شرابه تلك الليلة وهى التى احتفرت السرب للدخول عليه وكان اغتصبها لانها كانت من أجمل النساء وكانت مسلمة صالحة وكانت تحدث عنه انه لا يغتسل من الجنابة واسمها المرزبانة وفى صورة قتله اختلاف * وقوله صلى الله عليه وسلم أريت سوارين من ذهب فنفختهما فطارا قال بعض أهل العلم بالتعبير تأويل نفخه لهما انهما بريحه قتلا لانه لم يغزهما بنفسه وتأويل الذهب انه زخرف فدل لفظه على زخرفهما وكذبهما ودل الاسواران بلفظهما على ملكين لان الاساورة هم الملوك وبمعناهما على التضييق عليه لكون السوار مضيقا على الذراع

*قال ابن اسحق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء فيهم زيد الخيل وهو سيدهم فلما انتهوا اليه كلمهم وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام فاسلموا فحسن اسلامهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني من لا أتهم من رجال طيء ماذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا رأيته دون ما يقال فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ كل ما كان فيه ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وقطع له فيد وأرضين معه وكتب له بذلك فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينج زيد من حمى المدينة فانه قال قد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى وغير أم ملدم فلم يثبته فلما انتهى من بلد نجد الى ماء من مياهه يقال له فردة أصابته الحمى بها فمات ولما أحس زيد بالموت قال

أمرتحل قومي المشارق غدوة
وأترك في بيت بفردة منجد
ألا رب يوم لو مرضت لعادني
عوائد من لم يبرمنهن يجهد

فلما مات عمدت امرأته الى ما كان معه من كتبه التي قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرقتها بالنار

﴿ فصل ﴾ وذكر زيد الخيل وهو زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب يكنى أبا مكنف الطائي واسم طيء ادد وقيل له زيد الخيل لخمس أفراس كانت له لها أسماء أعلام ذهب عني حفظها الآن *وذكر قوله صلى الله عليه وسلم ان ينج زيد من حمى المدينة (قال الراوي) ولم يسمها باسمها الحمى ولا أم ملدم سماها باسم آخر ذهب عني والاسم الذي ذهب عن الراوي من أسماء الحمى هو أم كلبة ذكر لي ان أبا عبيدة ذكره في مقاتل الفرسان ولم أره ولكن رأيت البكري ذكره في باب أفرده من أسماء البلاد ولها أيضا اسم سوى هذه الاسماء ذكره ابن دريد في الجمهرة قال سباط من أسماء الحمى على وزن رقاش وأما أم ملدم فيقال بالدال وبالذال وبكسر الميم وفتحها وهو اللدم وهو شدة الضرب ويحتمل أن يكون أم كلبة هذا الاسم مغيرا من كلبة بضم الكاف والكلبة شدة الرعدة وكلب البرد شدائده فرذه أم كلبة بالهاء وهي الحمى وأما أم كلاب فشجرة لها نور حسن وهي اذا حركت أنتن شيء وزعم أبو حنيفة ان الغنم اذا مسته لم تستطع أن تقرب الغنم ليلتها تلك من شدة نتنها *وذكر في خبر زيد الخيل في رواية أبي علي البغدادي ما هذا نصه خرج نفر من طيء يريدون النبي عليه السلام بالمدينة وفودا ومعهم زيد الخيل ووزر بن سدوس النبهاني وقبيصة بن الاسود بن عامر بن جوين الجرمي وهو النصراني ومالك بن عبد الله بن خيبري بن أفلت بن سلسلة وقعين بن خليف الطريفي رجل من جديلة ثم من بني بولان فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد ودخلوا فجلسوا قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم حيث يسمعون صوته فلما نظر النبي صلى الله عليه وسلم اليهم قال اني خير لكم من العزى ولاتها ومن الجمل الاسود الذي تعبدون من دون الله ومما حازت مناع من كل ضار غير نفاع فقام زيد الخيل فكان من أعظمهم خلقا وأحسنهم وجها وشعرا وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخط رجلاه في الارض كأنه حمار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه الحمد لله الذي أتى بك من سهلك وحزنك وسهل قلبك للايمان ثم قبض على يده فقال من أنت فقال أنا زيد الخيل بن مهلهل وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك عبد الله ورسوله فقال له بل أنت زيد الخير ثم قال يا زيد ما خبرت عن رجل شيئا قط الا رأيته دون ما خبرت عنه غيرك فبايعه وحسن اسلامه وكتب له كتابا على ما أراد وأطعمه قرى كثيرة منها فيد وكتب لكل واحد منهم على قومه الا وزر بن سدوس فقال اني لأرى رجلا ليملكن رقاب العرب ولا والله لا يملك رقبتي عربي أبدا ثم لحق بالشام وتنصر وحلق رأسه فلما قام زيد من عند النبي صلى الله عليه وسلم قال أي فتى لم تدركه أم كلبة يعني الحمى ويقال بل قال ان نجا من آجام المدينة فقال زيد حين انصرف

أنيخت بآجام المدينة أربعا * وعشرا يغني فوقها الليل طائر
فلما قضت أصحابها كل بغية * وخط كتابا في الصحيفة ساطر
شددت عليها رحلها وشليلها * من الدرس والشعراء والبطن ضامر

الدرس الجرب والشعراء ذباب قال أبو الحسن المدائني في حديثه وأهدى زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم مخذما والرسوب وكانا سيفين لصنم بني القلس فلما انصرفوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قدم على رجل من العرب يفضله قومه الا رأيته دون ما يقال الا ما كان من زيد فان ينج زيد من حمى المدينة فلامر ما هو *وقوله

الا رب يوم لو مرضت لعادني * عوائد من لم يبرمنهن يجهد

وبعده

فليت اللواتي عدنني لم يعدنني * وليت اللواتي غبن عني شهدي

﴿ أمر عدي بن حاتم ﴾

وأما عدي بن حاتم فكان يقول فيما بلغني ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني أما أنا فكنت امرأ شريفا وكنت نصرانيا وكنت أسير في قومي بالمرباع فكنت في نفسي على دين وكنت ملكا في قومي لما كان يصنع بي فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعيا لإبلي لا أبا لك أعدد لي من إبلي أجمالا ذللا سمانا فاحتبسها قريبا مني فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذني ففعل ثم انه أتاني ذات غداة فقال يا عدي ما كنت صانعا اذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن فاني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد قال فقلت فقرب الى أجمالي فقربها فاحتملت بأهلي وولدي ثم قلت ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام فسلكت الجوشية ويقال الحوشية فيما قال ابن هشام وخلفت بنتا لحاتم في الحاضر فلما قدمت الشام أقمت بها وتخالفني خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبايا من طيىء وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي الى الشام قال فجعلت بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس فيها فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت اليه وكانت امرأة جزلة فقالت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك قال ومن وافدك قالت عدي بن حاتم قال الفار من الله ورسوله قالت ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني حتى اذا كان من الغد مر بي فقلت له مثل ذلك وقال لي مثل ما قال بالأمس قالت حتى اذا كان بعد الغد مر بي وقد يئست منه فأشار الى رجل من خلفه أن قومي فكلميه قالت فقمت اليه فقلت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك فقال صلى الله عليه وسلم قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك الى بلادك ثم آذنيني فسألت عن الرجل الذي أشار الي أن أكلمه فقيل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه وأقمت حتى قدم ركب من بلي أو قضاعة قالت وانما أريد أن آتي أخي بالشام (٣٤٣) قالت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ قالت فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملني وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام قال عدي فوالله اني لقاعد في أهلي اذ نظرت الى ظعينة تصوب الى تؤمنا قال فقلت ابنة حاتم قال فاذا هي هي فلما وقفت علي انسحلت تقول القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عورتك قال قلت أي أخية لا تقولي الا خيرا فوالله ما لي من عذر لقد صنعت ما ذكرت قال ثم نزلت فأقامت عندي فقلت لها وكانت امرأة حازمة ماذا ترين في أمر هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فان يكن الرجل نبيا فللسابق اليه فضله وان يكن ملكا فلن تذل في عز اليمن وأنت أنت قال قلت والله ان هذا الرأي قال فخرجت حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه فقال من الرجل فقلت عدي بن حاتم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق بي الى بيته فوالله انه لعامد بي اليه اذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها قال قلت في نفسي والله ما هذا بملك قال ثم مضى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا دخل بي بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفا فقذفها الي فقال اجلس على هذه قال قلت بل أنت فاجلس عليها فقال بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض قال قلت في نفسي والله ما هذا بأمر ملك ثم قال ايه يا عدي بن حاتم ألم تك ركوسيا قال قلت بلى أولم تكن تسير في قومك بالمرباع قال قلت بلى قال فان ذلك لم يكن يحل لك في دينك قال قلت أجل والله وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل ثم قال لعلك يا عدي انما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك انما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف ولعلك انما يمنعك من دخول فيه انك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم قال فأسلمت وكان عدي يقول قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة والله لتكونن قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت وايم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه

﴿ قدوم عدي بن حاتم ﴾

وهو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن حشرج بن امرىء القيس بن عدي بن ربيعة بن جرول بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن طيىء يكنى أبا طريف وحديث اسلامه صحيح عجيب خرجه الترمذي وأخته التي ذكر اسلامها أحسب اسمها سفانة لاني وجدت في خبر عن امرأة حاتم تذكر فيه من سخائه قالت فأخذ حاتم عديا يعلله من الجوع وأخذت أنا سفانة ولا يعرف لعدي ولد انقرض عقبه ولحاتم عقب من قبل عبد الله بن

﴿ قدوم فروة بن مسيك المرادى ﴾

* قال ابن اسحق وقدم فروة بن مسيك المرادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لملوك كندة ومباعدا لهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قبيل الاسلام بين مراد وهمدان وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا حتى أثخنوهم فى يوم كان يقال له يوم الردم فكان الذى قاد همدان الى مراد الاجدع بن مالك فى ذلك اليوم «قال ابن هشام» الذى قاد همدان فى ذلك اليوم مالك بن حريم الهمدانى * قال ابن اسحق وفى ذلك اليوم يقول فروة بن مسيك

مررن على لفات وهن خوص * ينازعن الاعنة ينتحينا
فان نغلب فغلابون قدما * وان نغلب فغير مغلبينا
وما ان طبنا جبن ولكن * منايانا وطعمة آخرينا
كذاك الدهر دولته سجال * تكر صروفه حينا فحينا
فبينا ما نسر به ونرضى * ولو لبست غضارته سنينا
اذا انقلبت به كرات دهر * فالفيت الالى غبطوا طحينا
فمن يغبط بريب الدهر منهم * يجد ريب الزمان له خؤونا
فلو خلد الملوك اذا خلدنا * ولو بقى الكرام اذا بقينا
فافنى ذلكم سروات قومى * كما أفنى القرون الاولينا

«قال ابن هشام» وأول بيت منها وقوله فان نغلب عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق ولما توجه فروة بن مسيك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لملوك كندة قال

لما رأيت ملوك كندة أعرضت * كالرجل خان الرجل عرق نسائها
قربت راحلتى أؤم محمدا * أرجو فواضلها وحسن ثرائها

«قال ابن هشام» أنشدنى أبو عبيدة أرجو فواضله وحسن ثنائها * قال ابن اسحق فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم قال يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومى يوم الردم لا يسوءه ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له اما ان ذلك لم يزد قومك فى الاسلام الا خيرا واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

حاتم ذكره القتبى ولا يعرف له بنت الاسفانة فهى اذا هذه المذكورة فى السيرة والله أعلم وأم حاتم عنبة بنت عفيف كانت من أكرم الناس وهى التى تقول

لعمرى لقدما عضنى الجوع عضة * فآليت الا أحرم الدهر جائعا

والسفانة الدرة وبها كان يكنى حاتم * وذكر ابن اسحاق حديث فروة وقوله

طرقت سلمى وهنا أصحابى * والروم بين الباب والقروان

القروان يجوز أن يكون جمع قرو وهو حوض الماء مثل صنوان ويجوز أن يكون جمع قرى مثل صليب وصلبان

﴿ قدوم عمرو بن معد يكرب فى أناس من بنى زبيد ﴾

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكرب فى أناس من بنى زبيد فاسلم وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادى حين انتهى اليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قيس انك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقال انه نبى فانطلق بنا اليه حتى نعلم علمه فان كان نبيا كما يقول فانه لن يخفى عليك اذا لقيناه اتبعناه وان كان غير ذلك علمنا علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وصدقه وآمن به فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمرا وتحطم عليه وقال خالفنى وترك رأيى فقال عمرو بن معد يكرب فى ذلك

أمرتك يوم ذى صنعا * ء أمرا باديا رشده
أمرتك باتقاء الله * والمعروف تتعده
خرجت من المنى مثل الـ * ـحمير غره وتده
تمنانى على فرس * عليه جالسا أسده
على مفاضة كالنهـ * ـى أخلص ماءه جدده
ترد الرمح منثنى السـ * ـنان عوائرا قصده
فلو لاقيتنى للقيـ * ـت ليثا فوقه لبده
تلاقى شنبثا شثن الـ * ـبراثن ناشزا كتده
يسامى القرن ان قرن * تيممه فيعتضده
فيأخذه فيرفعه * فيخفضه فيقتصده
فيدمغه فيحطمه * فيخضمه فيزدرده
ظلوم الشرك فيما أحـ * ـرزت أنيابه ويده

«قال ابن هشام» أنشدنى أبو عبيدة

أمرتك يوم ذى صنعا * ء أمرا بينا رشده
أمرتك باتقاء الله * تأتيه وتتعده
فكنت كذى الحمـ * ـير غره مما به وتده

ولم يعرف سائرها * قال ابن اسحق فاقام عمرو بن معد يكرب فى قومه من بنى زبيد وعليهم فروة بن مسيك فلما توفى رسول الله صلى الله عليه

وسلم ارتد عمرو بن معد يكرب وقال حين ارتد

وجدنا ملك فروة شر ملك * حمارا ساف منخره بثفر

وكنت اذا رأيت أبا عمير * ترى الحولاء من خبث وغدر

« قال ابن هشام » قوله بثفر عن أبي عبيدة

﴿ قدوم الاشعث بن قيس في وفد كندة ﴾

* قال ابن اسحق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاشعث بن قيس في وفد كندة فحدثني الزهري بن شهاب أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمانين راكبا من كندة فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده وقد رجلوا جممهم وتكحلوا عليهم جبب الحبرة وقد كففوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم تسلموا قالوا بلى قال فما بال هذا الحرير في أعناقكم قال فشقوه منها فالقوه ثم قال له الاشعث بن قيس يارسول الله نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحرث وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين وكانا اذا شاعا في بعض العرب فسئلا ممن هما قالا نحن بنو آكل المرار يتعززان بذلك وذلك أن كندة كانوا ملوكا ثم قال لهم لا بل نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا امنا ولا ننتفي من أبينا فقال الاشعث بن قيس هل فرغتم يامعشر كندة والله لا أسمع رجلا يقولها الا ضربته ثمانين « قال ابن هشام » الاشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قبل النساء وآكل المرار الحرث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحرث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندي ويقال كندة وانما سمي آكل المرار لان عمرو بن الهبولة الغساني أغار عليهم وكان الحرث غائبا فغنم وسبى وكان فيمن سبى أم أناس بنت عوف بن محلم الشيباني امرأة الحرث بن عمرو فقالت لعمرو في مسيره لكأني برجل أدلم أسود كان مشافره مشافر بعير آكل مرار قد أخذ برقبتك تعني الحرث فسمي آكل المرار والمرار شجر ثم تبعه الحرث في بني بكر بن وائل فلحقه فقتله واستنقذ امرأته وما كان أصاب

فقال الحرث بن حلزة اليشكري لعمرو بن المنذر وهو عمرو بن هند اللخمي

وأقدناك رب غسان بالمنذر كرها اذ لا تكال الدماء

لان الحرث الاعرج الغساني قتل المنذر أباه وهذا البيت في قصيدة له وهذا الحديث أطول مما ذكرت وانما منعني من استقصائه ماذكرت من القطع ويقال بل آكل المرار حجر بن عمرو بن معاوية وهو صاحب هذا الحديث وانما سمي آكل المرار لانه أكل هو وأصحابه في تلك الغزوة شجرا يقال له المرار

وصلبان وأصح ماقيل في القروانة حويض من خشب تسقى فيه الدواب وتلغ فيه الكلاب وفي المثل مافيها لاعي قرو اي مافي الدار حيوان وأراد بلاعي قرو ولاعق قرو وقلب القاف الاولى ياء للتضعيف وحسن ذلك انه اسم فاعل وقد يبدلون من آخر حرف في اسم الفاعل ياء وان لم يكن ثم تضعيف كقولهم في الخامس خاميهم وفي سادسهم ساديهم وكذلك الى العاشر ونحو منه ما أنشد سيبويه * ولضفادي جمه نقانق * أي لضفادع جمه وأنشد * من الثعالي ووخزمن أرانيها * أراد الثعالب وأرانبها واذا كان هذا معروفا فلاعي قرو أحق ان يقلب آخره ياء كراهة اجتماع قافين *وذكر قدوم وفد كندة وفيه قوله عليه السلام لا نقفوا منا ولا ننتفي من أبينا وفي هذا مايدل على ان الاشعث قد أصاب في بعض قوله نحن وأنت بنوا آكل

﴿ قدوم صرد بن عبد الله الازدي ﴾

* قال ابن اسحق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صرد ابن عبد الله الازدي فاسلم وحسن اسلامه في وفد من الازد فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من اسلم من قومه وامره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج صرد بن عبد الله يسير بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بجرش وهي يومئذ مدينة مغلقة وبها قبائل من قبائل اليمن وقد ضوت اليهم خثعم فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين اليهم فحاصروهم فيها قريبا من شهر وامتنعوا فيها منه ثم انه رجع عنهم قافلا حتى اذا كان الى جبل لهم يقال له شكر ظن أهل جرش أنه انما ولى عنهم منهزما فخرجوا في طلبه حتى اذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينتظران فبينا هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية بعد صلاة العصر اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي بلاد الله شكر فقام الجرشيان فقالا يارسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر وكذلك يسميه أهل جرش فقال انه ليس بكشر ولكنه شكر قالا فما شانه يارسول الله قال ان بدن الله لتنحر عنده الآن قال فجلس الرجلان الى أبي بكر أو الى عثمان فقال لهما ويحكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن لينعى لكما قومكما فقوما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسالاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما فقاما اليه فسالاه ذلك فقال اللهم ارفع عنهم فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها ماذكر وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم على اعلام معلومة للفرس والراحلة وللمثيرة بقرة الحرث فمن رعاه من الناس فماله سحت فقال في تلك الغزوة رجل من الازد وكانت

خثعم تصيب من الازد في الجاهلية وكانوا يعدون في الشهر الحرام

ياغزوة ماغزونا غير خائبة * فيها البغال وفيها الخيل والحمر
حتى أتينا حميرا في مصانعها * وجمع خثعم قد شاعت لها النذر
اذا وضعت غليلا كنت أحمله * فما أبالي أدانوا بعد أم كفروا

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك ورسولهم اليه باسلامهم الحرث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان وبعث اليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوي باسلامهم ومفارقتهم الشرك وأهله فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم * بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله النبي الى الحرث بن عبد كلال والى نعيم بن عبد كلال والى النعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان اما بعد ذلكم فاني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو أما بعد فانه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغانم خمس الله وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ان في الابل الاربعين ابنة لبون وفي ثلاثين من الابل ابن لبون ذكر وفي كل خمس من الابل شاة وفي كل عشر من الابل شاتان وفي كل أربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جذع أو جذعة وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة وانها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة فمن زاد خيرا فهو خير له ومن أدى ذلك وأشهد على اسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فانه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم وله ذمة الله وذمة رسوله وانه من أسلم من يهودي أو نصراني فانه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فانه لا يرد عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو أنثى حر أو عبد دينار واف من قيمة المعافر أو عوضه ثيابا فمن أدى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه فانه عدو لله ولرسوله * أما بعد فان رسول الله محمدا النبي أرسل الى زرعة ذي يزن أن اذا أتاكم رسلي فاوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرة وأصحابهم وان اجمعوا ماعندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم وأبلغوها رسلي وان أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا * أما بعد فان محمدا يشهد أن لا اله الا الله وأنه عبده ورسوله ثم ان مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني انك أسلمت من أول حمير وقتلت المشركين فابشر بخير وآمرك بحمير خيرا ولا تخونوا ولا تخاذلوا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مولى غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته انما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خيرا واني قد أرسلت اليكم من صالحي أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم وآمركم بهم خيرا فانهم منظور اليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذا أوصاه وعهد اليه ثم قال له يسر ولا تعسر وبشر ولا تنفر وانك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسئلونك ما مفتاح الجنة فقل شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له قال فخرج معاذ حتى اذا قدم اليمن قام بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته امرأة من أهل اليمن فقالت يا صاحب رسول الله ما حق زوج المرأة عليها قال ويحك ان المرأة لا تقدر على أن تؤدي حق زوجها فاجهدي نفسك في أداء حقه ما استطعت قالت والله لئن كنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتعلم ما حق الزوج على المرأة قال ويحك لو رجعت اليه فوجدته تنعب منخراه قيحا ودما فمصصت ذلك حتى تذهبيه ما أديت حقه

(٣٤٦)

اسلام فروة بن عمرو الجذامي

* قال ابن اسحق وبعث فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي ثم النفاثي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا باسلامه وأهدى له بغلة بيضاء وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام فلما بلغ الروم ذلك من اسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم فقال في محبسه ذلك

طرقت سليمى موهنا أصحابي * والروم بين الباب والقروان
صد الخيال وساءه ما قد رأى * وهممت ان أغفي وقد أبكاني
لا تكحلن العين بعدي اثمدا * سلمى ولا تدين الاتيان
ولقد علمت أبا كبيشة أنني * وسط الاعزة لا يحص لساني
فلئن هلكت لتفقدن أخاكم * ولئن بقيت لتعرفن مكاني
ولقد جمعت أجل ما جمع الفتى * من جودة وشجاعة وبيان

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال له عفرى بفلسطين قال

المرار وذلك ان في جدات النبي صلى الله عليه وسلم من هي من ذلك القبيل منهن دعد بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث الكندي المذكور وهي أم كلاب بن مرة وقيل بل هي جدة كلاب أم أمه هند وقد ذكر ابن اسحاق هندا هذه وانها ولدت كلابا

قدوم

ألا هل أتى سلمى بان حليلها * على ماء عفرى فوق احدى الرواحل
على ناقة لم يضرب الفحل أمها * مشذبة أطرافها بالمناجل

فزعم الزهرى بن شهاب أنهم لما قدموه ليقتلوه قال

بلغ سراة المسلمين بانى * سلم لربى أعظمى ومقامى

ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء

﴿ اسلام بنى الحرث بن كعب على يدى خالد بن الوليد لما سار اليهم ﴾

* قال ابن اسحق ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الاولى سنة عشر الى بنى الحرث ابن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم الى الاسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا فان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون أيها الناس أسلموا تسلموا فاسلم الناس ودخلوا فيما دعوا اليه فاقام فيهم خالد يعلمهم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هم اسلموا ولم يقاتلوا * ثم كتب خالد بن الوليد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ لمحمد النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ﴿أما بعد﴾ يارسول الله صلى الله عليك فانك بعثتنى الى بنى الحرث بن كعب وأمرتنى اذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام وان أدعوهم الى الاسلام فان أسلموا أقمت فيهم وقبلت منهم وعلمتهم معالم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه وان لم يسلموا قاتلتهم وانى قدمت عليهم فدعوتهم الى الاسلام ثلاثة ايام كما امرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثت فيهم ركبانا قالوا يابنى الحرث أسلموا تسلموا فاسلموا ولم يقاتلوا وانا مقيم بين اظهرهم آمرهم بما امرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه وأعلمهم معالم الاسلام وسنة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ﴿فكتب﴾ اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم (٣٤٧) الله الرحمن الرحيم من محمد النبى رسول الله الى خالد بن الوليد سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فان كتابك جاءنى مع رسولك تخبران بنى الحرث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم وأجابوا الى مادعوتهم اليه من الاسلام وشهدوا ان لا اله الا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله وأن قد هداهم الله بهداه فبشرهم وأنذرهم وأقبل وليقبل معك وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته فاقبل خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل معه وفد بنى الحرث بن كعب منهم قيس بن الحصين ذو الغصة ويزيد بن عبد المدان * ويزيد بن المحجل * وعبد الله بن قراد الزيادى * وشداد بن عبد الله القنانى * وعمرو بن عبد الله الضبابى فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآهم قال من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند قيل يارسول الله هؤلاء رجال بنى الحرث بن كعب فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلموا عليه وقالوا نشهد انك رسول الله وأنه لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم الذين اذا زجروا استقدموا فسكتوا فلم يراجعه منهم أحد ثم أعادها الثانية فلم يراجعه منهم أحد ثم أعادها الثالثة فلم يراجعه منهم أحد ثم أعادها الرابعة فقال يزيد بن عبد المدان نعم يارسول الله نحن الذين اذا زجروا استقدموا قالها اربع مرار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن خالدا لم يكتب الى انكم أسلمتم ولم تقاتلوا لالقيت رؤسكم تحت أقدامكم فقال يزيد بن عبد المدان أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدا قال فمن حمدتم قالوا حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يارسول الله قال صدقتم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية قالوا لم نكن نغلب أحدا قال بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم قالوا كنا نغلب من قاتلنا يارسول الله انا كنا نجتمع ولا نفترق ولا نبدأ احدا بظلم قال صدقتم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحرث بن كعب قيس بن الحصين فرجع وفد بنى الحرث الى قومهم فى بقية من شوال او فى صدر ذى القعدة فلم يمكثوا بعد ان رجعوا الى قومهم الا اربعة اشهر حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحم وبارك ورضى وانعم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث اليهم بعد ان ولى وفدهم عمرو بن حزم ليفقههم فى الدين ويعلمهم السنة ومعالم الاسلام ويأخذ منهم صدقاتهم * وكتب له كتابا عهد اليه فيه عهده وأمره فيه

﴿ قدوم وفد بنى الحارث بن كعب ﴾

ذكر فيهم يزيد بن عبد المدان واسم عبد المدان عمرو بن الديان والديان اسمه يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب الحارثى * وذكر فيهم أيضا ذا الغصة واسمه الحصين بن يزيد بن شداد الحارثى وقيل له ذو الغصة لغصة كانت فى حلقه لا يكاد يبين منها وذكره عمر بن الخطاب يوما فقال لا تزاد امرأة فى صداقها على كذا وكذا ولو كانت بنت ذى الغصة * وذكر فيهم عمرو بن عبد الله الضبابى وهو ضباب بكسر الضاد فى بنى الحارث بن كعب بن مذحج وضباب أيضا فى قريش وهو ابن حجير بن عبد بن معيص بن عامر أخو حجر بن عبد وفى حجر وحجير يقول الشاعر

بامره بسم الله الرحمن الرحيم هـذا بيان من الله ورسوله ياايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود عهد من محمد النبي رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه الى اليمن امره بتقوى الله فى امره كله فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وامره أن ياخـذ بالحق كما امره الله وان يبشر الناس بالخـير و يامرهم به و يعلم الناس القرآن و يفقههم فيه و ينهى الناس فلا يمس القرآن انسان الا وهو طاهر و يخبر الناس بالذى لهم والذى عليهم و يلين للناس فى الحق و يشتد عليهم فى الظلم فان الله كره الظلم ونهى عنه فقال الا لعنة الله على الظالمين و يبشر الناس بالجنة و بعملها و ينذر الناس النار وعملها و يستالف الناس حتى يفقهوا فى الدين و يعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته وما أمر الله به والحج الاكبر الحج الاكبر والحج الاصغر هو العمرة و ينهى الناس أن يصلى احد فى ثوب واحد صغير الا ان يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقه و ينهى الناس ان يحتبى احد فى ثوب واحـد يفضى بفرجه الى السماء و ينهى ان لا يعقص احـد شـعر راسه فى قفاه و ينهى اذا كان بين الناس هيج عن الدعاء الى القبائل والعشائر وليكن دعواهم الى الله عز وجل وحده لا شريك له فمن لم يدع الى الله ودعا الى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيف حتى تكون دعواهم الى الله وحـده لا شريك له و يامر الناس باسباغ الوضوء وجوههم وايديهم الى المرافق وارجلهم الى الكعبين و يمسحون برؤسهم كما امرهم الله وامر بالصلاة لوقتها واتمام الركوع والسجود والخشوع و يغلس بالصبح و يهجر بالهاجرة حين تميل الشمس وصـلاة العصر والشمس فى الارض مدبرة والمغرب حين يقبل الليل لا يؤخر حتى تبدو النجوم فى السماء والعشاء اول الليل وامر بالسعى الى الجمعة اذا نودى لها والغسل عنـد الرواح اليها وامره ان ياخـذ من المغانم خمس الله وما كتب على المؤمنـين فى الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء وعلى ما سقى الغرب نصف العشر وفى كل عشر من الابل شاتان وفى كل عشرين اربع شياه وفى كل اربعين من البقر بقرة وفى كل ثلاثين من البقر تبيع جذع او جذعة وفى كل اربعين من الغنم سائمة وحدها شاة فانها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصـدقة فمن زاد خـيرا فهو خـير له وانه من اسلم من يهودى او نصرانى اسلاما خالصا من نفسه ودان بدين الاسلام فانه من المؤمنين له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فانه لا يرد عنها وعلى كل حالم ذكر او انثى حر أو عبد دينار واف او عوضـه ثيابا فمن أدى ذلك فان له ذمـة الله وذمة رسوله ومن منع ذلك فانه عـدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا صلوات الله على محمد والسـلام عليه ورحمة الله وبركاته

﴿قدوم رفاعة بن زيد الجذامى﴾

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هدنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد الجذامى ثم الضبيبي فاهدى لرسول الله صلى الله عليـه وسلم غلاما واسلم فحسن اسلامه وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا الى قومه وفى كتابه * بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمـد رسول الله صلى الله عليه وسلم لرفاعة بن زيد انى بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله فمن أقبـل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ومن ادبر فله امان شهرين فلما قدم رفاعة على قومه اجابوا واسلموا ثم ساروا الى الحرة حرة الرجلاء ونزلوها

﴿وفد همدان﴾

«قال ابن هشام» وقدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حدثنى من أثق به عن عمرو بن عبد الله بن اذينة العبدى عن ابى اسحق السبيعى قال قدم وفد همدان على رسول الله صـلى الله عليه وسـلم منهم مالك ابن نمط وابو ثور وهو ذو المشعار ومالك بن ايفع وضمام بن مالك السلمانى وعميرة بن مالك الخارفى فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من

أنبئت ان غواة من بنى حجر * ومن حجير بلا ذنب أراغونى
أغنـوا بنى حجر عنا غواتكم * ويا حجـير اليكم لا تبورونى

والضباب فى بنى عامر بن صعصـعة وهم ضباب ومضب وحسل وحسيل بنو امها وية بن كلاب وأما الضباب بالفتح ففى نسب النابغة الذبيانى ضباب بن يربوع بن غيظ وأما الضـباب بالضم فزيد ومنجا ابنا ضباب من بنى بكر ذكره الدارقطنى

﴿فصـل﴾ وذكر وفود رفاعة الضبيبي وانه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما وذلك الغلام هو الذى يقال له مدعم وقع ذكره فى الموطأ * وذكر وفد همـدان ومالك بن نمط الهمدانى الذى يقال له ذو المشعار وكنيته أبو ثور وقع فى النسخة وفى أكثر النسخ وأبو ثور بالواو كانه غيره والصواب سقوط الواو لانه هو هو وقد يخرج اثبات الواو على اضمار هو كانه قال وهو أبو ثور ذو المشعار وقد ذكره ابن قتيبة فقال فى غريب الحديث مالك ذو المشعار وذكره أبو عمر فقال هو ذو المشعار يكنى أبا ثور وفى الكتاب الذى كتبه له رسول الله صـلى الله عليه وسـلم هذا كتاب من محمد رسول الله الى مخلاف خارف ويام وأهـل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط فهذا كله يدل على ان الواو فى قوله وأبو ثور ذو المشعار

تبوك وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية برحال الميس على المهرية والارحبية ومالك بن نمط ورجل آخر يرتجزان بالقوم يقول أحدهما

همدان خير سوقة واقيال * ليس لها في العالمين أمثال
محلها الهضب ومنها الابطال * لها اطابات بها وآكال

﴿ويقول الآخر﴾

اليك جاوزن سواد الريف * في هبوات الصيف والخريف
مخطمات بحبال الليف

فقام مالك بن نمط بين يديه فقال يا رسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تأخذهم في الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام وشاكر أهل السود والقود أجابوا دعوة الرسول وفارقوا آلهات الانصاب عهدهم لا ينقض ما أقامت لعلع وما جرى اليعفور بصلع فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه * بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على أن لهم فراعها ووهاطها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عافيها لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله وشاهدهم المهاجرون والانصار فقال في ذلك مالك بن نمط

ذكرت رسول الله في فحمة الدجا * ونحن بأعلى (٣٤٩) رحرحان وصلدد

وهن بنا خوص طلائح تعتلي * بركبانها في لاحب متمدد
على كل فتلاء الذراعين جسرة * تمر بنا مر الهجف الخفيدد
حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق * رسول أتى من عند ذي العرش مهتدي
فما حملت من ناقة فوق رحلها * أشد على أعدائه من محمد
وأعطى اذا ما طالب العرف جاءه * وأمضى بحد المشرفي المهند

المشعار لا معنى له * وقوله عليهم مقطعات الحبرات المقطعات من الثياب في تفسير أبي عبيد هي القصار واحتج بحديث ابن عباس في صلاة الضحى اذا انقطعت الظلال أي قصرت وبقولهم في الاراجيز مقطعات وخطأه ابن قتيبة في هذا التأويل وقال انما المقطعات الثياب المخيطة كالقمص ونحوها سميت بذلك لانها تقطع وتفصل ثم تخاط واحتج بحديث رواه عن بعض ولد عبد الملك بن مروان وفيه انه خرج وعليه مقطعات يجرها فقال له شيخ من بني أمية لقد رأيت أباك وكان مشمرا أغيرجرا ثيابه فقال له الفتى لقد هممت بتقصيرها فمنعني قول الشاعر في أبيك

قصير الثياب فاحش عند ضيفه * لشر قريش في قريش مركبا

والظاهر في قوله عليهم مقطعات الحبرات ما قاله ابن قتيبة ولا معنى لوصفها بالقصر في هذا الموطن والمهرية منسوبة الى مهرة بن حيران بن الحاف بن قضاعة والارحبية منسوبة الى أرحب بطن من همدان ويام هو يام ابن أصبي وخارف بن الحارث بطنان من همدان ينسب الى يام زبيد اليامي المحدث وأهل الحديث يقولون فيه الايامي والفراع ما علا من الارض والوهاط ما انخفض منها واحدها وهط ولعلع اسم جبل والصلع الارض الملساء والخفيدد ولد النعامة والهجف الضخم * وذكر حديث عمرو بن معديكرب وقيس بن مكشوح * وذكر في الشعر

تلاق شنبثا شثن البـ * ـراثن ناشزا اقتده

الفيت بخط الشيخ أبي بحر على هذا البيت قال قال القاضي لا أعرف شنبثا الآن ولعله تلاق شرنبثا وجزم تلاق لما في قوله * فلولا قيتني من قوة الشرط فكأنه أراد ان لاقيتني تلاق

﴿ذكر الكذابين مسيلمة الحنفي والاسود العنسي﴾

* قال ابن اسحق وقد كان تكلم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذابان مسيلمة بن حبيب الكذاب باليمامة في بني حنيفة والاسود ابن كعب العنسي بصنعاء * قال ابن اسحق حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على منبره وهو يقول أيها الناس اني قد رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها ورأيت في ذراعي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فأولتهما هذين الكذابين صاحب اليمن وصاحب اليمامة * قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا كلهم يدعي النبوة

﴿خروج الامراء والعمال على الصدقات﴾

* قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث امراءه وعماله على الصدقات الى كل ما أوطأ الاسلام من البلدان فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة الى صنعاء فخرج عليه العنسي وهو بها وبعث زياد بن لبيد أخا بني بياضة الانصاري الى حضرموت وعلى صدقاتها وبعث عدي بن حاتم على طيئ وصدقاتها وعلى بني أسد وبعث مالك بن نويرة « قال ابن هشام » اليربوعي على صدقات بني حنظلة وفرق صدقة بني سعد على رجلين

منهم فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها وقيس بن عاصم على ناحية وقد بعث العلاء بن الحضرمى على البحرين و بعث على بن أبى طالب رضوان الله عليه الى أهل نجران ليجمع صدقتهم و يقدم عليه بجزيتهم

﴿ كتاب مسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجواب عنه ﴾

وقد كان مسيلمة بن حبيب قد كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد فانى قد أشركت فى الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض ولكن قريشا قوم يعتدون فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب * قال ابن اسحق فحدثنى شيخ من أشجع عن سلمة بن نعيم بن مسعود الاشجعى عن أبيه نعيم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتابه فما تقولان أنتما قالا نقول كما قال فقال أما والله لولا ان الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ثم كتب الى مسيلمة * بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وذلك فى آخر سنة عشر

﴿ حجة الوداع ﴾

* قال ابن اسحق فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة تجهز للحج وأمر الناس بالجهاز له قال فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن ابيه القاسم بن محمد عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة « قال ابن هشام » فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى ويقال سباع بن عرفطة الغفارى * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الرحمن ابن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد عن عائشة قالت لا يذكر ولا يذكر الناس الا الحج حتى اذا كان بسرف وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهدى وأشراف من أشراف الناس أمر الناس أن يحلوا بعمرة الا من ساق الهدى قالت وحضت ذلك اليوم فدخل على وأنا ابكى فقال مالك ياعائشة لعلك نفست قالت قلت نعم والله لوددت انى لم أخرج معكم عامى هذا فى هذا السفر فقال لا تقولن ذلك فانك تقضين كل ما يقضى الحاج الا انك لا تطوفين بالبيت قالت ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فحل كل من كان لا هدى معه وحل نساؤه بعمرة فلما تمتع كان يوم النحر أتيت بلحم بقر كثير فطرح فى بيتى فقلت ما هذا قالوا ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر حتى اذا كانت ليلة الحصبة بعث بى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر فأعمرنى من التنعيم مكان عمرتى التى فاتتنى * قال ابن اسحق وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر عن حفصة ابنة عمر قالت لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أن يحللن بعمرة قلن فما يمنعك يارسول الله ان تحل معنا فقال انى أهديت ولبدت فلا أحل حتى أنحر هدى

﴿ موافاة على رضوان الله عليه فى قفوله من اليمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحج ﴾

* قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث عليا رضى الله عنه الى نجران فلقيه بمكة وقد أحرم فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم و رضى عنها فوجدها قد حلت وتهيأت فقال مالك يا بنت رسول الله قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحل بعمرة فحللنا ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من الخبر عن سفره قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق فطف بالبيت وحل كما حل أصحابك قال يارسول الله انى أهللت كما أهللت فقال ارجع فاحلل كما حل أصحابك قال يارسول الله انى قلت حين أحرمت اللهم انى أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم قال فهل معك من هدى قال لا فاشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هديه وثبت على احرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما * قال ابن اسحق وحدثنى

﴿ حجة الوداع ﴾

ذكر فيها حديث عائشة وقولها فاهللنا بالحج وما نذكر الا أمر الحج وهذا يدل على انهم أفردوا وقد بين ذلك جابر فى حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج وهذا هو الصحيح فى حديث جابر وقد روى من طرق فيها لين عن جابر انه قال قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحج والعمرة وطاف لهما طوافا واحدا وسعى لهما سعيا واحدا رواه الدارقطنى وروى أيضا ان جابرا قال حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حجات حجتين قبل الهجرة وحجته التى قرنها بعمرته * وأما حديث ابن عباس فصحيح وقال فيه طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجته وعمرته طوافا واحدا وقد اختلف عن على فروى عنه انه طاف عنهما طوافين ولم يختلف عنه انه كان قارنا وكذلك حديث عمران بن حصين فى انه عليه السلام كان قارنا وأما حديث أنس فصرح فيه بانه كان قارنا وقال ما تعدونا الا صبيانا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرخ بهما جميعا يعنى الحج والعمرة فاختلفت الروايات فى احرام رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ترى هل كان مفردا أو قارنا أو متمتعا وكلها صحاح الا من قال كان متمتعا وأراد به انه أهل بعمرة وأما من قال

يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة قال لما أقبل علي رضي الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة تعجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي رضي الله عنه فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فاذا عليهم الحلل قال ويلك ما هذا قال كسوت القوم ليتجملوا به اذا قدموا في الناس قال ويلك انزع قبل أن تنتهي به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فانتزع الحلل من الناس فردها في البز قال وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم * قال ابن اسحق فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب وكانت عند أبي سعيد الخدري عن أبي سعيد الخدري قال اشتكى الناس عليا رضوان الله عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فسمعته يقول أيها الناس لا تشكوا عليا فوالله انه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله من ان يشكى * قال ابن اسحق ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجه فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم وخطب الناس خطبته التي بين فيها ما بين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اسمعوا قولي فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وان كل ربا موضوع ولكن لكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله أنه لا ربا وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله وان كل دم كان في الجاهلية موضوع وان أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية أما بعد أيها الناس فان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم أيها الناس ان النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان أما بعد أيها الناس فان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيأ وانكم انما أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس قولي فاني قد بلغت وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيه أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين اخوة فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت فذكر لي أن الناس قالوا اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد * قال ابن اسحق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أمر بالتمتع وفسخ الحج بالعمرة فقد يصح هذا التأويل ويصح أيضا ان يقال تمتع اذا قرن لان القران ضرب من المتعة لما فيه من اسقاط أحد السفرين والذي يرفع الاشكال حديث البخاري انه أهل بالحج فلما كان بالعقيق أتاه جبريل فقال له انك بهذا الوادي المبارك فقل لبيك بحج وعمرة معا فقد صار قارنا بعد ان كان مفردا وصح القولان جميعا وأمره لاصحابه ان يفسخوا الحج بالعمرة خصوص لهم وليس لغيرهم ان يفعله وانما فعل ذلك ليذهب من قلوبهم أمر الجاهلية في تحريمهم العمرة في أشهر الحج فكانوا يرون العمرة في أشهر الحج من أكبر الكبائر ويقولون اذا برأ الدبر وعفا الاثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر ولم يفسخ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجه كما فعل أصحابه لانه ساق الهدي وقلده والله سبحانه يقول «حتى يبلغ الهدي محله» وقال حين رأى أصحابه قد شق عليهم خلافه لو استقبلت من أمري ما استدبرت لجعلتها عمرة ولما سقت الهدي (قال شيخنا) أبو بكر رضي الله عنه انما ندم على ترك ما هو أسهل وأرفق لا على ترك ما هو أفضل وأوفق وذلك لما رأى من كراهة أصحابه لمخالفته ولم يكن ساق الهدي معه من اصحابه الا طلحة بن عبيد الله فلم يحل حتى نحر وعلي أيضا أتى من اليمن وساق الهدي فلم يحل الا باحلال رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله عليه السلام في خطبة الوداع ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان انما قال ذلك لان ربيعة كانت تحرم في رمضان وتسميه رجبا من رجبت الرجل ورجبته اذا عظمته ورجبت النخلة اذا دعمتها فبين عليه السلام انه رجب مضر لا رجب ربيعة وانه الذي بين جمادى وشعبان وقد تقدم تفسير قوله ان الزمان قد استدار وتقدم اسم ابن أبي ربيعة المسترضع في هذيل وان اسمه

وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف قال يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هل تدرون أى شهر هذا فيقول لهم فيقولون الشهر الحرام فيقول له قل لهم ان الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا ثم يقول قل يا أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هل تدرون أى بلد هذا قال فيصرخ به قال فيقولون البلد الحرام قال فيقول قل لهم ان الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم الى ان تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا قال ثم يقول قل يا أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هل تدرون أى يوم هذا قال فيقوله لهم فيقولون يوم الحج الاكبر قال فيقول قل لهم ان الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا * قال ابن اسحق حدثنى ليث بن أبى سليم عن شهر بن حوشب الاشعرى عن عمرو بن خارجة قال بعثنى عتاب بن أسيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فبلغته ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لغامها ليقع على رأسى فسمعته وهو يقول أيها الناس ان الله قد أدى الى كل ذى حق حقه وانه لا تجوز وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ومن ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقف بعرفة قال هذا الموقف للجبل الذى هو عليه وكل عرفة موقف وقال حين وقف على قزح صبيحة المزدلفة هذا الموقف وكل المزدلفة موقف ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال هذا المنحر وكل منى منحر فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وقد أراهم مناسكهم وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم من الموقف ورمى الجمار وطواف بالبيت وما احل لهم من حجهم وما حرم عليهم فكانت حجة البلاغ وحجة الوداع وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحج بعدها

﴿ بعث اسامة بن زيد الى ارض فلسطين ﴾ * قال ابن اسحق ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفرا وضرب على الناس بعثا الى الشام وامر عليهم اسامة بن زيد بن حارثة مولاه وامره ان يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من ارض فلسطين فتجهز الناس وأوعب مع اسامة بن زيد المهاجرون الاولون

﴿ خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك ﴾

«قال ابن هشام» وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الملوك رسلا من أصحابه وكتب معهم اليهم يدعوهم الى الاسلام «قال ابن هشام» حدثنى من أثق به عن ابى بكر الهذلى قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التى صد عنها يوم الحديبية فقال ايها الناس ان الله قد بعثنى رحمة وكافة فلا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم فقال اصحابه وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله قال دعاهم الى الذى دعوتكم اليه فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم واما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل فشكا ذلك عيسى الى الله فاصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الامة التى بعث اليها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا من

آدم وقيل تمام وكان سبب قتله حرب كانت بين قبائل هذيل تقاذفوا فيها بالحجارة فاصاب الطفل حجر وهو يحبو بين البيوت كذلك ذكر الزبير

﴿ بعث اسامة ﴾

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة على جيش كثيف وأمره ان يغير على ابنا صباحا وان يحرق وابنا هى القرية التى عند مؤتة حيث قتل أبوه زيد ولذلك أمره على حداثة سنه ليدرك ثاره وطعن فى امارته أهل الريب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله انه لخليق بالامارة وان كان أبوه لخليقا بها وانما طعنوا فى امرته لانه مولى مع حداثة سنه لانه كان اذ ذاك ابن ثمان عشرة سنة وكان رضى الله عنه أسود الجلدة وكان أبوه أبيض صافى البياض نزع فى اللون الى أمه بركة وهى أم أيمن وقد تقدم حديثها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ويمسح خشمه وهو صغير بثوبه وعثر يوما فاصابه جرح فى رأسه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمص دمه ويمجه ويقول لو كان اسامة جارية لحليناها حتى يرغب فيها وكان يسمى الحب من الحب * وذكر ابن اسحق عدة الغزوات وهى ست وعشرون وقال الواقدى كانت سبعا وعشرين وانما جاء الخلاف لان غزوة خيبر اتصلت بغزوة وادى القرى فجعلها بعضهم غزوة واحدة وأما البعوث والسرايا فقيل هى ست وثلاثون كما فى الكتاب وقيل ثمان وأربعون وهو قول الواقدى ونسب المسعودى الى بعضهم ان البعوث والسرايا كانت ستين قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تسع غزوات وقال الواقدى قاتل فى احدى عشرة غزوة منها الغابة ووادى القرى والله أعلم

﴿ ارسال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك ﴾

ذكر فيه ارسال عيسى ابن مريم الحواريين وأصح ما قيل فى معنى الحواريين ان الحوارى هو الخلصان أى الخالص

اصحابه وكتب معهم كتبا الى الملوك يدعوهم فيها الى الاسلام فبعث دحية بن خليفة الكلبي الى قيصر ملك الروم وبعث عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى ملك فارس وبعث عمرو بن امية الضمري الى النجاشي ملك الحبشة وبعث حاطب بن ابى بلتعة الى المقوقس ملك الاسكندرية وبعث عمرو بن العاص السهمي الى جيفر وعبد ابني الجلندى الازديين ملكي عمان وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر ابن لؤي الى ثمامة بن أثال وهوذة بن على الحنفيين ملكي اليمامة وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين وبعث شجاع بن وهب الاسدي الى الحرث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام «قال ابن هشام» بعث شجاع بن وهب الى جبلة بن الايهم الغساني وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي الى الحرث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن «قال ابن هشام» أنا نسيت سليطا وثمامة وهوذة والمنذر * قال ابن اسحق حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري انه وجد كتابا فيه من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البلدان وملوك العرب والعجم وما قال لاصحابه حين بعثهم قال فبعثت به الى محمد بن شهاب الزهري فعرفه وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه فقال لهم ان الله بعثني رحمة وكافة فأدوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم قالوا وكيف يارسول الله كان اختلافهم قال دعاهم لمثل مادعوتكم له فأما من قرب به فأحب وسلم وأما من بعد به فكره وأبى فشكا ذلك عيسى منهم الى الله فاصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه اليهم * قال ابن اسحق وكان من بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والاتباع الذين كانوا بعدهم في الارض بطرس الحواري ومعه بولس وكان بولس من الاتباع ولم يكن من الحواريين الى رومية واندرائس ومنتا الى الارض التي يأكل أهلها الناس وتوماس الى أرض بابل من أرض المشرق وفيلبس الى قرطاجنة وهي افريقية ويحنس الى أفسوس قرية الفتية أصحاب الكهف ويعقوبس الى أوراشلم وهي ايلياء قرية بيت المقدس وابن ثلما الى الاعرابية وهي أرض الحجاز وسيمن الى أرض البربر ويهوذا ولم يكن من الحواريين جعل مكان يودس ﴿ذكر جملة الغزوات﴾ بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي وكان جميع ماغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعا

الخالص الصافي من كل شئ ومنه الحواري والحور وقول المفسرين هو الخلصان كلمة فصيحة أنشد أبو حنيفة

خليلي خلصاني لم يبق حبها * من القلب الا عوذا سيبا لها

قال والعوذ مالم تدركه الماشية لارتفاعه أو لانه باهداف فكانه قد عاذ منها وأصح ماقيل في معنى المسيح على كثرة الاقوال في ذلك انه الصديق بلغتهم ثم عربته العرب وكان ارسال المسيح للحواريين بعد مارفع وصلب الذي شبه به فجاءت مريم الصديقة والمرأة التي كانت مجنونة فابرأها المسيح وقعدتا عند الجذع تبكيان وقد أصاب أمه من الحزن عليه مالا يعلم علمه الا الله فاهبط اليهما وقال علام تبكيان فقالتا عليك فقال اني لم أقتل ولم أصلب ولكن الله رفعني وكرمني وشبه عليهم في أمري أبلغا عني الحواريين أمري ان يلقوني في موضع كذا ليلا فجاء الحواريون ذلك الموضع فاذا الجبل قد اشتعل نورا لنزوله به ثم أمرهم ان يدعوا الناس الى دينه وعبادة ربهم فوجههم الى الامم التي ذكر ابن اسحق وغيره ثم كسي كسوة الملائكة فعرج معهم فصار ملكيا انسيا سمائيا أرضيا

﴿فصل﴾ وذكر في الامم الامة الذين يأكلون الناس وهم من الاساودة فيما ذكره الطبري * وذكر في الحواريين زريب بن برثملي وهو الذي عاش الى زمن عمر وسمع نضلة بن معاوية اذانه في الجبل وكلمه فاذا رجل عظيم الخلق رأسه كدور الرحى فسأل نضلة والجيش الذين كانوا معه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قبض وعن أبي بكر فقالوا قبض ثم سألهم عن عمر فقالوا هو حي ونحن جيشه فقال لهم اقرؤه مني السلام ثم أمرهم ان يبلغوا عنه وصايا كثيرة وان يحذر الناس من خصال اذا ظهرت في أمة محمد فقد قرب الامر ومنها لبس الحرير وشرب الخمر وأن يكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء * وذكر فيها أيضا المعازف والقيان وأشياء غير هذه فقالوا له من أنت يرحمك الله فقال زريب بن برثملي حواري عيسى بن مريم عليه السلام دعوت الله ان يحييني حتى أرى أمة محمد أو نحو هذا الكلام وقد أردت الخلوص الى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلم أستطع حال بيني وبينه الكفار * وذكر الدارقطني في هذا الحديث من طريق مالك بن أنس مرفوعا ان عمر قال لنضلة ان لقيته فاقرأه مني السلام فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بذلك الجبل وصيا من أوصياء عيسى عليه السلام والخبر بهذا مشهور عنه وفيه طول فاختصرناه ويقال انه الآن حي ومن قال ان الخضر والياس قد ماتا فمن أصله ايضا ان زريبا قد مات لانهم يحتجون بالحديث الصحيح الى رأس مائة سنة لا يبقى على الارض ممن هو عليها أحد

﴿فصل﴾ وذكر ارسال عمرو بن امية الى النجاشي وقد قدمنا ذكر ماقال وماقيل له وكذلك ذكرنا خبر

وعشرين غزوة منها غزوة ودان وهي غزوة الابواء ثم غزوة بواط من ناحية رضوى ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ثم غزوة بدر الاولى يطلب كرز بن جابر ثم غزوة بدر التي قتل الله فيها صناديد قريش ثم غزوة بني سليم حتى بلغ الكدر ثم غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر ثم غزوة نجران معدن بالحجاز ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ثم غزوة بدر الآخرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان من هذيل ثم غزوة ذي قرد ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصده المشركون ثم غزوة خيبر ثم عمرة القضاء ثم غزوة الفتح ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل منها في تسع غزوات بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف

﴿ ذكر جملة السرايا والبعوث ﴾ وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانيا وثلاثين بين بعث وسرية غزوة عبيدة بن الحرث الى أسفل من ثنية ذي المروة ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب الى ساحل البحر من ناحية العيص وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة وغزوة سعد بن أبي وقاص الخرار وغزوة عبد الله بن جحش نخلة وغزوة زيد بن حارثة القردة وغزوة محمد بن مسلمة كعب بن الاشرف وغزوة مرثد ابن أبي مرثد الغنوي الرجيع وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة وغزوة أبي عبيدة بن الجراح ذا القصة من طريق العراق وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بني عامر وغزوة علي بن أبي طالب اليمن وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليث الكديد فاصاب بني الملوح

﴿ خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوح ﴾ وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس حدثني عن مسلم بن عبد الله بن خبيب الجهني عن المنذر عن جندب بن مكيث الجهني قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكلبي كلب بن عوف بن ليث في سرية كنت فيها وأمره أن يشن الغارة على بني الملوح وهم بالكديد فخرجنا حتى اذا كنا بقديد لقينا الحرث بن مالك وهو ابن البرصاء الليثي فاخذناه فقال اني جئت أريد الاسلام ما خرجت الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له ان تك مسلما فلن يضيرك رباط ليلة وان تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك فشددناه رباطا ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسود وقلنا له ان عازك فاحتز رأسه قال ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس فكنا في ناحية الوادي وبعثني أصحابي ربيئة لهم فخرجت حتى آتي تلا مشرفا على الحاضر فاستندت فيه فعلوت في رأسه فنظرت الى الحاضر فوالله اني لمنبطح على التل اذ خرج رجل منهم من خبائه فقال لامرأته اني لارى على التل سوادا ما رأيته فهم

سايط مع هوذة وماقال له وخبر عبد الله بن حذافة مع كسرى وكلامه معه ونذكر هنا بقية الارسال وكلامهم

في أول يومي فانظري الى أوعيتك هل تفقدين شيئا لا تكون الكلاب جرت بعضها قال فنظرت فقالت لا والله ما أفقد شيئا قال فناوليني قوسي وسهمين فناولته قال فارسل سهما فوالله ما أخطأ جنبي فانزعه فاضعه وثبت مكاني قال ثم أرسل الآخر فوضعه في منكبي فانزعه فاضعه وثبت مكاني فقال لامرأته لو كان ربيئة لقد تحرك لقد خالطه سهماي لا أبا لك اذا أصبحت فابتغيهما فخذيهما لا تمضغهما علي الكلاب قال ثم دخل قال وأمهلناهم حتى اذا اطمأنوا وناموا وكان في وجه السحر شننا عليهم الغارة قال فقتلنا واستقنا النعم وخرج صريخ القوم فجاءنا دهم لا قبل لنا به ومضينا بالنعم ومررنا بابن البرصاء وصاحبه فاحتملناهما معنا قال وأدركنا القوم حتى قربوا منا قال فما بيننا وبينهم الا الوادي قديد فأرسل الله الوادي بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر فجاء بشيء ليس لاحد به قوة ولا يقدر أحد أن يجاوزه فوقفوا ينظرون الينا وانا لنسوق نعمهم ما يستطيع منهم رجل أن يجيز الينا ونحن نحدوها سراعا حتى فتناهم فلم يقدروا على طلبنا قال فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وحدثني رجل من أسلم عن رجل منهم ان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة أمت أمت فقال راجز من المسلمين وهو يحدوها

أبى أبو القاسم ان تعزبي * في خضل نباته مغلولب * صفر أعاليه كلون المذهب

«قال ابن هشام» ويروى كلون الذهب (تم خبر الغزاة وعدت الى ذكر تفصيل السرايا والبعوث) * قال ابن اسحق وغزوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بني عبد الله بن سعد من أهل فدك وغزوة أبي العرجاء السلمي أرض بني سليم أصيب بها هو وأصحابه جميعا وغزوة عكاشة ابن محصن الغمرة وغزوة أبي سلمة بن عبد الاسد قطنا ماء من مياه بني أسد من ناحية نجد قتل بها مسعود بن عروة وغزوة محمد بن مسلمة أخي بني حارثة القرطاء من هوازن وغزوة بشير بن سعد بن مرة بفدك وغزوة بشير بن سعد ناحية خيبر وغزوة زيد بن حارثة الجموم من ارض بني سليم وغزوة زيد بن حارثة جذام من أرض خشين «قال ابن هشام» عن نفسه والشافعي عن عمرو بن حبيب عن ابن اسحاق من أرض حسمى ﴿ غزوة زيد بن حارثة الى جذام ﴾ * قال ابن اسحق وكان من حديثها كما حدثني من لا أتهم عن رجال من جذام كانوا علماء

بهاأن رفاعة بن زيد الجذامي لما قدم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم الى الاسلام فاستجابوا له ثم لم يلبث أن قدم دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر صاحب الروم حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ومعه تجارة له حتى اذا كانوا بوادمن أوديتهم يقال له شنار أغار على دحية بن خليفة الهنيد بن عوص وابنه عوص بن الهنيد الصلعيان والصليع بطن من جذام فأصابا كل شيء كان معه فبلغ ذلك قوما من الضبيب رهط رفاعة بن زيد ممن كان أسلم وأجاب فنفروا الى الهنيد وابنه فيهم من بني الضبيب النعمان بن أبي جعال حتى لقوهم فاقتتلوا وانتمى يومئذ قرة بن أشقر الضفادي ثم الصلعي فقال أنا ابن لبنى ورمى النعمان بن أبي جعال بسهم فاصاب ركبته فقال حين أصابه خذها وأنا ابن لبنى وكانت له أم تدعى لبنى وقد كان حسان بن ملة الضبي قد صحب دحية بن خليفة قبل ذلك فعلمه ام الكتاب «قال ابن هشام» ويقال قرة بن أشقر الضفاري وحيان بن ملة * قال ابن اسحق حدثني من لا أتهم (٣٥٥) عن رجال من جذام قال فاستنقذوا ما كان في يد الهنيد وابنه فردوه على دحية فخرج دحية حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره واستسقاه دم الهنيد وابنه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم زيد بن حارثة وذلك الذي هاج غزوة زيد جذام وبعث معه جيشا وقد وجهت غطفان من جذام ووائل ومن كان من سلامان وسعد بن هذيم حين جاءهم رفاعة بن زيد بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا الحرة حرة الرجلاء ورفاعة بن زيد بكراع ربة لم يعلم ومعه ناس من بني الضبيب وسائر بني الضبيب بوادي مدان من ناحية الحرة مما يسيل مشرقا وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الاولاج فاغار بالماقض من قبل الحرة فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بني الاخيف «قال ابن هشام» من بني الاحنف * قال ابن اسحق في حديثه ورجلان من بني خصيب فلما سمعت بذلك بنو الضبيب والجيش بفيفاء مدان ركب نفر منهم وكان فيمن ركب حسان بن ملة على فرس لسويد بن زيد يقال لها العجاجة وأنيف بن ملة على فرس لملة يقال له رغال وأبو زيد بن عمرو على فرس له يقال لها شمر فانطلقوا حتى اذا دنوا من الجيش قال أبو زيد وحسان لانيف بن ملة كف عنا وانصرف فانا نخشى لسانك فوقف عنهما فلم يبعدا منه حتى جعلت فرسه تبحث بيديها وتوثب فقال لانا أضن بالرجلين منك بالفرسين فارخى لها حتى أدركهما فقالا له أما اذا فعلت ما فعلت فكف عنا لسانك ولا تشأمنا اليوم فتواصوا أن لا يتكلم منهم الا حسان بن ملة وكانت بينهم كلمة في الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض اذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال بوري أو ثوري فلما برزوا على الجيش أقبل القوم يبتدرونهم فقال لهم حسان انا قوم مسلمون وكان أول من

فمنهم دحية بن خليفة الكلبي فقدم دحية على قيصر وقد ذكرنا معنى هذا الاسم اعني اسم دحية واسم قيصر فيما مضى من الكتاب فلما قدم دحية على قيصر قال له يا قيصر أرسلني اليك من هو خير منك والذي ارسله هو خير منه ومنك فاسمع بذل ثم أجب بنصح فانك ان لم تذلل لم تفهم وان لم تنصح لم تنصف قال هات قال هل تعلم أكان المسيح يصلي قال نعم قال فاني ادعوك الى من كان المسيح يصلي له وأدعوك الى من دبر خلق السموات والارض والمسيح في بطن أمه وأدعوك الى هذا النبي الامي الذي بشر به موسى وبشر به عيسى ابن مريم بعده وعندك من ذلك اثارة من علم تكفي من العيان وتشفي من الخبر فان أجبت كانت لك الدنيا والآخرة والا ذهبت عنك الآخرة وشوركت في الدنيا واعلم ان لك رب يقصم الجبابرة ويغير النعم فاخذ قيصر الكتاب فوضعه على عينيه ورأسه وقبله ثم قال أما والله ما تركت كتابا الا وقرأته ولا عالما الا سألته فما رأيت الا خيرا فامهلني حتى أنظر من كان المسيح يصلي له فاني أكره ان اجيبك اليوم بامر أرى غدا ما هو احسن منه فارجع عنه فيضرني ذلك ولا ينفعني اقم حتى أنظر فلم يلبث ان أتاه وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي غزوة تبوك بقية حديث قيصر فانظره هنالك * واما حاطب فقدم على المقوقس واسمه جريج ابن ميناء فقال له انه قد كان رجل قبلك يزعم انه الرب الاعلى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك قال هات قال ان لك دينا لن تدعه الا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافي به الله فقد ما سواه ان هذا النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبي أدرك قوما فهم من أمته فالحق عليهم ان يطيعوه فانت ممن أدركه هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكن نأمرك به قال المقوقس اني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى الا عن مرغوب عنه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء والاخبار بالنجوى وسأنظر فاهدى للنبي صلى الله عليه وسلم أم ابراهيم القبطية واسمها مارية بنت شمعون وأختها معها واسمها سيرين وهي أم عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وغلاما اسمه مابور وبغلة اسمها دلدل وكسوة وقدحا من قوارير كان

لقيهم رجل على فرس أدهم فاقبل يسوقهم فقال أنيف بورى فقال حسان مهلا فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان انا قوم مسلمون فقال له زيد فاقرأ أم الكتاب فقرأها حسان فقال زيد بن حارثة نادوا فى الجيش ان الله قد حرم علينا ثغرة القوم التى جاؤا منها الا من ختر * قال ابن اسحق واذا اخت حسان بن ملة وهى امرأة أبى وبر بن عدى بن أمية بن الضبيب فى الاسارى فقال لها زيد خذها وأخذت بحقويه فقالت ام الفزر الضلعية أتنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم فقال أحد بنى الخصيب انها بنو الضبيب وسحر ألسنتهم سائر اليوم فسمعها بعض الجيش فاخبر بها زيد بن حارثة فأمر باخت حسان ففكت يداها من حقويه وقال لها اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه فرجعوا ونهى الجيش أن يهبطوا الى واديهم الذى جاؤا منه فامسوا فى أهليهم واستعتموا ذودا لسويد بن زيد فلما شربوا عتمتهم ركبوا الى رفاعة بن زيد وكان ممن ركب الى رفاعة بن زيد تلك الليلة أبو زيد بن عمرو وأبو شماس بن عمرو وسويد بن زيد وبعجة بن زيد وبرذع بن زيد وثعلبة ابن عمرو ومخربة بن عدى وأنيف بن ملة وحسان بن ملة حتى صبحوا رفاعة بن زيد بكراع ربة بظهر الحرة على بئر هنالك من حرة ليلى فقال له حسان بن ملة انك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذى جئت به فدعا رفاعة بن زيد بجمل له فجعل يشد عليه رحله وهو يقول * هل أنت حى أو تنادى حيا * ثم غدا وهم معه بامية بن ضفارة أخى الخصيبى المقتول مبكرين من ظهر الحرة فساروا الى جوف المدينة ثلاث ليال فلما دخلوا المدينة وانتهوا الى المسجد نظر اليهم رجل من الناس فقال لا تنيخوا ابلكم فتقطع أيديهن فنزلوا عنهن وهن قيام فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ألاح اليهم بيده أن تعالوا من وراء الناس فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق قام رجل من الناس فقال يارسول الله ان هؤلاء قوم سحرة فرددها مرتين فقال رفاعة بن زيد رحم الله من لم يحذنا فى يومه هذا الا خيرا ثم دفع رفاعة كتابه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان كتب له فقال دونك يارسول الله قديما كتابه حديثا غدره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأه ياغلام وأعلن فلما قرأ كتابه استخبرهم فاخبروه الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصنع بالقتلى ثلاث مرار فقال رفاعة أنت يارسول الله أعلم لا تحرم عليك حلالا ولا نحل لك حراما فقال أبو زيد بن عمرو أطلق لنا يارسول الله من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمى هذه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أبو زيد اركب معهم ياعلى فقال على رضى الله عنه ان زيدا لن يطيعنى يارسول الله قال فخذ سيفى هذا فاعطاه سيفه فقال على ليس لى يارسول الله راحلة اركبها فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو يقال له مكحال فخرجوا فاذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من ابل أبى وبر يقال لها الشمر فانزلوه عنها فقال ياعلى ما شأنى فقال مالهم عرفوه فاخذوه ثم سار وافلقوا الجيش بفيفاء الفحلتين فاخذوا ما فى أيديهم حتى كانوا ينزعون لبد المرأة من تحت الرحل فقال أبو جعال حين فرغوا من شأنهم

وعاذلة ولم تعذل بطب * ولولا نحن حش بها السعير تدافع فى الاسارى بابنتيها * ولا يرجى لها عتق يسير
ولو وكلت الى عوص وأوس * وأوس لحار بها عن العتق الامور ولو شهدت ركائبنا بمصر * تحاذر أن يعل بها المسير

يشرب فيه النبى صلى الله عليه وسلم وكاتبه * وأما العلاء بن الحضرمى فقدم على المنذر بن ساوى فقال له يامنذ انك عظيم العقل فى الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكرم العرب ولا علم أهل الكتاب ينكحون ما يستحيا من نكاحه ويأكلون ما يتكرم على أكله ويعبدون فى الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأى فانظر هل ينبغى لمن لا يكذب ان لا تصدقه ولمن لا يخون ان لا تأمنه ولمن لا يخلف ان لا تثق به فان كان هذا هكذا فهو هذا النبى الامى الذى والله لا يستطيع ذو عقل ان يقول ليت ما أمر به نهى عنه أو مانهى عنه أمر به أو ليته زاد فى عفوه أو نقص من عقابه ان كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل البصر * فقال المنذر قد نظرت فى هذا الامر الذى فى يدى فوجدته للدنيا دون الآخرة ونظرت فى دينكم فوجدته للآخرة والدنيا فما يمنعنى من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده وان من اعظام من جاء به ان يعظم رسوله وسانظر

﴿ فصل ﴾ ومما وقع فى السيرة فى حديث العلاء قول النبى عليه السلام له اذا سئلت عن مفتاح الجنة فقل مفتاحها لا اله الا الله وفى البخارى قيل لوهب أليس مفتاح الجنة لا اله الا الله فقال بلى ولكن ليس من مفتاح الا وله أسنان فان جئت بمفتاح له أسنان فتح لك والا لم يفتح لك وفى رواية غيره ان ابن عباس ذكر له قول وهب فقال صدق وهب وأنا أخبركم عن الاسنان ماهى فذكر الصلاة والزكاة وشرائع الاسلام * وأما عمرو بن العاصى فقدم على الجلندى فقال له ياجلندى انك وان كنت منا بعيدا فانك من الله غير بعيد ان الذى تفرد بخلقك أهل أن تفرده بعبادتك وأن لا تشرك به من لم يشركه فيك واعلم أنه يميتك

وردناماء يثرب عن حفاظ * لربع انه قـرب ضرير بكل مجرب كالسيد نهد * على اقتاد ناجية صبور
فدى لابي سليمى كل جيش * بيثرب اذ تناطحت النحور غداة ترى المجرب مستكينا * خلاف القوم هامته تدور

« قال ابن هشام » قوله ولا يرجى لها عتق يسير وقوله عن العتق الامور عن غير ابن اسحق * تمت الغزاة وعدنا الى تفصيل ذكر السرايا والبعوث * قال ابن اسحق وغزوة زيد بن حارثة أيضاً الطرف من ناحية نخل من طريق العراق

﴿ غزوة زيد بن حارثة بني فزارة ومصاب أم قرفة ﴾ وغزوة زيد بن حارثة أيضاً وادي القرى لقي به فزارة فاصيب بها ناس من أصحابه وارتث زيد من بين القتلى وفيها أصيب ورد بن عمرو بن مداش وكان أحد بني سعد بن هذيل أصابه أحد بني بدر « قال ابن هشام » سعد بن هذيم * قال ابن اسحق فلما قدم زيد بن حارثة آلى ان لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة فلما استبل من جراحته بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني فزارة في جيش فقتلهم بوادي القرى وأصاب فيهم وقتل قيس بن المسحر اليعمري مسعدة بن حكمة ابن مالك بن حذيفة بن بدر وأسرت أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر وبنت لها وعبد الله بن مسعدة فامر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرفة فقتلها قتلا عنيفا ثم

قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة وبابن مسعدة وكانت بنت أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الاكوع كان هو الذي أصابها وكانت في بيت شرف من قومها كانت العرب تقول لو كنت أعز من أم قرفة مازدت فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة فوهبها له فاهداها لخاله حزن بن أبي وهب فولدت له عبد الرحمن بن حزن فقال قيس بن المسحر في قتل مسعدة

سعيت بورد مثل سعي ابن أمه * وانى بورد في الحياة لثائر
كررت عليه المهر لما رأيته * على بطل من آل بدر مغاور
فركبت فيه قعضبيا كانه * شهاب بمراة يذكى لناظر

﴿ غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام ﴾ وغزوة عبد الله بن رواحة خيبر مرتين احداهما التي أصاب فيها اليسير ابن رزام « قال ابن هشام » ويقال ابن رازم وكان من حديث اليسير بن رزام انه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه منهم عبد الله بن انيس حليف بني سلمة فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له وقالوا له انك ان قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك واكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم في نفر من يهود فحمله عبد الله بن انيس على بعيره حتى اذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة اميال ندم اليسير بن رزام على مسيره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففطن له عبد الله بن انيس وهو يريد السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه اليسير بمخراش في يده من شوحط فامه ومال كل رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله الا رجلا واحدا أفلت على رجليه فلما قدم عبد الله بن انيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل على شجته فلم تقح ولم تؤذه * وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر فاصاب بها ابا رافع بن ابي الحقيق

الذي أحياك ويعيدك الذي بدأك فانظر في هذا النبي الامي الذي جاء بالدنيا والآخرة فان كان يريد به أجرا فامنعه او يميل به هوى فدعه ثم انظر فيما يجيء به هل يشبه ما يجيء به الناس فان كان يشبهه فسله العيان وتخير عليه في الخبر وان كان لا يشبهه فاقبل ما قال وخف ما وعد قال الجلندي انه والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يأمر بخير الا كان أول من أخذ به ولا ينهى عن شر الا كان أول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر وانه يفي بالعهد وينجز الموعود وانه لا يزال سر قد اطلع عليه يساوي فيه أهله وأشهد أنه نبي * وأما شجاع بن وهب فقدم على جبلة بن الايهم وهو جبلة بن الايهم بن الحارث بن أبي شمر وجبلة هو الذي أسلم ثم تنصر من أجل لطمة حاكم فيها الى أبي عبيدة بن الجراح وكان طوله اثني عشر شبرا وكان يمسح برجليه الارض وهو راكب فقال له ياجبلة ان قومك نقلوا هذا النبي الامي من داره الى دارهم يعني الانصار فآووه ومنعوه وان هذا الدين الذي أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشام وجاورت بها الروم ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس لملك العراق وقد أقر بهذا النبي الامي من أهل دينك من ان فضلناه عليك لم يغضبك وان فضلناك عليهم لم يرضك فان أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم وان لم يفعلوا كانت لهم الدنيا ولك الآخرة وكنت قد استبدلت المساجد بالبيع والآذان بالناقوس والجمع بالسعانين والقبلة بالصليب وكان ما عند الله خير وأبقى فقال له جبلة اني والله لوددت ان الناس أجمعوا على هذا النبي الامي اجتماعهم على خلق السموات والارض ولقد سرني اجتماع قومي له وأعجبني قتله أهل الاوثان واليهود واستبقاؤه النصارى ولقد دعاني

﴿ غزوة عبد الله بن انيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى ﴾

وغزوة عبد الله بن أنيس خالد بن سفيان بن نبيح بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وهو بنخلة أو بعرنة يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ليغزوه فقتله * قال ابن اسحق حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير قال قال عبد الله بن أنيس دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه قد بلغنى ان ابن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع لى الناس ليغزونى وهو بنخلة او بعرنة فأته فاقتله قلت يارسول الله انعته لى حتى أعرفه قال انك اذا رأيته اذكرك الشيطان وآية ما بينك و بينه انك اذا رأيته وجدت له قشعريرة قال فخرجت متوشحا سيفى حتى دفعت اليه وهو فى ظعن يرتاد لهن منزلا وحيث كان وقت العصر فلما رأيته وجدت ما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعريرة فاقبلت نحوه وخشيت أن تكون بينى و بينه مجاولة تشغلنى عن الصلاة فصليت وانا أمشى نحوه أومئ برأسى فلما انتهيت اليه قال من الرجل قلت رجل من العرب سمع بك و بجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك قال أجل انى لفى ذلك قال فمشيت معه شيأ حتى اذا أمكننى حملت عليه بالسيف فقتلته ثم خرجت وتركت ظعائنه منكبات عليه فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآنى قال أفلح الوجه قلت قد قتلته يارسول الله قال صدقت ثم قام بى فادخلنى بيته فاعطانى عصا فقال أمسك هذه العصا عندك ياعبد الله بن أنيس قال فخرجت بها على الناس فقالوا ما هذه العصا قلت أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرنى أن أمسكها عندى قالوا أفلا ترجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله لم ذلك قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت (٣٥٨) يارسول الله لم أعطيتنى هذه العصا قال آية بينى و بينك يوم القيامة ان أقل الناس المتخصرون يومئذ قال فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه فلم تزل معه حتى مات ثم أمر بها فضمت فى كفنه ثم دفنا جميعا « قال ابن هشام » وقال عبد الله بن أنيس فى ذلك

تركت ابن ثور كالحوار وحوله * نوائح تفرى كل جيب مقدد
تناولته والظعن خلفى وخلفه * بأبيض من ماء الحديد مهند
عجوم لهام الدارعين كأنه * شهاب غضا من ملهب متوقد
أنا ابن الذى لم ينزل الدهر قدره * رحيب فناء الدار غير مزند
وكنت اذا هم النبى بكافر * سبقت اليه باللسان وباليد
أقول له والسيف يعجم رأسه * أنا ابن أنيس فارسا غير قعدد
وقلت له خذها بضربة ماجد * حنيف على دين النبى محمد

تمت الغزاة وعدنا الى خبر البعوث * قال ابن اسحق وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة مونة من أرض الشام فأصيبوا بها جميعا وغزوة كعب بن عمير الغفارى ذات اطلاح من أرض الشام أصيبوا بها هو وأصحابه جميعا وغزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بنى العنبر من بنى تميم

﴿ غزوة عيينة بن حصن بنى العنبر من تميم ﴾

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه اليهم فاغار عليهم فاصاب منهم أناسا وسبى منهم أناسا فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ان عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله ان على رقبة من ولد اسمعيل قال هذا سبى بنى العنبر يقدم الآن فنعطيك منهم انسانا فتعتقينه * قال ابن اسحق فلما قدم بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فيهم وفد من بنى تميم حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ربيعة بن رفيع وسبرة بن عمرو والقعقاع بن معبد ووردان بن محرز وقيس بن عاصم ومالك بن عمرو والاقرع بن حابس وفراس بن حابس فكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فاعتق بعضا وأفدى بعضا وكان ممن قتل يومئذ من بنى العنبر عبد الله واخوان له بنو وهب وشداد بن فراس وحنظلة بن دارم وكان ممن سبى من

قيصر الى قتال أصحابه يوم مؤتة فابيت عليه فانتدب مالك بن نافلة من سعد العشيرة فقتله الله ولكنى لست أرى حقا ينفعه ولا باطلا يضره والذى يمدنى اليه أقوى من الذى يختلجنى عنه وسأنظر * وأما المهاجر بن أبى أمية فقدم على الحارث بن عبد كلال وقال له ياحارث انك كنت أول من عرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم نفسه فخطئت عنه وأنت أعظم الملوك قدرا فاذا نظرت فى غلبة الملوك فانظر فى غالب الملوك واذا سرك يومك فخف غدك وقد كان قبلك ملوك ذهبت آثارها و بقيت أخبارها عاشوا طويلا وأملوا بعيدا وتزودوا قليلا منهم من أدركه الموت ومنهم من أكلته النقم وانى أدعوك الى الرب الذى ان أردت الهدى لم يمنعك وان أرادك لم يمنعه منك أحد وأدعوك الى النبى الامى الذى ليس له شىء أحسن مما يأمر به ولا أقبح مما ينهى عنه واعلم ان لك ربا يميت الحى ويحيى الميت و يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فقال الحارث قد كان هذا النبى عرض نفسه على فخطئت عنه وكان ذخرا لمن صار اليه وكان أمره أمرا سبق فحضره اليأس وغاب عنه الطمع ولم يكن لى قرابة أحتمله عليها ولا لى فيه هوى اتبعه له غير انى أرى أمرا لم يوسوسه الكذب ولم يسنده الباطل له بدء سار وعاقبة نافعة وسأنظر ومما قاله دحية بن خليفة فى قدومه على قيصر

الا

نسائهم يومئذ أسماء بنت مالك وكاس بنت أري ونجوت بنت نهد وجميعة بنت قيس وعمرة بنت مطر فقالت في ذلك اليوم سلمى بنت عتاب

لعمري لقد لاقت عدي بن جندب * من الشر مهواة شديدا كؤودها تكنفها الاعداء من كل جانب * وغيب عنها عزها وجدودها

« قال ابن هشام » وقال الفرزدق في ذلك وعند رسول الله قام ابن حابس * بخطة سوار الى المجد حازم

له أطلق الاسرى التي في حباله * مغللة أعناقها في الشكائم كفى أمهات الخائفين عليهم * غلاء المفادي أو سهام المقاسم

وهذه الابيات في قصيدة له وعدي بن جندب من بني العنبر والعنبر بن عمرو بن تميم

﴿ غزوة غالب بن عبد الله أرض بني مرة ﴾ * قال ابن اسحق وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليث أرض بني مرة فاصاب بها مرداس بن نهيك حليفا لهم من الحرقة « قال ابن هشام » الحرقة من جهينة قتله أسامة بن زيد ورجل من الانصار فيما حدثني أبو عبيدة * قال ابن اسحق وكان من حديثه عن أسامة بن زيد قال أدركته أنا ورجل من الانصار فلما شهرنا عليه السلاح قال أشهد ان لا اله الا الله قال فلم ننزع عنه حتى قتلناه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبره فقال يا أسامة من لك بلا اله الا الله قال قلت يارسول الله انه انما قالها تعوذا بها من القتل قال فمن لك بها يا أسامة قال فوالذي بعثه بالحق مازال يرددها علي حتى لوددت ان ما مضى من اسلامي لم يكن وأني كنت أسلمت يومئذ وأني لم أقتله قال قلت أنظرني يارسول الله اني أعاهد الله أن لا أقتل رجلا يقول لا اله الا الله أبدا قال يقول بعدي يا أسامة قال قلت بعدك

﴿ غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل ﴾

ألا هل أتاها على نأيها * فاني قدمت على قيصر

فقدرته بصلاة المسيـ * ـح وكانت من الجوهر الاحمر

وتدبير ربك أمر السما * ء والارض فاغضى ولم ينكر

وقلت تقر ببشرى المسيـ * ـح فقال سأنظر قلت انظر

فكاد يقر بأمر الرسو * ل فمال الى البدل الاعور

فشك وجاشت له نفسه * وجاشت نفوس بني الاصفر

على وضعه بيديه الكتا * ب على الرأس والعين والمنخر

فاصبح قيصر من أمره * بمنزلة الفرس الاشقر

يريد بالفرس الاشقر مثلا للعرب يقولون * أشقران يتقدم ينحر * وان يتاخر يعقر * وقال الشاعر في هذا المعنى

وهل كنت الامثل سيقة العدى * ان استقدمت نحر وان جبأت عقر

وفي حديث دحية من رواية الحارث في مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ينطلق بكتابي هذا الى قيصر وله الجنة فقالوا وان لم يقتل يارسول الله قال وان لم يقتل فانطلق به رجل يعني دحية وذكر الحديث

﴿ فصل ﴾ وذكر غزوة عمر الى تربة وهي تربة بفتح الراء أرض كانت لخثعم وفيها جاء المثل صادف بطنه بطن تربة يريدون الشبع والخصب قال البكري وكذلك عرنة بفتح الراء يعني التي عند عرفة

﴿ ذكر غزوة ذات السلاسل ﴾

والسلاسل مياه واحدها سلسل وأن عمرو بن العاصي كان الامير يومئذ وكان عليه السلام أمره أن يسير الى بلي وان أم أبيه العاصي كانت من بلي واسمها سلمى فيما ذكر الزبير وأما أم عمرو فهي ليلى تلقب بالنابغة سبيت من بني جلان بن عنترة بن ربيعة * وذكر في هذه السرية صحبة رافع بن أبي رافع لابي بكر وهو رافع بن عميرة

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بني عذرة وكان من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه يستنفر العرب الى الشام وذلك أن أم العاص بن وائل كانت امرأة من بلي فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم يستألفهم لذلك حتى اذا كان على ماء بارض جذام يقال له السلسل وبذلك سميت تلك الغزوة غزوة ذات السلاسل فلما كان عليه خاف فبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الاولين فيهم أبو بكر وعمر وقال لابي عبيدة حين وجهه لا تختلفا فخرج أبو عبيدة حتى اذا قدم عليه قال له عمرو انما جئت مددا لي قال أبو عبيدة لا ولكني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه وكان أبو عبيدة رجلا لينا سهلا هينا عليه أمر الدنيا فقال له عمرو بل أنت مدد لي فقال له أبو عبيدة يا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي لا تختلفا وانك ان عصيتني أطعتك قال فاني الامير عليك وأنت مدد لي قال فدونك فصلى عمرو بالناس قال وكان من الحديث في هذه الغزاة أن رافع بن أبي رافع الطائي وهو رافع بن عميرة كان يحدث فيما بلغني عن نفسه قال كنت امرأ نصرانيا وسميت جرجس فكنت أدل الناس وأهداه بهذا

الرمل كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ثم أغير على ابل الناس فاذا أدخلتها الرمل غلبت عليها فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه حتى أمر بذلك الماء الذى خبأت فى بيض النعام فاستخرجه فاشرب منه فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى ذات السلاسل قال فقلت والله لا ختارن لنفسى صاحبا قال فصحبت أبا بكر قال فكنت معه فى رحله قال وكانت عليه عباءة له فدكية فكان اذا نزلنا بسطها واذا ركبنا لبسها ثم شكها عليه بخلال له قال وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفارا نحن نبايع ذا العباءة قال فلما دنونا من المدينة قافلين قال قلت يا أبا بكر انما صحبتك لينفعنى الله بك فانصحنى وعلمنى قال لو لم تسألنى ذلك لفعلت قال آمرك أن توحد الله ولا تشرك به شيأ وأن تقيم الصلاة وأن تؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج هذا البيت وتغتسل من الجنابة ولا تتأمر على رجلين من المسلمين أبدا قال قلت يا أبا بكر أما أنا والله فانى أرجو أن لا أشرك بالله أبدا وأما الصلاة فلن أتركها أبدا ان شاء الله وأما الزكاة فان يك لى مال أؤدها ان شاء الله وأما رمضان فلن أتركه أبدا ان شاء الله وأما الحج فان أستطع أحج ان شاء الله تعالى وأما الجنابة فسأغتسل منها ان شاء الله وأما الامارة فانى رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس الا بها فلم تنهانى عنها قال انك انما استجهدتنى لاجهدك وسأخبرك عن ذلك ان شاء الله ان الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها فلما دخلوا فيه كانوا عواذ الله وجيرانه وفى ذمته فاياك أن تخفر الله فى جيرانه فيتبعك الله فى خفرته فان أحدكم يخفر فى جاره فيظل ناتئا عضله غضبا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير فالله أشد غضبا لجاره قال ففارقته على ذلك قال فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أبو بكر على الناس قال قدمت عليه فقلت له يا أبا بكر ألم تك نهيتنى على أن أتأمر على رجلين من المسلمين قال بلى وأنا الآن أنهاك عن ذلك قال فقلت له فما حملك على أن تلى أمر الناس قال لا أجد من ذلك بدا خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة * قال ابن اسحق أخبرنى يزيد بن أبى حبيب انه حدث عن عوف بن مالك الاشجعى قال كنت فى الغزاة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى ذات السلاسل قال فصحبت أبا بكر وعمر فمررت بقوم على جزور لهم قد نحروها وهم لا يقدرون على أن يعضوها قال وكنت امرأ لبقا جازرا قال فقلت أتعطوننى منها عشيرا على ان اقسمها بينكم قالوا نعم قال فاخذت الشفرتين فجزأتها مكانى واخذت منها جزأ فحملته الى اصحابى فطبخناه فاكلناه فقال لى ابو بكر وعمر رضى الله عنهما انى لك هذا اللحم يا عوف قال فاخبرتهما خبره فقالا لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ثم قاما يتقيآن ما فى بطونهما من ذلك قال فلما قفل الناس من ذلك السفر كنت اول قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجئته وهو يصلى فى بيته قال فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته قال أعوف بن مالك قال قلت نعم بابى انت وامى قال أصاحب الجزور ولم يزدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيا

ويقال فيه ابن عمير وهو الذى كلمه الذئب وله شعر مشهور فى تكليم الذئب له وكان الذئب قد أغار على غنمه فاتبعه فقال له الذئب ألا أدلك على ما هو خير لك قد بعث نبى الله وهو يدعو الى الله فالحق به ففعل ذلك رافع وأسلم * وذكر فى حديثه مع أبى بكر انه أطعمه وعمر لحم جزور كان قد أخذ منها عشيرا على أن يجزئها لاهلها فقاءها أبو بكر وعمر فتقيآ ما أ كلا وقالا أتطعمنا مثل هذا وذلك والله أعلم أنهما كرها أجرة مجهولة لان العشير واحد الاعشار على غير قياس يقال برمة أعشار اذا انكسرت ويجوز أن يكون العشير بمعنى العشر كالثمين بمعنى الثمن ولكنه عاملهم عليه قبل اخراج الجزور من جلدها وقبل النظر اليها أو يكونا كرها جزارة الجزار على كل حال والله أعلم * وذكر غزوة غالب بن عبد الله وقتله مرداس بن نهيك من الحرقة وقال ابن هشام الحرقة فيما ذكر أبو عبيدة وقال ابن حبيب فى يشكر حرقة بن ثعلبة وحرقة بن مالك كلاهما من بنى حبيب ابن كعب بن يشكر وفى قضاعة حرقة بن جذيمة بن نهد وفى تميم حرقة بن زيد بن مالك بن حنظلة وقال القاضى أبو الوليد هكذا وقعت هذه الاسماء كلها بالقاف وذكرها الدارقطنى كلها بالفاء * وذكر غزوة محمد بن مسلمة الى القرطاء وهم بنو قرط وقريط وقريط بنوا أبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة * وذكر حيان بن ملة وهو حسان بن مله وكذلك قاله فى موضع آخر من الكتاب وهو قول ابن هشام * وذكر سعد بن هذيم وانما هو سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وانما نسب الى هذيم لان هذيما حضنه وهو عبد حبشى

﴿ حديث أم قرفة ﴾

التى جرى فيها المثل أمنع من أم قرفة لانها كانت يعلق فى بيتها خمسون سيفا كلهم لها ذو محرم واسمها فاطمة بنت حذيفة بن بدر كنيت بابنها قرفة قتله النبى عليه السلام فيما ذكر الواقدى * وذكر ان سائر بنيها وهم تسعة

قتلوا

وغزوة ابن ابى حدرد واصحابه بطن اضم وكانت قبل الفتح * قال ابن اسحق حدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن ابى حدرد عن ابيه عبد الله بن ابى حدرد قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اضم فى نفر من المسلمين منهم ابو قتادة الحرث بن ربعى ومحلم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى اذا كنا ببطن اضم مر بنا عامر بن الاضبط الاشجعى على قعود له ومعه متيع له ووطب من لبن قال فلما مر بنا سلم بتحية الاسلام فامسكنا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشىء كان بينه وبينه وأخذ بعيره وأخذ متيعه قال فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا الى آخر الآية «قال ابن هشام» قرأ ابو عمرو بن العلاء ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا لهذا الحديث * قال ابن اسحق حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير قال سمعت زياد بن ضميرة بن سعد السلمى يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه عن جده وكانا شهدا حنينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ثم عمد الى ظل شجرة فجلس تحتها وهو بحنين فقام اليه الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر يختصمان فى عامر بن الاضبط الاشجعى عيينة يطلب بدم عامر وهو يومئذ رئيس غطفان والاقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة لمكانه من خندف فتداولا الخصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع فسمعنا عيينة بن حصن وهو يقول والله يا رسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحرقة مثل ما أذاق نسائى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا وخمسين اذا رجعنا وهو يأبى عليه اذ قام رجل من بنى ليث يقال له مكيثر قصير مجموع «قال ابن هشام» مكيتل فقال والله يا رسول الله ما وجدت لهذا القتيل شبها فى غرة الاسلام الا كغنم وردت فرميت اولاها فنفرت أخراها اسنن اليوم وغير غدا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال بل تاخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا وخمسين اذا رجعنا قال فقبلوا الدية قال ثم قالوا أين صاحبكم هذا يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقام رجل آدم ضرب طويل عليه حلة له قد كان تهيأ فيها للقتل حتى جلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما اسمك قال أنا محلم بن جثامة قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة ثلاثا قال فقام وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه قال فاما نحن فنقول فيما بيننا انا لنرجو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له وأما ما ظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه أمنته بالله ثم قتلته ثم قال له المقالة التى قال قال فوالله ما مكث محلم بن جثامة الا سبعا حتى مات فلفظته والذى نفس الحسن بيده الارض ثم عادوا له فلفظته الارض ثم عادوا فلفظته فلما غلب قومه عمدوا الى صدين فسطحوه بينهما ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه قال فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شانه فقال والله ان الارض لتطابق على من هو شر منه ولكن الله أراد أن يعظكم فى حرم ما بينكم بما أراكم منه * قال ابن اسحق وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث أن عيينة بن حصن وقيسا حين قال الاقرع بن حابس وخلا بهم يا معشر قيس منعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا

قتلوا مع طليحة بن بزاخة فى الردة وهم حكمة وخرشة وجبلة وشريك ووالان ورمل وحصين وذكر باقيم * وذكر ان أم قرفة قتلت يوم بزاخة أيضا وذكر عن عبد الله بن جعفر انه أنكر ذلك وهو الصحيح كما فى هذا الكتاب وذكر الدولابى ان زيد بن حارثة حين قتلها ربطها بفرسين ثم ركضا بها حتى ماتت وذلك لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر المرأة التى سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلمة وهى بنت أم قرفة وفى مصنف ابى داود وخرجه مسلم أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لسلمة هب لى المرأة يا سلمة لله أبوك فقال هى لك يا رسول الله ففدى بها أسيرا كان فى قريش من المسلمين وهذه الرواية أصح وأحسن من رواية ابن اسحق فانه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبها لخاله بمكة وهو حزن بن أبى وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم وفاطمة جدة النبى صلى الله عليه وسلم أم أبيه هى بنت عمرو بن عائذ فهذه الخؤلة التى ذكر وقتل عبد الرحمن بن حزن باليمامة شهيدا وحزن هذا هو جد سعيد بن المسيب بن حزن ومسعدة الذى ذكر فى هذا الحديث انه قتل هو ابن حكمة بن حذيفة بن بدر وسلمة الذى كانت عنده الجارية قيل هو سلمة بن الاكوع واسم الاكوع سنان وقيل هو سلامة بن سلامة بن وقش قاله الزبير * وذكر غزوة أبى حدرد واسمه سلمة بن عمير وقيل عبيد بن عامر * وذكر قتل محلم بن جثامة وخبره فى غير رواية ابن اسحق ان محلم بن جثامة مات بحمص فى امارة ابن الزبير وأما الذى نزلت فيه الآية لمن القى اليكم السلم والاختلاف فيه شديد فقد قيل اسمه فليت وقيل هو محلم كما تقدم وقيل نزلت فى المقداد بن عمرو وقيل فى أسامة

يستصلح به الناس أفأمنتم أن يلعنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلعنكم الله بلعنته أو أن يغضب عليكم فيغضب الله عليكم بغضبه والله الذى نفس الاقرع بيده لتسلمنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصنعن فيه ما أراد أو لآتين بخمسين رجلا من بنى تميم يشهدون بالله كلهم لقتل صاحبكم كافرا ما صلى قط فلأطلن دمه فلما سمعوا ذلك قبلوا الدية « قال ابن هشام » محلم فى هذا الحديث كله عن غير ابن اسحق وهو محلم بن جثامة بن قيس الليثى * وقال ابن اسحق ملجم فيما حدثنا زيادعنه

﴿ غزوة ابن أبى حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمى ﴾

* قال ابن اسحق وغزوة ابن أبى حدرد الاسلمى الغابة وكان من حديثها فيما بلغنى عمن لا أتهم عن أبى حدرد قال تزوجت امرأة من قومى وأصدقتها مائتى درهم قال فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحى فقال وكم أصدقت فقلت مائتى درهم يا رسول الله قال سبحان الله لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم والله ما عندى ما أعينك به قال فلبثت أياما وأقبل رجل من بنى جشم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة فى بطن عظيم من بنى جشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذا اسم فى جشم وشرف قال فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معى من المسلمين فقال اخرجوا الى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم قال وقدم لنا شارفا عجفاء فحمل عليها أحدنا فوالله ما قامت به ضعفا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ثم قال تبلغوا عليها واعتقبوها قال فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى اذا جئنا قريبا من الحاضر عشيشية مع غروب الشمس قال كمنت فى ناحية وأمرت صاحبى فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم وقلت لهما اذا سمعتمانى قد كبرت وشددت فى ناحية العسكر فكبرا وشدا معى قال فوالله انا لكذلك ننتظر غرة القوم أو أن نصيب منهم شيا قال وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء وقد كان لهم راع وقد سرح فى ذلك البلد فابطا عليهم حتى ابن تخوفوا عليه قال فقام صاحبهم ذلك رفاعة بن قيس فاخذ سيفه فجعله فى عنقه ثم قال والله لأتبعن أثر راعينا هذا ولقد أصابه شر فقال نفر ممن معه والله لا تذهب نحن نكفيك قال والله لا يذهب الا أنا قالوا فنحن معك قال والله لا يتبعنى أحد منكم قال وخرج حتى مر بى قال فلما أمكننى نفحته بسهمى فوضعته فى فؤاده قال فوالله ما تكلم ووثبت اليه فاحتززت رأسه قال وشددت فى ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباى وكبرا قال فوالله ما كان الا النجاء ممن فيه عندك عندك بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خف معهم من أموالهم قال واستقنا ابلا عظيمة وغنما كثيرة فجئنا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وجئت برأسه أحمله معى قال فأعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الابل بثلاثة عشر بعيرا فى صداقى فجمعت الى أهلى

﴿ غزوة عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل ﴾

* قال ابن اسحق حدثنى من لا أتهم عن عطاء بن أبى رباح قال سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن ارسال العمامة من خلف الرجل اذا اعتم قال فقال عبد الله سأخبرك ان شاء الله عن ذلك بعلم كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وأبو سعيد الخدرى رضى الله عنهم وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل فتى من الانصار فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم

وقيل فى أبى الدرداء واختلف أيضا فى المقتول فقيل مرداس بن نهيك وقيل عامر بن الاضبط والله أعلم كل هذا مذكور فى التفاسير والمسندات * وذكر ابن اسحق ثمامة بن أثال الحنفى واسلامه وقد خرج أهل الحديث حديث اسلامه وفيه أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان ترد المال نعطه فقال عليه السلام اللهم أكلة من جزور أحب الى من دم ثمامة فاطلقه فتطهر وأسلم وحسن اسلامه ونفع الله به الاسلام كثيرا وقام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما حميدا حين ارتدت اليمامة مع مسيلمة وذلك انه قام فيهم خطيبا وقال يا بنى حنيفة أين عزبت عقولكم « بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب » أين هذا من يا ضفدع نقى كم تنقين لا الشراب تكدرين ولا الماء تمنعين مما كان يهذى به مسيلمة فاطاعه منهم ثلاثة آلاف وانحاز والى المسلمين ففت ذلك فى أعضاد حنيفة وذكر ابن اسحق انه الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل فى معى واحد الحديث وقال أبو عبيد هو أبو بصرة الغفارى وفى مسند ابن أبى شيبة انه جهجاه الغفارى وفى الدلائل ان اسمه نضلة وقد أملينا فى معنى قوله يأكل فى سبعة أمعاء نحوا من كراسة رددنا فيه قول من قال انه مخصوص برجل واحد وبينا معنى الاكل والسبعة الامعاء وأن الحديث ورد على سبب خاص ولكن معناه عام وأتينا فى ذلك بما فيه شفاء والحمد لله وقوله فى رواية البخارى ذا دم رواه أبو داود ذا ذم بالذال المعجمة

جلس فقال يارسول الله صلى الله عليك أى المؤمنين أفضل فقال أحسنهم خلقا قال فاى المؤمنين أكيس قال أكثرهم ذكرا للموت وأحسنهم استعدادا له قبل أن ينزل به أولئك الاكياس ثم سكت الفتى وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن انه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الاظهر فيهم الطاعون والاوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم الا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم ما مطروا وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فاخذ بعض ما كان فى أيديهم ومالم يحكم ائمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله الا جعل الله بأسهم بينهم ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها فاصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء فادناه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ثم نقضها ثم عممه بها وأرسل من خلفه أربع أصابع أونحوا من ذلك ثم قال هكذا يا ابن عوف فاعتم فانه أحسن وأعرف ثم أمر بلالا أن يدفع اليه اللواء فدفعه اليه فحمد الله تعالى وصلى على نفسه صلى الله عليه وسلم ثم قال خذه يا ابن عوف فاغزوا جميعا فى سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم فاخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء «قال ابن هشام» فخرج الى دومة الجندل

﴿ غزوة أبى عبيدة بن الجراح الى سيف البحر ﴾

* قال ابن اسحق وحدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى سيف البحر عليهم أبو عبيدة بن الجراح وزودهم جرابا من تمر فجعل يقوتهم اياه حتى صار الى أن يعده عليهم عددا قال ثم نفد التمر حتى كان يعطى كل رجل منهم كل يوم تمرة قال فقسمها يوما بيننا قال فنقصت تمرة عن رجل (٣٦٣) فوجد فقدها ذلك اليوم قال فلما جهدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر فاصبنا من لحمها وودكها وأقمنا عليها عشرين ليلة حتى سمنا وابتللنا وأخذ أميرنا ضلعا من أضلاعها فوضعها على طريقه ثم أمر باجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل منا قال فجلس عليه قال فخرج من تحتها وما مست رأسه قال فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرناه خبرها وسالناه عما صنعنا فى ذلك من أكلنا اياه فقال رزق رزقكموه الله

﴿ مازاده ابن هشام مما لم يذكره ابن اسحاق ﴾

وذكر الشيخ الحافظ أبو بحر سفيان بن العاصى رحمه الله فى هذا الموضع قال نقلت من حاشية نسخة من كتاب السير منسوبة بسماع أبى سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم وأخويه محمد وأحمد ابنى عبد الله بن عبد الرحيم ماهذا نصه وجدت بخط أخى قول ابن هشام هذا مما لم يذكره ابن اسحاق هو غلط منه قد ذكره ابن اسحاق عن جعفر بن عمرو بن أمية عن عمرو بن امية فيما حدث أسد عن يحيى بن زكرياء عن ابن اسحاق والقائل فى الحاشية وجدت بخط أخى هو أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحيم وفى الكتاب المذكور قول أبى بكر المذكور فى غزوة الطائف بعد قوله فولدت له داود بن أبى مرة الى هاهنا انتهى سماعى من اخى ومابقى من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه *وذكر سرية عمرو بن أمية وحمله لخبيب بن عدى من خشبته التى صلب فيها وفى مسند ابن أبى شيبة زيادة حسنة انهما حين حلاه من

﴿ بعث عمرو بن امية الضمرى لقتل أبى سفيان بن حرب وماصنع فى طريقه ﴾

«قال ابن هشام» ومما لم يذكر ابن اسحق من بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه بعث عمرو بن أمية الضمرى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حدثنى من أثق به من أهل العلم بعد مقتل خبيب بن عدى واصحابه الى مكة وامره ان يقتل اباسفيان بن حرب وبعث معه جبار بن صخر الانصارى فخرجا حتى قدما مكة وحبسا جمليهما بشعب من شعاب يأجج ثم دخلا مكة ليلا فقال جبار لعمرو لوانا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين فقال عمرو ان القوم اذا تعشوا جلسوا بافنيتهم فقال كلا ان شاء الله قال عمرو فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا نريد أباسفيان فوالله انا لنمشى بمكة اذ نظر الى رجل من أهل مكة فعرفنى فقال عمرو بن أمية والله ان قدمها الا لشر فقلت لصاحبى النجاء فخرجنا نشتد حتى أصعدنا فى جبل وخرجوا فى طلبنا حتى اذا علونا الجبل يئسوا منا فرجعنا فدخلنا كهفا فى الجبل فبتنا فيه وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا له ويختلى عليها فغشينا ونحن فى الغار فقلت ان رآنا صاح بنا فاخذنا فقتلنا قال ومعى خنجر قد أعددته لابى سفيان فاخرج اليه فاضربه به على ثديه ضربة وصاح صيحة أسمع أهل مكة وأرجع فادخل مكانى وجاءه الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا من ضربك فقال عمرو بن أمية وغلبه الموت فمات مكانه ولم يدلل على مكاننا فاحتملوه فقلت لصاحبى لما أمسينا النجاء فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب بن عدى فقال أحدهم والله مارأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن امية لولا انه بالمدينة لقلت هو عمرو بن امية قال فلما حاذى الخشبة شد عليها فاخذها فاحتملها وخرجا شدا وخرجوا وراءه حتى أتى جرفا بمهبط مسيل يأجج فرمى بالخشبة فى الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه قال وقلت لصاحبى النجاء النجاء حتى تأتى بعيرك فتقعد عليه فانى ساشغل عنك القوم وكان

الانصاري لا رحلة له قال ومضيت حتى اخرج على ضجنان ثم اويت الى جبل فادخل كهفا فبينا انا فيه اذ دخل على شيخ من بنى الديل اعور فى غنيمة له فقال من الرجل فقلت من بنى بكر فمن انت قال من بنى بكر فقلت مرحبا فاضطجع ثم رفع عقيرته فقال

ولست بمسلم مادمت حيا * ولا دان بدين المسلمينا

فقلت فى نفسى ستعلم فامهلته حتى اذا نام أخذت قوسى فجعلت سيتها فى عينه الصحيحة ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ثم خرجت النجاء حتى جئت العرج ثم سلكت ركوبة حتى اذا هبطت النقيع اذا رجلان من قريش من المشركين كانت قريش بعثتهما عينا الى المدينة ينظران و يتجسسان فقلت استأسرا فابيا فارمى أحدهما بسهم فاقتله واستاسر الآخر فاوثقه رباطا وقدمت به المدينة

﴿ سرية زيد بن حارثة الى مدين ﴾

«قال ابن هشام» وسرية زيد بن حارثة الى مدين ذكر عبد الله بن حسن بن حسن عن أمه فاطمة ابنة الحسين بن على عليهم رضوان الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين ومعه ضميرة مولى على بن أبى طالب رضوان الله عليه وأخ له قالت فاصاب سبيا من أهل ميناء وهى السواحل وفيها جماع من الناس فبيعوا ففرق بينهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقال مالهم فقيل يارسول الله فرق بينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبيعوهم الا جميعا « قال ابن هشام » أراد الامهات والاولاد

﴿ سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفك ﴾ قال ابن اسحق وغزوة سالم بن عمير أبا عفك احد بنى عمرو بن عوف ثم من بنى عبيد وكان قد نجم نفاقه حين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرث بن سويد بن صامت فقال

لقد عشت دهرا وما ان ارى * من الناس دارا ولا مجمعا
أبر عهودا وأوفى لمن * يعاقد فيهم اذا ما دعا
من اولاد قيلة فى جمعهم * يهد الجبال ولن يخضعا
فصدعهم راكب جاءهم * حلال حرام لشتى معا
فلو أن بالعز صدقتم * أو الملك تابعتم تبعا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لى بهذا الخبيث فخرج سالم بن عمير أخو بنى عمرو بن عوف وهو أحد البكائين فقتله فقالت أمامة المريدية فى ذلك

تكذب دين الله والمرء أحمدا * لعمر الذى أمناك أن بئس ما يمنى
حباك حنيف آخر الليل طعنة * أبا عفك خذها على كبر السن

﴿ غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل عصماء بنت مروان ﴾ وغزوة عمير بن عدى الخطمى عصماء بنت مروان وهى من بنى أمية بن زيد فلما قتل أبو عفك نافقت فذكر عبد الله بن الحرث ابن الفضيل عن أبيه قال وكانت تحت رجل من بنى خطمة يقال له يزيد بن زيد فقالت تعيب الاسلام وأهله

> الخشبة التقمته الارض * وذكر ابن هشام مقتل العصماء بنت مروان وفى خبرها قال صلى الله عليه وسلم
> لا ينتطح فيها عنزان وكانت تسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلها بعلها على ذلك فقال رسول الله صلى
> الله

باست بنى مالك والنبيت * وعوف وباست بنى الخزرج
أطعتم أتاوى من غيركم * فلا من مراد ولا مذحج
ترجونه بعد قتل الرؤس * كما يرتجى مرق المنضج
ألا آنف يبتغى غرة * فيقطع من أمل المرتجى

قال فاجابها حسان بن ثابت فقال

بنو وائل وبنو واقف * وخطمة دون بنى الخزرج
متى مادعت سفها ويحها * بعولتها والمنايا تجى
فهزت فتى ماجدا عرقه * كريم المداخل والمخرج
فضرجها من نجيع الدما * ء بعيد الهدو فلم يحرج

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك ألا آخذ لى من ابنة مروان فسمع ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير ابن عدى الخطمى وهو عنده فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها فى بيتها فقتلها ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى قد قتلتها فقال نصرت الله و رسوله ياعمير فقال هل على شىء من شأنها يارسول الله فقال لا ينتطح فيها عنزان فرجع عمير الى قومه وبنو خطمة يومئذ كثير موجهم فى شأن بنت مروان ولها يومئذ بنون خمسة رجال فلما جاءهم عمير بن عدى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يابنى خطمة أنا قتلت ابنة مروان فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون فذلك اليوم أول ماعز الاسلام فى دار بنى خطمة وكان يستخفى باسلامه فيهم من أسلم وكان أول من أسلم من بنى خطمة عمير بن عدى وهو الذى يدعى القارئ وعبد الله بن أوس وخزيمة بن ثابت وأسلم يوم قتلت ابنة مروان رجال من بنى خطمة لما رأوا من عز الاسلام

﴿ أسر ثمامة بن أثال الحنفى واسلامه بعد امتنان رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ والسرية التى أسرت ثمامة بن أثال الحنفى * بلغنى عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة انه قال خرجت خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت رجلا من بنى حنيفة لا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون من أخذتم هذا ثمامة بن أثال الحنفى أحسنوا اساره ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله فقال اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به اليه وأمر بلقحته أن يغدى عليه بها ويراح فجعل لا يقع من ثمامة موقعا ويأتيه رسول

الله صلى الله عليه وسلم فيقول أسلم يا ثمامة فيقول ايها يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان ترد الفداء فسل ما شئت فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يوما أطلقوا ثمامة فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع فتطهر فأحسن طهوره ثم أقبل فبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام فلما أمسى جاؤه بما كانوا يأتونه به من الطعام فلم ينل منه الا قليلا و باللقحة فلم يصب من حلابها الا يسيرا فعجب المسلمون من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك مم تعجبون أمن رجل أكل أول النهار في معى كافر وأكل آخر النهار في معى مسلم ان الكافر يأكل في سبعة أمعاء وان المسلم يأكل في معى واحد ﴿ قال ابن هشام ﴾ فبلغني أنه خرج معتمرا حتى اذا كان ببطن مكة لبى فكان أول من دخل مكة يلبي فأخذته قريش فقالوا لقد اجترأت علينا فلما قدموه ليضربوا عنقه قال قائل منهم دعوه فانكم تحتاجون الى اليمامة لطعامكم فخلوه فقال الحنفي في ذلك

ومنا الذي لبى بمكة معلنا * برغم أبي سفيان في الاشهر الحرم

وحدثت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم لقد كان وجهك أبغض الوجوه الي ولقد أصبح وهو أحب الوجوه الي وقال في الدين والبلاد مثل ذلك ثم خرج معتمرا فلما قدم مكة قالوا أصبأت يا ثمام فقال لا ولكني اتبعت خير الدين دين محمد ولا والله لا تصل اليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى اليمامة فمنعهم أن يحملوا الى مكة شيئا فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انك تأمر بصلة الرحم وانك قد قطعت أرحامنا وقد قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه أن يخلي بينهم و بين الحمل

﴿ سرية علقمة بن مجزز ﴾ و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مجزز لما قتل وقاص بن مجزز المدلجي يوم ذي قرد وسأل علقمة ابن مجزز رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعثه في آثار القوم ليدرك ثاره فيهم فذكر عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عمرو بن علقمة عن عمر و ابن الحكم بن ثوبان عن أبي سعيد الخدري قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مجزز قال أبو سعيد الخدري وأنا فيهم حتى اذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق أذن لطائفة من الجيش واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيه دعابة فلما كان ببعض الطريق أوقد نارا ثم قال للقوم أليس لي

عليكم السمع والطاعة قالوا بلى قال أفما أنا بآمركم بشيء الا فعلتموه قالوا نعم قال فاني أعزم عليكم بحقي وطاعتي الا تواثبتم في هذه النار قال فقام بعض القوم يحتجز حتى ظن أنهم واثبون فيها فقال لهم اجلسوا فانما كنت أضحك معكم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدموا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمركم بمعصية فلا تطيعوه وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مجزز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيدا

﴿ سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يسارا ﴾ و بعث كرز بن جابر حدثني بعض أهل العلم عمن حدثه عن محمد بن طلحة عن عثمان بن عبد الرحمن قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة محارب و بني ثعلبة عبدا يقال له يسار فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في لقاح له كانت ترعى في ناحية الحمى فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قيس كبة من بجيلة فاستوبؤا وطحلوا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو خرجتم الى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها فخرجوا اليها فلما صحوا وانطوت بطونهم عدوا على راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسار فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه واستاقوا اللقاح فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم كرز بن جابر فلحقهم فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من غزوة ذي قرد فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم

﴿ غزوة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه الى اليمن ﴾ وغزوة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه اليمن غزاها مرتين « قال ابن هشام » قال أبو عمرو المدني بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب الى اليمن و بعث خالد بن الوليد في جند آخر وقال ان التقيتما فالامير علي بن أبي طالب وقد ذكر ابن اسحق بعث خالد بن الوليد في حديثه ولم يذكره في عدة البعوث والسرايا فينبغي أن تكون العدة في قوله تسعا وثلاثين

﴿ بعث أسامة بن زيد الى أرض فلسطين وهو آخر البعوث ﴾ قال ابن اسحق و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد ابن حارثة الى الشام وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين فتجهز الناس وأوعب مع أسامة المهاجرون الاولون « قال ابن هشام » وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ قال ابن اسحق فبينا الناس على ذلك ابتدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه الذي قبضه الله فيه الى ما أراد من كرامته و رحمته في ليال بقين

الله عليه وسلم اشهدوا ان دمها هدر قال الدارقطني من ههنا يقوم أصل التعجيل في الفقه لانه قد أشهد على نفسه بامضاء الحكم ووقع في مصنف حماد بن سلمة انها كانت يهودية وكانت تطرح المحائض في مسجد بني خطمة فاهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمها وقال لا ينتطح فيها عنزان

من صفر أوفى اول شهر ربيع الاول فكان أول ما ابتدئ به من ذلك فيما ذكر لى أنه خرج الى بقيع الغرقد من جوف الليل فاستغفر لهم ثم رجع الى أهله فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن عمر عن عبيد بن جبير مولى الحكم بن أبى العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبى مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل فقال يا أبا مويهبة انى قد أمرت ان أستغفر لاهل هذا البقيع فانطلق معى فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الاولى ثم أقبل على فقال يا أبا مويهبة انى قد أتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة قال فقلت بأبى أنت وأمى فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة قال لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربى والجنة ثم استغفر لاهل البقيع ثم انصرف فبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه الذى قبضه الله فيه * قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة عن محمد بن مسلم الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع فوجدنى وأنا أجد صداعا فى رأسى وأنا أقول وارأساه فقال بل أنا والله يا عائشة وارأساه قالت ثم قال وما ضرك لو مت قبلى فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك قالت قلت والله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتى فأعرست فيه ببعض نسائك قالت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استعز به وهو فى بيت ميمونة فدعا نساءه فاستأذنهن فى أن يمرض فى بيتى فأذن له

﴿ ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم ﴾

«قال ابن هشام» وكن تسعا عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة وسودة بنت زمعة بن قيس وزينب بنت جحش بن رئاب وميمونة بنت الحرث بن حزن وجويرية بنت الحرث بن أبى ضرار وصفية بنت حيي بن أخطب فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم وكان جميع من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة * خديجة بنت خويلد وهى أول من تزوج زوجه اياها أبوها خويلد بن أسد ويقال أخوها عمرو بن خويلد وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم الا ابراهيم وكانت قبله عند أبى هالة بن مالك أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم حليف بنى عبد الدار فولدت له هند بن أبى هالة وزينب بنت أبى هالة وكانت قبل أبى هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فولدت له عبد الله وجارية «قال ابن هشام» جارية من الجوارى تزوجها صيفى بن أبى رفاعة * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبى بكر الصديق بمكة وهى بنت سبع سنين وبنى بها بالمدينة وهى بنت تسع سنين أو عشر ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرا غيرها زوجه اياها أبوها أبو بكر وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى زوجه اياها سليط بن عمرو

﴿ ذكر أزواج النبى عليه السلام ﴾

قد تقدم فى مواضع من هذا الكتاب نبذ كافية من التعريف بهن وذكرها هنا خديجة وأنها كانت عند أبى هالة وكانت قبله عند عتيق بن عائذ «قال ابن أبى خيثمة» ولدت لعتيق عبد مناف وكان اسم أبى هالة هند بن زرارة بن النباش وقيل بل أبو هالة هو زرارة وابنه هند مات هند فى طاعون البصرة ومما نزيده هنا فى ذكر عائشة انها كانت تكنى أم عبد الله روى ابن الاعرابى فى المعجم حديثا مرفوعا انها أسقطت جنينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمى عبد الله فكانت تكنى به وهذا الحديث يدور على داود بن المحبر وهو ضعيف وأصح منه حديث أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها تكنى بابن أختك عبد الله بن الزبير ويروى بابنك عبد الله بن الزبير لانها كانت قد استوهبته من أبويه فكان فى حجرها يدعوها اماذكره ابن اسحاق وغيره وأصح ماروى فى فضلها على النساء قوله عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام وأراد الثريد باللحم كذا رواه معمر فى جامعه مفسرا عن قتادة وأبان يرفعه فقال فيه كفضل الثريد باللحم ووجه التفضيل من هذا الحديث انه قال فى حديث آخر سيد أدم الدنيا والآخرة اللحم ومع أن الثريد اذا أطلق لفظه فهو ثريد اللحم وأنشد سيبويه

اذا ما الخبز تأدمه بلحم * فذاك أمانة الله الثريد

ولولا ما تقدم من الحديث المخصص لخديجة بالفضل عليها حيث قال والله ما أبدلنى الله خيرا منها لقلنا بتفضيلها على خديجة وعلى نساء العالمين وكذلك القول فى مريم الصديقة فانها عند كثير من العلماء نبية نزل عليها

و يقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم « قال ابن هشام » ابن اسحق يخالف هذا الحديث يذكر أن سليطا وأباحاطب كانا غائبين بارض الحبشة فى هذا الوقت وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رئاب الاسدية زوجه اياها أخوها أبو أحمد بن جحش وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيها انزل الله تبارك وتعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية واسمها هند زوجه اياها سلمة بن أبى سلمة ابنها وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فراشا حشوه ليف وقدحا وصحفة ومجشة وكانت قبله عند أبى سلمة بن عبد الاسد واسمه عبد الله فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب زوجه اياها أبوها عمر رضى الله عنه وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمى * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة واسمها رملة بنت أبى سفيان بن حرب زوجه اياها خالد بن سعيد بن العاص وهما بارض الحبشة وأصدقها النجاشى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار وهو الذى كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الاسدى * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحرث بن أبى ضرار الخزاعية كانت فى سبايا بنى المصطلق من خزاعة فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس الانصارى فكاتبها على نفسها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها فقال هل لك فى خير من ذلك قالت وما هو قال أقضى عنك

كتابتك وأتزوجك فقالت نعم فتزوجها « قال ابن هشام » حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة « قال ابن هشام » و يقال لما انصرف رسول الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ومعه جويرية بنت الحرث فكان بذات الجيش دفع جويرية الى رجل من الانصار وديعة وأمره بالاحتفاظ بها وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاقبل أبوها الحرث بن أبى ضرار فداء ابنته فلما كان بالعقيق نظر الى الابل التى جاء بها للفداء فرغب فى بعيرين منها فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أصبتم ابنتى وهذا فداؤها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين البعيران اللذان غيبت بالعقيق فى شعب كذا وكذا فقال الحرث أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله صلى الله عليه فوالله ما اطلع على ذلك الا الله تعالى فاسلم الحرث وأسلم معه ابنان له وناس كثير من قومه وأرسل الى البعيرين فجاء بهما فدفع الابل الى النبى صلى الله عليه وسلم ودفعت اليه ابنته جويرية فاسلمت وحسن اسلامها وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبيها فزوجه اياها وأصدقها اربعمائة درهم وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عم لها يقال له عبد الله « قال ابن هشام » و يقال اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس فاعتقها وتزوجها وأصدقها اربعمائة درهم * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن اخطب سباها من خيبر فاصطفاها لنفسه وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليمة ما فيها شحم ولا لحم كان سويقا وتمرا وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن ابى الحقيق * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحرث بن حزن بن بجير بن هزم بن رؤيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة زوجه اياها العباس بن عبد المطلب واصدقها العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعمائة درهم وكانت قبله عند ابى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى و يقال انها التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم وذلك أن خطبة النبى صلى الله عليه وسلم انتهت اليها وهى على بعيرها فقالت البعير وما عليه لله ولرسوله فانزل الله تبارك وتعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش

عليها جبريل عليه السلام بالوحى ولا يفضل على الانبياء غيرهم ومن قال لم تكن نبية وجعل قوله تعالى « اصطفاك على نساء العالمين » مخصوصا بعالم زمانها فن قوله ان عائشة وخديجة أفضل منها وكذلك يقولون فى سائر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم انهن أفضل نساء العالمين ونزعوا فى تصحيح هذا المذهب بما يطول ذكره والله أعلم [وفى مسند البزار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى فاطمة هى سيدة نساء اهل الجنة الا مريم] * وذكر أم سلمة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقها مجشة وهى الرحى ومنه سمى الجشيش وذكر مع المجشة أشياء لا نعرف قيمتها منها جفنة وفراش وفى مسند البزار ذكر قيمتها قال أنس أصدقها متاعا قيمته عشرة دراهم قال البزار ويروى أربعون درهما * وذكر جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار وكانت قبله عند مسافع بن صفوان الخزاعى وقال أسلم الحارث وأسلم ابناه ولم يسمهما وهما الحارث بن الحارث وعمرو بن الحارث ذكره البخارى * وذكر زينب بنت جحش وان أخاها

ويقال ام شريك غزية بنت جابر بن وهب من بني منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى ويقال بل هى امراة من بنى سامة بن لؤى فارجاها رسول الله صلى الله عليه وسلم * وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة بن الحرث بن عبد الله بن عمرو ابن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة وكانت تسمى ام المساكين لرحمتها اياهم ورقتها عليهم زوجه اياها قبيصة بن عمرو الهلالى وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعمائة درهم وكانت قبله عند عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو ابن الحرث وهو ابن عمها فهؤلاء اللاتى بنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى عشرة فمات قبله منهن ثنتان خديجة بنت خويلد وزينب بنت خزيمة وتوفى عن تسع قد ذكرناهن فى اول هذا الحديث * وثنتان لم يدخل بهما اسماء بنت النعمان الكندية تزوجها فوجد بها بياضا فمتعها وردها الى اهلها وعمرة بنت يزيد الكلابية وكانت حديثة عهد بكفر فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم منيع عائذ الله فردها الى اهلها ويقال ان التى استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كندية بنت عم لاسماء بنت النعمان ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها فقالت انا من قوم نؤتى ولا نأتى فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهلها * القرشيات من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ست خديجة بنت خويلد بن اسد ابن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى * وعائشة بنت ابى بكر بن أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى * وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى * وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى * وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى * وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى * والعربيات وغيرهن سبع زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة * وميمونة بنت الحرث بن حزن بن بجير بن هزم بن رؤيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان * وزينب بنت خزيمة بن الحرث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية * وجويرية بنت الحرث بن أبى ضرار الخزاعية ثم المصطلقية * وأسماء بنت النعمان الكندية * وعمرة بنت يزيد الكلابية * ومن غير العربيات صفية بنت حيى بن أخطب من بنى النضير

﴿ ذكر عدنا الى ذكر شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

* قال ابن اسحق حدثنى يعقوب بن عتبة عن محمد بن مسلم الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر عاصبا رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتى قال عبيد الله فحدثت هذا الحديث عبد الله بن عباس فقال هل تدرى من الرجل الآخر قال قلت لا قال على بن أبى طالب ثم غمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد به وجعه فقال هريقوا على سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج الى الناس فاعهد اليهم قالت فاقعدناه فى مخضب لحفصة بنت عمر ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول حسبكم حسبكم * قال ابن اسحق وقال الزهرى حدثنى أيوب بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ثم كان أول ما تكلم به انه صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم فأكثر الصلاة عليهم ثم قال ان عبدا من عباد الله خيره الله بين

بأحمد هو الذى أنكحها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا خلاف ما ثبت فى الحديث أنها كانت تفخر على صواحبها وتقول زوجكن أهلوكن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجنى رب العالمين من فوق سبع سماوات وفى حديث آخر أنه لما نزلت الآية « زوجناكها » قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن ولم يذكر ابن اسحاق فى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم شراف بنت خليفة أخت دحية بن خليفة الكلبى وذكرها غيره ولم تقم عنده الا يسيرا حتى ماتت وكذلك العالية بنت ظبيان ذكرها غيره فى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك وسنى بنت الصلت تزوجها ثم خلى سبيلها ويقال فيها سنا بنت أسماء بنت الصلت ومنهن أسماء بنت النعمان بن الجون الكندية اتفقوا على تزويج النبى صلى الله عليه وسلم اياها واختلفوا فى سبب فراق النبى صلى الله عليه وسلم لها وكذلك قيل فى شراف بنت خليفة انها هلكت قبل أن يدخل بها فالله أعلم وذكر خولة ويقال فيها خويلة ذكرت فيمن تزوجهم النبى عليه السلام ويقال هى التى وهبت نفسها للنبى عليه السلام

﴿ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

الدنيا وبين ماعندة فاختار ماعند الله قال ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسه يريد فبكى وقال بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا فقال على رسلك يا أبا بكر ثم قال انظروا هذه الابواب اللافظة فى المسجد فسدوها الا بيت أبى بكر فانى لا أعلم أحدا كان أفضل فى الصحبة عندى يدا منه «قال ابن هشام» ويروى الا باب أبى بكر * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن بعض آل أبى سعيد بن المعلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ فى كلامه هذا فانى لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صحبة واخاء ايمان حتى يجمع الله بيننا عنده * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناس فى بعث اسامة وهو فى وجعه فخرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر وقد كان الناس قالوا فى امارة أسامة أمر غلاما حدثا على جلة المهاجرين والانصار فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال أيها الناس انفذوا بعث اسامة فلعمرى لئن قلتم فى امارته لقد قلتم فى امارة أبيه من قبله وانه لخليق للامارة وان كان أبوه لخليقا لها قال ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكمش الناس فى جهازهم واستعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فخرج أسامة وخرج بجيشه معه حتى نزلوا الجرف من المدينة على فرسخ فضرب به عسكره وتتام اليه الناس وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقام اسامة والناس لينظروا ما الله قاض فى رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق قال الزهرى وحدثنى عبد الله بن كعب ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم صلى واستغفر لاصحاب أحد وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ يا معشر المهاجرين استوصوا بالانصار خيرا فان الناس يزيدون وان الانصار على هيئتها لا تزيد وانهم كانوا عيبتى التى أويت اليها فاحسنوا الى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيته وتتام به وجعه حتى غمر فاجتمع اليه نساء من نسائه أم سلمة وميمونة ونساء من نساء المسلمين منهن أسماء بنت عميس وعنده العباس عمه فاجمعوا أن يلدوه وقال العباس لالدنه قال فلدوه فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صنع هذا بى قالوا يا رسول الله عمك قال هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الارض وأشار نحو أرض الحبشة قال ولم فعلتم ذلك فقال عمه العباس خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب فقال ان ذلك لداء ما كان الله ليقذفنى به لا يبق فى البيت احد الا لد الا عمى

ذكر خروجه صلى الله عليه وسلم فى مرضه الى المسجد وان أبا بكر كان الامام وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتم به وهذا الحديث مرسل فى السيرة والمعروف فى الصحاح ان أبا بكر كان يصلى بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلاة أبى بكر ولكن قد روى عن أنس من طريق متصل ان أبا بكر كان الامام يومئذ واختلف فيه عن عائشة رضى الله عنها وروى الدارقطنى من طريق المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما مات نبى حتى يؤمه رجل من أمته وذكر أبو عمر هذا الحديث الا انه ساقه عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن مرسلا وقد أسنده البزار أيضا من طريق ابن الزبير عن عمر عن ابى بكر وفى مراسيل الحسن البصرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض عشرة ايام صلى ابو بكر بالناس تسعة ايام منها ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم العاشر منها يهادى بين رجلين اسامة والفضل بن عباس حتى صلى خلف ابى بكر رواه الدارقطنى فى هذا الحديث انه مرض عشرة ايام وهو غريب وفيه أن احد الرجلين كان اسامة والمعروف عن ابن عباس أنه كان على بن ابى طالب وفيه صلاته عليه السلام خلف ابى بكر

﴿فصل﴾ وذكر حديث العباس وانه قال لالدنه فلدوه وحسبوا ان به ذات الجنب فى هذا الحديث ان العباس حضره ولدمعمن لد وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبقين أحد بالبيت الا لد الا عمى العباس فانه لم يشهدكم وهذا أصح من رواية ابن اسحق وانما لدوه لانه عليه السلام قد قال فى القسط فيه سبعة أشفية يلد به من ذات الجنب ويسعط به من العذرة ولم يذكر الخمسة قال ابن شهاب فنحن نستعمله فى أدويتنا كلها الملذا نصيبها واللدود فى جانب الفم من داخله يجعل هناك الدواء ويحك بالاصبع قليلا * وقوله فى ذات الجنب ذاك داء ما كان الله ليقذفنى به وقال فى هذا الحديث من رواية الطبرى له انا أكرم على الله من ان يقذفنى بها وفى رواية أخرى وهى من الشيطان وما كان الله ليسلطها علىّ وهذا يدل على انها من سيئ الاسقام التى تعوذ النبى عليه السلام منها فى دعائه حيث يقول اللهم انى أعوذ بك من الجنون والجذام وسيئ الاسقام وان كان صاحبها من الشهداء السبعة ولكنه عليه السلام قد تعوذ من الغرق والحرق مع قوله عليه السلام الغريق شهيد والحريق شهيد وقد ذكر ان أسماء بنت عميس هى التى لدته فالله أعلم والوجع الذى كان بالنبى عليه السلام فلد هو الوجع الذى يسمى خاصرة وقد جاء ذكره فى كتاب النذور من الموطا قال فيه فاصابتنى خاصرة قالت عائشة وكثيرا ما كان يصيب رسول الله صلى الله

فاقتدلت ميمونة وانها الصائمة لقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوبة لهم بما صنعوا به * قال ابن اسحق وحدثني سعيد بن عبيد بن السباق عن محمد بن اسامة عن أبيه أسامة بن زيد قال لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبط الناس معي الى المدينة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصمت فلا يتكلم فجعل يرفع يده الى السماء ثم يضعها على فاعرف انه يدعو لي * قال ابن اسحق وقال ابن شهاب الزهري حدثني عبيد بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما أسمعه يقول ان الله لم يقبض نبيا حتى يخيره قالت فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول بل الرفيق الاعلى من الجنة قالت قلت اذا والله لا يختارنا وعرفت أنه الذي كان يقول لنا ان نبيا لم يقبض حتى يخير

﴿صلاة أبي بكر رضي الله عنه بالناس﴾

قال الزهري وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر أن عائشة قالت لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم قال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت قلت يا نبي الله ان أبا بكر رجل رقيق ضعيف الصوت كثير البكاء اذا قرأ القرآن قال مروه فليصل بالناس قالت فعدت بمثل قولي فقال انكن صواحب يوسف فمروه فليصل بالناس قالت فوالله ما أقول ذلك الا أني كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر وعرفت أن الناس لا يحبون رجلا قام مقامه أبدا وان الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر * قال ابن اسحق وقال ابن شهاب حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام عن أبيه عن عبد الله ابن زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد قال لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وانا عنده في نفر من المسلمين قال دعاه بلال الى الصلاة فقال مروا من يصلي بالناس قال فخرجت فاذا عمر في الناس وكان أبو بكر غائبا فقلت قم يا عمر فصل بالناس قال فقام فلما كبر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته وكان عمر رجلا مجهرا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون يأبى الله ذلك والمسلمون قال فبعث الى أبي بكر فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس قال قال عبد الله بن زمعة قال لي عمر ويحك ماذا صنعت بي يا ابن زمعة والله ما ظننت حين أمرتني الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ولولا ذلك ما صليت بالناس قال قلت والله ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولكني حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس * قال ابن اسحق وقال الزهري حدثني أنس بن مالك انه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم خرج الى الناس وهم يصلون الصبح فرفع

عليه وسلم الخاصرة قالت ولا نهتدي لاسم الخاصرة وتقول أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عرق في الكلية وفي مسند الحارث بن أبي اسامة يرفعه الى النبي عليه السلام قال الخاصرة عرق في الكلية اذا تحرك وجع صاحبه دواؤه العسل بالماء المحرق وهو حديث يرويه عبد الرحيم بن عمرو عن الزهري عن عروة وعبد الرحيم ضعيف مذكور عند المحدثين في الضعفاء ولكن قد روت عنه جماعة منهم # وقول أبي بكر رضي الله عنه هذا يوم بنت خارجة يا رسول الله بنت خارجة اسمها حبيبة وقيل مليكة وخارجة هو ابن زيد بن أبي زهير وابن خارجة هو زيد بن خارجة الذي تكلم بعد الموت فيما روى ثقات أهل الحديث لا يختلفون في ذلك وذلك أنه مات في زمن عثمان فلما سجي عليه سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم فقال أحمد أحمد في الكتاب الاول صدق صدق وأبو بكر الصديق الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الاول صدق صدق عمر بن الخطاب القوي الامين في الكتاب الاول صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وبقيت سنتان أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم خبر بئر أريس وما بئر أريس قال سعيد بن المسيب ثم هلك رجل من بني خطمة فسجي بثوب فسمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم فقال ان أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق وكانت وفاته في خلافة عثمان رضي الله عنه وقد عرض مثل هذه القصة لربيع بن خراش أخي ربعي بن خراش قال ربعي مات أخي فسجيناه وجلسنا عنده فبينما نحن كذلك اذ كشف الثوب عن وجهه ثم قال السلام عليكم قلت سبحان الله أبعد الموت قال اني لقيت ربي فتلقاني بروح وريحان ورب غير غضبان وكساني ثيابا خضرا من سندس واستبرق اسرعوا بي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد أقسم ان لا يبرح حتى آتيه وأدركه وان الامر أهون مما تذهبون اليه فلا تغتروا ثم والله كأنما كانت نفسه حصاة فالقيت في طست

﴿فصل﴾ وذكر ان آخر كلمة تكلم بها عليه السلام اللهم الرفيق الاعلى وهذا منتزع من قوله تبارك وتعالى «فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الى قوله سبحانه وحسن أولئك رفيقا» فهذا هو الرفيق الاعلى ولم يقل الرفقاء لما قدمناه في هذا الكتاب مما حسن ذلك مع ان أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد فهذه آخر كلمة تكلم بها عليه السلام وهي تتضمن معنى التوحيد الذي يجب أن يكون آخر كلام

المؤمن

السترَ وفتح الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على باب عائشة فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحابه وتفرجوا فأشار اليهم أن اثبتوا على صلاتكم قال وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سرورا لما رأى من هيئتهم في صلاتهم وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه تلك الساعة قال ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افرق من وجعه فرجع أبو بكر الى أهله بالسنح * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن ابراهيم بن الحرث عن القاسم بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سمع تكبير عمر في الصلاة أين أبو بكر يابى الله ذلك والمسلمون فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته لم يشك المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر ولكنه قال عند وفاته ان استخلف فقد استخلف من هو خير مني وان أتركهم فقد تركهم من هو خير مني فعرف الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا وكان عمر غير متهم على أبي بكر * قال ابن اسحق وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مليكة قال لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه الى الصبح وأبو بكر يصلي بالناس فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرج الناس فعرف أبو بكر ان الناس لم يصنعوا ذلك الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنكص عن مصلاه فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظهره وقال صل بالناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فصلى قاعدا عن يمين أبي بكر فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس فكلمهم رافعا صوته حتى خرج صوته من باب المسجد يقول أيها الناس سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم واني والله ما تمسكون علي بشيء اني لم أحل الا ما أحل القرآن ولم أحرم الا ما حرم القرآن قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه قال له أبو بكر يانبي الله اني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نحب واليوم يوم بنت خارجة أفآتيها قال نعم ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر الى اهله بالسنح * قال ابن اسحق قال الزهري وحدثني عبد الله ابن كعب بن مالك عن عبد الله بن عباس قال خرج يومئذ علي بن ابي طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الناس يا ابا حسن كيف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اصبح بحمد الله بارئا قال فاخذ العباس بيده ثم قال يا علي انت والله عبد العصا بعد ثلاث أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب فانطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان هذا الامر فينا عرفناه وان كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس قال فقال له علي اني والله لا أفعل والله لئن منعناه لا يؤتيناه أحد بعده فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم * قال ابن اسحق وحدثني يعقوب بن عتبة عن الزهري عن عروة عن عائشة قال قالت رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم حين دخل المسجد فاضطجع في حجري فدخل على رجل من آل أبي بكر وفي يده سواك أخضر قالت فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه في يده نظرا عرفت انه يريده قالت فقلت يارسول الله أتحب ان اعطيك هذا السواك قال نعم قالت فاخذته فمضغته له حتى لينته ثم اعطيته اياه قالت فاستن به كاشد ما رأيته يستن بسواك قط ثم وضعه ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثقل في حجري فذهبت انظر في وجهه فاذا بصره قد شخص وهو يقول بل الرفيق الاعلى من الجنة قالت فقلت خيرت فاخترت والذي بعثك بالحق قالت وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال سمعت عائشة تقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري وفي دولتي لم أظلم فيه أحدا فمن سفهي وحداثة سني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو في حجري ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت التدم مع النساء واضرب وجهي * قال ابن اسحق قال الزهري وحدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

المؤمن لانه قال مع الذين أنعم الله عليهم وهم أصحاب الصراط المستقيم وهم أهل لا اله الا الله قال الله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » ثم بين في الآية المتقدمة من الذين أنعم الله عليهم فذكرهم وهم الرفيق الاعلى الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خير فاختار و بعض الرواة يقول عن عائشة في هذا الحديث فاشار باصبعه وقال في الرفيق وفي رواية أخرى انه قال اللهم الرفيق وأشار بالسبابة يريد التوحيد فقد دخل بهذه الاشارة في عموم قوله عليه السلام من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة ولا شك انه عليه السلام في أعلى درجات الجنة ولو لم يشر ولكن ذكرنا هذا لئلا يقول القائل لم يكن آخر كلامه لا اله الا الله وأول كلمة تكلم بها رسول الله وهو مسترضع عند حليمة ان قال الله أكبر رأيت ذلك في بعض كتب الواقدي * وأما آخر ما أوصى به عليه السلام بان قال الصلاة وما ملكت أيمانكم حرك بها لسانه وما يكاد يبين وفي قوله ملكت أيمانكم قولان قيل أراد الرق بالمملوك وقيل أراد الزكاة لانها في القرآن مقرونة بالصلاة وهي من ملك اليمين قاله الخطابي * وقول عائشة رضي الله عنها فمن سفهي وحداثة سني انه قبض في حجري فوضعت رأسه على الوسادة وقمت ألتدم مع النساء الالتدام ضرب الخد باليد ولم يدخل

قام عمر بن الخطاب فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى وان رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما مات ولكنه قد ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد ان قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى فليقطعن ايدى رجال وارجلهم زعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأقبل ابو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر وعمر يكلم الناس فلم يلتفت الى شىء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى فى ناحية البيت عليه بردحبرة فاقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل عليه فقبله ثم قال بابى انت وامى اما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن تصيبك بعدها موتة ابدا قال ثم رد البرد على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال على رسلك يا عمر أنصت فابى الا ان يتكلم فلما رآه ابو بكر لا ينصت أقبل على الناس فلما سمع الناس كلامه اقبلوا عليه وتركوا عمر فحمد واثنى عليه ثم قال ايها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت قال ثم تلا هذه الآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيا وسيجزى الله الشاكرين قال فوالله لكان الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت حتى تلاها ابو بكر يومئذ قال واخذها الناس عن ابى بكر فانما هى فى أفواههم قال فقال ابو هريرة قال عمر فوالله ماهو الا ان سمعت أن ابا بكر تلاها فعقرت حتى وقعت الى الارض ماتحملنى رجلاى وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات

﴿امر سقيفة بنى ساعدة﴾

* قال ابن اسحق ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحى من الانصار الى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة واعتزل على بن ابى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة وانحاز بقية المهاجرين الى ابى بكر وعمر وانحاز معهم اسيد بن حضير فى بنى عبد الاشهل فاتى آت الى ابى بكر وعمر فقال ان هذا الحى من الانصار مع سعد بن عبادة فى سقيفه بنى ساعدة قد انحازوا اليه فان كان لكم بامر الناس حاجة فادركوا الناس قبل ان يتفاقم أمرهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم يفرغ من امره قد اغلق دونه الباب اهله قال عمر فقلت لابى بكر انطلق بنا الى اخواننا هؤلاء من الانصار حتى ننظر ماهم عليه * قال ابن اسحق وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الانصار أن عبد الله بن ابى بكر حدثنى عن ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس قال أخبرنى عبد الرحمن بن عوف قال وكنت فى منزله بمنى انتظره وهو عند عمر فى آخر حجة حجها عمر قال فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر فوجدنى فى منزله بمنى انتظره وكنت اقرئه القرآن قال ابن عباس فقال لى عبد الرحمن بن عوف لو رأيت رجلا اتى امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين هل لك فى فلان يقول والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا والله ما كانت بيعة ابى بكر الا فلتة فتمت قال فغضب عمر فقال انى ان شاء الله لقائم العشية فى الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون ان يغصبوهم أمرهم قال عبد الرحمن فقلت يا امير المؤمنين لا تفعل فان الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وانهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم فى الناس وانى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها اولئك عنك كل مطير ولا يعوها ولا يضعوها على مواضعها فامهل حتى تقدم

هذا فى التحريم لان التحريم انما وقع على الصراخ والنوح ولعنت الخارقة والحالقة والصالقة وهى الرافعة لصوتها ولم يذكر اللدم لكنه وان لم يذكره فانه مكروه فى حال المصيبة وتركه أحمد الا على أحمد صلى الله عليه وسلم

فالصبر يحمد فى المصائب كلها * الا عليك فانه مذموم

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما * فاصبح يدعى حازما حين يجزع

واتفقوا انه توفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الا شيئا ذكره ابن قتيبة فى المعارف الاربعاء قالوا كلهم وفى ربيع الاول غير انهم قالوا أو قال أكثرهم فى الثانى عشر من ربيع ولا يصح أن يكون توفى صلى الله عليه وسلم الا فى الثانى من الشهر أو الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر لاجماع المسلمين على أن وقفة عرفة فى حجة الوداع كانت يوم الجمعة وهو التاسع من ذى الحجة فدخل ذو الحجة يوم الخميس فكان المحرم اما الجمعة واما السبت فان كان الجمعة فقد كان صفر اما السبت واما الاحد فان كان السبت فقد كان ربيع الاحد أو الاثنين وكيف مادارت الحال على هذا الحساب فلم يكن الثانى عشر من ربيع يوم الاثنين بوجه ولا الاربعاء أيضا كما قال القتبى وذكر الطبرى عن ابن الكلبى وأبى مخنف انه توفى فى الثانى من ربيع الاول وهذا القول وان كان خلاف أهل الجمهور فانه لا يبعد ان كانت الثلاثة الاشهر التى قبله كلها من تسعة وعشرين فتدبره فانه صحيح ولم أر أحدا تفطن له وقد رأيت للخوارزمى انه توفى عليه السلام فى أول يوم من ربيع الاول وهذا أقرب فى القياس بما ذكر الطبرى عن ابن الكلبى وأبى مخنف

﴿ فصل ﴾ وذكر عن عائشة رضى الله عنها أنها ناولته السواك حين رأته ينظر اليه فاستاك به وفيه من الفقه

المدينة فانها دار السنة وتخلص باهل الفقه واشراف الناس فتقول ماقلت بالمدينة متمكنا فيعي اهل الفقه مقالتك ويضعوها على مواضعها قال فقال عمر اما والله ان شاء الله لاقومن بذلك اول مقام اقومه بالمدينة قال ابن عباس فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زالت الشمس فاجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا الى ركن المنبر فجلست حذوه تمس ركبتى ركبته فلم أنشب ان خرج عمر بن الخطاب فلما رأيته مقبلا قلت لسعيد بن زيد ليقولن العشية على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف قال فانكر على سعيد بن زيد ذلك وقال ماعسى ان يقول مما لم يقل قبله فجلس عمر على المنبر فلما سكت المؤذن قام فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد فانى قائل لكم مقالة قد قدر لى ان اقولها ولا ادرى لعلها بين يدى أجلى فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ومن خشى ان لا يعيها فلا يحل لاحد ان يكذب على ان الله بعث محمدا وأنزل عليه الكتاب فكان مما انزل عليه آية الرجم فقرأناها وعلمناها ووعيناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل والله مانجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله وان الرجم فى كتاب الله حق على من زنى اذا احصن من الرجال والنساء اذا اقامت البينة اوكان الحبل او الاعتراف ثم انا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم او كفر بكم ان ترغبوا عن آبائكم ألا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تطرونى كما أطرى عيسى بن مريم وقولوا عبد الله ورسوله ثم انا قد بلغنى أن فلانا قال والله لوقد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا فلا يغرن امرأ ان يقول ان بيعة ابى بكر كانت فلتة فتمت وانها قد كانت كذلك الا أن الله قد وقى شرها وليس فيكم من تنقطع الاعناق اليه مثل أبى بكر فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فانه لا بيعة له هو ولا الذى بايعه تغرة ان يقتلا انه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان الانصار خالفونا فاجتمعوا باشرافهم فى سقيفة بنى ساعدة وتخلف عنا على بن أبى طالب والزبير بن العوام ومن معهما واجتمع المهاجرون الى أبى بكر فقلت لابى بكر انطلق بنا الى اخواننا هؤلاء من الانصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم وقالا اين تريدون يامعشر المهاجرين قلنا نريد اخواننا هؤلاء من الانصار قالا فلا عليكم أن لا تقربوهم يامعشر المهاجرين اقضوا أمركم قال قلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة فاذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت من هذا فقالوا سعد بن عبادة فقلت ماله فقالوا وجع فلما جلسنا تشهد خطيبهم فاثنى على الله بما هو له أهل ثم قال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الاسلام وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة من قومكم قال واذاهم يريدون أن يحتازونا من أصلنا و يغتصبونا الامر فلما سكت أردت ان اتكلم وقد زورت فى نفسى مقالة قد اعجبتنى أن أريد ان أقدمها بين يدى أبى بكر وكنت اداري منه بعض الحد فقال أبو بكر على رسلك ياعمر فكرهت أن أغضبه فتكلم وهو كان أعلم منى وأوقر فوالله ماترك من كلمة اعجبتنى من تزويرى الا قالها فى بديهته أو مثلها أو أفضل حتى سكت قال أما ماذكرتم فيكم من خير فانتم له أهل ولن تعرف العرب هذا الامر الا لهذا الحى من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم وأخذ بيدى و بيد أبى عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ولم أكره شيئا مما قال غيرها كان والله ان أقدم فتضرب عنقى لا يقربنى ذلك الى اثم أحب الى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر قال فقال قائل من الانصار انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا امير ومنكم امير يامعشر قريش قال فكثر اللغط وارتفعت الاصوات حتى تخوفت الاختلاف فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته ثم بايعه المهاجرون ثم بايعه الانصار ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة قال فقلت قتل الله سعد بن عبادة * قال ابن اسحق قال الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير ان

الفقه التنظف والتطهر للموت ولذلك يستحب الاستحداد لمن استشعر القتل أو الموت كما فعل خبيب لان الميت قادم على ربه كما ان المصلى مناج لربه فالنظافة من شأنهما وفى الحديث ان الله نظيف يحب النظافة خرجه الترمذى وان كان معلول السند فان معناه صحيح وليس النظيف من أسماء الرب ولكنه حسن فى هذا الحديث لازدواج الكلام وأقرب معنى النظافة من معنى القدس ومن أسمائه سبحانه القدوس وكان السواك المذكور فى هذا الحديث من عسيب نخل فيما روى بعضهم والعرب تستاك بالعسيب وكان أحب السواك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صرع الاراك واحدها صريع وهو قضيب ينطوى من الاراكة حتى يبلغ التراب فيبقى فى ظلها فهو ألين من فرعها ومما روى من قول عائشة رضى الله عنها فى معنى قولها بين سحرى ونحرى أنها قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حاقنتى وذاقنتى فالحاقنة الثغرة والذاقنة تحت الذقن ويقال لها الثونة أيضا وروى أيضا بين شجرى بالشين والجيم ونحرى وسئل عمارة بن عقيل عن معناه فشبك بين أصابع يديه وضمها الى نحره وغسل عليه السلام حين قبض من بئر لسعد بن خيثمة يقال لها بئر الغرس

أحد الرجلين اللذين لقوا من الانصار حين ذهبوا الى السقيفة عويم بن ساعدة والآخر معن بن عدى أخو بنى العجلان فاما عويم بن ساعدة فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين قال الله عز وجل لهم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المرء منهم عويم بن ساعدة وأما معن بن عدى فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عز وجل وقالوا والله لوددنا أنا متنا قبله انا نخشى أن نفتتن بعده قال معن بن عدى لكنى والله ما أحب أنى مت قبله حتى أصدقه ميتا كما صدقته حيا فقتل معن يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر يوم مسيلمة الكذاب * قال ابن اسحق وحدثنى الزهرى قال حدثنى أنس بن مالك قال لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أيها الناس انى قد كنت قلت لكم بالامس مقالة ما كانت وما وجدتها فى كتاب الله ولا كانت عهدا عهده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبر أمرنا يقول يكون آخرنا وان الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له وان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين اذ هما فى الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله ثم قال أما بعد أيها الناس فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه ان شاء الله والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لايدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط الا عمهم الله بالبلاء أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله * قال ابن اسحق وحدثنى حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس قال والله انى لأمشى مع عمر فى خلافته وهو عامد الى حاجة له وفى يده الدرة وما معه غيرى قال وهو يحدث نفسه ويضرب وحشى قدمه بدرته قال اذ التفت الى فقال يا ابن عباس هل تدرى ما كان حملنى على مقالتى التى قلت حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت لا أدرى يا أمير المؤمنين أنت أعلم قال فانه والله ان كان الذى حملنى على ذلك الا أنى كنت أقرأ هذه الآية وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فوالله ان كنت لاظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى فى أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها فانه للذى حملنى على الذى قلت ما قلت

أبابكر يبعته العامة بعد بيعة السقيفة

﴿ جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه ﴾

* قال ابن اسحق فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء فحدثنى عبد الله بن أبى بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا ان على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وقثم بن العباس واسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين ولوا غسله وان أوس بن خولى أحد بنى عوف بن الخزرج قال لعلى بن ابى طالب أنشدك الله يا على وحظنا من رسول الله صلى

﴿ فصل ﴾ وذكرانهم كلهم حين أرادوا نزع قميصه للغسل وكلهم سمع الصوت ولم ير الشخص وذلك من كراماته صلى الله عليه وسلم ومن آيات نبوته بعد الموت فقد كان له عليه السلام كرامات ومعجزات فى حياته وقبل مولده وبعد موته ومنها ما رواه أبو عمر رحمه الله فى التمهيد من طرق صحاح ان أهل بيته سمعوا وهو مسجى بينهم قائلا يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا أهل البيت ان فى الله عوضا من كل تالف وخلفا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة فاصبروا واحتسبوا ان الله مع الصابرين وهو حسبنا ونعم الوكيل قال فكانوا يرون انه الخضر صلى الله على نبينا وعليه ومن ذلك ايضا أن الفضل بن عباس كان يغسله هو وعلى فجعل الفضل وهو يصب الماء يقول أرحنى أرحنى فانى أجد شيئا يتنزل على ظهرى ومنها انه عليه السلام لم يظهر منه شىء مما يظهر من الموتى ولا تغيرت له رائحة وقد طال مكثه فى البيت قبل أن يدفن وكان موته فى شهر أيلول فكان طيبا حيا وميتا وان كان عمه العباس قد قال لعلى ان ابن أخى مات لاشك وهو من بنى آدم يأسن كما يأسنون فوارره وكان مما زاد العباس يقينا بموته عليه السلام انه كان قد رأى قبل ذلك بيسير كان القمر رفع من الارض الى السماء باشطان فقصها على نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال له هو ابن أخيك وروى يونس بن بكير فى السيرة ان أم سلمة قالت وضعت يدى على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ميت فمرت على جمع لا آكل ولا أتوضأ الا وجدت ريح المسك من يدى وفى روايته أيضا ان عليا نودى وهو يغسله أن ارفع طرفك الى السماء وفيها أيضا ان عليا والفضل حين انتهيا فى الغسل الى أسفله سمعوا مناديا يقول لا تكشفوا عورة نبيكم عليه السلام * وأما جزع عمر رضى الله عنه وقوله والله ما مات رسول الله صلى الله

الله عليه وسلم وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر قال ادخل فدخل فجلس وحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسنده على بن أبى طالب الى صدره وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه معه وكان اسامة بن زيد وشقران مولاه هما اللذان يصبان الماء وعلى يغسله قد اسنده الى صدره وعليه قميصه يدلكه به من ورائه لا يفضى بيده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يقول بابى أنت وامى ما اطيبك حيا وميتا ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء مما يرى من الميت # قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عباد عن عائشة قالت لما ارادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فقالوا والله ما ندرى انجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه قالت فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل ألا ذقنه فى صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو أن أغسلوا النبى وعليه ثيابه قالت فقاموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه والقميص دون أيديهم # قال ابن اسحق فلما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وبرد حبرة ادرج فيه ادراجا كما حدثنى جعفر بن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده على بن الحسين والزهرى عن على بن الحسين # قال ابن اسحق وحدثنى حسين ابن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس قال لما أرادوا ان يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة وكان ابو طلحة زيد بن سهل هو الذى يحفر لاهل المدينة فكان يلحد فدعا العباس رجلين فقال لاحدهما اذهب الى ابى عبيدة بن الجراح وللآخر اذهب الى ابى طلحة اللهم خر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد صاحب أبى طلحة اباطلحة فجاء به فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره فى بيته وقد كان المسلمون اختلفوا فى دفنه فقال قائل ندفنه فى مسجده وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه فقال أبو بكر انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما قبض نبى الا دفن حيث يقبض فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفى عليه فحفر له تحته ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون عليه ارسالا دخل الرجال حتى اذا فرغوا ادخل النساء حتى اذا فرغ النساء ادخل الصبيان ولم يؤم الناس على

الله عليه وسلم وليرجعن كما رجع موسى عليه السلام حتى كلمه أبو بكر رحمه الله وذكره بالآية فعقر حتى سقط الى الارض وما كان من ثبات جاش أبى بكر وقوته فى ذلك المقام فقيه ما كان عليه الصديق رضى الله عنه من شدة التأله وتعلق القلب بالاله ولذلك قال لهم من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ومن قوة تألهه رضى الله عنه حين أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على رد جيش أسامة حين رأوا الردة قد استعرت نارها وخافوا على نساء المدينة وذرار بها فقال والله لو لعبت الكلاب بخلاخل نساء المدينة ما رددت جيشا أنفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه عمر وأبو عبيدة وسالم مولى أبى حذيفة وكان أشد شىء عليه أن يخالف رأيه رأى سالم فكلموه وأن يدع للعرب زكاة ذلك العام تألفا لهم حتى يتمكن له الامر فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم وكلمه عمر أن يولى مكان أسامة من هو أسن منه وأجلد فاخذ بلحية عمر وقال له يا ابن الخطاب أتامرنى أن أكون أول حال عقدا عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لان أخر من السماء الى الارض فتخطفنى الطير أحب الى من أن أمالئكم على هذا الرأى وقال لهم والله لو أفردت من جميعكم لقاتلتهم وحدى حتى تنفرد سالفتى ولو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه أو فى شك أنتم ان وعد الله لحق وان قوله لصدق وليظهرن الله هذا الدين ولو كره المشركون ثم خرج وحده الى ذى القصة حتى اتبعوه وسمع الصوت بين يديه فى كل قبيلة الا ان الخليفة قد توجه اليكم الهرب الهرب حتى اتصل الصوت من يومه ببلاد حمير وكذلك فى أكثر أحواله رضى الله عنه كان يلوح الفرق فى التأله بينه وبين عمر رضى الله عنهما ألا ترى الى قوله حين قال النبى صلى الله عليه وسلم سمعتك وأنت تخفض من صوتك بمنى فى صلاة الليل فقال قد أسمعت من ناجيت وقال للفاروق سمعتك وأنت ترفع من صوتك فقال كى أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان قال عبد الكريم بن هوازن القشيرى وذكر هذا الحديث انظروا الى فضل الصديق على الفاروق هذا فى مقام المجاهدة وهذا فى بساط المشاهدة وكذلك ما كان منه يوم بدر وقد ذكرنا مقالته للنبى عليه السلام ذلك اليوم وهو معه فى العريش وكذلك فى أمر الصدقة حين رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فجاء عمر بنصف ماله وجاء الصديق بجميع ماله فقال له النبى عليه السلام ما أبقيت لاهلك قال الله ورسوله وكذلك فعله فى قسم الفىء حين سوى بين المسلمين وقال هم اخوة أبوهم الاسلام فهم فى هذا الفىء اسوة وأجورهم على الله وفضل عمر فى قسم الفىء بعضهم على بعض على حسب سوابقهم ثم قال فى آخر عمره لئن بقيت الى قابل لاسوين بين الناس وأراد الرجوع الى رأى أبى بكر ذكره أبو عبيد رضى الله عنه وعن جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها وغيرها من الصحابة أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قبض وارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم احد * ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الاربعاء * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله ابن ابى بكر عن امرأته فاطمة بنت عمارة عن عمرة بنت عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن عائشة رضى الله عنها قالت ماعلمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحى من جوف الليل من ليلة الاربعاء * قال محمد بن اسحق وقد حدثتنى فاطمة هذا الحديث * قال ابن اسحق وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والفضل بن عباس وقثم بن عباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال أوس بن خولى لعلى بن أبى طالب ياعلى أنشدك الله وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انزل فنزل مع القوم وقد كان مولاه شقران حين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته و بنى عليه قد اخذ قطيفة قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها و يفترشها فدفنها فى القبر وقال والله لايلبسها أحد بعدك أبداً قال فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان المغيرة بن شعبة يدعى انه أحدث الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أخذت خاتمى فالقيته فى القبر وقلت ان خاتمى سقط منى وانما طرحته عمدا لامس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون أحدث الناس عهدا به صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق فحدثنى أبى اسحق بن يسار عن مقسم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل عن مولاه عبد الله بن الحرث قال اعتمرت مع على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر أو زمان عثمان فنزل على أخته أم هانئ بنت أبى طالب فلما فرغ من عمرته رجع فسكب له غسل فاغتسل فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق فقالوا ياأباحسن جئناك نسالك عن أمر نحب ان تخبرنا عنه قال أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم انه كان أحدث الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل عن ذلك جئنا نسألك قال كذب قال أحدث الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن عباس * قال ابن اسحق وحدثنى صالح بن كيسان عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن وكان

عليه وسلم الملائكة دهش الناس وطاشت عقولهم وأفحموا واختلطوا فمنهم من خبل ومنهم من أصمت ومنهم من أقعد الى أرض فكان عمر ممن خبل وجعل يصيح و يحلف مامات رسول الله صلى الله عليه وكان ممن أخرس عثمان بن عفان حتى جعل يذهب به و يجاء ولا يستطيع كلاما وكان ممن أقعد على رضى الله عنه فلم يستطع حراكا وأما عبد الله بن أنيس فاضنى حتى مات كمدا و بلغ الخبر أبا بكر رضى الله عنه وهو بالسنح فجاء وعيناه تهملان و زفراته تتردد فى صدره وغصصه ترتفع كقطع الجرة وهو فى ذلك رضوان الله عليه جلد العقل والمقالة حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكب عليه وكشف وجهه ومسحه وقبل جبينه وجعل يبكى و يقول بابى أنت وأمى طبت حيا وميتا وانقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الانبياء من النبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولو ان موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدنا عليك ماء الشؤون فاما مالا نستطيع نفيه فكمد وادناف يتحالفان لا يبرحان اللهم أبلغه عنا اذكرنا يامحمد عند ربك ولنكن من بالك فلولا ماخلفت من السكينة لم نقم لماخلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا ثم خرج لماقضى الناس غمراتهم وقام خطيبا فيهم بخطبة جلها الصلاة على النبى محمد صلى الله عليه وسلم وقال فيها أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد أن الكتاب كما نزل وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال وان الله هو الحق المبين فى كلام طويل ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لم يمت وان الله قد تقدم لكم فى أمره فلا تدعوه جزعا وان الله تبارك وتعالى قد اختار لنبيه عليه السلام ماعنده على ماعندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر « ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط » ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يلفتنكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخزى تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم فلما فرغ من خطبته قال ياعمر أأنت الذى بلغنى عنك انك تقول على باب نبى الله والذى نفس عمر بيده مامات نبى الله أماعلمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا كذا وكذا وقال الله عز وجل فى كتابه « انك ميت وانهم ميتون » فقال عمر والله لكانى لم أسمع بها فى كتاب الله تعالى قبل الآن لما نزل بنا اشهد ان الكتاب كما نزل وان الحديث كما حدث وان الله تبارك وتعالى حى لا يموت « انا لله وانا اليه راجعون » صلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله وقال عمر فيما كان منه

لعمرى لقد أيقنت انك ميت * ولكنما أبدى الذى قلته الجزع

وقلت يغيب الوحى عنا لفقده * كما غاب موسى ثم يرجع كما رجع

عتبة أن عائشة حدثته قالت كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة سوداء حين اشتد به وجعه قالت فهو يضعها مرة على وجهه ومرة يكشفها عنه و يقول قاتل الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ذلك على أمته * قال ابن اسحق وحدثني صالح بن كيسان عن الزهري عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال لا يترك بجزيرة العرب دينان * قال ابن اسحق ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عظمت به مصيبة المسلمين فكانت عائشة فيما بلغني تقول لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق وصار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم حتى جمعهم الله على أبى بكر «قال ابن هشام» حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم ان أكثر اهل مكة لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا بالرجوع عن الاسلام وأرادوا ذلك حتى خافهم عتاب بن أسيد فتوارى فقام سهيل بن عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وظهر عتاب بن

وكان هواى أن تطول حياته * وليس لحى فى بقا ميت طمع
فلما كشفنا البرد عن حر وجهه * اذا الأمر بالجزع الموعب قد وقع
فلم تك لى عند المصيبة حيلة * ارد بها اهل الشماتة والقذع
سوى آذن الله الذى فى كتابه * وما آذن الله العباد به يقع
وقد قلت من بعد المقالة قولة * لها فى حلوق الشامتين به بشع
الا انما كان النبى محمد * الى أجل وافى به الوقت فانقطع
ندين على العلات منا بدينه * ونعطى الذى عطى ونمنع ما منع
ووليت محزونا بعين سخينة * اكفكف دمعى والفؤاد قد انصدع
وقلت لعينى كل دمع ذخرته * فجودى به ان الشجى له دفع

وفى هذا الخبر أن عمر قال فعفرت الى الارض يعنى حين قال له أبو بكر ما قال يقال عقر الرجل اذا سقط الى الارض من قامته وحكاه يعقوب عفر بالفاء كأنه من العفر وهو التراب وصوب ابن كيسان الروايتين وقالت عائشة رضى الله عنها توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو نزل بالجبال الصم ما نزل بأبى لهاضها ارتدت العرب واشرأب النفاق فما اختلفوا فى نقطة الا طار أبى بحظها وغنائها ويروى فى بقعة بالباء قاله الهروى فى الغريبين وفسره باللمعة ونحوها واستشهد بالحديث فى النهى عن بقط الارض وهو ان يقطع شجرها فتتخذ بقعا للزرع وبقطها ضرب من المخابرة قد فسره

﴿ كيف صلى على جنازته عليه السلام ﴾

ذكر ابن اسحاق وغيره ان المسلمين صلوا عليه أفذاذا لا يؤمهم أحد كلما جاءت طائفة صلت عليه وهذا خصوص به صلى الله عليه وسلم ولا يكون هذا الفعل الا عن توقيف وكذلك روى انه أوصى بذلك ذكره الطبرى مسندا ووجه الفقه فيه ان الله تبارك وتعالى افترض الصلاة عليه بقوله «صلوا عليه وسلموا تسليما» وحكم هذه الصلاة التى تضمنتها الآية الا تكون بامام والصلاة عليه عند موته داخلة فى لفظ الآية وهى متناولة لها وللصلاة عليه على كل حال وأيضا فان الرب تبارك وتعالى قد أخبر انه يصلى عليه وملائكته فاذا كان الرب تعالى هو المصلى والملائكة قبل المؤمنين وجب أن تكون صلاة المؤمنين تبعا لصلاة الملائكة وان تكون الملائكة هم الامام والحديث الذى ذكرته عن الطبرى فيه طول وقد رواه البزار أيضا من طريق مرة عن ابن مسعود وفيه انه حين جمع أهله فى بيت عائشة رضى الله عنها انهم قالوا فمن يصلى عليك يا رسول الله قال فهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا فبكينا وبكى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فان أول من يصلى على جليسى وخليلى جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنوده ثم الملائكة باجمعها ثم ادخلوا على فوجا بعد فوج فصلوا على وسلموا تسليما ولا تؤذونى بتزكية ولا ضجة ولا رنة وليبدأ بالصلاة على رجال بيتى ثم نساؤهم وأنتم بعد اقرؤا أنفسكم السلام منى ومن غاب من أصحابى فاقرؤه منى السلام ومن تابعكم بعدى على دينى فاقرؤه منى السلام فانى أشهدكم انى قد سلمت على من تابعنى على دينى من اليوم الى يوم القيامة قالت فمن يدخلك قبرك يا رسول الله قال أهلى مع ملائكة كثير يرونكم من حيث لا ترونهم

﴿ فصل ﴾ وكان موته عليه السلام خطبا كالحا ورزأ لاهل الاسلام فادحا كادت تهد له الجبال وترجف الارض وتكسف النيرات * لانقطاع خبر السماء وفقد من لا عوض منه مع ما آذن به موته عليه السلام من

أسيد فهذا المقام الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لعمر بن الخطاب انه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه * وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حدثنا ابن هشام عن أبى زيد الانصارى

بطيبة رسم للرسول ومعهد * منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمحى الآيات من دار حرمة * بها منبر الهادى الذى كان يصعد
وواضح آثار وباقى معالم * وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها * من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد آيها * أتاها البلى فالآى منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده * وقبرا بها واراه فى الترب ملحد
ظللت بها أبكى الرسول فاسعدت * عيون ومثلاها من الجن تسعد
يذكرن آلاء الرسول وما أرى * لها محصيا نفسى فنفسى تبلد
مفجعة قد شفها فقد أحمد * فظلت لآلاء الرسول تعدد
وما بلغت من كل أمر عشيره * ولكن لنفسى بعد ما قد توجد
أطالت وقوفا تذرف العين جهدها * على طلل القبر الذى فيه أحمد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت * بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبا * عليه بناء من صفيح منضد
تهيل عليه الترب أيد وأعين * عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة * عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم * وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكى السموات يومه * ومن قد بكته الارض فالناس أكمد
وهل عدلت يوما رزية هالك * رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه منزل الوحى عنهم * وقد كان ذا نور يغور وينجد
يدل على الرحمن من يقتدى به * وينقذ من هول الخزايا ويرشد
امام لهم يهديهم الحق جاهدا * معلم صدق ان يطيعوه يسعدوا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم * وان يحسنوا فالله بالخير أجود

فصل

لفتن السحم * والحوادث الوهم * والكرب المدلهمة * والهزاهز المضلمة * فلولا ما أنزل الله تبارك وتعالى من السكينة على المؤمنين * وأسرج فى قلوبهم من نور اليقين * وشرح له صدورهم من فهم كتابه المبين لانقصمت الظهور * وضاقت عن الكرب الصدور ولعاقهم الجزع عن تدبير الامور * فقد كان الشيطان أطلع اليهم رأسه * ومد الى اغوائهم مطامعه فاوقد نار الشنآن * ونصب راية الخلاف ولكن أبى الله تبارك وتعالى الا ان يتم نوره ويعلى كلمته وينجز موعوده فاطفأ نار الردة وحسم قادة الخلاف والفتنة على يد الصديق رضى الله عنه ولذلك قال أبو هريرة لولا أبو بكر لهلكت أمة محمد عليه السلام بعد نبيها ولقد كان من قدم المدينة يومئذ من الناس اذا أشرفوا عليها سمعوا لاهلها ضجيجا وللبكاء فى جميع أرجائها عجيجا حتى صحلت الحلوق * ونزفت الدموع * وحق لهم ذلك ولمن بعدهم كما روى عن أبى ذؤيب الهذلى واسمه خويلد ابن خالد وقيل ابن محرث قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فاستشعرت حزنا وبت باطول ليلة لا ينجاب ديجورها * ولا يطلع نورها فظلت أقاسى طولها حتى اذا كان قرب السحر أغفيت فهتف بى هاتف وهو يقول

خطب أجل أناخ بالاسلام * بين النخيل ومعقد الآطام
قبض النبى محمد فعيوننا * تذرى الدموع عليه بالتسجام

قال أبو ذؤيب فوثبت من نومى فزعا فنظرت الى السماء فلم أر الا سعد الذابح فتفاءلت به ذبحا يقع فى العرب وعلمت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قبض وهو ميت من علته فركبت ناقتى وسرت فلما أصبحت طلبت شيئا أزجر به فعن لى شيهم يعنى القنفذ قد قبض على صل يعنى الحية فهى تلتوى عليه والشيهم يقضمها حتى أكلها فزجرت ذلك وقلت شيهم شئ مهم والتواء الصل التواء الناس عن الحق على القائم بعد النبى صلى الله عليه وسلم ثم أكل الشيهم اياها غلبة القائم بعده على الامر فحثثت ناقتى حتى اذا كنت بالغابة زجرت الطائر فاخبرنى بوفاته ونعب غراب سانح فنطق مثل ذلك فتعوذت بالله من شر ما عن لى فى طريقى وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا أهلوا بالاحرام فقلت مه فقالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت المسجد فوجدته خاليا فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبت بابه مرتجا وقيل هو مسجى قد خلا به أهله فقلت أين الناس فقيل فى سقيفة بنى ساعدة صاروا الى الانصار فجئت الى السقيفة فاصبت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وسالما وجماعة من قريش ورأيت الانصار فيهم سعد بن عبادة وفيهم شعراؤهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وملأ منهم فآويت الى قريش وتكلمت الانصار فاطالوا الخطاب وأكثروا الصواب وتكلم أبو بكر رضى الله عنه فلله دره من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع

وان ناب أمر لم يقوموا بحمله * فمن عنده تيسير ما يتشدد   فبيناهم في نعمة الله عندهم * دليل به نهج الطريقة يقصد

عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى * حريص على أن يستقيموا ويهتدوا   عطوف عليهم لا يثني جناحه * الى كنف يحنوا عليهم ويمهد

فبيناهم في ذلك النور اذ غدا * الى نورهم سهم من الموت مقصد   فاصبح محمودا الى الله راجعا * يبكيه حق المرسلات ويحمد

وأمست بلاد الحرم وحشا بقاعها * لغيبة ما كانت من الوحي تعهد   قفارا سوى معمورة اللحد ضافها * فقيد يبكيه بلاط وغرقد

ومسجده فالموحشات لفقده * خلاء له فيه مقام ومقعد   وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت * ديار وعرصات وربع ومولد

فبكى رسول الله ياعين عبرة * ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد   ومالك لا تبكين ذا النعمة التى * على الناس منها سابغ يتغمد

فجودى عليه بالدموع وأعولى * لفقد الذى لا مثله الدهر يوجد   وما فقد الماضون مثل محمد * ولا مثله حتى القيامة يفقد

أعف وأوفى ذمة بعد ذمة * وأقرب منه نائلا لا ينكد   وأبذل منه للطريف وتالد * اذا ضن معطاء بما كان يتلد

وأكرم صيتا فى البيوت اذا انتمى * وأكرم جدا أبطحيا يسود   وأمنع ذروات وأثبت فى العلا * دعائم عز شاهقات تشيد

وأثبت فرعا فى الفروع ومنبتا * وعودا غذاه المزن فالعود أغيد   رباه وليدا فاستتم تمامه * على أكرم الخيرات رب ممجد

تناهت وصاة المسلمين بكفه * فلا العلم محبوس ولا الرأى يفند   أقول ولا يلقى لقولى عائب * من الناس الا عازب القول مبعد

وليس هوائى نازعا عن ثنائه * لعلى به فى جنة الخلد أخلد   مع المصطفى أرجو بذاك جواره * وفى نيل ذاك اليوم اسمى وأجهد

﴿ وقال حسان بن ثابت ايضاً يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

مابال عينك لا تنام كأنما * كحلت مآقيها بكحل الارمد

جزعا على المهدى أصبح ثاويا * ياخير من وطئ الحصى لا تبعد

وجهى يقيك الترب لهفى ليتنى * غيبت قبلك فى بقيع الغرقد   بأبى وأمى من شهدت وفاته * فى يوم الاثنين النبى المهتدى

فظللت بعد وفاته متبلدا * متلددا ياليتنى لم أولد   أأقيم بعدك بالمدينة بينهم * ياليتنى صبحت سم الاسود

أوحل أمر الله فينا عاجلا * فى روحة من يومنا أو من غد   فتقوم ساعتنا فنلقى طيبا * محضا ضرائبه كريم المحتد

يا بكر آمنة المبارك بكرها * ولدته محصنة بسعد الاسعد   نورا أضاء على البرية كلها * من يهد للنور المبارك يهتدى

يارب فاجمعنا معا ونبينا * فى جنة تثنى عيون الحسد   فى جنة الفردوس فاكتبها لنا * ياذا الجلال وذا العلا والسودد

والله أسمع ما بقيت بهالك * الا بكيت على النبى محمد   ياويح أنصار النبى ورهطه * بعد المغيب فى سواء الملحد

ضاقت بالانصار البلاد فأصبحوا * سودا وجوههم كلون الاثمد   ولقد ولدناه وفينا قبره * وفضول نعمته بنا لم نجحد

والله أكرمنا به وهدى به * أنصاره فى كل ساعة مشهد   صلى الاله ومن يحف بعرشه * والطيبون على المبارك أحمد

﴿ قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

نب المساكين أن الخير فارقهم * مع النبى تولى عنهم سحرا   من ذا الذى عنده رحلى وراحلتى * ورزق أهلى اذا لم يؤنسوا المطرا

أم من نعاتب لا نخشى جنادعه * اذا اللسان عتا فى القوم أو عثرا   كان الضياء وكان النور نتبعه * بعد الاله وكان السمع والبصرا

فليتنا يوم واروه بملحده * وغيبوه وألقوا فوقه المدرا   لم يترك الله منا بعده أحدا * ولم يعش بعده أنثى ولا ذكرا

فصل الخطاب والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع الا انقاد له ومال اليه ثم تكلم عمر رضى الله عنه بعده دون كلامه ومد يده فبايعه وبايعوه ورجع أبو بكر ورجعت معه «قال أبو ذؤيب» فشهدت الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وشهدت دفنه ثم أنشد أبو ذؤيب يبكى النبى صلى الله عليه وسلم

لما رأيت الناس فى عسلانهم * من بين ملحود له ومضرح

متبادرين لشرجع بأكفهم * نص الرقاب لفقد أبيض أروح

فهناك صرت الى الهموم ومن يبت * جار الهموم يبيت غير مروح

كسفت لمصرعه النجوم وبدرها * وتزعزعت آطام بطن الابطح

وتزعزعت أجبال يثرب كلها * ونخيلها لحلول خطب مفدح

ولقد زجرت الطير قبل وفاته * بمصابه وزجرت سعد الاذبح

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم

أرقت فبات ليلى لا يزول * وليل أخى المصيبة فيه طول

ذلت رقاب بني النجار كلهم * وكان أمرامن امر الله قدقدرا واقسم الفئ دون الناس كلهم * وبددوه جهارا بينهم هدرا

﴿ وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً ﴾

آليت ما في جميع الناس مجتهدا * منى ألية برغير افناد تالله ما حملت أنثى ولا وضعت * مثل الرسول

وأسعدنى البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قدقبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحى والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ماسالت عليه * نفوس الناس أوكربت تسيل
نبى كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعى ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن ورجع المهاجرون والانصار الى رحالهم ورجعت فاطمة الى بيتها اجتمع اليها نساؤها فقالت

اغبر آفاق السماء وكورت * شمس النهار وأظلم العصران
فالارض من بعد النبي كئيبة * أسفا عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها * ولتبكه مضر وكل يمان
وليبكه الطود المعظم جوده * والبيت ذو الاستار والاركان
ياخاتم الرسل المبارك ضوءه * صلى عليك منزل القرآن

﴿ فصل ﴾ وأما الاختلاف فى كفنه عليه السلام كم ثوبا كان وفى الذين أدخلوه قبره ونزلوا فيه فكثير وأصح ماروى فى كفنه أنه كفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية وكانت تلك الاثواب من كرسف وكذلك قميصه عليه السلام كان من قطن ووقع فى السيرة من غير رواية البكائى انها كانت ازارا ورداء ولفافة وهو موجود فى كتب الحديث وفى الشروحات وكانت اللبن التى نضدت عليه فى قبره تسع لبنات * وذكر ابن اسحق فيمن ألحده شقران مولاه واسمه صالح وشهد بدرا وهو عبد قبل ان يعتق فلم يسهم له انقرض عقبه فلا عقب له * وذكر ابن اسحق مرائى حسان فى النبي صلى الله عليه وسلم وليس فيها مايشكل فنشرحه وقد رثاه كثير من الشعراء وغيرهم وأكثرهم أفحمهم المصاب عن القول وأعجزتهم الصفة عن التأبين ولن يبلغ بالاطناب فى مدح ولا رثاء فى كنه محاسنه عليه السلام ولا قدر مصيبة فقده على أهل الاسلام * فصلى الله عليه وعلى آله صلاة تتصل مدى الليالى والايام * وأحله أعلى مراتب الرحمة والرضوان والاكرام * وجزاه عنا أفضل ماجزى به نبياً عن أمته * ولا خالف بنا عن ملته * انه ولى الطول والفضل والانعام * وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين

نبي الامة الهادى
ولا برى الله خلقا من بريته * أوفى بذمة جار أو بميعاد
من الذى كان فينا يستضاء به * مبارك الامر ذا عدل وارشاد
أمسى نساؤك عطلن البيوت فما * يضربن فوق قفا ستر بأوتاد
مثل الرواهب يلبسن المباذل قد * أيقن بالبؤس بعد النعمة البادى
ياأفضل الناس انى كنت فى نهر * أصبحت منه كمثل المفرد الصادى

« قال ابن هشام » عجز البيت الاول عن غير ابن اسحق (وجد بآخر نسخة مانصه) وهذا آخر الكتاب والحمد لله كثيرا وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الاخيار الراشدين (أنشدنى) أبو محمد بن عبد الواحد عن محمد بن عبد الرحمن البرقى قال أوعب أبو محمد عبد الملك بن هشام كتاب السيرة وبحضرته رجال من فصحاء العرب فقال

تم الكتاب وصار فى القرض * عشرين جزأ كلها ترضى
كملت بلا لحن ولا خطل * فى الشكل والاعجام والقرض
والحمل حق صح ناقله * بعض من العلماء عن بعض



الجزء الثانى من الروض الانف

صحيفه

صحيفة

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

﴿ تمت ﴾

